مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

رمضان ١٤٢٠ هـ

كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠

كُنّاش عيون النصوص
في كتاب «الفصوص»

الدكتور محمّد أحمد الدّالي

كان أبو العلاء(١) صاعدُ بنُ الحسن بن عيسى الرَّبَعِيُّ البغداديُّ (ت ٤١٠هـ، أو ٤١٧، أو ٤١٩) «عالماً باللغة والأدب والأخبار سريعَ الجواب حسنَ الشعر»(٢).

تلقى علومَه على كبار أئمة المائة الرابعة، ومنهم أبو سعيد السيرافيُّ(٣)، وأبو علي الفارسيُّ(٤)، وأبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّانيُّ(٥)، وغيرهم. وروى في كتابه «الفصوص» عن أكثر من أربعين عالماً(٦).

وقف صاعد على أمَّهات الكتب المؤلفة في فنون شتى من علوم العرب. ومنها ماهو بخط مؤلفه أو بخطٍّ جليلٍ من كبار العلماء؛ ونقل منها أشياءَ تقع في نحو ٤٠٠٠ ورقة. قال عقب مانقله من خط الأصمعي [٢/ ٢١٨]: «فهذا الذي صحَّ لي من الجزء الواحد من خط الأصمعي، ثم حيل بيني وبينه. ونقلت من خطه بعد ذلك شيئاً كثيراً........ وقد نقلت من خط الفراء وسيبويه والأخفش والمفضل بن سلمة وثعلب والمبرد وابن الأنباري وابن دريد وقطرب وابن السكيت..... وأبي الحسن المدائني، ومن

خط خالد بن كلثوم والأقرع وراق عبد الله بن طاهر......= أشياءَ تقع في نحو من أربعة آلاف ورقة رُزِئتُها. ولو سلمتْ لأخرجتُ للناس بدائع لم تطرق سمعاً قط، وذلك عند ولايتي خزانة كتب الوزير أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف في أيام أبي شجاع فنّا خسروه، وذلك من سنة سبع وستين إلى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. وفي حفظي بحمد الله منها **عيونٌ وفصوصٌ** تسرع إلى الحفظ وتبقى مع الدهر، وسوف أتتبع حفظي عنها إن شاء الله...» اهـ

وكان قد قال في صدر كتابه [١/ ٣٢- ٣٤]: «... ولأنّي الوزير أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف- تغمد الله خطاياه- خزانة كتبه، فأصبتُ فيها خطوط العلماء وأصولَهم التي استأثروا بها لأنفسهم دون الناس، إذ لابد لكل عالم من أثيرة مجموعة لخاصّته غير مايذيعه للطلبة عنها. ووجدت في كتب الخلافة التي خرجت في نهب دار المقتدر بخط الأصمعي والفراء وأبي زيد وابن السكيت وابن الأعرابي وإسحق بن إبراهيم الموصلي وأبوي العباس المبرد وثعلب وغيرهم = عيوناً من علم العرب لم تُصنَّفْ [في المطبوع: يصنف] في شيء من الكتب ضناً بها واختصاصاً بحسنها. فنقلتُ منها بخطي مُوفياً على ثلاثة آلاف ورقة. وحفظتُ أكثرَها اغتباطاً بها وإعجاباً ببديعتها. ورزئتُ كتبي في الحادثة التي نشأت بين الوزير وصاحب بغداد، فخرجت عنها...... ولم أضمّن كتابي إلا مانقلتُه من خط منسوب أو تلقَّيتُه من في عالم، فلم أسطِّره إلا في سُوَيْداء القلب حذارَ أن يزيغ عن الذِّكر....» اهـ

فعَوَّل في تصنيف «الفصوص» على ماحفظه من عيون مانقله من خطوط العلماء وأصولهم، وعلى ماتلقاه من أفواه شيوخه الذين تلقّى عليهم العلم. فجمع فيه فيما قال [١/ ٣٠]: «ماستطفٌ من نَخِيلة شعر وغَرِيبة خبر

وعَقِيلة كَلِم ندَّت عن الكتب المتداولة كالكامل وغيره من كتب النوادر....».

احتوى **«الفصوص»**، فيما قاله محققه الفاضل الدكتور عبد الوهاب التازي سعود في مقدمة تحقيقه [١/١٤]: «مزيجاً من الأخبار والطرائف والأشعار والشروح والتفاسير، لايخضع توزيعها لمنهج ثابت». وبيَّن موضعه «بين كتب الأمالي والمجالس والأدب العام» [١/ ١٥]، وذكر [١/ ١٥-١٦] أنه «استطاع أن يرفع الوهم الذي غشى عيون جميع من نظر إلى صاعد سابقاً فاعتبره مُمَخْرِقاً كذاباً. والحق أن علم الرجل في الفصوص كشف عن معدن نفيس من علوم العرب...». وهو كما قال حفظه الله.

والكتاب معرض لِثقافة صاعد وغزارة حفظه وسعة روايته. وفصوصه ذات ألوان، فمنها ماكان في تفسير آيٍ من القرآن الكريم، أو بعض الأحاديث= ومنها ماكان في الشعر الذي يحفظه ويرويه ويحسن شرحه وفيه ماأصابه بخطوط الجلة من العلماء= ومنها ماكان شرحاً لمسائل من علم اللغة أو العربية= ومنها ماكان بسطاً لخبر أو لنسب= ومنها ماكان خالصاً لكلام جامع في بعض العلوم كعلم العروض.

واللغة هي الغالبة على صاعد، وقد استظهر فيما قاله في صدر كتابه [١/ ٣١- ٣٢] «كتب اللغة المتعاورة الأمهات الثلاث: الغريب المصنف، والإصلاح، والألفاظ، وكتب الأصمعي وأبي زيد وابن الأعرابي ودواوين العرب الجاهلية ومن بعدها...». وهو ذو معرفة بغيرها من فنون العلم، وكان ذا رواية ودراية. مكّنه بصره باللغة ومعاني الشعر أن يتنبه على مواضع سها فيها شيخه أبو علي الفارسي، وأبو علي أبو علي. قال صاعد [٢/ ٣٣٣-٣٣٤]: «... فوجدت في خط أبي علي رحمه الله ثمانية عشر سهواً في نوادر أبي زيد، منها في هذه القطعة واحد قبيح، وهو:

رأَوْا صِبْيَةً ثاروا إليه بأرْضِهم كما هَرَّ كلبُ الدّارِ بَيْنَ كَلِيبِ

وأبو علي أستاذنا، ولكن الحقّ لاهوادة فيه.... وإنما هو:

كما هَرَّ كلبَ الدارئين كليبُ

فيسلم من الإقواء ويصح المعنى، لأنه ذكر أنه لمّا تغرّب في غير قومه ثاروا إليه واستنكروه، فهرّوه كما هرّ الكلب على كلب غريب ليس من موضعه، والدارئون: الغرباء لأنه مأخوذ من قولهم: درأ علينا فلان: إذا هجم...».

وكانت تمرّ بي خلال قراءتي في الكتاب نصوصٌ نقلها صاعد عن خطوط الأئمة، وقصائد فرائد لشعراء ذوي دواوين لم تقع في دواوينهم، أو لشعراء لم ينته إلينا خبرُهم ولا شيءٌ من شعرهم، أو قصائد مطوّلة لايعرف منها إلا أُبَيّات، ومنها عشر قصائد مختارة كتبها الأقرع ورّاق عبد الله بن طاهر في ثوب دَبيقيّ(٧). يمر بي هذا ونحوه لا أقيّده. ولمّا أُحوجتُ إلى مراجعة بعض مامرّ بي من ذلك لم أتهدَّ إلى موضعه في الكتاب إلا بعد بذل الجهد ورجع البصر فيه كرَّتين لتفرُّقه ولأنه لايضبطه ضابط.

فرأيت أن أجمع ماكان من هذه البابة من «فصوص» الكتاب وعيونها ونوادرها، أذكره على حذف واختصار ليكون دليلاً وهادياً إلى نفائس هذا الباب من الكتاب، فهو كناش فيه ذكر عيون النصوص في كتاب الفصوص

وأما نصُّ «الفصوص» ومادته والجهد العظيم الذي بذله محققه الفاضل في تحقيقه، والتعليق عليه، وصنع فهارسه المفصلة(٨)، وما يعنّ للناظر فيه من رأي أو تعليق في مواضع منه= فكل أولئك جدير ببحث يفرد له، عسى أن أتفرغ له .

[١] خمس قصائد من العشر المختارة لعبد الله بن طاهر التي كتبها الأقرع ورَّاقُه في ثوب دَبِيقِيّ

١ – قال صاعد [١/ ٣٠٥] عقب إنشاده قصيدة طُفَيل الغنوي، وعِدَّةُ أبياتها ٣٣ بيتاً، ومطلعها:

أشَاقَتْكَ أظْعانٌ بجَفْرِ يَبَنْبَمِ   نَعَمْ بُكَراً مِثْلَ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ

قال: «نقلتُ هذه القصيدة من ثوب ديبقي بخط الأقرع كتبها إلى تسع قصائد مختارة لعبد الله بن طاهر، فكان الثوب يعلَّق في حائط مجلسه، فيدرسها ليستظهرها وهو مستلقٍ على ظهره. وسأثبت الجميع في كتابنا هذا مشروحاً إن فسح الله تبارك اسمه في الأجل» اهـ. ووقع بعض أبيات القصيدة في بعض المصادر التي ذكرها المحقق. ولم أجد في الكتاب إلا خمس قصائد نصَّ على أنها من قصائد الثوب الدبيقي

٢ – وقال [٣/ ١٤٧– ١٥٤]: «هذه القصيدة إحدى العشر التي كتبها الأقرع لعبد الله بن طاهر في الثوب الدبيقي الذي كان يعلَّق قدَّامه ليقرأها وهو مستلقٍ على ظهره فيستظهرها، وكانت منسوبة إلى السَّمْهَرِيّ، ونحن رويناها للقطاميّ عن غير واحد، وهي:

زُوَرا أُمَامَةَ طالَ ذا هِجْرَانا   وحَقِيقَةٌ هِيَ أنْ تُزارَ أوَانا»

فأورد ٥٧ بيتاً، وهي في ديوان القطامي وفيه بيت زائد على ماأورده.

٣ – وقال [٣/ ١٥٦– ١٦٢]: «ونقلت من خط الأقرع في الثوب من العشر المختارة لعبد الله بن طاهر لسَوَّار بن مُضَرَّب، كلابي جاهلي:

أَلَمْ تَرَنِي وإنْ أَنْبَأْتُ أَنِّي طَوَيْتُ الكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الغَوَانِي»

فأورد ٤٨ بيتاً، وهي أصمعيّة، وفي رواية بعض أبياتها اختلاف، وبعضها لم يقع في رواية الأصمعيات، ووقع فيها أبيات لجَحْدَر العُكْلِيّ، انظر كلام المحقق.

وقال أبو عبيد البكري في اللآلي ٦١٨: «وأنشد صاعد بن الحسن لسوّار بن المضرّب الكلابي جاهلي– هكذا قال، وإنما هو سعدي من سعد بني تميم– قصيدةً أولها:

ألـيس الله يعلم أن قلبي يحبك أيها البرق اليماني»اهـ

فقال الشيخ الميمني رحمه الله في تعليقه على هذا الموضع من كلام البكري: «هما قولان، قال التبريزي ١/ ٦٥ [والمرزوقي ١٣٠]: من سعد تميم [وكذا في المؤتلف للآمدي ١٨٣]، وقال البرقي: من سعد كلاب، وكذا في الاختيارين رقم ٦ [ص ١٠٥] فهو إذاً سعديّ وكلابيّ أيضاً. وسوّار كان ممن فر من الحجاج. وقال المرزباني ٥٨ [ص ٣٠١. طبعة القدسي] العوّام بن المضرّب وأخوه السوّار بصريان إسلاميان. فتبين أنه ليس جاهلياً كما زعم صاعد»اهـ.

والبيت الذي أنشده البكري على أنه أول القصيدة التي أنشدها صاعد لسوّار– وهو قوله: أليس الله× اليماني– هو البيت الخامس والعشرون مما أنشده صاعد، وأول الشعر في رواية صاعد في الفصوص قوله المذكور: ألم تر × الغواني

وقد علق المحقق على هذا الموضع من الفصوص بقوله: «وسوار بن المضرب إسلامي عند أبي زيد في النوادر ٢٣١، وذكر المبرد في الكامل ٢/ ١٠٢، ٣/ ٣٦٧ أنه» كذا وقع الكلام ناقصاً وتمامه «أنه ممن هرب من الحجّاج».

٤ – وقال [٣/ ٢٤٠]: «ونقلتُ من خط الأقرع في الثوب الذي كتب فيه لعبد الله بن طاهر لطَهْمان بن عمرو بن سَلَمة من بني [أبي] بكر بن كلاب:

سَقَى دارَ لَيْلَى بالرَّقَاشَيْنِ مُسْبِلٌ مُهِيبٌ بأعْناقِ الغَمام دَفُوقُ»

فأورد ٣٢ بيتاً ورد بعضها في بعض المصادر، ولم يحل المحقق على ديوان طهمان وروي بيتان منها للمجنون هما أول كلمة له في ديوانه، وتروى القصيدة للفأفاء بن حيان من بني عمرو بن كلاب، انظر سمط اللآلي ٤٧٣. وما جعلته بين حاصرتين سقط من المطبوعة.

٥ – وقال [٤/ ٢١٠]: «ونقلتُ من ثوب عبد الله بن طاهر بخط الأقرع للخَطِيم المُحْرِزِيِّ:

وقَائلَةٍ يَوْماً وقَدْ جِئْتُ زَائراً رأيْتُ الخَطِيمَ بَعْدَنا قد تَقَدَّدا»

فأورد ٦١ بيتاً ورد بعضها في بعض المصادر التي ذكرها المحقق.

[٢] قصائد من أشعار القبائل منها ماانفرد بروايته

٦ – قال [٢/ ٢٥١]: «ومن خط ثعلب في قَبِيل ضَبَّة لابن الحُدَادِيَّة:

حَلَّتْ رُمَيْلَةُ بالمُتَبَّعِ حَلَّةً أيَانَ إذْ هِيَ نَاشِىءٌ أُمْلُودُ»

٣ أبيات، وقد أنشدها المؤلف فيما سلف [١/ ١٨٢] للعيَّار

٧ – وقال [١/ ١٨٩]: «ونقلت من خط عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني في أشعار بني ضَبَّة رواية أبي عمرو أبيه وتأليفه، لامرأة من بني ضبة:

وأيَّ فَـتًـى وَدَّعْـتُ يَـوْمَ طُـوَيْـلِـعٍ عَشِـيَّـةَ سَلَّمْـنـا عليـه وسَـلَّـمـا»

٥ أبيات ورد بعضها في بعض المصادر التي ذكرها المحقق

٨ – وقال [٢/ ١٣٩]: «ونقلت من خط ابن سعدان في قَبيل **ضبَّة** من كتب الخلافة:

إنَّ الـذين بـجَـعْـوٍ مِنْ عَـشِـيرتِـنا رُهْـنٌ لِدَوْسٍ بـيَـومٍ شَـرُّهُ بـادي»

بيتان .

٩ – وقال [٢/ ٢٤٤]: «نقلت من خط يعقوب بن السكيت في قبيل **طيِّئ** لعامر بن جُوَيْن الطائي :

أَأَظْعَانُ سَلْمَى تِلْكُمُ المُتَحَمِّلَهْ لِتَصْرِمَني إذْ خُلَّتِي مُتَدَلِّلَهْ»

١٣ بيتاً، ذكر المحقق أنها له في الاختيارين. ثم قال صاعد [٢/ ٢٤٧]: «ثم رأيت هذه القصيدة بخط أبي عمرو الشيباني ينسبها إلى امرئ القيس». ولم ترد في أصول ديوانه، انظر كلام المحقق.

١٠ – وقال [١/ ١٦٧]: «قرأت على أبي سعيد السيرافي رحمه الله في قبيلة **الأزد** لامرأة من مَيْدَعان:

لَوْ مَيْدَعَانَ دَعَا الصَّرِيخُ إِذَنْ بَزَخَ القِسِيَّ شَمَائِلٌ شُعْرُ»

٧ أبيات ذكر المحقق أن بيتاً منها في اللسان.

١١ – وقال [٢/ ١٠٥]: «نقلت من قبيل **أَشْعَر وجُعْفِي** عن خط المفضل بن سَلَمة لمالك بن عامر الأشعري يذكر طول عمره :

عُمِّرْتُ حَتَّى مَلِلْتُ الحَيَاةَ ومَاتَ لِدَاتي مِنَ الأَشْعَرِ»

٢٠ بيتاً.

١٢ – وقال [١/ ١٢١]: «وجدت في شعر مُرَادٍ وجُعْفِيّ بخط أبي

موسى الحامض:

أَفِي بـارِقٍ يَعْتَـادُ عَيْنَـكَ مُومِضـاً كمـا طار في ذَيْـلِ الظَّلاَمِ حَـرِيقُ»

٨ أبيات

١٣ – وقال [٥/ ٢٧٢] : «نقلت من خط أبي عمرو الشيباني في قبيل نَهْد لأبي ليلى خالد بن الصَّقْعَب بن عمرو بن سعد بن كعب بن زُوَيّ ابن مالك بن نهد، جاهلي قديم:

عَفَا من سُلَيْمَى لَعْلَعٌ فقُرَاقِرٌ وبالطَّفِّ منها مَنْزِلٌ ومَحَاضِرُ»

٤٢ بيتاً ذكر المحقق أن بيتاً منها وقع في كلمة لمعقّر بن حمار البارقي.

[٣] قصائد انفرد صاعد بروايتها أو برواية أكثرها مرتّبة على أسماء قائليها

١٤ – جامع بن مُرْخِية الكلابيّ

قال صاعد [٢/ ٤٠- ٤٣]: «قال جامع بن مرخِيَةَ الكلابي– أنشدناه أبو الفتح المَراغيّ، قال: أنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السُّكَّري، عن أبي زيد الأنصاري، عن المفضل الضبيّ– لجامع بن مُرْخِية الكلابيّ:

لله دَرُّ مَنَازِلٍ ومَنَازِلٍ إِنَّا بُلِينَ بهـا ولا الأَحْـوارِ»

٢٤ بيتاً، ذكر المحقق أن بعض أبياتها نسب إلى مؤرج السُّلَمي. وقال المحقق: «والألف محذوفة ضرورة من بلين والشاعر يقصد بلينا».

١٥ – ابن الدُّمَيْنَة

قال صاعد [١/ ٦٧– ٧٠]: «قرأت على أبي سعيد السِّيرافي قال ابن مِقْسَم: أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ لابن الدُّمَيْنة:

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً وهَلْ أنا ناجٍ مَرَّةً مِنْ عَذَابِكِ»

٢١ بيتاً لم يرد منها في ديوانه إلا أبيات قليلة.

١٦ – ذَكْوان العِجْليّ

قال صاعد (٤/ ٦١]: «أنشد المفضَّل، رواه أبو زيد لذَكْوَان العِجْلِيّ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الحازِمِيَّةَ أَصْبَحَتْ جَوَازِئَ [في] نَفْخَاءَ مُثْرٍ تُرَابُها»

١٠ أبيات.

١٧ – شيبان بن ضابئ الكلابيّ

قال صاعد [٤/ ٦٢– ٦٤]: «وأنشد [المفضل] لشيبان بن ضابئ الكلابيّ، وكان ينزل اليمامة:

أَعْطَانِيَ الرَّحْمنُ من عَطَائِه»

وهي أرجوزة في ٣٠ بيتاً، ذكر المحقق أن بيتين منها وردا في النخلة. وما بين حاصرتين زدته للبيتان.

١٨ – عُبَيْد بن أيوب العَنْبَريّ

قال صاعد [٣/ ٦٧– ٧٢]: «وقرأت على أبي سعيد رحمه الله لعُبَيْد ابن أيوب العنبري هذا:

جَرَى ظَبْيٌ بِبَيْنِ الحَيِّ فَرْداً وفاتِخَةٌ ( ) خطوفُ»

٤٠ بيتاً لم ترد في مجموع شعره. وكان في المطبوع «وفاتحة» وهو خطأ. والفاختة ضرب من الحمام المطوَّق.

١٩ – كِنانة بن عبد ياليل.

قال صاعد [٢/ ١٥– ١٨]: «أنشد الأصمعي فيما روى لنا محمد بن

شاذان عن ابن دريد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه لكِنانةَ ابن عبد ياليل يمدح النعمان بن المنذر:

سَقَى مَنْزِلَيْ سُعْدَى بدَمْخٍ وذي حُسًا مِنَ الدَّلْوِ يَوْماً مُسْتَهِلٌّ ورائحُ»

٢٣ بيتاً ذكر المحقق أن الأبيات الثلاثة الأولى منها وردت في معجم البلدان.

٢٠ – المَعْلُوط

قال صاعد [١/ ٩٨– ١٠٠]: «أنشدني أبو الحسن علي بن حيدرة للمَعْلُوط، وبعضها لكُثَيِّر:

وَفَيْتُ ولَمْ أَغْدِرْ بكم وغَدَرْتُمُ وهَلْ يَسْتَوي ياعَزُّ وافٍ وغادِرُ»

١٤ بيتاً، ولم يرد منها شيء في ديوان كثير المطبوع. وكان في مطبوعة الفصوص «وقفت» وهو تحريف ظاهر.

٢١ – أبو النجم

قال صاعد [٢/ ٩٥– ٩٧]: «حدثنا أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي.....

قال: حدثنا ابن نقيش النحوي، عن أبي يوسف الأصبهاني، عن أبي حاتم السجستاني وأبي علي النضري وأبي محمد الباهلي، وكلهم عن الأصمعي، قال: حدثني العلاء بن أسلم عن أبي نُخَيْلة قال: قدمت الشام على هشام بن عبد الملك.... فدخلت على هشام وعنده أبو النجم وهو ينشد قصيدة يقول فيها:

نَزُورُ خَيْرَ الشَّيبِ والشُّبَّانِ»

فساقها، وهي ٥٢ بيتاً ذكر المحقق أن خمسة منها وردت في الأغاني

٢٢ – النعمان ذو الأنف الخَثْعَمِيّ

روى صاعد [١/ ٢٠٨– ٢٠٩] أرجوزة للنعمان ذي الأنف بن عبد الله ابن جابر الخثعمي، ومطلعها :

قُلْتُ لسَعْدٍ وابنِ أرْوَى وزُمَلْ

وهي ١٠ أبيات. والنعمان هو الذي قاد خيل خثعم إلى النبي ﷺ، وكان شجاعاً بئيساً..... في خبر ساقه بطوله [١/ ٢٠٧– ٢١٨]. وروى [١/ ٢١٦– ٢١٨] ١٣ بيتاً له مطلعها :

جَزَى اللهُ جَوَّاباً وعَمْراً ونائلاً   جَزاءَ الوَصُولِ المُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ

ذكر المحقق أن أبا علي القالي رواها في أماليه عن شيخه ابن دريد بلا نسبة.

[٤] عيون وفصوص منقولة عن خطوط كبار أئمة العربية واللغة والأدب مرتَّبة على أسماء أصحابها

٢٣ – قال صاعد [٣/ ٢١٤]: «نقلت من خط **الأثرم** صاحب أبي عبيدة لأبي طلحة عبد الله بن عبد العزّى من بني عبد الدار، ثم رأيته أيضاً بخط **محمد بن حبيب**، فكانا سواءً:

أَهَاجَكَ مِنْ ذَوِي الشَّجَنِ البُكُورُ   نَعَمْ إنَّ النَّوَى بِهِمُ طَحُورُ»

٤ أبيات

٢٤ - وقال [١/ ٢٥٩]: «ونقلت من خط **إسحق بن إبراهيم الموْصِليّ**، قال يقول: ابرِ لي قداحاً ولا تأْشِبْها أي لاتكن من أشجار مختلفة...».

٢٥ - وقال [٢/ ٣- ٦]: «نقلت عن يد **الأصمعيّ** مما استأثره لنفسه هذه القصيدة، وهي لشِبْل بن الصامت المُزَني ثم العِمْرانيّ:

تَذَكَّرَ سَلْمَى إنَّه لَطَرُوبُ   على حِينِ أنْ شَابَتْ وكاد يَشِيبُ»

٢٦ بيتاً .

٢٦ - وقال [٤/ ١٥٢- ١٥٩]: «وهذه قصيدة النَّظَّار الفَقْعَسِيّ التي نقلتها عن يد الأصمعي، ووعدتك بها في وسط الديوان [٢/ ٢٠٩] وبشرحها. قال: أنشدني عيسى بن عمر للنَّظَّار بن هاشم الفَقْعَسِيّ، وليس للعرب على وزنها وقافيتها [وجودتها] قصيدة

كأنَّني فَوْقَ أقَبَّ سَهْوَقِ   جَأْبٍ إذا عَشَّرَ، صاتِ الإرنانْ»

٥٢ بيتاً خرجها المحقق، ومن الموضع السالف في الكتاب [٢/ ٢٠٩] زدت ماجعلته بين حاصرتين. وقال المحقق: وزن القصيدة مولَّد، فالصدر من الرجز، والعجز من السريع الموقوف».

ونقل صاعد [٢/ ٢٠٧- ٢١٧] أشياء أخرى بخط الأصمعي

٢٧ - وقال [٣/ ٣٢٨]: «وكتبتُ من خط **الأصمعي**: قال عيسى بن عمر: سمعت رُوَيْشداً الطائي يقول: مافي الباداة والقاراة مثلُه، يريد مافي البادية والقارية». وكان في المطبوعة «والغاراة.. والغارية» وهو تصحيف، والقارية: الحاضرة الجامعة، انظر اللسان (ق ر ي) .

٢٨ - وقال [٢/ ٢٠٥] عقب أربعة أبيات لوديعة بن ذرة، وهو جاهلي قديم:

لَقَدْ قِيلَ من طُولِ اعْتِلاَلِكَ بالقَذَى أَجِدَّكَ لاتَلْقَى لِعَيْنَيْكَ قاذيا

الأبيات، قال صاعد: «نقلت هذه القطعة من خط **الأصمعي**» ثم قال [٢/ ٢٠٦]: «نقلت بعده لزاد الركب:

تَمُتُّ إلى الأقْصَى بثَدْيَيْكَ كُلِّهِ وأَنْتَ على الأدْنَى صَرُومٌ مُجَدَّدُ»

٣ أبيات، ثم نقل عنه [٢/ ٢٠٧– ٢٠٨] ٧ أبيات للمُضَرِّب، جاهلي:

نَظَرْتُ بأعْلَى سَيْلِ جُوسَيْنِ نَظْرَةً وشَمْسُ الضُّحى يَجْري على الأرْضِ آلُها

٢٩ – وقال [٢/ ٣٣٠]: «نقلت عن خط **الأصمعي**، ثم وجدته بعد ذلك بخط **إسحق بن إبراهيم الموصلي** لمحبوب بن العَشَنَّط النَّهْشَلِيّ:

لَروْضَةٌ مِنْ رياضِ الحَزْنِ أو طَرَفٌ مِنَ القُرَيَّةِ جَرْدٌ غَيْرُ مَحْرُوثِ

٦ أبيات خرجها المحقق.

ثم نقل [٢/ ٣٣١] من خط **الأصمعي** ٤ أبيات لأبي العَمَرَّط العُقَيْلي [في المطبوع: العقلي]

عَجِبْتُ لعَطّارٍ أتانا يَسُومُنا بدَسْكَرَةِ الفَيُّوم دُهْنَ البَنَفْسَجِ

٣٠ – وقال [٣/ ٩٨]: «ونقلت من خط **الأصمعي**: أنشدني عيسى ابن عمر لقيس بن الحدادية:

قَضَيْتَ القَضَاءَ مِنْ قَسِيمَةَ فاذْهَبِ وجانَبْتَها يالَيْتَ أنْ لم تَجَنَّبِ

٧ أبيات خرّجها المحقق.

٣١ – وقال [٣/ ٢٥٩]: «نقلت من خط **الأصمعي**: أنشدني عيسى ابن عمر إملاء منه لعُبَيْد:

أرَاني وذئبَ القَفْرِ خِدْنَيْنِ بَعْدَما بَدأْنا كِلانا يَشْمَئِزُّ ويَذْعَرُ»

٢٠ بيتاً خرّج المحقق بعضها، لعبيد بن أيوب العنبريّ.

٣٢ – وقال [٢/ ٣٦٢– ٣٦٨]: «نقلت من خط **البحتري** قصيدة الأقرع بن معاذ القُشَيْريّ:

أَلاَ حَبَّذا رِيحُ الغَضَا حِينَ زَعْزَعَتْ بِقُضْبَانِهِ بَعْدَ الطِّلالِ جَنُوبُ»

٢٥ بيتاً خرّجها المحقق من ديوانه وهي فيه موزعة في أربع قطع متفرقة. وانظر مايأتي بخط البحتري برقم ٤٢ .

٣٣ – وقال [٤/ ٢٩٧– ٢٩٨]: «ونقلت من خط **ثعلب** لقيس بن زهير بن جَذِيمة العبسي :

قُومِي بُهَيْسُ فَنَبِّهِي لي عُوَّدِي وإِخالُ شاهِدَكم كَمَنْ لَمْ يَشْهَدِ»

٩ أبيات. ثم نقل [٣/ ٣٠٠] من خط ثعلب تفسير قصيدة جندل بن أحمر السعدي، انظر مايأتي بخط ابن المعتز برقم ٥٣.

ونقل من خطه أيضاً [٢/ ٢٥٢– ٢٦١] قصيدة أسماء بن خارجة الفزاري:

إنّـي لَسَـائِـلُ كُـلِّ ذي طِـبٍّ مَـاذا دواءُ صَـبَـابَـةِ الصَّـبِّ

٣٧ بيتاً، وهي أصمعية .

٣٤ – وقال [٢/ ٢٤٠– ٢٤٤]: «نقلت من خط **الطُّوسِيِّ أبي الحسن**، ومن أصله، قال أبو عمرو الشيباني: خرج الشماخ في ركْب، فقيل له: شماخُ، سُقْ بنا وانزل وارجز، فنزل يسوق بالقوم وهو يقول:

لَـم يَبْـقَ إِلاّ مَـنْـطِقٌ وأَطْـرَافْ

......» إلى آخر الخبر. والأبيات في ديوانه.

٣٥ – وقال [٣/ ٦١– ٦٢]: «نقلت من خط **أبي الحسن المدائني** في

قراطيس مصرية: ·كان عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة من أهل الفقه والحديث والنسبَ وأيام العرب وأشعارها– وهلك ببغداد في أيام هارون الرشيد، وله أشعار لم يقع إلي منها إلا.....». ثم نقل من خطه [٣/ ٦٣–٦٤] أشياءَ أخر.

٣٦ – وقال [٥/ ١٦٤]: «رأيت بخط **ابن دريد** هذه الأبيات، وهي لزهير بن مسعود:

يا أُمَّ عمرٍو لاتَجُدِّي حَبْلَنا وكَيْفَ تَصرِمينَ حَبْلَ مَنْ يَصِلْ»

٤ أبيات، وفي نسبتها اختلاف ذكره المحقق. وكان في المطبوعة: لزهر.

٣٧ – وقال [٣/ ٢٧٣– ٢٨٩]: «قد كنت ضمنتُ لك– أيدك الله– أن أنقل ماظفرتُ به من الخطوط المنسوبة. فوجدت بخط **أبي رؤبة محمد ابن علي بن نصر**– وهو من كبار العلماء بالنسب، وأخذ عن ابن عبْدة [؟] صاحب الأنساب– فنقلت ماوقع إلي من خطه في النسب.....».

٣٨ – وقال [٤/ ٢٢٦]: «نقلت من خط **أبي زيد** سعيد بن أوس الأنصاري زائداً على الثلث من نوادره التي أول الكتاب: أنشدني المفضل لضَمْرة بن ضمرة. ويُعرف الكتاب بضمرة. وكتاب المسائية مفرد عن النوادر، ثم ضُمّ إلى ضمرة بعد ذلك، ووقع آخر الكتاب....».

ثم نقل [٤/ ٢٢٦– ٢٣٣] أشعاراً للفِنْد الزِّمَّانِيّ.

٣٩ – وقال [٤/ ٢٥٨– ٢٦٤]: «وهذا مانقلت من خط أبي زيد في اللبأ واللبن...... تَمَّ الكتاب الذي نقلته عن خط **أبي زيد** في اللبأ واللبن».

٤٠ – وقال [٤/ ٢٧٩– ٢٩٧]: «ونقلت من **خط أبي** زيد في قَبِيل مُزَيْنة قال لي المفضل الضبي: وَلَدَ أُدُّ بن طابخة.....».

٤١ – وقال [٢/ ٣٥٠]: «ونقلت من خطه [خط شيخه أبي سعيد السيرافي]: أغار جعفر بن عُلْبة الحارثي على معاذ الأعشى العقيلي، وكان أغار عليهم قبل ذلك ثم تحزَّب:

لهم صَدْرُ سيفي يومَ بُرْقَةِ مِسْحَلٍ.....»

وذكر صاعد أن رواية أبي تمام في الحماسة:

..................برقة سَحْبَل ولي منه ماضُمَّت عليه الأناملُ

٤٢ – وقال [٤/ ٢٤٨]: «ووجدت بخط **سلَمة** صاحب الفراء، ثم وجدت بخط **البحتري**، لبعض العرب، ولم يذكروا قائله:

أغَرَّكُم أنّي بأحْسَنِ شِيمةٍ خَلِيقٌ وأني بالفواحشِ أخْرَقُ

بيتان.

٤٣ – وقال [٣/ ١٨٦]: «ونقلت من خط **سيبويه** لِلُقَيْم بن لقمان الحكيم:

ألاَ حَيِّ ابنةَ الجَدَلِيِّ هِراً وناعِمَها صَباحَكَ والمَقَرّا»

٤ أبيات.

٤٤ – وقال [٤/ ٦٥]: «قال أنشدني أبو عبد الله الفزاري، قال: أنشدني المازني، قال: أنشدني الأخفش أبو الحسن، قال: أنشدني سيبويه، قال: أنشدني الخليل بن أحمد لنفسه، ثم وجدت هذه الأبيات على ظهر كتاب قديم بخط **سيبويه**: أنشدني الخليل لنفسه–:

تَرَفَّعَتْ عَنْ نَدَى الأَعْماقِ وانْحَدَرَتْ عَنِ المَعَاطِشِ واستَغْنَتْ بمَسْقاها»

٤ أبيات خرّجها المحقق.

٤٥ – وقال [٢/ ٣٣٣– ٣٣٤]: «..... فوجدت في خط أبي علي

[الفارسي شيخه] رحمه الله ثمانية عشر سهواً في نوادر أبي زيد، منها......».

٤٦ – وقال [٣/ ٣١٧]: «ووجدت بخط **أبي عمرو الشيباني** قصيدة لأبي النجم على غير أوزان الرجز، ولم يقل في غير وزن الرجز غيرها، وهي من غُرّ الكلام، ولم تأت في ديوانه، لأنه راجز، وهذه الكلمة من البسيط:

قالت بَجِيلَةُ إذْ قَرَّبْتُ مُرتَحَلاً   يارَبِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والعَطَبا»

٦٩ بيتاً. وذكر المحقق أن لأبي النجم همزية على الكامل ويائية عليه، وغير ذلك.

٤٧ – وقال [٣/ ٢٦٤– ٢٦٨]: «وقرأ علينا أبو سعيد– رحمه الله– ثم وجدته بخط **الفرّاء** ونقلته، فكان رواية أبي سعيد كما كتبه الفراء بخطه. وقال الفراء: أنشدنيها أبو العَذَوَّر النَّهْدي عند المأمون. وقال أبو سعيد: أنشدناها أبو إسحق الزجاج عن ثعلب عن الأثرم عن أبي عبيدة لعُبَيْد:

كأنْ لَمْ أقُلْ سبحانَكَ اللهُ فتيةً   لِتَدْفَعَ ضَيْماً أو لِوَصْلٍ تُواصِلُهْ»

٣١ بيتاً لعبيد بن أيوب العنبري خرّجها المحقق.

٤٨ – وقال [٥/ ٨٣]: «نقلت من خط **المازنيّ**: قال الحُوَيْدرة:

قِفُوا حَمَراتِ الجَهْلِ لايُورِدَنَّكُم   حِيَاضُ غُنَيْمٍ غِبَّ ظاهِرَةٍ تُغْضِي»

بيت لم يرد في ديوانه.

٤٩ – وقال [٤/ ١٣]: «أنشد المرزباني، قال: أنشدني الأخفش عن ثعلب عن الأثرم عن أبي عبيدة، ووجدته أيضاً بخط **المبرِّد**:

أمَّ نُهَيْكٍ ارْفَعِي الظَّنَّ صاعِداً   ولا تَيْأسِي أنْ يُثْرِيَ الدَّهْرَ بائسُ»

٨ أبيات. وذكر المحقق أنها تروى لنهيك بن إساف، ولعبد الله بن

نهيك، ولعبد الله بن أبي معقل .

٥٠ – وقال [٥/ ١٦٥– ٢٢١]: «وجدت بخط **المبرّد** من هذا الفن [يريد علم القوافي] كتاباً نقله عن **خط المازني**، وفيه من أسرار علم القوافي مالم يتضمنه كتاب على وجهه....» وقال في آخره [٥/ ٢٢١]: «تَمَّ الكتاب. هذا مانقلته من خط المبرد، وكتبه هو من خط المازني، وكان يلقب بسَهْكَل، ويلقب المبرد حابان، وثعلب عَوْهَم».

قال المحقق: لم أجد هذه الألقاب في تراجم المازني والمبرد وثعلب.

٥١ – وقال [٢/ ٣٣٥]: «نقلت من خط **أبي محمد اليزيدي** في كتاب خطَّه لهارون الرشيد: أَسْنَتَتْ بلاد خفاجة، وكان دُلَمُ بن مِسْمَعَ كثير المال، فأساف الأَزْل مالَه.... فأنشأ يقول :

قَالَتْ أُنَيْسَةُ بِعْ تِلادَكَ والْتَمِسْ دَاراً بِيَثْرِبَ رَبَّةِ الآجَامِ»

٨ أبيات، خرَّجها المحقق وذكر أنها تروى لجبيهاء الأشجعي.

٥٢ – وقال [٣/ ٩٩]: «ونقلت من خط **ابن المعتز**، وذكر أنه نقله من خط الفراء:

أَلاَ حَيِّ لَيْلَى قَدْ أَجَدَّ بُكُورُهَا وَعَرِّضْ بِقَوْلٍ هَلْ يُفَادَى أَسِيرُهَا»

١٥ بيتاً في نسبتها خلاف ذكره المحقق .

٥٣ – وقال [٣/ ٢٩٠]: «ووجدت في الكتب التي نقلتها من خزانة القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي– رحمه الله– إلى خزانة الوزير كتاباً بخط **ابن المعتز** كتبه إلى أبي العباس ثعلب....»

وجاء في كتاب ابن المعتز [٣/ ٢٩٢]: «وإني ذكرتُ البارحة بعد جُؤْشُوش من الليل كتباً بَعُدَ عهدي بدرسها وتقليبها، فأمرت بإحضارها، فصادفت فيها بخط **أبي عبيدة** قصيدة لم يذكر قائلها ولم يشرحها.... والقصيدة :

إنَّـا لَـجُـهَّـالٌ مِـنَ الجُـهَّـالِ »

فساقها وهي ١٣٣ بيت. وقوله «بعد جؤشوش من الليل» معناه: بعد مضيّ صدره أو قطعة منه.

ثم قال صاعد [٣/ ٣٠٠]: «ثم وجدت بعد ذلك **بخط ثعلب** تفسير القصيدة، فنقلته وأضفته إلى مانقلته من خط ابن المعتز....» فنقله [٣/ ٣٠٠-٣١٧]. ثم قال [٣/ ٣١٧]: «والقصيدة لجندل بن أحمر السعدي على مارواه أبو عمرو الشيباني، [و] رواها قوم لأبي النجم، والصحيح لجندل».

وذكر المحقق أنَّ أبياتاً منها رويت لأبي النجم

٥٤ – وقال [٢/ ٣٤١]: «نقلت من خط **المفضل بن سلمة** عن الفراء، قال: دخل الشماخ بن ضرار المدينة يمتار لأهله.....» فساق خبره مع عرابة الأوسي.

ونقل [٢/ ٣٤٢] من خطه أيضاً خبر الأعشى في المنافرة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة.

٥٥ – وقال [٥/ ٣٧]: «نقلت من خط **ابن مقلة** عن خط ابن السكيت:

هذا النَّهارُ بدا لها من هَمِّها ... مابالُها بالَّليْلِ زالَ زَوالُها

النهار رفع عن أبي عبيدة وابن الأعرابي، وكان في خط ابن مقلة عن ابن السكيت النصب....»

والبيت للأعشى، وأحال المحقق على ديوانه .

تمَّ الكنّاش، والحمد لله رب العالمين

الحواشي

(١) ترجمته في معجم الأدباء (تحقيق د. إحسان عباس) ١٤٣٩ برقم ٥٩٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٨٨، وإنباه الرواة ٢/ ٨٥، وإشارة التعيين ١٤٦، والأعلام ٣/ ١٨٦، وغيرها .

وكتابه «الفصوص» حققه الدكتور عبد الوهاب التازي سعود، وهو من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية ١٩٩٣– ١٩٩٦. وللمحقق الفاضل دراسة هي «صاعد البغدادي حياته وآثاره» لم أقف عليها.

(٢) قاله ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/ ٤٨٨ .

(٣) روى عنه في الفصوص ١/ ٦٧، ٧٠، ٨٦، ١٠٩، ١٥٧، ١٩٠ و ٢/ ١١١، ٣١٢، ٣٣٦، ٣٤٨ و ٣/ ٣، ٦٧، ٧٥، ١٠٦، ٢٢٠، ٢٥٧، ٢٦٤ و ٤/ ٧٦، ١٢٣، ١٣٦، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٦٥ و ٥/ ٦– ٧، ٢٣، ٢٦، ٤٣، ٤٥، ١٦١، ٢٢٢، ٢٤٥، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٩٣، ٢٩٨.

(٤) روى عنه في الفصوص ١/ ٥٢، ٥٦، ٨٧، ١٣٠، ١٩٥ و ٢/ ١٥٢، ٢٦٢– ٣٠٠ و ٣/ ١٢٩، ٢١١، ٢٥٤ و ٤/ ١١، ١٣٩، ١٧١ و ٥/ ٢١، ٢٧، ٢٨، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٨٨.

(٥) روى عنه في الفصوص ٢/ ٩٤، ٣٥٥ و ٣/ ١١١ و ٤/ ٢٦٤.

(٦) من **شيوخه** الذين روى عنهم في الفصوص إلى من ذكرنا: **أبو الحسن علي بن مهدي الفارسي** [١/ ١٩٧، ١٩٩ و ٢/ ١٥٤، ٢٠٣ و ٣/ ٢٢١ و ٤/ ٢٤، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣ و ٥/ ٩، ٧١، ٢٦٢، ٢٦٦، **وأبو بكر محمد بن شاذان** [١/ ٧٥، ١٢٦، ١٨٨ و ٢/ ١٥ و ٣/ ٨٧ و ٤/ ٣٨، ٢٧٤ و ٥/ ٢١، ٢٥١، ٢٩٠– ٢٩٢، **وأبو الحسن علي بن المرزبان الخيري** [٣/ ١٠١، ١٩٢، ١٩٧ و ٤/ ١٣، ١٧، ١٤٠ و ٥/ ١٠، ١٥، **وأبو الفتح المراغي** [٢/ ٤٠، ٣٤٤]، **وأبو الفرج الأصبهاني** [٣/ ١٩١]، **والخالديان**: أبو عثمان سعيد [٢/ ٣٥٩ و ٣/ ٢٢٥] وأبو بكر محمد [٢/ ٣٦١]، **وأبو الحسن السُّمَيْساطي** [علي بن محمد العدوي **الشمشاطي**] [٣/ ٢٣٨]، **وأبو القاسم الآمدي** [٢/ ٣٣٩]، وغيرهم. ولولا خشية الإطالة لذكرتهم جميعاً.

(٧) الديبقي نسبة إلى دَبِيق، وهي بُلَيدة كانت بين الفرما وتنِّيس من أعمال مصر، والثوب

الديبقي من دِقّ الثياب، انظر معجم البلدان (دبيق) ٢/ ٤٣٨، واللسان (د ب ق) .

(٨) تفضل المحقق الفاضل فأهدى إلي نسخة من الفهارس، ومَنَّ عليّ أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق باحتمالها من يد المحقق، فتسلمتها شاكراً لهما فضلهما، وذلك خلال حزيران ١٩٩٨، وكنت قد فرغت من قراءة أجزاء الكتاب الخمسة وإعداد هذه المقالة .

تدريس العلوم الرياضية والطبيعيّة
بالزيتونة والخلدونيّة

الأستاذ الدكتور محمّد السويسي

كان لتونس والمغرب الإسلاميين تقاليد عريقة في ميدان العلم والتربية والتعليم، فمنذ سنة (51 هـ / 671م) كان جامع عقبة بالقيروان كعبة العلم ومحطّ رحال طلبة المغرب. واستمرّ هذا المعهد في عمله التّثقيفي حتّى سنة (555 هـ/1160 م) حيث انتقل مركز التّعليم الرّسمي إلى جامع الزيتونة بعاصمة تونس.

وأمّا المغرب فكان في نهاية القرن الأوّل للهجرة متأثّراً إلى أبعد حدّ بالثقافة الأندلسيّة لقرب الشقّة منهاء على أنّ فريضة الحجّ كانت تدعو المغاربة إلى زيارة البقاع المقدّسة مروراً بعواصم العلم بالمغرب والمشرق... فرحلوا إلى القيروان رحلة علميّة، وكرعوا من حياض العلم بها قبل العودة إلى أوطانهم.

وفي سنة (255 هـ/ 868 م) أسّست فاطمة أمّ البنين القيروانية جامع القرويين بفاس، فبلغ أوج رقيّه العلمي على عهد المرينيين (614- 876هـ /1217- 1471م).

وإذا نظرنا إلى ميدان التأليف فقد ألّف سحنون «مدوّنته» الفقهيّة،

وألّف محمد بن سحنون، وأبو الحسن علي بن خلف القابسي، كتابي «آداب المعلّمين»(1)، و «الرّسالة المفصّلة لأحوال المعلمين وأحكام التعليم»(2). وألّف أحمد بن الجزّار «زاد المسافر»(3)، وسائر تصانيفه الطبية، ومنها «سياسة الصبيان وتدبيرهم». وجمع عبد الله بن أبي زيد القيرواني مذهب مالك، وشرح أقواله، فصنّف كتابه «الرسالة» الذي صار مرجع طلبة المغرب في الفقه، وكان المساعد الأقوى على إرساء المالكية بالمغرب والأندلس.

ثمّ استقلّ الزّيريون بتونس (361 – 555هـ/ 971– 1160م) والمرابطون بالمغرب الأقصى (ق 4 هـ).

وانفردت فاس بعلومها الدّينيّة عن القيروان وقرطبة. وتخصّصت مرّاكش بعلومها الطبيّة والرّياضيّة والطبيعيّة والفلسفيّة. وأولى الأمراء رعايتهم للعلم وأهله، شأن مايشاهد بتونس في بلاط المعزّ الصنهاجي، وبمرّاكش في بلاط يوسف بن تاشفين وابنه عليّ، وعبد المؤمن بن علي، ثمّ يعقوب بن عبد الحقّ: «وقد كان لهم في الاهتمام بالعلم والجهاد، وتشييد المدارس واختطاط الزّوايا والرّبط..، ثمّ مخالطة أهل العلم، وترفيع مكانهم في مجالسهم، ومفاوضتهم في الاقتداء بالشريعة، ماشهدت لهم به آثار خلّفوها بعدهم ...»(4).

وفي القرن السّابع الهجري (سنة 621 هـ / 1224م) ينوّه عبد الواحد

---

(1) نشر. ح. ح. عبد الوهاب، تونس 1348 هـ.

(2) ط. القاهرة 1968 م.

(3) نشرت المقالات الثلاث الأولى بمناسبة ألفية ابن الجزّار، تونس ؛ والبقية بذمة بيت الحكمة بقرطاج .

(4) ابن خلدون: كتاب العبر، ج 6 ، ص 105.

المرّاكشي، صاحب كتاب: «المعجب في تلخيص أعمال المغرب» بما كان لمدينة فاس من شأن، فكانت في وقته «موضع العلم من المغرب، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة...» وهو مازال «يسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب...».

وفي هذا العصر بالذّات انطلقت المدرسة الرياضية المغاربية، وكان شيخ شيوخها أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجّاج الأدريني، المعروف بابن الياسمين، المتوفى بمرّاكش سنة (601 هـ / 1204م)، وعنه أخذ أهل المغرب الحساب والجبر والمقابلة، وحذوا حذوه، فألّفوا من التآليف ماشابه تآليفه أو أوضحها وفسّرها، واستشهدوا بشواهده واعتمدوا عليها .

وإذا نحن ذكرنا ماكان من موقف الشرق حين وصله كتاب: «العقد الفريد» لابن عبد ربّه فصرّح مستكبراً: «بضاعتنا ردّت إلينا» فنحن نجده في الميدان العلمي لايتحرّج عن الأخذ عن علماء المغرب، خاصّة في الرياضيات، ولم يأنف من التتلمذ لهم ودرس مؤلفاتهم وشرحها ونشر أصولها وفروعها.

فمن أهمّ الشروح على الأرجوزة الياسمينية في الجبر والمقابلة نجد:

– شرح شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهائم (المتوفى سنة 815 هـ/ 1423م) بالقدس، وقد حرّر شرحه بمكة المكرّمة سنة (789 / 1396م).

– وشرح ولي الدين بن زين الدين العراقي (ت . 826/ 1423).

– وشرح بدر الدين محمد بن علي سبط المارديني (ت . 907 / 1501) وسمّي التعليق باسم «اللمعة الماردينية في شرح الياسمينية» .

– وشرح مصطفى الحنفي الظافر بعنوان «الهبات السّنية على الأرجوزة الياسمينية».

ولكن ألمع شخصية علميّة في هذا العصر، من أحرز قصب السّبق في مضمار الرياضيات، معلّم الجيل بلا منازع، هو أبو العبّاس أحمد بن عثمان

الأزدي المعروف بابن البنّاء المولود بمراكش سنة (654 هـ / 1256م) ، ولقد عاشرته مايربو عن ثلاثين سنة، فحققت كتابه «تلخيص أعمال الحساب»، وعلّقت عليه ونقلته إلى الفرنسية. كما أبرزت طرائف مكتشفاته في فنون الحساب التي احتوى عليها كتابه «رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب»... وتتلمذ على ابن البنّاء أجلّ العلماء بالمغرب في القرن الثامن الهجري، وكان في المنزلة الأولى منهم أبو عبد الله الآبلي، شيخ المقّري، وابن خلدون، وابن عرفة في الرياضيات... كما تتلمذ عليه ابنا الإمام، وهما على ماذكره المقّري، أبو زيد عبد الرحمان، وأبو موسى عيسى، وقد تنقلا في شبابهما إلى تونس، وأخذا عن ابن جماعة وابن العطّار ...

واعتنى تلامذة ابن البنّاء بطريقة شيخهم، ونشروا تعاليمه، وازدهرت مدرسته، فأقبل العلماء طوال القرون المتوالية على شرح مؤلفاته، وتوضيح العديد من نظرياته. ومن هؤلاء الشرّاح :

– أبو الحسن علي بن عبد الله، ابن هيدور، وهو العالم بالفرائض والحساب، وله شرح على تلخيص ابن البناء وتعليقات على رفع الحجاب (توفي 816 هـ/ 1413م) .

– وأحمد بن رجب بن تنبغا المعروف بابن مجدي (ت 850 هـ/ 1446م)، ولنا منه شرح على التلخيص سمّاه حاوي اللّباب في الحساب.

– وشهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد... ابن الهائم الشافعي المصري (ولد بالقاهرة سنة 756هـ/ 1355م) ثمّ استقرّ ببيت المقدس، وكان عالما بالفرائض والحساب، وعُرف بالفرضي، ومن رسائله: الوسيلة في الحساب، والمعونة في حساب الهواء، وشرح على النزهة في الحساب بقلم الغبار، والمغني في الجبر والمقابلة.

– وأبو عبد الله محمد بن مرزوق، المعروف بالحفيد، من أسرة علم بتلمسان، وله أرجوزة على تلخيص ابن البنّاء (ت. 842هـ/ 1438م).

– وأبو الحسن علي بن محمد... القلصادي القرشي البسطي، وقد أخذ بتونس عن ابن عقاب، وحلولو، وأبي العبّاس القلشاني، ونزح إلى إفريقية حيث توفي بباجة سنة (891هـ/ 1486م)، «وهو آخر العلماء المنتجين من علماء الأندلس». شرح عمل ابن البناء في الحساب، وأضاف إليه عدة إضافات ذات بال، خاصّة في نظرية الكسور، وفي إيجاد الأعداد الناقصة والزائدة والمتحابّة، وفي تطبيق الكسور على مسائل الفرائض، وله شرحان للتلخيص، وتبصرة المبتدي بالقلم الهندي، وكشف الأستار عن علم حروف الغبار، وكشف الجلباب عن علم الحساب.

وفي القرن ذاته جلب أبو زكرياء الحفصي إلى تونس علماء من الأندلس منهم ابن الأبّار (ت. 658هـ/ 1259م) وابن عصفور (ت. 669هـ/ 1270م) وحازم القرطاجني (ت. 684هـ/ 1285م) وابن الغمّاز (ت. 693هـ/ 1293م). وبنى أبو زكرياء الجامع بالقصبة سنة (629هـ/ 1239م)، وجمع من الكتب ستة وثلاثين ألف مجلّد[5]، كما بنى المدرسة التي بطرف سوق الشمّاعين.

وأمرت (السيدة) عطفُ، أمّ المستنصر بالله، ببناء جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية، المعروفة أيضاً باسم مدرسة جامع الهواء بين (647–655هـ/ 1260–1252م) قبالة الشيخ عبد الله الزليجي[6]؛ وهي التي عادت اليوم– والعود أحمد– إلى حظيرة جامعة الزيتونة.

(5) المؤنس ص 136 .

(6) المؤنس ص 120. .

واستمرّ الأمر كذلك في القرنين الثامن والتاسع، فأمر الأمير أبو فارس عبد العزيز الحفصي بعمل بيت الكتب، المشتملة على أمّهات الدّواوين، وجعل لها مقصورة بمجنّبة الهلال، جوفي جامع الزيتونة. وهبط إليها جميع ماعنده من الكتب (سنة 822هـ/ 1419م)[5].

إلاّ أنّه لابدّ لكلّ زمن من جولة، ولكلّ أمّة من دولة، فما فتئت الاضطرابات السياسيّة متوالية، فخُشي على مظاهر الحضارة والثقافة أن تتلاشى، وشرع كلٌّ في ميدانه يدوّن ما وصلت إليه المعرفة في عهده؛ فحرّر ابن خلدون تاريخه الموسوعي، ومهّد له بمقدّمة فذّة توضّح منهاج العلوم الإنسانية وتضع أسس العلوم الاجتماعيّة؛ ووضع ابن منظور القفصي (630- 711هـ/ 1282- 1311م) موسوعته اللّغوية الشاملة، «لسان العرب»، إلى غير ذلك من المصنّفات الثمينة.

ويعطينا ابن خلدون صورة قاتمة عن وضع العلم والتعليم بإفريقية وبالمغرب قاطبة في عهده (نهاية القرن الثامن للهجرة)... فيقول: «لمّا خُرّبت القيروان وقرطبة انقطع التّعليم من المغرب، إلاّ قليلا كان في دولة الموحّدين بمرّاكش مستفاداً منها...».

ويذكر ابن خلدون رحلة أبي القاسم ابن زيتون من إفريقية إلى المشرق «وأخذه عن تلاميذ الإمام ابن الخطيب، وحذقه في العقليات والنّقليات وعودته إلى تونس بعلم كثير وتعليم حسن».

كما يذكر أبا عبد الله بن شعيب الدكّالي، الذي ارتحل من المغرب إلى مصر، وأخذ عن مشيختها، ورجع إلى تونس واستقرّ بها .

وأخذ عن هذين العالمين أهلُ تونس، واتّصل سند تعليمهما في

(5) المؤنس ص 136.

تلاميذهما جيلاً بعد جيل، حتّى انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السّلام.

ثم انتقل العلم من تونس إلى تلمسان في ابن الإمام وتلميذه، إلاّ أنّهم من القلّة بحيث يخشى انقطاع سندهم.

ويعلّل ابن خلدون عسرَ الحصول، في سائر أقطار المغرب، على الملكة والحذق في العلوم «بأنّ أيسر طرق هذه الملكة فتق اللّسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلميّة..» والحال أنّك «تجد طلاب العلم من المغرب، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلميّة، سكوتا لاينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة».

ويقول صاحب «نيل الابتهاج» في هذا المعنى: «لقد أدّى ذلك لذهاب العلم بهذه المدن المغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان كفاس وغيرها... حتّى يتعاطى الإقراء على كراسيّها من لايعرف «الرسالة» أصلا، فضلاً عن غيرها، بل من لم يفتح كتاباً قطّ، فصار ذلك ضحكة (وإنّ من المضحكات مايُبكي!). وسبب ذلك أنّها صارت بالتوارث والرّئاسات حتّى خلت هذه السّاعة عمّن يعتمد عليه في عمله».

وكان الأمر شبيهاً بذلك بجامع الزيتونة بتونس، فكان كلّ شيخ يختصّ بسارية من الجامع يستند إليها ويحيط بها جمع طلبته ومستمعيه وإذا مات شيخ خلفه على السّارية ابن له...

ويضاف إلى ماسبق من عوائق العلم والتّعليم مايشير إليه المقّري حيث يقول: «وقد استباح النّاس النّقل من المختصرات الغريبة أربابها، ونسبوا ظواهر مافيها لأمهاتها... ثمّ تركوا الرّواية، فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتّصال، فصارت الفتاوى تنقل عن كتب لايدرى مازيد فيها ممّا نقص منها، لعدم تصحيحها وقلّة الكشف».

وأمّا عن مادّة الدّراسة فيروي أبو عبد الله محمد الأنصاري المشهور **بالرّصّاع** (ت . 894هـ/ 1488م) أنّ الامام محمد بن عرفة (716-803هـ/ 1316- 1400م) قال فيما نقل عن بعض شيوخه: «قرأت أصول الفقه على الشيخ ابن علوان، وأصول الدّين على الشيخ محمد بن سلامة وعلى الشيخ ابن عبد السّلام، والنّحو على ابن قبيس، والجدل والمنطق على الشيخ السّطّي، والحساب على الشيخ الآبلي وكذلك سائر المعقول».

وفيما يخصّ دراسته للحساب نجد أثراً في مختصره الفقهي عند حلّه لمسائل الوراثة، وتصحيح السّهمين، ومسائل العول والوصايا إلخ..

وفي «مناهل الصّفا، في أخبار الملوك الشرفا» للوزير أبي فارس القَشتالي، نجد مايصف به أمير المؤمنين أبو العبّاس أحمد المنصور الذّهبي (حوالي سنة 839هـ/ 1532م) دراسته العلميّة فيقول: «أخذت في القراءة على الفقيه الأصولي النّحوي **العددي** الفرضي أبي الرّبيع سلمان بن إبراهيم، وقرأت الرّسالة بالسّوس على أبي عمران موسى السّوسي.. وقرأت على الفقيه النحوي أبي محمد عبد العزيز بن إبراهيم مقدمة ابن آجروم، وألفية ابن مالك، ولاميّة الأفعال له. وقرأت عليه علم الحساب، وقرأت على الفقيه العالم الأوحد أبي العبّاس أحمد بن علي المنجور أصول الدين إلخ إلخ...» إلى أن يقول: «**وفتح الله عليّ في فهم كتاب أقليدس في الهندسة بغير أستاذ، لعزّة وجوده بهذه البقاع المغربية، فكنت أفكّ كلّ يوم شكلاً من أشكاله**».

وفي القرن الثامن يذكر القلصادي ماالتجأ إليه من الرحلة إلى تلمسان، والتتلمذ لأبي العباس بن زاغو المغراوي، فقرأ عليه: «علم الفرائض من الواحد الصحيح، والحساب والهندسة».

تمادى المغرب في تخلّفه العلمي، نتيجة لعقم طرق التّدريس فيه، وبقي الحال هكذا حتّى نهاية القرن التاسع عشر للميلاد، بل وحتّى العشريات

الأولى من القرن العشرين. فكان المعتمد لدى الطّلبة (وما يفرضه عليهم أوّلا الشيوخ الأساتذة) الشروح والأصول الكبار، فاقتصروا على حفظ ماقلّ لفظه ونزر حظّه: «وأفنوا عمرهم في حلّ لغوزه وفهم رموزه، ولم يصلوا لردّ مافيه إلى أصوله بالتّصحيح، فضلاً عن معرفة الضعيف والصحيح، بل حلّ مُقفل، وفهم أمر مجمل، ومطالعة تقييدات زعموا أنّها تستنهض النّفوس، فبينما يُستكثر العدول عن كتب الأئمة إلى كتب الشيوخ، أتيحت تقييدات الجهلة بل مسوّدات المسوخ» (المقّري ق 8).

وفي مادّة الرياضيات بالخصوص تفاقم عقم الطريقة التّدريسيّة، وعزّ المضطلع بدرسها، وولّت الطلبة عنها وجهها؛ ولنا نمط من درس الحساب، مثلاً في هذه العصور، فيما نجد مسجّلاً في عدّة الشروح التي اهتمّت بمتن «الدّرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء». وهي أرجوزة في الحساب، والفرائض والوصايا، نظمها الشيخ عبد الرحمان بن أبي عبد الله محمّد صُغيّر الأخضري، وهو من أعلام الجزائر، والمتوفى سنة (953هـ/ 1546م).

وكانت الدّرة البيضاء هي المعتمدة في التّدريس إلى عهد غير بعيد، أقرّها قانون جامع الزيتونة ضمن الكتب المنتخبة للتّدريس بالمرتبة الوسطى. على أنّه كان بجوارها مصنّفات أخرى، كمرشدة ابن الهائم، وكتب القلصادي، وأشكال التأسيس للسّمرقندي، ومختصر الجغميني في الفلك. إلاّ أنّ أسماءها بقيت حبراً على ورق واسما بدون مسمّى... وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى الكتب المقرّرة للمرتبة العليا، كالمنية والتذكرة ومقالات أقليدس.

والشروح التي بين أيدينا ينقل بعضها عن بعض في غالب المواضع. ولعلّ أكبر عيب فيها جميعاً أنّها تهتمّ بصفة عامّة باعتبارات لغويّة، ومسائل نحويّة وأسلوبيّة، كاستعمال الجمل الفعلية أو الاسميّة، وتحاليل ابستمولوجية، كثيراً ماتخرج بالقارئ بعيداً عن حقل الرّياضيات. ولا يوجد فيها البتّة مايعين

الطّالب على إدراك موضوع درسه بالذّات المرتبط بالأعداد وخواصّها.

ومن ذلك، مثلاً، عديد الحدود التي حاولوا أن يحدّوا بها العدد كقولهم: «هو كثرة مؤتلفة من آحاد»، فيردّ الشارح بأنّ الكثرة عين العدد، وأنّ الجمع في لفظ الآحاد من باب العدد؛ إلى غير ذلك من الحدود.

لقد شعر أعلام الإصلاح في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد، بما يوجد من خلل ونقص فادح في حقل التدريس عامّة، ولاسيما من الفراغ الشّامل في ميدان الرياضيات والعلوم الدقيقة.

فأصدر محمّد الصّادق باي سنة (1291هـ/ 1874م) أمراً بانشاء المدرسة الصّادقية: «رعاية لمصلحة السّكان ونموّ العمران».

ويخصّص القسم الثالث من مقدمة قانون هذه المدرسة «لتعليم اللغات غير العربية، وتدريس العلوم العقلية، من كلّ ماتحتاج إليه الأمّة الاسلاميّة في إقامة مصالحها، ولا يرفضه شرعها»، ويستعرض الفصل الخامس والعشرون هذه العلوم بالتفصيل.

وأصدر في 28 ذي القعدة 1292و 26 ديسمبر 1875أمراً في تحرير الدروس بالجامع الأعظم، جامع الزيتونة .

وتمّ فعلاً تنفيذ قانون المدرسة الصادقية، فاعتنى طلاّبها بحذق علوم العصر، وإجادة فنونها نظراً وتطبيقاً، مع المحافظة على العلوم التقليديّة اللسانيّة والدينيّة. واضطلع بتقليدها أساتذة ومدرسون من خيرة شيوخ الزيتونة.

وفيما يخصّ إصلاح جامع الزيتونة فلئن كان قانون 1875 (أعني قبيل انتصاب الحماية) تقدمياً، ولئن أصدرت لجنة الاصلاح قانونها الذي تتضح فيه نزعة التجديد، وتلقيح الثقافة العربيّة الإسلاميّة بالعلوم العصريّة والبحث العلمي الحديث، إنّ المعارضة والمقاومة عند التطبيق كانتا قويتين... خُفيةً

وجهراً،... فتراجعت لجنة الإصلاح وقرّرت سنة (1924– 1925) ألاّ يكون تدريس العلوم العصريّة إجبارياً إلاّ بالمرحلة الابتدائيّة، وعلّقت التّنفيذ لقرارها بالحصول على محلّ خارج الجامع «نظراً لتعذّر تعليم هذه العلوم به محافظة على صبغته الدينيّة».

ويعود أمر التنظيم لسنة (1352هـ/ 1933م) إلى هذا القيد، فقد نصّ الفصل (28) منه على مايلي: «يدرّس من العلوم خارج الجوامع: عمل الفرائض، الخط، الرسم، الصرف، التاريخ، الجغرافية، الحساب والجبر، الهندسة والمساحة، الهيئة، الميقات، مبادئ خصائص الأشياء، حفظ الصحة، الأدب، الإنشاء، الخطابة والمنتخبات، التوثيق».

وفي سنة (1348هـ/ 1929م) خصّصت مكتبة ابن عصفور، والتي تقع في الجانب الغربي الشمالي من الرّواق الغربي للجامع، جوار الصومعة، لإقراء العلوم الرياضية وغيرها، كالحساب والهندسة.

ثمّ صار التعليم بالمدرسة الخلدونية موقتاً عام (1351هـ – 1932م) للعلوم الآتية: الحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ والإنشاء والرّسم والفرائض والعروض.

وكان طلبة الزيتونة يتألّمون من مرارة وضعهم، ويحسّون بضعف مستواهم، لاسيّما إذا ماأجروا المقارنة مع نتائج الصّادقية؛ وكنّا نشاهد بين الفينة والأخرى انتفاضة طلابية واضطرابات ترمي إلى كسر القيود وخرق السياج الذي أحاطهم به جماعة الشيوخ، الرافضين للتطوّر، الحاكمين عليهم بالجمود والبقاء في أجواء العصور الوسطى، والواقفين سدّاً ضدّ دخول غيرهم إلى ساحة التدريس بالزيتونة.

كان إذن إطار التّدريس بالزيتونة خلواً ممّن هو أهل لتدريس الرياضيات والعلوم الدقيقة، فلم يشجّع الطلبة على تناولها.. فلا غرابة أن

يكون الوضع التعليمي متدهوراً إلى الحدّ المفزع الذي شاهدناه عليه في الدّراسة الزيتونية في بداية القرن العشرين.

وأمّا الشروع الفعلي في تحقيق الإصلاح للتعليم فكان سنة 1936، في مشيخة المنعّم الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور؛ ولكن تراجع الأمر بعد استقالته، وعادت سلسلة اضطرابات الطلبة..

وفي الأربعينات عاد الشيخ ابن عاشور إلى المشيخة، وكان ابنه المرحوم محمد الفاضل رئيسا للجمعيّة الخلدونيّة، فأقحم شيخ الجامع فعلاً تدريس الحساب والجبر والفيزياء والكيمياء ضمن منهاج الزيتونة، واختار المدرسة الخلدونيّة محلاً له، وانتدب مباشرة، دون مراجعة لسلطة الاشراف، أساتذة ومدرسين ينتمون للتعليم العام وهم: (محمّد سوسي، والمرحوم البشير قوشة، ثمّ عمر الذئب) وبدأ التدريس سنة 1946، بعد وضع السلطة أمام الأمر المقضي، وفي نهاية العام الدراسي أرسل الشيخ ابن عاشور رسالة إلى إدارة المدرسة بجامع الزيتونة... جاء فيها: «قرّرنا إدخال تدريس الحساب والجبر والفيزياء والكيمياء ضمن برامج الجامع الأعظم وفروعه، وانتدبنا له الأساتذة فلاناً وفلاناً، فالرّجاء تخصيص الاعتماد المالي اللاّزم لذلك».

وتقرّر في عهد الشيخ ابن عاشور، رغم معارضة عدد من المشايخ، أن يكون نجاح الطلبة في شهادة الأهليّة وشهادة التحصيل يأخذ بالاعتبار مايحصلون عليه من درجات في الموادّ العصريّة، وأن يرسب من كان نصيبه فيها صفراً .

وفي سنة (1947) أصدرتُ كتاب «أصول الجبر»، وهو كتاب شامل لمقررات السّنوات الثلاث للمرحلة المتوسّطة من تعليم جامع الزيتونة (التي كانت تتوّج بشهادة التّحصيل). والتزمتُ فيه من حيث الأسلوب والمضمون بالموازاة التّامّة لطريقة التدريس في التعليم العام .

وأردفتُ «أصول الجبر» بسلسلة كتب «خلاصة الحساب» أتممت

إصدارها سنة 1950، وهي شاملة لمادّة الحساب والمكاييل والمقاييس لسنوات المرحلة الأخيرة من تعليم الزيتونة. وتوجّهت في مقدّمة الجزء الأخير من هذه السلسلة إلى الطالب الزيتوني، منوّهاً بكفاحه الطويل في سبيل إصلاح التعليم، حاثّاً إيّاه على الصدق في العزيمة والعمل وعلى عدم التخاذل، مشيراً إلى انّ الهدف من هذا التأليف «هو تسديد مانقص قديماً في برامج الجامع من النّاحية الرّياضيّة، حتى يصل الطّالب، مع تضلّعه بالعلوم الدينيّة واللّغويّة، إلى مستوى طلبة المعاهد التعليميّة الأخرى بالبلاد... فيكون الطالب الزيتوني يضاهي زميله المدرسي في الشعبة العلميّة... فإذا الشباب موحّد الثقافة في أصولها. ووحدة الثقافة تورث وحدة الإحساس والتّفكير، وفي ذلك صالح الأمّة».

وأصدر الزميل المرحوم الأستاذ البشير قوشة كتابين، أحدهما في «دروس الفيزياء» والآخر في «دروس الكيمياء».

وكانت دروس الرّياضيات بجامع الزيتونة، والكتب التي نشرت فيها في ذلك العهد، وهي الأولى من نوعها في المغرب العربي، البذرة الأولى في حقل تعريب التّعليم في العلوم العصريّة... وفي الأثناء نشأت لجنة صوت الطالب الزيتوني سنة 1949، ونادت سنة 1950بزيادة التّحديث للتدّريس بالجامع الأعظم. وتكوّنت لجنة التّعليم العصري سنة 1951، وكنت من بين أعضائها، وأحدثت الشّعبة العصريّة الزيتونية في السّنة الدّراسيّة 1951– 1952، وتوّجت بالتّحصيل العصري .

وأقدم بعض الحاصلين عليه على اجتياز امتحان الباكالوريا في شعبة الرياضيات، ورغم ضعف مادّة الفرنسيّة لديهم، ولاسيّما في المقال الفلسفي، فقد سجّل نجاح عدد منهم... وكم كنت سعيداً فيما بعد حين وجدت البعض منهم يحضر دروسي في مستوى التبريز في اللغة والآداب العربيّة، أو يناقش أطروحة للحصول على دكتوراه الدّولة.

وبالموازاة لما كان يجري بالزيتونة، وإتماماً لما كنّا نرمي إليه من تحديث

التّعليم، قرّرت هيئة الجمعية الخلدونيّة، سنة (1946– 1947)، برئاسة المنعّم المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور– وكنت من ضمنها– التّوسع في منهاج الدّروس التي كانت تلقى بها وتختم «بشهادة انتهاء التّعلم بالخلدونيّة»، ومستواها الأصلي مستوى التّعليم العام الابتدائي. فأحدثت الخلدونيّة لأوّل مرّة، في خاتمة دروسها، شهادة سمّتها «الباكالوريا العربيّة»...

وفعلاً أجريت دورة الامتحان فيها ابتداءً من 21جوان 1947، ونشرت المواضيع العلميّة لهذه الدّورة بالعدد 39 من مجلّة المباحث (بتاريخ جوان 1947)... وإثر التّصريح بالنتائج قرّرنا إرسال نخبة من الناجحين إلى المشرق (القاهرة ودمشق وبغداد) للالتحاق بكليّات العلوم به.

وبعد بضع سنوات عاد إلى تونس هؤلاء الطلبة، من خرّيجي الزيتونة والخلدونيّة معاً، حاملين الإجازة في العلوم، فانتدبتهم مشيخة الجامع الأعظم لتدريس هذه الموادّ... وصادف ذلك وشك انتهاء البناء للحيّ الزيتوني ابن شرف [أي ماصار فيما بعد كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة] فأذكر أنّنا باشرنا أوّل دروسنا فيه، فصل الشتاء، في أقسام لم يوضع لنوافذها زجاج... فكان القرّ وكانت الأمطار تتهاطل في الأقسام والمعابر... ولكنّ المعنويات كانت في أعلى علّيين...

وإذا ماعدنا إلى شهادة الخلدونيّة فلا بدّ من الملاحظة أنّ الإدارة العامّة للتّعليم احتجّت في الإبّان على تسميتها باسم «الباكالوريا العربيّة» بدعوى أنّ هذا المسمّى مفرد علم تعرّف به شهادة فرنسيّة... وعلى كلّ، إنّ الخلدونيّة تراجعت وعنونت شهادتها «بشهادة انتهاء التعلّم بالخلدونيّة» بإضافة [المسمّاة سابقاً الباكالوريا العربيّة].

وبقي الأمر على ماوصفنا إلى أن اختفت الشعبة العصريّة سنة 1964– 1965، بموجب مشروع إصلاح التّعليم التونسي لسنة 1958وإحداث شعبة «أ» القارّة، حسب نصّ المشروع، التي درست فيها الاختصاصات جميعها باللغة العربيّة، وأبرزت طلبة تفوّقوا في امتحان

الباكالوريا شعبة الرياضيات يحتلّ بعضهم اليوم منصباً مرموقاً في وزارة التربية.

وذارت دورة الزمن، واختفت شعبة «أ» هي الأخرى... لكن– والحمد لله– رغم معارضة المناوئين، إنّ هذه الدّورة لن تكون في النهاية، ورائيّة، بل ستتقدّم دوماً نحو مستقبل أفضل.

ففي العهد الجديد، تعلّقت همّة المسؤولين عن التّعليم وخاصّة العالي منه، بتحسين الوضع بالزيتونة؛ فضبط الأمر المؤرخ في 8 ماي 1995 مهامّ جامعة الزيتونة، كما ضبط الأمر المؤرخ في 18سبتمبر 1995الإطار العامّ لنظام الدّراسة وشروط التحصيل على الشّهادات الوطنيّة للمرحلة الأولى والأستاذيّة في الدراسات الإسلاميّة.

ففتح قرار وزارة التّعليم العالي التّابع لهذا الأمر نوافذ فسيحة يشرف منها الطّالب الزيتوني على عالم الحداثة ويتشبّع من مميّزاته وخواصّه، وينفض من حوله قشور الانكماش والتقوقع على الذّات المتحجرة التي صاحبته طوال القرون، فيتنفّس هواء طلقاً من وراء الفضاء الفسيح، ويشاهد عوالم لم تكن له على بال، وينتقل من مستوى الطفولة إلى سنّ الرشد والرّشاد... ويعيش حياة الندّ والكفء مع سائر شباب العالم.

ولن نستعرض مختلف فقرات هذا القرار– وكلّها حسنات– بل نكتفي بالتلميح إلى عدد من المهمّات التي أطلقت العقول من عقالها وفتحت الأذهان، وبعثت في نفس الطلاّب الآمال ولوّحت أمام أعينهم إشراقات مستقبل سائر إلى الازدهار. وإلى مشارف الأنوار.

وفعلاً إني شرفت بالرجوع، في السّنة الماضية، إلى التدريس في المعهد الأعلى لأصول الدين والمعهد الأعلى للحضارة الإسلاميّة.

فكم إشراقة لاحظت على جبين الحاضرين المستمعين لدرسي، وكم بصيص من النّور لمع في العينين... ممّا كان يدلّني على أنّ من المستمعين من

كان متشوقاً إلى هذه المعاني، وأنّي أصبت المرمى وأنّ التيّار قد مرّ... وكثيراً ماكان ذلك حافزاً لي على زيادة الغوص وعلى التوسّع في المعلومات التي كنت أشعر أنّها حظيت باهتمام الحاضرين .

وكان لي درسان أحدهما يتعلّق بتاريخ العلوم في العهد العربي الإسلامي فحلّلت تصنيف العلوم عند فلاسفة اليونان، وتطوّر مدلول العلم عند مفكّري الإسلام، ثمّ تصنيفهم للعلوم، وأبرزت المقدّمات الفلسفيّة التي كانت تبرّر هذا التصنيف، واستندت في الأعمال التطبيقيّة إلى شرح عدد من النّصوص من الإنتاج العلمي العربي في مختلف الاختصاصات من رسائل الرّازي إلى كتب البيروني وابن الهيثم وابن البيطار إلخ..

وأمّا الدرس الثّاني فخصّصته لمبادئ الاقتصاد وواقعه خاصّة في جزيرة المغرب العربي، وربطت بين الإطار الديني الذي جعله الإسلام للتجارة مثلاً وإطاره الواقعي في المغرب حتى عهد ابن خلدون (القرن الثامن للهجرة).

وأمّا ماارتاحت له النفس في البرامج الجديدة لمعاهد الجامعة الزيتونية، فمنه وحدات اللغة (اللغات الغربيّة المتداولة واللاتينية أو اليونانيّة أو الفارسيّة أو العبريّة)، ممّا قد يوحي من جهة، بقواعد لسانيّة عامّة يستفاد بها في العربيّة، وممّا قد يكون، من جهة أخرى، السبيل إلى إرساء التّفاهم مع الغير تفاهماً يسود به الوئام والتّعاضد والسّلام.

وأخصّ بالذكر وحدة الديانات المقارنة، ومن شأنها أن تبرز مابين الأديان الكتابيّة من المبادئ المشتركة وما بينها من الفروق، وفي هذه الدّراسات مابه تقرّب الشّقة بين الفئات المختلفة، وما يشير بالخصوص إلى الجامع المشترك بين الأديان ويحثّ على التّفاهم والتّسامح والتّقارب.

* * *

ريش السهام
مصادره، أنواعه، صفته، صناعته
كما ورد في المعاجم اللغوية
والتراث الديني والأدبي عند العرب

د . زيد عبد الله الزيد

الصناعة العربية

اهتم العرب بالصناعة بشتى أنواعها ومنها مايتعلق بالأسلحة الحربية أو بالأدوات المستعملة في حياتهم اليومية والمعاشية، وخلفوا لنا تراثاً ضخماً زخرَت به المعاجم اللُّغوية والدّواوين الشعرية. ومن هذه الصناعات صناعة السهام بأنواعها وبأقسامها الثلاثَة القِداح وبريها، والسنان وتحديده، ثم تركيب الريش عليه.

وهذا البحث تجميع للشتات من الألفاظ اللغوية والأحاديث النبوية وأقوال السلف والأشعار المختلفة لفحول الشعراء وما ورد في الأمثال العربية في هذا الموضوع.

وهذه الدراسة تلقي الضوء على جانب من هذه الصناعات وهي إضافة الريش على القداح وتركيبه سواء المستعمل منها في الأسلحة

الهجومية كالسهام الحربية أو في استعمالات أخرى كتحديد مسافات سباق الخيل أو مايتعلق بالألعاب وما يستعمل للصيد والاستقسام، لعل هذه الدراسة تضيف لبِنة أخرى في البناء التراثي للعرب وتجميع ماتناثر في بطون المعاجم وما خلفه فحول الشعراء منذ عصر الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي .

الرِّيشُ في اللغة :

الرِّيشُ بالكسر هو كُسوة الطائر وهو ماسَتَرَهُ اللهُ تعالى به والجمع أَرْياشٌ ورِيَاش. وكان العرب يركبون الريش على السهم لتسديد انطلاقه.

يقال: راشَ السهمَ يريشه رَيشاً وارْتَاشَه وَرَيَّشَهُ ترييشاً وارتياشاً: إذا أَلْزَقَ الرِّيشَ على القِدح وركبه عليه، وجاء تصريفه في اللغة هكذا:

يقال: ارتاش سهمه كَرَاشَهُ كما في قول ابن ميادَة في عيون النساء إذا نظرن بها وعليها الأجفان كأنها السهام والريش عليها:

وارْتَشْنَ حينَ أَرَدْنَ أَنْ يَرْمِينَنَا　　　نَبْلاً بلا رِيشٍ ولا بِقِدَاحِ(١)

وأَرِيش سهمي كما في قول الشنفرى :

وَرَدْتُ بمأثُورٍ يَمانٍ وضَالَةٍ　　　تخيَّرتُها مما أَرِيْشُ وأَرْصُفُ(٢)

وراشه كما في قول أوس بن حجر وذكر صائداً:

فَيَسَّرَ سَهْماً رَاشَهُ بمناكِبٍ　　　ظُهَارٍ لُؤامٍ فهو أعجَفُ شارِفُ(٣)

وقال امرؤ القيس كذلك :

رَاشَهُ مِن رِيشِ ناهِضَةٍ　　　ثُمَّ أمهاه على حَجَرِهْ(٤)

وسهم مَرِيش ومُرَيَّش في قولهم: (ماله أَقَذُّ ولا مَرِيشٌ) أي ليس له شيء(٥)، وقال عبيد بن الأبرص :

فهو كالمِنْزَع المَرِيش من الشَّوْ حَطِ مالت به شِمالُ المُغالِي(٦)

وسهم رائش: ذو الريش، ومنه حديثِ عُمَر قال لجرير بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد جاءه من الكوفة: أخبرني عن الناس؟ فقال هُمْ كَسِهَامِ الجَعْبَة منها القائِمُ الرائشُ (أي ذو الريش إشارة إلى كماله واستقامته(٧).)

وجاء في قول الكُميت بن زيد حين أضاف الذئب :

فقلتُ له اشرب هذه ليس مُطعِمٌ من الناس لايسقي برائشِ مايَبْري

أي من أطعم ولم يُسق بمنزلة من يبري سهماً ولم يرشه(٨).

وذي الراش كما في قول إبراهيم بن هرمة :

فاحتث أجْمَالَهم حادٍ له زَجَلٌ مُشَمِّرٌ أشِرٌ كالقِدْحِ ذي الراشِ (٩)

وفي الأمر قول الطرمّاح:

رِشْ نبلَ من يَرْمِي وراءَكَ جاهداً رَمْيَ المُناضِلِ فازَ بالأخْطَارِ (١٠)

والمصدر الرَّيش بفتح الراء يقال راش السَّهم يريشُهُ رَيْشاً جعل عليه الريش كما في قول ذي الرمة :

وقد بات ذو صَفْراءَ زوراءَ نَبْعَةٍ وزُرْقٍ حديثٍ رَيْشُها وصِقَالُها

والريش لايكون للنصال إنما هو للقداح والقِدح هو السهم قبل أن ينصّل ويراش وإنما قال ذلك لدخول بعضها على بعض في الأسماء(١١).

وقال البُريقُ بن عِياض بن خُويلد الخُناعيُّ :

بَرَاهُمْ ما بَرَى قَيْلَ بن عَاد وكان الدَّهْرُ ذا بَرْي ورَيْشِ (١٢)

والواحدة رِيشَة، والأرياش جمعُ الجمعِ قال رؤبة بن العجاج في كسوة القداح :

حَجْرِيَّةٌ كالجَمْرِ مِنْ سَنِّ الذَّلَقْ ... يُكْسَيْنَ أرياشاً من الطَّيْرِ العُتُقْ(١٣)

ولا يسمى السهم سهماً حتى يركّب عليه النصل والريش وإلا فهو قِدح فإذا ركب الرّيش والنصل على القِدح صار سهماً جاء ذلك في حديث أبي جُحيفة:

(أبري النَّبْلَ وأرِيشُها)

أي أنحتُها وأُصلِحُها وأعمل لها ريشاً لتصير سهاماً يرمى بها(١٤). والنَبلْ: السهام أو السهام العربية وهي جمع لا واحد له من لفظه.

وسمّاه أبو ذؤيب الهذلي سهماً بعد أن قرن الريش به في قوله:

فَرَمَى فأنفَذَ مِن نَحُوصٍ عائِطٍ ... سَهْماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعُ(١٥)

أسماء الرّيش:

ومن أسماء الريش: القُذَّة بالضم وجمعها قُذَذٌ وقِذاذٌ، وقَذَذْتُ السَّهْمَ أَقُذُّه قَذّاً وأَقْذَذْتُهُ: رِشتُه.

قال الراجز:

لأكلةٌ من أقِطٍ وسَمْنِ ... ألْيَنُ مَسّاً في حَوايا البَطْنِ

من يَثْرِبيّاتٍ قِذاذٍ خُشْنِ ... يَرمِي بها أرْمَى مِن ابن تِقْنِ(١٦)

وقال طفيل الغنوي:

ولو كنتَ سهماً كنتَ أفْوَقَ ناصِلاً ... لهُ قُذَذٌ لَغْبٌ وليس له نَصْلُ(١٧)

ومن أسمائه: الآذان، وقذذ السهم آذانه، قال أبو حنيفة: إذا رُكِّبَتْ القُذَذُ على السهم فهي آذانُهُ وأذن السهم والنصل كله على التشبيه، وللسهم ثلاثُ قذذ وهي آذانه، أنشد سلمة عن الفراء عن أبي ثروان قال: قال بعض

المُحَـاجِين: ماذو ثلاثِ آذان ، يسـبِقُ الخيلَ بـالرَّديان(١٨)؟ يعني السـهم وآذانه قذذه.

أنواع الطيور التي يتخذ ريشها للسهام :

عتاق الطير : الجوارح منها والواحد عتيق والعاتق من الطير الناهض من فرخ الطير الذي استـقل للنهوض أو بسط ونشر جناحيـه ونهض للطيران وما لم يُسَن ويَسْتَحكِم والجمع نواهض .

وأجود الريش ماكان من ريش العتاق من الطير وإذا كان من العتاق لم يكن شـديد السواد ويـكون ليناً، ومـا كان منهـا بتهـامة واليـمن فهـو ألين مما يكون في نجد، قال أوس بن حجر:

كـسـاهُنَّ من ريـشٍ يمانٍ ظَـوَاهِراً   سُـخـامـاً لُؤامـاً لـيِّنَ المَـس أطْحَـلاَ

واختار رؤبة الطيرَ العتق يريش بها سهامه في قوله :

حَـتَّـى إذا تَـوَقَّـدَتْ مِـنَ الـزَرَقْ   حَـجْرِيَّـةٌ كالجَـمْـرِ مِنْ سَنِّ الـذَلَقْ
يُكْـسَيْـنَ أرْيَاشـاً مِنَ الطَيـرِ العُتُق   سَـوَّى لهـا كَبْـدَاء تَنْزُو في الشَّـنَقْ

ويراش بريـش الناهض مِـن فراخ النسور أو العِقبـان حين ينـهض لأن ذلك أرق الريش وأخفه وألينه من ريش المسانّ من الطير، قال امرؤ القيس في هذا النوع من الريش :

راشَـــهُ مِـنْ رِيـشِ نَـاهِـضَـــةٍ   ثُـمَّ أمْـهـاهُ عَـلَى حَـــجَـرِهْ

وقال أبو كبير الهذلي في اختيار ريش الناهض من الطير :

نُجُـفـاً بَذَلَـتْ لهـا خَـوَافِيَ نـاهِضٍ   حَشْرِ القَوَادِمِ كـاللِّفَاعِ الأطْحَلِ

وقال لبيد بن ربيعة :

رَقَــمِــيَّــاتٌ عــلـيــهــا نــاهِــضٌ   تُــكْــلِـحُ الأَرْوَقَ منـهـمْ والأيـلْ[١٩]

ومن الطير العتاق: المَضرحي بالفتح وهو الكريم من الصقر والنسر طويل الجناح الفتي، وريشها أسبط وأحسن، قال فيه بعض الأعراب: (هو الذي يخالط سواده حمرة وإلاّ فليس بمضرحي وريشها أحسن الريش للسهام).

قال أبَانُ بن عَبْدَة بن العَيَّار في ريش المضرحية :

وزرقٍ كَسَتْهَا رِيشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ   أثِيثٌ خوافِي رِيشِها وَقَوادِمُهْ

وأجود الريش وأغلاه ثمناً ريش النسور وأكثر مواضعها الحجاز ويراش النبل بريشهن من قوادم الجناحين ومن الذنابَى قال الشنفرَى :

ومُسْتَبْسِلٍ ضَافِي القميصِ ضَمَمْتُهُ   بأَزْرَقَ لا نِكْسٍ ولا مُتَعَوِّجِ
عليـه نُسَارِيٌّ على خُوطِ نَبْعَةٍ   وفُوقٌ كعُرقُوبِ القَطَاةِ مُحَدْرَجِ

وقال الطرمّاح :

لا تَـتْـرُكَنْ مُـرُطاً ونَبْلُ مـعَاشِـرٍ   دُونِـي تُزَيِّنُـهـا بريشِ نُسَارِ[٢٠]

ومن عتاق الطير العقبان وما أشبهها من أحرار الطير وما يتخذ الوكور في الجبال وفيها من الريش مثل الذي في النسر، وليس عِقْبان الجِرْذَان من عتاق الطير ولا من الصقورة ولا ينتفع بريشها إلا أن يَرْتَاشَ بها الصِّبْيَان الجمامِيح، والعِقبان وعَقَابين جمع الجمع بالكسر والمفرد عُقاب[٢١].

ومن الطيور الغراب وفيه أربع ريشات قد عرف الريّاشون موضعهن في كل جناح ثنتان يزعمون أنهم لم يرتاشوا النبل بأفضل منهن.

ومنها الرَّخَمَة: طائر أبقَعُ على شكل النسر خِلقة إلا أنه مبقع بسواد وبياض والجمع رَخَم ورُخْم ويُرتاش بقوادم الرَّخَم النبلُ وهو جيد لأن

القوادم منها سود وهن ست ريشات في كل جناح ثلاث[٢٢].

مايختار من ريش الطائر للسهام :

جناح الطائر عشرون ريشة أربع قوادم وأربع مناكب وأربع خوافي وأربع أباهر وأربع كُلَى[٢٣].

١ – القوادم والقُدامَى : يقال راش سهمه بقُدامَى النسر وقوادمه والواحدة قَادِمة، وهي أربع ريشات في مقدم جناح الطائر ضد الخوافي، وقيل هي عشر ريشات في كل جناح، وهي أطول الريش، ويُراش من القوادم بأحد الشقّين وهو العريض، وريش المقاديم أجود ويفضل على الخوافي كما في قول رؤبة يخاطب أباه العجاج ويعاتبه :

خُلِقْتُ مِن جَنَاحِكَ الغُدافِ
مِن القُدامَى لامِن الخَوافي

ومن أمثالهم : (ماجَعَلَ القوادِمَ كالخَوافي)[٢٤]

قال الحطيئة في ريش قدامى النسر :

ومُطَّرِدِ الكُعُوبِ كأنَّ فيهِ ... قُدَامَى ذِي مَنَاكِبَ مَضْرَحِيٍّ[٢٥]

وأنشد أبو محمد الفقعسيّ ونسب أيضاً إلى حكيم بن مُعَيّةَ الربعي في نحر الإبل بالرمح وقت الجدب وشبهه بقدامى النسر لاستوائه:

إنّا إذا قَلَّتْ طَخَاريرُ القَزَعْ ... وَصَدَرَ الشَّارِبُ مِنها عن جُرَعْ
نَفْحَلُهَا البِيضَ، القَليلاتِ الطَّبَعْ ... مِنْ كُلِّ عَرّاصٍ إذا هُزَّ اهتَزَعْ

مِثلِ قدامَى النَّسْرِ مامَسَّ بَضَعْ[٢٦]

٢ – **الخَوَافِي:** ريشاتٌ إذا ضَمّ الطائرُ جَنَاحيه خَفِيتْ واحدتها خافية وهي الريشات الأربع اللواتي بعد المناكب قال الأصمعي الخوافي مادون الريشات العشر من مُقدم الجناح وهي الريش الصغار التي في جناح الطائر ضد القوادم(٢٧).

قال جميل بن مَعْمَر في ريش خوافي النسر :

ماصائِب مِنْ نابِلٍ قَذفت بِهِ يَدٌ وَمُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وثِيقُ
لهُ مِنْ خَوافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِيِّ فتِيق(٢٨)

وجمع أبان بن عَبْدَة بن العَيّار بين ريش قوادم الصقر وهي كبار الريش والخوافي وهي صغاره في قوله :

وزرقٍ كَسَتْهَا رِيَشَها مَضْرَحيَّةٌ أَثِيثٌ خَوافِي رِيشِها وقَوادِمُهْ(٢٩)

وجمع أبو كبير الهذلي أيضاً بين الخوافي وجعلها من ناهض وبين القوادم في قوله :

وَمَعَابلاً صُلْعَ الظُّبَاتِ كَأَنَّهَا جَمْرٌ بِمَسْهَكَةٍ تُشَبُّ لِمُصْطَلي
نُجُفاً بَذَلْتُ لها خَوَافِي نَاهِضٍ حَشْرِ القَوادِمِ كاللِّفَاعِ الأَطْحَلِ(٣٠)

وريش القوادم تلتف على الخوافي في شعر كعب بن زهير :

يُقَلِّب حَشْرات كساهنّ نابِلٌ من الرِّيشِ ماالتفَّتْ عليه القَوَادِمُ(٣١)

٣ – **المناكب** : وهي أربع ريشات بعد القوادم ومكانها بين القوادم والخوافي، قال ابن سيده: ولا أعرف للمناكب من الريش واحداً غير أنّ قِياسَهُ أن يكون مَنكِباً. راش سهمه بِمَنْكِبٍ من جناح نَسْر أو عُقَابٍ وهي أقوى الريشِ وأجودُهُ لأنه أعرض(٣٢).

قال زهير بن أبي سلمَى :

ومُشَقَّقٌ مِمّا بَرَى مُتمالِكٌ بالسَّير ذو أُطُرٍ عليه ومَنْكَبُ(٣٣)

وقال الحطيئة :

ومُطَّرِدِ الكُعُوبِ كَأنَّ فيهِ قُدَامَى ذي مَنَاكِبَ مَضْرَحِيٌّ(٣٤)

وقال الراعي النميري :

يُقَلِّبُ بالأنامِلِ مُرهَفَاتٍ كَسَاهُنَّ المَنَاكِبَ والظُّهَارَا(٣٥)

٤ – **الأباهر** : وهي أربع ريشات بعد الخوافي وقبل الكُلَى أو بين الخوافي والكُلَى ومفردها أبهر وهو الجانب الأقصر من الريش(٣٦)، قال السكري: الأبهر ظهر الرِّيشة لاهو أعلاها ولا هو أسفلها والأبهر من الريش ليس من القوادم ولا من أقصَى الخوافِي، واختار الدَّاخِلُ بن حرام الهذلي واسمه زهير الأباهرَ يزين بها قداحه :

عليهِ من أباهِرَ لَيِّنَاتٍ يَزِنَّ القِدْحَ ظُهْرانٌ دُمُوجُ

يقول الخوافي: تَثْقُل عليه فهذا في وسط الريش فهو أسرع له، قال أبو عبيدة: يريد صميم الريش، كما أن الأبهر من القوس صميمُ القوس، وقال أبو عمرو: الأباهرُ من الريش المتون(٣٧).

٥ – **الذُنَابَى** : بضم الذال: ذَنَبُ الطائر، جاء في الصحاح جناح الطائر أربع ذُنَابَى بعد الخوافي(٣٨).

قال أبو حنيفة: ويراش النبل بريش النسور من الجناحين والذنابَى(٣٩)، وعليه فإن المراد بالذُنابَى هنا ريش ذنب الطائر وليس جناحه، كما جاء في الصحاح. واستعمال ريش الذنب للنبل قليل ويفضّل عليه ريش الجناح ولذلك جعله تأبط شراً من الريش الفاسد عندما قال :

وما ولدتْ أُمّي من القومِ عاجزاً ولا كان رِيشي من ذُنَابَى ولا لَغْبِ(٤٠)

الظُّهْرانُ والبطنان والدخل من الريش :

(أ) الظُّهران والظُّهار : الواحد ظَهْر ويجمع ظُهْران على القياس وظُهارٌ وهو نادر ويوصف به فيقال ريش ظُهار وظُهران وقد ظهَّرتُ السهم ورِشْ سهمَك بظُهْرانٍ ولا تَرِشْهُ ببطنان لأنّ ظُهران الريش أوْفَى وأتمّ. والظهران تركب البطنان إذا ضم الطائر جناحيه فيسترهما، جاء تعريف الظُّهران والظُّهار من الريش لغة: ماجُعل من ظَهْر عَسيبِ الرِّيشة وهو الذي يَلي الشمسَ والمطرَ من جناح الطائر أو ماظهر من ريش الطائر وكنّ ماتحته، وقيل هو الجانب القصير من الريش وهو أفضل مايراش به السهم وأسرعها مضياً به .

ويقال للظهران أيضاً الصُّمْعان جمع أصمع إذا ريش السهم من الظهار[٤١].

قال طفيل الغنوي في ريش الظهار :

كُسينَ ظُهارَ الرِّيشِ من كُلِّ ناهضٍ ... إلى وكرِهِ وكُلِّ جَوْنٍ مُقَشَّبِ[٤٢]

وقال الراعي النميري في سهام كساها من ريش المناكب والظِهار :

يُقَلِّبُ بالأنامِلِ مُرْهَفَاتٍ ... كَساهُنَّ المَناكِبَ والظُهارا[٤٣]

وجمع الداخل بن حرام الهذلي بين الأباهر والظهران في قوله :

عَلَيْهِ مِنْ أَبَاهِرَ لَيِّنَاتٍ ... يَزِنُّ القِدْحَ ظُهرانٌ دُمُوجُ[٤٤]

(ب) البُطْنانُ : ومفرده بَطْن، وهو الذي يلي الأرضَ من ريش جناح الطائر إذا جثم على بيضه أو فراخه، وما نبت من تحت تقويس عسيب الريشة وما استكن من الشمس والمطر، وهي البواطن جمع باطن لأنها بطنت فخفيت أخفتها الظواهر وهو مابطن فاستكن بالظواهر[٤٥].

وإذا ريش بالبطنان فهو عيب لذلك لم يستشهد الشعراء بهذا النوع من الريش.

(جـ) الدُخَّلُ والدواخل : دُخَّل الريش مانبت بين الظواهر والبواطن أو دَخَل بين الظُهْران والبَطْنَان من الجناح، وسميت دُخّلا لأنها انغَلَّتْ مِن الريش، كما سُمِيَ الدُخَّل من الطير دُخّلا لتدخله في الشجر وهو من صغار الطير، وهو أجود الريش لأنه لا يمس الأرض ولا تُصِيبُهُ الشمس والمطر ولا تُنْكَثُ أطرافه أي لا تتَشَعَّب.

قال الشاعر ينعت سهمه (رجز) :

رُكِّب حَولَ فُوقِهِ المُؤَلَّلِ
جَوانحٌ سُوِّينَ غَيرُ مُيَّلِ
من مُستَظِلاتِ الجناحِ الدُخَّلِ (٤٦)

ومنها ريش الدواخل وهي عراض فيها لين ورقة عن غلظ القوادم وهن في الجناح تحت القوادم والبطنان أسفل منها مما يلي التراب .

قال عمرو ذي الكلب في نصال عراض كسين ريش الدواخل:

وثُجْراً كالرِّماحِ مُسَيَّرَاتٍ كُسِينَ دَواخِلَ الريشِ النُسَالِ (٤٧)

أسماء السهام وأنواعها وصفاتها قبل أن تراش أو التي سقط عنها الريش :

١ – **القِدْحُ :** بالكسر: العُودُ إذا بَلغَ فَشُذِّبَ عنه الغُصنُ وقُطِعَ على مقدارِ النبل الذي يُراد به من الطُّول والقِصَر وآن له أن يُراشَ ويُنْصَل، والقِدح قِدح السهم وجمعه قِداح بالكسر وصانعه قَدّاح، وقِدْحُ الميسر بدون ريش والجمع أقْدُح وأَقْداح وأَقَاديحُ جمع الجمع والكثير قِدَاحٌ.

وفي حديث أبي رافع (كنتُ أعملُ الأَقْدَاح) أي السهام التي كانوا

يَستَقسمُونَ بها أو التي يُرمَى بها عن القوس(٤٨).

قال المزرد أخو الشماخ :

له طُحَرٌ عُوجٌ كأنَّ مَضِيغَها قِداحٌ بَرَاهَا صانِعُ الكفِّ نابلُ(٤٩)

٢ – **البَرِيُّ** : السهم المَبْرِيّ الذي قد أُتم بريهُ ولم يُرَشْ ولم يُنصَّل، قال الشاعر :

يَمُدُّ إليها جيده رونقَ الضحى كهزك في الكف البريّ المُدوَّما(٥٠)

٣ – **النَّضِي** : كغني هو القِدح مالم يُنْصَّل ويُرَيَّش ويُعَقَّبْ لأنه نِضْو لما عَدِمَ من النَّصل والريش، وبذلك سمي المهزول نِضْوا لأنه جُرِّدَ من لحمه، ويقال نضا عنه ثوبه إذا ألقاه أو نزعه عنه .

وسماها أوس بن حجر أنضاء وهي عارية وقبل أن تنصل أو تريش في قوله :

تُخُيِّرْنَ أنضاءً ورُكِّبْنَ أنصلاً كجمر الغَضَى في يوم ريح تَزيَّلاَ

فلما قَضَى في الصنْعِ منهنَّ فَهْمَهُ فلم يبقَ إلا أن تراش وتُصْقَلاَ

كساهُنَّ من ريشٍ يمانٍ ظواهِراً سُخَاماً لُؤاماً لَيِّنَ المسِّ أطْحَلاَ(٥١)

وسماه امرؤ القيس بقدح نضي وذلك قبل أن ينصل ويريّش وشبّه فرسه به لملاسته وخفته قال :

وأصبح زُهلولاً يُزِلُّ غلامَنَا كقِدح النَّضِيِّ باليدين المفوَّقِ(٥٢)

وسمّاه أبو النجم نضيا ثم أزّره بالريش :

نبعا يغنّي سالماً ممتوحاً من متن نابٍ لم تكن لَقُوحا

تهدي نضيّاً جسداً مضبوحاً أزَّرَهُ خشيةَ أن يطيحا

غُضْفاً حوالي فُوقه جنوحا(٥٣)

٤ – **الأقذ** : ويقـال سهم أقـذ أي لا ريش عليه أو السهم حين يُبْرَى قبل أن يُراشَ أو الذي تَمَرَّطَتْ قُذذُه. جاء لفظ أقـذ في الأمثال ضـد المَريش في قولهم: (مـاله أَقَذٌّ ولا مريشٌ) أي ماله شيءٌ أو ماله مـال ولا قوم، ويقال: (ماترك الله له شُفْراً ولا ظُفْراً ولا أَقَذّاً ولا مَريشاً) أي ماترك له شيئاً، ويقال: (ما أَصَبْتُ منهُ أَقَذّ ولا مَريشاً) أي لم أصب منه شيئاً أو لم أظفر منه بخير لاقليل ولا كثير. والجمع قُذّ وجمعها قِذاذ، وجاء في الشعر قول الراجز :

لأُكلةٌ من أقِطٍ وسَمْنِ ألينُ مَسّاً في حوايا البَطْنِ
من يثربيّاتِ قِذاذٍ خُشْنِ يرمي بها أرمَى من ابنِ تِقْنِ (٥٤)

٥ – **المِنجاب** : وجمعه مناجيب: هو السهم الذي لاريش عليه أو الذي بُرِيَ وأُصْلِحَ إلا أنه لم يُرَشْ ولم يُنْصَل بعد، وعليه فسر السكري قول أبي خراش خويلد بن مُرّة الهذلي :

بَعَثْتُهُ بسوادِ الليلِ يرقُبُني إذ آثرَ النومَ والدفءَ المناجيبُ

وقال الشارح : والمناجيب، الضعفاء الذين لاخير فيهم، ومنه سهم مِنجاب لا ريش عليه، فشبه الضعفاء بالقداح بلا ريش(٥٥).

٦ – **الحِرَاثُ** : وهو القدح قبل أن يراش والجمع أحرِثَة(٥٦).

٧ – **أمْرَطُ وأمْلَطُ** : سهم سقط عنه قُذَذُه أو كانت له قذذ، إلا أنها ذهبت، وسهم أمْرَطُ ومَرِيطٌ ومِراطٌ ومُرُطٌ وتَمرَّط السهم خلا من الريش أو سقط ريشه، وكذلك سهم أمْلَطُ ومَليط وتَمَلَّط، إذا لم يكن عليه ريش، وفي حديث أبي سفيان في غزوة السَّويق قال: (فتناولت القوس والنبلَ لأرمي ظبيةً عَصْماء نردُّ بها قَرَمنا فانْثَنَتْ عليَّ سِيتاهَا وامَّرَطَ قُذَذُ السهم...). أي سقط ريشه .

وإذا كان السهم أمرط ولم يكن لـه ريش بعد ثم رمي به اضطرب في ذهابه، وقـد شبّـه أبو كبير الهذلـي السّبـاع في عدوها بـالنبل المراط التي لم يفرغ منها أو تمرّط ريشها، لأن الذئاب تعسل في عدوها وتضطرب فيه كما تضطرب النبل المراط في ذهابها :

ولـقـد وردتُ المـاء لـم يَشْـرَبْ بِـهِ بين الـربيـعِ إلـى شـهـورِ الـصَّيِّـف
إلاَّ عـواسِلُ كـالمِراطِ مُـعِـيـدة بـالـليـلِ مـوردَ أيّمٍ مُـتَـغَـضِّـفِ

وشبه أبـو المقـدام جسّـاس بـن قطيـب الإبل في هـزالهن واضـطراب سيرهن بالسهام الصغار التي سقط ريشها :

فــلــوْ تــراهُــنّ بــذي أُراطِ وهـنّ أمـثــالُ الـسُّـرَى الأمــراط

وشبه المُتنخِّل مالك بن عُويمر الهذلي مشي السباع بالنبل المِراط :

ومــاءٍ قــد وَرَدْتُ أُمَــيْـمَ طَـامٍ عـلـى أرجـائِـه زَجَـلُ الـغَـطَـاطِ
قـلـيـلٍ وِرْدُهُ إلا سِـبـاعـاً يـخِـطْنَ المشيَ كـالـنَّبْـل المِراطِ

وقال راجز في المليط الذي لا ريش عليه :

ولـو دعـا نـاصـرَهُ لـقـيـطـا
لـذاق جَشـئـاً لـم يكُـنْ مَـلِيطـا(٥٧)

٨ – **المِعْراض :** بالكسر سهم يُرمى به بلا ريش ولا نَصْلٍ يمضي عَرْضاً دقيق الطرفين غليظُ الوسَط فيُصيبُ بعرض العُودِ لا بِحدِّه وربما كانت إصابته بوسطه الغليظ، فكسر ما أصابه، وقال الخليل في تعريفه: إن المِعراض هو السهم الذي لا ريش له (مِفعال) من العرض كما أن المِنشار والمِنقار (مِفعالان) من النَّشر والنَّقر، وذلك أن مِن عادة العرب ألا تريش السهم إلا بعد العرض على صاحبه ليُسأل هل له فيه رغبة أم لا .

جاء في حديث عدي بن حاتم قال: قلت للنبي ﷺ : إني أرمي بالمِعراض الصيد فيَخزِق، قال: إنْ خزَق فكُلْ أو (فكُله) وإنْ أصابَ بِعَرْضِهِ فَلا تَأْكُل(٥٨).

٩ – المِزْجال : القِدح قبل أن يُنْصَلَ ويُراش، قال أبو النجم :

ركّبها القانصُ في مِزجالها(٥٩)

١٠ – الجُمّاحُ : سهم صغير بلا نصل وليس له ريش ولا فوق، قال أبو حنيفة: هو سهم الصبي يجعل في طرفه مكان النصل تمرا معلوكا بقدر عِفاص القارورة أو طيناً مثل البندقة، ليكون أهدى له أملس يُرْمَى به الطائر فيلقيه ولا يقتله وجمعه: جماميح، قال راجز من الجن :

هل يُبْلِغَنِّيهمْ إلى الصَّباحْ هَيْقٌ كَأَنَّ رأْسَهُ جُمَّاحْ

وقال رقَيْعٌ الوالبي :

حَلَقَ الحَوادِثُ لِمَّتي فتركْنَ لي رأْساً يَصِلُّ كَأَنَّهُ جُمّاحُ

أي يصوت لملاسته، وقال آخر :

أصابت حَبَّةَ القلبِ فلم تُخْطِئ بِجُمّاحِ

ويُجمع على جمامح في ضرورة الشعر كقول الحطيئة :

أخو المرءِ يُؤْتَى دُونَهُ ثم يُتَّقَى بزُبٍّ اللُّحَى جردِ الخُصَى كالجمامح(٦٠)

١١ – الزُّلَم والزَلَم : القِدحُ الذي لا ريش عليه وهي سهامٌ كانوا يستقسمون بها في الجاهلية، والجمع: أزلامٌ، وكذلك الزُلم، قال أبو خراش الهذلي في قدح كثير الفوز له علامة من عقب وأثر العض عليه :

يَظَلُّ في رأسِهَا كأنَّهُ زَلَمٌ   من القِداحِ به ضَرْسٌ وتَعقِيبُ

وشبه رُشَيد بن رُمَيض العَنَزي الحُطَم وهو شُرَيح بن ضُبيعة بالزَلَم :

بات يُقاسِيها غُلامٌ كالزَّلَمْ   خَدلّج السَّاقَيْن خَفّاقُ القدمْ[٦١]

١٢ – الكُثّاب : (بالثاء)، قال الأصمعي: هو سهم لانصل ولا ريش له يلعب به الصبيان، قال الراجز في صفة حية :

كأن قُرصاً من طحين مُعْتلِث
هامَتُهُ في مثلِ كُثّابِ العَبِث[٦٢]

١٣ – الجُبّأ والجُبّاء بالمد : جاء في تعريفه في معظم المصادر أنه السهم الذي يوضع (في أسفله مكان النصل) كالجوزة من غير أن يراش الواحدة جُبّأة[٦٣].

وصحيح أبو هلال العسكري ماجاء في المعاجم بقوله: إنه السهم الذي يوضع (في أسفله مكان الريش) كالجوزة فهو الجُبّأ[٦٤].

اسم الريش الساقط من الطير :

النُسال : نَسَلَ الطائر ريشه وأنسَلَ ريشُ الطائر سَقَط واسم ماسقط منه النَسيل والنُسالُ بالضم واحدته نَسِيْلَةٌ ونُسَالَةٌ، ونُسالُ الطير ماسقط من ريشها وهو النُّسَالَة ونُسال الطير ماتحات من أرياشها[٦٥].

قال عمرو ذو الكلب :

وثُجْراً كالرِّماحِ مُسَيَّراتِ   كُسِين دَوَاخِلَ الريشِ النُسَالِ[٦٦]

وقال العجاج فيما تساقط من ريش الطير :

وَمَـنْـهَـلٍ وَرَدْتُـهُ عَـنْ مَـنْـهَـلِ
قَـفْـرَيْـنِ، هـذا ثـم ذا لـمْ يُـوهَـلِ
كَـأَنَّ أرْيَـاشَ الحَـمَـامِ النُـسَّـلِ (٦٧)

ويقال لريش الطائر الذي يسقطُ: سَبيخٌ لأنه يَنْسَلٌ فيسقط عنه وسَبَائِخ الريش وسَبيخَهُ ماتناثر منه ونَسَلَ وهو المُسَبَّخُ والجمع سَبَائِخُ(٦٨).

قال أمية بن أبي عائذ في مانسل من ريش الطير على الماء:

تُـجِـيـلُ الحَـبَـابَ بـأنْـفَـاسِـهَـا وتَـجلُـو سَـبِـيخَ جُـفَـالِ النُّـسَـالِ(٦٩)

قص الريش وتسويته :

إذا سُحِيَ الريش عن عسيبه ثم قُطِع على المقادير فكل قطعة منه قُذَّة وريشة، ويقال له: القَذّ والإقذاذ أي قطع أطراف الريش وتسويتها وتدويرها وإلصاقها بالسهم، وإذا فعل ذلك قال قذذت السهم أَقُذُّه قَذّاً وأقذذته إقذاذاً، وهو سهم مقذوذ وسهام مقذذة، أي مصلحة الريش مدوّرة ملطفة وما قذ من الريش وقطع من أطرافه يقال له القُذاذة بالضم، وما سقط من قَذّ الريش ونحوه يقال له القُذَاذَات.

جاء في الحديث إنه ﷺ قال: «أنتم «يعني أمته» أشبه الأمم ببني إسرائيل تتّبعون آثارهم حَذْو القُذَّةِ بالقُذة» وفي حديث آخر: «لتركَبُنّ سَنَنَ من كان قبلَكُم حذوَ القُذَّة بالقُذّة» أي كما تقدّر كل قذة منهن على قدر صاحبتها في القطع والتسوية، يضرب مثلاً في تشابه الشيئين(٧٠)، وإذا تشابهت في التسوية يقال لها النظائر جمع نظيرة وهي المِثْلُ والشبه في الأشكال، جاء في شعر جميل بن معمر إذ جعل الريش نظائر في مقاديرها لأنه أقصد للسهم:

مـا صـائب من نـابل قـذَفت بـه يَـدٌ ومَـمَـرُّ العُـقـدتَـيْـنِ وَثِـيقُ
لـه من خـوافِي النّـسْـرِ حُـمٌّ نـظائِـرٌ ونصلٌ كنصلِ الزاعبيِّ فتيقُ(٧١)

وإذا دُقِّق الريش وأُلطِفَ قيل له: ريش أصْمَع وتجمع صُمْعانا، ويقال: سهم مُصَمَّع ويراد به ريشه، وهذا عكس الأغضف من الريش أي الغليظ قال أبو المثلم الهذلي :

مُشَمَّرٌ وله بالكَفِّ مُحْدَلَةٌ   وأصْمَعٌ نَصْلُهُ في القِدحِ مُعْتَدِلُ

وقال آخر :

لدْنُ الكُعُوبِ ومحشُورٌ حَدِيدتُهُ   وأَصْمَعٌ غيرُ مَجلُوزٍ على قَضَمٍ(٧٢)

وكذلك إذا لَطُفَ الريش وسوي وحدد يقال له ريش حَشْر كأنَّما بُرِيَ بَرْياً وحدد، وقيل: كل لطيف دقيق فهو حَشْر وَسهم مَحْشور وَحشْر مستوي قُذَذِ الريش.

قال أمية بن أبي عائذ في نبل ألطف قُذَذُها وحدد فهو أسرع لها وأبعد:

تَراحُ يَداهُ لِمَحْشُورَةٍ   خَواظِي القِداحِ عِجافِ النِّصَالِ

وقال ساعدة بن جؤيَّة :

يُزَجْزِجُهُمْ عنه بِنَبْلٍ سَنِينَةٍ   يُضِرُّ بِحَبَّاتِ القُلوبِ حَشُورُهَا

وقال ذو الإصبع العدواني في صناعة الريش المحشورة :

السيفَ والرُّمْحَ والكِنَانَةَ والنَّـ   ـبْلَ جِياداً محشورةً صُنُعَا

وفي نفس المعنى يقول صخر الغي :

وارْمُوهُمُ بالقُضُبِ الذُّكُورَهْ   وارْمُوهُمُ بالصُّنَّعِ المَحْشُورَه(٧٣)

وإن زاد في تقذيذه وتخفيفه قيل قَزّعه تقزيعاً فهو مقزَّع كما يقزّع الفرس إذا خُفّف من عُرْفه وناصيته وقَزَع السهم بالتحريك ما رق من ريشه والقَزَع أصغر ما يكون من الريش يقال سهم مُقَزّع: ريش بريش صغار والمقزّع

المنتوف أو المُنَتَّف الريش من كثرةِ ما رُمِيَ به والمقزع مثل المحشور.

قال أبو ذؤيب الهذلي في السهم المخفف الريش المسوّى تسوية حسنة بحذف مايجب حذفه من الفضول :

فَبَدَا له رَبُّ الكِلاب بِكَفِّه   بِيضٌ رِهابٌ ريشُهُنَّ مُقَزَّعُ(٧٤)

وشبّه الطرماح الكلبَ إذا حلّ عنه وأسرع بمر السهم المقزع الخفيف :

يَمُرُّ إذا ماحُلَّ مَرَّ مُقَزَّعٍ   عتيق حداهُ أبْهَرُ القوسِ جارِنِ(٧٥)

وجمع شاعر بين الريش الحشر والمقزع في قوله :

بأزرقَ حَجْرِيٍّ بَرَاهُ وراشَهُ   مناكِبَ حتى عاد حَشْراً مُقَزَّعَا(٧٦)

أما الأدوات المستعملة في قص الريش فهي: المِقَذُّ والمِقَذَّةُ بكسر الميم: التي يقذ بها الريش كالسكين، وسكين أهل البادية حديدة قصيرة لها نصاب، ويقذ بالجلمين وهو مقراض يقطع به(٧٧).

صفات الريش من حيث الحجم :

هناك صفات أخرى للريش من حيث الغلظ والوفرة أو قلة الريش منها:

الأغضف وهو خلاف الأصْمَع: سهم غليظ الريش، وقد تكون الريشة طويلة مسترخية وفيها ميل فهي غضفاء مأخوذ من الغَضَف في الأذن وهو الاسترخاء، قال أبو النجم يصف قوساً :

أزرَّهُ خشيةَ أن يَطيحا   غُضْفاً حوالي فُوقِه جُنوحا

فالريشة مائلة لطولها، قال ابن قتيبة: وذلك أن يجعل أعلاها أغلظ من أسافلها فكأنها مائلة، وقيل : الثابتة المعتمدة على القدح، آزر الصانع القدح بها حتى لايطيش السهم ولا يقصد الهدف(٧٨).

العِبَر ومُعْبر : إذا كان السهم موفور (وافر) الريش لم يحسر يقال سهم عَبِر ومُعْبَر بمنزلة الشاة المُعْبَرة وهي التي لم تُجزّ أو تحلق عامَها .

ومنه قول المرار العدوي في رواية للبيت :

أو بمرّيخٍ على شِرْيَانَةٍ حَشَّهُ الرامي بظهرانٍ عَبِرْ[٧٩]

الأعصل : وهو السهم القليل الريش[٨٠].

طريقة تركيب الريش على القدح :

وتركيب الريش على القدح تركيب منكوس يُجعل رأس القُذة مما يلي مُؤخّر السّهم وهو فوقه ويُجعل ذَنَبها مما يلي صدر السهم وهو ناحية النصل وكذلك ينبغي أن يكون التركيب لينسل السهم في الهواء انسلالاً ولا يتلقاه تلقياً كمستقبل الحربة (؟) .

وإذا ركب الريش على القدح فهي آذانه والقدح مَرِيش[٨١].

قال الطرماح في تركيب النِّصال والريش على السهام :

واعْبأ لِنبلك باريا ومُركّبا أَرِباً يُقَوّمُ أَسْهُمَ الأُسْوارِ[٨٢]

وإذا ركّب الريش على القدح ودخل فيه واستحكم والتأم قيل عليه ريش دُمُوج، مشتبهة في الاندماج والصلابة، وهو زينة للقدح .

قال الداخل بن حرام واسمه زهير :

عليه من أباهِرَ ليِّنَاتٍ يَزِنَّ القِدْحَ ظُهرانٌ دُمُوجُ[٨٣]

والقذذ تركب على نحوين :

١ – منهم من يركبها بالغِراء يدرجه على ليطة الريش ويدخله في ثناياه.

٢ – ومنهم من يركبها بالعَقَب[٨٤].

أولاً : تركيب الريش على القِدح عن طريق اللزق، فإذا ألزق الصانع الريش على القدح قيل :

أ – حَشّ النابلُ السهمَ يحشُهُ حَشاً أي راشه وألزق به القُذذ من نواحيه وركبها عليه. قال المرار بن منقذ العدوي :

أو كمِريخٍ على شِريَانَةٍ حَشَّهُ الرامي بظهرانٍ حُشُرْ(٨٥)

ب – وإذا ألزقت القذذ بالقدح وأدقت جداً قيل: سهم مُطحَر وهو في اللغة بمعنيين مختلفين، فإذا كان بضم الميم فهو السهم الذي ألزقت قذذه وأدقت جداً، وبالكسر البعيد الذهاب، قال الأصمعي وأبو حنيفة المُطحر بالضم الذي قد ألزقت قذذه وبه فسر بيت أبي ذؤيب الهذلي :

فرمَى فألحَقَ صاعدياً مُطحَراً بالكَشْحِ فاشتملت عليه الأضْلُعُ

أما السكري وأبو حنيفة فذهبا إلى أن المِطحر بالكسر في بيت أبي ذؤيب يعني السهم الذي ألزقت قذذه وأدّقت جداً(٨٦).

وقال أُمية بن أبي عائذ في نفس المعنى :

فلما رآهُنّ بالجَلْهَتَيْـ ـنِ يكْبُونَ في مُطْحَرَاتِ الإلاَلِ

وقال أيضاً :

أرتاحُ في الصُعَداءِ صوتَ المُطْحَرِ الـ ـمحشُورِ شيفَ بِصَنْعَةٍ دِهْماص(٨٧)

جـ – سهم حشر أي مُلْزَق جيد القذذ والريش، قال كعب بن زهير يصف سهاماً أصلحها الحداد وألزق قذذها فهو أسرع لها وأبعد :

ثاوياً ماثلاً يُقَلّبُ زُرْقاً رَمَّهَا القَيْنُ بالعُيونِ حُشُورَا

وقال أيضاً في نفس المعنى :

يُقَلِّبُ حَشْراتٍ وَيختارُ نابلٌ من الرِّيشِ ماالتفَّتْ عليه القَوادِمُ[٨٨]

وقال ذو الرمة أيضاً :

يُحاذِرْن أن يسمَعْنَ ترنيمَ نبعةٍ حَدَتْ فُوقَ حَشْرٍ بالفَريصَةِ واقعِ[٨٩]

وقال أمية بن أبي عائذ في نفس المعنى :

تَراحُ يداهُ بمحشورةٍ خواظِي القِداحِ عجافِ النِّصَالِ[٩٠]

د – القذ : وهو إلصاق القذذ بالسهم كالإقذاذ تقول قَذَذْتُ السهمَ أَقُذُّهُ قَذّاً وأَقْذَذْتُهُ جعلتُ عليه القُذَذَ أو ألزقت القذذ بالسهم، وبذلك فسر السكري قول أبي ذؤيب الهذلي في تشبيه القانص وما ناله من التعب والإعياء بسهم قد ألزقت قذذه ودققت جداً :

فجاء بها بعدَ الكَلالِ كأنُّهُ من الأينِ مِحْراسٌ أَقَذُّ سَحِيجُ[٩١]

المواد المستعملة للزق الريش على القدح :

الرُّومَةُ أو الغِراء، وهو الذي يلصق به ريشُ السهم، قال أبو عبيد: إذا ريش السهم بغير عقب فالغِراء الذي يلصق به الريش هو الرُّومة بغير همز وحكاها ثعلب مهموزة، وقال الجوهري الرُّؤمَة: الغِراءُ الذي يلصق به الشيء، يقال: غَرَوت السهم وغَريتُهُ وهو سهم مغروٌّ ومَغْرِيٌّ. ويقال: غَرَوتُ الريش غرواً وَغَريتُهُ، جاء في الحديث (لاتذبَحها وهي صَغيرة لم يصلُب لحمها فيلصق بعضها ببعض كالغِراء) .

وفي المثل (ألزقُ من ريش غِراء)، (وادركني ولو بأحد المَغْرُوَّيْن) أي السهم المريش ألصق بالغراء أو الذي لم يجف عليه الغراء وهو ماطلي به.

والغِراءُ الذي يُلصق به الشيء يكون من السَّمك أو أطراف الجلود وربما جعل مكان الغِراء دم الحَلَم أو دم الظبي وقد يلزق بالصمغ فيكون

جيداً، ويلزق الريش بالغراء وهو حار، وذلك لأن الغراء إذا برد لم يلزق.

وذكر ذو الرّمة الغراء يلصق به الإناء المكسور في قوله :

تدْهَدى فخرّت ثُلْمةٌ من صحيحِهِ فَلُزَّ بِأُخْرى بالغِراء وبالشّعْبِ (٩٢)

وجاء في شعر أوس بن حجر :

قَصِيٌّ مَبيتَ الليلِ للصَّيدِ مُطعَمٌ لأسهمِهِ غارٍ وبارٍ وراصفُ(٩٣)

وقال أبو النجم العجلي :

أثبتُ من ريشٍ على غِرائِه(٩٤)

مواد شد الريش على القدح وأنواعها: العَقَب :

جاء في اللغة: عَقَب الشيء يعقِبُه ويعقُبُه عَقْباً، وعَقَّبَهُ: شده بعَقَب، وعقَبَ السَّهْمَ والقِدح عَقْبا إذا لوى شيئاً من العَقَبِ عليه والتعقيب أن يشد عليه العَقَب وهي الأوتار. والعَقَبُ: العَصَبُ الذي تعمل منه الأوتار الواحدة عَقَبَة والعقَب من كل شيء عَصَبُ المتنين والساقين والوظيفين يختلط باللحم يُمْشَقُ منه مَشْقاً ويُهذَّب وينقى من اللّحم ويُسوى منه الوتر، وقد يكون العقب من المتنين من الشاةِ والبعير والناقةِ والبقرةِ قال نافع بن نُفَيع (لقيط) الفقعسي في التعقيب :

مُرُطُ القِذاذِ فليس فيه مَصنعٌ لا الريشُ ينفعه ولا التَّعقيبُ(٩٥)

وقال رؤبة بن العجاج :

والعاقِبُ الريشِ بنَصْلٍ حَشورِ والجاذِبُ القوسِ الطَرُوحِ الميطَرِ (٩٦)

وقال ذو الرمة :

مُعِدٌّ زرقٍ هَدَتْ قَضْباً مُصَدَّرةً مُلْسَ المُتونِ حداها الريشُ والعَقَبُ(٩٧)

ولهذا العقب مسميات مختلفة في معاجم اللغة تدور حول معنى شد الريش على السهم بأنواع مختلفة من العَقَب منها مايتخذ من عصب الحيوان ومنها مايتخذ من الحبال المصنوعة من الشجر.

أ) السُّلَّبة : السُّلَبة. بضم السين وفتحها وتسكين اللام وفتحها: عقبة تلف على أطراف الريش مما يلي الفوق، والسَّلَبُ شجر طويل ينبت متناسقاً يُؤخذ ويُمَدُّ ثم يُشقق فيخرج منه مُشاقَةٌ بيضاءُ كالليف واحدته سَلَبَة وهو من أجود مايتخذ منه الحبال، قال أبو حنيفة: السَّلَبُ نبات ينبتُ أمثال الشَّمَع الذي يُستصبَحُ به في خِلْقَتِهِ إلا أنه أعظم وأطول يتخذ منه الحبال على كل ضرب .

والسَّلَبُ لِحاءُ شَجَرٍ معروفٍ باليَمَنْ تُعْمَلُ منه الحِبالُ وقيل: هو خوص الثُمام. وقال أبو حنيفة في صناعته: إنهم يقطعونها من أصولها ثم يعمدون إلى أخدود في الأرض قد حفروه فيوقدون عليه حتى يحمى، ثم يستخرجون جمره ورماده، ثم يلقون ذلك السلب فيه حتى يغملوه بالورق والتراب فيتركونه حتى ينضج، ثم يخرجونه إذا برد، فيأتون به الماء فيغسلونه حتى ينقى، ويذهب مابين أوتاره من حشو وتُخَلّص الخيوط كأنها أذناب الخيل وقد لانت فيتخذون منه ضروب الحبال الدقاق والغلاظ وهي حبال أهل السروات والتهائم واليمن ومنابته التهائم، قال وأنشدني بعض اليمانين:

إن تعجبوا منا فما فينا عَجَبْ قومٌ يمانون حبالُنَا السَّلَبْ

وقال مُرّةُ بن مَحْكَانُ التميمي :

فنشنش الجلد عنها وهي باركةٌ كما تُنَشْنِشُ كَفّا فاتلٍ سَلَبا

أي الفاتل الذي يفتل السلب[٩٨].

ب) **الكِظَامَةُ** : العَقَبُ الذي على رؤوس القُذذ العليا من السهم، أو موضع الريش منه والعقبة التي على طرف الريش مما يلي صدر السهم، وقيل مايلي حقو السهم، وهو مستدقه مما يلي الريش، قال أبو حنيفة: الكِظامة: العقب الذي يُدْرَجُ على أذناب الريش يَضْبِطُهَا على أي نحو ماكان التَّركيب.

قال شاعر :

تَشُدُّ على حَزِّ الكِظامَةِ بالكُظْرِ (٩٩)

جـ) **القُلْبَة** : عَقَبَة تُلَفّ على أطراف الريش مما يلي الفوق(١٠٠).

د) **السُّرَعَان** : العَقَب الذي يجمع أطرافَ الريشات الثلاث على القدح والمفرد سُرَعَانة وهو الوتر المأخوذ من لحم المتن أو عقب المتنين شِبْه الخُصَلُ تُخلّص من اللحم تُدرَج على كل قذة تُدخَل في جوفها حتى تُلزم القذة القدح ثم يُدرج مافضل منها على أطراف القذذ التي تلي مقدّم السهم يرصف بها على أطراف الريش(١٠١).

هـ) **الشَّرِيجُ** : واحدته شَرِيجة وهي إما لِلّزق أو لِلشّد وقيل إنها عَقَبةُ يُلْصق بها ريش السهم وأضاف العسكري إنها عَقَبة تَشُد الريش على السهم(١٠٢).

و) **الأُطْرَة** : انفرد الخليل في كتاب العين ومختصره في تعريف الأطرة بأنها عَقَبةٌ تُلْوى على ريش السهم، وقال: وفي كل موضع يُشد فهو أطْرة وكل شيء يحيط بشيء فهو إطار له، أما بقية المعاجم فجاء في تعريفها أن الأطرة من السهم هي العقبة التي تُلَفّ على مجمع الفوق وليس الريش وهذا هو الأرجح(١٠٣).

أسماء صناع الريش :

ذكرت المصادر والأشعار بعض أسماء من زاولوا هذه المهنة في الجاهلية وصدر الإسلام بينهم .

رجل من عدوان : قال ذو الإصبع العدواني في صانع من قبيلته كسا النبل ريشاً :

قَوَّمَ أفْوَاقَهَا وتَرَّصَهَا أنْبَلُ عدوانَ كُلّهَا صَنَعَا

ثم كَسَاهَا أحَمَّ أسودَ فيْــ ناناً وكانَ الثَّلاثَ والتَّبَعَا(١٠٤)

المُقْعَدُ : رجل كان يريشُ النبل في المدينة، وكان مُقعداً، وجاء ذكره في شعر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري في يوم الرجيع حين لقيه المشركون ورموه بالنبل فقال مفتخراً بسهامه التي راشها هذا المُقْعَد :

أبُو سُلَيْمانَ وريشُ المُقْعَدِ وضَالَةٌ مثلُ الجحيم المُوقِد(١٠٥)

إصلاح الريش وصيانته وتعهده :

وقد يطول بالريش العهد دون صيانة وتعهد فينتكث ريشه وعَقَبُهُ فيقال له: شارف، قال أوس بن حجر :

يُقلبُ سهماً راشَهُ بمناكبٍ ظُهارٍ لُؤامٍ فهو أعْجَفُ شارفُ(١٠٦)

لذلك ذكر الشعراء أن الريش حديث عهد بالتركيب على القدح كما قال ذو الرمة :

وقد بات ذو صَفْراءَ زوراءَ نَبْعَةٍ وزُرْقٍ حديثٍ ريشُها وصِقالُها(١٠٧)

وإذا أصلح الريش فهو مرموم، جاء في اللغة: الرَّمُّ إصلاح الشيء الذي فسَدَ بعضُهُ ولَمُّ ماتفرّق، والمراميم: السهامُ المرمومة بالريش أو المُصلَحَةُ الريش جمع مَرْمُومٌ، جاء في حديث النعمان بن مُقَرِّن (فلينظر إلى شِسْعِهِ

وَرَمٌّ مادَثَر من سِلاحِهِ).

قال كعب بن زهير في السهام المرمومة المصلحة والملصقة الريش وقد رمّها الصانع فأتقن صناعتها :

ثـاوِيـاً مـــاثِلاً يُـقَـلِّـبُ زُرْقـاً   رمّـها القَيْـنُ بالعُـيونِ حُشُـورا(١٠٨)

الريش الجيد التركيب :

ويسمّى الريش اللؤام أي الملتئم المتفق في التركيب على وجه واحد حيث يلائم بعضه بعضاً، ولا يكون اتفاقهما إلا أن تكون قذذ السهم كلّها من ظُهران أو بُطنان حيث يلي بطن القذة منها ظهر القذة الأخرى، أو يلتقي بطن قذّة وظهر أخرى، وهو أجود مايكون، يقال: لأم السهم لأماً جعل عليه ريشاً لؤاماً فهو سهم لأم.

وقيل اللؤام أن يَريش من ثلاث رِيَش بالظُهران وأنشد:

رقـيـقـةُ حـدّاد وقـبـضـةُ شَـوْحَـطٍ   وريشٌ لؤامٌ من ظُهـار من النَّسْرِ(١٠٩)

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني:

فـأهوَى بمفـتُوق الغِـرارَيْن مُـرْهَـف   عـليـه لُـؤَامُ الرِّيـش فـهـو قـتـوم(١١٠)

وقال أوس بن حجر :

يُـقَلِّـب سَـهْـمـاً راشَــهُ بمـنـاكِـبٍ   ظُهارٍ لُؤَامٍ فهو أعجَفُ شارِفُ(١١١)

الريش الفاسد التركيب :

اللُّغَـابُ : لَغَبه يلغَبه لغبـاً، ولَغب ولَغيـب، يقال: سهم لَغْـبٌ ولُغَابٌ: فاسد لم يُحْسَـنْ عملُهُ، وقيل: هو الذي ريشُهُ بُطنَان، وقيـل: إذا التقى بُطْنَان أو ظُهْرَانٌ، وقيل هو ريش السهم إذا لم يعتدل.

وقال أبو حنيـفة : اللَّغْبُ أن تكون ريشـتان من ظُهور الريش، والثـالثة

من البطن، فلا يزال السهم مضطرباً، ولا يفعل هذا من له علم بتقذيذ السهام.

وقيل الريش اللَّغَب أن تُؤْخَذ قذّة من عُقاب وأخرى من نَسْر وأخْرَى من غُراب أو رَخَمة فيريش بهنّ صاحب النبل، وإنما اضطر إلى ذلك لأنه لم يجد غيره، وقيل: إن اللُّغاب أن يجعل ظهر القذة إلى ظهر الأخرى، وبطنها إلى بطن الأخرى، وذلك عيب ومكروه.

جاء في الحديث: أهدَى يكسُومُ أخو الأشرم إلى النبي ﷺ سلاحاً فيه سهم لَغْب. أي لم يلتئم ريشه.

وجاء في الشعر في قول بشر بن أبي خازم:

وإنّ الوائليَّ أصاب قلبي ... بسَهم لم يكُنْ يكْسَى لُغَابَا

أراد لم يكن نكساً ذا ريش لغاب.

وألغَبَ السَّهْمَ: جعل ريشَهُ لُغَاباً أنشد ثعلب:

ليتَ الغُرابَ رَمَى حَمَاطَةَ قلبِهِ ... عَمْرُو بأسْهُمِهِ التي لم تُلْغَبِ

وجاء في الشعر ريش لَغِيب في وصف الراجز للذئب:

أشْعَرتُهُ مُذلَّقاً مذرُوبا

ريشَ بريشٍ لم يكُنْ لَغِيبا(١١٢)

وقال الحارث بن الطفيل الدوسي يصف رجلاً طلب أمراً فلم ينله:

فرميت كبش القوم معتمداً ... فَنَجا وراشوه بذي لَغْبِ(١١٣)

ومن الريش الفاسد التركيب النَّقَل بالتحريك: وهو ريش السهام ينقل من سهم فيجعل على سهم آخر، يقال لا تَرِشْ سهمي بِنَقَل.

قال الكُميت يصف صائداً وسِهامَهُ:

وأقدُحٌ كالظُبَاتِ أنْصُلها لانَقَل رِيشُها ولا لَغَب[١١٤]

لون الريش :

١) **أطحل :** الطُحْلَة بالضم لون بين الغُبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد، وقيل لون بين الغُبْرة والسواد ببياض قليل، وقيل الطَحَل لون كلون الطِّحال وكل شيء على لون الطِّحال فهو أطحل، والطِّحال لحمة سوداء عريضة في بطن الإنسان. قال أبو حنيفة: أطحل، في لونه إلى الحمرة، وقال أيضاً: وظاهر الريش من الجناح أشبع لوناً من البطون لتعرضها للشمس والمطر بينما البطون أرق لوناً وأقرب إلى البياض لاختفائها[١١٥].

قال أوس بن حجر :

كساهُنّ من ريش يمانٍ ظواهراً سُخَاماً لُؤاماً لين المسِّ أطْحَلا

أي من ريش نسر، وفي ريش النّسْر حمرة أو يخالط سواده حمرة لذلك قال أطحل، والنّسر من عتاق الطير، وإذا كان من العتاق لم يكن شديد السواد[١١٦].

وشبّه أبو كبير الهذلي ريش السهم بالكساء الأطحل الذي كلون الطحال إلى الغُبْشَة والحمرة أو لون الرماد :

نُجُفاً بذلتُ لها خوافِي ناهضٍ حَشْرِ القوادمِ كاللِّفاعِ الأطْحَلِ[١١٧]

٢ – **الأحم :** الحَمَم مصدر الأحَمّ وهو الأسود من كل شيء[١١٨].

قال ذو الإصبع العدواني في الصانع العدواني الذي كسا النبل بريش أحم :

قَوَّمَ أفواقَها وتَرَّصَها أنْبَلُ عَدْوانَ كُلُّها صَنَعَا

ثُمَّ كَسَاهَا أحَمَّ أسوَدَ فَيْـ نعاناً وكان الثلاثَ والتَّبَعَا[١١٩]

وقال جميل بن معمر في اختيار ريش خوافي النَّسر السود وذلك أخلصه وأجوده:

ما صائبٌ من نابل قذفت به يدٌ وَمُمَرٌّ العُقْدَتَيْنِ وثِيقُ
له من خَوافي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ ونصلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبيِّ فتِيقُ(١٢٠)

بريقها :

الريشة مع لونها يكون لها وبيصٌ أي بريق في لونها، قال ذو الإصبع العدواني في رواية للبيت :

ثم كساها أحمَّ أسحمَ وبّـ ـاصاً وكُلّ الظواهِرِ تَبَعَا(١٢١)

لين الريش :

السُخامُ وهو الريش اللين الحسن، وقيل: هو من ريش الطائر ماكان ليناً تحت الرّيش الأعلى، واحدته سُخَامَة وريشٌ سُخام أي ليِّن المَس رقيق أو نَعُم مع قوة(١٢٢).

وكذلك الريش أجوده ماكان ليّناً وهو السُخام وان ماكان منها بتهامة فهو ألين مما يكون بنجد .

قال أوس بن حجر في السُخام اللين المَسّ:

فلما قَضَى في الصَّنْعِ منهنّ فهمَهُ فلم يبقَ إلاّ أن تُسَنَّ وتُصْقَلا
كساهنّ من ريش يمانٍ ظواهِراً سُخاماً لؤاماً ليِّنِ المسٌ أَطْحَلاَ(١٢٣)

واختار امرؤ القيس ريش فرخ من أفراخ النسور والعقبان حين نهض وطار فهو ألين ريشاً وأنعم وأرق وأخف من ريش طائر كبير، قال في وصف قدح:

راشَهُ من ريشِ ناهِضَةٍ ثم أمهَاهُ على حَجَرِهِ(١٢٤)

وقال الداخل بن حرام الهذلي في الريش اللين يزين به قدحه :

دَلَفْتُ لهـا أوَانَئِـذٍ بسهـم حليـفٍ لم تخـوّنْهُ الشّـرُوجُ
عـليـه مـن أبـاهـرَ لَيّـنَـاتٍ يَزِنُّ القِـدْحَ ظُهْـرَانٌ دُمُـوجُ(١٢٥)

الرّطْب والرّطِيب من الريش الناعم :

قال ساعدة بن جؤية :

أجَزْتَ بمخشُوب صَقيل وضَالَةٍ مَبَـاعج ثُـجْر كُلُّهَا أنْتَ شائفُ
كَسَاهَا رطيبُ الرِّيشِ فاعتدلت لها قِداحٌ كأعناق الظّبَاءِ زَفَازِفُ(١٢٦)

وقال طفيل الغنوي :

رَمَتْ عن قِسيٍّ الماسِخيٍّ رِجَالُنَا بأجودَ مايُبْتَاعُ من نبل يثربِ
كساها رطيبَ الريش من كلّ ناهضٍ إلى وكرِهِ وكلّ جَوْنٍ مُقَشّبِ(١٢٧)

عدد الريش على القداح :

أكثر النبل يراش بثلاث ريشات، يقال ريّشْت السهم ثلاثَ ريشات، والمضطر يريش بما وجد وربما راش بواحدة(١٢٨).

قال ذو الإصبع العدواني في النبل ذي الثلاث ريشات :

قَـوَّمَ أَفْـوَاقَـهـا وتـرَّصَـهَـا أنْبَـلُ عَـدْوانَ كُلُّـهـا صَنَـعـا
ثـم كـسـاهـا أحـمَّ أسـودَ فـيـ ـناناً وكـان الثلاثَ والتبـعـا(١٢٩)

وقال أحدهم يصف سهماً جعل عليه ثلاث ريشات :

وخلقته حتى إذا تم واستوَى كمخّة ساق أو كمتن إمام
قرنتُ بِحقويه ثلاثاً فلم تزِغ عن القصد حتى بُصِّرتْ بدِمامِ(١٣٠)

وتراش المراريخ بأربع أو ثلاث أو باثنتين(١٣١).

والجُمّاح بريشتين أو ثلاث(١٣٢).

والمعراض له أربع قذذ دقاق(١٣٣).

مكان الريش :

قال أبو حنيفة: وفي السهم الفوق وعليه عَقَبة تسمّى الأُطْرة وأسفل من الأُطرة الريش وتبلغ الأُطرةُ أطراف الريش وتكاد تبلغ الفوق .

وقال أيضاً: ويدرج على أصل الفوق بين يدي الريش عَقَب يحفظ الفوق كيلا يشقه الوتر ويسمى ذلك: الأُطْرة وتوضيح ذلك أن الفوق وأطرته أسفل من الريش وليس الريش أسفل أطرة الفوق كما جاء في قول أبي حنيفة، ويمكن لأطراف الريش أن تبلغ الفوق وأطرته(١٣٤).

وقال أبو عبيد والأصمعي حَقو السهم موضع الريش، وجمعة حِقَاء وحُقي، وقيل: الحقو مستدقه من مؤخره مما يلي الريش، وفي الأساس وسهم دقيق الحقو وهو مستدقه تحت الريش .

قال أحدهم: يصف سهماً راشه بثلاث ريشات في حقوه:

وخلقته حتى إذا تم واستوَى ... كمخّة ساق أو كمتن إمام

قرنتُ بِحقويه ثلاثاً فلم يزغ ... عن القصد حتى بُصِّرتْ بدِمامِ (١٣٥)

وتحديد موضع الريش من السهم أنه يسبق الفوق، ويسبق عجز أو عجس السهم أو حقوه قال شاعر :

أطرافهنّ مشاقص حجرية ... وعلى تواليهن حشر مَنْكِبُ(١٣٦)

أنواع السهام المريشة المستعملة للصيد وتحديد مسافات سباق الخيل أو الألعاب :

١) **المِرِّيخُ** : وجمعه المراريخ: وهو سهم طويل له أربع قُذذ أو اثنتان يغالى به والذي يغلو به يقال له الغالي، يرمى بالسهم ثم يأخذه من حيث وقع ثم يغلو به إلى الأمام حتى يستوفي عدة سباق الخيل أو المسافة التي تقطعها في الجري، وأقلها ثلاثون غلوة، وهي للجذاع، وأعلى الغلو وأرفعه مئة وهي للقرّح، قال الشمّاخ بن ضرار :

أرقتُ له في القومِ والصُّبْحُ ساطعٌ كما سَطَعَ المِرِّيخُ شَمَّرَهُ الغَالِي

وقال مزاحم العقيلي :

إذا ما الجيادُ الأعْوَجيَّةُ ضَمّها خِفاظٌ وَغَلْوٌ بالمراريخ مُكْمَلُ(١٣٧)

وشبه النابغة الجعدي مرور الفرس بمرور سهم صنعه أو رماه عبادي أعسر تساعد الريح في رفعه :

يَمُرّ كَمِرِّيخ المُغالي انتحت به شمالُ عباديٌ على الريح أعْسَرا(١٣٨)

وقال المرار بن منقذ في سهم الغلو عمله الصانع بأجود الريش :

وكأنا كُلّما نغدُو به نبتغي الصيد بباز منكدر

أو بمريخ على شِريَانَةٍ حَشّه الرَّامي بِظُهرانٍ حُشُرْ(١٣٩)

وأنشد أحدهم في المريخ وبه الريش ووصف الذئب :

فأدبرَ مَلاّزٌ أزلُّ كأنّهُ على الشأوِ مِرِّيخٌ به قَزَعَاتُ(١٤٠)

٢) **المِنْزَعُ** : السهم الذي يُرمَى به أبْعَدَ ما يُقْدَرُ عليه لتُقَدَّرَ به الغَلْوَةُ وهو السهم البعيد المرمَى كالمغالي، قال عبيد بن الأبرص في المنزع ذي الريش :

فهو كالمِنْزَعِ المَريشِ من الشو حط غالت به يمينُ المُغالي(١٤١)

انفرد الربعي في نظام الغريب في تعريف المِنْزَع بأنه السهم الذي يُغالى به وأضاف: وقيل الذي لاريش عليه واستشهد بقول أبي ذؤيب الهذلي :

فرمى ليُنْقِذَ فَرّهَا فهَوَى له سَهْمٌ فأنْفذَ طُرّتيهِ المِنْزَعُ(١٤٢)

٣) **جُمّاح** : سهام يرمي بها الصبيان، والجمع: جماميح، يريش الصبي الجمّاح بريشتين من ريش عقبان الجرذان، ويؤخذ عودها من أدنى شجرة يجدها وأكثرها من الثُمام وبها يتعلم صبيان أهل البادية الرمي أول شيء، وقال آخر في تعريفها: شيء يلعب به الصبيان يأخذون ثلاث ريشات فيربطونها ويجعلون في وسطها تمرة أو عجينا أو قطعة طين فيرمونه بذلك(١٤٣).

٤) **المِعْراضُ** : سهم طويل له أربع قذذ دقاق فإذا رُمِيَ به اعترض وقيل سهم ذو ريش يمضي نحو الرمية عَرْضاً(١٤٤).

٥) **المِلجاب** : هو السهم الذي رِيش ولم يُنْصل بعد، والجمع: الملاجيب، قال أحدهم:

ماذا تقول لأشياخٍ أولي جُرمٍ سودِ الوجوه كأمثال الملاجيب(١٤٥)

حفظ السهام المريشة :

القَرَنُ : بالتحريك: الجَعْبَةُ من جلود تكون مشقوقة في جنبها ثم تخرز وإنما تُشقُ كي تصل الريح إلى الريش فلا يفسد أو يأتكل ريشها.

وفي حديث ابن الأكوع إنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في القوس والقَرَن فقال : صَلّ في القوس واطْرِحِ القَرَن، وإنما أمره بنزعه لأنه كان من جلد غير ذكي ولا مدبوغ .

قال الراجز: (نسب البيت إلى رؤبة بن العجاج):

يــاابن هِـشــام أهلــك الـنـاسَ الـلَّبـن   فَكلُّـهــم يعــدو بقـــوس وَقَـرَنْ(١٤٦)

وقال إبراهيم بن هرمة في مدح الحسن بن زيد :

أمـا بنو هـاشـم حــولي فـقــد نزعـوا   نبل الصِّياب التي جَمّعْتُ في قَرَن(١٤٧)

هوامش البحث

(١) اللسان والتاج (ريش)، ديوان ابن ميادة ١٠٠ (٨).

(٢) ديوان الشنفرَى (عمرو بن مالك) تحقيق د. أميل بديع يعقوب ص ٥٤ (١٢) .

(٣) ديوان أوس بن حجر تحقيق محمد يوسف نجم، ص ٧١ (٤٥).

(٤) ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٢٥ (٦).

(٥) التاج (ريش)، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/ ٣٣٠.

(٦) ديوان عبيد بن الأبرص شرح: أشرف أحمد عدرة ٩٨ (٢٦). مختارات شعراء العرب لابن الشجري ص ٣٨٩ (٣٣) . نسب البيت في نهاية الأرب ٦/ ٢٣٣ للأعشى وهو ليس في ديوانه، وفيه (غالت به يمين المُغالي).

(٧) اللسان والتاج (ريش)، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ٢٨٩.

(٨) شعر الكميت بن زيد تحقيق سلوم ج ١ قسم ١ ص ١٧٧، المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٢٠٥ – ٦.

(٩) التاج (ريش) لايوجد هذا البيت في ديواني ابن هرمة المطبوعين.

(١٠) ديوان الطرماح ٢٤٢ (٦٥) .

(١١) اللسان (ريش) ديوان ذي الرمة ١/ ٥٣٢ (٤٩) .

(١٢) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٧٥٨ ق ٨ (٣).

(١٣) الصحاح (ريش) المخصص ٦/ ٥٦، مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد ١٠٧ (١٢١– ١٢٣).

(١٤) الاشتقاق ١١٨، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٨٩ .

(١٥) شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٢ (٣١).

(١٦) اللسان والتاج (قذذ) المخصص لابن دريد ٦/ ٥٦– ٥٧ انظر في الأبيات تهذيب

اللغة (تقن) ٩/ ٦٠ اللسان (تقن) تهذيبُ إصلاح المنطق ٣٩٤- ٥ بدون نسبة.

(١٧) النبات ٣٥٤، البيت غير موجود في ديوانه المطبوع.

(١٨) اللسان (أذن) تهذيب اللغة (قذذ) ٨/ ٢٧٤ .

وأذنا السهم أيضاً جانبا السنان قال الطرماح يذكر قتيلا :

تَـوَهَّنُ مـنه المَـضْـرحـيَّـةُ بـعـدمـا مَـضَـت فـيـه أذنا بـلـقـعـيٌّ وعـامـلِ

انظر ديوان الطرماح ٣٤٤ (١٢) المعاني الكبير ٢/ ١٠٩٩ وفيه توَهز فيه المضرحية.

(١٩) اللسان والتاج (نهض) العين (عتق) ١/ ١٤٦ النبات ٣٥٥، ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٤٠)، مجموع أشعار العرب ديوان رؤبة ١٠٧ (١٢١- ١٢٣)، ديوان امرئ القيس ١٢٥ (٦)، شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٩ (٤٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة ١٩٥ (٧٣).

(٢٠) شرح ديوان الحماسة ٢/ ٦٣٦ (٣)، ديوان الشنفرَى ٤٠ (١- ٢) وانظر في نفس الأبيات الأغاني ٢١/ ١٩٢ مع اختلاف، ديوان الطرماح ٢٤٢ (٦٦).

(٢١) اللسان والتاج (عقب) النبات ٣٥٦.

(٢٢) النبات ٣٥٦، اللسان (رخم).

(٢٣) أدب الكاتب لابن قتيبة ١٥٣- ١٥٤، انظر اللسان والتاج (بهر) (نكب)، الحيوان للجاحظ ٢/ ٣٥٥ وفيه تقديم وتأخير لترتيب الريش في جناح الطائر.

(٢٤) اللسان (قدم) النبات ٣٥٥، ٣٥٦، مجموع أشعار العرب ١٠٠ (٣١) وفيه رُكِّبت.

(٢٥) ديوان الحطيئة ٣٨- ٤١ (١٦) قال الشارح وللقدَامى عشر من الريش خمس في الجناح الأيمن وخمس في الأيسر وبعدها الخوافي يتلوها عشر إلخ ..

(٢٦) اللسان والتاج (طبع) (هزع) تهذيب إصلاح المنطق ١١٩- ١٢٠.

(٢٧) اللسان (خفا) .

(٢٨) الكامل للمبرد ١/ ٩٦ (١- ٢)، ديوان جميل بثينة ١٤٣ (١- ٢).

(٢٩) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٦٣٦ (٣) .

(٣٠) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٨- ٩ (٤٢- ٤٣).

(٣١) شرح ديوان كعب بن زهير ١٤٧.

(٣٢) اللسان والتاج (نكب) .

(٣٣) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٣٧٨.

(٣٤) ديوان الحطيئة ٣٨ (١٦) مختارات شعراء العرب لابن الشجري ٥٢٩ (١٦) ونسبها في الأساس (نكب) ٦٥٣ للقطامي.

(٣٥) ديوان الراعي النميري ١٤٩ (٥٣).

(٣٦) اللسان والتاج (بهر) وفي كتاب النبات ٣٥٧ الأباهر بين الخوافي والمناكب.

(٣٧) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٦.

(٣٨) الصحاح (ذنب) واعتمد عليه في ذلك اللسان والتاج (ذنب).

(٣٩) النبات ٣٥٥.

(٤٠) انظر في صحة نسبة البيت إلى غير تأبط شراً التاج (لغب)، معجم الشعراء للمرزباني ٤٣- ٤٤.

(٤١) اللسان (ظهر) (بطن) (صمع) التاج (ظهر) النبات ٣٥٧.

(٤٢) ديوان طفيل ٣١ (٥٩).

(٤٣) ديوان الراعي النميري ١٤٩ (٥٣).

(٤٤) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٦ (١٣).

(٤٥) اللسان (بطن) النبات ٣٥٢، ٣٥٧- ٨.

(٤٦) اللسان (دخل) وفيه (من مستطيلات الجناح الدُخّل) المخصص ٦/ ٥٧، النبات ٣٥٢، ٣٥٦- ٣٥٧.

(٤٧) النبات ٣٥٦، شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٦٩ (١٦).

(٤٨) اللسان والتاج (قدح) النهاية في غريب الحديث (قدح) ٤/ ٢٠.

(٤٩) ديوان المفضليات ١٦٨ (٢٦).

(٥٠) تهذيب اللغة (برى) ١٥/ ٢٦٨، جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(٥١) اللسان (نضا) التاج (نضو) المخصص ٦/ ٥٠، النبات ٣٤٣ وفيه فلما قضى.. نهمه، ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٣٨- ٤٠).

(٥٢) ديوان امرئ القيس ١٧٦.

(٥٣) المعاني الكبير ٢/ ١٠٥١- ٢.

(٥٤) اللسان والتاج (قذذ) مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٢٩٥ (٣٩٥٩)، ٣/ ٢٧٢ (٣٨٥٥)، الرجز في تهذيب إصلاح المنطق ٣٩٤- ٥، النبات ٣٩٥.

(٥٥) اللسان والتاج (نجب) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٣٣ (٥).

(٥٦) اللسان والتاج (حرث)، جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(٥٧) اللسان والتاج (مرط) (ملط)، الفائق في غريب الحديث ٣/ ١٦٣ (قحد) شعر أبي كبير في شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٨٥ (٤– ٥) وفي شعر جساس انظر أراجيز المقلين مجلة مجمع اللغة العربية– دمشق– مجلد ٥٧ (جزء ١– ٢) صفحة ١٥٧– ٨ (٥– ٦)، وفي اللسان (سرا) كيف تراهن– السرى المراط وفي شعر المتنخل انظر شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٧٢ (٢٥– ٢٦).

(٥٨) اللسان والتاج (عرض) الفائق في غريب الحديث ٢/ ٤١٣ (عرض) مجمل اللغة لابن فارس (عرض) ٤٧٠ حاشية (٤) عن كتاب العين للخليل بن أحمد وهذا النص لايوجد في كتاب العين المطبوع .

(٥٩) القاموس المحيط (الزُجلة) المعاني الكبير ٢/ ١٠٥١ .

(٦٠) اللسان والتاج (جمح) النبات ٣٧٣، ديوان الحطيئة ٣١٧ (٩).

(٦١) اللسان والتاج (زلم) شعر أبي خراش في شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٣٣ (٧) شعر رُشيد العنزي الأغاني ١٥/ ٢٥٤– ٢٥٥.

(٦٢) اللسان والتاج (كثب) وفي ديوان المفضليات ١٧٣ شرح البيت ٣٩ وإذا كان للسهم ريش ولا نصل له فهو كثاب.

(٦٣) اللسان والتاج (جبأ) المخصص ٦/ ٥٥ جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨ (٢).

(٦٤) كتاب التلخيص ٢/ ٥٣٧.

(٦٥) اللسان (نسل).

(٦٦) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٦٩.

(٦٧) ديوان العجاج ١٥٧– ٨ (١٠٢– ١٠٤).

(٦٨) اللسان والتاج (سبخ).

(٦٩) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٠٦ (٤٩).

(٧٠) اللسان والتاج (قذذ) النبات ٣٦١، ٣٦٦، النهاية في غريب الحديث (قذذ) ٤/ ٢٨.

(٧١) اللسان (نظر) الكامل للمبرد ١/ ٩٦– ٩٧، ديوان جميل بثينة ١٤٣ (١– ٢).

(٧٢) اللسان والتاج (صمع) شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٧٤ (١٠)، ونفس المصدر ص ٢٢ شرح البيت ٣١، والمتصمع: المنضم من الدم أي متلطخ بالدم، وقال آخر: انظر اللسان

(حشر) بدون نسبة.

(٧٣) اللسان والتاج (حشر)، في شعر أمية، انظر ديوان الهذليين ٢/ ١٨٤، خزانة الأدب ٢/ ٤٣٣، وفي شعر ساعدة شرح أشعار الهذليين ٣/ ١١٧٩ (٢٢)، وفي شعر ذي الإصبع انظر ديوان المفضليات ٣١٤ (٨) صخر الغي شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٨٣.

(٧٤) النبات ٣٦٣، ٤، اللسان والتاج (قزع)، ديوان المفضليات ٨٧٥- ٦ (٤٦).

(٧٥) ديوان الطرماح ٥٠٦ (٦٠) المعاني الكبير ٢/ ١٠٥٨- ٩.

(٧٦) النبات ٣٦٥، ٣٧١.

(٧٧) اللسان والتاج (قذذ) النبات ٣٦٦، النوادر في اللغة ٤٢١.

(٧٨) اللسان والتاج (غضف) النبات ٣٦٥، المعاني الكبير ٢/ ١٠٥٢.

(٧٩) التاج (عبر) المخصص ٦/ ٥٧- ٥٨، النبات ٣٦٣.

(٨٠) اللسان والتاج (عصل).

(٨١) النبات ٣٦١، ٣٦٣.

(٨٢) ديوان الطرماح ٢٤٣ (٦٩).

(٨٣) اللسان والتاج (دمج) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٦ (١٣).

(٨٤) النبات ٣٦١.

(٨٥) اللسان (حشش) ديوان المفضليات ١٤٨ (٢٤).

(٨٦) اللسان والتاج (طحر) تهذيب اللغة (طحر) ٤/ ٣٨٢، شرح أشعار الهذليين ١/ ٢٤ (٣٣) ديوان المفضليات ٨٦٩ (٣٢) النبات ٣٤٤، ٣٦٥.

(٨٧) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥١٠ (٦٤) ٤٩١ (٢٣).

(٨٨) شرح ديوان كعب بن زهير ١٨٢، ١٤٧، المعاني الكبير ٢/ ١٠٦٦.

(٨٩) ديوان ذي الرمة ٢/ ٨٠٨ (٤٩).

(٩٠) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٠٧ (٥٥).

(٩١) التاج (قذذ) شرح أشعار الهذليين ١/ ١٣٤ (٢١).

(٩٢) اللسان (روم) (رأم) (غرا) النهاية في غريب الحديث (غرا) ٣/ ٣٦٤، مجمع الأمثال للميداني ٣/ ٢١٩، ١/ ٤٦٧، المستقصى للزمخشري ١/ ١١٦، ديوان ذي الرمة ٣/ ١٧٧٤ (١٢)، طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٦٨، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صفحة ١٦٥

حاشية (٤).

(٩٣) ديوان أوس بن حجر ٧١ (٤٤).

(٩٤) النبات ٣٦٢.

(٩٥) اللسان والتاج (مرط) (ريش) أمالي الزجاجي ١٢٦– ٨.

(٩٦) ديوان رؤبة ٦٠ (٩٧).

(٩٧) ديوان ذي الرمة ٦٦ (٥٣).

(٩٨) اللسان والتاج (سلب) المخصص ٦/ ٥٥، النبات ٢٥٣ وفي اختلاف روايات البيت لمرة بن محكان، انظر: ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٥٦٧ (١٠) مجمل اللغة ومقاييس اللغة والتهذيب (سلب).

(٩٩) اللسان والتاج (كظم) كتاب التلخيص للعسكري ٢/ ٥٣٨.

(١٠٠) اللسان والتاج (ظنب).

(١٠١) التاج (سرع) تهذيب اللغة (سرع) ٢/ ٨٩، النبات ٣٦٦.

(١٠٢) اللسان والتاج (شرج) المخصص ٦/ ٥٥، كتاب التلخيص ٢/ ٥٣٨.

(١٠٣) العين (أطر) مختصر العين (أطر) وقارن ذلك في مادة (أطر) في اللسان والتاج.

(١٠٤) ديوان المفضليات ٣١٤ (٩– ١٠).

(١٠٥) التاج (قعد) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٧٠.

(١٠٦) اللسان والتاج (شرف) ويقال سهم شارف إذا وصف بالعتق والقدم، المخصص ٦/ ٦٨.

(١٠٧) ديوان ذي الرمة ١/ ٥٣٢ (٤٩).

(١٠٨) اللسان والتاج (رمم) القاموس المحيط (رمّه) ٤/ ١٢٢ التكملة لتاج اللغة (رمم) ٦/ ٣٩، النهاية في غريب الحديث (رمم) ٢/ ٢٦٨، ديوان كعب بن زهير ١٨٢– ٣.

(١٠٩) اللسان (لأم) النبات ٣٦٠– ٣٦١، و ٣٥٤– ٥، وفي المخصص ٦/ ٥٧ (قال أبو عبيد: من الريش اللُؤام، وهو ماكان بطن القذة فيه يلي بطن الأخرى وهو أجود مايكون) والصحيح ماكان بطن القذة يلي ظهر الأخرى.

(١١٠) ديوان الشماخ ٣٠٢ (١٨).

(١١١) ديوان أوس بن حجر ٧١ (٤٥) وانظر اللسان (لأم).

(١١٢) اللسان والتاج (لغب) المخصص ٦/ ٥٧، النبات ٣٥٢، ٣٥٤، وجاء في تهذيب

اللغة (لغب) ٨/ ١٣٩، قال أبو عبيد عن الأصمعي: (من الريش اللؤام واللغاب، فاللغاب ماكان بطن القذة يلي ظهر الأخرى، وهو أجود مايكون) والصحيح اللؤام، النهاية في غريب الحديث (لغب) ٤/ ٢٥٦، ديوان بشر بن أبي خازم ٢٥ (٤).

(١١٣) جمهرة اللغة ١/ ٣١٨، مقاييس اللغة (لغب) ٥/ ٢٥٦.

(١١٤) اللسان (نقل) شعر الكميت بن زيد جـ ١ قسم ١ ص ١٠١– ٢ (٤٥).

(١١٥) اللسان والتاج (طحل) النبات ٣٥٩، ٣٥٧.

(١١٦) ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٤٠) النبات ٣٥٥، ٣٦٠.

(١١٧) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٩ (٤٣).

(١١٨) اللسان والتاج (حمم).

(١١٩) ديوان المفضليات ٣١٤ (١٠).

(١٢٠) الكامل للمبرد ١/ ٩٦– ٩٧، ديوان جميل بثينة ١٤٣ (١– ٢).

(١٢١) ديوان المفضليات ٣١٤– ٣١٥ حاشية البيت (١٠).

(١٢٢) اللسان والتاج (سخم).

(١٢٣) النبات ٣٥٥، ديوان أوس بن حجر ٩٠ (٣٩– ٤٠).

(١٢٤) ديوان امرئ القيس ١٢٥ (٦).

(١٢٥) شرح أشعار الهذليين ٢/ ٦١٥– ٦ (١١– ١٣).

(١٢٦) اللسان والتاج (رطب) شرح أشعار الهذليين ٣/ ١١٥٥ (٥– ٦).

(١٢٧) معجم مقاييس اللغة (خر) ٢/ ١٤٩– ١٥٠، المعاني الكبير ١/ ٢٨٤– ٥ أما ديوانه ٣١ (٥٧– ٥٩) فجاء فيه (كسين ظهار الريش).

(١٢٨) اللسان (قذذ) أساس البلاغة (ريش) تهذيب اللغة (قذذ) ٨/ ٢٧٤، النبات ٣٥٥، ٣٦٦، ٣٦٣.

(١٢٩) ديوان المفضليات ٣١٤– ٥ (٩– ١٠).

(١٣٠) جمهرة اللغة (ترر) ١/ ٤٠ معاني الشعر الأشناندانى ٧٤.

(١٣١) النبات ٣٦١، ٣٦٣، أساس البلاغة (مرخ).

(١٣٢) النبات ٣٥٦، العين (جمح) ٣/ ٨٨.

(١٣٣) جمهرة اللغة (رضع) ٢/ ٣٦٣.

(١٣٤) النبات ٣٦٦، ٣٦٣.

(١٣٥) اللسان (حقا) التاج (حقو) تهذيب اللغة (حقي) ٥/ ١٢٥، أساس البلاغة (حقو) النبات ٣٤٧، وفي الأبيات انظر: جمهرة اللغة (ت رر) ١/ ٤٠، معاني الشعر ٧٤.

(١٣٦) النبات ٣٤٨، جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(١٣٧) اللسان والتاج (مرخ) النبات ٣٦٩– ٣٧٠. ديوان الشماخ ٤٥٦ (١١).

(١٣٨) شعر النابغة الجعدي ٤٧ (٥٨) .

(١٣٩) ديوان المفضليات ١٤٨ (٢٣– ٢٤).

(١٤٠) النبات ٣٧٠.

(١٤١) اللسان والتاج (نزع) نهاية الأرب ٦/ ٢٣٣، ونسب البيت في هذه المصادر إلى أعشى قيس وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ٩٨ (٢٦).

(١٤٢) نظام الغريب في اللغة ١٣٧.

(١٤٣) النبات ٣٥٦، العين (جمح) ٣/ ٨٨، وقيل: سهم يجعل على رأسه طين كالبندقة يرمي به الصبيان الطير، انظر: جمهرة اللغة ٢/ ٥٩، ١٥٠، معجم مقاييس اللغة ومجمل اللغة (جمح).

(١٤٤) جمهرة اللغة (رضع) ٢/ ٣٦٣، مقاييس اللغة (عرض) المخصص ٦/ ٦٨.

(١٤٥) اللسان والتاج (الجب) جمهرة اللغة ٣/ ٤٥٨.

(١٤٦) اللسان والصحاح (قرن) المخصص ٦/ ٦٩، النهاية في غريب الحديث (قرن) ٤/ ٥٥، نسب البيت إلى رؤبة بن العجاج في كتاب الصناعتين للعسكري ٣٦٩، والبيت ليس في ديوانه.

(١٤٧) ديوان إبراهيم بن هرمة ٢٣٠ (٢٠) شعر إبراهيم بن هرمة ٢٢٣ (١).

المراجع

١ – أدب الكاتب لابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة– بيروت ١٩٨٥– ط ٢.

٢ – أساس البلاغة للزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، دار صادر ودار بيروت– بيروت ١٩٦٥.

٣ – الاشتقاق لابن دريد محمد بن الحسن، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر– بدون تاريخ.

٤ – الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠– ١٩٧٤.

٥ – أمالي الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة

العربية الحديثة ١٣٨٢هـ– ط١.

٦ – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي محمد مرتضى، وزارة الإعلام الكويت ١٩٦٥– ١٩٩٧ الأجزاء (١– ٢٩).

٧ – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي محمد مرتضى، تحقيق: علي شيري، دار الفكر– بيروت ١٩٩٤ الأجزاء (١٥– ٢٠).

٨ – التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصاغاني الحسن بن محمد، مجموعة من المحققين، مطبعة دار الكتب– القاهرة ١٩٦٧– ١٩٧٧.

٩ – كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري، تحقيق: عزة حسن، دار صادر– بيروت ١٩٩٣– ط ٢.

١٠ – تهذيب إصلاح المنطق للخطيب التبريزي– تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة– بيروت ١٩٨٣– ط ١ .

١١ – تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد، تحقيق: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، تراثنا، بدون تاريخ.

١٢ – جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي محمد بن الحسن، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥هـ .

١٣ – كتاب الحيوان للجاحظ عمرو بن بحر تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨– ١٩٤٥– ط١.

١٤ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر بن عمر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨.

١٥ – ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف ١٩٦٩.

١٦ – ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٦٤، ط ٢.

١٧ – ديوان أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٠ .

١٨ – ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق ١٩٦٠.

١٩ – ديوان جميل بثينة، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي ١٩٩٢، ط١ .

٢٠ – ديوان الحطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه، مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٨، ط١.

٢١ – ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢– ١٩٧٣ .

٢٢ – ديوان الراعي النميري، تحقيق: راينهرت ڤايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٨٠ .

٢٣ – ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

٢٤ – ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، تحقيق: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي ١٩٩١، ط ١.

٢٥ – ديوان الطرماح، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق ١٩٦٨ .

٢٦ – ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب الجديد–بيروت ١٩٦٨، ط ١.

٢٧ – ديوان عبيد بن الأبرص، شرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤، ط ١.

٢٨ – ديوان العجاج، تحقيق: عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت ١٩٧١ .

٢٩ – ديوان المفضليات لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي، شرح: القاسم بن محمد الأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٢٠ .

٣٠ – ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٣١ – السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥٥، ط ٢ .

٣٢ – شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار فراج، كنوز الشعر ٣، مكتبة دار العروبة، مصر، بدون تاريخ .

٣٣ – شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، نشرة: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٧.

٣٤ – شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة ثعلب أحمد بن يحيى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٤ .

٣٥ – شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥ .

٣٦ – شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء الكويت ١٩٦٢ .

٣٧ – شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات

مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩ .

٣٨ – شعر ابن ميادة، جمع وتحقيق: حنا جميل حداد، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨٢ .

٣٩ – شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع: داود سلوم، مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٦٩.

٤٠ – شعر النابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٦٤، ط ١.

٤١ – الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤، ط ٣ .

٤٢ – كتاب الصناعتين الكتابة والشعر للعسكري أبي هلال الحسن ابن عبد الله، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٢، ط١.

٤٣ – طبقات فحول الشعراء للجمحي محمد بن سلام، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة ١٩٧٤ .

٤٤ – العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٨، ط١.

٤٥ – الفائق في غريب الحديث للزمخشري جار الله محمود بن عمر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة بدون تاريخ، ط٢.

٤٦ – القاموس المحيط للفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، دار الفكر، بدون تاريخ.

٤٧ – الكامل للمبرد محمد بن يزيد تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة– بيروت ١٩٨٦، ط١.

٤٨ – لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، بدون تاريخ.

٤٩ – مجمع الأمثال للميداني أحمد بن محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ١٩٨٧، ط ٢.

٥٠ – مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٥، ط ١.

٥١ – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٥٧، جزء ١– ٢، دمشق أبريل– نيسان ١٩٨٢: أراجيز المقلين، محمد يحيى زين الدين، القسم الأول.

٥٢ – مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق: وليم بن الورد البروسي، برلين ١٩٠٣.

٥٣ – مختارات شعراء العرب لابن الشجري، هبة الله بن علي أبو السعادات، تحقيق:

علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢، ط١.

٥٤ – مختصر العين للزبيدي الأندلسي، محمد بن الحسن، تحقيق: نور حامد الشاذلي، عالم الكتب، بيروت ١٩٩٦، ط١ .

٥٥ – المخصص لابن سيده علي بن إسماعيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٦ – المستقصى في أمثال العرب للزمخشري، جار الله محمود بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧، ط٣.

٥٧ – معاني الشعر للأشناندانى، سعيد بن هارون، رواية أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، مطبعة الترقي، مصر ١٩٢٢ .

٥٨ – كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة الدينوري محمد بن عبد الله بن مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤، ط١.

٥٩ – معجم الشعراء للمرزباني محمد بن عمران، تحقيق: عبد الستار فراج، منشورات مكتبة النوري، دمشق بدون تاريخ.

٦٠ – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨١، ط ٣.

٦١ – كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، تحقيق: برنهارد لڤين، الجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس، دار النشر فرانز شتاينر بڤيسبادن ١٩٧٤ .

٦٢ – نظام الغريب في اللغة للربعي الحميري، عيسى بن إبراهيم تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٠، ط ١.

٦٣ – النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت والقاهرة ١٩٨١، ط١.

٦٤ – نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس، تراثنا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر بدون تاريخ .

٦٥ – النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت بدون تاريخ.

الزَّهَرُ اليانع الليّن
في أحكام ولغات كأيِّنْ
عبد الغني السادات (ت ١٢٦٥ هـ)

تحقيق وتقديم

الدكتور عبد الإله نبهان

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي ألّف كتاب العين جامعاً فيه ماستطاع جمعه من اللغة بفصيحها وغريبها مع غزارةٍ في الشواهد وروعة في الترتيب، وتابع اللغويون بعده تأليف معجماتهم المبسوطة والموجزة بترتيبها المتجدد، تلك المعجمات الجامعة لم تمنع اللغويين ولا أصحاب المعاجم أنفسهم من تأليف الرسائل المفردة في اللغة، ولا أشير هنا إلى رسائل المتقدمين كالأصمعي وأبي عبيدة وابن دريد، وإنما أشير إلى المتأخرين كالإمام الصَّغَاني (تـ ٦٥٠ هـ) مؤلف العباب وتكملة الصحاح، فقد اهتم الصغاني بتأليف الرسائل المفردة فكان له رسالة جمع فيها ماورد في اللغة على وزن «يفعول» وأخرى جمع فيها ماورد على وزن «فعالِ»، والأمر نفسه كان لدى النحاة، فبعد أن ألّف إمام النحاة سيبويه كتابه الجامع الذي لم يُضَفْ إليه بعده شيءٌ ذو بال، وتابع النحاة بناء صرح النحو في مؤلفاتهم الجامعة لأصوله وقواعده الكلية والجزئية وعلله ومسائل الخلاف فيه، لم تصرفهم الموسوعات النحوية الشامخة عن تأليف الرسائل المفردة في مسألة

نحوية أو أداة أو إعراب كلمة ما .. فكانت هناك رسالة في (لا) وأخرى في (كذا) وفي (ولا سيما) وفي (كل) وفي (وحده) وفي غير ذلك .. ومن هذه الرسائل وردت متأخرةً رسالة الشيخ السادات في (كأيّن) التي وقعت إلينا مصورّتها مع مصوّرات رسائل نحوية أخرى من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وإنه لمن الواجب هنا أن أتقدّم بخالص الشكر إلى الأخ الأستاذ فيصل عبد السلام الحفيان الذي حرص دائماً على تزويد العاملين في تحقيق التراث بما تصل إليه يده من مصورات لمخطوطات مفيدة ورسائل نافعة.

كأيّن:

(كأيّن) من ألفاظ الكنايات المبنية، وهي لفظ مبهم يحتاج إلى تمييز(١)، وقد وردت (كأيّن) في القرآن الكريم في سبعة مواضع(٢)، وبها قُرئ في السبعة إلا في قراءة ابن كثير فقد قرئت (كائنْ)(٣)، وقرئت في الشواذ (وكأيٍ)(٤)، «بهمزةٍ بعد الكاف ساكنة وياء بعدها مكسورة خفيفة ونون بعدها في وزن كفيٍ». أمّا في الشعر فكثر مجيئها (وكائنْ)(٥).. ونظراً لتعدد لغاتها واختلاف القرّاء في قراءتها فقد تناولها النحاة والمفسّرون وفصّلوا القول فيها، واختلفوا في طبيعتها من حيث كونُها بسيطةً أو مركّبة، ولم يختلفوا اختلافاً جوهرياً في معناها، فأكثرهم نصّ على أنّها بمنزلة (كم) في إفادتها معنى التكثير(٦)، وذهب سيبويه في موضع إلى أنها بمعنى (ربّ)(٧)، ورجّح السيرافي ما ذهب إليه سيبويه من أنّ معنى (كأين) هو معنى (ربّ) مع أنّ النحويين من كوفيين وبصريين كثر تفسيرهم لها بـ(٨) (كم) وهذا الخلاف لا يُبنى عليه كبير فَرْقٍ لأنّ سيبويه قال عن (كم) الخبرية إنّ معناها معنى (رُبّ): «اعلم أن (كم) في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه (رُبّ) لأن المعنى واحد، إلا أنّ (كم) اسم و (ربّ) غير اسم بمنزلة

وأضاف ابن مالك إلى (كأيّن) معنى الاستفهام وردّه أبو حيان(١٠).

أما إعراب (كأيّن) فهو كإعراب (كم) الخبرية، إلا أنها لاتقع مجرورة ولا يكون خبرها مفرداً، وقد وردت في القرآن الكريم في المواضع السبعة في موضع رفع على الابتداء، واحتملت النصب على الاشتغال في موضع واحد في قوله تعالى ﴿فكأيّن من قريةٍ أهلكناها﴾(١١) (٢٢/ ٤٥).

وذهب الخليل إلى أن أصل (كأيّن) هو (أيّ) دخلت عليها كاف التشبيه فصارت وما بعدها بمنزلة شيءٍ واحد، أي إنها أضحت كلمة واحدة، وهذا يعني أنّ دلالة التشبيه خُلعت عن الكاف كما صرح ابن الأنباري(١٢). أما النون فهي تنوين أثبتت كتابته نوناً بعد الكاف، لأن الكلمة غيّرت عن أصلها(١٣)، وكثر تلعّب العرب(١٤) بها، وصار التنوين بمنزلة النون التي من نفس الكلمة.. لهذا كله تبنّى أبو حيان الأندلسي القول ببساطتها، وهو رأي نقله ونسبه إلى بعض أصحابه قال: «وهذا الذي كنت أذهب إليه قبل أن أقف على قول هذا القائل»(١٥)، ورأي أبي حيان وأصحابه رأي جدير بالتبنّي وبالأخذ به ولاسيما أنه لافائدة نحصّلها من القول بالتركيب..

هذا الجدل وذلك الخلاف في (كأيّن) ووزنها وطبيعتها كان موضوع هذه الرسالة التي قمنا بتحقيقها والتعليق عليها، ولاشك في أنّ موضوع (كأيّن) كان قد أثير في مجلس من مجالس العلم آنذاك مما حفز الشيخ عبد الغني السادات على تجريد قلمه وكتابة رسالته. ومن الملاحظ أنه لم يتّسع في إيراد الشواهد، فقد اكتفى بذكر آيتين وردت فيهما (كأيّن) وذكر شاهداً شعرياً واحداً وردت فيه (كائن) ولم يكن الاتّساع في القول من همّه فيما يظهر، بل كان يريد إيجاز القول في (كأيّن) وطبيعتها اعتماداً على أقوال النحاة وكان له ماأراد.

لقد اتجهت إلى تحقيق هذه الرسالة مع تأخر زمن مؤلفها لأني رأيت

في ذلك إحياءً لأثر عالم من علماء العربية لم ينشر من آثاره شيء فيما أعلم، كما أنها تصوّر ضرباً من ضروب النشاط العلميّ في بلاد الشام في العصر العثماني. ولم أدّخر جهداً في توضيح معالم الرسالة، وردّ النقول والآراء إلى مصادرها ماوسعني ذلك، إضافةً إلى إيراد تعليقات وآراء مستمدّة من مصادر لم تكن بين يدي مؤلف الرسالة.

المؤلف[١٦]:

هو الشيخ عبد الغني بن شاكر بن محمد السادات، ولد في حدود سنة ١٢٠٠هـ، أخذ عن مشايخ دمشق وعلى رأسهم الشيخ حسن بن إبراهيم البيطار[١٧]، وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري[١٨]، والشيخ حامد العطار[١٩]، والشيخ عبد الرحمن الكردي[٢٠]، والشيخ صالح القزاز[٢١]، ويبدو لي أنه عمل في التدريس أولاً ثم انتقل إلى العمل في وكالة الدعاوى لدى المحاكم الشرعية، فقد ذكر الشيخ عبد الرزاق البيطار أنّ السادات «انتفع وحقق واجتهد ودقق ونوّع الأسباب في إفادة الطلاب» ونصّ الشطّيّ على أنه كان يتعاطى وكالة الدعاوى. وربما كان يجمع بين العملين.

ليس لدينا ثبت تام بآثار السادات، فقد ذكر الشطّي أن للسادات مؤلفاتٍ عديدةً أكثرها متفرق، ومنها: «الدرّ اليتيم في حكم مال اليتيم» وله: «جمع اللآلئ في الشبك في حكم الحائط المشترك» و «نشر الخزام في المحاماة عن تكفير أهل الإسلام» و «سناء النيّرين في إعجاز الآية والآيتين».

وذكر له الزركلي كتاباً في (الفتاوى) وأشار البيطار إلى أن له «تقييدات لطيفة ورسائل شريفة» ولا أعلم له أثراً مطبوعاً. وقد ذكر الشيخ البيطار شيئاً من نظمه ونموذجاً من نثره.

توفي الشيخ عبد الغني سنة خمس وستين ومئتين وألف ودفن في

مقبرة الدحداح بدمشق.

وصف النسخة :

المخطوط مصور من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وهو مصور في الأصل عن الأصل المحفوظ في الظاهرية بدمشق برقم ٩٢٩٦ وقد وُصِف المخطوط في فهرس مخطوطات المعهد (النحو) بما يلي:

«الثمر اليانع الليّن في أحكام ولغات كأيّن» لعبد الغني بن شاكر بن محمد السادات الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ.

نسخة كتبت بقلم تعليق، وبها نظام التعقيبة وهي ضمن مجموع من ١٦٢– ١٦٥، ٤ ورقات– ١٧س.

قلت: وقد أُثبت عنوان الرسالة على صفحة مستقلة في أولها مع نسبتها إلى مؤلفها. ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. وقد آثرت وسمها بـ «الزهر اليانع اللين» لأنّ مؤلفها نص على ذلك في مقدمته لها، وهذا أثبت وأقوى مما جاء على الصفحة الأولى صفحة العنوان .

حواشي المقدمة

(١) انظر شرح الكافية ٣: ١٤٩.

(٢) في آل عمران ٣: ١٤٦ ويوسف ١٢: ١٠٥ والحج ٢٢: ٤٥، ٤٨ والعنكبوت ٢٩: ٦٠ ومحمد ٤٧: ١٣ والطلاق ٦٥: ٨.

(٣) كتاب السبعة: ٢١٦.

(٤) المحتسب ١: ١٧٠.

(٥) أشار إلى ذلك أبو علي الفارسي في الحجة ٣: ٨٠ وذكر ثلاثة شواهد.

(٦) قال ابن يعيش في شرح المفصل ٤: ١٣٤: أعلم أن (كأيّن) اسم معناه معنى كم يكثر به عدة مايضاف إليه.

(٧) كتاب سيبويه ١: ٢٩٨.

(٨) السيرافي على هامش سيبويه ١: ٢٩٨.

(٩) كتاب سيبويه ١: ٢٩١.

(١٠) ارتشاف الضرب ١: ٣٨٧.

(١١) الحج ٢٢: ٤٥.

(١٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١: ٢٢٤.

(١٣) الموضع السابق.

(١٤) المحتسب ١: ١٧٠.

(١٥) الارتشاف ١: ٣٨٥.

(١٦) ترجمة المؤلف في حلية البشر ٢: ٨٦٤ وعنه: روض البشر للشطي ١٥٠، والأعلام ٤: ١٥٩. وعنه: منتخبات التواريخ ٦٧٠.

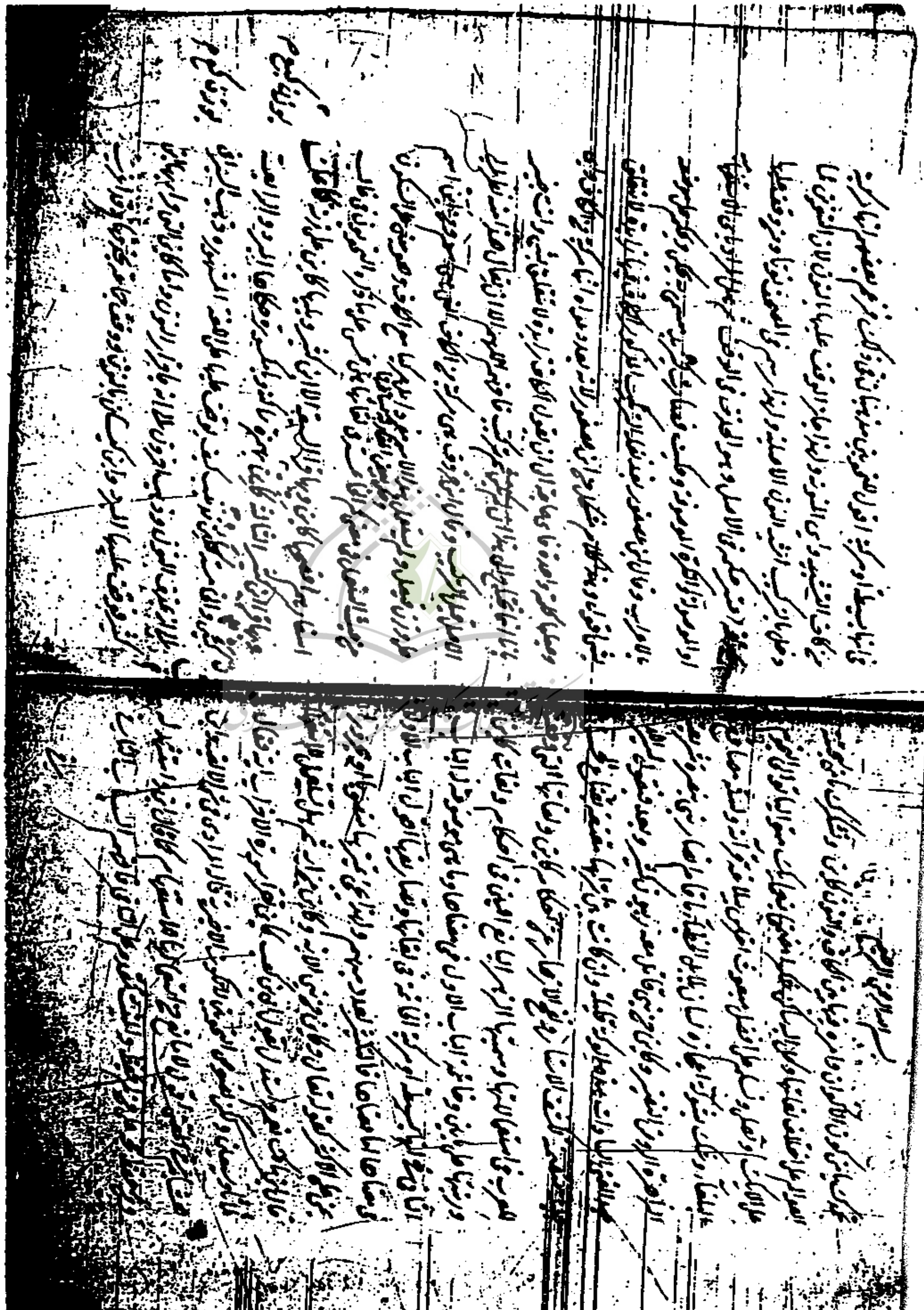
(١٧) حسن بن إبراهيم البيطار ١٢٠٦ – ١٢٧٢ هـ. حلية البشر ١: ٤٦٣.

(١٨) عبد الرحمن الكزبري ١١٨٤ – ١٢٦٢ هـ محدّث الديار الشامية. حلية البشر ٢: ٨٣٣.

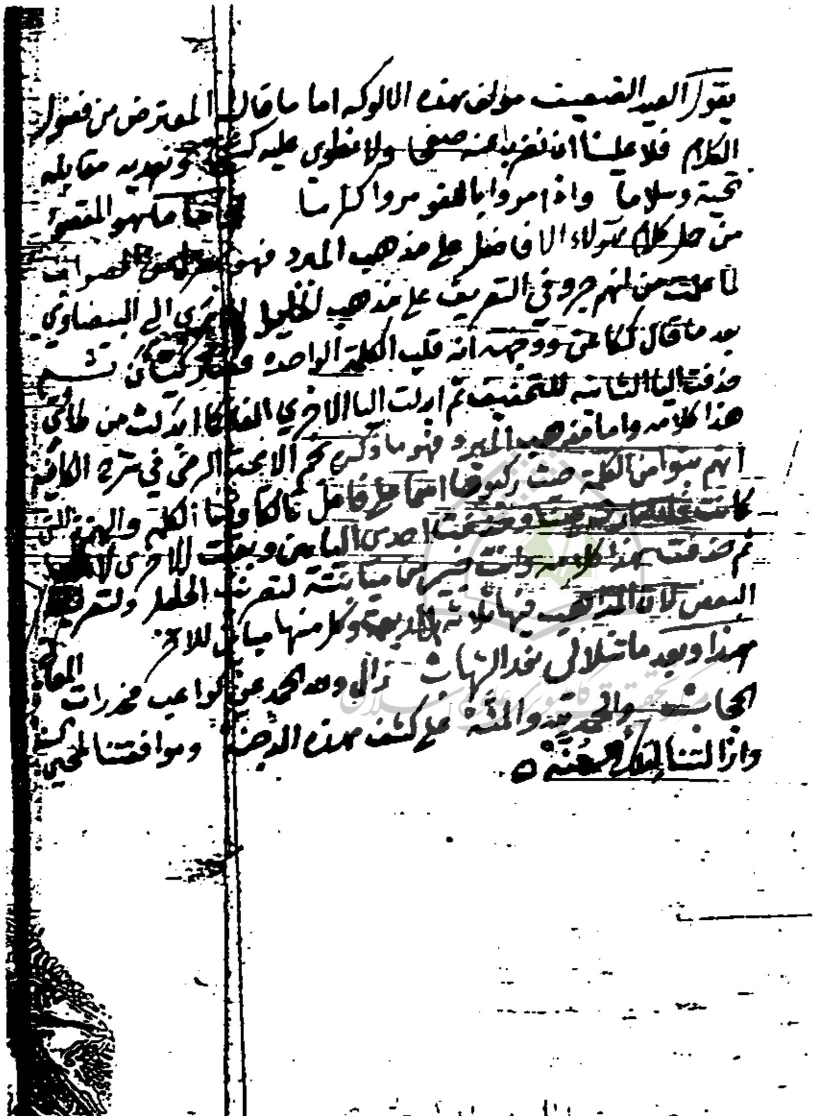
(١٩) حامد العطار ت ١٢٦٢ هـ. حلية البشر ١: ٤٦٢.

(٢٠) عبد الرحمن الكردي. توفي بعد ١٢٥٠ هـ كان من المتصوفة أصحاب الأسفار. توفي في الشام. حلية البشر ٢: ٨٣٩

(٢١) صالح القزاز وهو أيضاً من شيوخ حسن البيطار. توفي بدمشق سنة ١٢٤٠ هـ. حلية البشر ٢: ٧١٧



صورة الورقة الأولى



يقول العبد الضعيف مؤلف هذه الالوكة اما ما قاله المعترض من فضول
الكلام فلا علينا ان نضرب عنه صفحا ولا نطوي عليه كشحا ونهدي به مقابله
تحية وسلاما واذا مروا باللغو مروا كراما واما ما هو المقصود
من حل كلام مولانا الفاضل على مذهب المبرد فهو [illegible]
لا [illegible] حروف التعريف على مذهب للخليل [illegible] الى البيضاوي
بعد ما قال كما حق ووجهه انه قلب الكلمة الواحدة [illegible] ثم
حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ادرجت الياء الاخرى [illegible] من ملاقي
[illegible] واما مذهب المبرد فهو ما ذكره نجم الائمة الرضي في شرح الكافية
[illegible]
ثم حذفت [illegible] وبقيت للاخرى [illegible]
[illegible] لتمييز الحلل [illegible]
هذا وبعد ما [illegible] للاخر
[illegible] والحمد [illegible] محذرات المعاني
وازالتنا [illegible] عن كشف هذه الدجنة وموافقتنا الحق

صورة اللوحة الأخيرة

[١٦٣ق] **بسم الله الرحمن الرحيم**

نَحْمَدُكَ يامَنْ كوّنَ الأكوانَ وأمرُه فيها بين الكافِ والنون كائن، ونشكرك يامَنْ سَبَّحته العوالم على اختلاف لغاتها وكلّ إليه ساكنْ، شكراً مضمّخاً بنعمائك متوالياً تواليَ النجوم على آلائك.

ونصلّي ونسلّم على أفضل مبعوث أخرسَ ببلاغةِ قرآنه ولَسَنِه مصاقعَ البلغاء، وشكَّ بشوكةِ إعجازه لسانَ بلابلِ الخطباء، ما قام أنصارُ نبيٍّ بنُصرةِ شريعته الزاهرةِ الروض النضير ﴿وكائِنْ مِنْ نَبيٍّ قاتلَ معه رِبِّيُّون كثيرٌ﴾(١)، وبعد:

فيقول - يسّر الله -(٢)، عبد الغني السادات(٣): هذه ألوكةٌ(٤) قليلةٌ، وإنْ كانتْ بين أترابِها مقنّعةً بِقِنَاعِ الحُسْنِ جليلةٌ، متضمنةً لكشْفِ الأستار ونفحِ الأزهار، عن أحكام (كأين) ولغاتِها التي وقعتْ للعربِ في استعمالاتها، وسمّيتُها: (الزّهر اليانع الليِّنْ في أحكام ولغات كأيّن) ورتبتُها على بابين وخاتمة:

الباب الأول: في معناها وماهي موضوعةٌ له.

الباب الثاني: في أنها بسيطةٌ أو مركبّة.

الخاتمة: في لغاتها وتصاريفها.

[الباب الأول]:

أقول: الباب الأول في معناها: أما معناها فالتكثيرُ بعددٍ مبهم، ولهذا يجيءُ تمييزُها منصوباً أو مجروراً بـ (مِنْ) على الأكثر كقوله تعالى:

﴿وكأيِّنْ مِنْ نبيٍّ﴾(٥)، الآية .. و ﴿وكأيِّنْ مِنْ آيةٍ﴾(٦)، ثم هل تستعمل للاستفهام؟ قال ابنُ مالك(٧): نعم، واستدلَّ بقولِ أبيِّ بن كعب(٨): «كأيِّنْ تقرأُ سورةَ الأحزابِ آيةً؟ فقال: ثلاثاً وسبعين»(٩)، ولكنْ [في]

نصوصِ النحويين لا تكونُ إلا خبريّةً[١٠]. قاله المراديُّ[١١]، في «شرح الألفية»[١٢]، وابن هشام[١٣]، في «المغني»[١٤]..

أقول: لا مانعَ من استعمالهاللاستفهام كما قال ابنُ مالك[١٥]، واستشهدَ له، ومَنْ حفظَ حُجّةٌ على مَنْ لم يحفظْ، والمُثْبِتُ مقدَّمٌ على النَّافي، فافهم.

[الباب الثاني]:

في أنها بسيطة أو مركّبة:

أقول[١٦]: للنحويينَ مذهبان في ذلك، فزعم بعضهم أنَّها مركّبة من كاف التشبيه و (أيّ) المنوّنة، ولهذا جاز الوقف عليها بالنون، لأن التنوين لمَّا دخلَ بالتركيب أشبه النونَ الأصلية ولهذا رسم في المصحف نوناً.

ومَنْ وقف عليها بحذفه اعتبر حكمه في الأصل وهو الحذفُ في الوقف[١٧]. ثم هل المرادُ بـ (أي) الاستفهاميةُ أو الموصولة أو النكرة الموصوفة وحكيت فصارت كـ «يزيد»[١٨]، مسمىً به يُحكى ويُحكم على موضعه بالإعراب؟ وقال ابن عصفور[١٩]، بعد نقله التركيب المذكور: الكاف فيها زائدة لا تتعلّق بشيء[٢٠].أقول: وهذا كلامٌ مشكل من ابن عصفور لأنه بعدَ دعواه أنها مركّبة من الكاف وأيّ جعلها[٢١]، كلمةً واحدة، فأيّ حاجةٍ إلى أن يقول: الكافُ زائدةٌ لا تتعلّق بشيء، وأنت خبيرٌ بأنّها إنما تحتاج إلى هذا إنْ لم يكنْ ثمَّ تركيب. فافهم، اللهمَّ إلا أن يقال: هذا منه نظرٌ إلى الأصل قبل التركيب.

وقال ابن خروف[٢٢]: هي مركّبةٌ من الكاف التي هي اسمٌ ومن (أيّنْ) اسم على وزن فَيْعِلْ، ولم يستعمل هذا الاسم مفرداً بل مركّباً مع الكاف وهو مبنيّ على السكون من حيث استعمل في معنى (كم) وحكى بعضُ

المغاربة بساطتَها[٢٣].

الخاتمة:

في لغاتها، هي خمس على ماذكره النحويون[٢٤]، في غالب أسفارهم، أفصحها «كأيِّن» وبها قرأ السبعة[٢٥]، إلا ابنَ كثير، ويليها (كائنْ) على زنة فاعل وبها قرأ ابن كثير[٢٦]، الثالثة (كأْيِن) بهمزةٍ ساكنة وياء مكسورة[٢٧]، حكاها المبرّد[٢٨]، والرابعة (كَيْئِن) بوزن كيعٍ والخامسة (كئِنْ) بوزن كعٍ.

ترتيب كيف يُوقَفُ عليها؟:

على اللغة المشهورة ذهب السيرافي[٢٩]، إلى أنّه بحذف النون[٣٠]، وذهب آخرون إلى أنه بإقرار النون[٣١]. وأما (كائن) التي قرأ بها ابن كثير فوقف عليها المبرّد وابن كيسان[٣٢] بالنون، ووقف جماعة بحذفها[٣٣]، وقد أغربَ [ق ١٦٤] كلّ الإعراب مَن جعلها اسم فاعل من (كان)[٣٤]، أو من (كاءَ) إذا رجع وارتدع قاله المرادي[٣٥].

تصريف:

وأما لغاتها الأربع[٣٦]، وإرجاعها إلى أصلها وهو (كأيّن) فأقول[٣٧]: أما اللغة الثانية وهي [٣٨]، (كائِنْ) فقد قال شيخي زاده[٣٩]، عند قول البيضاوي[٤٠]: وقرأ ابن كثير: (وكائِنْ)[٤١]: كائِنْ بألف ساكنة بين الكاف والهمزة التي بعدها نون ساكنة على وزن كاعِن، وقرأ الباقون (كأيِّنْ) بياء مشدّدة وهي لغة قريش[٤٢]، ومن اللغة الأولى قول جرير[٤٣]: [الوافر]

وكائِنْ بالأَبَاطحِ مِنْ صَديقٍ ... تراهُ إنْ أصبت هو المُصابا[٤٤]

قيل: هذه اللغة أصلها (كأيِّن) المركب من كاف التشبيه و (أي) الاستفهامية، فلمّا صارتا كلمةً واحدةً بالتركيب دخلَها قلبُ المكان، فإنّ

قلب المكان لم يُعهد في كلمتين، فقدّمت الياء المشددة على الهمزة فصارت (كَيِّئِنْ) على وزن كَعلِف لأنه قُدّمت العين واللام معاً ثم حُذفت الياء الثانية لثقلها بالحركة والتضعيف كما قالوا في (أيّهما): (أيْهما)[٤٥]، ثم قلبت الياء الباقية ألفاً كما قلبت في (آية) إذ أصلها أيّة[٤٦]، انتهى.

وقال الصبّان[٤٧]، عند قول الأشموني[٤٨]، وكائنْ على وزن كاعن[٤٩]، وبها قرأ ابن كثير. قوله[٥٠] ،ويليها (كائن) قال الخليل[٥١]: الياء الساكنة من (أي) قدّمت على الهمزة وحرّكت بحركتها لوقوعها موقعها، وسكنت الهمزة لوقوعها موقع الياء الساكنة ثم قُلبت الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان الألف والهمزة فكُسرت الهمزة لالتقاء[٥٢] الساكنين، وبقيت الياء الآخرة[٥٣] ، بعد كسرة فأذهبها[٥٤]، التنوين بعد زوال حركتها كالمنقوص (شمنّي)[٥٥].

أقول: الفرق بين ماذكره الخليل وبين ماذكره شيخي زاده بيّنٌ، ولكن يمكن أنْ لا يكون / ثمةَ قلبُ مكان بأنْ سُهّلت الهمزة بأنْ قلبت ألفاً فالتقى ساكنان فحذفت الياء الأولى لالتقائهما ثم قلبت الياء الباقية همزة فصار (كأيِن) على وزن كعْلٍ، وهاهنا بحثٌ وهو أنه قد اعترض بعض أفاضل العصر على قول البيضاوي وشيخي زاده وبقية ماتقدّم: «وقرأ ابن كثير (كائِن) على وزن (كاعن)» بما حاصله أنكم حيث قلتم إنّ أصلها كأيّن فَقُدمت ياءاها اللتان[٥٦]، إحداهما عين والأخرى لام على فائها فصار وزنها (كَعْلَف) ثم لما حذفت الياء الساكنة لثقلها كما تقدّم ثم قلبت الياء الساكنة التي هي عين ألفاً فصارت كائن فينبغي أن يكون وزنها (كعف) لأن الكاف زائدة بناءً على أنها مركبة، وبقي من الأصول الألف التي هي بحسب الأصل عين فينبغي أن تقابل بالعين فيصير وزنها (كعف) كما ذكرنا وكذلك على قول الخليل الذي نقله عنه الصبّان لأن فيه قلْبَ مكان وهو نقل إحدى

الياءين التي هي عين الكلمة على الفاء ثم قلبها ألفاً وحذف الياء الأخرى على ماتقدّم لأن الفرْق بين التصريفين نقل الياء المشدّدة المحتوية على العين واللام برمّتها وهو الذي نقله شيخي زاده، أو نقْل إحدى الياءين التي هي عين على قول الخليل، وعلى كلٍّ فالمحذوف منها لام الكلمة فالباقي من أصول الكلمة العين المتقدّمة والفاء بعدها، فعلى كلٍّ وزنها كَعْف كما ذكرنا.

وأمّا قول شيخي زاده والأشْموني ومَنْ تقدّم: كائِن على وزن كاعن فهو من سهو القلم وكثيراً مايُقيله(٥٧)، الساهون الساهين. وأقول: لم يقصدوا بأن وزنها (كاعن) بعد الإعلال المذكور، بل (كائن) على زنة (كاعِن) من حيث الزّنةُ اللفظية لأنهم ذكروها بعد (كائِن) وهما [١٦٥ ق] اسمهما واحد، فلو قالوا: «كَعْف» لما حصل وضوح بيّن ولالتبس ولو من جهة اللفظ، ولم يقصدوا بقولهم «كاعن» الوزنَ التصريفيّ وهو المقابلة بالفاء والعين واللام ليعرفوا به المحذوف من الكلمة ومن تقديم العين على الفاء، بدليل أنّهم ذكروا ذلك عقيب كائِن قبل الإعلال المذكور، ألا ترى إلى قول شيخي زاده بعد ذلك بأسطر: قيل: هذه اللغة أصلها (كأيّن) المركبة من الكاف و (أي) فلما صارا كلمةً واحدةً بالتركيب دخلها قلب المكان فقدّمت الياء المشدّدة في (كأيّن) على الهمزة فصار (كيّأن) على وزن (كعلّف)، فانظره بعد التصريف كيف وزنها بالوزن المعهود الصرفيّ. نعم لو قال بعد قوله هنا: حذفت الياء لثقلها ثم قلبت الياء الساكنة ألفاً فصار (كائِن) على وزن كاعن لكان كلامه معترضاً بقوله:«[فصار كيأن على وزن كعلف.. إلخ» فيه خطأ بيّن كما لايخفى بأدنى تأمل](٥٨) ،فافهم.

وهاهنا وقف بنا جواد المقال عن طراز هذه البرود البيانية، وقطع القلم بروده المحبّرة المسكيّة اليمانية، وذلك في نحو ساعة زمانية على سبيل العجالة، فالمرجوّ ممن يقف عليها التأمل بعين البصيرة، وأن يعطي النظر فيها مجالَه.

ثم رأيت بعد أيّامٍ قلائل من تأليف هذه الألوكة الشهاب الخفاجيّ[٥٩] - طيّب الله ثراه، وجعل من الرحيق المختوم شذاه - في «حاشيته على البيضاوي» عندما تكلم على قوله تعالى ﴿وكأيّن﴾ وقوله أي البيضاوي: (كـ كاعن) جرياً على معتادهم في إبدال الهمزة في الموازِن بالعين لتخفيفها لفظاً وخطّاً كما سموه في الصرف، هذا كلامه[٦٠]. وأنت خبيرٌ بأن حاصله قصد الموازنة اللفظية، وكان الظاهر أن يقول: كـ (كائن) على صيغة اسم الفاعل لفظاً، ولكن قال: كـ كاعن لهذه القاعدة التي ذكرها، فكان إذن الظاهر ما قاله، ولا يقال: إنه تحصيل الحاصل لما قلنا من رجوعه إلى (كأيّن) وليس اسم فاعل حقيقةً، فاتّضح لك بعد كشف لثام الخفا والنّهل من بحر الصّفا، أنّ قول البيضاوي في هذا المحل: كـ (كاعن) أحسن من قوله: كـ كائن للقاعدة، وفيه محسّن آخر وهو البعد عن تشبيه الشيء بنفسه لفظاً.

ثم رأيت أيضاً في «شرح المفصل»[٦١]، للزمخشري[٦٢]،حيث قال: وفيها خمس لغات: كأيٍّ وكائن بوزن كاعٍ وكيءٍ بوزن كيعٍ وكأيٍ بوزن كعيٍ وكأٍ بوزن كعٍ. انتهى. فهذا صريح فيما قلنا.

[ردّ على المؤلف]:

قوله: وأقول: لم يقصدوا ... إلخ .. أقول : ماذكره الكامل الفاضل الأديب والمبدع البارع اللبيب من حاصل جوابه عما وقع في البيضاوي وعدّةٍ من كتب الأعاريب ليس بشيء، لأنّ جميع أدلّته وهمية وما هي إلا تعلّقات سفسطية والقول بها مما تمجّه الطباع وتأباه الأسماع[٦٣]، ولا يقبله عقل ولا يعضده نَقْل، وكلّ ذلك أمرٌ وهْم لا ينبغي التعويل عليه ولا الميل إليه لا سيما لحمل عبارة هؤلاء الأفاضل فإنها محررة عذبة المناهل، ولكنّ الذي ينبغي أن تُحمل عليه عباراتهم وتمهد به إشاراتهم إنما هو الحمل على مذهب المبرّد حيث قال: إنّهم بنوا من الكلمتين لما ركّبوهما صيغة فاعل،

فالكاف فاء الكلمة، والهمزة التي كانت فاء صارت عيناً وحذفت إحدى الياءين وبقيت الأخرى لاماً ثم حذفت. انتهى. شُمُنّي.

وإن أراد السؤال عن تمثيلهم بـ كاعن دون فاعن وعن إثبات تنوين الزّنة في الخط مع عدم العلة لذلك فليس هذا محلّه لأنّ كلامنا هنا على وجه الاختصار ولذلك لم نتكلّم إلاّ على المحلّ المقصود بالذات وإذا أردنا أن نتكلّم على تلك السطور على وجه الانحصار فلا يسعنا هذا المقام ونحتاج إلى كلامٍ ليس له نهاية وبهذا القدر كفاية. انتهى.

[ردّ المؤلف على المعترض]:

يقول العبد الضعيف مؤلف هذه الألوكة:

أما ما قاله المعترض من فضول الكلام فلا علينا أن نضرب عنه صفحا، ولا نطوي عليه كَشْحا، ونهديه مقابله: تحية وسلاما ﴿وإذا مرّوا باللَّغوِ مرّوا كِراما﴾(٦٤).

أما ما هو المقصود من حمل كلام هؤلاء االأفاضل على مذهب المبرد فهو بمعزلٍ عن الصواب لما علمت من أنهم جروا في التعريف على مذهب الخليل، ألا ترى إلى البيضاوي بعدما قال كـ (كاعن) ووجهه أنّه قلب الكلمة الواحدة فصار (كيّأن) ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى ألفاً كما أبدلت من طائيّ. هذا كلامه. وأما مذهب المبرّد فهو ماذكره نجم الأئمة الرضيّ(٦٥)،في «شرح الكافية»(٦٦)، أنهم بنوا من الكلمة حيث ركّبوها(٦٧) ، اسماً على فاعل، فالكاف فاء الكلمة، والهمزة التي كانت فاءً(٦٨)، صارت عيناً وحذفت إحدى الياءين وبقيت الأخرى لاماً ثم حُذفت(٦٩). هذا كلامه وأنت خبير من مباينته لتصريف الخليل ولتصريف

البعض لأن المذاهب فيها ثلاثة بل أربعة وكلٌّ منها مباينٌ للآخر.

هذا وبعدما تلألأ نور الشهاب، زال ـ والحمد لله ـ عن كواعبَ مخدرات المعاني الحجاب، والحمدُ لله والمِنّة على كشف هذه الدُّجُنَّة وموافقتنا لمحيي السنّة، وإزالتنا لتلك الهنّة(٧٠).

الإحالات

(١) آل عمران ٣: ١٤٦ وهي بتمامها: ﴿وكأيّن من نبيٍّ قاتل معه ربّيون كثيرٌ فما وهَنوا لِما أصابهم في سبيل الله وماضعُفُوا وما استكانوا والله يحبّ الصابرين﴾ والرِّبّيّون مفردها: رِبِّيّ وهو العالم الراسخ في علوم الدين. معجم ألفاظ القرآن ١: ٤٦٧.

(٢) عبارة تقرأ: أسير الله كما يمكن أن تقرأ: يسّر الله ...

(٣) تقدّمت ترجمته في المقدمة.

(٤) الألوكة: الرسالة.

(٥) آل عمران ٣: ١٤٦ وذكرت بتمامها في الحاشية رقم (١).

(٦) يوسف ١٢: ١٠٥ وهي بتمامها: ﴿وكأيّن من آية في السماوات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون﴾.

(٧) ابن مالك: جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني الشافعي النحوي نزيل دمشق (٦٠٠ هـ ـ ٦٧٢ هـ). ومؤلف الرسالة ينقل هنا عن شرح التسهيل لابن مالك.

(٨) أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار من الخزرج. صحابيّ جليل، شهد العقبة وبدراً. كتب لرسول الله ﷺ. قيل: إنه مات في خلافة عمر سنة اثنتين وعشرين للهجرة انظر تهذيب التهذيب ١: ١٨٨.

(٩) ذكر ابن مالك في كتابه «تسهيل الفوائد» أن (كأين قد يستفهم بها) قال: (معنى (كأين) و (كذا) كمعنى (كم) الخبرية، ويقتضيان مميزاً منصوباً والأكثر جرّه بـ (من) بعد (كأيّن)، وتنفرد من كذا بلزوم التصدير وأنها قد يُستفهم بها ويقال: كيْءٍ وكآءٍ وكاءٍ وكأيٍ) ص: ١٢٥ وقال في كتابه شرح التسهيل ٢: ٤٢٣:

وانفردت كأيّن أيضاً بأنها قد يستفهم بها كقول أبي بن كعب رضي الله عنه لعبد الله: «كأيّنْ تقرأ سورة الأحزاب أو كأيّن تعدّ سورة الأحزاب؟ فقال عبد الله: ثلاثاً وتسعين.

فقال أبيّ: قطّ» أراد ما كانت كذا قط.

والحديث المشار إليه ورد في مسند أحمد ٥: ١٣٢: عن زرٍّ قال: قال لي أبيّ بن كعب: كأيّن تقرأ سورة الأحزاب أو كأيّن تعدّها؟ قال: قلت له: ثلاثاً وسبعين آية فقال: قطُّ، لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عليم حكيم.

انظر: إعراب الحديث للعكبري ٥١ ـ ٥٢ وفتح القدير للشوكاني ٤: ٢٥١ وشرح الكافية ٣: ١٥٢ والمساعد ٢: ١١٧ ومغني اللبيب ١: ٢٤٦.

(١٠) قال أبو حيان في ارتشاف الضرب ١: ٣٨٧: ونصوص من وقفنا على كلامه من النحويين أنّ (كأيّنْ) لا تكون إلا خبرية، وزعم ابن مالك أنها قد يستفهم بها، واستدلّ بأثرٍ جاء عن (أبيّ) على عادته في إثبات القواعد النحوية بما روي في الحديث وفي الآثار مما نقله الأعاجم الذين يلحنون، ومما لم يتعيّن أنه من لفظ الرسول ﷺ ولا من لفظ الصحابيّ، فيكون حجّة إذ أجازوا النقل بالمعنى.

(١١) المرادي: الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المُرادي وهو المعروف بابن أم قاسم كان مدرّساً في جامع مصر العتيق. توفي سنة ٧٤٩هـ انظر بغية الوعاة ١: ٥١٧ ـ مقدمة محققي الجنى الداني: ١٠.

(١٢) جاء في كشف الظنون: ومن الشروح المشهورة شرح الشيخ شمس الدين حسن ابن القاسم المرادي ... قلت: وقد طبع شرحه للألفية بمصر بعنوان توضيح المقاصد والمسالك في شرح ألفية ابن مالك.

(١٣) ابن هشام: عبد الله بن يوسف الأنصاري جمال الدين الحنبلي (٧٠٨ هـ ـ ٧٦١ هـ) البغية ٢: ٦٨.

(١٤) قال في مغني اللبيب ١: ٢٤٦: وتوافق «كأيٍّ» «كم» في خمسة أمور: الإبهام، الافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير، وإفادة التكثير تارةً وهو الغالب نحو ﴿وكأيٍّ من نبيٍّ قاتل معه رِبّيّون كثير﴾ والاستفهام أخرى وهو نادر، ولم يثبته إلا ابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك، واستدل عليه بقول أبيّ بن كعب لابن مسعود رضي الله عنهما « كأيٍّ تقرأ سورة الأحزاب آيةً؟ فقال: ثلاثاً وسبعين.»

(١٥) سقطت كلمة (مالك) من الأصل.

(١٦) النقل هنا من مغني اللبيب ١: ٢٤٦.

(١٧) انتهى النقل من المغني والتلخيص التالي من الارتشاف ١: ٣٨٥ ومابعدها.

(١٨) نص الارتشاف ١: ٣٨٥: وأمّا (كأيّنْ) فزعموا أنها مركّبة من كاف التشبيه ومن (أيّ) قيل: الاستفهامية، وحكيت فصارت كـ (يزيد) مسمىً به، يحكى ويُحكم على موضعه بالإعراب.

(١٩) ابن عصفور ٥٩٧ ـ ٦٦٩ هـ: علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي،أبو الحسن. ولد بإشبيلية وتوفي بتونس. وهو صاحب المقرّب والممتع وشرح الجمل ...

(٢٠) نُسب هذا الرأي إلى ابن عصفور في الارتشاف ١: ٣٨٥.

(٢١) في الأصل (وجعلها) والواو زائدة مقحمة كما هو ظاهر.

(٢٢) ابن خروف النحوي ٥٢٤ ـ ٦٠٩ هـ علي بن محمد بن عليّ بن محمد الحضرمي، أبو الحسن توفي بإشبيلية وهو من أهلها. وله شرح على سيبويه وشرح على الجمل للزجاجي. ورأي ابن خروف منقول بنصّه من الارتشاف ١: ٣٨٥.

(٢٣) عبارة أبي حيان في الارتشاف: (قال بعض أصحابنا: ويحتمل أن تكون بسيطة انتهى. وهذا الذي كنت أذهب إليه قبل أن أقف على قول هذا القائل) ١: ٣٨٥.

(٢٤) انظر على سبيل المثال: شرح المفصّل ٤: ١٣٤، ١٣٥ ـ وشرح الكافية ٣: ١٥١، ١٥٢ وتسهيل الفوائد: ١٢٥ ـ ارتشاف الضرب ١: ٣٨٨ والبحر المحيط ٣: ٧٢ والمحتسب ١: ١٧١.

(٢٥) السبعة هم القراء الذين رويت عنهم القراءات السبع وهم:

١– نافع: أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني تـ ١٦٩ هـ.

٢– ابن كثير: عبد الله بن كثير المكي تـ ١٢٠ هـ .

٣ – عاصم: أبو بكر عاصم بن أبي النجود الكوفي تـ ١٢٧ هـ.

٤– حمزة: حمزة بن حبيب الزيات الكوفي تـ ١٥٦هـ.

٥ – الكسائي: علي بن حمزة الكسائي الكوفي تـ ١٨٩ هـ.

٦ – أبو عمرو: أبو عمرو بن العلاء البصري تـ ١٥٤ هـ.

٧ – ابن عامر: عبد الله بن عامر اليحصبي إمام القراءة في الشام توفي بدمشق ١١٨ هـ.

انظر مقدمة ابن مجاهد لكتابه: كتاب السبعة في القراءات.

(٢٦) قال ابن مجاهد في كتابه: السبعة في القراءات:٢١٦: واختلفوا في الهمز من قوله «وكأيّن من نبيٍّ» فقرأ ابن كثير وحده (وكآئِنْ) الهمزة بين الألف والنون في وزن (كاعِن) وقرأ الباقون: (وكأيّن) الهمزة بين الكاف والياء مشددة في وزن كَعَيِّن.

وجاء في إتحاف فضلاء البشر: ج ١: ٤٨٩:

«واختلف في (كأيّن) حيث وقع، وهو في سبعة. فابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف بعدها همزة مكسورة وهو إحدى لغاتها وافقهما الحسن فيما عدا الحج. وتقدّم تسهيل همزها لأبي جعفر، ووقف أبو عمرو ويعقوب على الياء. والباقون على النون.

وعن ابن محيصن (كأْنْ) بهمزةٍ واحدة مفتوحة بوزن كَمَنْ في السبعة (أي في المواضع السبعة التي وردت فيها) وافقه الحسن في الحج. وانظر النشر في القراءات العشر ٢: ٢٤٢.

(٢٧) ذكر في الارتشاف ١: ٣٨٨ أنّ المبرّد حكى (وكَيْئِن) وقال ابن يعيش ٤: ١٣٦: وأما كيءٍ بوزن كيعٍ فلغةٌ حكاها أبو العباس.

قال ابن يعيش: وكان أبو العباس المبرد يذهب إلى أن الكاف لما لحقت أول (أي)وجعلت معها اسماً واحداً بنوا منهما اسماً على زنة فاعل فجعلوا الكاف فاءً وبعدها ألف فاعل وجعلوا الهمزة التي كانت فاءً في موضع العين، وحذفوا الياء الثانية من (أي) والياء الباقية في موضع اللام، ودخل عليها التنوين الذي كان في (أي) فسقطت الياء لالتقاء الساكنين فصارت (كاءٍ) ولزمت النونُ عوضاً عن الياء المحذوفة.

(٢٨) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس إمام أهل البصرة في زمانه وصاحب الكامل والمقتضب ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفي سنة ٢٨٥هـ . البغية ١: ٢٦٩.

(٢٩) السيرافي: القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله شارح كتاب سيبويه. ولد بسيراف قبل السبعين ومئتين وتوفي ببغداد سنة ٣٦٨ هـ. البغية ١: ٥٠٧ وقد حكى المبرد في الكامل ١٢٥١ ثلاث لغات: كأيّن وكائن وكيئٍ بالقلب.

(٣٠) قال في الارتشاف ١: ٣٨٨: ... فاختلفوا في الوقف عليها في اللغة المشهورة وهي (كأيّنْ) فذهب الفارسي والسيرافي وجماعة من البصريين إلى أنه بحذف النون. وذهب ابن كيسان وابن خروف إلى أنه بإقرار النون. والوجهان منقولان عن أبي عمرو والكسائي.

(٣١) انظر الحاشية السابقة.

(٣٢) ابن كيسان: محمد بن أحمد بن إبراهيم، يحفظ المذهب البصري والكوفي في النحو نقل السيوطي عن الخطيب البغدادي أنّ وفاة ابن كيسان كانت سنة ٢٩٩هـ ونقل عن ياقوت أن وفاته كانت سنة ٣٢٠ هـ. البغية ١ : ١٨.

(٣٣) عبارة أبي حيّان في الارتشاف ١: ٣٨٨: واختلفوا أيضاً في الوقف على (كائن) وهي اللغة التي تلي الأولى في الشهرة فوقف المبرد وابن كيسان بالنون وجماعة بحذفها.

(٣٤) قال أبو حيان في الارتشاف ١: ٣٨٨: ومن غريب المنقول أن يونس ذهب في هذه

اللغة إلى أن (كاين) اسم فاعل من (كان) فعلى هذا لا يوقف إلا بالنون ويثبت خطاً ووقفاً وانظر شرح المفصل ٤: ١٣٦.

(٣٥) جاء في الارتشاف ١: ٣٨٨: وقال ابن يسعون (يوسف بن يبقى ت ٥٤٠ هـ): يجوز أن يكون اسم فاعل من كاء يكيء كيئاً وكيئةً إذا رجع وارتدع، فكاء من هذا اللفظ كجاء ثم ألزم الاستعمال بمعنى كم. ومن المفيد هنا أن نذكر ما جاء في كتاب «الحجّة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ج ٣ ص ٨١ وهو يتكلم على قراءة ابن كثير (وكائن):

«وكائن على وزن كاعن، كان الأصل فيه كأيٍّ، دخلت الكاف على أيٍّ كما دخلت على (ذا) من (كذا) و (أنّ) من (كأنّ) وكثر استعمال الكلمة فصارت ككلمة واحدة، فقُلب قلب الكلمة الواحدة، كما فُعِل في قولهم: لعمري ورعملي. حُكي لنا عن أحمد بن يحيى. فصار: كيّإٍن مثل كيّعٍ، فحذفت الياء الثانية كما حذفت في (كيْنونة) فصار كيْءٍ بعد الحذف، ثم أبدلت من الياء الألف كما أبدل من طائيّ، وكما أبدلت من (آية) عند سيبويه، وكانت «أيّة» وقد حُذفت الياء من أيّ في قول الفرزدق:

تنظّرتُ نَصْراً والسِّمَاكين أيْهُما عليَّ من الغيث استهلّتْ مواطرُهْ

... فأمّا النون في (أيٍّ) فهي التنوين الداخل على الكلمة مع الجر، فإذا كان كذلك فالقياس إذا وقفت عليه (كاءْ) فتكرّر الهمزة المجرورة للوقف، وقياس مَنْ قال: مررت بزَيْدِيْ أن يقول: كائي، فيبدل منه الياء.

ولو قال قائل: إنه بالقلب الذي حدث في الكلمة، صارت بمنزلة النون التي من نفس الكلمة، فصار بمنزلة لام فاعل فأُقرُّه نوناً في الوقف، وأجعلُه بمنزلة ماهو من نفس الكلمة كما جعلت التي في «لدُنْ» بمنزلة التنوين الزائد في قول مَنْ قال: لدن غدوة لكان قولاً. ويقوّي ذلك أنهم لما حذفوا الكلام في قولهم (إمّا لا) جعلوها بالحذف ككلمةٍ واحدةٍ حتى أجازوا الإمالة في ألف (لا) كما أجازوها في التي تكون من نفس الكلمة في الأسماء والأفعال. وسمعت أبا إسحاق يقول: إنها تقال مُمالةً، فجعل القلب في (كائن) بمنزلة الحذف في (إمّا لا) لاجتماعهما في التغيير، لكان قولاً؛ فيقف على كائن بالنون، ولا يقف على النون إذا لم تُقلب، كما لاتُميل الألف في (لا) إذا لم تَحذفْ معها».

(٣٦) اللغات الأربع إضافةً إلى كأيِّن فيكون في كأيِّن خمس لغات سيرد الكلام عليها .

(٣٧) في الأصل: أقول .

(٣٨) في الأصل: وهو.

(٣٩) شيخي زاده هو عبد الرحمن بن محمد ت ١٠٧٨ هـ ويقال له (الداماد) فقيه

حنفي من أهل كليبولي بتركيا، من قضاة الجيش. له: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ونظم الفرائد في مسائل الخلاف بين الماتريدية والأشعرية. عن الأعلام.

(٤٠) البيضاوي: عبد الله بن عمر ناصر الدين البيضاوي ت ٦٨٥هـ صاحب تفسير البيضاوي الموسوم بـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل .

(٤١) قال البيضاوي لدن تفسيره الآية ١٤٦ من سورة آل عمران في تفسيره ص ٩١: «وكأيّن أصله «أيّ» دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى (كم) والنون تنوينٌ أثبت في الخط على غير قياس. وقرأ ابن كثير: «وكائن» ككاعن، ووجهه أنه قلب الكلمة الواحدة كقولهم: (رعملي) في (لعمري) فصار (كيأن) ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الأخرى ألفاً كما أبدلت من طائي».

(٤٢) قال ابن الشجري في الأمالي ١: ١٦٠ في المجلس السادس عشر:

قالوا في معنى (كم) الخبرية: كأيّن وكائن، مثل: كاعِن، لغتان كثر استعمالهما، إلا أنّ الخفيفة أكثر في الشعر، والثقيلة أكثر في القراءة ولم يقرأ من السبعة بالخفيفة إلا ابنُ كثير وحده.

(٤٣) جرير بن عطية اليربوعي التميمي ٣٠هـ – ١١٤هـ.

(٤٤) البيت في ديوانه: ٢٤٤ ق ٣٤ ب ١٢ من قصيدة يمدح بها الحجاج بن يوسف أولها:

سئمتُ من المواصلةالعتابا وأمسى الشيب قد ورث الشبابا

والشاهد تعاورته كتب النحاة. انظر على سبيل المثال: كتاب الشعر للفارسي تح: الطناحي ١: ٢١٣، ٢١٤ وأمالي ابن الشجري تح الطناحي ١: ١٦٠ والإيضاح للفارسي ٢٢٥ والبغداديات ٤٠٢ والخزانة ٥: ٣٩٧ وشرح المفصل ٣: ١١٠– ٤: ١٣٥ ...

(٤٥– ٤٦) انظر الحاشية: ٣٥ .

(٤٧) الصبّان: محمد بن علي أبو العرفان، عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بالقاهرة. له حاشية على شرح الأشموني على الألفية. ت ١٢٠٦هـ .

(٤٨) الأُشموني علي بن محمد بن عيسى تـ نحو ٩٠٠هـ. نحويّ، من فقهاء الشافعية له شرح على الألفية .

(٤٩) حاشية الصبان على شرح الأُشموني على ألفية ابن مالك ٤: ٦٠ .

(٥٠) قوله أي قول الأشموني.

(٥١) الخليل بن أحمد الفراهيدي تـ نحو ١٧٥ هـ؟

(٥٢) في الأصل للالتقاء. والصواب من حاشية الصبان.

(٥٣) في الحاشية: الأخيرة.

(٥٤) في الأصل: أذهبها والصواب من حاشية الصبان.

(٥٥) أي هنا ينقل الصبان عن الشمنّي والشمنّي هو أحمد بن محمد الإسكندري. توفي بالقاهرة سنة ٨٧٢هـ . وفي الأصل: ش . صبان .

(٥٦) في الأصل: اللذان.

(٥٧) يُقيله من الإقالة وهي الادعاء على آخر بأنه قال كذا وكذا. وفي الأصل: (يقلْه) مجزوماً ولا وجه لجزمه .

(٥٨) مابين المعقوفتين مستدرك من هامش المخطوط .

(٥٩) الشهاب الخفاجي أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. توفي بمصر سنة ١٠٦٩هـ .

(٦٠) مؤلف هذه الرسالة ينسب إلى الشهاب ماحصّله من كلامه، والنص كما ورد في حاشية الشهاب المسماة بعناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ٣: ٦٩:

قال الشهاب معلقاً على قول البيضاوي (أصله أيّ...) اختلف في هذه الكلمة هل هي بسيطة وضعت كذلك ابتداءً والنون أصلية وإليه ذهب أبو حيّان وغيره، وعليه فالأمر ظاهر موافق للرسم. وقيل: إنها كلمة مركبة من أيّ المنوّنة والكاف. واختُلف في (أيّ) هذه فقيل هي (أيّ) التي في قولهم (أيّ الرجال) وقال ابن جنّي رحمه الله: إنها من قولهم: أوى يأوي أوياً، فأُعلّت بالإعلال المشهور وحدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من (كمْ) كما حدث في (كذا) بعد التركيب معنىً آخر، فـ (كم) و (كأيّن) بمعنى واحد. وعلى هذا فإثبات تنوينها في الوقف والخط على خلاف القياس لأنه نُسخ أصلها، وفيها لغات...إلخ.

(٦١) شرح المفصل لابن يعيش ٤: ١٣٤.

(٦٢) الزمخشري، محمود بن عمر، أبو القاسم، جار الله، صاحب الكشّاف والمفصّل وأساس البلاغة تـ ٥٣٨ هـ.

(٦٣) في الأصل: السماع.

(٦٤) سورة الفرقان ٢٥: ٧٢.

(٦٥) الرضي: رضي الدين الإستراباذي نجم الأئمة شارح الكافية. وفاته نحو سنة ٦٨٤ أو ٦٨٦هـ . البغية ١: ٥٦٧، ٥٦٨.

(٦٦) شرح الكافية ٣: ١٥١.

(٦٧) في شرح الكافية: بنوا من الكلمتين لما ركبوهما.

(٦٨) في الشرح: فاءَ أي.

(٦٩) عبارة: ثم حذفت، ليست في الشرح.

(٧٠) الهنّة: الشدة.

مراجع التحقيق

– إتحاف فضلاء البشر. أحمد بن محمد البنّا. تح د. شعبان محمد إسماعيل عالم الكتب. بيروت ١٩٨٧م.

– ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب. أبو حيان الأندلسي. تح د. مصطفى أحمد النماس مكتبة الخانجي. القاهرة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

– إعراب الحديث النبوي. أبو البقاء العكبري. تح عبد الإله نبهان. دار الفكر. دمشق ١٩٨٩م.

– الأعلام. خير الدين الزركلي. ط ٣.

– الأمالي الشجرية. ابن الشجري. تح د. محمود محمد الطناحي – الخانجي – القاهرة.

– البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي. الرياض.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. السيوطي. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. البابي الحلبي – القاهرة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

– البيان في غريب إعراب القرآن. أبو البركات بن الأنباري. تح د. طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا. الهيئة المصرية العامة ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

– تأويل مشكل القرآن. ابن قتيبة. تح السيد أحمد صقر. دار التراث. القاهرة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

– تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك. تح محمد كامل بركات. الهيئة المصرية – القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

– حاشية الشهاب المسماة بعناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. مصر. ١٢٨٣هـ.

– حاشية الصبان على الأشموني. المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٥ هـ.

– الحجة للقراء السبعة. أبو علي الفارسي. تح بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ومراجعة عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق. دار المأمون للتراث. دمشق ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. عبد الرزاق البيطار. تح محمد بهجة البيطار مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م.

– دراسات لأسلوب القرآن. محمد عبد الخالق عضيمة: مط السعادة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

– ديوان جرير. بشرح محمد بن حبيب. تح د. نعمان محمد أمين طه. دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

– السبعة في القراءات. ابن مجاهد. تح د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر ط٢ ١٩٨٠م.

– شرح التسهيل. ابن مالك. تح د. عبد الرحمن السيد ود محمد بدوي المختون. هجر. القاهرة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

– شرح جمل الزجاجي. ابن عصفور. تح د. صاحب أبو جناح. بغداد ١٩٨٢.

– شرح الرضي على الكافية. الرضي الإستراباذي. من عمل يوسف حسن عمر جامعة قار يونس. ليبيا ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

– شرح المفصل. ابن يعيش. دار الطباعة المنيرية.

– الصاحبي ابن فارس. تح السيد أحمد صقر. البابي الحلبي القاهرة ١٩٧٧م.

– فهارس كتاب سيبويه. محمد عبد الخالق عضيمة مط السعادة– القاهرة ١٣٩٥هـ.

– الكامل. المبرد. تح محمد أحمد الدالي. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨٦.

– كتاب سيبويه. وبهامشه تعليقات السيرافي. ط بولاق.

– لسان العرب. ابن منظور. ط دار صادر. بيروت.

– المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها. ابن جني. تح علي النجدي ناصف. ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٦هـ.

– مغني اللبيب ابن هشام. تح د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ومراجعة سعيد الأفغاني. دار الفكر. دمشق ١٩٧٩م.

– المقرّب. ابن عصفور. تح أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري.بغداد: ١٩٧١.

– النشر في القراءات العشر. ابن الجزري. بإشراف علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. لبنان.

المصطلح الأدبي

في

الثقافة العربية الحديثة

مشكلات الدلالة ومواجهتها

د. عبد النبي اصطيف

يروي أبو حيان التوحيدي في «الليلة الخامسة والعشرين» من **«الإمتاع والمؤانسة»** أن الوزير ابن سعدان أحبّ أن يسمع «كلاماً في مراتب النظم والنثر، وإلى أي حدٍّ ينتهيان، وعلى أي شكل يتفقان، وأيهما أجمع للفائدة، وأرجع بالعائدة، وأدخل في الصناعة، وأولى بالبراعة»[1]، فكان جواب التوحيدي «أن الكلام على الكلام صعب»، وسبب ذلك بيّن:

«لأن الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها، التي تنقسم بين المعقول وبين مايكون بالحس ممكن، وفضاء هذا متسع، والمجال (فيه) مختلف. فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه، ولهذا شقَّ النّحو وما أشبه النحو من المنطق، وكذلك النثر والشعر[2]».

فضلاً عن أن الكلام على الكلام كما يصفه لاحقاً:

«المنتهى منه غير مطموع فيه، ولا موصول إليه»(٢).

إن الكلام على الكلام الذي يشير إليه التوحيدي ليس **غير النقد الأدبي الذي يدور على نفسه،** لأنه إنشاء لغوي على إنشاء لغوي آخر هو الأدب(٣)، وهو لهذا ينتمي إلى عالم الـ «ميتالغة»(٤) (meta-language)، مثله في ذلك مثل النحو والمنطق، اللذين يدوران على الإنشاء اللغوي، الذي ينشئه الناس، ويتدبّران بهما قواعد التركيب، ونواظم التفكير فيه. وبعبارة أخرى إن دارس الأدب أو ناقده، في ممارسته للنقد الأدبي، إنما ينشئ كلاماً يديره على كلام آخر هو الأدب، ويستعمل في ذلك أداة شائعة غاية الشيوع هي اللغة الطبيعية (natural language) التي يستعملها موضوعه، الأدب نفسه، وهذا يجعل الكلام الذي ينشئه يلتبس بالكلام الذي أنشأه الأديب، ويتداخل معه في علاقة وثيقة، بل حميمة، تمنحه هويته (إذ يُسمى النقد الأدبي، نسبة إلى الأدب موضوعه وموضع اهتمامه، بل شغله الشاغل، ومسوّغ وجوده)، وتجعله يخالف في ذلك أنواع النقد الأخرى، من مثل النقد الموسيقي، والنقد التشكيلي، والنقد الفني عامة، والتي تستعمل أداة مختلفة عن أدوات الفنون التي تنقدها، وتحتفظ بذلك لنفسها بفسحة أمان تقيها تبعات الالتباس بموضوعها على هذا النحو الوثيق، وهذا يساعدها على الحفاظ على تميّزها بوصفها فعالية فكرية مهمة في حدّ ذاتها، ومهمة بالنسبة إلى موضوعها، في آن واحد.

والواقع أن اشتراك الكلام الذي ينشئه الناقد (أو الإنشاء النقدي critical discourse) والكلام الذي ينشئه الأديب (أو الإنشاء الأدبي literary discourse) بالأداة المستعملة من جانب كل منهما، لا يؤدي إلى التداخل وحده، بل إلى الاشتراك كذلك في المكوِّنات(٥)

(constituents)، فتغدو بذلك مكوِّنات النص النقدي المنتمي إلى تقليد tradition نقـدي قومي مـا، هي نفـسهـا مكوِّنات النـص الأدبي المنتـمي للأدب القـومي الذي يـعنى به هـذا النص النقـدي. فمـكوِّنات النـقد العـربي الكلاسي، عـلى سبيل المثـال، هي نفسهـا مكوِّنات الأدب العربـي الكلاسي. وليس من المبـالغة القول إنهـما بذلك يمثِّلان وجهين اثنين لعمـلة واحدة، هي الفكر الأدبي العربي الكلاسي في وجهي نظريـته وممارسته، في التزامه ضمناً - من جانب الأدباء العرب الكلاسيين - بوصفه نظاماً متماسكاً يُقرأ في ضوئه هذا الإنتـاج، ويُشرح، ويُحلّـل، ويُفسَّر ويُـقارن بغيـره، وفي نهايـة المطاف، يُحكم عليه.

ولكن هذا الاشتراك في الأداة (أو اللغة الطبيعية الإنسانية) والمكوِّنات، لا يمنع من استعمال مصطلحين مختلفين للإشارة إلى كل من الإنشاء الأدبي، والإنشاء الـنقدي. فالـكلام الذي يُنشـئه الأديب نسـميه أدباً، والـكلام الذي ينشئه الناقد (على هذا الإنشاء) نسمـيه نقداً أدبياً. وليس ثمة مايسوِّغ هذين الاستعمـالين لولا أن هناك فروقاً مهـمة بينهما، وإلا لكان التـمييز بينهمـا عبثاً من غيـر طائل. وبعبارة أخـرى، إن الاختلاف في الدالّ (الـذي هو، في هذه الحال، الأدب والنـقد الأدبي) ليس غـير إفصـاح عن الاختـلاف في المدلول (الذي هو ماينطوي تحت كل من الأدب والنقد الأدبي من معان ودلالات)، ولا شك أن الوقوف على هذا الاختـلاف مفيد في ترسيخ فهمنـا لطبيعة كل من هذين الإنشاءين: الأدب والنقد الأدبي.

يستـطيع المتأمل في طـبيعة الأدب أن يـتبين أن أداته، أو اللغـة الطبيعـيّة فيه، تؤدي عدة وظائف تتفاوت بين نص أدبي وآخر، وأن ثمة وظيفة محدَّدة من هذه الوظائـف تقع منها موقع الـذروة من الهرم، فهي أبرزهـا، وأظهرها، وأكثـرها أهمـية، وهـي المهيـمنة، والـسائدة والمتحكِّـمة (Dominant)(٦)

بغيرها والمحدِّدة لأوضاعها وعلاقاتها فيما بينها. هذه الوظيفة هي الوظيفة الجمالية التي تقف وراء أدبية النص الأدبي، أو تجعل منه أدباً ينتمي إلى أسرة الفنون الجميلة (Fine Arts) وهذا طبيعي، فنحن نقرأ الأدب بسبب من هذه الوظيفة، على الرغم من تقديرنا للوظائف الأخرى ووعينا وجودَها. فعلى سبيل المثال لا يقرأ المرء ثلاثية نجيب محفوظ ليعرف أحوال مصر الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، أو ليتبيَّن مدى العلاقة القائمة بين شخصية من الشخصيات مثل (كمال) وشخصية نجيب محفوظ، أو لغير ذلك من الوظائف التي تؤديها الثلاثية بطبيعة الحال. ولكنه يقرؤها لما تنطوي عليه من تجربة فنية تتجسد باللغة الروائية وتتحوَّل في نفسه إلى تجربة جمالية يغتني بها، ويسرّ، ولعله ينتشي أحياناً. والشيء نفسه يمكن أن يُقال عن قصيدة للمتنبي، أو قصة لزكريا تامر، أو مقالة ساخرة لمحمد الماغوط، أو مسرحية لسعد الله ونوس، أو قطعة نثر فني لإدوارد الخراط أو غير ذلك. فنحن نقرأ جميع هذه النصوص لما تثيره فينا من تجارب جمالية تجسّدها لغتها التي يجهد مستعملوها من الأدباء لتؤدي وظيفتها الجمالية هذه على خير وجه.

وبالمقابل فإن منعم النظر في طبيعة النقد الأدبي يرى أن اللغة الطبيعية فيه تؤدي وظائف عديدة ، تتميز واحدة من بينها بالسيادة والهيمنة والتحكم بسائر الوظائف الأخرى، وهذه الوظيفة هي وظيفة تيسير التفكير المنظَّم في شؤون الأدب نظراً وتطبيقاً. ذلك أن النقد الأدبي مجموعة عمليات ذهنية تشمل الاختيار والشرح والتحليل والتركيب والموازنة والمقارنة والتفسير والحكم وغيرها، تتم بأداة محدَّدة، هي اللغة، التي تستعمل لتيسير هذه العمليات، أو بعبارة أخرى تيسير التفكير في الأدب إنتاجاً واستهلاكاً، بتقديم أداة تتسم بالوضوح والدقة والتماسك تمكِّن الناقد من أن يدير كلاماً

منظّماً على الكلام الآخر، الذي هو الأدب، يصفه ويشرحه ويحلّله ويركّبه ويوازن بينه وبين غيره، ويقارنه بسواه، ويفسّره ويحكم عليه، ويكون في ذلك كله واضحاً ودقيقاً ومتسقاً ومفهوماً. ولذلك كانت لغة النقد في مجملها لغة مصطلحات (terms أو idioms) ومفهومات (concepts) يرتبط كل منها مع غيره بشبكة من الوشائج، تمنحه قيمته ومدلوله ووظيفته. وهي تشبه في هذا الوجه، كما تقدّم آنفاً، لغة النحو والمنطق، لأن لغات هذه الحقول المعرفية المتميزة (النقد الأدبي، والنحو، والمنطق) لغات شارحة، واصفة، أو هي تنتمي إلى ما يسمى عادة بـ (meta – language)، فهي لغة عن اللغة، مقابل اللغة الموصوفة المشروحة، التي هي موضوعها ، اللغة الطبيعية الإنسانية بأشكالها المختلفة، وصورها العديدة في الحياة الإنسانية.

إن النقد الأدبي، بوصفه لغة مصطلحات ومفهومات تستعمل لوصف الأدب ومختلف إجراءات دراسته، يقترب إلى حد كبير من النقد المالي في عالم الاقتصاد والتجارة. ولا يظنّنّ امرؤ أن هذه الاستعارة هي مجرد تعبير عن النظرة المادية التي تسود مجتمعنا الاستهلاكي الراهن. ذلك أن وراءها سبباً أهم وأكثر جوهرية فحواه أن على المتعامل بهما – بنظام النقد الأدبي الذي يكوّنه مجموع مصطلحاته ومفهوماته، ونظام النقد المالي الذي تكوّنه وحداته المختلفة – أن يعرف القيمة الاصطلاحية لكل وحدة من وحداتهما، حتى يكفل لممارسته، سواء أكان ذلك في ميدان النقد الأدبي، أم في ميدان النقد المالي، قسطاً معقولاً من النجاح، ويتجنّب على أيّ حال الإفلاس في النهاية. فلكل مفهوم في النقد الأدبي قيمته الدلالية، التي ينبغي على كلّ ممارس له أن يحرص عليها، حرص المتعامل بالنقد المالي على معرفة قيمة الوحدات النقدية الخاصة به. ومثلما يجب على المتعامل بالنقد المالي أن

يعرف النظام النقدي المحدِّد لقيمة وحداته النقدية التي يتداولها، بالقياس إلى بعضها بعضاً من جهة، وبالقياس إلى الوحدات النظيرة الأخرى في النظم النقدية الأخرى من جهة ثانية، وبالقياس إلى قيمتها الشرائية في أي مجتمع من المجتمعات من جهة ثالثة، فإنه يجب على المتعامل مع النقد الأدبي أن يكون على وعي بالنظامين النقدي والأدبي، اللذين يحكمان دلالة المفهومات النقدية والأدبية – هذه المفهومات التي نصطلح على دلالاتها ضمن إطار من هذين النظامين، ونلتزم بها امتثالاً لاتفاق أهل المعرفة والرأي عليها، ونُلزِم بها، على نحو آخر، جميع العاملين في ميدان الأدب والنقد، حتى نكفل الحد الأدنى من التفاهم والتواصل والحوار المجدي فيما بينهم.

والحقيقة أن المتفحِّص لمادة الإنشاء النقدي العربي الحديث، أي للغة هذا النقد، أو مفهوماته، أو مصطلحاته، يجدها منحدرة من التقليد النقدي العربي، والتقاليد النقدية الخاصة بالآخر(the other)، التي تتكامل في دورها في تشكيل الفكر الأدبي والنقدي العربي الحديث.

وإذا ما رغب المرء في التركيز على المفهومات، أو المصطلحات النقدية المستمَدَّة من مواريث الآخر (وهو في هذه الحالة الغرب الذي شُغل الوطن العربي بمواجهة شاملة معه منذ أواخر القرن الثامن عشر) فإنه يجد أن النقاد العرب المحدثين على وجه الإجمال، وعلى خلاف حال المتعاملين مع وحدات النقد المالي الذين يحسنون استخدامها وتثميرها، على قسط متواضع جداً من النجاح في التعامل مع وحدات النقد الأدبي في الثقافة العربية المعاصرة.

فهم، أولاً، غير متفقين على تسمية هذه الوحدات النقدية والأدبية، أو الدوالّ، أو المصطلحات والمفهومات .

وهم، ثانياً، غير متفقين على تحديد دلالات هذه الوحدات.

وهم، ثالثاً، على معرفة محدودة (تكاد تقرب من الصفر لدى بعضهم) بالنظم الأدبية والنقدية والفكرية التي نبعت منها هذه الوحدات، والتي حكمت دلالاتها، وضبطت علائقها فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين هذه النظم من جهة أخرى.

من هنا يبدو للمرء أن تجاوز هذا الوضع غير المرضي للنقد العربي الراهن لا يمكن أن يتحقق إلا بإصلاحٍ جذري للنظام الذي يحكمه، إصلاح يشمل:

– تثبيت المصطلح النقدي العربي الحديث، أو توحيد «الدالّ» في هذا المصطلح .

– تحديد دلالات هذا المصطلح، أو تحديد «المدلول» فيه.

– الوقوف على محدِّدات هذا المصطلح، أو البنية التحتيّة التي تحكمه.

وهي وجوه مهمة، لا سبيل إلى ممارسة نقدية عربية ذات جدوى من غير تدبُّرها على نحو فعّال. ولذا فربما كان من الحكمة الوقوف عندها ملياً، لما في ذلك من فائدة للمعنيين بالممارسة السليمة للنقد العربي المعاصر، سواء أكانوا منتجين لهذا النقد، أي نقاداً للأدب، أم كانوا مستهلكين، أي قراءً للأدب والنقد، أم منتجين لموضوعه من الأدباء أوالكتاب.

تثبيت مصطلح النقد العربي الحديث

والمقصود به تحقيق حد أدنى من الاتفاق (لا غنى عنه لأي معنيّ بالحقل المعرفي لهذا المصطلح، سواء أكان هذا المعنيّ كاتباً. أم مؤلفاً، أم ناقداً، أم قارئاً) على استعمال لفظة عربية محدَّدة مقابل كل مصطلح مستوحى أو مستلهَم أو مستعار من التقاليد الأدبية والنقدية الخاصة بالآخر.

لقد سئم المعنيون بالنقد الأدبي العربي الحديث، وبحق، فوضى

المصطلح التي تسوده، والتي قادتهم، وبدرجات متفاوتة، إلى حيرة مربكة، تشمل التفكير، والتعبير، والفهم، والتواصل، والتحاور، والتناظر. وماذا يبقى من جوهر النقد الأدبي، إن تعرضت جوانبه المختلفة هذه، لهذا الاضطراب المقلقِل؟

وكيف لهم ألا يسأموا هذه الفوضى، والعرب المحدثون يستعملون، على سبيل المثال، للإشارة إلى مصطلح (Romanticism) الإنكليزي، و(Romantisme) الفرنسي مفردات مثل «الرومنتيكية، والرومنطيقية، والرومنتيقية، والرومنسية، والرومانسية، والرومانتية، والرومنتية. وكذلك يترجمونها مرة بالإبداعية، وثانية بالابتداعية، وأحياناً «التفلّتية»[٧]؟!

ومالهم لا يحارون، وهم يرون العرب المحدثين يستعملون للدلالة على كلمة(structuralism) الإنكليزية، و (structuralisme) الفرنسية مفردات من مثل البنائية، والهيكلية، والبنيوية وغيرها؟! وماذا تراهم يستطيعون فعله غير أن يحوقلوا عندما يرون العرب المحدثين يستعملون مقابل مصطلح (poetics) الإنكليزي و (poétique) الفرنسي - وهو مصطلح قديم قدم الأدب اليوناني، ونقده، ومتجدد بتجدد الاهتمام به في مختلف التقاليد النقدية الغربية في هذا القرن، ولا سيما في النصف الثاني منه - أكثر من عشر ترجمات، على الرغم من وعيهم أن لتفاعل الثقافة العربية مع التراث اليوناني، ولتوظيف العرب لهذا المصطلح، تاريخاً طويلاً امتد أكثر من ثلاثة عشر قرناً؟! وهاهو حسن ناظم[٨] يحصي هذه الترجمات لدى النقاد العرب المحدثين في شرقي الوطن العربي وغربيه فيذكر: الشعرية، والإنشائية، والشاعرية، وعلم الأدب، والفن الإبداعي، والإبداع، وفن النظم، وفن الشعر، ونظرية الشعر، وبويطيقا، وبويتيك. ويمكن للمرء أن

يضيف إليها الشعريات، ونظرية الأدب، ونظرية الأدب الداخلية، وغيرها.

والحقيقة أن هذا الاختلاف في استعمال المصطلح النقدي، المستلهَم من التقاليد النقدية والأدبية الخاصة بالآخر، قد يبلغ أحياناً درجة عابثة لا يكاد المرء يتصوَّرها عندما يتصل بمصطلح مهم جداً من مثل (linguistics) الإنكليزي، ونظيره الفرنسي(linguistique). فقد أحصى الباحث العربي التونسي عبد السلام المسدي ثلاثة وعشرين مقابلاً عربياً لهذا المصطلح ، نذكر منها: « اللانغويستيك، وفقه اللغة، وعلم اللغة الحديث، وعلم اللغة العام، وعلم اللغة العام الحديث، وعلم اللغات العام، واللسانيات، والألسنيات، والألسنية، وعلم الألسن[٩] وغيرها. ويبدو أن ثمة رغبة دفينة لدى بعض العاملين في حقل النقد الأدبي العربي الحديث في الاختلاف، والمغامرة في الاجتهاد الشخصي، والبدء دائماً من الصفر في سك المصطلحات، والاستبعاد غير المسوَّغ لجهود الآخرين، حتى إن المرء ليجد أن ناقدين من مجموعة واحدة، أو فريق واحد من الزملاء في مؤسسة جامعية أو ثقافية، أو إعلامية، أو حتى مجمعية واحدة، يستعملون مصطلحات مختلفة. وهذا مايجده المرء في إشارة بعضهم إلى مصطلح (Deconstruction) الإنكليزي، ونظيره الفرنسي(Déconstruction) عندما يستعمل «التفكيك»، في حين يستعمل زميله «التشريح»، ويفضل زميل ثالث مصطلح «التقويض»[١٠]. ويمكن للمرء أن يضيف إليه مصطلح (discourse) الإنكليزي، و(discours) الفرنسي، الذي تصر الكثرة الكاثرة من النقاد العرب المحدثين على استعمال مصطلح «الخطاب» عديلاً له، وتصرُّ قلَّة منهم على استعمال مصطلح «الإنشاء»، وكل يغنّي على ليلاه.

أما المصطلح الإنكليزي (semiology)، أو (semiotics)، والمصطلح الفرنسي(sémiologie)، فالعرب المحدثون يستعملون مفردات

من مثل علم العلامات، وعلم الأدلة،وعلم العلامة، وعلم الإشارة، والدلائلية، والسيميولوجيا، والسيمياء، والسيميائيات، والسيميائية، والسيميات، وغيرها[١١]. وواقع الحال أن الأمثلة لا تحصى على هذا الاختلاف، الذي لا يكاد ينجو منه أبسط المصطلحات النقدية.

ولربما تبدو المسألة لبعضهم مسألة اختيار مفردة لا غير، ولكن الحقيقة هي أن اختيار كلمة ما، أو لفظة ما، للدلالة على مصطلح نقدي معيَّن يعني بالضرورة اختيار مجموعة من المشتقات المتصلة بها للإشارة إلى اسم الفاعل، واسم المفعول، وإلى الصفة تحيل على من يقوم بالفعل، وإلى الصفة تحيل على ما يتصف به، وإلى المصدر الصناعي للإشارة إلى النزعة المنسوبة إليه، وإلى الفعل وهكذا. فإذا ما اخترنا مصطلح «الهيكل» للإشارة إلى مصطلح (structure) مثلاً، كان معنى ذلك اختيار «هَيْكَلَ» للفعل، و «هيكلية» للمصدر الصناعي، و «هيكلي» صفة للعاقل، و «هيكلي» صفة لغير العاقل، وهكذا. وإذا ما اخترنا مصطلح «الخطاب» للإشارة إلى مصطلح (discourse) كان معنى ذلك اختيار مصطلح «خطابي» للإشارة إلى ما يتصف به، كأن نصف به تقنية فنقول عنها إنها « تقنية خطابية»، بمعنى(discursive technique)، وعندها قد يفهم القارئ منها ما يفهمه عادة من صفة «خطابي» المتصلة بالخطابة العربية، وهي جنس نثري مهم من أجناس النثر العربي القديم والحديث معاً، وهذا يُحدِث خللاً في اتساق فهم القارئ للنص الذي بين يديه، ويسهم في قلقلة فهم الدلالة العامة لهذا النص، الذي يفترض أن يرسِّخ لديه (بوصفه نصاً نقدياً) عملية التفكير المنظَّم في الأدب. وللمرء أن يفكر في دلالات مصطلحات مشتقة من الجذر نفسه، من مثل مخاطِب ومخاطَب، ونزعة خطابية ، وتحليل خطابي، وغيرها مما يمكن أن يختلط في ذهن المتلقي بدلالات أخرى نتيجة اشتراكها جميعاً

في حقل دلالي واحد.

ومعنى هذا أن على المرء أن يفكر قبل اختيار مصطلحه الجديد بجميع دلالات مشتقاته المستمدة منه، وبآليات التفريق والاختلاف فيما بينها وبين مماثلاتها في اللغة العربية الحديثة، إذا ما حرص حقاً على تجنب الإسهام في فوضى المصطلح النقدي، أو في اضطراب التفكير النقدي العربي في الأدب العربي وسواه من الآداب قديمها وحديثها. وهكذا فإن على الناقد العربي، الذي يفكر في اختيار مصطلح «التفكيك» ترجمة لـ (deconstruction) أن يفكر في «المفكِّك» صفة للناقد (اسم الفاعل)، و«المفكَّك» صفة للنص (اسم مفعول)، وفي «فكّك» (فعلاً) يصف به الفعل الذي يؤديه الناقد الممارس لهذا الضرب من النقد الأدبي، وفي «التفكيكية» (مصدراً صناعياً) يصف بها نزعته هذه، وهكذا، وإلا كان إدخال أي مصطلح وبالاً على اللغة، لا إغناء لها، ولا أظن أن العربية الحديثة بحاجة إلى خدمة كهذه من ناطقيها المحدثين.

إن على العاملين في ميدان النقد الأدبي (منتجين ومنتفعين بهذا الإنتاج من كتّاب وقراء) أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل تحقيق حد أدنى من الاستقرار لمصطلحهم يكفل له في نهاية المطاف نوعاً من الثبات، الذي يرجى له أن يؤدي إلى استعمال دالّ واحد للإشارة إلى مدلول واحد في العملية النقدية. صحيح أن الناقد الحصيف حريص أشد الحرص على دقة مصطلحاته ووضوحها، وبالتالي على تطويرها في هذا الاتجاه، وأن ذلك قد يقوده إلى تفحّص مصطلحه باستمرار ومراجعته وتنقيحه وصقله، أي أنه يجعله في حالة من الاستنفار الدائم أو القلق المحكوم بالطموح نحو الأفضل، ولكن لا بأس من ترشيد هذا القلق، وجعله قلقاً منتجاً بعيداً كل البعد عما سماه حسام الخطيب، وبحقّ فيما يبدو لي، بمفهوم «التفرد الاجتهادي»[١٢]، **(خالف تعرف)** وذلك

بغرض الوصول إلى حد أدنى من الإجماع، أو الاتفاق على الأقل، ييسّر التواصل والتفاهم والحوار المجدي، الذي ينتهي بنتيجة إيجابية وبناءة.

ولا شك في أن صعوبات كثيرة تقف في طريق تحقيق هذا الإجماع المرغوب فيه من جانب العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث، وهي في معظمها صعوبات غير مقصورة على المصطلح النقدي الحديث المستوحى من التقاليد النقدية الخاصة بالآخر، بل تشمل المصطلحات الأخرى في العلوم الإنسانية والطبيعية والرياضية والطبية والبحتة.

وأولى هذه الصعوبات أن اللغة العربية الحديثة أو المعاصرة، لغة غير مخدومة، بل هي في وضع بائس حقاً، إذا ما قورنت بغيرها من اللغات الحيَّة. لقد كتب الدكتور حسام الخطيب، في معرض حديثه عن «اللغة العربية والهموم المقلقة»[١٣] تحت عنوان فرعي، مؤكداً هذا الواقع المؤسف فقال :

«نحن نتحدث دائماً عن لغتنا العربية الجميلة، وبملء أشداقنا نتغنّى بأمجادها وفضائلها، فهي أمّ اللغات وزينتها، أغناها بالمفردات وأقدرها على التوليد عن طريق الاشتقاق، وأحلاها جرساً وأجلاها بياناً، وأقربها إلى الأصل وأنضرها شباباً مع ذلك. وهي اللغة التي نقرأ بها آيات الله البيِّنات، ولغة العبادات والصلوات، وهي لغة أهل الجنة أيضاً. وهي لغتنا القومية، وعامل وحدتنا وعروبتنا، ووارثة ثقافتنا الأصلية وحامية تراثنا وحضارتنا، وواسطة اتصال ماضينا بحاضرنا، ولغة شعرنا ونثرنا، وهجائنا ومدحنا وغزلنا أيضاً، وغير ذلك ... وكل أولئك حقٌّ وأكثر. ولكن بالمقابل ماذا عملنا حتى الآن لحفظ هذه اللغة وصيانتها، ولتطويرها، ولتمكينها من مجابهة ظروف الحياة المستجدَّة، ولدعمها لتقوى على الصمود أمام منافسة اللغات الحيَّة في هذا العالم الذي لا يرحم[١٤]».

وبعد أن يذكر بتقصير العرب في خدمة لغتهم تربوياً، يضيف «أن التقصير الأشد فداحة هو العجز عن خدمتها لغوياً (تقنياً). إن أبناءنا لا يقبلون على اللغة العربية، نعم، ولكن ليس لأنهم جاحدون وطائشون. إنهم كأترابهم من أجيال العالم المعاصر يتعلمون بشكل أفضل مايحبونه أكثر، وعلينا أن نجعل اللغة العربية محببة إليهم عن طريق خدمتها تربوياً ولغوياً»(١٤).

وبعد أن يدعونا إلى رفع شعار «لنخدم اللغة العربية، وخدمة مشروعة أيضاً، لنخدمها كما تخدم سائر اللغات»، يقول: «إن لغتنا تعيش بلا صيانة مع الأسف»، وأكبر دليل على ذلك «عدم وجود معجم عصري للغة العربية من مختصر أو متوسط أو مطوّل، مما يمكن أن يعتبر مرجعاً متعارفاً عليه ومقبولاً من الجميع كما هو شأن (لاروس) فرنسا، أو (أكسفورد) إنكلترة»، وعدم وجود «معجم تاريخي يستطيع أن يساعد طالب اللغة العربية ومتذوق النصوص والدارس على معرفة عمر المفردات العربية وكيفية استعمالها في القديم والحديث والتطورات التي طرأت على معانيها أو إيحاءاتها، بحيث يتجنب الشادن(*) إسقاط مفهومات حديثة على مفردات مستعملة في نصوص قديمة أو العكس»(١٥)، وعدم وجود «دراسات صوتية مرضية حتى الآن». وثمة مسألة الإملاء وغيرها مما يستوجب حملة إصلاحية ملحّة وإلا «فإن العربية ستستمر في الانحدار، وقد تصل إلى نقطة يكون الإصلاح عندها متخلفاً عن أوانه»(١٦) ولربما اعتقد بعضهم أن في ما أشار إليه الدكتور الخطيب شيئاً من المبالغة، وأن اللغة العربية بخير وعافية، فالله تكفّل بحفظها، أو لم يقل في كتابه العزيز الذي اختارها لساناً له ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾. وخير ما يجاب به هؤلاء هو أن ذلك حقّ وصدق، وأن من

(*) كذا في الأصل، ولعله خطأ مطبعي، وربما أراد المؤلف «الشادي».

الحق والصدق أيضاً أن نفهم أن علينا واجباً تجاهها، وبذلك وحده نأخذ بحديث النبي محمد ﷺ «اعقلها وتوكَّل». وخير ما يدعونا لهذا الواجب تلك الصعوبات التي يواجهها كل من يحاول الترجمة من اللغات الأجنبية إليها، إذ يجد أن هذه اللغة تكاد تكون قاصرة عن استيعاب كثير من المصطلحات المولَّدة في العلوم الإنسانية المعاصرة، بَلْهَ العلوم الطبيعية، أو الرياضية، أو الطبية، أو البحتة، أو التطبيقية. وليس ذلك القصور ناجماً عن عجز متأصل في نظامها اللغوي المشهود له بتطوره وكفاءته، بقدر ما هو ناجم عن تقصير العاملين فيها عن التفكير في آليّات الاستجابة الكامنة فيها لما يستجدّ في مختلف العلوم والمعارف من تطورات حديثة ومعاصرة، والتعبير عنه على نحو واضح ومحدّد ودقيق.

وثاني هذه الصعوبات أن عملية التعريب أو الترجمة تقوم في الغالب على أكتاف أفراد. وهي لذلك حصيلة محاولات فردية غير منظَّمة أو متقصِّية، وبالتالي فإنها تخضع لما يخضع له أي جهد فردي مما يتصل بالشرط الإنساني. أما المصطلحات التي تتبنّاها المؤسسات الجامعية، والثقافية، والمجمعية، فإنه لا سبيل إلى فرضها على الأفراد، لأن هذه المؤسسات لا تملك غير سلطتها الأدبية التي يسهل تجاهلها، ولا سيما عندما لا تنسجم مصطلحاتها مع اجتهادات هؤلاء الأفراد وآرائهم. هذا إن وجدت هذه المصطلحات سبيلها إليه على مستوى الوطن العربي في المقام الأول، وهي لا تكاد تصلهم حتى على المستوى القطري. فالعزلة الثقافية السائدة في الوطن العربي تكاد تكون خانقة، وأساليب عمل فريق البحث، أو العمل الثقافي الجماعي، متخلفة غاية التخلف في هذا الوطن، لافتقار المؤسسات الجامعية والثقافية والإعلامية للعادات البحثية العلمية الصحية والسليمة والمعافاة.

وثالثها أن هذه المصطلحات متصلة بالتقاليد الأدبية الأجنبية. ومعنى

هذا أنها تعاني مما تعاني منه حركة ترجمة هذه التقاليد في الثقافة العربية الحديثة، وليس ثمة فسحة كافية للحديث عن هذه المعاناة. ويكفي المرء أن يشير إلى أنها تلقي بظلّها على حركة ترجمة المصطلح الأدبي والنقدي، وتضيف بذلك مشكلات أخرى إلى مشكلات النقد الأدبي العربي الحديث، وتزيد من بؤس وضعه، فتدفعه دركات بعد دركات إلى هاويته التي يتردى فيها. ويبدو أنه في هذا غير بعيد عن مصير النقد المسرحي العربي، الذي يعاني بدوره من تنوع المرجعيات، التي يستقي منها المسرحي العربي معرفته، عندما يقدّم ممارسته المسرحية تأليفاً أو نقداً. لقد كتب فقيد المسرح العربي، المؤلّف والناقد المسرحي سعد الله ونوس، في تقديمه للمعجم المسرحي، الذي أعدته الدكتورة ماري الياس والدكتورة حنان قصاب حسن، فقال:

«ولم تعان التجربة المسرحية العربية من التقطّع وعدم المراكمة فقط، وإنما عانت أيضاً من تشتت الجهود، وغياب آليات ثقافية تضمن تواصل التجارب في تنوعها وتعدّدها من مغرب الوطن العربي إلى مشرقه. ومن هنا تعدّدت الاجتهادات في تحديد المصطلحات ترجمة وإبداعاً، ثم فاقم التعدد والاختلاف تنوّع المرجعيات التي يستقي منها المسرحي، كاتباً كان أو ناقداً»(١٧).

والحقيقة أنه فضلاً عن أهمية تثبيت المصطلح النقدي المستلهَم من ثقافات الآخر في توفير لغة مشتركة، تكون أداة مشتركة في التفكير والتعبير والحوار، فإن تثبيت الاصطلاحات العلمية الخاصة في أي حقل معرفي مهم جداً، وذلك «حتى لا تتبدل الحقائق بتبدُّل الألفاظ التي أفرغت فيها». ذلك أن الألفاظ، كما يشير إلى ذلك صاحب **المعجم الفلسفي**، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، المرحوم العلّامة جميل صليبا، «حصون المعاني. وتثبيت الاصطلاحات العلمية هو الحجر الأساس في بناء العلم. فإذا أقيم هذا البناء

على أساس متحرك، لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها»(١٨). وهذا بالطبع إلى جانب الفوائد العديدة الأخرى، التي لا تقتصر على العلماء العاملين في هذا الحقل المعرفي، بل تشمل كذلك المعلمين والمتعلمين وجهود القراء. ومعنى هذا أن له فائدة تربوية وأخرى اجتماعية، كما يؤكد ذلك الدكتور صليبا نفسه، الذي يضيف شارحاً ضرورة استعمال اللفظ في ما وضع له، والدلالة على المعنى الواحد بلفظ واحد، فيقول إن في ذلك تيسيراً «لعمل المعلمين والمتعلمين معاً، لأن المعاني، إذا كانت محددةً، سهل على المعلم شرحها، وعلى المتعلم فهمها، وكذلك الألفاظ، إذا كانت مطابقة للمعاني، صار استعمالها أدق، ووضوحها أتم»(١٩). ولا ننسى بالطبع أن «تحديد معاني الألفاظ يسهّل على الناس التفاهم فيما بينهم، فلا يتكلمون بما لا يعلمون، ولا يمارون في ما لم يتضح لهم من المعاني»(١٩). وما أكثر ما يتكلم بعضهم في مسائل النقد العربي الحديث دون أن يعلموا ، وما أكثر ما يمارون في ما اتضح لهم، وفي ما لم يتضح، لأن المشكلة في الأساس هي اللغة المشتركة التي تيسّر التفكير والتعبير والتواصل.

تحديد دلالات المصطلح النقدي

إن الإجماع على لفظة معيّنة للدلالة على مفهوم معيّن لا يكفي من أجل القيام بممارسة نقدية سليمة أساسها التفاهم، إذ لا بد له من أن يترافق مع إجماع، أو على الأقل اتفاق مبدئي، على دلالة هذه اللفظة. صحيح أن هناك دائماً فسحةً للخلاف، وهامشاً للنقاش واختلاف وجهات النظر، حتى في التقاليد الغربية التي نستوحي منها هذه المصطلحات، ولكن ثمة بالإضافة إلى ذلك اتفاق على الحد الأدنى من دلالة كل مصطلح، لا سبيل إلى قيام حوار بناء مُجْدٍ بين المتعاملين به دون تحقيقه.

وإذا ماتذكّر المرء أن أغلب المصطلحات النقدية العربية الحديثة

مستوحاة من تقاليد أدبية ونقدية مختلفة، ومن لغات أجنبية متعددة (كالإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والروسية، والإسبانية، والإيطالية، واليونانية، واللاتينية وغيرها) فإن مجال الاختلاف فيها واسع، وهو أمر يتفهمه المرء، ولكنه، من جهة أخرى، لا يمكن أن يرى فيه عاملاً مساعداً على تطوير الحركة النقدية العربية المعاصرة. إن هذا الاختلاف يقف حجر عثرة في طريق هذا التطوير، لأنه يزعزع أساساً هاماً من أسس الحوار البنّاء، والنقد حوار وعلاقة في جوهره.

وربما كان السبيل الأمثل لمعالجة اختلاف النقاد حول دلالات المفهومات الأدبية والنقدية إعداد موسوعة نقدية أدبية تضيّق من فسحة الخلاف بينهم، وتكفل حداً أدنى من اللغة المشتركة بين العاملين في ميدان الأدب والنقد، إنتاجاً واستهلاكاً. إن المرء لَيفاجأ حقاً بغياب موسوعة حيوية كهذه في المكتبة العربية. صحيح أن هناك مجموعة من المعاجم الأدبية (كمعاجم ناصر الحاني[٢٠]، ومجدي وهبة[٢١]، وحمّادي صمود[٢٢]، ومجدي وهبة وكامل المهندس[٢٣]، وجبور عبد النور[٢٤]، وسعيد علوش[٢٥]، وإبراهيم فتحي[٢٦]، وإميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني[٢٧]، وميجان الرويلي وسعد البازعي[٢٨]، وغيرهم[٢٩]، إلا أنها لا تؤدّي الفائدة المرجوة منها، وخاصة مسألة إعداد هذه اللغة المشتركة المشار إليها آنفاً.

فمعجم الحاني، على الرغم من أنه جهد رائد، محدود في مجاله وتطلُّعاته، وهو جدّ قديم، ولا أظن أن هناك اليوم من يستطيع أن يزعم أن هذا المعجم، الذي لا تكاد صفحاته تصل إلى المئة والخمسين صفحة، لم يستنفد أغراض وجوده. وكذا الشأن في طبعته الثانية التي ظهرت تحت عنوان **المصطلح في الأدب الغربي**[٣٠]. والتي لا تحقّق تقدماً ملحوظاً بالمقارنة مع

سابقتها، خلا حذف بعض المداخل، والتنقيح الصياغي لبعضها الآخر، واختيار قطع أصغر رفع من عدد صفحاته، ولكنه لم يجعله أكثر جدوى، على الرغم من مضي نحو عقد من السنين على الطبعة الأولى.

أما معجم وهبة ثلاثي اللغات الهام، فهو معجم مداخل موجزة مركَّزة غاية التركيز، لا تشتمل على شروح كافية تشفي غليل القارئ المختص، وبالتالي لا تسهم بالمقدار المتوخى منها في توضيح المصطلحات النقدية والأدبية، وبيان حدود دلالاتها.

وأما معجم حمّادي صمود الموسوم بـ «معجم مصطلحات النقد الحديث»، فهو محاولة جزئية تتسم بقدر كبير من التواضع في تصوُّرها، ومنطلقاتها، والجهد الموظَّف فيها، وفي النهاية حصيلتها، التي لا يبدو أنها ذات نفع كبير للناس. والحقيقة أن هذا المعجم يعاني من جملة أمور تحول بينه وبين تقديم أي حصيلة ذات جدوى. فهو، أولاً، لا يهتمّ إلا بما نسميه النقد الهيكلي (ويعني به حمّادي صمود النقد البنيوي) ويقتصر منه على ما استوقفه من مصطلحه عند قراءته لبعض المحاولات العربية (وهو معدّ قبل عام ١٩٧٧م، أي في بداية تعرض النقد العربي الحديث لرياح البنيوية). وهو، ثانياً، في معالجته لهذا الجزء اليسير، يقتصر على مجموعة كتب لا تكاد تبلغ العشرة ، وجميعها يتصل بالتقليد النقدي الفرنسي الحديث، أو مصادره، وخاصة نصوص الشكليين الروس Russian Formalists ، التي اختارها وترجمها تودوروف إلى قارئ اللغة الفرنسية في الستينات. وهو، ثالثاً، في تناوله لما سمّاه بالمصطلحات المنهجية العامة، أو المصطلحات المتصلة بوصف الرواية، مجتهد مبتدئ، لا توحي ترجماته الصوتية لأسماء من يقتبس منهم، ولا ترجماته لعناوين كتبهم أو أبحاثهم، ولا اقتراحاته العربية لمصطلحاتهم، بأنه قد استوعب حقاً ما يكتب عنه. وصفوة القول إن جهد

حمّادي صمود، على الرغم من ريادته في الاهتمام بالنقد البنيوي ومصطلحه، جهد متواضع .

وأما معجم وهبة والمهندس، فإنه أكثر تقدُّماً في مجال تقديم الشروح الوافية لمعظم المداخل المستمَدَّة أساساً من معجم وهبة الثلاثي اللغات، ولكنه يبقى بعيداً عن الوفاء بحاجة القارئ العربي، فهو ضئيل الحجم نسبياً، لا يكاد يستوعب إلا القليل من هذه المصطلحات. فقد طمح مصنِّفاه إلى الإحاطة بالمصطلحات العربية للغات والآداب الغربية، التي تهمّ الباحث العربي، والمصطلحات المتعلِّقة بعلوم اللغة العربية (من معان وبيان وبديع، ونحو وصرف، وعروض وقواف، ولهجات) وآدابها في مختلف العصور، إضافة إلى المصطلحات المتصلة بالتجويد، والتوحيد والفرق والتفسير والحديث[٣١]، وكل ذلك فيما لا يتجاوز خمساً وسبعين ومئتي صفحة من القطع الكبير. وهذا طموح لا يمكن أن ينهض به جهد الباحثين المحمود، لأنه بحاجة إلى جهود فريق أكبر. وربما كان من الجدير بالذكر، في هذا المقام، أن طموح الباحثين قد دفع بهما إلى إخراج طبعة منقَّحة ومزيدة من معجمهما، صدرت بعد مضي خمس سنوات على ظهور طبعته الأولى. ولكن الطبعة الجديدة[٣٢]، وهي تقدِّم ملموس على سابقتها، تظل دون الوفاء بحاجة القارئ العربي لمعجم موسوعي، يقدِّم له المصطلح الأدبي والنقدي المستلهَم من التقاليد.الغربية تقديماً يتسم بالعمق والغنى والشمول والمعاصرة في آن واحد. وهذا عمل يقتضي جهداً جماعياً، ترعاه مؤسسة عامة أو خاصة، تنفق على إعداد مواده، وتسند تجديده إلى فريق من خبراء المصطلح في الوطن العربي، وتصدره في طبعات مختلفة تناسب أنواع القراء في الوطن العربي.

أما معجم عبد النور فإنه معجم يستند إلى التقاليد الأدبية الفرنسية

أساساً، وهي أضيق من أن تستوعب المصطلح النقدي والأدبي الحديث. وكذلك فهو جهد غير متأنٍّ تأني جهد مجدي وهبة الجيد ذي الدقة والشمول والاستقصاء.

وعلى الرغم من نظرة سعيد علوش الناقدة لأعمال وهبة، وصمود، وعبد النور، وغيرها، ووعيه ثغراتها، التي يشير إليها بشيء من التفصيل في مقدمته لمعجمه، وعلى الرغم من سعيه لتجاوزها، مستعيناً بمجموعة من المعاجم الإنكليزية والفرنسية المدرسية من جهة، والحديثة والمعاصرة من جهة أخرى، فإن عمله، الذي أراده معجماً مسايراً للإنتاج الأدبي العربي المعاصر، ينزع- كما يعترف هو نفسه- «نحو نظرية المعرفة، ومجال الكلّيات الإنسانية»[٣٣]، وهو العيب الذي يأخذه على معجم وهبة[٣٤]. وكذلك فإن المصطلح فيه يعبِّر عن «ممارسة أدبية لم تترسخ بعد في حقلنا المعرفي، بالإضافة، إلى افتقادها لإنتاج يدعمها في العالم العربي»[٣٥]، أي أنه، بعبارة أخرى، لا يساير الإنتاج الأدبي العربي المعاصر، وبالتالي لا يحقِّق هدفه، الذي يعلن عنه في المقدمة. وفضلاً عمّا تقدم، فإن مصطلحاته لا تصاحبها أمثلة توضيحية لأسباب يذكر منها:

١ ـ تَخوُّفه من إثقال المصطلح.

٢ ـ واقتناعه بمؤشرية المصطلح، لا بنهائيته.

٣ ـ ولضرورات تقنية ثالثاً[٣٦].

وهو بهذا يستغني طوعاً عمّا يمكن أن تقدمه هذه الأمثلة من فائدة توضيحية في تقريب المفهوم النقدي من ذهن القارئ العربي، الذي يحاول أن يستوعب مدلولات هذه المصطلحات، فيلجأ إلى معجم أدبي مختص. إن من المؤسف حقاً أن يتحوَّل معجم علوش، الذي بدأ واعداً جداً في مقدمته، إلى مجرد سرد لجملة من المصطلحات مرتَّبة هجائياً، ومُقَدَّمة بلغة برقية،

تكاد تستعصي حتى على القارئ الخبير بهذه المصطلحات. وهو مسرد قائم على اجتهادات غير متأنية، تنطلق من نقطة الصفر. فمصطلح النقد العربي الحديث، على سبيل المثال، لم يعد يستخدم الأوتوبيوغرافيا، والبيوغرافيا(٣٧)، وإنما السيرة الذاتية والسيرة. وكذلك فإن معظم المداخل، التي يتضمنها المعجم (الذي لا يتجاوز حجمه الفعلي مئة وعشرين صفحة)(٣٨)، لا تعني الكثير للقارئ العربي الذي لا يألف مسمّياتها. أما القارئ الخبير فإنه مضطر للرجوع إلى أصولها ـ الفرنسية أو الإنكليزية ـ عبر الإحالات الرقمية في بداية كل مدخل، حتى يستبين له ما يتحدث عنه صاحب المعجم(٣٩).

وأما معجم ابراهيم فتحي الموسوم بـ **«معجم المصطلحات الأدبية»**، فهو جهد لا يتعدى الإعداد (كما يشير إلى ذلك غلاف الكتاب الداخلي والخارجي). ويبدو أنه كان جهداً متعجلاً، أملته الحاجة لمعجم كهذا، ولذا جاء دون مقدمة أو ثبت بالمصادر والمراجع، أو حتى إشارة إلى الأصول التي أعدَّه منها. والمرجح أنه ترجمة لجملة من المصطلحات من معاجم أدبية ونقدية إنكليزية متنوعة. وهذه المعاجم كثيرة، وموفورة، ومتنوعة في حجمها، ومستواها، وغرضها، ودرجة استقصائها(٤٠)، وهي دونما شك، ذات فائدة كبيرة، إذا ما كان الوعي هو الناظم لعمل مراجعها.

وأما قاموس **المصطلحات اللغوية والأدبية**، الذي تعاون على تأليفه فريق مؤلف من الدكتور إميل يعقوب والدكتور بسام بركة والباحثة مي شيخاني، فيسعى أساساً إلى خدمة المثقفين العرب، الذين يعملون في ميدان الترجمة إلى الفرنسية أو إلى الإنكليزية، أو منهما إلى العربية (ص٥)، ولذلك فإنه يرى في قاموس المصطلحات الخاصة بعلم من العلوم أو فنّ من الفنون مجرد وسيلة تساعد المترجم على نقل مايعترضه منها عند ترجمته من لغة إلى لغة، بصرف النظر عن أهمية المصطلح الفني بوصفه مفهوماً (Concept)

تطوّر ضمن سياقات نوعية محددة خاصة بالأمّة التي وضعته، أو بتلك التي نقلته إلى لغتها، ووظّفته فيها لخدمة أغراض محدّدة تمليها عليها حاجات خاصة بها. وهكذا أثبت الفريق كل ما توصّل إليه من مصطلحات اللغة والأدب، واضعاً أمام كل مصطلح عربي ما يقابله في اللغة الإنكليزية، ثم ما يقابله في اللغة الفرنسية، ومقدّماً بعد ذلك ماتيسّر له من تعريف بهذا المصطلح، أو شرح لمدلوله أو مدلولاته، أو إيضاح لها، صادراً في ذلك كله عن الخبرات السابقة لعضوين من أعضائه[٤١] في ميدان التأليف في المصطلح اللغوي؛ وعن **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** لمجدي وهبة وكامل المهندس ـ الذي اعتُمِد عليه اعتماداً أساسياً، كما يقرّ بذلك أعضاء الفريق في المقدمة (ص ٥)- وعن عدد من المعاجم العربية والفرنسية الخاصة باللغة والأدب، وهي بالتحديد معاجم عبد النور، وتودوروف، ودوكرو، وغريماس، وكورتيس، وموريه (Morier)، ودوبوا (Dubois)، وآخرين، وعدد آخر من المعاجم اللغوية العربية والإنكليزية والفرنسية، مما هو متداول ومعروف[٤٢]، فضلاً عن اجتهادات أعضائه الخاصة، التي حاولوا فيها أن يجدوا النظيرين الإنكليزي والفرنسي للمصطلح العربي، الذي ملأت مداخله أكثر من أربعمئة صفحة، توزّعت على أبواب بعدد حروف الهجاء العربي.

ويبدو للناظر في هذا المعجم للوهلة الأولى أنه معجم واعد، بسبب خبرة مؤلفيه السابقة في ميدان التأليف الاصطلاحي، ولكونه حصيلة جهد جماعي، غالباً ما نفتقده في المعاجم العربية (خلا **المعجم الوسيط** ومعجم آخر). ولكنه سرعان ما يتبيّن له، عند مراجعته، أنه جهد غير متأنٍّ، ويكاد، في مصطلحات الأدب والنقد، ينطلق من نقطة الصفر، لو لم يكن للمصطلحات اللغوية، ولتلك المتصلة بعلوم اللغة العربية بشكل خاص، نصيب الأسد. والغالب في عمل المؤلفين إيرادهم للمصطلح العربي، وإتباعه بالترجمة الإنكليزية فالترجمة الفرنسية إن تيسرتا، أو بالمصطلحين الإنكليزي

فالفرنسي إن عرفا، وإلا فإن من السهل عليهم الاكتفاء بالمدخل العربي والتعقيب عليه بما يرون من تعريف أو شرح أو إيضاح. وإذا ما اكتفى المرء بالتمثيل على هذا العمل من **باب الألف،** فإنه يستطيع أن يورد الملاحظات العجلى التالية (وله في ذلك أسوة بالمؤلفين) على المصطلحات الأدبية والنقدية واللغوية الواردة فيه، مما يمكن أن يعرض للقارئ العادي. أما القارئ المختص فلا شك في أنه سيعثر على الكثير مما يختلف فيه مع المؤلفين.

فالإباحية مذهب ديني وفنّي مرتبط بأزمنة وأمكنة محدَّدة أتى على ذكرها وهبة والمهندس في الطبعة الثانية من معجمهما[٤٣] وعلى نحو يشفي غليل القارئ، وليس على النحو المقتضب الذي قدمه المؤلفون (ص ٨)، والذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فضلاً عن التشويه والاضطراب في مدلوله.

و **الأبجدية** هي حقاً كما شرحت بالعربية (ص ٩)، ولكن نظيريها الإنكليزي والفرنسي ليس ما ذكره المؤلفون، وهو (alphabet)،خاصة أنهم يكررونه نظيراً لمصطلح الألفباء العربي في الصفحة (٨١)، وهذا ما يثير حيرة القارئ إزاء هذا التباين في دلالة المصطلحين الإنكليزي والفرنسي.

و **الإبداعية** ليست نظيراً للرومانسية والرومنطيقية (romanticism) أو (romanticisme) (ص ١٠)، لأنها مصطلح يتجاوز كل ماعرف في الثقافة العربية الحديثة من خلاف حول هذا المصطلحين، كما أنه مصطلح قيمي (من القيمة) يوحي بقصر الإبداع على هذه المدرسة، فضلاً عن أن خصائصها التي يوردها المؤلفون لاتحظى بالإجماع.

والإبهام، الغموض ، ونظيراه الإنكليزي والفرنسي على ماذكره المؤلفون (ص ١٤)، ولكنه مصطلح له تاريخ طويل يبرز فيه الناقد الإنكليزي ويليام إمبسون (william Empson) بروزاً صارخاً، وهو صاحب الكتاب

المشهور **سبعة أنماط من الغموض** (Seven Types of Ambiguity، 1930)، وشَرْحُه على النحو الوارد في القاموس شرح قاصر ومضطرب.

والأثر الخالد (ص١٧) ليس نظيراً موفَّقاً لمصطلح (master piece)، الذي أجمع العرب المحدثون على اختيار مصطلح الرائعة (وجمعها الروائع) نظيراً له.

والاحتجاج بالقرآن والحديث (ص ٢٠) شأن مهم جداً في الثقافة العربية الإسلامية، لا يترجم حرفياً على النحو الذي أورده المؤلفون.

والأخذ (ص ٢٢) ليس مصطلحاً موفَّقاً لمصطلح (plagiarism)، الذي يعني الانتحال أو النحل في اللغة العربية.

وأداة التشبيه (ص ٢٤) لا تترجم بـ (particle of comparison)، لأن التشبيه هو (simile)، وليس (Comparison)، التي تعني الموازنة أو المقارنة.

وأدب الرواية (ص ٢٥) ليس نظيراً صحيحاً لـ (history of Literature)، أو تاريخ الأدب، والفارق أوضح من أن يشار إليه.

والأدب العالمي (ص ٢٦) نظيره بالإنكليزية هو (world Literature)، وليس (Universal Literature)، كما يقترح المؤلفون.

و **الأدب القصصي** (ص ٢٦) نظيره بالإنكليزية هو (Fiction) ، وليس (narrative Literature) ، الذي يترجم بالأدب السردي.

وأدونيس (ص ٢٨) شاعر معاصر، كان الأولى بالمؤلِّفين ذكر تاريخ مولده ، وأسماء عدد من دواوينه، وليس كتابين نقديين له .

و**الاستقبال** (ص ٣٩) ونظيراه الإنكليزي والفرنسي جميعها صحيح، ولكنه متصل اليوم باتجاه نقدي تتزايد أهميته في عصرنا يوماً بعد يوم. وإغفال هذا الجانب من المصطلح قصور غير مسوَّغ في معجم لمصطلحات الأدب.

و**الأقصوصة** (ص ٧٥) هي القصة القصيرة في الثقافة العربية الحديثة، ولا يصحُّ استخدام مصطلح (novella) نظيراً لها، لأنه يعني الرواية القصيرة، وبالتالي فإن شرحها كما أورده المؤلفون لا يستقيم.

و**الالتزام** هو ماذكره المؤلفون (في ص ٧٨)، ولكنه مصطلح ندين به لجان بول سارتر، الذي لم يخطر لمؤلفينا على الإطلاق حتى إيراد اسمه، على الرغم من إشارتهم إلى الفلسفة الوجودية.

و**ألف ليلة وليلة** هي ماذكره المؤلفون (ص ٨٠) ولكن الشائع في الإنكليزية أن يشار إليها بـ (Arabian Nights) أو الليالي العربية.

و**الأنموذج** (ص ٨٦) ليس الـ (pattern)، الذي هو النسق.

ولا أظن إلا أن هذه التعليقات العجلى تجعل المرء يفكر أكثر من مرة قبل الرجوع إلى هذا القاموس للاستعانة به في ترجمة المصطلح الأدبي والنقدي.

وأما ميجان الرويلي وسعد البازعي فإنهما يحاولان في **دليل الناقد الأدبي**، «تقديم مجموعة من أبرز المصطلحات والمفاهيم والاتجاهات الشائعة في النقد الأدبي المعاصر، في عرض متوسط الحجم، يفوق العرض المعجمي أو القاموسي المقتصد في تفاصيله، ولكنه لا يصل إلى مستوى المناقشة المستفيضة، التي تتسم بها المقالات التحليلية» (ص ١٠). ومعيارهما في انتقاء هذه المصطلحات والمفهومات والاتجاهات هو «أهمية المفهوم أو الاتجاه ودرجة تأثيره وانتشاره». أما عملهما فيقوم على تقديم رؤية تفسيرية وتقويمية

بعيدة عن وهم الموضوعية من ناحية، والمعالجة الايديولوجية الفجّة من ناحية أخرى. وقد اختار المؤلفان واحداً وثلاثين مصطلحاً، وقاما بشرح كل واحد منها في عدد محدود من الصفحات، تفاوت بين الصفحة الواحدة والخمس والعشرين (مصطلح التقويضية). وعلى الرغم من معاصرة هذا الدليل بالقياس إلى غيره من المحاولات السابقة، هذه المعاصرة التي تتبدّى أساساً في تقديم بعض الموجات الأخيرة من مصطلحات النقد، على حدّ تعبير جابر عصفور، فإن الدليل يشكو من ضعف حس النسبة في توزيع صفحاته على المداخل، مثلما يشكو من انعدام الاتساق في مصطلحه (فالمؤلفان، على ما يبدو، ما يزالان حائرين في اعتماد مقابل عربي لمصطلح (intertextuality) ، ولذلك فإنهما يراوحان بين «التناص» و«العبرنصّية»، و «المابين نصّية»، ص ١٠٠)، واتكائه المسرف على عملين شائعين في العالم الأنكلو ـ أمريكي (لأبرامز، ولينتريشيا وماكلوهان) وإغفاله جهداً عربياً امتدّ عدة عقود من التأليف المعجمي الخاص بالمصطلحات الأدبية والنقدية، وأمور أخرى أشار إليها جابر عصفور في مراجعته السمحة لعملهما، عندما قال:

«إن **دليل الناقد الأدبي**، ليس سوى دليل للقارئ ، الذي يطالع النقد الأدبي المعاصر، ويعاني من رطانة عباراته وغموض مصطلحاته الجديدة. والدليل مفيد من هذه الناحية إلى حدّ. أما طموحه إلى أن يكون **دليل الناقد الأدبي**، فهو طموح يحتاج إلى أضعاف الجهد الذي بذل، في طبعة أخرى أكثر قدرة على مخاطبة الناقد الأدبي، وأكثر تمكناً من المعارف الصعبة المعقّدة التي يحتاج إليها الناقد الأدبي المعاصر. ولكن إذا نظرنا إلى الدليل من منظور القارئ العادي، وهو منظور لا ينبغي لأحد التقليل من شأنه، فإننا نقترح على الباحثين مراجعة بعض اجتهاداتهما في الترجمة، والإفادة من الإنجازات التي سبقتهما، والتي لم يطّلعا عليها، وذلك كي يكتمل هدفهما،

وهو المساعدة في تنمية المثاقفة النقدية، ويؤكد ذلك أن القائمة البيبليوغرافية الملحقة بالدليل في حاجة إلى المزيد من الإكمال والتدقيق والتمييز بين الكتب المترجمة والمؤلفة، والمقالات المؤلفة والمترجمة في الوقت نفسه. وأتصور أن الحس اللغوي السليم للباحثين سوف ينأى بهما، في الطبعة القادمة من الكتاب، عن بعض الصيغ التي قد يشاركني الكثيرون في عدم الارتياح إليها، .. وقريب من ذلك التردد الذي قد يربك القارئ، ويدلّ على عدم حسم المؤلفين في الاختيار، مثل الحديث عن «علم الإشارة أو علم العلامة»، أو «العبرنصّية، أو المابين نصّية، أو التناص». والأحكم الاقتصار على مصطلح واحد، خاصة أننا ندخل في باب ما أصبح متعارفاً عليه بين النقاد. وقريب من ذلك نطق الأعلام الأجنبية...»(٤٤).

ومعنى هذا أن العمل الواعد لايمكن أن يفي بالحاجة لأنه قائم على العجلة والإسراف في الثقة بالنفس، فضلاً عن محدوديته واضطراب مادته وصعوبة تواصلها مع القارئ.

وعندما ينتقل المرء إلى معجم محمد عناني الموسوم ب **المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم إنجليزي– عربي** فإنه يجد أن ينطلق فيه من وعي معرفي متقدم في مسألة المصطلح النقدي عامة، وفي إشكالاتها المختلفة في الثقافة العربية الحديثة خاصة. وهكذا نراه يكتب في تصديره له:

«هذا معجم من لون جديد، فهو لايعرّف المصطلحات الأدبية مفردة، بل يلقي عليها الضوء في سياقاتها الحيّة، مبرزاً الاختلاف في مفهومها في إطار مايسمى بالنظرية الأدبية أو النقدية الحديثة، والتي شاعت الإشارة إليها بلفظ «النظرية» theory وحسب.

وهو ينقسم إلى قسمين متكاملين: مقدمة عامة ترصد الجذور وتتناول المشاكل الخاصة بترجمة المصطلحات وتعريبها؛ ومعجم وجيز يتضمن أهم

المصطلحات التي شاع استعمالها في ربع القرن الماضي، وبالتحديد من عام ١٩٧٠ إلى عام ١٩٩٥. وإن كنت قد أبحت لنفسي أن أدرج مصطلحات نشأت قبل ذلك في لغات أوربا الشرقية وآدابها، ولم يكتب لها أن تشيع إلا عند ترجمتها إلى لغات أوربا الغربية» (ص ١) .

وأما المقدمة التي «طالت فأمعنت في الطول»، على حدّ قول العناني فإنها:

«تتضمن أبواباً كان يمكن أن أدرجها في متن المعجم، ولكنها تعود بالقارئ إلى بدايات المدارس التي أتت بالنظرية، فهي أسبق تاريخاً من الحدّ الزمني الذي وضعته للمصطلحات؛ وهي تتضمن كذلك بعض المسائل المتعلقة بفنون ترجمة المصطلح، ونبذة تاريخية بالغة الإيجاز عن دخول مصطلحات النقد الأوربي والأمريكي إلى العربية، ثم عرضاً موجزاً للشكلية الروسية، ومدرسة براغ، ومدرسة موسكو– تارتو، والبنيوية في فرنسا وأمريكا، والتفسيرية أو (الهرمانيوطيقا)، والتفكيكية، ثم علم العلامات أو (السيميوطيقا)، وأخيراً كلمة موجزة عن النقد النسائي» (ص ٣).

وأمّا المعجم فقد اتبع فيه العناني منهج مايسمى ب «معجم المقالة»، أي كتابة مذكرات موجزة عن كلّ مذهب يضمّ عدداً من المصطلحات ، توضح معانيها في غضون عرضها. وبسببٍ من هذا الإيجاز كانت المقدمة مطوّلة، امتدت حتى بلغت (٢١٦) صفحة، في حين ان المعجم لم يتجاوز مئة وأربعاً وعشرين صفحة. ومعنى هذا أن المقدمة والمعجم يتكاملان تكاملاً وظيفياً يخدم القارئ العربي، الذي كثيراً مايضلّ في متاهات التوليد الاصطلاحي المسرف، الذي يبدأ من نقطة الصفر متجاهلاً بذلك جهود السابقين. وهو ماحاول العناني أن يتجنبه، فنراه يبدأ من حيث انتهى مجدي وهبة في **معجم مصطلحات الأدب**. وهو لايكتفي بتقفي خطاه، والاستعانة

بسفره النفيس، كما يصفه، في إيضاح الغامض الغريب في مصطلحات النظرية الحديثة، بل يهديه معجمه الجديد **آية عرفان بالجميل رحب لايموت**. وكيف لايفعل ذلك ومجدي وهبة قد «فتح الطريق وأرسى الأسس». وهكذا نراه يتجنب المصطلحات الأدبية الواردة في معجم وهبة إلا «ماتغير معناه واقتضى التنويه به» (ص ٢)، ويقدم المصطلحات الأدبية والنقدية الحديثة مقترحاً ترجماته التي يقرّ بأنها ترجمات غير نهائية. ذلك أن القصد أن تمثل هذه الترجمات «معاني تلك المصطلحات فحسب؛ ابتغاء تقريبها من قارئ العربية المعاصرة». ولذلك فإن المعجم كثيراً مايتضمن «أكثر من ترجمة واحدة للمصطلح الواحد»، وفقاً للمعاني أو ظلال المعاني التي استطاع استخلاصها من كتابات النقاد عنه، مشفوعة بالشرح وبالشواهد التي تستند إليها الترجمة.

والحقيقة أنه على الرغم من معاصرة هذا المعجم ومجاراته لأحدث تطورات النقد ونظرياته في العالم الغربي، وانطلاق مؤلفه من معرفة خبيرة في شؤون المصطلح وشجونه، وحرصه على الدقة والوضوح في كل ماأورده لقارئه، الذي يحتفي به حفاوة كبيرة، بخدمته على النحو الأمثل، وبخاصة في مسرده (ص ١٣٩– ١٥٨)، الذي يشفع به معجمه، وفي ثبتي مراجع المقدمة (ص ٢١٠– ٢١٦)، والمعجم (ص ١٢٥– ١٣٨)، اللذين يشيان بجهد قلّ نظيره في التأليف العربي الحديث، فإن من البيّن أن معجماً كهذا لايمكن أن يشفي غلة القارئ العربي إلى معجم موسوعي واف بكل مصطلحات النقد الحديث والمعاصر، التي وفدت إلى المشهد النقدي العربي في القرن العشرين. فضلاً عن أن اعتماده المسرف على معجم جيرمي هاوثورن **مسرد مختصر للنظرية الأدبية المعاصرة** "A Concise Glossary of Contemporary Literary Theory"، على أهميته، وإغفاله

معاجم موسوعية في غاية الأهمية، من مثل **موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (١٩٩٣)، و**موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة: مقاربات، باحثون، مصطلحات** (١٩٩٣)، و**دليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (١٩٩٤) وغيرها مما سيشار إلى أهميته لاحقاً، ربما حرماه من مصادر غنية ومهمة جداً في حقل تأليفه. وبالطبع فإن المرء لايسعه إلا أن يحمد للمؤلف عودته إلى الكثير من المعاجم المتخصصة التي يثبتها في خاتمة معجمه (ص ١٢٤– ١٢٥)، ومراجعته لعشرات المؤلفات النقدية العالمية (ص ١٢٥– ١٣٨ و ٢١٠– ٢١٦)، ولكنه من جهة أخرى يأسف لأن المؤلف لم يتيسر له الاطلاع على طبعاتها الأحدث كما في معجم «**Cuddon**» الذي صدرت منه طبعة موسعة ومنقحة حملت عنواناً جديداً هو **معجم المصطلحات الأدبية والنظرية الأدبية** في عام (١٩٩١)، أو في مسرد **ريموند ويليامز**، الذي صدرت منه طبعة موسعة عام (١٩٨٣)، أو في مؤلف لينتريشيا ورصيفه ماكلوغلين، الذي صدرت منه طبعة موسعة عام (١٩٩٥) وغيرها، وهذا يشير إلى المشقة التي ينبغي للباحث العربي أن يتكبدها إذا مارغب في جعل بحوثه راهنة حقاً، وبخاصة في ظل تخلف المكتبات العامة والبحثية في الوطن العربي عن مجاراة حركة التأليف العالمي. وهكذا فإن هذا المعجم الوجيز والقيّم في آن واحد يعدّ بحق خطوة متقدمة نحو تأليف معجم موسوعي لمصطلحات النقد والأدب، ولكنها تظل خطوة فردية، بكل وجوه العمل الفردي الإيجابية والسلبية، وكيف للجهد الفردي أن ينهض بحاجة مجتمع متلهف للّحاق بركب العصر المعرفي.

ولا شك في أن هذه الجهود مهمة ومفيدة، ولكن الغالب على معظمها أنه جهد فردي، بعيد، للأسف، كل البعد عن عمل الفريق الخبير، الذي يقوده محرِّر خبير، قادر، تدعمه مؤسسة علمية عريقة، ويتوجَّه إلى جمهور واسع من المعنيين بالعملية الأدبية إنتاجاً واستهلاكاً. وعندما يتذكر

المرء مايتيسر للباحث العربي عامة (باستثناء دول مجلس التعاون الخليجي) في أي ميدان من تسهيلات بحثية ومعرفية، فإنه لا يمكن إلاّ أن يتواضع في توقّعاته من الجهود الفردية، ويشفق على أصحابها مما سعوا إلى النهوض به من جهة، ويكبر من جهة أخرى جهودهم، ويشدّ على أيديهم، لأن هذه الجهود يحركها الإيثار والغيرية.

إن المكتبة العربية ما زالت بحاجة إلى معجم موسوعي شبيه بموسوعة **برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (الصادرة عام ١٩٩٣)، أو **بموسوعة النظرية الأدبية المعاصرة: مقاربات، باحثون، مصطلحات** (الصادرة عام ١٩٩٣)، أو **بدليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (الصادر عام ١٩٩٤)، يضمّ بين جنباته مجموعة وافية من المقالات المركّزة عن المصطلحات والمفهومات الأساسية في هذا الحقل المعرفي المهمّ، ولا يكتفي فيه بوضع النظير العربي للمصطلح الأجنبي أو بالشرح الموجز البسيط لمحتواه ودلالته. ولعل الحديث برقياً عن هذه الآثار الجمعية، التي نهضت بها مؤسسات جامعية عريقة، وأعدت مداخلها مجموعة من الخبراء الثقات في حقل النظرية النقدية، وتولّت تحريرها هيئات عرفت كيف توظّف جهود المسهمين فيها لتحقيق هذه الإنجازات المعتبرة في عالم التأليف الجمعي، يعطي الباحثين العرب العاملين في هذا الميدان فكرة عن عوامل نجاحها.

فأما **موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية**(٤٥) فقد صدرت بحلّتها الجديدة في نحو ثلاثة أرباع المليون كلمة، وثمانمئة مدخل (تتفاوت في حجمها بين المدخل الموجز، الذي لا يتعدّى بضع مئات من الكلمات، والمدخل الموسَّع، الذي يبلغ عشرين ألفاً)، مرتَّبة هجائياً، كتبها فريق من الباحثين الدوليين في الشعر والشعريات الشرقية والغربية، القديمة والحديثة، يضمّ أكثر من ثلاثمئة وخمسين باحثاً من الحجج الثقات في ميدان الشعر

ونقده، وكانت بحق ذخيرة في غاية الغنى، من المعرفة الواضحة الدقيقة عن الشعر وفنِّه عبر العصور، وفي مختلف بقاع كوكبنا الأرضي. لقد كانت، كما تصفها المقدمة:

«كتاب معرفة، وحقائق، ونظريات، وقضايا، وأحكام خبيرة، عن الشعر. غرضه تقديم مرجع شامل، ومقارن، ومتقدمٌ إلى درجة معقولة، ولكنه مقروء لجميع الطلاب أوالأساتذة أو الباحثين، أو الشعراء، أو القرّاء العامين المعنيين بتاريخ أي شعر في أي أدب قومي في العالم، أو بأي وجه من تقنية الشعر أو نقده. وهو يحوي مسوحاً للشعر في ١٠٦ قوميات، وأوصافاً للأشكال والأجناس الشعرية، سواء منها الكبرى أم الصغرى، التقليدية أم الحديثة العهد أم المنبثقة مجدَّداً، وشروحاً تفصيلية لتقنيات العروض والبلاغة، وعروضاً مجملة لجميع مدارس الشعر قديمها وحديثها، غربيِّها وشرقيها. إنه ييسِّر عروضاً متوازنة وشاملة للحركات والمسائل الرئيسية في النقد والنظرية الأدبية، ومناقشات لصلات الشعر المتعدِّدة الجوانب والمستويات بالحقول الأخرى للنشاط والفكر الإنسانيين ـ التاريخ، والعلم، وعلم السياسة، والدين، والفلسفة، والموسيقى، والفنون البصرية» (ص٧).

والحقيقة أن قارئ الموسوعة لا يمكن أن يتردد لحظة في أن يغبط محرريها على نجاحهم في مسعاهم المعرفي هذا، بل وفي أن يهنئهم التهنئة الحارة اللائقة على إنجازهم الرائع. فقد استطاعت هذه الموسوعة الضخمة (ذات المجلد الواحد، ذي الصفحات الثلاث والثمانين والثلاثمئة والألف)، التي نشرت أول ما نشرت عام ١٩٦٥، ثم ظهرت في طبعة ثانية مذيَّلة بملحق موسَّع عام ١٩٧٤، وبعدها في طبعة جديدة عام ١٩٩٣، بعد مراجعة شاملة ومتخللة لنحو ٩٠٪ من مادتها، وإضافة بلغت ١٦٢ مدخلاً جديداً، أن تستجيب على نحو إيجابي لمختلف التطورات التي خضعت لها

التقاليد الشعرية القومية، وأساليب دراستها وتحليلها ونقدها، خلال ربع القرن الأخير. وربما كان من الجدير ذكره، في معرض الحديث عن أهمية هذه الموسوعة للقارئ العربي، أن ثمَّة عدداً لا بأس به من المداخل الموسَّعة المتصلة بالتقاليد الشعرية العربية ونقدها، من مثل الشعرية العربية، والشعر العربي، والعروض العربي، والشعر العربي الأندلسي، والقصيدة، والزجل، والموشّح، أعدّها مختصون معروفون من غرب العالم وشرقه.

وأما **موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة، مقاربات، باحثون، مصطلحات**(٤٦)، فقد صدرت عن جامعة تورنتو الكندية عام ١٩٩٣، وأعيد طبعها في أعوام ١٩٩٣، و ١٩٩٤، و ١٩٩٥، وشارك في كتابة مداخلها نحو مئة وسبعين باحثاً، كوّنوا مع المحرِّرة والمجلس الاستشاري للموسوعة فريقاً سعى إلى تقديم المشهد النقي المعاصر في مقارباته الأساسية، والعاملين البارزين فيه، فضلاً عن مصطلحاته ومفهوماته الرئيسية، بمقالات مركَّزة تروي ظمأ الشادي والخبير معاً، وتضعهما على بداية الطريق الصحيح لاستكشاف عوالم هذا المشهد وشخصياته والأنظار التي تحكمه.

وأما **دليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (٤٧)، فقد صدر عام ١٩٩٤، عن مطبعة جونز هوبكنز الأمريكية، مصدَّراً بمقدمة مهمة للناقد المعروف ريتشاردز ماكزي، وشارك في إعداد مداخله، التي تتجاوز المئتين (٢٢٦)، نحو من مئتي مختص، استكتبوا من على جانبي الأطلسي، وسعوا مجتمعين إلى تقديم جرد مرتَّب ألفبائياً لنقاد العالم الرئيسيين والمدارس السائدة في العصر الحديث، فضلاً عن العروض التاريخية للتقاليد النقدية القومية المختلفة، مع تركيز خاص على المشهد المعاصر، واهتمام كبير بإسهام العلوم الإنسانية المختلفة في هذا المشهد، وذلك بإفراد مداخل موسَّعة لعدد من الفلاسفة والمنظِّرين السياسيين والأنتروبولوجيين وعلماء النفس، الذين كان

لهم إسهام مهم في تطور النظرية النقدية الحديثة.

ونتيجة الإعداد المتقن لمداخل هذا الدليل الموسوعي المهم للشخصيات والمدارس والحركات في هذا الحقل المعرفي المؤثِّر والمتنامي في آن واحد، أحاط كل مدخل من مداخله بموضوعه إحاطة أصيلة وموثوقة ، لأن الذي قام بإعدادها خبير اختير بعناية ومعرفة. وكالعادة، وكما هو الشأن في الموسوعتين السابقتين، تضمن كل مدخل بيبليوغرافية مختارة بالمصادر والمراجع المعتمدة، أو التي تُيَسِّر معرفة أوسع بمختلف وجوه الموضوع المدروس.

وربما كان يجدر بالمرء أن ينبّه على أن المعجم الموسوعي النقدي، الذي يطمح إليه العاملون في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث ينبغي أن تتولى إصداره مؤسسة جامعية، أو مجمعية، أو ثقافية عامة، تهمُّها قضية التفكير الأدبي ومسألة تطويره في المجتمع العربي الحديث، وأن يقوم عليه فريق منسجم من المحرِّرين ذوي الخبرة الواسعة بتاريخ النقد العالمي وتطوراته الراهنة من جانب، وبتاريخ النقد العربي الكلاسي والحديث وتطوراته وتفاعلاته مع التقاليد النقدية الأخرى عبر العصور من جانب آخر؛ وأن يقوم بإعداد مداخله خبراء وعاملون في ميدان النقد الحديث من جميع المؤسسات والمراكز العلمية في العالم كله، كما هو الشأن في الموسوعات التي تقدَّم الحديثُ عنها، وبذلك وحده نستطيع أن نسهم بحقّ الإسهام المرجوّ في تطوير الفكر النقدي العربي الحديث على نحو يكفل استمراريته من ناحية، وتواصله مع التقاليد النقدية الأخرى من ناحية ثانية. وقد يبدو طموح كهذا أقرب إلى الأحلام منه إلى عالم الممكن في الحياة العربية المعاصرة، التي تفتقر إلى التفكير في ما يمكن تسميته بالأمن المعرفي، وتحرص بالتالي على خلق آليات إنتاج المعرفة، التي يحتاجها المجتمع العربي. ولكن العبرة المستفادة من

تاريخ الأمم العظيمة أن العمل الدؤوب الجاد والمخلص والمثابر يستطيع أن يحوِّل الأحلام إلى حقيقة، والطموح إلى واقع، وليس ثمة من خيار أمام العرب في هذا العصر غير هذا العمل، يتوسَّلون به إلى الانتماء الحق إلى عصرهم.

* * *

الوقوف على مُحَدِّدات المصطلح النقدي

الإنشاء النقدي في معظمه مجموعة مفهومات ومصطلحات ينطوي كل منها على محتوى معين، وتضمُّنات محدَّدة، ودلالات اصطلح عليها من جانب العاملين في هذا الحقل المعرفي المهم، أملتها في الواقع «محدِّدات» (determinants) معيَّنة، لا بد من التنبه لها عند النظر إلى محتوى أي مفهوم نقدي، أو تفحُّص تضمناته، أو دراسة دلالاته.

ولما كان مصطلح النقد الأدبي الحديث في الثقافة العربية المعاصرة مستوحى، في جانب كبير منه، من الثقافات الأجنبية المختلفة، ولما كان مرتبطاً بجملة من المحدِّدات، فإن من المهمّ الوقوف على هذه المحدِّدات. إن هذا المصطلح مرتبط بالأمور الآتية:

١) الآداب الأجنبية المختلفة التي ولد بولادتها، ورافق تطورها ونموها وتحولاتها المختلفة. إن مصطلحاتٍ كالمحاكاة، والوحدات الثلاث، والتطهير، والمعادل الموضوعي، وسواها، مصطلحات مرتبطة بآداب معيَّنة، في عصور معيَّنة، ولا سبيل إلى فهمها بمعزل عن فهم هذه الآداب فهماً حقيقياً.

٢) المذاهب الفنية المتعددة التي شملت فنوناً مختلفة، كان من بينها فن الأدب مثل الرومنتية، والكلاسية، والرمزية، والسريالية، والمستقبلية

وغيرها.

٣) المذاهب الفكرية والفلسفية، التي حفزت ظهور هذه المذاهب الفنية، وألهمتها الكثير من قيمها وأعرافها ومعاييرها ونواظمها، كالوجودية والماركسية والفرويدية.

٤) التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي مرَّت بها المجتمعات التي تنتمي إليها هذه الآداب الأجنبية. ولا ننسى أن المصطلح الأدبي والنقدي، هو، بصورة من الصور، جزء من البنية الفوقية (super-structure) في تلك المجتمعات، وأن هذه البنية تتبادل التأثير مع البنية التحتية (Infrastructure). فالمصطلح المتصل بنهوض الرواية الأوربية في القرن التاسع عشر لا يمكن أن يفهم بمعزل عن استيعاب التحولات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي كانت وراء هذا النهوض.

٥) عملية المواجهة المتعددة الجوانب بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية على نحو خاص، وبين الوجود العربي وأشكال الوجود الأخرى من حوله. إن عملية الاستيحاء، التي قام بها المصطلح النقدي العربي الحديث للمصادر الأجنبية، تمت ضمن سياق (Context) من هذه المواجهة المتعدِّدة الوجوه والمستويات والأبعاد. وقد أثّر هذا الأمر تأثيراً متفاوتاً في تسمية المصطلح وتحديد دلالته.

ومعنى هذا، باختصار شديد، أن عملية استيعاب هذه الشبكة المعقَّدة من المحدِّدات المتنوعة لدلالات مصطلح النقد العربي الحديث أمر هام عند النظر في قضيته. ولعل أحد أسباب تخبُّطنا في استخدام هذا المصطلح هو أننا أغفلنا هذه المحدِّدات، وظننا أن الأمر لا يعدو كونه نقل كلمة من لغة إلى لغة أخرى. ونسينا أن اللغة ثقافة وفكر، وليست مجرد وعاء نصبّ فيه ما نريد من محتوى.

* * *

وهكذا يتبين أن النهوض بالحركة النقدية العربية المعاصرة يتطلب إصلاحاً للنظامين النقدي والأدبي، اللذين يحكمان عمليتي الإنتاج النقدي والأدبي. وربما كانت أهم خطوة في إصلاح هذين النظامين هي تحديد المفهومات، التي يستندان إليها، أي العناية بالمصطلح النقدي والأدبي عناية تنصرف إلى تثبيته، وتحديد دلالته، والوقوف على محدّداته. إنّ الأخذ بجوانب هذا البرنامج، الذي أضعه بين أيدي العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي المعاصر، هو أمر يبدو لي على غاية من الخطر في تقرير مستقبل هذا النقد. ذلك أننا إذا كنا، نحن معشر العاملين في هذا الميدان، نرى في هذا النشاط الفكري الهام حقلاً معرفياً مهماً ومتميزاً (discipline)، أو لنقل، إننا نرى فيه أحد العلوم الإنسانية، فإن من المهمّ أن نتذكر أن أي علم لا يقوم إلا بمصطلحه، ذلك أن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، كما يقول الدكتور عبد السلام المسدي:

«ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى. فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يتميّز كل واحد منها عما سواها. وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوالّ ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته، ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال. فإذا استبان خطر المصطلح في كل فن، توضّح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي، الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، فهو له كالسياج العقلي، الذي يرعى حرماته، رادعاً إياه أن يلابس غيره، وحاظراً غيره أن يلتبس به. ومتى تحلّى الدالّ بخصلتي الجمع والمنع، كان، على صعيد المعقولات، بمثابة الحدّ عند أهل النظر المقولي، الذين هم المناطقة، فيكون للمصطلح الفني في أي شعبة من شعاب شجرة المعرفة الإنسانية سلطة ذهنية، هي سلطة المقولات المجرّدة في علم المنطق: فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة

لبنيـة قياساته، متى فسد فسدت صورته، واختلّت بنيته، فيتداعى مضمونه بارتكاس مقولاته»(٤٨).

الحواشي

(١) أبو حيان التوحيدي، **الإمتاع والمؤانسة**، الجزء الثاني، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت)، ص (١٣٠).

(٢) المرجع نفسه، الجزء الثاني، ص (١٣١).

(٣) انظر Roland Barthes, Critical Essays,Translated from French by Richard Howard (Northwestern University Press, Evanston, 1972), p. 258.

(٤) انظر Gérard Genette, Figures of Literary Discourse, Translated by Alan Sheriden, Introduction by Maria - Rose Logan (Basil Blackwell, Oxford, 1982), pp. 3 - 4.

(٥) انظر د. عبد النبي اصطيف، **في النقد الأدبي الحديث:** مقدمات، مداخل، نصوص، الجزء الأول (منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٩٩٠ - ١٩٩١)، ص (١٥).

(٦) بالمعنى الذي يراه رومان جاكبسون في مقالته المشهورة «السائد» " The Dominant" وانظرها في مؤلفه Language in Litarature, Edited by Krystyna Pomorska and Stephen Rudy (Harvard University Press, Cambridge Ma., 1987), pp. 41 - 6.

(٧) انظر د. حسام الخطيب، **اللغة العربية إضاءات عصرية** (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥) ص (٢١ – ٢٢). وانظر أيضاً تعليق الدكتور إحسان عباس على تخبُّط العرب المحدثين في ترجمتهم أو تعريبهم لمصطلح romantic، واستعمالهم له صفة مشتقة من المذهب الرومنتي romanticism نتيجة اجتهادهم الخاطئ الذي يشيعه التداول، عندما يكتب:

«لقد حار الدارسون في ترجمة أو تعريب romantic، فبعضهم قال رومنتي، وبعضهم قال رومنتيكي، وفريق ثالث قال رومنطيقي، ثم ترك كل ذلك وشاع استعمال «رومانسي». ومع التقارب في أصل الكلمتين فإن البون بينهما واسع : romantic، نسبة إلى romanticism ، وهي حركة أدبية بدأت في أوربا عند نهاية القرن الثامن عشر، تتميَّز بالتعبير عن المواجد الذاتية (مخالفة بذلك الكلاسيكية) ،بينما romance تعني سرداً قصصياً طويلاً شعراً كان أو نثراً

للتغني بالحب والبطولة لدى أبطال ذلك النوع من القصص، ومع ذلك لم يأبه الكتاب في الأدب والنقد لهذا الخطأ، ولم يحتج عليه القراء، ولو حدث مثل هذا في العلم لكان حوباً كبيراً».

وانظر: د. إحسان عباس ، «دور عضو هيئة التدريس في تعريب التعليم العلمي الجامعي» (محاضرة ألقيت في ٢٦ نيسان ١٩٨٦ في مجمع اللغة العربية الأردني في عمان)، **الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الأردني**، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ١٩٨٦، ص (١١٦ - ١١٧).

(٨) انظر حسن ناظم، **مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم**، ط١ (المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤)، ص (١٤ - ١٦).

(٩) انظر كشفاً كاملاً بهذه المقابلات العربية للمصطلح في: د. عبد السلام المسدي، **قاموس اللسانيات: عربي - فرنسي، فرنسي - عربي، مع مقدمة في علم المصطلح** (الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٤)، ص (٧٢).

(١٠) الإشارة هي إلى استعمالات من سموا أنفسهم **«كتّاب النص الجديد»** في المملكة العربية السعودية، والذين يصدرون مجلة خاصة بهم، تحمل عنوان **«النص الجديد»**. فقد استعملوا كلاً من «التشريحية» (د. عبد الله الغذامي)، و «التقويضية» (د. ميجان الرويلي)، و«التفكيكية» (د. معجب الزهراني) نظيراً لمصطلح «Deconstruction» ، في ملف العدد الذي قدّم له د. سعد البازعي بعنوان موحٍ هو «محور التقويض أم تقويض المحور» . وانظر إسهاماتهم المختلفة في العدد الخامس من المجلة الصادر في نيسان (أبريل) من عام ١٩٩٦، عن دار الخشرمي في قبرص، الصفحات (١٨٤ - ١٩٠) و (١٩١ - ٢٣٠) و (٢٣١ - ٢٥٢) و (٢٥٣ - ٢٦٨).

(١١) انظر مناقشة الدكتور عبد السلام المسدي للاستعمالات العربية، الشرقية منها والغربية، لهذا المصطلح في مؤلفه: **المصطلح النقدي** (مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٤) وبخاصة فصل «تجريد المماثلة» ص ٩٧ - ١١٢.

(١٢) انظر د. حسام الخطيب، المرجع السابق، ص (٢١).

(١٣) انظر د. حسام الخطيب، المرجع نفسه، ص (٥١ - ٧٤).

(١٤) المرجع نفسه، ص (٧٠).

(١٥) المرجع نفسه، ص (٧٢).

(١٦) المرجع نفسه، ص (٧٤).

(١٧) سعد الله ونوس مقدماً **«المعجم المسرحي»**، «من لعثمة الرواد إلى بيانات المسرحيين المحدثين»، **الحياة** (لندن)، العدد (١٢٥٧٨)، الخميس ٧ آب ١٩٩٧، الموافق ٤ ربيع الآخر

١٤١٨هـ، ص (١٦).

(١٨) د. جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية** (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢)، الجزء الأول، ص (٨ - ٩).

(١٩) د. جميل صليبا، المرجع السابق، ص (٩ - ١٠). ولا ينفرد الدكتور صليبا في دعوته هذه، فهذا هو الدكتور إحسان عباس يؤكد أن من الخير أن يظل المصطلح مقصوراً على مقابل له في لغة أجنبية ما أمكن ذلك. وانظر د. إحسان عباس، المرجع السابق، ص (١١٦ - ١٢٢).

(٢٠) انظر د. ناصر الحاني، **من اصطلاحات الأدب الغربي**، (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩).

(٢١) انظر د. مجدي وهبة، **معجم مصطلحات الأدب**، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤).

(٢٢) انظر حمادي صمود، «**معجم لمصطلحات النقد الحديث: قسم أول**»، **حوليات الجامعة التونسية** (تونس)، العدد (١٥)، ١٩٩٧، ص (١٢٥ - ١٥٦).

(٢٣) انظر مجدي وهبة وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٤) انظر د. جبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٥) انظر سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**: عرض وتقديم وترجمة، (مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤).

(٢٦) انظر إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، (المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس/ تونس، ١٩٨٦).

(٢٧) انظر د. إميل يعقوب، د. بسام بركة، مي شيخاني، **قاموس المصطلحات اللغوية**، عربي - إنكليزي - فرنسي (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧).

(٢٨) انظر د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي، **دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من ثلاثين مصطلحاً وتياراً نقدياً أدبياً معاصراً** (الرياض، ١٩٩٥).

(٢٩) انظر د. محمد عناني، **المصطلحات الأدبية الحديثة**، (الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ١٩٩٦).

(٣٠) الدكتور ناصر الحاني، **المصطلح في الأدب الغربي** (منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ١٩٦٨).

(٣١) انظر د. مجدي وهبة وكامل المهندس، **المرجع السابق**، ص (٧).

(٣٢) انظر د. مجدي وهبة وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، الطبعة الثانية (منفحة ومزيدة)، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤).

(٣٣) انظر سعيد علوش، المرجع السابق، ص (١٥).

(٣٤) المرجع نفسه، ص (٩).

(٣٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٦) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٧) المرجع نفسه، ص (١٧ و ٢٧).

(٣٨) المرجع نفسه، ص (١٧ - ١٣٦).

(٣٩) من الجدير بالذكر أن طبعة مشتركة من معجم الدكتور سعيد علوش قد صدرت عن دار نشر لبنانية وأخرى مغربية في عام ١٩٨٥، وهي لا تكاد تقدم جديداً وانظر: د. سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة** (عرض وتقديم وترجمة) (دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥) وهي لا تشير إلى طبعة عام ١٩٨٤ المشار إليها آنفاً.

(٤٠) يمكن للمرء أن يشير إلى المعاجم التالية على سبيل المثال:

N. H. Abrams, A Glossary of Literary Terms, 3 rd Edition. (holt, Rinehart and Winston, New York, 1971), Chris Baldick, The Concise Oxford Dictionary of Literary Terms (Oxford University Press, 1991).

J. A. Cuddon, A Dictionary of Literary Terms, Revised Edition. (Penguin Books, Harmondworth, Middlesex, 1982),

وطبعته الثالثة التي صدرت تحت عنوان: معجم للمصطلحات الأدبية ونظرية الأدب، عام ١٩٩١.

Roger Fowler (ed.) A Dictionary of Modern Critical Terms (Routeldge & Kegan Paul, London, 1973), وطبعته المنقحة والموسعة

الصادرة في عام ١٩٨٧ عن دار النشر نفسها:

Jeremy Hawthorn, A Concise Glossary of Contemporary Literary Theory, Second Edition (Edward Arnold,London, 1994).

John Peck &Martin Coyle, Literary Terms and Criticism: A Students Guide (Macmillan, London, 1984).Joseph T . Shipley (ed.) Dictionary of World Literary Terms,Enlarged and Completely Revised Edition (George Allen & Unwin, London, 1979).

إضافة إلى المعجمين الفرنسين التاليين، اللذين ترجما إلى الإنكليزية، والمستخدمين على نطاقٍ واسع من قبل حمادي صمود، وسعيد علوش:
Oswald Ducrot and Tzvetan Todorov, Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Language, Translated by Catherine Porter (Blackwell, Oxford, 1981).
A. J. Gremas and J. Courtes, Semiotics and Language: An Analytical Dictionary, Translated by Larry Crist and Daniel Patte, and others (Indiana University Press, Bloomongton & London, 1982).وموسوعات برنستون، وجونز هوبكنز، وتورتنو وغيرها، التي سيشار إليها لاحقاً في هذا البحث.

(٤١) انظر للدكتور إميل يعقوب، **موسوعة النحو والصرف والإعراب** (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦)، وللدكتور بسام بركة، **معجم اللسانية** (جروس برس، طرابلس - لبنان، ١٩٥٨).

(٤٢) انظر **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**، ص (٤٧٧ - ٤٧٩).

(٤٣) انظر مجدي وهبة وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ، ص (٣٤٦).

(٤٤) انظر د. جابر عصفور، «**أوراق أدبية: دليل الناقد الأدبي المعاصر**»، العربي (الكويت)، العدد ٤٨٨، مارس ١٩٩٦، ص (٨٠ - ٨١). وانظر أيضاً رد الدكتور ميجان الرويلي الذي نشرته صحيفة الرياض (الرياض)، تحت عنوان: «رداً على د. جابر عصفور: د. ميجان الرويلي يكشف ويحاور: «لن أستبدل التقويضية بالتفكيك فقط لأن المفردة شاعت»، العدد (١٠١٤٦)، الخميس ١٦ ذو القعدة ١٤١٦هـ، ٤ نيسان (أبريل) ١٩٩٦..

(٤٥) انظر Alex Preminger and T.V.F.Brogan, The New Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics (Princeton University Press, Princeton, 1993).

(٤٦) انظر Irena R. Makaryk, General Editor and Compiler Encylopedia of Contemporary Literary Theory: Approaches, Scholars, Terms (University of Toronto Press, Toronto - Buffalo - London, 1993).

(٤٧) انظر the Johns Hopkins Guide to Literary Theory and Criticism, Edited by Michael Groden and Martin Kreiwirth (the Johns Hopkins University Press, Baltimor and London, 1994).

(٤٨) انظر د. عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص ١١.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم الثالث عشر)(*)

وفاء تقي الدين

باذَروج(**)

باذروج ١: ١٥١، ١٥٦، **٢٧٤**، ٣١٤، ٣٨١/ ٢: ١١٢، ١٤١، ٢٦٧، ٢٨١، ٣٠٧/ ٣: ١١٥، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٧

بادورج وهو الحوك ٢: ١٥٩

الباذروج اليابس ٢: ٥٠٥

(*) نشرت الأقسام الاثنا عشر السابقة في مجلة المجمع (مج ٦٧: ص ٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص ٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و مج ٧٣: ص ١١٧).

(**) كتاب ديسقوريدس ٢٠٥ (اوقمن وهو الباذروج)، ٤٨ (صنعة اوقيمينون وهو دهن الباذروج)، وكتاب النبات ١: ١٣٩، والحاوي ٢٠: ١٦٧، والملكي ١: ١٨٤/ ٢: ١٠٧، والصيدنة ٨٧ ومختارات البغدادي ٢: ٣٧، وشرح اسماء العقار ٨، والمنتخب ٦٩ ومفردات ابن البيطار ١: ٧٦، ومفيد العلوم ١٥ . والمعتمد ١٤، والشامل ٦٦، ومالا يسع الطبيب جهله ٧٣ ٢٤٥ (دهن الباذروج)؛ ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس (حوك =

بزر باذروج	١: ٢٧٤/ ٢: ٢٣٨، ٢٦٧/ ٣: ٢٥٦
دهن باذروج	١: ٢٧٤
عصارة باذروج	١: ٢٧٤/ ٢: ١٥٨، ١٦٤
قضبان الباذروج	٢: ١٧٤
ماء الباذروج	١: ١٥٥، ٢٧٤/ ٢: ١٤٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٢، ٢٢٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٥٥٠، ٥٧٩/ ٣: ٢٦١
ماء البادروج	١: ٣٣٦
ماء ورق الباذروج	١: ٢٧٤
ورق الباذروج	١: ٢٧٤، ٣٩٧/ ٣: ١١٧

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال فيه: «هو الحَوْك، وهو معروف، ودهنه في قوة دهن المرزنجوش، ولكنه أضعف منه، وفيه قوى متضادة..»

الباذروج بقل عطر الرائحة من فصيلة الشفويات، عرفه العرب منذ القديم، وذكره ديسقوريدس في كتابه باسم (اوقمن)، اسمه العلمي Ocimum basilicum مأخوذ من الاسم اليوناني. ذكرته المراجع العربية وعددت أسماءه التي يعرف بها، من ذلك ماقاله أبو حنيفة في كتاب النبات «الحوك الباذروج، وزعم بعض الرواة أنه يُسمّى الضَّوْمَران»، وابن البيطار في مفرداته: «باذروج وهو الحوك، وهو ريحان معروف»، وابن الحشاء في مفيد

= وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٦٤، ومعجم د. عيسى ١٢٦ (٤) والمعربات الرشيدية ١٢٨ وبرهان قاطع ١: ٢١٠، ومعجم الشهابي ٧٨، والمعجم الكبير ٢: ١٧، وتركيب مالا يسع الطبيب جهله ٤٥ ب (دهن الباذروج) . وانظر حوك .

العلوم «باذروج هو صنف من الحبق عزيز الوجود معروف بالمغرب ويسمى الحبق الريحاني» وذكر أيضاً في برهان قاطع وقيل إن اسمه بالعربية ضومر ومفرح القلب المحزون .

لفظة باذروج معرّبة من الفارسية نجدها في الكتب العربية بإهمال الدال وبإعجامها مفتوحة في الحالين. وهي بالفارسية بِدالٍ مهملة ساكنة حسبما ضبطت في برهان قاطع. وهي بمعنى گل بستان أفروز) أي الورد المنور البستان .

باذمهرج(*)

باذمهرج **٣: ٣٢٩،** ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢.

هذا اللفظ اسم لدواء مركّب، ذكره ابن سينا مفصلاً في المقالة الخاصة بالترياقات والمعاجين الكبار، وقال: «منافعه كمنافع الدحمرثا، أخلاطه: يؤخذ زرنباد ودرونج وأفيون وحبذبادستر.. من كل واحد ستة دراهم، حلبة ثمانية دراهم.. يدق وينخل ويعجن بعسل».

بعد العودة إلى المراجع يظهر أن ما نَعَتَهُ ابن سينا هنا هو نسخة لمعجون اسمه (دحمرثا) ميزها ابن سينا عن النسخة الأصل باسم (بادمهرج)، وفي الملكي سمى أبو العباس المجوسي هذا الدواء باسم (الحمرثا الحلوة) وأخلاطه ومقاديرها هي نفس ماذكره ابن سينا في باذمهرج إلا بعض تغيير في الألفاظ كأن يقول ابن سينا مثلاً (لُبنى) بينما قال المجوسي (ميعة) وهما اسمان لعقّار واحد، وكأن يحدد ابن سينا كميات كل من هذه الأخلاط بالدراهم، بينما هي عند المجوسي بالمثاقيل... وذكر هذا الدواء أيضاً ابن جزلة في منهاج البيان باسم (معجون الدحمرثا) ملتزماً بألفاظ المجوسي، والبغدادي في

(*) الملكي ٢: ٥٤١ (الدحمرثا الحلوة)، ومنهاج البيان ١١٠ب (معجون الدحمرثا)، ومختارات البغدادي ٢: ٢٤١ (المعجون المسمى باذمهرج)، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٤٢ب (الدحمرثا الصغير). وانظر مادة (دحمرثا) في هذا الكتاب.

مختاراته باسم (باذمهرج) بلفظ ابن سينا، أما ابن الكتبي فقد ذكر في تركيب مالايسع الطبيب جهله أن الدحمرثا نوعان صغير وكبير؛ فذكر نسخة الصغير بلفظ المجوسي ثم قال: «وهذا المعجون سماه الشيخ الرئيس بادمهرج وذكر الدحمرثا بنسخة أخرى..»

كتبت اللفظة في المراجع بالدال مهملة ومعجمة، ولم أجدها مضبوطة إلا في تركيب مالا يسع الطبيب جهله، وفي النسخة الخطية الأخرى (مالايسع الطبيب جهله) بكسرة تحت الدال المهملة.

باذِنْجان(*)

باذنجان	١: ٩٧، ١٧٨، ٢٣٠، **٢٧٢**
باذنجان حديث	١: ٢٧٢
باذنجان صغير	١: ٢٧٢
باذنجان عتيق	١: ٢٧٢
باذنجان مطبوخ في الخل	١: ٢٧٢
جوف الباذنجان	١: ٢٧٢ ٢: ٢٨٠
سحيق أقماع الباذنجان المجففة	١: ٢٧٢

ذكر ابن سينا الباذنجان في الأدوية المفردة فقال: «الماهية: معروف» ثم ذكر أنواعه وخواصه فعزا إليه كثيراً من الأضرار كإفساد اللون وتوليد

(*) كتاب النبات ١: ٦٦، والملكي ١: ١٨٦، والصيدنة ٨٨، ومنهاج البيان ٤١أ والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٤، ومفردات ابن البيطار ١: ٨٠، والمعتمد ١٥، ولسان العرب (أنب، حدق، معذ، وغيرها)، ومالايسع الطبيب جهله ٧٦، وتاج العروس (أنب، حدق، معذ، وغد وغيرها)، وحديقة الأزهار ٥٥ (٥٠)، وتذكرة داود ١: ٦٤، وشفاء الغليل ٦٨، والألفاظ الفارسية ١٥، وبرهان قاطع ١: ٢٠٣ (باتنگان)، ٢١٣ (بادنگان)، ومعجم أحمد عيسى ١٧١ (١٢، ١٦)، والمساعد ٢: ١١٢، ومعجم الشهابي ٦٥، والمعجم الكبير ٢: ١٨، والمعجم الموحد ١٦، ٦٨، والمعربات الرشيدية ١٩٥ .

الصُّداع والسرطان والجُذام إلا إذا طُبِخ بالخل وغيره من المُصْلِحات..
الباذنجان ضرب من البقول البستانية نباته من نوع الجَنْبة من الفصيلة الباذنجانية تؤكل ثماره، وأنواعه كثيرة فمنه الأسود الشديد السواد، ومنه مائل إلى الحمرة، ومنه مدحرج، ومنه طويل. ذكرته المراجع الطبية ودوَّنت أسماءه العربية الكثيرة ومنها: الأنَب، والحَدَق، والمَغْد وغيرها، ولم يرد أي من هذه الأسماء في القانون، فقد اقتصر ابن سينا على استعمال كلمة باذنجان للدلالة على هذا النبات ثمرِه، كما ذكرت معجمات اللغة أيضاً الباذنجان في شرحها لأسمائه الأخرى لكنها لم تدونه في باب الباء. وقد عدّدَ الأب الكرملي في معجمه المساعد المواضعَ التي ذكر فيها الباذنجان، ومنها علاوة على ماذكرت آنفاً: الكهكب والكهكم والقهقب والشرجبان والإنفحة وغيرها ..

لفظة الباذنجان معربة من الفارسية باتنگان أو بادنگان، بكاف فارسية، وقد ضُبِطَت في المراجع بكسر الذال وفتحها معجمة ومهملة وقال الخفاجي في شفاء الغليل: «وهو بكسر الذال، وبعض العجم يفتحها، ذكره في المصباح».

بارخس

الباء ليست من أصل الكلمة. انظر مادة (ارخس) في باب الهمزة.

بارد

انظر (مبرد)

باردس

باردس سفاريطيقي ١: ٣٩٠ تصحيف والصواب ناردين..
انظر مادة (ناردين)

بارفاسيس

بارفاسيس ١: ٣٦٨

جاء في الأدوية المفردة في ترجمة (مر): «.. وقد يُغَشّ ببعض اليتُّوعات[1] القتّالة فيصير قتّالاً، وهذا اليتّوع يُسمَّى بارفاسيس، وهي شجرة قتالة». كذا في طبعتي رومة وبولاق وفي المخطوطة (١) پادناسبوس، والذي ظهر لي أن هذا الكلام منقول عن جالينوس، فقد جاء في مفردات ابن البيطار، في ترجمة (مر) ٤: ١٥٤ «جالينوس... وقال في الأدوية المقابلة للأدواء: هو صنفان، ويخلط به لبن شجرة بأرض فارس [كذا] وهي شجرة قتالة فيصير هذا المر إنْ أُكِل قتالاً لكنه عجيب في الأكحال». وفي ترجمة (مر) أيضاً في الصيدنة (ص ٣٤٥) كلام مشابه عُزي إلى الأُرَّجاني وهو: «قد يُغش ببعض اليتوعات فيصير قتالاً» وفي منهاج البيان (٢٤٥ب): «مر... ويغش ببعض اليتوعات القتالة فيصير قتالاً، وهذا النوع يسمى باربارسين وهي شجرة قتالة».

لم أتمكن من تمييز الاسم الصحيح في هذه الروايات المختلفة، ويستفاد منها جميعاً أن هذا الاسم الذي ذكره جالينوس يدل على شجرة يتّوعية. أي ذات لبن – تعتبر شجرة سامّة ولعل اللفظة يونانية.

بارْزَد(*)

بارْزَد ٢: ١٣٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧/ ٣:

(١) جمع يَتّوع، وهو اسم من أصل سرياني، يطلق على كل نبات له لبن حاد مسهل.. انظر مادة (يتوع) في هذا الكتاب.

(*) الحاوي ٢٠: ١٧٠، والملكي ٢: ١٢٦، ومنهاج البيان ٤٠ب، ومفردات ابن البيطار ١: ٨٣، والشامل ١٢٦، ولسان العرب وتاج العروس (قنن)، وبرهان قاطع ١: ٢١٥ (بارزد)، ٣٣٤ (بيرزد)، وتذكرة داود ١: ٦٦، ومعجم د. أحمد عيسى ٨٢ (١٢)، ومعجم الشهابي ٢٧١. وانظر مادة (قنة) في كتابنا هذا.

١٣٣، ١٢٨، ١٨٢، ١٨٣،
٢٠٥، ٢٤٨، ٣٠٣، ٣١٢، ٣١٣،
٣٢٦، ٣٢٩، ٣٣٨،
٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٧

بارزد صافٍ نفيّ ٣: ٣٣٨، ٤٢٨

بارزد هو القِنَّة، وهي صمغة تستخرج من نبات طبي من الفصيلة الخيمية Ferula galbuniflua . ذكرها ابن سينا في أدويته المفردة باسم (قنة) فانظرها في باب القاف .

لفظة بارزد معربة من الفارسية بارزد أو بيرزد. ذكرته معجمات اللغة والفارسية وضُبِط فيها بسكون الراء وفتح الزاي.

البَازي(*)

خرء البازي ٢: ٨٦/ ٣: ٢٧٠

ذرق البازي ٢: ٥٧٨، ٥٨٤/ ٣: ١٢٨، ٢٣٤

زبل البازي ١: ٣٠٨

مرارة البازي ٢: ١٤٠

لم يذكره ابن سينا في الأدوية المفردة، ولكنه أورد في أثناء كلامه على الأمراض ومعالجاتها مايُتداوى به من هذا الطائر وهو ذرقه ومرارته. وقد نبه في أحد المواضع (١: ٣٠٨) على قلة استعمال ذرقه لشدة إفراطه في الحرارة.

(*) الحيوان للجاحظ ٢: ١٨٧/ ٤: ٢٢٩/ ٦: ٤٧٨ وغيرها كثير، وعجائب المخلوقات للقزويني ٢: ٢١٤، وتاج العروس ولسان العرب (بزا)، وحياة الحيوان الكبرى للدميري ١: ٩٤، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٦٥، ٢: ٥٨ وما بعدها (بزو) ومعجم الحيوان ٢، ٢١، ١٠٢، ١١٧، والمعجم الكبير ٢: ٣٠١

والبازي طير جارح استخدم منذ القديم للصيد لأنه قوي سريع التعلم وتقول العرب للبزاة والشواهين وغيرها مما يصيد صقوراً، وتتميز البزاة من الصقور بأن «الصقور سود العيون محددة الرؤوس طوال الأجنحة قصار الأرجل. والبزاة صفر العيون مدورة الرؤوس، قصار الأجنحة طوال الأرجل» قاله الفريق أمين المعلوف في معجم الحيوان. والاسم العلمي لهذا الطائر هو Accipiter gentilis، وفي المراجع العربية القديمة في البزدرة كثير من التفضيلات عن هذا الطائر وشكله وأخلاقه وعاداته. وفي اسمه لغات ذكرتها معجمات اللغة، ففي اللسان: «البازي واحد البُزاة.. قال ابن بري: قال الوزير: بازٍ، وبازٌ، وبازيّ على حد كرسي. قال ابن سيده والجمع بوازٍ وبُزاة» وجاء في حياة الحيوان للدميري أن «أفصح لغاته (بازي) مخففة الياء، والثانية (بازٌ)، والثالثة (بازيّ) بتشديد الياء.. ولفظه مشتق من البز وهو الوثب..»

باسَلِيقُون(**)

أ) الشياف[1]:

باسليقون	٢: ١٣٣، ١٣٥، ١٣٧/ ٣: **٤٢٣**
باسليقون الحاد	٢: ١٢٧
دواء باسليقون أي الملكي	٣: **٤٢٣**

ب) المرهم[2]:

(**) الملكي ٢: ٥٩٦ (الباسليقون الأكبر، والباسليقون الأصغر)، ٦٠١ (مرهم الباسليقون)، ومنهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ٤٢أ (باسليقون)، ٢٤٩أ (مرهم الباسليقون)، وأقرباذين القلانسي ٥١ (الباسليقون)، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ١٨أ، (باسليقون، باسليقون الملوك)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٦٦ (باسليقون)، ٢٨٣ (مرهم الباسليقون).

(١) الشياف ويقال اشياف اسم لنوع من الأدوية المركبة الجافة. انظر مادة (شياف) في كتابنا هذا.

(٢) المرهم اسم للأدوية المركبة التي تجمع أخلاطها الجافة بعضها إلى بعض بالشمع وما يشبهه. انظر مادة (مرهم).

باسليقون	٢: ١٥٤، ٥٩٩/ ٣: ١٧٢
مرهم باسليقون	٢: ١٥٧، ٤١٥، ٤٨٤، ٥٧٨، ٥٩٠، ٦٠٨/ ٣: ١٢٦، ١٨٣، ٣٠٩، ٤٣٩.
مراهم باسليقونية	٣: ١١٦
مرهم الباسليقون الصغير	٢: ٥٩٨/ ٣: **٤٠٥**
مرهم الباسليقون الكبير	٣: **٤٠٤**

يطلق اسم (باسليقون) على دواءَين مركبين:

الأول شياف الباسليقونِ، ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المركبة، في المقالة الخاصة بأدوية العين، وفصَّل تركيبه على نسختين يدخل في تركيب كل منهما: الإقليميا، والإسفيداج، والملح، والنوشادر وغيرها. تُدَقّ الأدوية جافةً وتسحق وتكحل بها العين. وذكر من فوائد هذا الشياف أنه يجلو البصر ويحفظ البصر الصحيح. وفي الملكي نسختان للباسليقون سماهما المجوسي الباسليقون الأكبر، والباسليقون الأصغر. وسماه ابن سينا (دواء باسليقون أي الملكي)، وعند ابن الكتبي: باسليقون وباسليقون الملوك، وقال القلانسي في تفسير هذا الاسم اليوناني: «الباسليقون من أدوية العين، ومعناه الروشنائي لأنه ينفع من ظلمة البصر»، أما الأنطاكي فقال في تذكرته: «باسليقون هو من الأكحال الملوكية صنعه بقراط.. وقيل معناه الملوكي..»

والثاني هو مرهم الباسليقون، اشتهر بفائدته الكبيرة في معالجة القروح والجروح، ذكر ابن سينا نسختين له سماها: مرهم الباسليقون الكبير، ومرهم باسليقون الصغير، ومن أخلاطهما الشمع والزفت والراتينج والزيت وغيرها. وذُكر أيضاً في الملكي باسم مرهم الباسليقون، ومرهم باسليقون أصغر، وفي منهاج البيان، وفي تذكرة دواد الأنطاكي الذي قال: «مرهم الباسليقون عجيب الفعل في القروح والجروح، وهو من المشاهير في القراباذين

اليوناني..وصنعته..».

باشَق(*)

زبل الباشق ١: ٣٠٨

ذكر ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة (الزبل) فقال: «... وزبل البازي والصقر والباشق وسائر الجوارح تستعمل لأنها مفرطة جداً» يريد: في حرارتها.

الباشق طائر معروف من الجوارح، ذكر في كتب اللغة والحيوان، ووصفه القزويني في عجائب المخلوقات فقال: «طائر حسن الصورة ، أصغر الجوارح جثةً، يصطاد العصافير ومافي حجمها. دماغه ينفع من الخفقان...»

ضبط اسمه بفتح الشين. جاء في تاج العروس: «الباشق كهاجر اسم طائر أعجمي، معرَّب باشه (بالفارسية).. والواشق لغة فيه. وروى السيوطي في ديوان الحيوان كسر الشين أيضاً».

باقلاَء(**)

(*) الحيوان للجاحظ ٢: ١٨٨/ ٣: ١٨٠، ومعجم الحيوان ٢: ١٠٢، ٢٣٢، وعجائب المخلوقات ٢: ٢١٥، ولسان العرب، وتاج العروس (بشق)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٦٦، ومعجم برهان قاطع ١: ٢٢٢ (باشه)، والمعرّبات الرشيدية ١٧٩.

(**) كتاب ديسقوريدس ١٨٣ (قيامس النيكس وهو الباقلى)، وكتاب النبات لأبي حنيفة ١: ٥٤، والحاوي ٢٠: ١٤٩، ١٥٤ (باقلى مصري)، والملكي ١: ١٨٢/ ٢: ١١٢، ومنهاج البيان ٤٠ أ (باقلى)، و ٤٠ ب (باقلى مصري)، والمختارات ١: ٢٣١، ومفردات ابن البيطار ١: ٧٦، والمعتمد ١٤ (باقلا)، و ١٥ (باقلا مصري)، والشامل ٦٨، وما لايسع الطبيب جهله ٧٤ (باقلا)، وحديقة الأزهار في ماهية العشب والعقّار ٥٤ (٤٨)، ولسان العرب، وتاج العروس (بقل)، وتذكرة أولي الألباب ١: ٦٦، وقاموس الأطبا وناموس الألبا ١: ٣٣٣ (بقل)، ومعجم أسماء النبات ١٨٩ (١) باقلاء، و ١١٢ (١٣) باقلاء مصري، ١٢٦ (٥) باقلى قبطي، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٧٥ (باقلاء)، و ٤٠٠ (جرجر مصري)، و ٤٠٩ (باقلا قبطي)، والمعجم الكبير ٢: ٤٦٧.

ذكر ابن سينا الباقلّى في الأدوية المفردة فقال في ماهيته: «منه المعروف، ومنه المصري، ومنه نبطي، ومنه هندي. والنبطي أشد قبضاً، والمصري أرطب وأقل غذاء..» وفي كلامه على الترمس (١: ٤٤٤) قال: «وهو الباقلّى المصري».

ذكرت أكثر المراجع الباقلا وقالت «معروف» وذكرت خواصه وصفاته وعددت من أسمائه الفُول والجَرْجَر– قال في اللسان: هو حملُه– والجُمَّى، لم يستعملها ابن سينا بل استعمل الباقلى، وذكره باسم الفول مرة واحدة. وهو «نبات عشبي سنوي زراعي مشهور من الفصيلة القرنية والقبلية الفراشية، تؤكل قرونه الخضر مطبوخة وكذلك حبوبه» خضراء ويابسة، قاله الأمير شهابي، وهو يوافق مافي سائر المراجع قديمها وحديثها. ولكن الاختلاف وقع في أنواع الفول، وبخاصة الباقلى المصري، فابن سينا عده–

كما سبق– من أنواع الباقلى، ثم قال إنه الترمس! وتابعه في هذا ابن جزلة في منهاج البيان. وجاء في مفردات ابن البيطار قوله: «باقلا قبطي وأهل مصر تعرفه بالجامسة، وغلط من قال هو الترمس»، وفي المعتمد (ص ١٥) باقلا مصري: ع[1] تعرفه أهل مصر بالجامسة، وغلط من قال هو الترمس، وقال ج[2] هو الترمس». وفي مالا يسع الطبيب جهله «.. ومن هذا الباقلا نوع يسمي باقلى قبطي ويسمونه جامسة وهو صغير قريب إلى التدوير، وغلط من قال إنه الترمس».. وهكذا يظهر أن الباقلاء القبطي (في المراجع عدا القانون) هو الباقلى المصري وهو الجامسة وهو نوع متميز من الباقلاء ولكنه ليس الترمس، وقد وضح صاحب الشامل الأمر فقال: «الباقلّى يقال على جسمين أحدهما هو الفول، وهو المتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ الباقلى وهو معروف مشهور.. وثانيهما وهو الجامسة وهو الباقلى المصري والباقلى القبطي، وليس المراد بذلك الفول المصري والفول القبطي بل نبات آخر يشبه الفول وليس به وليس أيضاً هو الترمس..»

مما سبق يظهر أن الباقلاء الذي هو الفول هو مايسمى علمياً Vicia faba، والباقلى القبطي أي الجامسة Nymphaea melumbo وهو نبات مائي من فصيلة النيلوفر لم يذكره ابن سينا هنا، والباقلى المصري الذي يسمى ترمساً هو Lupinus termis وهو – كالفول – من الفصيلة القرنية والقبيلة الفراشية، وقد يسمى البسيلة للمرارة التي فيه، وهو الذي ذكره ابن سينا في كلامه على الترمس. أما الباقلى الهندي فهو Canavalia glandiata، ويدعى أيضاً لوبياء هندي كما في معجم الدكتور عيسى ص ٣٨ (٢)، والنبطي نوع من الفول. جاء في تذكرة داود: «باقلا: المصري هو الترمس، والنبطي الفول» .

(١) أي الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار.

(٢) أي ابن جزلة في منهاج البيان.

وردت الباقلاء في كتاب ابن سينا بالألف مقصورة وممدودة وكذلك في سائر المراجع. جاء في اللسان: «الباقلاء والباقلى: الفول اسم سوادي، وحمله الجرجر، إذا شددت اللام قصرت، وإذا خفت مددت فقلت الباقلاء، واحدته باقلاة وباقلاءة، وحكى أبو حنيفة الباقلى بالتخفيف والقصر..»

باله

باله	٣: ١٤٥

وردت هذه اللفظة في كلام ابن سينا على معجون السلاخة «وهو دواء هندي ينفع في علاج الجذام وتناثر الأشفار وبياض الشعر.. ونسخته: سلاخة.. هليلج.. بليلج.. فلفل.. قرفة.. بسباسة وعود وباله وديكارة وطباشير..» كذا وردت اللفظة في القانون بطبعتيه والمخطوطة (١) .

لم أجد هذه اللفظة ولا التي تليها (ديكارة) في كتب الأدوية المفردة، كما لم أعثر على هذا المعجون الهندي في الأقرباذينات أو كتب الطب التي تصف أدوية الجذام (كالحاوي والملكي)..

بان(*)

بان	١: ٢٦٤/ ٢: ٥٢٦، ٥٤٨/ ٣: ٣٥٠
ثجير(١) حب البان	٣/ ٢٨٠، ٢٨٩

(*) كتاب ديسقوريدس ٤٠ (دهن البان)، ٣٥٨ (بالانس موريسقى وهو حب البان)، وكتاب النبات ١: ٤٨، والملكي ٢: ١١٣ (حب البان)، والحاوي ٢٠: ١٦٠، ومنهاج البيان ٤١ب ، ٨٠ب (حب البان) والمنتخب لابن العبري ٥٩، ومفردات ابن البيطار ١: ٧٩، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس (بون، نشم، شوع) ومفيد العلوم ١٧، وعجائب المخلوقات ٦، وما لايسع الطبيب جهله ٧٥، والمعتمد ١٧، ١٧١ (دهن البان)، وقاموس الأطبا ٢: ١٤١، وتذكرة داود ١: ٦٤، ومعجم أحمد عيسى ١٢٠ (١٨، ١٩، ٢٠)، والمساعد ٢: ١٣٣، ومعجم الشهابي ٨٢، ٤٣٣.

(١) الثجير ثفل كل شيء يعصر.

ثمرة البان	١: ٢٦٤
حب البان	١: ٢٦٤، ٣٢١/ ٢: ٢٨٠، ٣٢٩، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٩٤، ٤١٥، ٤٥٠، ٥٣٩/ ٣: ٤٨، ٥٥، ٧٢، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٤٥، ٣٩٢
حب البان المسحوق	٣: ٢٨٨
حب البان المقشّر	٣: ٣١٩، ٣٢٨
دهن البان	١: ١٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٩٦، ٣٦٧، ٤٧٠/ ٢: ٢٠، ٥٧، ١٥٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٦، ٢٧٠، ٣٠٠، ٤٦٠، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٦٦، ٥٩٤، ٦٠٢/ ٣: ٦٤، ١٣٥، ١٣٩، ٢٢٩، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٩٤، ٤٠١.
طبيخ أصل البان	١: ٢٦٤
عصارة البان	١: ٢٦٤
قشر البان	١: ٢٦٤
لب البان	١: ٢٦٤
لب حب البان	٢: ٤١٥

ذكر ابن سينا البان في الأدوية المفردة فلم يصف الشجرة بل وصف حبها وهو المشهور استعماله في الطب فقال: «بان، الماهية: حبه أكبر من

الحمّص إلى البياض ماهو وله لب لين دهني». وذكر ديسقوريدس حب البان في كتابه ووصف شجرته فقال: «بالانس موربسقى. هو ثمر شجرة شبيه الطرفا، وهذه الثمرة شبيهة البندق، وقد يعتصر ماداخلها مثلما يعتصر اللوز المر فيخرج منه رطوبة تستعمل في الطيوب المرتفعة مكان الدهن، وقد تنبت هذه الشجرة ببلاد الحبش ومصر وبلاد العرب وبموضع من فلسطين الذي يسمى بطرا..» ثم ذكر من فوائد حب البان ماذكره ابن سينا وغيره كفائدته في علاج أمراض الجلد كالجرب والبهق والكلف والبثور.. وفي علاج أورام الطحال، وأمراض العصب.. وفي كتاب النبات عرف أبو حنيفة البان بقوله: «البان شجر يسمو ويطول في استواء نبات الأثل، وورقه أيضاً هدب كهدب الأثل، وليس لخشبه صلابة.. وثمرته تشبه قرون اللوبياء إلا أن خضرتها شديدة، وفيها حب، ومن ذلك الحب يُستخرج دهن البان..» والاسم العلمي لهذين الصنفين من البان هو Moringa patrygospuam , MOringa apetra. ويطلق اسم البان أيضاً على جنس آخر من الشجر نبه عليه المؤلفون كابن الكتبي في مالايسع الطبيب جهله حيث قال: «.. وما يقوله العوام من إطلاقه على هذا النوع من الخلاف الذكي الرائحة زهراً ويسمون ورده ورد البان فهذا لااعتبار به مع أنهم يسمون الماء المستقطر منه ماء الخلاف».

للبان أسماء عربية أخرى منها الشّوع والمنشم والميسم وغيرها، وقد ذكر ابن سينا المنشم مادة مستقلة بذاتها في الأدوية المفردة فانظرها في موضعها.

كلمة البان كلمة عربية، وقد رأى الأب الكرملي أن هذه الكلمة معرّبة عن اليونانية ولكن غيره أظهر فساد هذا الرأي، ونجد هذا الرأي ومعارضه في المساعد وحاشيته.

(التعريف والنقد)

التنبيه على أوهام الباحثين
في
ذِكْرِهم مُصَنَّفات العُكْبَري

(القسم الثاني)

الدكتور: يحيى ميرعلم

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق القسم الأول من هذا المقال[1] الذي وقفته على تعريف أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (٥٣٨/٦١٦هـ) وبيان مكانته وتقدُّمه في علوم العربية والدين، ووفرة مصنفاته وتنوعها، متوخّياً في ذلك الإيجاز والتوثيق، ثم أتبعت ذلك بالتنبيه على ضروب من السهو والوهم والخطأ وقعت في كلام بعض المحدثين على مصنفات أبي البقاء دون ما فشا في كثير من مؤلفاته المطبوعة من أخطاء مختلفة، فذلك ما لا سبيل إليه لخروجه عن القصد وبعده عن الاستقصاء والحصر. وقد ظهر فيما سبق، وسيظهر فيما يأتي، ما نتج عن وقوع مثل تلك الأوهام في ترجمة آثاره، من زيادة مصنفات لم تصح نسبتها إليه، ومن إسقاط مؤلفات صحت نسبتها إليه، وذلك لأسباب عدة، من أهمها: فشو ظاهرة تعدد تسميات الكتاب الواحد واختلافها طولاً وقصراً، وتفاوت

(١) مجلة المجمع، المجلد ٦٨، الجزء الثالث، ص ٥٢٩-٥٤٢.

المصادر في مبلغ ما تورده، ومنها تعدد مؤلفاته في الموضوع الواحد مع اتفاقها أو تقاربها في الغايات، مثل عنايته بتصنيف عدد من كتب المقدمات في النحو والعروض، وباختصاره بعض المطولات من أصول المتقدمين، ومنها وقوع بعضهم في وَهْم في فهم كلام الأقدمين في حديثهم عن كتبه، ومنها متابعة المحدثين فيما وهموا فيه دون تمحيص أو تدقيق أو تحرير، أو متابعة أخطاء النساخ التي انتقلت إلى المطبوع من كتب التراجم، وأشياء أخرى تلحق بما سبق. لقد انتهت جملة ما نبَّهت عليه في القسم الأول إلى (١٢) وهماً، لزمت في عرضها التوثيق بما فيه مقنع، وبما لا يتطرق إليه الشك، وسأتابع هنا من حيث توقفت ثمة، ملتزماً في ذلك المنهج نفسه:

اقتصر محقّق الجزء الأول من كتاب «اللباب في علل البناء والإعراب» على إيراد آثار أبي البقاء في النحو، وصدَّرها بإثبات جملتها في إحصاء الدكتور عبد الإله نبهان، وهي (٥٥) كتاباً، وأنها بلغت في إحصاء غيره (٥٩) كتاباً، ونص بعدها على قصر عنايته على إيراد ما كان منها في النحو، وأنها انتهت في إحصائه لها إلى (١٩) كتاباً، وهذا لفظه، أورده بتمامه، ثم أعقّبُ عليه ببيان ما جانب فيه الصواب، مثبتاً وجه الحق في ذلك، ومدللاً عليه بما يقتضيه: (قال الدكتور عبد الإله نبهان: «خلف أبو البقاء مؤلفات كثيرة بلغ تعدادها بحسب إحصائي لها في مختلف المصادر خمسة وخمسين مؤلفاً» وأوصلها غيره إلى تسعة وخمسين، ولا يعنينا منها إلاّ ما ألفه في النحو. أحصينا ما بلغنا من آثار العكبري في النحو فتحصَّل لنا تسعة عشر كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط ومذكور في كتب التراجم،

وهي:...»)[١] ثم سرد تسعة عشر كتاباً مقتصراً في توثيق أغلبها على (نكت الهِمْيان) و(بغية الوعاة)، وفي بعضها أحياناً على (البلغة) و(إنباه الرواة) و(كشف الظنون)[٢]، ويتجه على كلام المحقق الفاضل المتقدِّم جملة ملحوظات أوجزها فيما يأتي:

أوَّلاً: ثمَّة نظر في عدوله عن إيراد جميع مصنفات أبي البقاء وترجمتها موثقة من كتب التراجم والطبقات، والتنبيه على ما وقع فيها من أوهام وتصحيحها، على تفاوت ما بينها من حيث الاستقصاء والدقة والتوثيق – إلى الإحالة على مبلغها في إحصاء محقق الجزء الثاني من كتاب (اللباب) الدكتور عبد الإله نبهان في (إعراب الحديث) وعلى مبلغها عند غيره، وهو الدكتور عبد الرحمن بن عثيمين محقق (التبيين)، أقول: هذا العدول والإحالة إليهما يعني أنهما كفياه مؤونة ذلك، وأنه يسلم لهما بصحة ما أورداه، إذ لم يتحفظ ولم ينبه على شيء في إحصائهما. والمنهج العلمي يقتضي – فيما أرى– أن يترجم لمصنفات العكبري كاملة، ويصحح ما فات غيره من سهو أو خطأ نتج عنه زيادة كتاب أو نقص آخر، ويفيد مما صدر من كتب محققة ومقالات ظهرت بعد هذين المرجعين اللذين أحال عليهما، تناولت آثار العكبري، ونبَّه أصحابها على ما شاب تلك الآثار من الأوهام والأخطاء، فالكلام المعزو إلى د. عبد الإله نبهان منقول من مقدمة تحقيق كتاب (إعراب الحديث) طبعة دار الفكر بدمشق ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م[٣] والمرجع الثاني

---

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ١/١٦.

(٢) انظر تسميات الكتب التسعة عشرة وتوثيقها في اللباب ١/ ١٦-١٨.

(٣) صدرت قبل ذلك طبعتان للكتاب في مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق د. عبد

كتاب (التبيين) الذي صدرت طبعته الأولى عن دار الغرب الإسلامي في بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ومن تلك الكتب والمقالات التي تضمنت تنبيهاتٍ على كثير مما شاب آثار أبي البقاء من أوهام كتابُ (العكبري: سيرته ومصنفاته) الذي صدرت طبعته الأولى عن دار العروبة في الكويت ودار ابن العماد في بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ومنها القسم الأول من هذا المقال (التنبيه على أوهام الباحثين في ذكرهم مصنفات العكبري) الذي نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٦٨، الجزء ٣ عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣) ومنها مقدمة تحقيق كتاب (إعراب القراءات الشواذ) للعكبري الذي صدر عن عالم الكتب في بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ للدكتور محمد السيد أحمد عزوز.

ثانياً: إن انتهاء مبلغ إحصائه لآثار العكبري في النحو إلى (١٩) كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط وغير ذلك[1] ليس دقيقاً البتة، وأحسب أن من جملة

الإله نبهان، الأولى ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، والثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، وطبع الكتاب نفسه في مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م بتحقيق محمد إبراهيم سليم بعنوان: «إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث» كما حققه ودرسه د. حسن موسى الشاعر وأصدره في طبعتين، ثانيهما ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م عن دار المنارة بجدة.

(١) أذكر تماماً للفائدة تسميات الـ (١٩) كما وردت عنده:

الأربعة في النحو، الإشارة في النحو، إعراب الحديث، إملاء ما منَّ به الرحمن، الإيضاح عن معاني أبيات الإيضاح، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، الترصيف في علم التصريف، تلخيص التنبيه، التلخيص في النحو،

ما قاده إلى هذا عدم استقصائه في ترجمة آثاره، واقتصاره في توثيقها على قدر يسير منها، على ما فيها من تفاوتٍ من حيث عدد المؤلفات التي يذكرها كلٌّ منهم في ترجمته للعكبري[1] ومما يدل على ذلك أن ثمة كتباً أخرى عديدة في النحو والصرف أوردتها مصادر ترجمته، وسقطت من إحصاء محقق (اللباب) ولا غرابة في ذلك، فقد بلغت مصنفاته الستين، كما نص على ذلك بعض المتقدمين[2] وكانت علوم العربية أوفرها حظاً، إذ وصلت إلى (٤٤) مؤلفاً، جلُّها في النحو والصرف.

وسأورد فيما يأتي جملة ملحوظات، يستقل كلٌّ منها باستدراك مؤلَّف من آثار العكبري النحوية التي شرط محقق (اللباب) على نفسه

التلقين في النحو، التهذيب في النحو، شرح أبيات كتاب سيبويه، شرح الإيضاح والتكملة،شرح الحماسة وإعرابها، شرح لامية العرب، شرح اللمع، شرح المفصل، اللباب في علل البناء والإعراب، مقدمة في النحو. انظر اللباب ١٦/١-١٨.

(١) ترتيب مصادر ترجمته تبعاً لما أوردته من آثاره:
الوافي (٥٠) كتاباً، النكت وطبقات النحاة (٤٦) كتاباً، طبقات المفسرين (٤٠) كتاباً، الذيل (٣٥) كتاباً، المنهج الأحمد (٣٤) كتاباً، البغية (٢٦) كتاباً، الشذرات (٢١) كتاباً، الإشارة والسير وتاريخ الإسلام (١٦) كتاباً، المستفاد (١٤) كتاباً، الوفيات (١٢) كتاباً، المرآة (١٠) كتب، الإعلام (٩) كتب، الإنباه (٨) كتب، ذيل الروضتين (٧) كتب، البداية والغربال (٦) كتب، التكملة (٤) كتب. وانظر كتاب العكبري ص ١٤٦ ح (١).

(٢) انظر مثلاً: ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة ٣٢٩ مع أنه لم يذكر منها إلا (٤٦) كتاباً.

إيرادها، **غير أنها سقطت منه:**

١- إعراب القراءات الشواذ:

طبع في مجلدين بتحقيق الأستاذ محمد السيد أحمد عزوز[١].

٢- الإعراب عن علل الإعراب:

ذكره ابن رجب الحنبلي[٢] والعليمي[٣] والداودي[٤] وهو غير كتاب (اللباب عن علل البناء والإعراب) موضوع الكلام، خلافاً لما ذهب إليه محقق (التبيين) الذي عدَّهما كتاباً واحداً، وأحال في الأول على الثاني[٥] وخلافاً لما ذكره محقق (إعراب الحديث) بعد أن أورده وأحال فيه على (طبقات المفسرين) قائلاً: «قلت: ولعله هو نفسه كتاب اللباب الذي ورد ذكره في مؤلفاته المطبوعة[٦]» وخلافاً لما صنعه محقق الجزء الأول من (اللباب) الذي أغفل الإشارة إليه، وأسقطه من جملة مؤلفاته النحوية، وكأنه بذلك يتابع محقق (التبيين) فيما صنع من عدِّهما كتاباً واحداً، وكان متوقعاً

(١) صدرت طبعته الأولى عن عالم الكتب في بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، وقد شاب ترجمته لآثار العكبري، على تأخره، وكبير جهده في استقصاء توثيقها، غيرُ قليلٍ من السهو والخطأ.

(٢) الذيل ٢/١١٢.

(٣) المنهج الأحمد ٢/ ٢٤٦.

(٤) طبقات المفسرين ١/ ٢٢٦.

(٥) التبيين ٣٩، ٦٣.

(٦) إعراب الحديث ١٦ (ط. دار الفكر).

منه أن ينبِّه على ما نتج عن ذلك من لبس أو مجانبة للصواب، مما وقع فيه بعض الباحثين، على تقارب الكتابين في التسمية والموضوع.

ومما يقطع بصحة أن (الإعراب عن علل الإعراب) و(اللباب عن علل البناء والإعراب) كتابان لا كتاب واحد أن المصادر الثلاثة المتقدمة في التوثيق ذكرت الكتابين معاً، ولو كانا مصنفاً واحداً لما وقع مثل هذا، ومما يشعر بهذا اختلافُ التسميتين مبنى ومعنى، على ما بينهما من اتفاق في علل الإعراب، ومن اختلاف نجده في تخصيص الأول وقصره على علل الإعراب، وفي تعميم الثاني واستغراقه لعلل البناء والإعراب، ومعلوم أن الانتقال من الخاص إلى العام أمر منطقي، لذلك لا يبعد أن يكون (الإعراب) أسبق من (اللباب)، ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم ما نعلمه عن مصنفات العكبري من فشوِّ ظاهرة تعدُّد المؤلفات في الموضوع الواحد، مما تقارب في حجمه وغايته، مثل كتب المقدمات التي ترك فيها ثلاثة في الفرائض هي (الناهض، البلغة، التلخيص) وخمسة في النحو هي: (الإشارة، التلخيص، التلقين، التهذيب، مقدمة في النحو)[١].

٣- شرح التلقين:

ذكره ابن رجب[٢] والعليمي[٣] والداودي[٤]، وهو في شرح كتابه

(١) العكبري ١٢٢، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٩.

(٢) الذيل ٢/ ١١١.

(٣) المنهج الأحمد ٢/ ٣٤٦.

(٤) طبقات المفسرين ٢/ ٢٢٦.

(التلقين) الذي أورده أكثر مترجميه[١]، وهما كتابان لا كتاب واحد خلافاً لمن أثبت الأول وحده وأسقط الثاني من عدة مؤلفاته كمحقق كتابه (إعراب الحديث)[٢]، ومما يؤكد صحة ذلك ما تقدم من أن الداودي ذكر الكتابين معاً فقال: «التلقين وشرحه» وقد سبقني إلى التنبيه عليه د. ابن عثيمين محقق (التبيين)[٣].ولا وجه من الصواب لتشكيك محقق (إعراب القراءات الشواذ) بعد أن أورد الكتابين منفصلين في قوله عن (شرح التلقين): «ولعله التلقين السابق»[٤].

وكتاب (التلقين) الأصل من مؤلفات أبي البقاء المتميزة، يؤكد ذلك عناية صاحبه به، وتصنيفه شرحاً عليه، وكذلك عناية خالفيه من النحاة الذين توفروا على شرحه أيضاً، ومن شروحه: شرح جمال الدين يوسف بن جامع (٦٨٢هـ)[٥] وشرح إسماعيل بن محمد الغرناطي (٧٧١هـ)[٦]. وتجدر الإشارة إلى أنه تصحف اسم كتاب (التلقين) في بعض المصادر إلى

(١) انظر توثيق ذلك في العكبري ٩٣.

(٢) وذلك في ثلاث طبعات نشرها للكتاب، طبعة المجمع الأولى (ز- ح- ط) وطبعة دار الفكر الأولى ١/١٤- ١٩، وأما طبعة المجمع الثانية فقد قصرها على ذكر ما طبع من آثاره.

(٣) التبيين ٤٦.

(٤) إعراب القراءات الشواذ ١/٤٩ و٥١.

(٥) الذيل ٢/ ٣٠٢.

(٦) الوفيات لابن رافع السلامي ٢/٣٥ (٨٩٠)، والكشف ١/ ٤٨٢.

(التعليقين)[١] مما نتج عنه أن اعتمده بعض المحدثين ونسب إلى السيوطي أنه ذكر لأبي البقاء كتابين سماهما (التعليقين)[٢].

٤- مسائل الخلاف في النحو:

ذكره بهذه التسمية الصفدي[٣] وابن قاضي شهبة[٤]. ومما يحسن التنبيه عليه أن مصادر ترجمة العكبري لم تذكر له في الخلاف النحوي إلا هذا الكتاب[٥]. وأمَّا ما حققه المرحوم الدكتور محمد خير الحلواني فعنوانه (مسائل خلافية في النحو) وهي تسمية حملتها الورقة الأولى من نسخة الأصل المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم (٢٨ نحو)، وبين التسميتين فرق ظاهر، فالأولى تدلُّ على استغراق الكتاب لمسائل الخلاف، والثانية تدلُّ على تضمن الكتاب مسائل خلافية، قليلة كانت أو كثيرةً، وما حققه المرحوم

(١) وقع ذلك في طبعتي كتاب الأشباه والنظائر: الطبعة الهندية الثانية ٢/٢٥، وطبعة المجمع ٢/٥٨. انظر كتاب العكبري ص ٩٤.

(٢) انظر مسائل خلافية في النحو ٢٣، والعكبري ٩٤.

(٣) النكت ١٨٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ١٤٢.

(٤) طبقات النحاة ٣٢٨.

(٥) لا صحة لما ورد في تحقيق كتاب مسائل خلافية في النحو ص ١٢ معزواً إلى الصفدي من أن لأبي البقاء كتابين في الخلاف النحوي، هما (تعليق في الخلاف) و(مسائل الخلاف في النحو) لأن الصفدي لم ينص على أن الأول في الخلاف النحوي، وذكره بتسميته المختصرة، والكتاب الثاني في الخلاف الفقهي، بدليل ورود ذلك في تسميته الوافية التي ذكرتها بعض مصادر ترجمته، وهي (التعليق في مسائل الخلاف في الفقه) انظر توثيق ذلك في العكبري ١٢٦.

د.الحلواني يشتمل على خمس عشرة مسألة تطابق المسائل الخمس عشرة الأولى في كتاب (التبيين) الذي يشتمل على (٨٥) مسألة خلافية، وأما تسمية (التبيين) فقد وردت في عنوان النسخة المعتمدة في تحقيقه وفي بعض مصادر النحو المتأخرة مثل (الأشباه والنظائر) و(تذكرة النحاة)[١]. وهذا التطابق بينهما يؤكد أن الثاني مجزّأ من الأول، ولا يبعد أن تكون هذه سنة أبي البقاء في تجزئة مؤلفاته الصغيرة من أصول كبيرة، إذ تشتمل آثاره على مختصرات لبعض الكتب الكبيرة مثل: (تلخيص أبيات الشعر لأبي علي) و(لباب الكتاب) و(مختصر أصول ابن السراج) و(المنتخب من كتاب المحتسب). ولهذا وغيره عدَّهما غير واحد من الباحثين كتابين اثنين[٢].

٥- مسائل نحو مفردة:

وهو مؤلف صغير يشتمل على خمس رسائل متفاوتة في الحجم والمادة، نشرت سنة ١٩٨٢م بتحقيق الأستاذ ياسين السواس[٣]، ولهذا المؤلف تسميتان وردتا في غير ما مصدر، فيهما اختلاف ذو مغزى، لم يشر

(١) تفصيل ذلك وتوثيقه تجده مفصلاً في العكبري ٧٨- ٨١، ٨٥-٨٧.

(٢) ذهب إلى ذلك كل من: د. ابن عثيمين في التبيين ٦٦، ٧٢، ود. محمد السيد أحمد عزوز في إعراب القراءات الشواذ ١/٤٧-٥٦، ود. عبد الإله نبهان في إعراب الحديث النبوي ١٤ (ط. دار الفكر) ود. حسن موسى الشاعر في الكتاب نفسه ٢٧ (ط دار المنارة) وكاتب البحث في كتاب العكبري ٧٨-٨١.

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية، م٢٦، ج٢، ص٦٢٥-٦٤٣، وانظر العكبري ٨٧-٨٨.

إليهما المحقق لاقتصاره في التوثيق على الصفدي في (نكت الهِمْيان) أولاهما (مسائل نحو مفردة)(١)، وثانيهما مختصرة (مسائل مفردة)(٢).

٦- لباب الكتاب:

ذكره بهذه التسمية الصفدي(٣) والسيوطي(٤) والداودي(٥) وحاجي خليفة(٦) والخوانساري(٧) والبغدادي(٨). وذكر اليماني وابن قاضي شهبة تسمية أخرى هي (لباب شرح الكتاب)(٩) وبين التسميتين فرق كبير، إذ تدلُّ الأولى على أن المؤلَّف اختصار لكتاب سيبويه، وتدلُّ الثانية على أنه اختصار لشرح من شروحه، لم يُحدد صاحبه ولا يُعلم من هو؟ وليس في مصادر ترجمة العكبري على كثرتها ولا في تراجم شُرَّاح كتاب سيبويه ما يدلُّ على أنه اختصر واحداً من شروحه، لذا فالراجح أن تكون لفظة (شرح) مقحمة في تسميته الأخرى التي لم ترد إلا في المصدرين المتقدمين، ولا يبعد أن تكون تلك الكلمة أقحمت في نسخة كتاب اليماني (٧٤٣هـ)

(١) النكت ١٨٠، والوافي ١٧/١٤٢، وطبقات النحاة ٣٣٠.

(٢) الذيل ٢/١١٢، والمنهج الأحمد ٢/٣٤٦، وطبقات المفسرين ١/٢٢٦.

(٣) النكت ١٨٠، والوافي ١٧/ ١٤١.

(٤) البغية ٢/٣٩.

(٥) طبقات المفسرين ١/٢٢٦.

(٦) الكشف ٢/١٤٢٨.

(٧) روضات الجنات ٤٥٤.

(٨) إيضاح المكنون ٢/٣٩٩.

(٩) إشارة التعيين ١٦٣، وطبقات النحاة ٣٣٠.

ونقلها عنه ابن قاضي شهبة (٨٥١هـ).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن محقق (التبيين) أسقط هذا الكتاب من جملة آثار أبي البقاء، وأحال في موضعه على (شرح الكتاب) الذي نسبه إليه بغير دليل، وشكك في ترجمته متسائلاً: هل هو لباب الكتاب؟ ثم شكك ثانية في مضمونه[1]، وهو بهذا جانب الصواب مرتين: مرة في إسقاطه ما ثبتت نسبته إليه، وهو (لباب الكتاب)، ومرة ثانية في زيادته ما لم تقم بيِّنة على صحة نسبته إليه، وهو (شرح الكتاب).

ولأبي البقاء كتاب آخر جعل مادته كتاب سيبويه، هو (شرح أبيات كتاب سيبويه) ذكرته أغلب مصادر ترجمته[2] ولكن سقطت كلمة (أبيات) من تسميته في مطبوعتي (البلغة) و(الهدية) وآلت إلى (شرح كتاب سيبويه) وتابعهما محقق (التبيين) وزاد عليهما فنسب ذلك إلى ابن قاضي شهبة، وليس في كتابه (طبقات النحاة) ما عزاه إليه، لأن كلمة (أبيات) ثابتة في هامش نسخة الظاهرية المعتمدة لديه[3] ولكنها مستدركة في الهامش، ولو صحَّ أن للعكبري شرحاً للكتاب لحفل به مترجموه وقدَّموه على كثير من مؤلفاته، فضلاً عن أنه لم يذكره أحد من المتقدمين والمحدثين بين من عنوا بشرح كتاب سيبويه[4].

(١) انظر التبيين ٥٠.

(٢) انظر توثيقه في العكبري ١٣٠.

(٣) طبقات النحاة ٣٣٠.

(٤) انظر زيادة بيان وتوثيق في العكبري ١٣٠-١٣١ و١٣٥-١٣٦.

٧- نزهة الطرف في إيضاح قانون الصرف:

ذكره الصفدي[١] وابن قاضي شهبة[٢] وحاجي خليفة[٣] والبغدادي[٤]، وقد تصفحت كلمة (الصرف) إلى (الظرف) في مطبوعتي (النكت) و(الهدية)، ونقل بعض المحدثين ما وجده فيهما دونما تنبيه عليه[٥].

٨- إعراب الحماسة:

صنف العكبري مؤلَّفين جعل مادَّتهما كتاب الحماسة، أحدهما: (إعراب الحماسة) وقد ورد بهذه التسمية في عدة مصادر، وله تسمية ثانية ذكرتها مصادر أخرى، وهي (إعراب شعر الحماسة)[٦]. وثانيهما: (شرح الحماسة) الذي ورد في أكثر مصادر الترجمة على وفرتها[٧]، ولا ريب أنهما كتابان، يؤكد ذلك أن بعض من ترجم للعكبري أثبت الكتابين معاً[٨]. لذا

(١) النكت ١٨٠، والوافي ١٤١/١٧.

(٢) طبقات النحاة ٣٢٨.

(٣) الكشف ١٩٤٣/٢.

(٤) الهدية ٤٥٩/١.

(٥) انظر مقدمات تحقيق: المشوف المعلم ٢٣/١، والتبيين ٦٨، وإعراب الحديث (ط. المجمع الأولى) (ح) و(ط. دار الفكر) ١٩/١، وفيه نبه على احتمال تصحيفها عن (الصرف).

(٦) تفصيل ذلك وتوثيقه في العكبري ٩١-٩٢، ومجلة المجمع م٦٨، ج٣، ص ٥٣٢-٥٣٣.

(٧) انظر تفصيل ذلك وتوثيقه في العكبري ١١٠-١١١.

(٨) تقدم توثيقه في مجلة المجمع م٦٨، ج٣، ص٥٣٢ حاشية (٧) وانظر الحاشيتين السابقتين.

فقد جانب محقق (اللباب) الصواب في جعله الكتابين كتاباً واحداً بتسمية ملفقة من مجموع التسميتين، ولفظها (١٤- شرح الحماسة وإعرابها: ورد ذكره في النكت ١٧٦، والبلغة ١٠٨ وغيرهما)[١] ومن المعلوم أن الأول (شرح الحماسة) لا يصحُّ إدراجه ضمن مصنّفاته النحوية، ولعله تابع في هذا ما صنعه محقق (التبيين)، إذ أسقط (إعراب الحماسة) من عدة مؤلّفات أبي البقاء وأحال فيه على (شرح الحماسة) وجعلهما كتاباً واحداً، وقد سبق التنبيه عليه في القسم الأول[٢].

ثالثاً: ثمّة تنبيهات أخرى تتعلّق ببعض الكتب التي أوردها محقق (اللباب) لا تدخل فيما تقدَّم من تنبيهات عرضت لما سقط من آثار العكبري النحوية مما شرطه على نفسه، أوجزها فيما يأتي:

١- وهم المحقق الفاضل فنسب إلى أبي البقاء كتاباً سمّاه (الأربعة في النحو) وعزاه إلى السيوطي في (البغية)، وجعله أول مصنّفاته النحوية ترتيباً، ونصُّه (١- الأربعة في النحو: ذكره السيوطي في البغية ٣٩/٢)[٣] متابعاً في ذلك محقق (التبيين) في قوله (٢-الأربعة في النحو ذكره السيوطي في البغية ٣٩/٢)[٤]، وكلاهما مجانب للصواب في نسبته إلى العكبري ما لم يصنّفه، ثم في نسبته مسؤولية ذلك إلى السيوطي، فالسيوطي لم يذكره لا في (البغية)

---

(١) اللباب ١٧/١.

(٢) مجلة المجمع م٦٨، ج٣، ص٥٣٢-٥٣٣، وانظر العكبري ٩١-٩٢.

(٣) اللباب ١٦/١.

(٤) التبيين ٣٦.

ولا في غيره من كتبه، ولم يرد في أيٍّ من مصادر ترجمته على وفرتها، ومرجع هذا وَهْم في فهم عبارة السيوطي، على وضوحها وخلوِّها من اللبس، ولفظ السيوطي ثمّة (الإشارة، التلخيص، التلقين، التهذيب، والأربعة في النحو)[١] فقد سرد أسماء أربعة مؤلَّفات نحوية صغيرة (من كتب المقدِّمات)، متتابعة بلا عاطف ثم نبَّه على موضوعها، فقال: (والأربعة في النحو) على عادته في المجمع بين الأشباه والنظائر، وقد تقدم التنبيه على هذا، وعلى نظيره، وهو زيادة كتاب (الثلاثة في الفرائض) وذلك فيما أوردته من تنبيهات على كتاب (التبيين)[٢].

٢- ذكر محقق (اللباب) كتاب (إعراب الحديث) وترجم له بالنص على محققه، وأنه طبعه طبعتين، صدرت ثانيهما عن دار الفكر ١٩٨٦، ونصُّه (٣- إعراب الحديث: حققه الدكتور عبد الإله نبهان، وطبعه طبعتين، الثانية منهما تمّت في دار الفكر بدمشق سنة ١٩٨٦). والصواب أن الكتاب المذكور طبع ثلاث طبعات بتحقيق د. عبد الإله نبهان، وهو شريكه في تحقيق الكتاب، فقد صدرت عن مجمع اللغة العربية بدمشق الطبعتان الأولى ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م، والثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ثم أعيد طبعه مرة ثالثة في دار الفكر بدمشق، جاءت موسومة بالطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

وللكتاب تحقيقان آخران تقدمت الإشارة إليهما، أولهما: تحقيق الدكتور حسن موسى الشاعر، وقد طبعه طبعتين، صدرت الثانية منهما عن

(١) البغية ٢/٣٩.

(٢) مجلة المجمع، م٦٨، ج٣، ص٥٣٦ القسم الأول من البحث.

دار المنارة في جدة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م والثاني: تحقيق محمد إبراهيم سليم، وقد صدرت طبعته عن مكتبة ابن سينا في القاهرة ١٤١٠هـ /١٩٨٩م، وحملت هذه الطبعة عنواناً غريباً، هو (إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث). وذلك لأن هذه التسمية لم ترد في أي من مصادر ترجمة أبي البقاء على وفرتها، واقتصر ورودها على غلاف نسخة الأصل المعتمد المحفوظ في دار الكتب المصرية برقم (٢١٦٠) ولم ينبه على ذلك محققها، واكتفى بإيراده الكتاب ضمن تصانيف العكبري بتسميته المشهورة (إعراب الحديث على حروف المعجم) كما لم يشر إلى هذه التسمية الدكتور نبهان محقق الكتاب في طبعاته الثلاث المتقدمة.

وقد ظهر مما تقدم أن أغلب ما وقع في هذا القسم الثاني، من تنبيهات على أوهام وأخطاء وسهو شاب كلام بعض المحدثين على مصنفات أبي البقاء العكبري، ورد في مقدمة تحقيق كتاب (اللباب عن علل البناء والإعراب) لأسباب مختلفة مضى بيانها، وكان المأمول أن يجيء الكتاب خلواً من ذلك، لأنه حظي بعناية عالمين فاضلين، لكل منهما قدم راسخة في باب التحقيق، فضلاً عن أن ثانيهما د. نبهان معنيٌّ بأبي البقاء وآثاره منذ عهد بعيد، فقد سبق إلى تحقيق كتابه (إعراب الحديث النبوي) ولم يقع في كلامه على آثاره ما وقع هنا في (اللباب)، وهو مما جعلني متحيِّراً في التماس تفسير لذلك، أحسب، وأرجو أن أكون مخطئاً، أنه لم يقرأ ما كتبه شريكه محقق الجزء الأول، أو قرأه متعجلاً، إذ استقل كل منهما بجزء، وأثبت اسمه عليه وحده تحديداً للمسؤولية، يؤنس بهذا أنه لم ينص صراحة، فيما كتبه في بداية الجزء الثاني، على أنه قرأ عمل شريكه، فقد اقتصر في (التوطئة) على

قوله (... فقد كنت اتفقت مع أخي الفاضل الدكتور غازي مختار طليمات على منهج ومصادر محددة للعمل في الكتاب، ثم انفرد هو بالعمل في الجزء الأول-بتجزئتنا وقسمتنا- وانفردت بالعمل في الجزء الثاني... لذلك كان من مقتضيات العمل ومستلزماته أن يصدر الدكتور طليمات الجزء الأول بما له علاقة بالمؤلف والكتاب، وحسناً فعل، وكان الرأي أن يُقتصر على ما قدمه الدكتور طليمات بأسلوبه الرشيق الرصين...)[1] ثم أتبعه بنحو ذلك تحت عنوان (في حضرة الكتاب): (لم يعد لي بعد أن استوفى أخي الفاضل الدكتور غازي مختار طليمات الكلام عن أبي البقاء العكبري ومؤلفاته ومنهجه في مقدمته للجزء الأول إلا أن أختصر القول معرفاً برؤوس موضوعات الجزء الثاني...)[2]. وظاهر ما تقدم لا يدل صراحة على قراءة مُنْشِئِه للجزء الأول، على ما فيه من استحسان لما صنعه شريكه، ووصفه لعمله بالاستيفاء، فالأول أقرب إلى المجاملة، والثاني ليس دقيقاً، يدل على ذلك ما سلف صدر البحث من بيان عمل محقق الجزء الأول في ترجمته لآثار العكبري، فقد اقتصر على إيراد جملتها لدى شريكه د. نبهان في (إعراب الحديث) ولدى غيره، وأنه لا يعنيه منها إلا ما ألفه في النحو، وأنه أحصاه فانتهى إلى (١٩) كتاباً، أوردها مقتصداً جداً في توثيقها كما سبق بيانه، على الرغم مما أسقطه منها، وذلك ما نبهت عليه، بل إن أغلب ما وقع من مآخذ في مقدمة تحقيق الجزء الأول سببها عدم الاستقصاء والاستيفاء في ترجمة مصنفات العكبري وفي توثيقها، لذلك فما تقدم بعيد جداً من

(١) اللباب ٢/٥.

(٢) اللباب ٢/٧.

الاستيفاء، وهو أدخل في باب المجاملة أو التجوز في العبارة.

وأما ما ذكره شريكه محقق الجزء الأول د. طليمات فيفهم من ظاهره اشتراك المحققين في المسؤولية العلمية عن جميع ما ورد في الكتاب، غير أن التدقيق فيه يوحي بخلاف ذلك، فقد صدره بالإشارة إلى أن اشتراكهما في هذا التحقيق جاء على هدي تجربتهما السابقة في تحقيقهما للجزأين الأول والثاني من كتاب (الأشباه والنظائر)، وأتبعه ببيان وجه القسمة بينهما، واستقلال كل منهما بجزء، ثم دافع عن قسمة الكتاب بين محققين اتفقا على خطة العمل، وأعقبه بإيراد ما رآه من وجوه الفائدة التي تعود بها المشاركة على الكتاب، وهذا لفظه بتمامه: (بعد أن أنجزت مع أخي الدكتور عبد الإله نبهان تحقيق الجزأين الأول والثاني من الأشباه والنظائر في النحو سنة ١٩٨٠م، وجدنا الاشتراك في التحقيق أعود بالفائدة على الأثر من أن يحتجنه محقق واحد، فوقع اختيارنا على كتاب (اللباب في علل البناء والإعراب) لأبي البقاء العكبري، وجعلناه شركة، نحققه معاً على هدي من تجربتنا السابقة، أخذت الجزء الأول الخاص بالنحو، واستقل الدكتور عبد الإله بالجزء الثاني الخاص بالصرف، وتقسيم الكتاب بين محققين اتفقا على خطة العمل لا يضير الكتاب بل ينفعه، إذ يضعه تحت بصرين وبصيرتين، فإن تفلت الصواب من بصر اعتلقه الآخر، وإن عميت إحدى البصيرتين عن الحق بصرتها الثانية به..).

وظاهر مما تقدم أنه يخلو من أيّ نص صريح يدل على أن أحداً من المحققين قرأ أو راجع جزء شريكه، وما ورد من كلام حول المشاركة

وفوائدها أدخل في باب العموم، إذ يصدق على أيِّ كتاب شبيه بهذا، فضلاً عن أن حقيقة المشاركة السابقة التي جرى التحقيق على هديها تدل على استقلالية المسؤولية العلمية لكل منهما عن جزئه فحسب، لأن المشاركة في تحقيق كتاب (الأشباه والنظائر) كانت - كما هو معلوم - بين أربعة من طلاب الدراسات العليا، انفرد كل منهم بتحقيق جزء منه، ونال به درجة الماجستير من جامعة دمشق، ومثل هذه المشاركة الجامعية لا تجاوز معالم المنهج الرئيسية، لأنها تقتضي تحديد المسؤولية العلمية لكل من المحققين الأربعة بالجزء الخاص به دون غيره، وهو ما كان في دفاع كل منهم عن أطروحته يوم مناقشته، وهذا دليل على أن مفهوم المشاركة بينهما في كتاب (اللباب) قريب من هذا المعنى، وإلا فمن العسير جداً التماس تفسير لما وقع في كلام محقق الجزء الأول على مصنفات أبي البقاء العكبري، برغم اعتماده على ترجمة شريكه لتلك الآثار في طبعاته لكتاب (إعراب الحديث النبوي) على خلوها مما وقع فيه. وهو ما يقتضي إعادة النظر فيما كتبه، وتصحيح ما شابه من سهو وقصور وأخطاء، والإفادة من الدراسات اللاحقة التي استقصى أصحابها في ترجمة آثار أبي البقاء العكبري كما سلف بيانه، وذلك ما يجعل مقدمة التحقيق مساوقة لتحقيق نص الكتاب دقةً وجودةً، وذلك عهدنا بالمحققين الفاضلين.

ثبت المصادر والمراجع

-إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. أولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٤م.

-الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. وطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق العام نفسه.

-إعراب الحديث النبوي، أبو البقاء العكبري، تحقيق د. عبد الإله نبهان، مجمع اللغة العربية بدمشق ط. الأولى: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، والثانية: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، وط. أولى دار الفكر بدمشق ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، وتحقيق د. حسن موسى الشاعر، ط. ثانية، دار المنارة، جدة ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م، وتحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، عنوانها (إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث).

-إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، ط. أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، ابن قاضي شهبة، مصورة عن نسخة مكتبة كوبرولي لدى الدكتور عدنان درويش.

-إنباه الرواة على أنباه النحاة، الحسن بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

-إيضاح المكنون، إسماعيل باشا، مصورة دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-البداية والنهاية، ابن كثير، بعناية فئة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

-بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط. أولى،١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

-تاريخ الإسلام، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

-التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، أبو البقاء العكبري، تحقيق د. عبد الرحمن بن عثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

-التكملة لوفيات النقلة، عبد العظيم المنذري، تحقيق د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. ثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

-الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، صححه حامد

الفقي، مطبعة السنة، القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

-الذيل على الروضتين، أبو شامة المقدسي، تحقيق عزة العطار، دار الجيل، بيروت، ط. ثانية، ١٩٧٤م.

-روضات الجنات، محمد باقر الخوانساري، ط. حجرية، ١٣٠٧هـ.

-سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، الجزء ٢٢، تحقيق د. بشار عواد، ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣١٥هـ.

-طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، ط. أولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

-طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة، نسخة مخطوطة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

-العكبري: سيرته ومصنفاته، د. يحيى ميرعلم، مكتبة دار العروبة، الكويت، ودار العماد، بيروت، ط. أولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

-غربال الزمان في وفيات الأعيان، يحيى اليماني، تصحيح محمد ناجي العمر، دار الخير، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق أ. غازي مختار طليمات ود. عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط. أولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

-مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٨، الجزء الثالث.

-مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد ٢٦، الجزء الثاني.

-مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله بن أسعد اليمني، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن.

-مسائل خلافية في النحو، عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق د. محمد خير الحلواني، دار المأمون للتراث، دمشق، ط. ثانية، بلا تاريخ.

-المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، انتقاء أحمد بن أيبك الدمياطي، تحقيق محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

-المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، أبو البقاء العكبري، تحقيق ياسين السواس، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

-المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبد الرحمن بن محمد العليمي، مصورة نسخة مخطوطة لدى الأستاذ محمود الأرناؤوط.

-نكت الهِمْيان في نُكَت العميان، صلاح الدين الصفدي، وقف على طبعه أحمد زكي، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، مصورة دار المدينة بلا تاريخ.

-هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

-الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، اعتناء دوروتيا كرفولسكي، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(آراء وأنباء)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ٢٠٠٠م (رمضان ١٤٢٠هـ)

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الدكتور شاكر الفحام «رئيس المجمع»	١٩٧١
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الدكتور محمد إحسان النص «نائب رئيس المجمع»	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور عبد الله واثق شهيد «أمين المجمع»	١٩٨٨
الدكتور محمد بديع الكسم	١٩٨٨
الدكتور مختار هاشم	١٩٨٨
الدكتور محمد زهير البابا	١٩٨٨
الدكتور عادل العوا	١٩٩١
الدكتور عبد الوهاب حومد	١٩٩١
الأستاذ جورج صدقني	١٩٩١
الأستاذ سليمان العيسى	١٩٩١

* * *

ب- الأعضاء المراسلون في البلدان العربية(*)

تاريخ دخول المجمع

المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور ناصر الدين الأسد ١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة ١٩٧٧
الدكتور عبد الكريم خليفة ١٩٨٦
الدكتور محمود إبراهيم ١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة ١٩٨٦

الجمهورية التونسية

الأستاذ محمد المزالي ١٩٧٨
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة ١٩٨٦
الدكتور محمد سويسي ١٩٨٦
الدكتور رشاد حمزاوي ١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو ١٩٩٣
الدكتور إبراهيم شبوح ١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد ١٩٩٣
الدكتور سليم عمار ١٩٩٣

الجمهورية الجزائرية

الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

تاريخ دخول المجمع

الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح ١٩٧٧
الدكتور أبو القاسم سعد الله ١٩٩٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١
الأستاذ حسن عبد الله القرشي ١٩٩٢
الأستاذ عبد الله بن خميس ١٩٩٢

جمهورية السودان

الدكتور محيي الدين صابر ١٩٨٥
الدكتور عبد الله الطيب ١٩٨٥
الأستاذ سر الختم الخليفة ١٩٩٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله ١٩٩٣

الجمهورية العربية السورية

الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤
الدكتور صلاح الدين المنجد ١٩٩٢
الدكتور عبد الله عبد الدايم ١٩٩٢
الأستاذ عبد المعين الملوحي ١٩٩٢

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

تاريخ دخول المجمع

الدكتور عبد السلام العجيلي ١٩٩٢

الدكتور عبد الكريم الأشتر ١٩٩٢

الدكتور عمر الدقاق ١٩٩٢

الدكتور خالد الماغوط ١٩٩٢

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩

الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩

الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣

الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣

الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣

الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣

الدكتور عبد العزيز البسام ١٩٧٣

الدكتور صالح أحمد العلي ١٩٧٣

الدكتور يوسف عز الدين ١٩٧٣

الدكتور محمد تقي الحكيم ١٩٧٣

الدكتور إبراهيم السامرائي ١٩٩٣

الدكتور حسين علي محفوظ ١٩٩٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الأستاذ أحمد صدقي الدجاني ١٩٩٣

الدكتور إدوارد سعيد ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

الكويت

الدكتور عبد الله غنيم ١٩٩٣

الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ١٩٩٣

الجمهورية اللبنانية

الدكتور فريد سامي الحداد ١٩٧٢

الدكتور محمد يوسف نجم ١٩٩٣

الجماهيرية الليبية

الدكتور علي فهمي خشيم ١٩٩٣

الدكتور محمد أحمد الشريف ١٩٩٣

جمهورية مصر العربية

الدكتور رشدي الراشد ١٩٨٦

الأستاذ وديع فلسطين ١٩٨٦

الدكتور شوقي ضيف ١٩٩٢

الدكتور كمال بشر ١٩٩٢

الدكتور محمود علي مكي ١٩٩٣

الدكتور أمين علي السيد ١٩٩٣

الأستاذ مصطفى حجازي ١٩٩٣

الأستاذ محمود فهمي حجازي ١٩٩٣

المملكة المغربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال ١٩٧٨

الدكتور عبد الهادي التازي ١٩٨٦

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله	١٩٨٦
الأستاذ محمد المكي الناصري	١٩٩٣

	تاريخ دخول المجمع
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور	١٩٩٣
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣

الجمهورية العربية اليمنية

الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع	١٩٨٥

* * *

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

تاريخ دخول المجمع

الاتحاد السوفييتي «سابقاً»

الدكتور غريغوري شرباتوف ١٩٨٦

ازبكستان

الدكتور نعمة الله إبراهيموف ١٩٩٣

إسبانية

الدكتور خيسوس ريو ساليدو ١٩٩٢

ألمانية

الدكتور رودلف زلهايم ١٩٩٢

إيران

الدكتور فيروز حريرجي ١٩٨٦

الدكتور محمد باقر حجتي ١٩٨٦

الدكتور مهدي محقق ١٩٨٦

باكستان

الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي ١٩٦٦

الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي ١٩٨٦

الدكتور أحمد خان ١٩٩٣

تاريخ دخول المجمع

تركية

الدكتور فؤاد سزكين ١٩٧٧

الدكتور إحسان أكمل الدين اوغلو ١٩٨٦

الصين

الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ١٩٨٥

فرنسة

الأستاذ اندره ميكيل ١٩٨٦

الأستاذ جورج بوهاس ١٩٩٣

الأستاذ جيرار تروبو ١٩٩٣

الأستاذ جاك لانغاد ١٩٩٣

الهند

الدكتور مختار الدين أحمد ١٩٨٥

الدكتور عبد الحليم الندوي ١٩٨٦

* * *

رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ - ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ - ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ - ١٩٦٨)
الأستاذ الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ - ١٩٨٦)

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ- الأعضاء العاملون

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠

	تاريخ الوفاة
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل	
«أمين المجمع»	١٩٨٥
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦

	تاريخ الوفاة
الدكتور حسني سبح	
«رئيس المجمع»	١٩٨٦
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب	
«أمين المجمع»	١٩٩٥
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩

* * *

ب- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية(*)

المملكة الأردنية الهاشمية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣

جمهورية السودان

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد نور الحسن	

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦

(*) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني.

	تاريخ الوفاة
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل»	١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى	١٩٩٧

الجمهورية العراقية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد	١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري	١٩٩٦

فلسطين

	تاريخ الوفاة
الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي	١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر	١٩٩٦

الجمهورية اللبنانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦

الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥

جمهورية مصر العربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣

	تاريخ الوفاة
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٩٧

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي	١٩٩١

* * *

ج- الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
«سابقاً»	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوارد دو فيتش)	١٩٥٧
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريتشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
إيطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
الأستاذ غبرييلّي (فرنسيسكو)	١٩٩٧
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢

بريطانية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١

بولونية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨

تركية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢

تشكوسلوفاكية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤

الدانمرك

	تاريخ الوفاة
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤

السويد

	تاريخ الوفاة
الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦

سويسرة

	تاريخ الوفاة
الأستاذ مونتة (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح)	١٩٤٩

فرنسة

	تاريخ الوفاة
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧

فنلندة

	تاريخ الوفاة
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	

تاريخ الوفاة

المجر

الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس) ١٩٢١

الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النروج

الأستاذ موبرج

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)

الأستاذ جير (رودلف) ١٩٢٩

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٦١

الهند

الحكيم محمد أجمل خان ١٩٢٧

تاريخ الوفاة

الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٩٩

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦

الأستاذ هوتسما ١٩٤٣
(مارتينوس تيودوروس)

الأستاذ اراندونك (ك. فان) ١٩٤٧

الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور مكدونالد (ب) ١٩٤٣

الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨

الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦

الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الرابع من عام ١٩٩٩م

أ - الكتب العربية

خلود العقاد

- **الاتجاه الآخر**: **قصص عربية /** د. فواز مزيك ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

ـ **أثر ظاهرة التنكير والتعريف في السياق اللغوي / إ**عداد محمود فؤاد؛ إشراف د. سعيد جاسم الزبيدي ـ عمّان: جامعة آل البيت، ١٩٩٩.

ـ **أدب السيرة والمذكرات في الأردن: ملتقى جامعة آل البيت الثقافي الثاني ١١ ـ ١٢ أيار ١٩٩٨ /** تحرير عبد القادر أبو شريفة وآخرين ـ عمّان: جامعة آل البيت، ١٩٩٩ ـ (٥٣).

ـ **الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها /** تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة؛ رواية أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي؛ تحقيق ياسين محمد السواس ـ ط١ ـ بيروت؛ دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩.

ـ **الإصلاح /** تصنيف أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي؛ باهتمام د. حسن مينوچهر، د. مهدي محقق ـ طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٥٧] ـ (سلسلة دانش إيراني؛ ٤٢).

ـ **انتماءات /** ناتالي ساروت؛ ترجمة ريم منصور الأطرش ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

ـ **أهواء غامضة: قصص/** شاكر الأنباري ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة،

١٩٩٩ ـ (قصص وروايات عربية؛ ٨٩).

ـ **أوجيني غرانده: دراسة طبائع مشاهد من حياة المقاطعات/** بلزاك؛ ترجمة ميشيل خوري- ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ ـ (روايات بلزاك؛ ١٧).

ـ **أوراق في تاريخ بلاد الشام: ١ ـ شمال الجزيرة العربية في العهد الآشوري/** إعداد إحسان عباس، محمود أبو طالب ـ عمّان: جامعة اليرموك. لجنة تاريخ بلاد الشام، ١٩٩١.

ـ **أوقات الغريب: شعر /** حسن وسوف ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ ـ (من الشعر العربي؛ ٦١).

ـ **باكراً بعد صلاة العشاء: قصص /** عاصم الباشا ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ـ (قصص وروايات عربية؛ ٩٠).

ـ **الببليوجرافية الوطنية السعودية ١٩٩٧/** تنسيق إدارة التكشيف والببليوجرافية الوطنية ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩ ـ الجزء الثامن عشر، (السلسلة الثالثة؛ ٢٠).

ـ **بحوث تاريخية دينية أدبية /** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص- ط١ ـ العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٨ ـ جزءان.

ـ **بيان الحق بضمان الصدق /** أبو العباس فضل بن محمد اللوكري؛ تحقيق إبراهيم ديباجي ـ طهران؛ كوالا لامبور: المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية، ١٩٩٥ ـ (الفكر الإسلامي؛ ٢).

ـ **تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار /** تأليف ضامن بن شدقم الحسيني المدني؛ تحقيق كامل سلمان الجبوري ـ طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩ ـ (ميراث مكتوب؛ ٦٣. تاريخ وجغرافية؛ ٦).

ـ **ترجمات القرآن الكريم إلى لغات الشعوب والجماعات الإسلامية: أوراق الندوة الدولية التي عقدت في جامعة آل البيت ١٨- ٢١ أيار ١٩٩٨ /** تحرير محمد م. الأرناؤوط ـ عمان: جامعة آل البيت، ١٩٩٩ ـ (٥١).

- **التعريب والتأصيل في الشعر العربي الحديث (أبو القاسم الشابي نموذجاً): دراسة نقدية للشعر والميثولوجيا /** د. نذير العظمة - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ - (دراسات أدبية عربية؛ ٢٤).

- **تقرير الدورة العشرين ٢٧ - ٢٨ أيار ١٩٩٩، المجلس الاقتصادي والاجتماعي: الوثاق الرسمية ١٩٩٩، ملحق رقم ٢١ /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **تقرير اللجنة الفنية عن أعمال دورتها الحادية عشرة /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، المجلس الاقتصادي والاجتماعي - [نيويورك]: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **تقييم دور المنظمات غير الحكومية في الأراضي المحتلة ... /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك: الأمم المتحدة: ١٩٩٩.

- **تقييم نقدي لتجارب تنمية المجتمعات المحلية في الوطن العربي/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **التلفزيون، البرمجة، المشاهدة: آراء ورؤى /** د. نصر الدين العياضي - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (دراسات اجتماعية؛ ٣٨).

- **تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك على منهج العدل والإنصاف في شرح مسائل الخلاف/** أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي؛ تحقيق أحمد بن محمد البوشيخي - [الرباط]: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٨ - ٥ مجلدات.

- **جامعة آل البيت في عامها الرابع ١٩٩٧ - ١٩٩٨ /** عمّان: جامعة آل البيت.

- **جامعة آل البيت في عامها الخامس ١٩٩٨ - ١٩٩٩: الفوج الأول (فوج الحسين) /** عمّان: جامعة آل البيت.

- **الجعران الذهبي: رواية للشباب /** وليم آدغار آلان بو؛ ترجمة غادة الأشقر - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **حدوث العالم: المناظرة بين فخر الدين الرازي وفريد الدين الغيلاني /** عمر بن غيلان؛ اهتم بنشرها د. مهدي محقق ـ طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي ـ (سلسلة دانش إيراني؛ ٤٣).

- **حصاد المواعظ /** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص ـ ط١ ـ دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨، جزءان.

- **حق اللجوء: قصص عالمية /** اليخوكار بنتيير؛ ترجمة علي أشقر ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **الحمامة: مختصر في ترويض النساك /** تأليف مارغريغوريوس يوحنا أبو الفرج الملطي (ابن العبري)؛ تحقيق أغناطيوس زكا الأول عيواص ـ ط٣ ـ دمشق: الكاتب العربي، ١٩٩٣.

- **الحياة والغربة وما إليها: قصص عربية /** وليد إخلاصي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **الخروج من جنة عدن من أجل أن نحمي الأرض ونتدبر شؤونها /** يوان جورج نيسبت؛ ترجمة حسن كامل بحري ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل أصفهان /** تأليف عماد الدين الأصفهاني ؛ تحقيق عدنان محمد آل طعمة ـ ط١ ـ طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩ ـ جزءان، (ميراث مكتوب؛ ٥٢).

- **خيول الضوء والغربة: شعر /** إباء إسماعيل ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ ـ (من الشعر العربي؛ ٦٥).

- **الدارة المغلقة /** مايك انكلش؛ ترجمة هبة الله الغلاييني ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **دراسات في مصادر تأريخ العرب الحديث: محاضر الندوة التأسيسية لدراسة مصادر تأريخ العرب الحديث ٢٩ ـ ٣٠ نيسان ١٩٩٧ /** إعداد وتحرير هند غسان أبو الشعر ـ عمّان: جامعة آل البيت، ١٩٩٨ ـ (٣٧).

- **دراسة عن إدماج البعد البيئي في الخطط الإنمائية /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ـ نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩ ـ جزءان.

- **الدعم الطليعي للمشاركة المجتمعية /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ـ [نيويورك]: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **ذكاء الإعلام في عصر المعلوماتية /** الأخضر إيدروج ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية. زغوان: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ١٩٩٩ ـ (السلسلة الثانية؛ ٣٤).

- **الذهب /** أندريه أنيكين؛ ترجمة د. إلياس حاجوج ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ ـ (دراسات اجتماعية؛ ٣٩).

- **رائحة المسيح الذكية /** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص ـ ط١ ـ دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٨٤.

- **الربيع وفصول أخرى: قصص عالمية /** لوكليزيو؛ ترجمة يوسف شلب الشام ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **رحلة التزلج: قصة عالمية /** إيما نويل كارير؛ ترجمة معن أحمد عاقل ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **رحماك إسبانيا خلصيني من هذا العذاب /** ثيسار باييخو؛ ترجمة محمد عبد الله الجعيدي ـ ط١ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ ـ (من الشعر العالمي الحديث، ٦).

- **ريدكا يكتشف طريقة: رواية /** نيقولا أتاروف؛ ترجمة نتيجة الحلاق ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **سلامة عبيد الأديب الإنسان /** فوزي معروف ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **الشامل في أصول الدين /** أبو المعالي الجويني؛ تحقيق ر. م. فرانك ـ طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، ١٩٦٠ ـ (سلسلة دانش إيراني؛ ٢٧).

- **شرح الإلهيات من كتاب الشفاء /** مهدي بن أبي ذر النراقي معروف

بـ ملا مـهدي نراقي؛ باهتـمام مهدي مـحقق ـ طهران: مـؤسسة مطالعـات إسلامي، [١٩٤٥] ـ (سلسلة دانش إيراني؛ ٣٤).

ـ **شرح كتاب القبسات ميرداماد** / أحمـد بن زين العابديـن العلوي؛ تحقيق حـامد ناجي أصفهـاني ـ كوالا لامبور: المعهـد العالي العالمي للفـكر والحضارة الإسلامية. طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٥٦] ـ (الفكر الإسلامي؛ ١١).

ـ **شرخ الكلام: قصص** / ربيعة ريـحان ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثـقافـة، ١٩٩٩ ـ (قصص وروايات عربية؛ ٩١).

ـ **الشعر طقس حضارة: دراسة لنتاج جوزف حرب ـ محمد الفيتوري ـ أحمد المجالطي ـ معين بسيسو ـ عمر أبو ريشة** / محيي الدين صبحي ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ ـ (دراسات أدبية عربية؛ ٢٣).

ـ **شيطان القمقم: قصص** / روبيرلـويس ستيـفنس؛ ترجـمة معن أحـمد عاقل ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **صفحات مشرقة من تاريخ الكنيسة** / مار أغناطيوس زكا الأول عيواص ـ ط١ ـ العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧ ـ الجزء الأول.

ـ **صمود دمشق أيام الحملات الصليبية** / د. قتيبـة الشهابي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **طائر مابلين: قصص للشباب** / ك.م. بيتـون؛ ترجمة نجـوى ربيع ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **طريف النداء في دمشق الفيحاء** / د. قتيبة الشهابي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

ـ **علم الجمال: نظرية وتطبيق في الموسيقا والمسرح والفنون التشكيلية** / د. غازي الخالدي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

ـ **غيوم الدماء السومرية: شعر** / كريم الأسدي ـ ط١ ـ دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ ـ (من الشعر العربي؛ ٦٢).

ـ **فرويد وتوسك عن أصول علم النفس التحليلي** / بول روزان؛ ترجـمة عـلي مـحمـد الجندي ـ ط١ ـ دمـشق: وزارة الـثقـافة، ١٩٩٨ ـ (دراسـات فكرية؛ ٤٥).

- **الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية /** مارتان هيدجر؛ ترجمة د. فاطمة الجيوشي - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (دراسات فكرية؛ ٤٤).

- **فهرس منشورات وزارة الثقافة ١٩٦٠ - ١٩٩٧ /** إعداد سحبان العمر - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **في بناء النص ودلالته: محاور الإحالة الكلامية /** مريم فرنسيس - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨ - (دراسات لغوية؛ ٢).

- **القبرة الطائرة: قصص للشباب /** ايلفرد اقيبونت؛ ترجمة د. حسين جمعة عيسى - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **القديس مار بطرس هامة الرسل في كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية /** أغناطيوس زكا الأول عيواص - ط١ - دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٩٦.

- **قصائد: شعر /** نديم دانيال الوزة - ط١ - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩ - (من الشعر العربي؛ ٦٤).

- **القَنْد في ذكر علماء سمرقند/** تأليف نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي؛ تحقيق يوسف الهادي- ط١- طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩- (ميراث مكتوب؛ ٦٤. ميراث ماوراء النهر؛ ٤).

- **قوة الحي: مبادئ في علم البيئة/** جان دورست؛ ترجمة ميشيل خوري- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (دراسات علمية؛ ٣٥).

- **الكشاف الوطني للدوريات السعودية ١٩٩٥- ١٩٩٧/** إعداد إدارة التكشيف والببليوغرافية الوطنية- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩- المجلدان الخامس والسادس.

- **كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية وقانونية المجامع المسكونية/** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص- ط١- العطشانة: ديرمار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧.

- **كيف تصير رجلاً طيباً/** كارلوس يغيا زاريان؛ ترجمة لوسي قصّابيان، غسان كجّو- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **كيف تقوي قدراتك الدماغية وتصل إلى ذروتك في الذكاء والذاكرة والإبداع/** روجر.ب. يابسن الابن؛ ترجمة جميل الضحاك – ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (دراسات علمية؛ ٣٧).

- **المبدأ والمعاد/** ابن سينا؛ باهتمام عبد الله نوراني– طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٤٣]– (سلسلة دانش إيراني؛ ٣٦).

- **المتروك جانباً : شعر/** محمد فؤاد– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (من الشعر العربي؛ ٦٣).

- **المتسلل: قصص للشباب/** جون روتاونسند؛ ترجمة د. حسين جمعة عيسى– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **مجاز غوتنبورغ: شعر/** محمد عفيف الحسيني– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (من الشعر العربي؛ ٦٦).

- **محبوب القلوب: المقالة الأولى في أحوال الحكماء وأقوالهم من آدم إلى بداية الإسلام/** تأليف قطب الدين محمد الديلمي اللاهيجي؛ تقديم وتصحيح د. إبراهيم الديباجي، د. حامد صدقي– ط١– طهران: مرآة التراث، ١٩٩٩– (علوم ومعارف إسلامية؛ ٢).

- **مسارات الوجع: شعر/** د. صالح الرحال– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (من الشعر العربي؛ ٦٧).

- **مشاركة المجتمعات المحلية في التنمية الحضارية/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٨.

- **مصابيح على الطريق/** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص– ط١– دمشق: بطريركية السريان الأرثوذكس، ١٩٨٤.

- **مغامرات تشيبو للينو/** جياني روداري؛ ترجمة عياد عيد– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

- **مفاهيم العلم والعمل والتكافل الاجتماعي في الفكر العربي الإسلامي/** حسن حنفي– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٨– (سلسلة دراسات التنمية البشرية؛ رقم ٩).

- **مفتاح الطب ومنهاج الطلاب/** أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو؛ باهتمام مهدي محقق، محمد تقي– طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٤٨]– (مجموعة تاريخ علوم در إسلام؛ ١).

- **مقالات في العربية/** مازن المبارك– ط١– دمشق: دار البشائر، ١٩٩٩.

- **مكتبات كليات المعلمين مع تركيز خاص على مكتبات كليات المعلمين في المملكة العربية السعودية/** د. سعد بن عبد الله الضبيعان– الرياض: مكتبة المللك فهد الوطنية، ١٩٩٩– (السلسلة الأولى؛ ٣٠).

- **ملخص الدراسة التي أجريت عن التكنولوجيا الحيوية في بلدان الإسكوا/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **من أمالي الشريف المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد/** الشريف المرتضى؛ اختار النصوص د. محمد علي دقة– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩– (المختار من التراث العربي؛ ٨٠).

- **من أناشيد السفر المنسي: شعر/** ثائر زين الدين– ط١– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (من الشعر العربي؛ ٥٩).

- **من بيدر المواعظ/** مار أغناطيوس زكا الأول عيواص – ط١– العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧– الجزء الأول.

- **المناهج في المنطق/** أبو محمد صائن الدين علي بن محمد ابن تركه الخجندي الأصفهاني الشافعي؛ تحقيق د. إبراهيم الديباجي– كوالا لامبور: المعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية. طهران: مؤسسة مطالعات إسلامي، [١٩٥٦]– (الفكر الإسلامي؛ ١).

- **منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٨/** مديرية المطبوعات والنشر في وزارة الثقافة– دمشق: الوزارة، ١٩٩٩.

- **ميزانية الجامع الأموي لسنة ١٣٢٦هـ–١٩٠٨م/** تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي– عمان: جامعة اليرموك. لجنة تاريخ بلاد الشام، ١٩٩٢.

- **الناب الأبيض/** جاك لَندَن؛ ترجمة عدنان حسن- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (روايات عالمية؛ ٦٦).

- **ناحية القدس الشريف في القرن ١٠هـ- ١٦م/** تأليف محمد أحمد سليم اليعقوب- عمّان: البنك الأهلي الأردني، ١٩٩٩- جزءان.

- **نخبة من المناشير البطريركية/** أصدرها مار أغناطيوس زكا الأول عيواص- ط١- العطشانة: دير مار يعقوب البرادعي، ١٩٩٧.

- **نزل شبيسارت: رواية للفتيان/** فيلهيلم هاوف؛ ترجمة عياد عيد- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **نقوش إسلامية شاهدية بمكتبة الملك فهد الوطنية/** موضي بنت محمد علي البقمي- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩.

- **نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية/** سليمان بن عبد الرحمن الذييب- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩.

- **نهاية الحرب الباردة: مدلولها وملابساتها/** مايكل جي هوغان؛ ترجمة محمد أسامة القوتلي- ط١- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (دراسات سياسية؛ ٤٣).

- **واقع مكتبات المدارس الثانوية للبنين بمدينة الرياض: دراسة مقارنة بين المدارس الحكومية والأهلية/** عبد الله بن إبراهيم المبرز- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩- (السلسلة الأولى؛ ٢٩).

- **وثيقة مشروع حول إعادة تأهيل القطاع الزراعي في الأراضي الفلسطينية/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **الوقف الصرفي: مايوقف عليه وما لايوقف/** تأليف محمد خليل الزروق- ط١- بنغازي: جامعة قان يونس، ١٩٩٩.

ب – المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٦٧١– ٦٧٥	١٩٩٩	سورية
التراث العربي	٧٦	١٩٩٩م	سورية
رسالة العلوم	(٣– ٤) عدد ممتاز	١٩٥٩– ١٩٦٠	سورية
صوت فلسطين	٣٧٩	١٩٩٩	سورية
عالم الذرة	٦٣	١٩٩٩	سورية
مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها	٣	١٩٩٩	سورية
مجلة طب الفم السورية	(١– ٢)	١٩٩٩	سورية
مجلة المعلومات	من ١٠٤– ١٠٨	١٩٩٩	سورية
المعرفة	٤٣١	١٩٩٩	سورية
المعلم العربي	٥ (١٩٦٨)، ٣، ٤ (١٩٦٩)، ٢، ٥ (١٩٧٠)، ١٠ (١٩٧٨)، ٣ (١٩٨١)، ٤ (١٩٩٠)	١٩٩٩	سورية
الموقف الأدبي	٣٤٠	١٩٩٩م	سورية
الأنباء	٧٨٣، ٧٨٤	١٩٩٩م	الأردن
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٥٦	١٩٩٩	الأردن
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية	١ (١٩٩٠م)، ٧ (١٩٩٣م)، ١١ (١٩٩٥م)، ١٢ (١٩٩٦م)		الإمارات
المجلة العربية العلمية للفتيان	– الأعداد التجريبية: [١، ٢ (١٩٩٥)، (٣، ٤) ١٩٩٦]. – ١ (١٩٩٧)		تونس

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المجلة العربية للعلوم	٥ (١٩٨٤)، ٢٧ (١٩٩٦)، ٣٣ (١٩٩٩)		تونس
مجلة المعجمية	١١ (١٩٩٥م)، (١٢- ١٣ ٩٦- ١٩٩٧		تونس
مجلة الدرعية	١، ٢	١٩٩٨	السعودية
المجلة العربية	٢٦٨	١٩٩٩م	السعودية
الشراع	٨٩٣، ٨٩٤ (عدد خاص)، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٨	١٩٩٩	لبنان
الفكر العربي	٩٧	١٩٩٩	لبنان
أخبار التراث العربي	مج ٥ (٦٠) عدد خاص ١٩٩٢م، مج ٦ (٦١- ٦٢- ٦٣)/ ١٩٩٤م		مصر
رسالة اليونسكو	شباط	١٩٩٩	مصر
الشرق	٢٤	١٩٥٩	مصر
نشرة الإبداع	كانون الثاني، شباط	١٩٩٩	مصر
تراثنا	١(٤٩)، (٢-٣) (٥٠- ٥١)	١٤١٨هـ	إيران
	(١-٢) (٥٣- ٥٤)، (٣-٤) (٥٥- ٥٦)	١٤١٩هـ	إيران
أصوات	٨	١٩٦٢	لندن

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- The Age of Ideology/ by Henry Aiken.- U. S. A , 1956 .
(About The 19 Th Century Philosophers.)
- The complete Works of Homer, The Iliad and The Odyssey/ by Homer.- Newyork, no date.
- Dictionary of Scientific Terms / by C. M. Beadnell london, 1942.
- Dictionary of International Biography, 1968, comp iled by Ernest Kay.- london, 1968.
- Ethics / By p.H. Nowell - Smith.-England, 1961.
- Greek Political Theory/ by Ernest Barker. - London, 1960.
- Greek - English Lexicon / by Liddel & Scott. - Oxford, 1949.
- How Greek Science passed To The Arabs / by De Lacy O´ Leary . - London, 1948.
- History, ist purpose and MeThod / by G.J. Renier.- london, 1950.
- History versus Anti - History / by N. p. Mikeshin.- Moscow, 1977.
- A History of Europe from The Reformation to The Present day / by Ferdinand Schevill.- New york, 1941, illus.
- How To read History / by Archibald Robertson.-

London, 1952.

- History of The Persian Empire / by A. T. Olmstead.- Chicago, 1943.

- A History of Greece te The Death of Alexander The Great / by J. B. Burry.- Newyork, No date.

- The Idea of History / by R. G. Collingwood.- Oxford, 1963.

- Ibn Khaltün in Egypt, A Study in Islamic Historiography / by Walter J. Fischel.- U. S. A, 1967.

- The Legacy of Islam / ed. by Thomas Arnold And Alfred Guillaume.- Oxford, 1931, illus.

- Liberal Education in a Technical age.- london, 1955.

- Man´s Great Adventure, Revised by Edwin W. Pahlow.- U. S. A, 1942, illus.

- The Mind in The Making / by James Harvey Robinson.- London, 1960.

- The New Society, The Anatomy of The Industrial Order / by Peter F. Drucker.- London, 1951.

- The Origins of Scientific Thought / by G. De Santillana.- U. S. A, 1961.

- Progressive Methods of Teaching in Secondary Schools / by Nelson L. Bossing.- U. S. A., 1944, Volumes 1, 2.

- Progress and Archéology / by Gordon V. Childe.- London, 1945.

- The Psychology of Development and Personal Adjustment / by John E. Anderson.- London, 1950.

- The Proper Study of Manlind / by B. A. Howard.-

London, no date.

- Revolutionary Change and Modernization in the Arab World / by Safouh AL. Akrass.- Damascus, 1972.

- A Study of History / by Arnold toynbee.- Oxford, 1951.- (Abridgment of Vols I - V I).

- Sociology / by Emory Bogardus.- 4 Thed, Newyork, 1954.

- World History / by Arthur E. Book and Others.- U. S. A, no date, illus.

....

2- Periodicals

- Annals of Japan Association for Middle East Studies.- Tokyo.

- No. (14), 1999.

- Beijing Review, china.

No. (16), (17), (18), VOL. 42, 1999.

- Bulletin Officiel, Geneve.

Série B, no2, Serie B, Vol. LxxxI, 1998.

Publ. by: Bureau International Du Travail.

- Bulletin on Vital Statistics in The Escwa Region.

No. (1), 1998.

Publ. by: United Nations Evonomic and Social Commission For Western Asia.

- Le Courier Unesco.

No. (septmbre), 1999.

- Deutschland, Magazine on Politics, Culture, Business and Science, Köln, Germany.

No. (4), 1999.

- Information, Bulletin de L´unisist, Unesco
No. (2), 1998.
- Korea and World Affairs, A quarterly RevieW.
No. (1), 1999.
- Review of International Affairs A monthly Journal Published by The FBIRTY International Politics,
Belgrade, Yugoslavia.
No. 1077, 1999.
- Orientalia Suecana, Uppsala, Sweden.
Vol .XLVII, 1998
Publ by: Department of Asian and African Languages.
- Samsung Magazine, Korea.
No. (June), 1999.
- Das Schweizer Buch Switzerland.
Nos.: (14), (15), 1999.
(Bibliographie national Suisse.)
- Self - Realization, A Magazine Devoted to Healing of Body, Mind, and Soul, los Angeles, U. S. A.
No. (summer), 1999
- Skipping Stones, A Multicultural Children´s Magazine, U. S. A.
No. (3), 1999.
- Sources Unesco, Paris.
No. (114), 1999.
- Travail, le Magazine De l´oit Geneve.
No. (30), 1999.
Publ. by: Bureau Interational Du Travail.

فهرس الجزء الأول من المجلد الخامس والسبعين

(المقالات) (الصفحة)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ذو الحجة ١٤٢٠ هـ

نيسان (ابريل) ٢٠٠٠

الطرثوث في خبر البرغوث

تأليف:

الجلال السيوطي

تقديم وتحقيق:

د. عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

تقديم

لايستطيع الإنسان العادي أن يتصور كيف أن صدر الإمام السيوطي يتسع للاهتمام بالتأليف حول مواضيع ربما اعتبرت عند البعض هامشية إن لم تكن من لغو القول وفضول الكلام! وإن إلقاء نظرة عابرة على ماتتضمنه اللائحة الطويلة والعريضة مما ألفه الجلال السيوطي لتجعل المرء يتساءل عن مدى البعد الثقافي الذي كان يتمتع به هذا الرجل العظيم الذي أعطانا بالدليل الملموس معنى صفة (المشارك) التي كان علماؤنا القدامى يطلقونها على بعض فطاحلهم.

لقد ألف في القرآن وما إليه، وفي الحديث وما حواليه، وفي الفقه وما يتصل به، وفي الأصول والخلاف، وفي الأدبيات وما يتبعها وما ينضاف إليها، وفي الموسوعات والمجاميع والمعاجم والفهارس، وفي التاريخ، وفي عدد من المواضيع المستظرفة، إلى كتب أخرى مجهولة الفحوى. وقد كان له في علم الجنس بضعة تآليف مغرية منشطة كان منها على سبيل المثال (نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر)[1].

وقد كان مما أثار انتباهي من كتبه تأليف في علم الحيوان (الزولوجيا) LaZoologie يحمل عنوان (الطرثوث في خبر البرغوث)، وقد كان ضمن قائمة المخطوطات العربية النادرة التي وقع الاختيار عليها من بين الموجودة

(1) د. أحمد الشرقاوي إقبال: مكتبة الجلال السيوطي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1397هـ = 1977 م.

بالخزانة العامة للكتب والمستندات بالمغرب والتي قامت بتصويرها على الميكروفيلم الهيئة المتنقلة التابعة لليونيسكو(1).

وهذه الرسالة تقع ضمن مجموع يحمل رقم ك/ 37 أي إن المجموع كان أصلاً من مكتبة الكتاني، وتوجد المخطوطة في القائمة اليونيسكية تحت خانة علم الحيوان (LaZoologie) ، وهي من ست صفحات مسطرتها 23 سطراً – 20 سنتيما على 14. كتبت بخط مشرقي لايخلو من أخطاء. كانت النسخة الوحيدة التي اعتمدتُ عليها، ولذلك فإنها كلفتني شططاً! وقد فصلها الجلال السيوطي على ثلاثة أقسام: المقدمة، والمقصد، والخاتمة.

لقد بدأ السيوطي مقدمته بالقول: بأنه كان في عمله هذا مقلداً لسلفه أبي الفضل ابن حجر الذي ألف كتاباً في الموضوع غير أنه أي السيوطي أضاف «زيادة» على سلفه...

ومع الأسف فإنه لم يكن في الإمكان الوقوف على ماألفه ابن حجر حول البرغوث، حجماً ومضموناً(2)، إلا أننا من جهة أخرى نجد أن الجلال السيوطي استفاد من كل من الجاحظ والدميري في تآليفيهما حول الحيوان، ولو أنه أي السيوطي لم يذكر اسم الدميري الذي يذكر في صدر الذين اهتموا من العرب بالزولوجيا...

لقد خصص الجلال السيوطي المقدمة لذكر أسماء البرغوث وكناه، ونحن نعلم أن العرب أثرياء في إعطاء الأسماء للحيوانات: القط والأسد والصقر إلخ. وبالرغم من صغر حجم الرسالة البرغوثية التي لم تتجاوز ست ورقات إلا أنها مع ذلك تحتوي على ذكر عدد من الشخصيات ممن لها صلة

(1) وثيقة تحمل تاريخ 1962، الرباط، نسخة خاصة.

(2) توجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة ليدن (هولاندا).

بالبرغوث وأخبار البرغوث... وصلت إلى نحو سبع وسبعين! هذا إلى عدد من المصادر والتآليف التي ذكرها ضمن المخطوطة والتي وصلت إلى نحو من أربعة وعشرين مصدراً! علاوة على عدد من الأعلام الجغرافية التي وردت كأماكن يشتكى فيها من وجود البرغوث مثل بغداد ومدينة الفسطاط مما نحتاجه عند الحديث عن الجغرافية الطبيعية...

وقد تضمنت هذه الرسالة طائفة من الأمثال العربية التي قيلت في البرغوث الأمر الذي يؤكد أنه أي البرغوث ظل مشغلة للناس بالرغم من أن الرؤية لاتكاد تستوعبه في بعض الأحيان!

ومن ذا الذي يمكن أن يهتم بالبرغوث غير أهل العلم الذين يشعرون أكثر من غيرهم بمضايقته وتمكنه من فرض نفسه عليهم عندما يقطع أفكارهم ويشوش على تخيلاتهم وتصوراتهم...

برغوث واحد يغشى مجلساً يمكن أن يحوله إلى قوم واقفين مائلين قاعدين يبحثون عن هذا الطارئ الذي قد يحمل معه الحمى والطاعون، علاوة على مايحمله– بالتأكيد– من أرق وسهر!!

وقد أمكنني أن أقوم بجولة عابرة في بعض كتب التراث عما قيل في البرغوث فكانت مفاجأتي كبيرة وأنا أقرأ عن هذه الشونيزة أو نقطة المداد التي تستحل دم الكافرين والمسلمين على حد تعبير الثعالبي في يتيمة الدهر(1).

ونحن في المغرب، وأعتقد أن البلاد الأخرى لاتختلف عنا، نتوفر على

(1) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة– ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت.

عدد كبير من المرددات الشعبية التي تتصل بالبرغوث وذكائه المفرط وحيله غير المتناهية التي يتذرع بها للنجاة والتي يذكر في صدرها أنه يقفز أحياناً إلى الوراء على نحو طائرة الميراج!! وعلى نحو كلمة (الكرك): تقرأ ذات اليمين وذات اليسار، حيله التي نذكر في صدرها أنه خبير بكل وسيلة قد تتخذ لمنعه من رزقه، فهو لايعبأ بالناموسيات المرتفعة المتعالية، ولا بالقمصان الطويلة الأردان والأبدان على حد تعبير الجاحظ...

ولكثر مااهتم الناس بالبرغوث أعطوا اسمه لبعض رجالاتهم من أمثال برغوث أبي عبد الله محمد الجهمي أحد المناظرين للإمام أحمد وقت المحنة(1).

وقد اشتهرت حلقات ساحة جامع الفناء في مدينة مراكش بأحد رواتها المرموقين ممن حملوا اسم برغوث، كان يتوفر على كل مايتصف به البرغوث من جسم صغير قميء، ومن حركات وسرعة ولسع وصعوبة إمساك، هزلي لايضاهى، بطن بارز تحت جبة من قطن أبيض، يلبس سروالاً ضيقاً ملوناً وقصيراً لايتجاوز ركبتيه، ساقان مكشوفتان، تعلو رأسه شاشية حمراء دقيقة الرأس من النوع الذي يحمله أعوان الجكومة، لحية نقرها الشيب وعين تعبر عن دهاء وذكاء، كل ملامحه وحركاته تبعث على الضحك، إذا لم يضحك فالناس يبتسمون وإذا ابتسم يضحكون وإذا ضحك يقهقهون، وإذا بكى يهيجون!

وكان من خصائصه في حلقته أن يختار أحد ذوي العاهات فيجلسه وسط الحلقة يستدر به شفقة المحلقين عليه لينفحوا المريض بصدقاتهم على

---

(1) الذهبي سير أعلام النبلاء، ج 10، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1402– 1982.

إيقاع ضرب الدفوف في جو من المجون والكلمات البذيئة اللاذعة...

ومن خصائصه التي سجن من أجلها أحياناً أنه، وقد حدث أن بعض الجهال أسند إليه منصب عال، قد جعل دُعاءه– وكانت العادة عند سائر الحلايقية أن يختموا جلستهم بأدعية تقليدية عادية– جعل دعاءه هكذا: (يارب امسخْ هذه الدنيا حتى يصبح برغوث من كبارها)!(1).

وبعد المقدمة يأخذ الجلال السيوطي في (المقصد) أي المقصود بالذات من الكتاب، ويتعلق الأمر بالناحية الشرعية والفقهية، وهنا نقف على أزيد من عشرة أحاديث نبوية تتعلق بالبرغوث(2)، وتبرير وجوده في دنيا الناس، وأن علينا أن نضبط مشاعرنا فلا نتناوله بسب، ولا نستنزل عليه لعنة! والسيوطي يذكر إلى جانب هذا بعض «التمائم»– إذا صح التعبير– للتغلب على أذى البراغيث، وهي مروية عن بعض رجال العلم والذكر: وكان فيها مايحمل هذه الآية الكريمة: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا...﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢] .

على أن الحافظ السيوطي إلى جانب هذه التميمة التي رواها، لم يتردد في الالتجاء إلى العلامة النباتي الشهير ابن البيطار لينقل عنه «وصفة» طبية تتلخص في تلطيخ نحو عود بمادة لزجة من شحم الثعلب، يركز ذلك العود وسط البيت فلا يلبث البرغوث أن ينجذب إلى تلك المادة فيلصق هناك، تماماً على نحو مايباع اليوم في بعض المخازن العصرية التي تهتم بما يطرد الحشرات...

ولا نلبث أن نجد السيوطي هنا بين علماء التعديل والتجريح يعمل على

---

(1) ابن الشرقي: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ج 2، ص 158.

(2) في جلسة خاصة في عمان مع المحدث الكبير الشيخ ناصر الدين الألباني سألته ضبطَ هذه الأحاديث فأعدَّ لي حفظه الله «تقييداً» على ماسنذكره عند الاقتضاء...

تزكية رواية دون أخرى... وقد حصل منه هذا عندما استطرد- فلسفياً- بذكر نازلة تتصل بقتل البرغوث وبالإجهاز على الحيوان عموماً... وهل إن نهاية الحيوانات هي على حد سواء مع نهاية الإنسان، كل من عند الله أو إن أمر الإنسان بيد ملك الموت، بينما الحيوانات الأخرى لها منحى شرعي خاص؟ إن المبتدعة يقولون بالتفرقة بين الأرواح: بمعنى إن بعضها موكول إلى خلقه وبعضها موكول إلى الله ذاته، حديث طويل هنا يتناهى فيه إلى الكل بيد الله...

هذا كل مافي الفصل المعنون بالمقصد... أما الفصل الذي يحمل عنوان الخاتمة، فقد ساق فيه عدداً لايستهان به من ضروب الشعر مما يطول أو يقصر وعلى مختلف البحور والأوزان... وكله يدور حول البرغوث... ويشعر المرء بمتعة زائدة وهو يستمع إلى أولئك الشعراء وهم يعبرون بمختلف الطرق عما يحسون به إزاء ذلك البرغوث !! زهاء إحدى وعشرين قطعة..!

ففيهم من استوقفته جرأة البرغوث وجسارته على المضي قدماً في أداء مهمته غير مكترث بأسر أو حصار أو قتل! إنه من لصوص الليل الذين يستغلون فرصة الظلام لينتزعوا أثمن ماعندك! ليفقدوك الراحة والاطمئنان!

وهناك شاعر آخر يقول: إنها أي البراغيث أشبه ماتكون بالجرافات التي تأتي على الآكام فتهدها.!!

والطريف في بعض هذا الشعر أنه يعيد إلى ذاكرتنا تراثاً علمياً أصيلاً بل بالغ الأصالة، ويتعلق الأمر بالخطاب عن طريق إشارات أصابع اليد وإشارات عقداتها (La dactylonomie) على نحو ما نراه اليوم في التلفزة الموجهة إلى البكم والصم، عندما تقف المذيعة أو المذيع ليقدم للنظارة الأخبار والأحاديث عن طريق حركات أياديه وأصابعه..!

فعلاً وجدنا اثنين من الشعراء: أحدهما من القرن الخامس الهجري والثاني من القرن السادس والسابع، هذان الشاعران هما: الخوافي وابن مطروح، عندما كانا يتحدثان عن طريقة انتقامهما من البرغوث، عوض أن يقولا إنهما فركاه بين أصابعهما فركاً... عوض ذلك استعملا طريقة تراثية ما أجدرنا اليوم أن نبعثها من مرقدها مرة أخرى، وهكذا فعوض أن يقولا إن البرغوث وقع بين سبابتهما وإبهامهما، عوض ذلك عبرا بقبضة الثلاثين، وقبضة السبعين... ومعلوم أن العرب في سالف عهدها كانت إذا أرادت التعبير عن رقم ثلاثين عمدت إلى جمع رأس الإبهام برأس السبابة، وإذا أرادت أن تعبر عن رقم سبعين وضعت رأس الإبهام على العقدة الوسطى من السبابة... والحالتان معاً تصوران وضع الإنسان وهو يفرك البرغوث بعد أن يظفر به..!

يقول الخوافي:

تسلمه الثلاثون اختمارا إلى سبعين في أسر المنون!

ويقول ابن مطروح:

أمكنت قبضة الثلاثين منه فسقته الحمام في سبعينا!!

ويضيف هذا الأخير متحدثاً عن «العنت» الذي كان يشعر به وهو يتلقى لسعات البرغوث فيقول إنه كان يشعر بأن قلبه في قبضة التسعين من جراء تلك اللسعات، رقم التسعين كما قلنا يؤدى –بمقتضى حساب عقد الأصابع– بوضع طرف السبابة على قاعدة الإبهام(1).

(1) أخبرني الزميل د. رمضان عبد التواب عميد جامعة عين شمس 1993/10/07أنه كتب مقالاً حول هذا الموضوع في آخر عدد من مجلة معهد المخطوطات العربية... لكن لم أتمكن من الوقوف عليه...

وهناك شاعر آخر يشبه البراغيث- على صغرها- بالأفاعي الرقش! وهذا يعبر عن مدى المرارة التي يحس بها الإنسان وهو يحرم من النوم حتى ليستقبل صباحه وأجفانه على حال من الانتفاخ وسوء الحال! عدو يصارعك في الظلام وأنت لاتراه، لكنه يراك بحسه المرهف! يغدو فراشك الوثير وكأنه مفروش بحسك!! يحملك ذلك على أن تزهد في ذلك الفراش لتنزوي في ركن تشتكي مما لحقك من ظلم!

وفي الشعر ماتتحسس فيه العنصرية التي كانت تطبع حياة الناس في العصور الوسطى، فالشاعر وقد وجد نفسه بين جيش من البراغيث السود يشبه نفسه بملك الروم (الأبيض) الذي نُصب له كمين من قبل الصنف الأسود، كأن هذا الصنف يحسد ملك الروم على لونه الأبيض، ولذلك فإن هذا الأخير يتعرض للنهش من قبل السود!!

ومن الشعراء من وضع رسماً كاريكاتورياً لحالة طبقة معينة من المجتمع، فشبه البراغيث- وهي تمتص دماء الأبرياء- ببعض الحكام الذين يجدون في أموال المحاجير التي تناهت إليهم، يجدون فيها مرتعاً للاستغلال!

وقد تكرر أداء هذه الفكرة حيث وجدنا شاعراً آخر يشبه البراغيث وهي تمتص من دم الناس بما يقوم به بعض الشهود من ابتزاز أموال القاصرين!!

ومنهم من تواطأت عليه أسراب الناموس والبرغوث معاً. فالناموس يشرب من دمه والبرغوث يرن في أذنه فهو بين جحيمين اثنين!

وفي هذا المعنى أيضاً نجد أحدهم يشبه الاثنين: البرغوث والناموس برجلين انتشيا خمراً فأخذ أحدهما يغني وأخذ الآخر يرقص!!

والفرق بينهما أن السكران احتسى خمراً من عنب، بينما الحشرتان

انتشيتا من دم هذا الشاعر المسكين!!

وبعضهم– وقد راعه الحرمان من النوم– أخذ يصف الهجمات العشوائية للبرغوث والبعوض... بأنها نزو من غير ما شعور بلذة! وقول للشعر من غير ما احترام للقافية!!

وفي الناس من كان يتهيب حلول الليل الذي يقترن بالنفير الذي تعلنه البراغيث على الذين يجلسون للسمر إلى جانب الحبيب والقنديل!!

ولم يسلم بعضهم من أذى البراغيث حتى عند الظهيرة عندما يلجأ الناس إلى القيلولة... وفيهم من نحا في التشبه منحى آخر، فهو يقول إن البراغيث طغت عليها نشوة الشرب من دمه فعلَّتْ بعدما نهلت، وبالغت في السكر حتى أخذت تتقيأ دمه على ثيابه في رائعة النهار!!

وفيهم من امتحن بالباءات الثلاث: البرغوث والبعوض والبق فوضع صورة طريفة لهذا الثلاثي الوقح بعد أن اشترك في امتصاص دمه الذي أسكره: فأخذ البرغوث يرقص أمام تزمير البعوض بينما كان البقّ مصيخاً بسمعه للزمر.

ونحن في الحديث عن إطلاق «الرقص» على وثب البراغيث نجد أحد الشعراء يذكر أن هذه البراغيث عندما ترقص فإن الناموس يجيبها بغنائه، وأن البق في هذه الأثناء يعتريه «التواجد» فيهوي على دم الضحية يحتسيه خمراً يزيد في طربه!!

وعندما زار أحدهم مدينة الفسطاط، كان يحلم بأنه سيعيش في سعادة زائدة عندما يقضي لياليه بالمدينة التاريخية، لكنه لم يلبث أن شعر بالخيبة وقد تعرض لغارات البراغيث! إنه أمسى يتمنى أن يرى الشمس التي تخلصه من شرور هذا الحيوان... إنه يتمنى أن يقضي ليلة واحدة فقط دون براغيث!!

ومن الشعراء من رأى أن يرفع عقيرته بالشكوى إلى أعظم سلطة في البلاد على نحو ما يرفع المظلومون شكاواهم إلى السلطان!! إنهم ماينفكون يحكون جلودهم وصدورهم وأفخاذهم.

وإذا كان هذا الشاعر قد توجه بشكواه إلى صاحب بغداد فإن شاعراً آخر استعصى عليه أن يعرف إلى من يتوجه بالشكوى من هذا الحيوان الذي أراق دمه وأرّق جفنه!

وفيهم من لمح إلى الموقف الفقهي من استباحة قتل البراغيث وهو في هذا الصدد يشير لمصرع الحجّاج بن يوسف الثقفي في الحرم، وكأنه برغوث كان هدرُ دمه من الحلال الطيب! وفي هؤلاء من استوحى في شعره من الفكرة القائلة: إن البرغوث إنما يمتص الدم الفاسد الزائد!! وإن لسعاته ذات فائدة على المعضوضين لأنها تنبههم لأوقات الصلاة!!

ومنهم من يرى في البراغيث عظة للذين يغترون بقوتهم فيحتقرون الضعيف لمجرد أنه قميء ضعيف، ألا ترى أن البرغوث- على صغر حجمه- كان في استطاعته أن ينتقم من هذا الإنسان القوي أعظم انتقام، ويحرمه من لذائذ المنام.

وقد شبهه أحدهم بالأفعوان، وأعطاه آخر صفة الليث في وثباته، ولقد تحمل بعضهم عناء الصبر، والبرغوث يغرز مخالبه في أجسامهم، لكنهم لم يطيقوه عندما يتسرب إلى آذانهم... ونحن نعلم أن الأدب الفرنسي يضرب المثل في الإزعاج والقلق بهذا الحال: «Avoir la puce a' L' oreille» .

فإذا ماأضفنا إلى هذه الأشعار جملة وافرة مما ورد عند الجاحظ في (كتاب الحيوان)(1) ، وعند الدميري في (حياة الحيوان الكبرى) وما ورد في

(1) ينظر على الخصوص الجزء الخامس بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبع دار الجيل، بيروت، ودار الفكر، ص 373-384 وما بعدها إلى 392.

(نفح الطيب) للمقري(1). وجدنا أنفسنا أمام شبه ديوان من الشعر ثري واسع مما قالته العرب في البرغوث!!

هذا طبعاً إلى إسهام النثر الرفيع في وصف هذا القزم العملاق في آن واحد، الذي خلقه الله وكأنه جزء لايتجزأ من الليل، يكمن نهاره ويسري ليله...؟ يجر ذيله على الجبابرة، ويهتك ستر كل الأبواب، ولا يحفل ببواب، ولا تمنع منه أميرة ولا أمير!!

وبين هذا وذاك نقرأ في المخطوطة سطوراً عن الجانب العلمي في حياة الحيوان La Zoologie ... فهو يذكر أن عمر الذباب أربعون يوماً، وأن عمر البعوض ثلاثة، والبرغوث خمسة... وأن أصله أي البرغوث من التراب... وأنه صورة مصغرة جداً لشكل الفيل الأمر الذي تؤيده المعلومات الحديثة وأنه من الحيوانات التي تطيل السفاد شأنه في ذلك شأن الحشرات المشابهة(2)، التي تبيض وتفرخ... والذي نريد أن نقوله بهذه المناسبة إن معظم هذه

(1) كان مما قاله ابن الخطيب وقد انتابه البرغوث:

زحفت إلي ركائب البرغوث ثمّ الظلام بركبها المحشوث
بالحبة السوداء قابل مقدمي لله أيّ قِرًى أعد، خبيث
جيشان من ليل وبرغوث، فهل جيش الصباح لصرختي بمغيث؟

وقد أورد ابن الخطيب في الإحاطة شعراً عن برغوث، فيه التجنيس:

بتنا نكابد هم القحط ليلتنا وأنجد السهد والكرب البراغيثا
وكان يحمد ماكنا نكابده من المشقة لو أن البَرَى غيثا!!

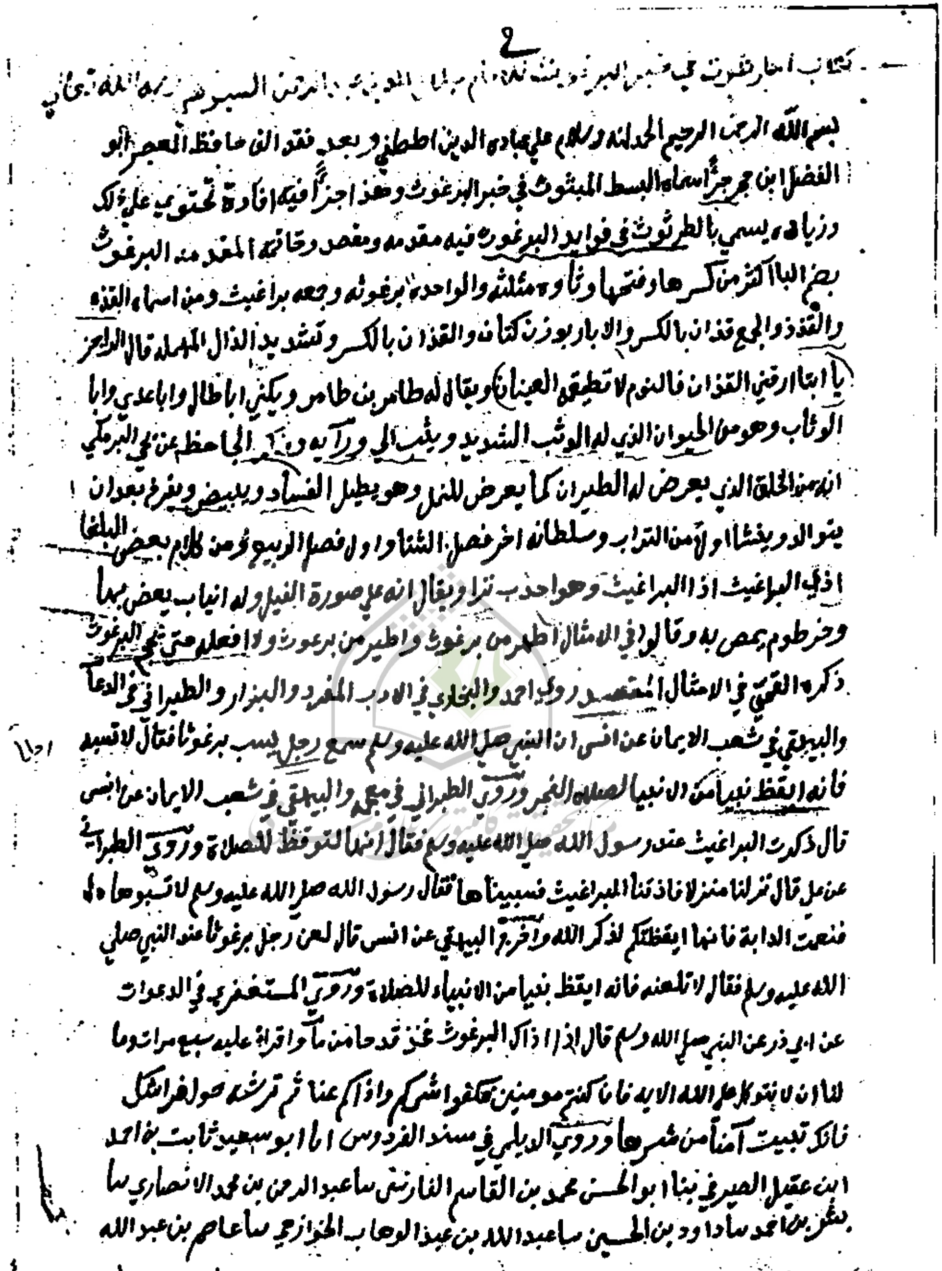
النفح، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، ج 6، ص 484.

ابن الخطيب: الإحاطة 4،517 .

(2) ذكر لي زميلي العزيز د. محمود حافظ المتخصص في علم الحشرات ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن مرد ذلك إلى اشتباكات عضوية تجعل من الصعب على البرغوث أن ينفصل عن البرغوثة قبل مرور بعض الوقت...

المعلومات العلمية كانت تعززها المعلومات التي قدمتها إلينا الموسوعات المتخصصة...

وهكذا فإن المخطوطة تكون إسهاماً جيداً في أخذ فكرة عن مدى حضور الفكر العربي في كل مناحي الحياة اليومية، وكل الاهتمامات التي تشغل بال الناس آناء الليل وأطراف النهار وبالتالي فإنه إسهام جيد في العلم الذي أصبح معروفاً اليوم باسم الزولوجيا...



كتاب الطرثوث في خبر البرغوث ... السيوطي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد الف حافظ العصر ابو
الفضل ابن حجر جزءا اسماه البسط المبثوث في خبر البرغوث وهذا جزء فيه افادة تحتوي على ذلك
وزيادة ويسمى بالطرثوث في فوايد البرغوث فيه مقدمه ومقصد وخاتمه المقدمه البرغوث
بضم البا اكثر من كسرها وفتحها وثاؤه مثلثه والواحده برغوثه وجمعه براغيث ومن اسماء القذه
والقذذ والجمع قذان بالكسر والاباريوزن كتانه والقذان بالكسر وتشديد الذال المهمله قال الراجز
يا ابتا ارقني القذان فالنوم لا تطعمه العينان ويقال له طامر بن طامر ويكنى ابا طال وابا عدي وابا
الوثاب وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد ويثب الى وراءه ... الجاحظ عن يحيى البرمكي
انه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل وهو يطيل الفساد ويبيض ويفرخ بعد ان
يتولد ويخشا او لا من التراب وسلطانه اخر فصل الشتاء واول فصل الربيع ومن كلام بعض البلغا
اذ في البراغيث اذا البراغيث وهو احدب نزاو ويقال انه على صورة الفيل وله انياب يعض بها
وخرطوم يمص به وقالوا في الامثال اطمر من برغوث واطير من برغوث وافعل حتى يحج البرغوث
ذكره القمي في الامثال المقصد روى احمد والبخاري في الادب المفرد والبزار والطبراني في الدعا
والبيهقي في شعب الايمان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه
فانه ايقظ نبيا من الانبيا لصلاة الفجر وروى الطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الايمان عن انس
قال ذكرت البراغيث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انها توقظ للصلاة وروى الطبراني
عن علي قال نزلنا منزلا فآذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوها فلـ
فنعمت الدابة فانها ايقظتكم لذكر الله واخرج البيهقي عن انس قال لعن رجل برغوثا عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لا تلعنه فانه ايقظ نبيا من الانبياء للصلاة وروى المستغفري في الدعوات
عن ابي ذر عن النبي صلى الله وسلم قال اذا اذاك البرغوث فخذ قدحا من ما واقرا عليه سبع مرات وما
لنا ان لا نتوكل على الله الايه فان كنتم مومنين فكفوا شركم واذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك
فانك تبيت آمنا من شرها وروى الديلمي في مسند الفردوس انا ابو سعيد ثابت بن احمد
ابن عقيل الصيرفي نبا ابو الحسن محمد بن القاسم الفارسي نا عبد الرحمن بن محمد الانصاري نا
بشر بن احمد نا داود بن الحسين نا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي نا عاصم بن عبد الله

الصفحة الأولى من مخطوطة الجلال السيوطي

"الطرثوث في خبر البرغوث"

عن الخزانة العامة – الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى:

وبعد، فقد ألف حافظ العصر أبو الفضل ابن حجر جزءاً سماه (البسط المبثوث في خبر البرغوث)[1]. وهذا جزء فيه إفادة تحتوي على ذلك وزيادة، يسمى (الطرثوث[2] في فوائد البرغوث)، فيه مقدمة، ومقصد وخاتمة.

المقدمة :

البرغوث بضم الباء أكثر من كسرها وفتحها، وثاء مثلثة والواحدة: برغوثة وجمعه براغيث.

ومن أسمائه القُذَّة والقُذَذ، والجمع قِذّان بالكسر، وتشديد الذال المهملة[3]؟ قال الراجز:

يـاأبـتـا أرقـنـي الـقـذّان فـالنـوم لا تطيـقـه العيـنان

(1) لم تذكر المصادر معلومات عن تأليف ابن حجر هذا (ت 852=1449)، وذكره السخاوي والسيوطي كما ترى وحاجي خليفة، انظر الجواهر والدرر- الورقة 152ب. نظم العقيان 47- كشف الظنون، مجلد 245/1 وتوجد نسخة منه في جامعة ليدن.
Thelibrary of the University of Leiden P. 500 Brocklomann G.L.S II 94.

(2) الطرثوث : خصص لسان العرب لهذه الكلمة حصة مسهبة، وملخصها أن الطرثوث نبت يؤكل، أشبه مايكون بالفطر والكمأة، دباغ للمعدة نافع لها، واحدته طرثوثة، وقال أبو زياد الطراثيث تتخذ للأدوية. وتطرثث القوم: خرجوا يجتنون الطراثيث، كمأة مالطة: (Champignion de Malte).

(3) لعل كلمة (المهملة) خطأ من أحد التلامذة الذين نسخوا الكتاب فإن الذي في كتب اللغة المتداولة أن الذال معجمة.

ويقال له: طامر بن طامر[1]، ويكنى أبا طافر وأبا عدي وأبا الوثاب، وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد، ويثب إلى ورائه[2]! وذكر الجاحظ عن يحيى البرمكي أنه من الخلق الذي يعرض له الطيران كما يعرض للنمل[3] ، وهو يطيل السفاد[4]، ويبيض ويفرخ بعد أن يتوالد، وينشأ أولاً من التراب، وسلطانه آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع، ومن كلام بعض البلغاء: (أذى البراغيث إذا البَرَى غيث)[5]! وهو أحدب نزاء، ويقال: إنه

(1) من التعابير السائدة أنه يقال للرجل طامر بن طامر: إذا لم يدر من هو- على نحو هيان بن بيان، والطمور: شبه الوثوب في السماء أو التحفز إلى الأعلى.

(2) معلومة عن (حياة الحيوان الكبرى) للشيخ كمال الدين الدميري ولو أن السيوطي لم يذكر الدميري. طبعة دار الفكر، لبنان، ج 1، ص 133، وتؤكد المصادر العلمية الحديثة أن البرغوث لايتوفر على أجنحة وإنما يعتمد على الوثوب...

(3) كتاب الحيوان تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج 5، بتحقيق وشرح الزميل الراحل عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 373، ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1970 ج 3، ص 470، وعن يحيى بن خالد البرمكي، انظر كذلك الوفيات ج 6، ص 219- 129.

(4) معلومات عن الدميري... وتذكر الكتب العلمية أن الأنثى من البيض تبيض مئة بيضة تقريباً: 10 في كل ولادة، يقع البيض في الغالب على الأرض ولا يلصق بجسم الإنسان وخلال ثلاثة إلى عشرة أيام- حسب الحرارة- تخرج الفراخ (اليساريع)، تخرج بدون أرجل، كثيرة الحركة، وعلى رأسها شوكة بها توصلت لكسر البيضة عند خروج تلك اليساريع... ويلاحظ أن المخطوطة ترسم (الفساد) عوضاً عن (السفاد)... ومن الطريف أن نقرأ في كتاب الحيوان للجاحظ أن البراغيث تتناكح وهي مستديرة ومتعاظلة، وهي من الجنس الذي تطول ساعة كومه! هذا وقد دفع بي هذا الموضوع إلى تتبع (حياة الحيوان) فيما يتصل بالممارسة الجنسية، وكان من أطرف ما وقفت عليه بالنسبة للتمساح أنه إذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقيها على ظهرها ويستبطنها فإذا فرغ قلبها لأنها لاتتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها وييس ظهرها!! حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري، ج 1، ص 122- 163، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(5) يعني أن البرغوث يظهر عندما ينزل الغيث (المطر) على البرى أي التراب، والتعبير تأكيد لما قرره قبل قليل من أن سلطان البرغوث يكثر آخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع.

على صورة الفيل، وله أنياب يعض بها، وخرطوم يمص به[1]!

وقالوا في الأمثال: (أطمر من برغوث)[2]، و (أطير من برغوث)، و(لا أفعله حتى يحج البرغوث)! ذكره القمي[3]، في الأمثال.

المقصد :

روى أحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار والطبراني في الدعاء والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس أن النبي ﷺ سمع رجلاً يسب برغوثاً، فقال: لاتسبه، فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء لصلاة الفجر...

وروى الطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس، قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ، فقال: إنها لتوقظ للصلاة[4].

---

(1) تؤكد المعطيات العلمية الحديثة هذه المقولات وتؤكد أن له خرطوماً كخرطوم الفيل يمتص به دم الضحية بعد أن يخرقها بأنيابه.

(2) مجمع الأمثال للميداني 1، 441.

(3) ورد هذا المثل في كتاب (المستقصى في الأمثال للزمخشري)، هذا ولم يتضح لي القصد من القمي الذي أسهم في تراث الأمثال– رياض عبد الحميد مراد: معجم الأمثال العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1407=1986.

(4) كما سبق أن قلت في تعليق سابق استنجدتُ حول هذه الأحاديث بخبرة الشيخ الألباني أبي عبد الرحمن الذي مهد لجوابه بأن هناك قواعد علمية مقررة في علم مصطلح الحديث بمقتضاها وعلى أساسها يمكن أن يصحح الحديث أو يضعف، وبعد أن يذكر أن الحافظ السيوطي لم يكن موفقاً البتة من الناحية الحديثية يفيد أن هذه آفة ظاهرة معروفة في كتبه، ومن هنا عقب الألباني على الحديث الأول المروي عن أنس بما ملخصه أن السيوطي تابع للدميري والحافظ السخاوي، وأنه لم يصح شيء عن النبي ﷺ في شأن البراغيث ويحيل الشيخ في الأخير على المجلد الثالث عشر من سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ثم يذكر أن الحافظ ابن حجر الذي ينقل عنه السيوطي أنكر عزو حديث أنس إلى أحمد... إلى تعقيبات أخرى كانت من توافق الخواطر بين ابن حجر والألباني. الأمر الذي يؤكد أن القواعد العلمية المقررة في علم مصطلح الحديث تظل هي القول الفصل فيما يتصل بصحة أو ضعف الحديث.

وروى الطبراني عن علي، قال: نزلنا منزلاً وآذتنا البراغيث فسببناها، فقال رسول الله ﷺ: لاتسبوها، فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله[1]!

وأخرج البيهقي عن أنس قال: لعن رجل برغوثاً عند النبي ﷺ، فقال: لاتلعنه فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة.

وروى المستغفري في الدعوات عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: إذا آذاك البرغوث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وما لنا أن لانتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١٢]، فإن كنتم مؤمنين فكفوا شركم عنا، ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمناً من شرها[2].

وروى الديلمي في مسند الفردوس[3]: ثنا أبو سعيد ثابت بن أحمد ابن عقيل الصيرفي (ثنا) أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي (ثنا) عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ثنا) بشر بن أحمد ثنا داوود بن الحسين (ثنا) عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي (ثنا) عاصم بن عبد الله (ثنا) إسماعيل بن حكيم عن أبي مريم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: يا أبا الدرداء، إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿وما لنا ألا نتوكل على

(1) يعلق الشيخ الألباني على حديث علي رضي الله عنه بأن في سنده متهماً بالوضع وهو سعد بن طريف الذي كان يضع الأحاديث علاوة على أن هذا الحديث يختلف تماماً عن متن حديث أنس فإنه يتحدث عن قصة وقعت للصحابة وليس لنبي من الأنبياء...

(2) الحديث عن أبي ذر وكذا الحديث الآتي بعده عن أبي الدرداء، يقول عنه الشيخ الألباني: إن إسناده مظلم لأن فيه عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي الذي يقول عنه أبو نعيم: إن في حديثه نكارة... ثم يحيل الشيخ مرة أخرى على المجلد الثالث عشر سالف الذكر.

(3) مسند الفردوس أو مختصر فردوس الأخيار لأبي نصر الديلمي... اختصره الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وسماه تسديد القوس (في) مختصر مسند فردوس– كشف الظنون ج 2، طبعة مكتبة المثنى، بغداد: ص 1583– 1684.

الله﴾ الآية، فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عنا، ثم ترش حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرهم.

وروى ابن أبي الدنيا في «التوكل» أن عامل إفريقية(1)، كتب إلى عمر ابن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله﴾ الآية، قال زرعة بن عبد الله أحد رواته: وينفع من البراغيث.

مسألة:

روى الحافظ أبو بكر الخطيب في رواية مالك عن سليمان بن مهير الكلابي، قال: حضرت مالك بن أنس، وسأله رجل عن البراغيث: أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق طويلاً، ثم قال: ألها نفس؟ قال: نعم، قال: فإن ملك الموت يقبض أرواحها، ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [سورة الزمر، الآية ٤٢].

وأيده بعضهم بما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم كلاهما في (معرفة الصحابة) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه **عن الحارث ابن الخزرج عن أبيه**(2)، أن رسول الله ﷺ نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال: طب نفساً وقرَّ عيناً... الحديث وفيه: والله لو أردت قبض

(1) القصد إلى إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي قدم القيروان سنة مئة وقد كان خير أمير وخير وال كما يذكر ذلك المؤرخون... وذكر أبو العرب في تاريخ إفريقية أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب في الدين. هذا وقد علق الألباني على الأثر الذي عزي لابن أبي الدنيا وفيه قول زرعة: وينفع من البراغيث، بأن زرعة مع كونه ليس صحابياً ولا تابعياً فهو مجهول ضعيف الحديث.

(2) يعلق الشيخ الألباني على حديث الحارث بن الخزرج عن أبيه بأنه موضوع، آفة سنده عمرو الذي كان يروي الموضوعات ولذا قال الحافظ: متروك الحديث.

روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها!

وقال الجزولي المالكي في شرح الرسالة(1): مما يجب اعتقاده أن ملك الموت يقبض الأرواح من الجن والإنس والبهائم وجميع المخلوقات خلافاً للمبتدعة الذين يقولون: لايقبض إلا أرواح الثقلين: الإنس والجن.

وأورد القرطبي في التذكرة حديث جعفر بن محمد السابق ثم قال: وفي هذا الخبر مايدل على أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذي روح.

وأورد ماأخرجه أبو نعيم في الحلية عن ثابت البناني(2)، قال: الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، ليس منها ساعة تأتي على ذي روح إلا ملك الموت قائم عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب، ثم قال: وهذا عام في كل ذي روح.

ثم نقل عن ابن عطية(3)، أنه قال: روي في الحديث أن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها دون ملك الموت لأنه يعدم حياتها، قال: وكذلك الأمر

---

(1) القصد إلى أبي زيد عبد الرحمن الجزولي المتوفى (741= 1340) والذي كان من تلامذة أبي الحسن الصغير وأستاذاً للشيخ يوسف بن عمر الأنفاسي، وله شروح على رسالة الشيخ أبي زيد القيرواني: الأول في سبعة أجزاء، والثاني في ثلاثة، والثالث في جزئين. هذا– د. التازي: المغراوي وفكره التربوي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج 1407=1986، ص28.

(2) يعلق الألباني على أثر ثابت البناني الذي عزاه لأبي نعيم في الحلية بأن ثابتاً ولو أنه تابعي ثقة فهو أثر مقطوع موقوف عليه... إلى آخرها. أورد الشيخ عن محمد بن الحسن بن علي ابن بحر الذي يوجد ضمن سند الأثر المذكور...

(3) القصد بابن عطية إلى القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المتوفى سنة 546هـ وهو مؤلف التفسير المعروف به المسمى المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز الذي طبعته أخيراً وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتحقيق من المجلس العلمي بفاس ابتداء من عام 1395=1975.

في بني آدم إلا أنه شرف بتصرف ملك الموت وملائكة معه في قبض أرواحهم، انتهى.

والحديث الذي أشار إليه أخرجه أبو الشيخ في (كتاب العظمة)(1)، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي (ثنا) أبو زيد القراطيسي (ثنا) الوليد بن موسى القرشي (ثنا) الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن الحسن عن أنس(2)، قال: قال رسول الله ﷺ: آجال البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والبقر وغير ذلك(3)، آجالها في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت منها شيء.

وقال العقيلي في (الضعفاء) ثنا يوسف بن يزيد (ثنا) الوليد بن موسى الدمشقي فذكره بسنده ومتنه سواء، ثم قال: لاأصل له من حديث الأوزاعي

---

(1) أبو الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الحافظ أبو محمد الوزان المعروف بأبي الشيخ ابن حبان توفي سنة 369هـ. من تصانيفه طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها كما هو على غلاف مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق وكما طبع منها أخيراً في بيروت على ماأفاده الشيخ الألباني، وكذا كتاب العظمة وغير ذلك. إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، إستانبول 1951. جزء 1، ص 447.

(2) يعلق الشيخ الألباني على حديث أنس: آجال البهائم بأنه حديث موضوع ويحيل مرة أخرى على تأليفه سالف الذكر حول الأحاديث الضعيفة. وقد نص الحافظ السيوطي نفسه على هذا في متن النص...

(3) تطرح في هذه الأيام مسألة ذكاة بعض الحيوانات عن طريق سلقها في الماء الحار... مثل الجنَّان (Langouste) والحلزون... إلى آخره وهل إن في ذلك تعذيباً للحيوان... ومعلوم أن كتب الفقه نصت على أن الحيوان الحلال الأكل لا مناقشة في طريق ذكاته ذبحاً أو نحراً أو إخراجاً من الماء أو سلقاً في الماء الحار...

ولا غيره، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: موضوع، والمتهم به الوليد: أحاديثه بواطل يروي عن الأوزاعي ماليس من حديثه.

وقال الذهبي في (الميزان): الوليد بن موسى قال فيه الدارقطني منكر الحديث، وقواه أبو حاتم وقال غيره: متروك ووهاه العقيلي وابن حبان وله حديث موضوع انتهى. هذا الحديث مما أورده صاحب الفردوس، وعز تخريجه على ولده فبيض له في مسنده ولم يذكر له إسناداً وهو في كتابين شهيرين[1]، كما ترى [2].

الخاتمة :

من الأمثال المشتهرة العربية: أكلوني البراغيث، وهي لغة طيِّئ، وفي التبيان لابن العماد: كان أبو هريرة يفلي ثوبه فيبدأ بالبراغيث ثم يعود إلى القمل، فقيل له في ذلك، فقال: أبدأ بالفرسان ثم أكر على الرجالة! وفي بعض المجاميع قال بعضهم: عمر الذباب أربعون يوماً، والبعوض ثلاثة أيام، والبرغوث خمسة أيام[3]...

(1) يعني كتاب الضعفاء للعقيلي وكتاب (العظمة)...

(2) لعل من تمام الفائدة بعد انتهاء الكلام عما يتصل بالأحاديث أن نذكر أن الشيخ الألباني، ذكر أنه كان على الحافظ السيوطي أن يحاول دعم ما قد يكون في تلك الأحاديث أو بعضها من معنى صحيح قد يوجد في النصوص الأخرى الثابتة ما يشهد له فيكتفي بها عن الاحتجاج بمثل تلك الأحاديث الواهية. هذا وعملاً بالحكمة السائرة «استتمام المعروف خير من ابتدائه» تطوع الشيخ الألباني بذكر بعض الأحاديث التي تنهى عن سب الدهر وسب الريح ولعن الديك ونحوه مما لايستحق اللعن...

(3) لم تتعرض الكتب العلمية الحديثة التي نتوفر عليها للأمد الذي يمكن أن تعيشه هذه الهوام.

Encylcopae Dia Universalis, Vol 2, P: 113, Vol 12, P: 818, Vol 16, P: 443- J. C. Beacournu: Bulletin de l'Institut Scientifique- Rabat 1978, N 2, P: 85- 86.

وقال علاء الدين الوداعي(1): (متقارب)

براغيثنا فيهم جرأةٌ فبالأسر والقتل لايرجعون
كثيرو الإساءة مع أنهم قليلاً من الليل مايهجعون!

وقال أيضاً مضمناً: (طويل)

براغيث تسري في الظلام كأنها حرامية من مص مايسفك الدم،
قوارص تأتيني فيحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم!

وقال أيضاً: (طويل)

براغيث فيها كثرة فكأنها علينا من الآكام يحتفرونها
يقولون لي: صفها! فقلت: أعندكم قوارص تأتيني فتحتقرونها؟!

وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح(2): (خفيف)

رب برغوث ليلة بت منه وفؤادي في قبضة التسعينا!
أمكنت قبضة الثلاثين منه! فسقته الحمام في سبعينا(3)!!

(1) هو علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي، ويقال له ابن عرفة، كان عارفاً بالحديث والقراءات له (التذكرة الكندية) أدركه أجله بدمشق عام 716= 1316.

(2) القصد إلى جمال الدين بن مطروح أبي الحسن يحيى بن عيسى... من أهل صعيد مصر... وتنقلت به الأحوال... واتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب... وهو صاحب القصيدة في الفرنسيين عندما سمع بتأهبهم مرة ثانية لحرب مصر! ترجمه ابن خلكان الذي كان من أصدقائه ومن مراسليه، وهو الذي قال عنه: إن أدواته جميلة... وقد ذكر من طرفه ماأوردنا بعضه في دراستنا لحديث الرحالة المغاربة عن القدس والخليل.

(3) من الطريف أن نقف في شعر ابن مطروح الذي أورده السيوطي هنا، على إشارة جد هامة لما عرفه العرب في حسابهم القديم مما عرف باسم حساب العقد أو العقود وهو أن =

وقال ابن عساكر في تاريخه: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور الموصلي الشاعر الضرير لنفسه في البراغيث: (بسيط)

مـالـلبـراغيـث أشبـاه تقـاس بـهـا إلا أفـاعٍ بـقـيـعـان الـفـلا رقش
ورب لـيـل طـويـل بـت سـاهـره حتى الـصـبـاح وليـلي طـاير دَغِش
وللبراغيث جيش قـد ضنيـت بـه علـى قتـالي فـي الظـلمـاء منكـمش
كأن ظـهر فـراشي حين يفـرش لي منـهن بـالحسك المبثـوث منفـرش!
فلو رأيـت انفرادي في الظـلام ومـا فـيـهـن إلا ظـلـوم واثـب هـرش!
حسـبـتـني مـلكـاً لـلروم أوقـعـه صرف الزمـان بأرض أهلهـا حبش(1)!
فـأنكـروا منـه لـونـاً غـيـر لـونهـم فكـلمـا ملئـوا من لحـمـهم نـهشـوا!!
أنظر إلى مقلتي من طول ماسهرت منهن كيف اعترى أجفانها العمش!!

= يؤدي المرء الأرقام التي يريدها عن طريق اتخاذ أوضاع خاصة لعقود أصابعه: (La dac-tylonomie)، مثلاً إذا أراد أن يقول 30 جمع طرفي الإبهام والسبابة، وإذا أراد التعبير عن 70 وضع طرف إبهامه على العقد الوسط من سبابته، وإذا أراد التعبير عن 90 وضع طرف سبابته على قاعدة إبهامه. وأنت إذا عرفت أن الشاعر يتحدث عن طريقته للانتقام من البرغوث، وتصورت مع هذا وضع الأصابع وإحكامها القبضة على هذا البرغوث، تصورت إذن معنى مايقصده من ضيق صدره الذي أمسى لا يتجاوز قبضة التسعين وما يقصده من عرك البرغوث في قبضة الثلاثين ثم القضاء عليه في قبضة السبعين. – د. التازي: الرموز السرية.

CH. Pellat: Hisab al Akd,Ency . de l'islam, nouvelle édition T. III, P: 482, 1965.

(1) يمكن أن نتصور التشبيه في هذا الشعر إذا ماجعلنا نصب أعيننا منظراً لوجود لأصحاب القبعة الزرق حالياً– غشت 1993– في الصومال... هذا وقد وجدنا على هامش الورقة رقم 5 طرة تتضمن شعراً ناقصاً من البحر الخفيف لاصلة له بالبرغوث وهي تقول:

يـالجسم من لطفـه أودع الجمـــ ـر خفـا يا الحشـا وطيب الـهـواء
فـــغــدا حـــســه مـــراتـع أنـهـــ ـر الـــــهــــــــــــــوى...

وقال صاحب الشهاب المنصوري: (منسرح)

أذى البـراغيـث لـم يـدع أحـدا ... يـرقـد لـيـلا إذا الـبَـرَى غِـيـثـا[1]!
فيـأكـلون إلـى الـصبـاح كـمـا ... تـأكـل حـكـامـنـا المـواريـثـا!!

وقال أيضاً: (طويل)

وليـل طويـل بات همـي مـجمعـا ... بـه، ومنامـي فـي دجـاه تـشـتـتـا
إذا شرب الناموس خـمر دمي شدا ... وإن دخل البـرغوث أذني زغـرتا!!

وقال أيضاً: (متقارب)

ولـيـل تـغـوص بـراغـيـثـه ... بـلـحـمـي، ونـامـوسـه أعـرص
إذا شـربـوا مـن حـمـيـا دمـي ... تـرى ذا يـغـنـي، وذا يـرقـص!!

وقال أيضاً ابن صارة[2]: (مخلع البسيط)

لـيـل الـبـراغـيـث والـبـعـوض ... لـيـل «طـويـل» بـلا غـمـوض
فـذا يـنـزي بـلا سـرور ... وذا يـغـنـي بـلا عـروض!!

(1) ينبغي أن نعود إلى التعليق الذي ينص على أن سلطان البرغوث يكثر مع نزول الغيث. ولا أدري ماذا يقصد بصاحب الشهاب المنصوري، وهل أنه معيار الديلمي صاحب شهاب الدولة منصور (ت 450= 1058).

(2) أبو محمد عبد الله بن صارة الشنتريني، وربما كتب بالسين سارة، سكن إشبيلية وتعيش بالوراقة وتجول في بلاد الأندلس. المقري: نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 1، ص 499، بيروت 1388= 1968- د. حسن الوراكلي: ابن صارة الشنتريني، تطوان 1406= 1986.

وفي تاريخ ابن عساكر أنشد أبو العيناء[1]، لآدم بن عبد العزيز في البراغيث ببغداد: (طويل)

تطاول في بغداد ليلي ومن يبت … ببغداد يلبث ليله غير راقد
بلاد إذا زال النهار تناقزت … براغيثه من بين مثنى وواحد

وقال آخر : (خفيف)

للبراغيث صار جسمي مقيلا … ففؤادي من شرهم في عذاب
طفح السكر والشراب عليهم … فتقايوا دمي على أثوابي!!

وقال آخر: (طويل)

بعوض وبرغوث وبق[2] لزمنني … حسبن دمي خمرا فلف بها الخمر!!
فيرقص برغوث لزمر بعوضة … وبقهم سكت ليستمع الزمر!!

---

(1) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي أديب فصيح من ظرفاء العالم، اشتهر بنوادره وطرائفه... أصله من اليمامة ومولده بالأهواز... ومنشؤه ووفاته بالبصرة، كف بصره بعد الأربعين من عمره... أدركه أجله عام 283= 896. هذا وقد روى الشعر عند الجاحظ هكذا:

بلاد إذا جن الظلام تقافزت … براغيثها من بين مثنى وواحد

– ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 4، ص 33.

(2) ينبغي لكي نقدر فظاعة مثل هذه الهوام أن الفقهاء يذكرون أن البق عيب من عيوب الدور يخول الإقالة في البيع، قال راجزهم:

والبق عيب من عيوب الدور … ويوجب الرد على المشهور

هذا ولم يفت الفقهاء أن يخصصوا حيزاً كبيراً للدم الذي تخلفه البراغيث على ثياب الإنسان وعلى جسمه، وهكذا وجدنا الدميري يذكر أنه يعفى عن قليل الدم في الثوب والبدن لعموم البلوى به وتعذر الاحتراز منه... والحكم على هذا النحو فيما يتصل بالبق والبعوض وما=

وقال آخر: (كامل)

رقصت براغيث الشتا فأجابها (م) الناموس يشدو بالغناء المعلم
وتواجد البق الكثيف لطبعه طربا على شرب المدامة من دمي!

وقال آخر: (بسيط)

ليل البراغيث ليل لانفاد له لا بارك الله في ليل البراغيث!
كأنهن بجسمي مذ حللن به بدءا الشهود على مال المواريث[1]!!

وقال بعض الأعراب[2]، يصف البراغيث وقد سكن مصر: (طويل)

تطاول بالفسطاط[3] ليلي ولم أكن بأرض الغضا ليلي علي يطول

= أشبهه... ولشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام موقف أشبه بهذا الذي ذكرناه، وقد أفادنا الشيخ الألباني في (تقييده) أن هناك في أقوال السلف مايدعم هذا القول، قال: ويحضرني في ذلك ماأخرجه البخاري في صحيحه عن طريق عبد الرحمن بن أبي نُعم قال: كنت شاهداً لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: فمن أنت؟ قال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض. وقد قتلوا ابن النبي ﷺ... وسالم بن عبد الله بن عمر هو الذي قال: ياأهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة!!

(1) يروي الجاحظ هذين البيتين على هذا النحو:

ليل البراغيث عنّاني وانصبني لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي إذ خلون به أيتام سوء أغاروا في مواريث!

–الزركلي: الأعلام ج 9، ص 203.

(2) نسب الجاحظ البيتين لأبي الرماح الأسدي: انظر كتاب الحيوان بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ص 389.

(3) كانت الفسطاط من أجل المدائن، أنشأها عمرو بن العاص بعد فتح مصر سنة 22 من الهجرة وهي أقدم من القاهرة، كان بها عدة مساجد محكمة البناء وعدة حوانيت وحمامات ومعاصر ومساكن جليلة... وحدث أنه في عام 564هـ. جاءت الأخبار بأن الفرنج جاءت إلى ثغر =

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة … وليس لبرغوث علي سبيل[1]!!

وقال أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخواقي الكاتب[2]، في البرغوث: (وافر)

وأحدب ضامر يسري بليل … إلى النوام مفتتن الجفون

تسلمه الثلاثون اختمارا … إلى سبعين في أسر المنون[3]!!

= دمياط في سبعين مركباً... ثم كسروا عساكر الفسطاط ودخلوا القاهرة من خلف السور... وصاروا يقتلون من وجدوه من المسلمين وفرضوا على أهل مصر والقاهرة أموالاً جزيلة فعندئذ أشار الوزير (شاور) على الخليفة بإحراق الفسطاط خوفاً من أن يستولي عليها الفرنج فأذن لهم في حرقها حيث استمرت النار طوال شهرين فكان يرى دخانها من مسيرة ثلاثة أيام... وتحول الناس إلى القاهرة... ابن إياس: بدائع الزهور، طبعة الهيئة العامة للكتاب 1402=1982، ص 232.

(1) نسبت هذه الأبيات في كتاب الحيوان للجاحظ إلى أبي الرماح الأسدي، وقد روي البيت الأول هكذا:

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن … بحنو الغضى ليل علي يطول

هذا وقد ذكرت بهذين البيتين أيامي في السجن في أعقاب المطالبة باسترجاع الاستقلال عام 1944، عندما كنا نصلى بجحيم هذه الطفيليات وقد كان مما أنشدته:

على كل خيط من قميصي قملة … تروح على رغمي بجسمي تنحت

فأحصدها في منجل الظفر بكرة … وعند المسالم أدرها كيف تنبت؟!

(2) كان أبو منصور هذا فرضياً حاسباً وهو منسوب إلى خواف من نواحي نيسابور، سكن بغداد وبها أدركه أجله عام 480= 1087من كتبه خلق الإنسان، رتبه على حروف المعجم.

– ابن خلكان: الوفيات ج 1، ص 96 /97.

– الزركلي: الأعلام ج 4، ص 223/222.

(3) راجع التعليق السابق [ص ٢٤٩]حول حساب العقد الذي كان مستعملاً عند العرب لأداء الأرقام...

وقال ابن دريد في أماليه(1): أنشدنا الرياشي، قال: بلغني أن ابن أبي الزوائد، قال وهو ببغداد: (خفيف)

يابن يحيى(2) ماذا بدا لك؟ ماذا؟ أمقاماً أرادت أم انجباذا؟
فالبراغيث قد تنور منا سامر ماتلوذ منه ملاذا!
فنحك الجلود طورا فتدمى ونحك الصدور والأفخاذا!
فسقى الله طيبة الوبل سحا وسقى الكرخ والهراة الرذاذا

وقال مجد الدين المبارك بن كامل بن منقذ(3)، في البراغيث: (بسيط)

(1) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أئمة اللغة العربية والأدب، صاحب المقصورة الدريدية، ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان، فأقام بعض الوقت ثم رحل إلى نواحي فارس، ثم رجع إلى بغداد واتصل بالمقتدر العباسي، وهناك أدركه أجله عام 391=933 ، من كتبه الجمهرة، وتقويم اللسان والأمالي، ذكر أنه كان مواظباً على شرب الخمر، قال ابن شاهين: كنا ندخل عليه فنستحي لما نرى عنده من العيدان والشراب المصفى، أما الرياشي فهو العباس بن الفرج ابن علي بن عبد الله الرياشي البصري، لغوي، راوية عارف بأيام العرب، وقد أدركه أجله بالبصرة أيام فتنة صاحب الزنج عام 257= 871، له كتاب «الإبل والخيل» وغير ذلك مما روى عنه المبرد...

(2) القصد إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي (ت 187= 803) وزير هارون الرشيد، انقادت له الدولة، فكان يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه إلى أن نقم الرشيد على البرامكة فكان في مقدمة الذين صفاهم... والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس .

(3) أورد الدميري هذين البيتين كلغز، وهما منسوبان لمجد الدين أبي الميمون الكناني، ولا شك أن القصد إلى سيف الدولة ابن منقذ، المسمى المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، كان معاصراً للأمير **مرهف سفير** صلاح الدين إلى المغرب وهو من أمراء الدولة الصلاحية بمصر، ولد بقلعة شيزر، وذهب مع توران شاه إلى اليمن وناب عنه في زبيد عام 569... ثم رحل إلى دمشق ثم إلى مصر... للشعراء فيه كثير من المدائح، أدركه أجله بالقاهرة عام 589= 1193.

=

ومعشر يستحل الناس قتلهم كما استحلوا دم الحجاج في الحرم!
إذا سفكن دما منهم فما سفكت يداي من دمه المسفوك غير دمي!!

وقال بعضهم : (سريع)

لاتَسْبب البرغوث إن اسمه بِرٌّ وغَوْثٌ لك لو تدري:
فبرُّه مص دم فاسد[1] وغوثه الإيقاظ في الفجر!

= هذا وقد أورد الجاحظ مجموعة مهمة من الشعر الذي قيل في البرغوث مما يدل على أن هذا الحيوان– على صغر حجمه– ظل مشغلة للناس مقلقاً لراحتهم في أعز الأوقات التي ينشدون فيها راحتهم.

وهكذا روي لمحبوب بن أبي العشنط قطعة كان منها قوله:

الليل نصفان: نصف للهموم فما أقضي الرقاد، ونصف للبراغيث

ونقل عن آخر قوله:

لقد علم البرغوث حين يعضني ببغداد أني بالبلاد غريب!

وعن آخر قوله:

وإن امرأ تؤذي البراغيث جلده ويخرجنه من بيته لذليل !! إلخ

وبدوره أورد الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى طائفة من الأشعار كان فيها مالم يأخذه السيوطي، وقد كان من لطائف ذلك ماقاله أبو الحسن بن سكرة الهاشمي المتوفى سنة 385، في مليح يعرف بابن برغوث:

بليت ولا أقول بمن؟ لأني متى ما قلت مَن هو يعشقوه!
حبيب قد نفى عني رقادي فإن أغمضت أيقظني أبوه !!

(1) يتحدث العلم الحديث عن الحذر ما أمكن من لسعة البرغوث التي قد تكون سبباً في نقل أمراض خطيرة إلى الإنسان، أبرزها الطاعون والتيفوس والحمى.

وقال عز الدين أحمد بن موسى بن قرصة الفيومي(1): (بسيط)

لا تحقرنَّ من الأعداء من قصرت يداه عنك وإن كان ابن يومين!
فإن في قرصة البرغوث معتبرا فيها أذى الجسم والتسهير للعين!

وقال السديد محمد بن فضل الله بن كاتب المرج(2): (طويل)

لمن أشتكي البرغوثَ، ياقوم؟ إنه أراق دمي ظلما وأرق أجفاني!
وما زال بي كالليث في وثباته إلى أن رماني كالقتيل وعراني!!
إذا هدأت في صبرت تجلدا ويخرج عقلي حين يدخل آذاني!!

وقال الصلاح الصفدي(3)، في (أعيان العصر): ذكر أصحاب الخواص أن البرغوث إذا دخل في أذن أحد وضع الإنسان أصبعه في سرته، وقال: سبقتك فإن البرغوث يخرج منها!

وقال أبو عامر بن شهيد(4)، يصف برغوثاً: «أسود زنجي وأهلي

(1) أحمد بن موسى بن محمد عز الدين المعروف بابن قرصة: أديب مصري كثير النظم، كان لايتكلم إلا معرباً، مولده الفيوم، كان ناظراً للديوان بقوص وبها أدركه أجله عام 710= 1311، له ديوان شعر وكتاب من الأدب اسمه «كثف المذاكرة وتحف المحاضرة».

(2) [هو محمد بن فضل الله بن أبي نصر القبطي، سديد الدين المعروف بابن كاتب المرج الصعيدي، تعانى الآداب والكتابة، ونظم الشعر، وولي وكالة بيت المال بقوص. مات سنة بضع وأربعين وسبع مئة. اظر ترجمته في الدرر الكامنة ٥/ ٣٩٥ – ٣٩٧./ المجلة].

(3) الصلاح الصفدي هو خليل بن أيبك بن عبد الله أديب مؤرخ كثير التصانيف الممتعة على نحو السيوطي، ولد في صفد بفلسطين وتعلم بدمشق... وتولى ديوان الإنشاء في صفد وحلب ومصر وأدركه أجله بدمشق وهو يتولى وكالة بيت المال عام 764= 1363 له زهاء مئتي مصنف، منها الوافي بالوفيات...

(4) أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد من أشجع فهو أبو عامر الأشجعي وزير أكابر الأندلسيين أدباً وعلماً مولده ووفاته بقرطبة عام 426=1035، له تصانيف بديعة... منها حانوت عطار، والتوابع والزوابع، الأخيرة في كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة تأليف ابن بسام =

وحشـي: ليس بوان ولا زميل، وكأنه جزء لايتجزأ من ليل، أو شونيزة أو بنتها عزيزة، أو نقطة مداد، أو سويداء قلب فؤاد، شربه عب، ومشيه وثب، يكمن نهاره، ويسري ليله، يدارك بطعن مؤلم، ويستحلّ دم كل كافر ومسلم، مساور للأساورة، يجر ذيله على الجبابرة، يتكفر بأرفع الثياب، ويهتك ستر كل حجاب، ولا يحفل[1] ببواب، يرد مناهل العيش العذبة! لايمنع منه أمير! ولا ينفع فيه غيرة غيور، وهو أحقر كل حقير، شره مبثوث، وعهده منكوث، وكذلك كل برغوث! كفى بهذا نقصاً للإنسان، ودالاً على قدرة الرحمن...! » في مفردات ابن البيطار عن ابن زهر[2]، أن شحم الثعلب إذا طلي به سوط أو عود وجعل في إحدى زوايا البيت فإن البراغيث يجتمعن عليه.

انتهى التأليف وتمّ والله أعلم

= 542. القسم الأول المجلد الأول، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان– ص 295، يتيمة الدهر ج2 ص 53.

(1) لايحفل: لايكترث...

(2) هذا كلام نقله ابن البيطار عن خواص ابن زهر– وليس ابن زهير كما في المخطوط، هذا ويلاحظ أن في عداد مبيدات الحشرات والهوام اليوم نصب نحو شريط ملطخ بمادة لزجة تغري البعوض والذباب وما أشبه بلحسها فتلصق بها...

وقد ورد في الدميري مايقرب من هذا حيث أورد فائدة مجربة صحيحة للقضاء على البراغيث وهي أن تأخذ قصبة فارسية وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها في وسط الدار فإنها تجتمع إلى العود.

– ابن البيطار: الأول من كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، طبعة القاهرة 1291– 1875.

الملك الظاهر بيبرس

في

شعر معاصريه

الدكتور أحمد فوزي الهيب

مقدمة:

هو السلطان الملك الظاهر(١)، ركن الدكن أبو الفتوح بيبرس(٢)، بن عبد الله البندقداري(٣)، الصالحي النجمي الأيوبي(٤)، التركي سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية(٥).

ولد عام ٦٢٠هـ(٦)، وقيل: عام ٦٢٥هـ(٧)، في صحراء القبچاق(٨)، والقبچاق قبيلة تركية عظيمة، طلبت عام ٦٤٠ هـ من ملك أولان التركماني أن يجيرها من التتار الذين هددوها، ولكنه غدر بها، فأغار عليها، وقتل وسبى الكثير منها، وكان بيبرس فيمن أسر، فبيع ونقل إلى بلاد السلطنة الأيوبية حيث اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، ثم انتقلت ملكيته إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعدما صادر ممتلكات أيدكين عام ٦٤٤هـ (٩)، فجعله من مماليكه البحرية(١٠)، وسرعان ما ظهرت مواهبه(١١)، فترقى واستمر في ذلك إلى أن صار أستاذه أيدكين من جملة أمرائه(١٢).

كان بيبرس طموحاً جداً، وقد وفقه هذا إلى المشاركة في كثير من الأحداث الهامة والحروب التي كانت تقوم كثيراً بين المماليك أنفسهم من

جهة[١٣]، وبينهم وبين أعدائهم من جهة ثانية، حتى صار له شأن عظيم مع الملك الناصر يوسف والملك المغيث الأيوبيين، ومما يدل على ذلك أنه لما دخل إلى القاهرة قبيل موقعة عين جالوت ركب السلطان الملك المظفر قطز للقائه، وأنزله في دار الوزارة، وأقطعه قصبة قليوب[١٤]، وكان آخر هذه الأحداث الهامة التي أسهم فيها إسهاماً كبيراً قبل أن يصل إلى السلطنة هو اشتراكه مع المظفر قطز في معركة عين جالوت في ٢٥ من رمضان عام ٦٥٨ هـ، والتي انتصر فيها المماليك على التتار لأول مرة انتصاراً كاسحاً، وقتلوا قائدهم (كتبغانوين) مع كثيرين منهم، ثم تبعوهم يقتلونهم في كل موضع [١٥]. وأظهر فيها بيبرس شجاعة نادرة[١٦]، كما أرسله قطز في أثرهم يتتبعهم إلى أطراف البلاد[١٧]. وهكذا أعاد قطز الأمن إلى نصابه في جميع بلاد الشام وأقيمت الخطبة له فيها[١٨]، وصار سيد الموقف في بلاد الشام كلها من الفرات إلى مصر[١٩].

وكان السلطان المظفرقطز قد وعد بيبرس بنيابة حلب، ولكنه رفض أن يعطيه إياها ولم يف بوعده له ليضعف مركزه، وأعطاها لصاحب الموصل، فحقد عليه بيبرس[٢٠]، واتفق على قتله مع جماعة من المماليك، وسنحت لهم فرصة تحقيق ذلك قبل وصولهم مع قطز إلى القاهرة في مكان اسمه القُصَير، يقع اليوم في محافظة الشرقية بمصر[٢١].

وبعد مقتل قطز من البدهي أن تصير السلطنة إلى قاتله ركن الدين بيبرس اتباعاً للعرف السائد آنذاك، ولأنه أقوى أمراء المماليك البحرية، وصاحب فكرة القتل، بالإضافة إلى مواقفه المشرفة في محاربة المغول[٢٢]. لذلك صعد إلى قلعة الجبل لتتم مراسيم استلامه للسلطنة رسمياً، وكان ذلك في يوم الأحد ١٧ من ذي القعدة عام ٦٥٨هـ [٢٣].

وعلى الرغم من أن الظاهر بيبرس رابع سلاطين الدولة المملوكية

الأولى(٢٤)، فإنه يعد المؤسس الحقيقي لها، وذلك لما فعله من أعمال عظيمة في مختلف المناحي خلال فترة سلطنته التي بلغت ما يقرب من عشرين عاماً(٢٥)، لأنه توفي يوم الخميس ٢٨ من المحرم عام ٦٧٦ هـ بدمشق (٢٦)، الأمر الذي جعله من أعظم سلاطين المماليك(٢٧).

ولقد فصّل المؤرخون القدامى والمعاصرون من عرب وأجانب الحديث عن أعماله العظيمة المتنوعة الشاملة، وملؤوا في ذلك الصفحات الكثيرة(٢٨)، الأمر الذي يدل على جدارته بالسلطنة، وعلى سبقه لسابقيه وللاحقيه من السلاطين. ويكفي أن نعلم أنه استطاع أن يقضي على أعدائه في الداخل والخارج، أو أن يخمدهم، وأنه أقام علاقات طيبة مع معظم الدول المجاورة، وتميز من جميع حكام المسلمين آنذاك بحمايته للحرمين الشريفين وللخلافة العباسية التي أحياها في القاهرة من جديد بعدما قضى عليها التتار في بغداد عام ٦٥٦ هـ، وأن حدود دولته امتدت من أقصى بلاد النوبة جنوباً إلى الفرات شمالاً، ومن برقة غرباً إلى العراق شرقاً(٢٩).

الشعر الذي قيل في الملك الظاهر بيبرس:

كنت أتمنى لو أن الشعر المتصل بالظاهر بيبرس الذي وصل إلينا قد أنصفه، أو أعطاه حقه من الذكر مثلما فعل التاريخ والمؤرخون، ولكنه لم يفعل. و الذي أرجحه أن الشعر والشعراء قد أعطوه كثيراً من هذا الحق، أو أكثر مما وصل إلينا من الشعر، بيد أن هذا الشعرلم يصل إلينا كاملاً لأسباب عدة، منها:

١ - ضياع مخطوطاته لأسباب كثيرة. وما أكثر المخطوطات الضائعة.

٢ - مخطوطات كثيرة ذات صلة بما تقدم تنتظرمن ينفض عنها الغبار، ويحققها ويطبعها وينشرها.

٣ ـ كتب كثيرة تتعلق بهذا الموضوع تحتاج إلى تحقيق وطباعة جديدة، بعد أن قدم العهد بها حتى غدت نادرة جداً، لا يستطيع الباحثون أن يصلوا إليها إلا بصعوبات بالغة، فضلاً عن أنها قد طبعت منذ زمن طويل طبعات غير دقيقة أو علمية.

٤ ـ كتب طبعت محققة، ولكن بأعداد قليلة جداً سرعان ما تلاشت واختبأت في بعض المكتبات العامة أو الخاصة في البلاد العربية والأجنبية، الأمر الذي حال بينها وبين الباحثين، وجعل وجودها كعدمها.

٥ ـ ضياع كثير من الشعر بفعل الشعراء أنفسهم أو مؤلفي الكتب، وبخاصة أصحاب الطبقات والمؤرخون وغيرهم الذين أكثروا من حذف قصائد المديح أو أبياته بعامة عند حديثهم عن أصحابها، وهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة مستقلة في غير هذا الموضع.

ولا شك إضافة إلى ذلك في أن لعجمة الملك الظاهر بيبرس، ولضعف مستواه الثقافي والأدبي، ولغرقه حتى أذنيه في الأعمال العسكرية والسياسية والإدارية والاقتصادية وغيرها دوراً في ذلك.

ولكننا ينبغي ألا نبالغ في تضخيم هذا الدور، وذلك لأن الظاهر بيبرس وأكثر سلاطين المماليك قد تعربوا، واتخذوا العربية لساناً رسمياً لهم، فضلاً عن أنهم أبقوها لغة رسمية لدولتهم ودواوينها ومراسلاتها، وقلدوا أسلافهم الأيوبيين في استماعهم للشعراء، واتخاذ شعرهم وسيلة إعلامية، تقف بجانبهم، ليفيدوا مما لديها من إمكانات إيجابية، وبخاصة إنهم يعيشون في بلاد عربية، ويحكمون شعباً عربياً باسم دين، لغته ولغة قرآنه الكريم وحديثه النبوي الشريف العربية، الأمر الذي يجعلهم يختلفون إلى حد كبير عن السلاطين العثمانيين الذين وإن شابهوهم في بعض الجوانب فإنهم يختلفون عنهم في عدم اتخاذهم العربية لغة رسمية لدولتهم، كما لم يتخذوا

إحدى المدن العربية عاصمة لدولتهم، إضافة إلى غير ذلك من الاختلافات. لذلك يجب أن نميز بين موقفيهما من اللغة العربية وآدابها.

وفي هذا البحث لن أقترب مما قاله المؤرخون في رسمهم لصورة الملك الظاهر بيبرس وأعماله إلا بالقدر الذي يضيء الطريق أمام فهم ما قاله الشعراء عنه وعنها. وسأكتفي بما وصل إلينا، أو بما استطعت الوصول إليه من شعر تحدث عنه وعن انتصاراته وأعماله وغير ذلك، وقد بلغ مئة وثمانين بيتاً تقريباً، جمعته من المصادر المشار إليها. ورجوت من وراء ذلك الوصول إلى صورة الملك الظاهر بيبرس في شعر عصره، أو كيف كان الشعراء يرونه؟ وكيف استطاعوا التعبير عن هذه الرؤية؟ ولعل هذا يؤكد أقوال المؤرخين، أو يضفي عليها زيادة ما في هذا الجانب أو ذاك. وكلا الأمرين لا يخلو ـ كما أعتقد ـ من فائدة ما للأدب العربي من جهة، وللتاريخ من جهة ثانية.

الملك الظاهر بيبرس في شعر معاصريه:

من البديهي أن يكون تركيز الشعراء في أشعارهم على الجانب العسكري، وما يتصل به من صفات وأعمال لدى الملك الظاهر بيبرس أكثرَ من تركيزهم على غيره من الجوانب، وذلك لأن هذا الجانب وما يتعلق به كان أكبر وأوضح من غيره من الجوانب في شخصية عظيمة ذات جوانب متعددة ثرية، ويتضح هذا بجلاء إذا رجعنا إلى أي مصدر أو مرجع يتحدث عن ذلك.

ولعل أكثر معارك الظاهر بيبرس العسكرية بعد سلطنته إثارة لشاعرية الشعراء، هي المعركة التي حدثت عام ٦٧١هـ بينه وبين التتار على نهر الفرات الذي خاضه مع جنده بخيولهم وأسلحتهم ودروعهم نحو التتار، وقتلوا وأسروا منهم الكثير، ولم ينج منهم إلا النزر اليسير، الأمر الذي كان له أطيب الأثر في نفوس المسلمين الذين لم تكسر عندهم بعد كسراً تاماً أسطورة التتار الذين لا يغلبون على الرغم من الانتصار في معركة عين

جالوت، لأنها حدثت بعدها بمدة قليلة.

ومن الشعراء الذين وصلت إلينا أشعارهم في هذه المعركة شهاب الدين محمود[٣٠]، الذي قال قصيدة رائية، وصفها ابن تغري بردي بأنها طنانة[٣١]، وليتها وصلت إلينا كاملة.

بدأها الشهاب محمود بقوله مخاطباً الظاهر بيبرس[٣٢]:

سِرْ حيثُ شئتَ لكَ المهيمنُ جارُ ... واحكمْ فَطَوْعُ مرادِكَ الأقدارُ
لمْ يبقَ للدينِ الذي أظهرتَهُ ... يا ركنَهُ عندَ الأعادي ثارُ

وهذه البداية تظهر الروح الدينية التي كانت سائدة قوية في ذلك العصر، ولا غرو في ذلك، فالشاعر لا تربطه بالممدوح ـ شأنه في ذلك شأن الأمة العربية ـ إلا رابطة الدين الذي كان يحكم باسمه الملوك شعوبهم آنذاك، والذي كانت الحروب تشتعل باسمه حقاً أو باطلاً. كما تبين هذه المقدمة أيضاً صورة بيبرس في عين الشاعر، وهي صورة تتميز بالسطوة والقوة ونفاذ الأحكام، ويبدو هذا عندما جعل الشاعر الأقدار طوع أمر بيبرس تأتمر بأمره، ولا تخالف له أمراً، وهذه المبالغة التي قد يعترض عليها بعضنا كانت شائعة في ذلك العصر على الرغم من تضاؤل حدتها عما كانت عليه من قبل، وبخاصة لدى شعراء الدولة الفاطمية، ولا سيما ابن هانئ. ولا شك في اختلاف خلفيتها عند شعراء الفاطميين الذين كانوا يعبرون بها عن حقيقة اعتقادهم من خلال مذهبهم الإسماعيلي، وبالتالي فهي عندهم أقرب إلى الحقيقة ـ إن لم نقل هي الحقيقة ذاتها في نظرهم ـ منها إلى المبالغة، أقول لا شك في اختلاف خلفيتها لدى الشعراء الفاطميين عن خلفيتها لدى شعراء المماليك الذين أرادوا بها التفخيم والتعبير عن إعجابهم الكبير بما يرون.

وبعد ذلك انتقل الشاعر إلى وصف المعركة، فقال(٣٣):

لَمَّا تراقصتِ الرؤوسُ وحُرِّكَتْ ... مِنْ مطرباتِ قسيِّكَ الأوتارُ
خضْتَ الفراتَ بسابحٍ أقصى مُنَى ... هُوجِ الصَّبَا مِنْ نعلِهِ آثارُ
حملَتْكَ أمواجُ الفراتِ ومَنْ رأى ... بحراً سواكَ تُقلُّهُ الأنهارُ
وتقطَّعَتْ فرقاً ولمْ يكُ طَوْدَهَا ... إذْ ذاكَ إلاَّ جيشُكَ الجرارُ
رشَّتْ دماؤهمُ الصعيدَ فلمْ يطرْ ... منهمْ على الجيشِ السعيدِ غبارُ

رسم الشاعر الشهاب محمود صورة للظاهر بيبرس تتميز بالشجاعة والفروسية، فعندما اشتد أوار المعركة اندفع في نهر الفرات الغزير العميق بحصانه الأصيل السريع الذي لا تستطيع الريح الشرقية الهائجة أن تشق له غبارا. ولم ينس الشاعر هنا صفة الكرم التي نجدها في تشبيهه بالبحر، وهي صفة تميز بها بيبرس، أتى بها الشاعر مغتنماً ذكر النهر وخوضَ بيبرس فيه، وصاغها بصيغة الاستفهام الإنكاري الذي زادها قوة وتأكيداً وجمالاً (ومن رأى بحراً سواك تقله الأنهار). وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن جيش الظاهر الذي قطع أمواج الفرات فرقاً، وشبهه بالطود، ووصفه بأنه جرار. ولكل ما تقدم إيحاؤه الجمالي والبلاغي. ثم تحدث عن دماء قتلى التتار وجراحهم الكثيرة التي بللت أرض المعركة فحالت دون تطاير الغبار.

وبعد ذلك انتقل الشهاب محمود إلى الحديث عن نتائج هذه المعركة، فقال(٣٤):

شكرتْ مساعيَكَ المعاقلُ والورى ... والتربُ والآسادُ والأطيارُ
هذي منعْتَ وهؤلاءِ حَمَيْتَهم ... وسقيْتَ تلكَ وعمَّ ذا الأيسارُ

إنه جعل القلاع والناس والأرض والوحوش تشترك معاً في شكر الظاهر بيبرس، لأن فضله عمها جميعاً، وقد وضح كيفية ذلك في قوله:

هذي منعت وهؤلاء حَمَيْتَهم   وسقيت تلك وعم ذا الأيسارُ

ثم ختم أبياته التي وصلت إلينا بقوله[٣٥]:

فلأملأنَّ الدهرفيكَ مدائحا   تبقى - بقيتَ - وتذهبُ الأعصارُ

إنه أخذ عهداً على نفسه أن يمدح الظاهر بيبرس مدائح كثيرة خالدة على مدى الأيام والعصور، ولم ينس أن يدعو له بالبقاء في أثناء ذلك، وتميز هذا الدعاء بالرشاقة والإيجاز والجمال.

وفي هذه الوقعة أيضاً قال الحكيم الموفق عبد الله بن عمر الأنصاري[٣٦]:

الملكُ الظاهرُ سلطانُنَا   نفديهِ بالأموالِ والأهلِ

اقتحمَ الماءَ ليطفي بهِ   حرارةَ القلبِ منَ المغلِ

لقد عبر عن حب الناس الكبير للظاهر بيبرس، الأمر الذي جعلهم يفدونه بأموالهم وأهليهم، كما يبدو في قوله (سلطاننا) فخر الشاعر به وبما حققه، ثم وصف اقتحامه البطولي لمياه الفرات الغزيرة وراء التتار، وعلل ذلك تعليلاً له دلالته النفسية التي تعبر عما تغتلي به القلوب من كره وحقد تجاه المغول، لما فعلوه معهم من وحشية تسمو عليها الوحوش الكاسرة.

ووصف هذا الانتصار أيضاً محيي الدين بن عبد الظاهر قائلاً[٣٧]:

تجمعَ جيشُ الشركِ منْ كل فرقةٍ   وظنوا بأنَّا لا نُطيقُ لهم غَلْبَا

وجاؤوا إلى شاطي الفراتِ وما دَرَوا   بأنَّ جيادَ الخيلِ تقطعُهَا وَثْبَا

وجاءت جنودُ اللهِ في العُدَدِ التي   تميسُ لها الأبطالُ يومَ الوغى عُجْبَا

فَعُمْنَا بسدٍ من حديدٍ سباحةً   إليهمْ فما اسطاعَ العدوُّ له نَقْبَا

وتبدو الروح الدينية واضحة في وصفه لجيش المغول بأنه جيش

الشرك، وفي نعته لجند الظاهر بيبرس بأنهم جند الله، كما تبدو أيضاً في ذلك الاقتباس بالبيت الأخير (فما اسطاع العدو له نقبا)[٣٨]. وتحدث كذلك عن ظن المغول الخاطئ بأن نهر الفرات سيحميهم، ولم يدروا أن خيل المسلمين لا يعجزها ذلك، كما تحدث عن عدة الجيش بعامة لأنها جزء هام من قوته. واللافت للنظر حديث الشاعر في البيت الأخير بأسلوب جمع المتكلمين (فعمنا)، مع أن المصادر لم تشر إلى اشتراكه في هذه المعركة، الأمر الدال على أنه كان يرى أن الظاهر بيبرس وجيشه يقاتلون باسمه واسم الأمة كلها، وأن هذه المعركة معركته، والانتصار انتصاره.

ولأنتقل بعد ذلك إلى شعراء من نوع آخر، وهم شعراء شهدوا هذه المعركة، ومنهم الشيخ ناصر الدين حسن بن النقيب الكناني[٣٩]، الذي قال فيها[٤٠]:

ولَمّا ترامينا الفراتَ بخيلِنا ... سَكَرْنَاهُ منّا بالقُوى والقوائمِ

فأوقفتِ التيارَ عنْ جريانِهِ ... إلى حيثُ عُدْنا بالغِنَى والغنائمِ

وصف الشاعر هنا خيل المسلمين قد حبست مياه الفرات عن الجريان بقوتها وبقوائمها الكثيرة التي تحولت إلى سد منيع لا تستطيع المياه منه نفاذاً، لذلك سكنت وتوقفت إلى أن عاد الجيش بالغنائم الوفيرة منتصراً، وعلى الرغم من أنه من البدهي أن يتحدث الشاعر بأسلوب المتكلمين لأنه كان مشتركاً في المعركة، فإن لهذا أيضاً دلالته التي أشرنا إليها قبل قليل.

ومن الشعراء الذين شهدوا هذه المعركة أيضاً وخاضوا غمارها بدر الدين يوسف المهمندار[٤١]، وكان شيخاً متجنداً[٤٢]، الأمر الذي جعله شاهداً عليها، وأكسب شعره الواقعية والثقة، ونجده قد وصف غبار المعركة الذي كاد يمنع الرؤية لولا ضياء أسنة الرماح وظبات السيوف، كما وصف أيضاً جبن التتار وسوء تقديرهم للموقف وخيبتهم، ثم تحدث عن جيش المسلمين وعدته وقطعه للفرات وسرعته في الوصول إلى التتار

المهزومين وقتله لهم[٤٣]:

لو عـايـنَتْ عـيـنـاكَ يـومَ نـزالِـنَا ... والخيلُ تطفحُ في العجاجِ الأُكدَرِ
وسنا الأسنةِ والضياءُ منَ الظُّبى ... كَشَفَا لأعيننا قتامَ العِثيَرِ
وقد اطلَخَمَّ الأمرُ واحتدمَ الوغى ... وَوَهَى الجبانُ وساءَ ظنٌّ المجتري
لرأيت سداً مِنْ حديدٍ ما يُرى ... فوقَ الفراتِ وفوقَهُ نارٌ تَرِي
ورأيتَ سيلَ الخيلِ قد بلغَ الزُبى ... ومنَ الفوارسِ أبحراً في أبحرِ
طَفَرَتْ وقدْ منعَ الفوارسُ مدَّها ... تجري ولولا خيلُنَا لمْ تَطْفِرِ
حتى سبقْنَا أسهماً طاشَتْ لنا ... منهمْ إلينا بالخيولِ الضُّمَّرِ
لم يفتحوا للرمْيِ منهمْ أعيناً ... حتى كُحِلْنَ بكلِّ لدنٍ أسمرِ
فتسابقوا هرباً ولكنْ رَدَّهُمْ ... دونَ الهزيمةِ رمحُ كلِّ غَضَنْفَرِ

ثم تحدث الشاعر بعد ذلك عن نهاية المعركة وكيف أن القتلى قد ملؤوا الفضاء الواسع، وسدوا الطرق، فقال[٤٤]:

ملؤوا الفضاءَ فعنْ قليلٍ لمْ ندعْ ... فوقَ البسيطةِ منهمُ مِنْ مُخْبِرِ
سدَّتْ علينا طُرْقَنَا قتلاهمُ ... حتى جَنَحْنَا للمكانِ الأوعرِ

كما وصف أيضاً خيل المسلمين وكيف تعثرت برؤوس المغول تعثراً منعها من أن تنطلق بأقصى سرعتها، وخاضت في بحور دمائهم التي جرت كالأنهار، فتلطخت حتى غدا أشهبُها أشقرَ[٤٥]:

ما كانَ أجرى خيلَنَا في إثرِهمْ ... لَوْ أنَّها برؤوسهمْ لَمْ تعثُرِ
مِنْ كلِّ أشهبَ خاضَ في بحرِ الدما ... حتى بَدَا لعيونِنَا كالأشقرِ
وَجَرَتْ دماؤُهمُ على وجهِ الثرَى ... حتى جَرَتْ منها مجاري الأنْهرِ

كما تحدث أيضاً عن صرخات جند المسلمين التي فلقت بقوتها

الصخور[٤٦] :

كمْ قَدْ فلقنا صخرةً مِنْ صرخةٍ ولكمْ ملأنا مَحْجِراً مِنْ مَحْجَرِ

وبعد ذلك رسم صورة جميلة متميزة للظاهر بيبرس، وهو يتبع المغول بسيفه البتار الذي علته دماء قتلاهم وقد التصق بها الغبار، فغدا وكأنه في غمده لم يسل، ولكن أي غمد هذا[٤٧]!!

والظاهرُ السلطانُ في آثارِهِمْ يذْري الرؤوسَ بكلّ عَضْبٍ أبترِ

ذهبَ العجاجُ معَ النجيعِ بصقلِهِ فكأنَّهُ في غمدِهِ لَمْ يُشْهَرِ

وختم قصيدته هذه مخاطباً غيره من الشعراء الذين وصفوا المعركة سماعاً من غير أن يحضروها مفتخراً ببلائه وبشعره، فما راءٍ كمن سمع[٤٨]:

إنْ شئْتَ تمدحهُ فقفْ بإزائِهِ مثلي غداةَ الروعِ وانظمْ وانثرِ

وبعد، فلقد تساءلتُ عن سبب إلحاح الشعراء على وصف هذه المعركة، وتركيزهم عليها خلافاً لغيرها من المعارك، ثم رجحت أن هذا الإلحاح ربما كان بسبب الوقت الذي حدثت فيه، فقد حدثت في ١٩ من جمادى الأولى عام ٦٧١ هـ تقريباً، وذلك لأن الظاهر قد رحل عن منبج في ١٨ من جمادى الأولى عام ٦٧١ هـ إلى الفرات[٤٩]، وهذا التاريخ يوافق ١٩ من كانون الأول (يناير) عام ١٢٧٢م[٥٠]، وهو وقت صعب لأنه يقع في فصل الشتاء الذي يتميز ببرودته الشديدة في هذا المكان من السلطنة المملوكية، الواقع في شمالي بلاد الشام، كما تكثر فيه مياه نهر الفرات، ويرتفع مستواها بسبب الأمطار الغزيرة التي تسقط على ينابيعه وعلى مايجاوره، الأمران اللذان يجعلان خوض الفرات عملية ليست عادية، وإنما عملية متميزة فريدة تحتاج إلى جرأة وشجاعة واقتدار.

ومن معارك الظاهر بيبرس التي نظم فيها الشعراء قصائدهم، تلك

المعركة التي حدثت بالقرب من نهر جيحان في بلاد الروم عام ٦٧٥ هـ، وتحالف فيها ضده التتار والروم والكرج وجيش البَرْوَاناه، وحمل فيها بنفسه بصدق[٥١]، وكان «يكر كالأسد الضاري ويقتحم الأهوال بنفسه، ويشجع أصحابه، ويُطيِّب لهم الموت في الجهاد إلى أن أنزل الله تعالى نصره عليه، وانكسر التتار أقبح كسرة، وقتلوا، وأسروا، وفر من نجا منهم، فاعتصموا بالجبال، فقصدتهم العساكر الإسلامية»[٥٢]. ومن القصائد التي وصلت إلينا في وصفها قصيدة الشهاب محمود التي استهلها بقوله[٥٣]:

كذا[٥٤] فلتكنْ في اللهِ تمضى العزائِمُ وإلا فلا تجفو الجفونَ الصوارمُ[٥٥]
عزائمُ حاذَتْها الرياحُ فأصبحتْ مخلَّفَةً تبكي عليها الغمائمُ

والروح الدينية واضحة جلية تبدو في البيت الأول، وتحدث بعد ذلك عن ضخامة جيش الظاهر بيبرس، وسرعة تحركه اللتين تجعلان الأرض الواسعة الأرجاء ضيقة كالخاتم، الأمر الذي يدل على مدى اهتمام الظاهر بجيشه، وهذا جانب هام من جوانب شخصيته[٥٦].

بجيشٍ تظلُّ الأرضُ منهُ كأنَّها على سَعةِ الأرجاءِ في الضيق خاتَمُ
كتائبُ كالبحرِ الخِضَمِّ جيادُهَا إذا ماتهادَتْ موجُهُ المتلاطِمُ

وانتقل بعدذلك إلى الملك الظاهر بيبرس ، وصوره وقد أحاطت به هذه الكتائب،وجعل النصر عبداً يخدمه، والأقاليم تحن إليه تتمنى أن يفتحها[٥٧]:

تحيطُ بمنصورِ اللواءِ مُظَفَّرٍ لهُ النصرُ والتأييدُ عبدٌ وخادمُ
مليكٌ لأبكارِ الأقاليمِ نحوَهُ حنينٌ، كذا تَهْوى الكرامَ الكرائمُ

وتحدث أيضاً عن كثرة القلاع المنيعة التي افتتحها سلماً وحرباً على الرغم من حصانتها التي لم تحل بينهما وبين مصيرها المحتوم[٥٧].

فكمَ وطئَتْ طوعاً وكرهاً جيادُهُ ... معاقلَ قُرطاها السُّها والنعائمُ

كما ألح على الجانب الديني، فصور الدين يلوذ بركن الظاهر بيبرس، وأفاد في ذلك من لقبه. وهو ركن الدين، كما أشار إلى أن للدين في كل ساعة من الظاهر بيبرس بشارة تسر الهدى، بينما تكون في الوقت نفسه للكفر مأتماً وللشيطان بكاء وحزناً[٥٨].

مليكٌ يلوذُ الدينُ مِنْ عزماتهِ ... بركنٍ لهُ الفتحُ المبينُ دعائمُ

مليكٌ لهُ بالدينِ في كل ساعةٍ ... بشائرُ للكفارِ منها مآتمُ

جلا حينَ أقذى ناظرُ الكفرِ للهدى ... ثغوراً بكى الشيطانُ وَهْيَ بواسمُ

وإضافة إلى ذلك تحدث عن تصميمه الذي لا يعرف إلا الوصول إلى هدفه مهما كلفه ذلك، وصور ذلك تصويراً جميلاً بقوله[٥٩]:

إذا رام شيئاً لم يعقْهُ لِبُعْدها ... وشقتِها عنهُ الإكَامُ الطواسمُ

فلوْ نازعَ النسرين أمراً لنالهُ ... وذا واقعٌ عجزاً وذا بعدُ حائمُ

ثم انتقل إلى وصف جيش الظاهر بيبرس وقد سالت الأرض بمواكبه المنتصرة، وأحاط الأعداء برماحه التي صارت سوراً منيعاً صلباً[٦٠]:

وسالتْ عليهمْ أرضُهُمْ بمواكبٍ ... لها النصرُ طوعٌ والزمانُ مسالمُ

أدارت بهمْ سوراً منيعاً مُشَرَّفاً ... بِسُمْرِ العوالي مالَهُ الدهرَ هادمُ

وتحدث أيضاً عن أصل هذا الجيش التركي، وصور أفراده وكيف يجمعون بين صفة الجمال في السلم وصفة الشجاعة في الحرب[٦١]:

مِن التركِ أمَّا في المغاني فإنَّهُمْ ... شموسٌ وأما في الوغى فضراغمُ

ومع ذلك فإن جيشهم إنما يظهر على أعدائهم بفضل قائدهم الملك الظاهر بيبرس[٦٢]:

غدا ظاهراً بالظاهرِ النصرُ فيهمُ ‌‌ ‌‌ تبيدُ الليالي والعدى وهوَ دائمُ

وأخيراً صور ملوك الأعداء وأمراءهم في نهاية هذه المعركة أذلة قد غدت أموالهم غنائم للمسلمين(٦٣):

فكم حاكمٍ منهمْ على ألفِ دارعٍ ‌‌ ‌‌ غدا حاسراً والرمحُ في فيهِ حاكمُ

وكم مَلِكٍ منهمْ رأى وَهْوَ مُوثَقٌ ‌‌ ‌‌ خزائنَ مايحويهِ وَهْيَ غنائمُ

وختم قصيدته هذه بتهنئة الظاهر بيبرس ووصفه بأنه ملك الإسلام الذي غدت أيام نصره على أعدائه مواسم وأعياداً للمسلمين، والذي بذل روحه الغالية رخيصة في سبيل الله(٦٤):

فياملكَ الإسلامِ يامَنْ بنصرهِ ‌‌ ‌‌ على الكفرِ أيامُ الزمانِ مواسمُ

تهنَّ بفتحٍ سار في الأرض ذكرهُ ‌‌ ‌‌ سُرى الغيثِ تَحْدُوهُ الصَّبا والنعائمُ

بذلْتَ لهُ في اللهِ نفساً نفيسةً ‌‌ ‌‌ فوافاك لا يثنيهِ عنكَ اللوائمُ

ثم تحدث عن نتائج هذه المعركة، وكيف أدت إلى استسلام الحصون التي كانت عاصية، والتي حلم بفتحها ملوك الأرض ولكنهم لم يستطيعوا إليها سبيلاً، وختم أبيات قصيدته هذه بدعائه لله تعالى أن تستمر انتصارات بيبرس على الكفر دائماً(٦٥):

ولَّما هزمْتَ القومَ ألْقَتْ زمامَهَا ‌‌ ‌‌ إليكَ الحصونُ العاصياتُ العواصمُ

ممالكُ حاطَتْهَا الرماحُ فكم سَرَتْ ‌‌ ‌‌ على رجلٍ فيها الرياحُ النواسمُ

تبيتُ ملوكُ الأرضِ وهْيَ مُنَاهُمُ ‌‌ ‌‌ وليسَ بها منهمْ معَ الشوقِ حالمُ

ولولاكَ ماأومى إلى برقِ ثغرِها ‌‌ ‌‌ لعزةِ مثواهُ منَ الشامِ شائمُ

أقمتَ لها بالخيلِ سوراً كأنَّها ‌‌ ‌‌ أساورُ أضحتْ وهْيَ فيها معاصمُ

فلازلتَ منصورَ اللواءِ مُؤَيَّداً ‌‌ ‌‌ على الكفرِ ماناحَتْ وأبكَتْ حمائمُ

وتحدث شاعر آخر عن أصل الظاهر بيبرس التركي، وجعله أسد الترك وركنهم الذي أخذ الثأر من التتار بعد الخوف منهم، فقال(٦٦):

فيا أسدَ التركِ ويا ركنَهُمْ ويا آخذَ الثار بعدَ المخافهْ

وذكر هذا الشاعر أيضاً بعض أعماله العظيمة المتميزة مثل انتصاره على الأعداء، وجبره للمحتاجين، وقطعه للفرات، ثم إحيائه للخلافة العباسية(٦٧) :

كسرتَ الطغاةَ جبرْتَ العُفاةَ قطعْتَ الفراتَ وصلْتَ الخِلافَهْ

وإضافة إلى ذلك تحدث الشعراء عن سرعة انتقاله من بلد إلى بلد في سلطنته الواسعة(٦٨)، الأمر الذي كان له أثره في تثبيت أركانها وفي القضاء على الأعداء، وقد وصف ذلك أحد الشعراء بقوله(٦٩):

يوماً بمصرَ ويوماً بالشآمِ ويو ماً بالفراتِ ويوماً في قُرى حلبِ

ووصف أيضاً اتساع سلطنته وحسن تدبيره لها، فقال(٧٠) :

تدبِّرُ الملكَ مِنْ مصرٍ إلى يَمَنٍ إلى العراقِ وأرضِ الرومِ والنُوبِ

ولعل هذا هو الذي جعل محيي الدين بن عبد الظاهر يخاطبه بأنه ملك الأرض، وذلك عندما هنأه بفتحه لعكار سنة ٦٦٩ الذي كان له عزاء عن استعصاء عكا عليه(٧١):

يا مليكَ الأرضِ بُشرا كَ فقدْ نلتَ الإرادهْ
إن عكّار يقيناً هوَ عكّا وزيادهْ

وجعل الشريف محمد بن رضوان الناسخ ينعته بأنه مالك الدنيا(٧٢):

ما الظاهرُ السلطانُ إلاّ مالكُ الـ ـدنيا بذاكَ لنا الملاحمُ تُخبِرُ

وتحدث الشعراء أيضاً عن حسن معاملة الظاهر بيبرس لأمرائه وجنده

وكثرة عطائه لهم، الأمر الذي كان يدفعهم لبذل أقصى ما يستطيعون في جهاد الأعداء، والأبيات التالية تصور تمليكه الأراضي المفتوحة للأمراء المجاهدين بعد فتح قيسارية عام ٦٦٣[٧٣] :

فتىً جعلَ البلادَ مِنَ العطايا   فأعطى المدنَ واحتقرَ الضياعا
سمعنا بالكرامِ وقدْ أرانا   عياناً ضعفَ ما فعلوا سماعا
إذا فعلَ الكرامُ على قياسٍ   جميلاً كانَ ما فعلَ ابتداعا

وأما بالنسبة إلى الرعية فلقد أبطل الظاهر بيبرس ما كان قد أحدثه الملك المظفر قطز من ضرائب، وأقام العدل بينهم، فضج الناس له بالدعاء، ومالت إليه قلوبهم، فقال أحد الشعراء في ذلك[٧٤] :

لمْ يبقَ للجورِ في أيامكُمْ أثرٌ   إلا الذي في عيونِ الغيدِ مِنْ حَوَرِ

وإضافة إلى ذلك كان الظاهر بيبرس شديداً في قضائه على المنكرات التي كانت منتشرة في بداية سلطنته كالخمر والحشيش وغيرهما[٧٥]، فجعل الحد على ذلك القتل، ونفذ ذلك عندما أمسك ابن الكازروني وهو سكران، فأمر بصلبه وفي حلقه جرة خمر، وجعله عبرة لغيره، ووصف ذلك الحكيم شمس الدين بن دانيال[٧٦]، في قوله[٧٧] :

لقدْ كانَ حدُّ السكرِ منْ قبلِ صلبِهِ   خفيفَ الأذى إذْ كانَ في شرعِنا جَلْدَا
فلما بدا المصلوبُ قلتُ لصاحبي   ألا تُبْ فإنَّ الحدَّ قَد جاوزَ الحدَّا

ولا تخفى التورية في الشطر الأخير.

وتحدث عن ذلك أيضاً أبو الحسين الجزار[٧٨]، في قوله[٧٩]:

قدْ عُطِّلَ الكُوبُ مِنْ حبابِهْ   وأُخْلِيَ الثغرُ مِنْ رضابِهْ
وأصبحَ الشيخُ وَهْوَ يبكي   على الذي فاتَ مِنْ شبابِهْ

وصور ابن دانيال مدى جدية تطبيق قرار منع الخمر والحشيش وهيبة الظاهر التي تجاوزت الإنس الى الجن تصويراً طريفاً في قوله[٨٠]:

نهى السلطانُ عنْ شُرْبِ الحُمَيَّا ... وصيَّرَ حدَّهَا حدَّ اليماني
فما جسرَتْ ملوكُ الجنِّ خوفاً ... لأجلِ الخمرِ تدخلُ في القناني

وينبغي ألا نفهم من هذا اعتراض هؤلاء الشعراء على ذلك، وإنما الذي أرجحه أنهم قالوا ذلك تدفعهم روح الدعابة، والذي يرجح ذلك قول ناصر الدين بن النقيب[٨١]، الذي صور أثر ذلك على إبليس، وكيف قرر مغادرة السلطنة المملوكية إلى غيرها[٨٢]:

منعَ الظاهرُ الحشيش معَ الخمـ ... ـرِ فولَّى إبليسُ مِنْ مصرَ يسعى
قال مالي وللمقامِ بأرضٍ ... لمْ أُمَتَّعْ فيها بماءٍ ومرعى

وقول ابن المُنَيِّر[٨٣]، في ذلك أيضاً مخاطباً الظاهر بيبرس[٨٤]:

ليسَ لإبليسَ عندنا أربُ ... غيرُ بلادِ الأميرِ مأواهُ
حرَّمْتَهُ الخمرَ والحشيشَ معاً ... حرَمْتَهُ ماءَهُ ومرعاهُ

ويرجح ذلك أيضاً تناول ابن دانيال لهذا الموضوع بأسلوب قصصي فيه روح الدعابة والإضحاك واضحة بجلاء[٨٥]، وختم قصته بقصيدة صور فيها إبليس قد مات، وخلا منه الربع، فاستقامت الأمور، وصلحت، وأريقت الخمر، وكسرت أوانيها، كما تحدث عن الخلعاء ومواقفهم من ذلك فقال[٨٦]:

ماتَ ياقومُ شيخُنا إبليسُ ... وخلا منه ربعُهُ المأنوسُ
هو لو لم يكن كما قلتُ ميْتاً ... لمْ يُغَيَّرْ لأمرهِ ناموسُ
أينَ عيناهُ تنظرُ الخمرَ إذْ عُطِّـ ... ـلَ منها الراووقُ والمحريسُ
ومواعينُها تُكَسَّرُ والخمَّـ ... ـارُ مِنْ بعدِ كسرِهَا محبوسُ
وذوو القصفِ ذاهلونَ وقد كا ... دَتْ على سيلِها تسيلُ النفوسُ

كَمْ خليعٍ يقولُ ذا اليومُ يومٌ … مثل ما قيلَ قَمْطَرِيرٌ عبوسُ
وفتى قائلٍ لقدْ هانَ عندي … بعدَ هذا في شُرْبِها التجريسُ

وتحدث ابن دانيال أيضاً في هذه القصيدة عن قلع الحشيش وحرقه، فقال(٨٧):

أينَ عيناهُ والحشائشُ يُحْرَقْـ … ـنَ بنارٍ تُراعُ منها المجوسُ
قَلَعُوها منَ البساتينِ إذْ ذا … كَ صغاراً خضراءَ وهْيَ عروسُ

كما تكلم عما آلت إليه أمور البغاء وأهله بالطريقة نفسها(٨٨)، وطلب من هؤلاء جميعاً الرحيل من هذه البلاد، لأنها بلاد عفاف، فلا مقام لهم فيها بقوله(٨٩):

ارحلوا هذهِ بلادُ عفافٍ … وسعودُ الخلاعِ فيها نحوسُ

ولم يجد أحد الشعراء الذين أضرت بهم هذه الإصلاحات إلا أن يستنجد بإبليس، ويستنهضه، ويطلب منه أن يحتال ليعيد الخمر والمعاصي إلى ما كانت عليه(٩٠):

الخمرُ يا إبليسُ إنْ لم تقمْ … وتُوسِعُ الحيلةَ في ردِّهَا
لأنفَقَتْ سوقُ المعاصي ولا … أفلحْتَ يا إبليسُ مِنْ بعدِهَا

وإضافة إلى ما سبق ذكره من إصلاحات اجتماعية أخلاقية عُني الظاهر بيبرس بالحياة الفكرية والثقافية والدينية، فبنى المدارس في نواحي بلاد سلطنته، ومنها المدرسة الظاهرية بالقاهرة التي لم يأذن بالشروع في بنائها إلا بعد أن رتب لها وقفها الذي يضمن لها الإيراداتِ المالية اللازمة لاستمرارها، كما أمر ألا يستعمل فيها أحد بغير أجرة، ولا ينقص من أجرته شيء. ثم افتتحها عام ٦٦٢هـ بعدما تم بناؤها، وزودت بخزانة كتب تشتمل على

أمهات الكتب في سائر العلوم وبنى بجوارها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، وأجرى لهم الجرايات والكسوة[٩١]، وكان افتتاحها باحتفال رسمي حضره العلماء والقراء والمحدّثون والمدرسون والشعراء، وقررت فيه الدروس، وأقيمت المناظرات وأنشدت القصائد، ثم مُدَّتْ الأسمطة، فأكل الحاضرون ولقد كان أبو الحسين الجزار حاضراً ذلك، فوصفه قائلاً[٩٢]:

ألا هكذا يبني المدارسَ مَنْ بنى ... وَمَنْ يتغالى في الثوابِ وفي الثنا
لقدْ ظهرَتْ للظاهرِ الملْكِ همَّةٌ ... بها اليومَ في الدارينِ قدْ بلغَ المُنى
تجمَّعَ فيها كلُّ حُسْنٍ مفرَّقٍ ... فراقَتْ قلوباً للأنامِ وأعْيُنَا

وكذلك حضر السراج الوراق هذا الاحتفال فوصفه، وتحدث عن حب الظاهر بيبرس للعلم والعلماء، وقارن هذه المدرسة بالمدرسة النظامية الشهيرة وفضلها عليها نظاماً، كما فضل الملك الظاهر على غيره من الملوك، وذكر حسنها وجمال محرابها وكرم بيبرس، فقال[٩٣]:

مليكٌ لهُ في العلمِ حبٌ وأهلِهِ ... فللهِ حبٌ ليسَ فيهِ مَلامُ
فشيَّدَها للعلمِ مدرسةً غدا ... عراقٌ إليها شَيِّقٌ وشآمُ
ولا تذكرنْ يوماً نظاميّةً لها ... فليس يُضاهي ذا النظامَ نظامُ
ولا تذكرنْ مَلْكاً فبيبرسُ مالكٌ ... وكلُّ مليكٍ في يديهِ غلامُ
ولمّا بناهَا زعزعَتْ كلَّ بيعةٍ ... متى لاحَ صبحٌ ما استقرَّ ظلامُ
وقدْ برزَتْ كالروضِ في الحسنِ أنبأتْ ... بأنَّ يديْهِ في النوالِ غَمَامُ
ألَمْ ترَ محراباً كأنَّ أزاهراً ... تفتَّحَ عنهنَّ الغداةَ كِمامُ

وتحدث في هذه المناسبة أيضاً جمال الدين يوسف بن الخشاب، فنوَّهَ بفضل الظاهر بيبرس، وبتفوقه على الملوك والخلفاء، وبفضل أمرائه وجنوده، ثم تحدث عن المدرسة الظاهرية وعلمائها، ودعا له بالبقاء والخلود وعلى حاسديه بالفناء(٩٤):

قصد الملوكُ حماكَ والخلفاءُ ... فافخرْ فإنَّ محلَّكَ الجوزاءُ
أنتَ الذي أُمراؤُهُ بينَ الورى ... مثلُ الملوكِ وجندُهُ أمراءُ
ملكٌ تزيَّنَتِ الممالكُ باسمِهِ ... وتجمَّلتْ بمديحهِ الفصحاءُ
وترفَّعَتْ لعلاهُ خيرُ مدارسٍ ... حلَّتْ بها العلماءُ والفضلاءُ
يبقى كما يبقى الزمانُ وملْكُهُ ... باقٍ لهُ ولحاسديهِ فَنَاءُ
دامتْ لهُ الدنيا ودامَ مخلَّدا ... ما أقبلَ الإصباحُ والإمساءُ

وبعدما أنشد الشعراء قصائدهم أفيضت الخلع، وكان يوماً مشهوداً(٩٥).

وفضلاً عن ذلك شملت إصلاحات الظاهر بيبرس السلطة القضائية، فجعل عام ٦٦٣هـ في مصر قاضياً لكل مذهب من المذاهب الإسلامية الأربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، وكان لا يقضي بها قبل ذلك سوى قاض شافعي فقط، وسر الناس بذلك، وعبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله(٩٦):

لقد سرَّنا أن القضاةَ ثلاثةٌ ... وأنكَ تاجَ الدينِ(٩٧) للقومِ رابعُ
فلا عجبٌ أنْ وسَّعَ اللهُ في الهدى ... مذاهبَنَا بالعلمِ فالشرعُ واسعُ
تفرَّقتِ الآراءُ والدينُ واحدٌ ... وكلٌّ إلى رأيٍ منَ الحقِ راجعُ
فهذا اختلافٌ صارَ للناسِ رحمةً ... كما اختلفتْ في الراحتينِ الأصابعُ
فكمْ رُخَصٍ أبدَوْا لنا وعزائمٍ ... هُدِينَا بها فهْيَ النجومُ الطوالعُ
بهمْ بُنْيَةُ الإسلامِ صحَّتْ وكيفَ لا ... تصحُّ وهُمْ أركانُها والطبائعُ

ومثلما رافق الشعر الظاهر بيبرس في حياته الحافلة بالأعمال الجليلة،رافقه أيضاً إلى مثواه الأخير، ورثاه بعد وفاته في دمشق في ٢٨ من المحرم عام ٦٧٦هـ[٩٨]، وإن اختلف مستوى الرفقة. فهذا محيي الدين بن عبد الظاهر قد وصف فداحة الخطب الذي لا يستطيع القلب أن يتحمله، ولا الصبر الجميل أن يحيط به، لأنه مصيبة تنوء بحملها الجبال، فقال[٩٩]:

ما مثلَ هذا الرزءِ قلبٌ يحمِلُ   كلا ولا صبرٌ جميلٌ يجمِلُ
اللهُ أكبرُ إنَّها لمصيبةٌ   منها الرواسي خيفةً تتقلقلُ

ثم تحدث عن مآثره التي كانت بها تطيب الدنيا، وعن مننه التي كانت تطوق أعناق الجميع، وعن آرائه الصائبة وعزائمه القوية[١٠٠] :

لهفي على الملكِ الذي كانت به الـ   ـدنيا تطيبُ فكلُّ قفرٍ منزلُ
الظاهرُ السلطانُ مَنْ كانَتْ لهُ   مِنَنٌ على كلِّ الورى وتَطَوُّلُ
لهفي على آرائِه تلكَ التي   مثلُ السهامِ إلى المصالحِ تُرْسَلُ
لهفي على تلكَ العزائمِ كيف قدْ   غفلَتْ وكانت قبل ذا لا تغفلُ

وبعدذلك انتقل إلى تصوير أثر موته على الرماح التي كانت ترافقه في جهاده[١٠١]:

ما لِلرماحِ تخوَّلَتْها رعدةٌ   لكنَّها إذْ ليسَ تَعْقِلُ تعقلُ

كما تحدث أيضاً عن موته، وكيف كان سهماً أصاب مقاتل القلوب جميعها، ولم ير له مثيل من قبل[١٠٢]:

سهمٌ أصابَ وما رُئي مِنْ قبلِهِ   سهمٌ لهُ في كلِّ قلبٍ مَقْتَلُ

ودفن الظاهر بيبرس في المدرسة الظاهرية بدمشق، ولما تزل إلى الآن قائمة معروفة باسم المكتبة الظاهرية الشهيرة، وكذلك لما يزل قبره معروفاً فيها واضح المعالم[١٠٣]. وكانت هذه المدرسة من قبل داراً لرجل اسمه (العقيقي)، فاشتراها ابن الظاهر بيبرس الملك السعيد، وأمر أن تغير معالمها، وتبنى مدرسة للشافعية والحنفية[١٠٤]. وقد ذكر ذلك محيي الدين بن عبد الظاهر أيضاً في قوله[١٠٥]:

صاحِ هذا ضريحُهُ بينَ جفنيَّ م فزوروا مِنْ كلِّ فجٍ عميقِ
كيفَ لا وهْوَ منْ عقيقِ جفوني دفنوهُ منها بدارِ العقيقي

ولا شك في أن ما قيل في رثائه، أو ما وصلنا منه أقلُّ من القليل، ولا يتناسب مع كونه خير ملوك الترك على الإطلاق[١٠٦] . إذ لم يصل إلينا من رثائِه سوى ما قاله محيي الدين بن عبد الظاهر، الأمر الذي يدل على إخلاص ابن عبد الظاهر ووفائه، ولكنه في الوقت نفسه يدعونا إلى أن نتساءل: ألم يرثه أحد من الشعراء غير ابن عبد الظاهر؟ وإن كان بعضهم قد رثاه فأين شعره؟ ولعلي أستطيع أن أعلل هذا بضياع هذا الرثاء مع غيره من الشعر الذي ضاع أو إلى خوف الناس من كبار أمراء المماليك الذين كانوا يطمعون بالسلطنة من جانب آخر، وعندما يصلون إليها فلن يرحموا أتباع الظاهر بيبرس والمخلصين له، أو على الأقل سيحرمونهم من وظائفهم أو عطاياهم. وربما يعترض على هذا الزعم معترض قائلاً: إن ابنه الملك السعيد محمد قد تولى السلطنة بعده. فأقول: هذا صحيح، ولكنه عندما تولى السلطنة كان صغيراً في الثامنة عشرة من عمره، وكثير من الناس ومن الشعراء كانوا يرجحون أن أمراء أبيه لن يمكنوه من الاستمرار في السلطنة، إن لم أقل إنهم كانوا متأكدين من ذلك، لما عرف من طيشه، ولما عرف من

طمعهم بالسلطنة، ولقد تحقق ذلك، إذ أجبروه على التنازل عن السلطنة بعد مدة وجيزة لأخيه الصغير سلامش الذي سرعان ما عزله أتابك العسكر قلاوون بعد أشهر قليلة من سلطنته[١٠٧].

والحقيقة أن هذا الشعر الذي وصل إلينا في الملك الظاهر بيبرس لم يوفه حقه، بل ولا جزءاً صغيراً من هذا الحق ولقد صدق القائل فيه بعد موته[١٠٨]:

تاريخُهُ في الملوكِ أضحى يحيِّرُ العربَ والأعاجمْ
فاكتبْهُ بالتبْرِ لا بِحِبْرٍ واعجبْ لأخبارِهِ العظائمْ
اختارَهُ اللهُ مِنْ إمامٍ لقمعِ أهلِ الفسادِ صارمْ
قدْ أظهرَ العدلَ في الرعايا وأبطلَ الجَوْرَ والمظالمْ

ولقد كان جديراً بشاعر كالمتنبي أو أبي تمام أو غيرهما من الفحول يستطيع أن يوفيه حقه. ولكن لكل عصر شعراءه الذين يعيشون فيه، ويتأثرون بما فيه، ويدورون في فلكه، ويسمهم بميسمه. ومهما حلقوا فإن لقدرتهم على الطيران حدوداً لا يستطيعون تجاوزها من جهة، وإن لهم جمهورَهم وقيَمَه الفنية التي تفرض عليهم مسارهم وكيفية إبداعهم من جهة أخرى. وذلك لأنهم يقولون أشعارهم لجمهور عصرهم الذي لن يستحسنه إلا إذا كان موافقاً لما يريد ويستحسن من قيم فنية ومثل أدبية.

ومع ذلك كله فإن في هذا الشعر الذي تحدث عن الظاهر بيبرس خيراً كثيراً، ولا سيما إذا نظرنا إليه من خلال القيم الفنية والمثل الأدبية، التي كانت سائدة في ذلك العصر. ولقد وفق إلى حد كبير في أن يرسم صورة مشرقة واضحة - وإن كانت غير كاملة - لجوانب عدة من جوانب شخصية بطل شامخ من أبطال أمتنا، استطاع أن يغير وجه التاريخ، وأن يرد التتار على أدبارهم

خاسـرين، وأن يسهم إسـهاماً حـاسماً في إسـدال الستار على الفصل الأخـير من فصول الحروب الصليبية الوحشية، وأن يمد في عمر الخلافة العباسية العربية مايزيد على قرنين ونصف من الزمن، وأن يقوم بأعمال جليلة في جميع المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية والثقافية وغير ذلك من المجالات.

الهوامش

(١) لقب نفسه أولاً بالملك القاهر، فقيل له: إن هذا اللقب لا يفلح من يلقب به ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر. (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٦).

(٢) بيبرس، بكسر الباء الأولى، وسكون الياء، ثم فتح الباء الثانية، وسكون الراء والسين. ومعناه باللغة التركية أمير فهد (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤). وضبط الاسم بفتح الباء الأولى في دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦، وفي كتاب الأعلام للزركلي من غير إشارة إلى مصدر. لذلك أرجح الضبط الأول الوارد في النجوم الزاهرة.

(٣) نسبة إلى الأمير الذي اشتراه، وهو علاء الدين أيدكين البندقدار (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤). والبندقدار: حامل كيس البندق خلف السلطان أو الأمير (العصر المماليكي في مصر والشام ٤٢٠).

(٤) نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب السلطان الأيوبي الذي صادره من أيدكين البندقدار (سمط النجوم العوالي ٤/ ١٨).

(٥) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤.

(٦) العبر في أخبار من غبر ٥/ ٣٠٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٤ ودائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦.

(٧) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٥.

(٨) بكسر القاف وسكون الباء، وضبط القلقشندي القاف بالفتح (النجوم الزاهرة ٧/ ٩٤).

(٩) النجوم الزاهرة ٧/ ٩٥ - ٩٦.

(١٠) نسبة إلى بحر النيل، لأن السلطان الصالح أيوب اختار لهم جزيرة الروضة وسط النيل لتكون لهم مستقراً (العصر المماليكي ٥).

(١١) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦.

(١٢) سمط النّجوم العوالي ٤/ ١٨.

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٦ - ٤٨٧.

(١٤) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠١.

(١٥) البداية والنهاية ٧/ ٢٣٤.

(١٦) دولة الظاهر بيبرس ٤٠، دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٧.

(١٧) تتمة المختصر ٢/ ٢٩٧.

(١٨) دولة الظاهر بيبرس في مصر ٤١.

(١٩) العصر المماليكي ٣٧.

(٢٠) دولة الظاهر بيبرس في مصر ٤١.

(٢١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠١- ١٠٢.

(٢٢) العصر المماليكي ٣٩.

(٢٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٠٢.

(٢٤) بدائع الزهور ١/ ٣٠٨.

(٢٥) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٧.

(٢٦) العبر في خبر من غبر ٥/ ٣٠٨.

(٢٧) تاريخ المماليك البحرية ٤٨.

(٢٨) لا أجد مجالاً للحديث عنها في هذا البحث، ويكفي أن ننظر إلى ثبت المصادر والمراجع التابع لهذا البحث على سبيل المثال.

(٢٩) انظر على سبيل المثال النجوم الزاهرة ٧/ ١٩٠، ودائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٤٨٧ وما بعدها، وكتاب دولة الملك الظاهر بيبرس في مصر.

(٣٠) شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي الحنبلي (٦٤٤- ٧٢٥هـ) ولي الإنشاء في دمشق، ثم في مصر، ثم صار كاتب السر في دمشق إلى أن توفي فيها. وكان شيخ صناعة الإنشاء في عصره وإضافة إلى ذلك كان شاعراً. (فوات الوفيات ٤/ ٨٢).

(٣١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩.

(٣٢) البداية والنهاية ٧/ ٢٧٩.

(٣٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩- ١٦٠.

(٣٤) فوات الوفيات ١/ ٢٤٠.

(٣٥) النجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.

(٣٦) فوات الوفيات ١/ ٢٣٩.

(٣٧) فوات الوفيات ١/ ٢٣٨.

(٣٨) قال الله تعالى في سورة الكهف ٩٧: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾.

(٣٩) ناصر الدين الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن المعروف بابن النقيب النفيسي (... – ٦٨٧ هـ) شاعر قاهري من شعراء مذهب التورية (فوات الوفيات ١/ ٣٢٤).

(٤٠) البداية والنهاية ٧/ ٢٧٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦٠.

(٤١) بدر الدين يوسف بن سيف الدولة بن زماخ الحمداني، مهمندار العرب، (٠٠٠ بعد ٦٨٠ هـ) شيخ متجند، له شعر جيد. (فوات الوفيات ٤/ ٣٤٩).

(٤٢) فوات الوفيات ٤/ ٣٤٩.

(٤٣) فوات الوفيات ٤/ ٣٥٠.

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) فوات الوفيات ٤/ ٣٥١.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) المصدر نفسه.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) النجوم الزاهرة ٧/ ١٥٩.

(٥٠) استخرجته بوساطة الحاسوب.

(٥١) النجوم الزاهرة ٧/ ١٦٨.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٨.

(٥٤) تأثر الشاعر هنا بمطلع قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، وهو:

كذا فليجِل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(ديوان أبي تمام ٦٧٠) .

(٥٥) وتأثر في قصيدته هذه بسيفية المتنبي التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

(ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣/ ٣٧٨).

(٥٦) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٨.

(٥٧) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٠.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٩.

(٦١) المصدر نفسه.

(٦٢) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧١.

(٦٣) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٠.

(٦٤) ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٨٠.

(٦٥) المصدر نفسه.

(٦٦) بدائع الزهور ١/ ٣١٤.

(٦٧) المصدر نفسه.

(٦٨) انظر دائرة المعارف ٨/ ٤٨٩.

(٦٩) بدائع الزهور ١/ ٣٣٢.

(٧٠) السلوك ١/ ٦٣٨.

(٧١) المختصر في أخبار البشر ٧/ ١٠.

(٧٢) فوات الوفيات ١/ ٤٠٦.

(٧٣) السلوك ١/ ٥٣١.

(٧٤) بدائع الزهور ١/ ٣١١.

(٧٥) انظر السلوك ١/ ٥٥٣.

(٧٦) شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي الحكيم (٦٤٧- ٧١٠هـ) كان فاضلاً أديباً ذا نظم حلو ونثر عذب ونوادر عجيبة، له كتاب طيف الخيال، وكان له دكان كحل في القاهرة. (فوات الوفيات ٣/ ٣٣٠).

(٧٧) بدائع الزهور ١/ ٣٤٣.

(٧٨) أبو الحسين الجزار، يحيى بن عبد العظيم (٦٠٣ - ٦٧٩ هـ) شاعر مصري مشهور

من شعراء مذهب التورية، وكان زميلاً للسراج الوراق، وأصله جزار، والجزارة مهنة أهله، ولكنه تأدب ونجح في ذلك. (فوات الوفيات ٤/ ٢٧٨).

(٧٩) السلوك ١/ ٥٥٤.

(٨٠) فوات الوفيات ١/ ٢٤٦.

(٨١) مرت ترجمته من قبل [برقم (٣٩)، وانظر تعليق صاحب الاعلام في هامش ترجمته ٢ : ١٩٣ ، ٨: ٤٧ / المجلة] .

(٨٢) فوات الوفيات ١/ ٢٤٥.

(٨٣) هو القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد قاضي الإسكندرية (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ) كان عالماً فاضلاً أديباً خطيباً شاعراً. قال عنه العز بن عبد السلام: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها. ابن المنير بالإسكندرية، وابن دقيق العيد بقوص. (فوات الوفيات ١/ ١٤٩).

(٨٤) فوات الوفيات ١/ ٢٤٥.

(٨٥) انظر بدائع الزهور ١/ ٣٢٦ وما بعدها .

(٨٦) بدائع الزهور ١/ ٣٢٧.

(٨٧) المصدر نفسه.

(٨٨) بدائع الزهور ١/ ٣٢٨.

(٨٩) المصدر نفسه.

(٩٠) فوات الوفيات ١/ ٢٤٦.

(٩١) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٢) السلوك ١/ ٥٠٤.

(٩٣) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٤) المصدر نفسه.

(٩٥) خطط المقريزي ٢/ ٣٧٩.

(٩٦) بدائع الزهور ١/ ٣٢١ - ٣٢٢.

(٩٧) أي تاج الدين بن بنت الأعز قاضي الشافعية.

(٩٨) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٥.

(٩٩) بدائع الزهور ١/ ٣٣٩.

(١٠٠) المصدر نفسه.

(١٠١) المصدر نفسه.

(١٠٢) المصدر نفسه.

(١٠٣) زرته ورأيته بنفسي كما زرت المدرسة الظاهرية أو المكتبة الظاهرية كما تسمى اليوم.

(١٠٤) النجوم الزاهرة ٧/ ١٧٦.

(١٠٥) فوات الوفيات ١/ ٢٤١.

(١٠٦) بدائع الزهور ١/ ٣٤٢.

(١٠٧) تتمة المختصر ٢/ ٣٢٤.

(١٠٨) بدائع الزهور ١/ ٣٤٢.

المصادر والمراجع

- ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

- ابن تغري بردي: يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م.

- ابن شاكر: محمد الكتبي، فوات الوفيات ت: ، إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م.

- ابن كثير: أبو الفداء الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، ت: أبو ملحم وزملائه، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

- ابن الوردي: عمر بن المظفر، تتمة المختصر في أخبار البشر، ت: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٠م.

- أبو تمام: شرح ديوان أبي تمام، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١م.

- أبو الفداء: إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، دار الكاتب اللبناني، بيروت ١٩٦٠م.

- حسن: علي إبراهيم، تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧م.

- حمزة: عبد اللطيف، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، دار الفكر الغربي ١٩٦٨م.

- الذهبي: محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، ت: صلاح الدين المنجد، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ١٩٦٦م.

- الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤م.

- سرور: محمد جمال الدين، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٠م.

- عاشور: سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م.

– العصامي: عبد الملك بن حسين المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٠هـ.

– المتنبي: أبو الطيب أحمد، بن الحسين، ديوان المتنبي بشرح العكبري، ضبطه وصححه السقا والأبياري وشلبي، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨م.

– المقريزي: أحمد بن علي، خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، طبعة مصورة عن طبعة دار الطباعة المصرية بالقاهرة ١٢٧٠هـ مكتبة المثنى ـ بغداد.

– السلوك لمعرفة دول الملوك: صححه وضبط حواشيه محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٧م.

– اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٩٦٠م.

– دائرة المعارف الإسلامية: إعداد وتحرير خورشيد والشنتناوي ويونس، القاهرة طبعة كتاب الشعب.

نظرات في كتاب
ما اتفق لفظه واختلف معناه
لابن الشجري أبي السعادات هبة الله بن علي (ت ٥٤٢هـ)

الدكتور محمّد أحمد الدّالي

الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي العلويّ الحسني المعروف بابن الشجري(*) (ت ٥٤٢ هـ) من جِلَّة أئمة العربية في المئة السادسة. نُشر من آثاره «الأمالي»[١] و «الحماسة»[٢] و «مختارات شعراء العرب»[٣].

ورابع هذه الآثار «ما اتفق لفظه واختلف معناه»، وقد حظي بعناية الدكتور عطية رزق، وهو الجزء ٣٤ من النشرات الإسلامية التي يشرف عليها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت، وطبع بدار المناهل ببيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

ولم ينته إلينا من هذا الكتاب إلا نسخة يتيمة محفوظة في مكتبة برلين برقم (٣١٤٢)، وعِدَّة أوراقها ١٤٩ ورقة، وقد سقط منها الكراسة السادسة التي فيها بقية باب الراء وباب الزاي وأول باب السين (مقدمة المحقق ز).

جمع ابن الشجري في كتابه ١٦٧٠ لفظ مما اتفق لفظه واختلف معناه، وهو أجلُّ ما انتهى إلينا في بابه[٤] وأوسعه. قال مؤلفه يبيِّن منهجه فيه (ص ١):

هذا كتاب جمعتُ فيه من الكلم العربية ما وجدته مبدَّداً في الكتب

اللغوية مما اتفق لفظاً واختلف معنى، وأضفت إليه ذكر الشواهد عليه من الكتاب العزيز والشعر القديم وكلام الرسول عليه السلام وصحابته عمَّهم الله بالرضوان، وجعلته أبواباً كل باب منها في ضمن حرف من حروف المعجمة [كذا] ليتناول الكلمة طالبها من بابها».

بذل الدكتور المحقق جهداً عظيماً في قراءته في مخطوطته اليتيمة وفي التعليق عليه. فعارض مادة الكتاب ببعض المعجمات المطبوعة، وخرَّج ما عرف مصدره من أقوال اللغويين، وخرّج الآيات والأحاديث والأشعار، وصنع له الفهارس المفصلة. على أنها خلت من فهرس ما انفرد به الكتاب من مواد لغوية وفهرس المسائل النحوية اللذين ذكر المحقق في مقدمته (م) أنه صنعهما، وهما أعظم نفعاً للمعنيين باللغة والعربية من غيرهما، وهم إليهما في حاجة شديدة.

أمران تنبهت عليهما خلال قراءتي للكتاب:

أولهما: كثرة نقل ابن الشجري من «المجمل» لابن فارس وتعويله عليه في جمع مادة كتابه، سواء أصرَّح بنقله منه أو عن صاحبه أم لم يصرح. وسيأتي ذكر ذلك خلال المقالة (انظر ما يأتي برقم ١٤، ١٦، ١٩، ٢٢، ٢٣)

وثانيهما: نقل علم الدين السخاوي في كتابه «سفر السعادة وسفير الإفادة» من كتاب ابن الشجري. فقد صرَّح السخاوي بنقله عن ابن الشجري ولم يسمِّ الكتاب، قال في (سفر السعادة) (ص ٩١٨): «قال شيخ شيخنا أبو السعادات ...» هو أبو السعادات ابن الشجري شيخ أبي اليمن الكندي شيخ السخاوي، فنقل السخاوي كلام ابن الشجري في «عنقاء مغرب» من كتابه هذا ص ٢٥٩. وكنى عنه بـ «بعض علمائنا» في سفر السعادة (ص ١٠٠٧) ونقل كلامه في قول أبي تمام:

ليـالينـا بـالرَّقْمَـتـين وأهلَهـا   سقى العهدَ منك العهد والعهد والعهدُ

وكلام ابن الشجري في كتابه هذا ص ٢٤٧.

وعوَّل السخاوي في كثير مما ذكره مما اتفق لفظه واختلف معناه خلال تفسيره لقصيدته «ذات الحُلَل ومَهَاة الكِلَل» (سفر السعادة ٨٧٨ ـ ١٠٧٩) على كتاب ابن الشجري هذا، انظر كلامه على الألفاظ الآتية:

اللفظ	سفر السعادة وسفير الإفادة	ماااتفق لفظه واختلف معناه
الكنتي	٩١٥	٢٤٤
النصر	٩٢٨	٤٢٥ ـ ٤٢٦
العرارة	٩٣٤	٢٥٠
العقدة	٩٤٨	٢٥٣
الغار	٩٥٤	٣٠٧
الديك	٩٦٧	١٥٣

ووقفت خلال قراءتي في الكتاب في غير موضع من متن الكتاب ومن حواشي المحقق وعلَّقتُ على مواضع منهما. وهذا ذكر أمثلة منها تدل على ماوراءها.

١ ـ ص ٤ س ٣ ـ ٧ «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ على الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُم أَزًّا﴾ [سورة مريم ١٩:٣٨] قال ابن دريد: تزعجهم إزعاجاً. قال ابن فارس: تغويهم. وقال أبو إسحق الزجاج: تزعجهم حتى يركبوا المعاصي. وقال أبو عبد الرحمن اليزيدي: تغويهم وتهيجهم ...».

قال المحقق في التعليق عليه: «لم يذكر ابن دريد هذا التفسير في كتاب الجمهرة ولا في الاشتقاق المطبوعين، وربما كان ذلك في نسخة من

نسخهما المخطوطة، أو قد يكون المؤلف قد خلط بين قول ابن فارس وقول ابن دريد، إذ إن هذا التفسير الذي ينسبه إلى ابن دريد قد ذكره ابن فارس في المقاييس ١/١٣ (أز) نقلاً عن أهل التفسير كما يقول. ومع ذلك فقد نقل عن ابن دريد بيتاً للشاعر رؤبة شاهداً على ذلك. هذا وما نسبه المؤلف إلى ابن فارس .... في المجمل، راجع المجمل ١/٧٩ (أ). ثم إني لم أجد تفسيراً لهذه الآية في كتاب إعراب القرآن للزجاج. غير أن التهذيب ١٣/٢٨٠ (أز) قد أورد هذا التفسير رواية عن الفراء. قارن اللسان ٧/١٧١ (أز) وراجع معاني القرآن للفراء ٢/١٧٢حيث قال: تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم بها» اهـ.

وفيما قاله المحقق في التعليق على مواضع من المتن أشياء:

أولها قوله «لم يذكر ابن دريد ... وربما كان ذلك في نسخة من نسخهما المخطوطة» وهو قول غريب فيه مجازفة. وذلك أن الجمهرة والاشتقاق لم يشتملا على كل كلام ابن دريد، فإن وجدنا له كلاماً هما مظنة له ولم يشتملا عليه جاز أن نظن أن المطبوع منهما غير تام. ومثل هذا لا يقال إلا بعد دراسة مخطوطات الكتابين. فإذا علمت أن الجمهرة طبعت عن نسخ عالية من رواية تلامذته، وهم أبو علي القالي، وأبو أسامة جنادة بن محمد الأزدي، وأبو سعيد السيرافي، وابن خالويه (انظر مقدمة تحقيق المجتنى 20 ـ 19) = صحّ عندك أن ذلك الظن ليس بشيء ولم يقم على معرفة بالكتاب. وأما الاشتقاق فليس بمظنة لتفسير ألفاظ القرآن.

والذي يمكن أن يقال هنا: لعل كلام ابن دريد في «غريب القرآن» له، ولم ينته إلينا (مقدمة تحقيق المجتنى 30).

وثانيها قوله: «أو يكون المؤلف قد خلط ... أهل التفسير كما

يقول». فلا يُقْدَمُ على توهيم المؤلف إلا بعد الوقوف على كتب ابن دريد. والذي يقال هنا: لم أجد ماذكره المؤلف فيما بين يدي من كتب ابن دريد.

وثالثها قوله «ومع ذلك نقل عن ابن دريد بيتاً للشاعر رؤبة». يريد مع ماذكره، ولا معنى له. ونقل ابن فارس بيتي رؤبة وهما بيتان من أرجوزة وكل مشطور منها بيت، وهما في الجمهرة ٥٦/١ (ط. دار العلم للملايين)

ورابعها قوله «ثم إني لم أجد تفسيراً لهذه الآية في كتاب إعراب القرآن للزجاج غير أن ...» إلى آخر كلامه. قلت: لم يقع كلام الزجاج في مطبوعة كتابه معاني القرآن و إعرابه. وقوله بعد ذلك:« غير أن التهذيب .... قد أورد هذا التفسير عن الفراء ...» غير دقيق، فما نقله ابن الشجري عن الزجاج ليس هو مما في تهذيب اللغة معزواً إلى الفراء، فالذي في التهذيب ٢٨٠/١٣: «قال الفراء: أي تزعجهم إلى المعاصي وتغريهم» وكذا في معاني القرآن للفراء ١٧٢/٢. وعبارة الزجاج: تزعجهم حتى يركبوا المعاصي.

وقول أبي عبد الرحمن اليزيدي في غريب القرآن له ١١٢.

٢ - ص ٧ آخر سطر «وجاء عن ابن عباس: أزلزلت الأَرْض أم بي أُرض. والأُرْض باطن حافر الدابة»

ضبط في الموضعين بضم الهمزة، والصواب «الأَرْض» بالفتح، انظر المعجمات (أرض)، وسفر السعادة ٩٦٦ وأغلب الظن أن السخاوي نقل عن ابن الشجري .

٣ - ص٨ س ١ - ٢ «وفي تكملة الإيضاح: الأرض: ما حول حوافر الدابة، قال:

ولم يقلِّبْ أرضَها البَيْطارُ لا لحبليه بها حَبارُ»

وعبارة أبي علي في تكملة الإيضاح له ١٣٩ ـ ولم يحل عليه المحقق ـ: وكذلك أرض الدابة لما يلي حوافرها ، قال:

ولم يقلِّب أرضَها البيطارُ»

فأنشد هذا البيت وحده. ووقع في البيت الثاني سقط، وصوابه: «ولا لِحَبْلَيْه».

٤ ـ ص ١٣ س ٣ ـ ٦ «والأبا مقصور: وجع يأخذ المعزى والضأن عن شمّ أبوال الأروى، قال:

فقلت لكنّازٍ تَرَكَّلْ فإنَّها أباً لا إِخالُ الضَّأْنَ منه نَوَاجِيا

كذا وقع، والبيت لابن أحمر، والمؤلف إنما نقل من المجمل ٨٥، والذي فيه: توكَّلْ فإنه.

أما قوله فإنها فصوابه «فإنه»

وأما تركَّل فقد وقع «توكل» كما في المجمل، في الجمهرة ١٠٩٠ (ط. دار العلم للملايين)، والمبهج ٨٥، وديوان الفرزدق (قطعة مصورة طبعت بمجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١١)، وأصل مقاييس اللغة ٤٦/١ (وجعله المحقق تركل)، والتقفية ٩٩، وأصلين من أصول الأفعال للسرقسطي ١٢٢/١، والاقتضاب ١٣٢، والتاج (أ ب و)، وليس بتصحيف كما زعم الأستاذ عبد السلام هارون فيما علقه على المقاييس

ووقع «تدكل» بالدال في الهمز لأبي زيد ٢٩، وتهذيب اللغة ١١٩/١٠ و ٦٠٤/١٥، والأفعال للسرقسطي ١٢٢/١ عن بعض أصوله، واللسان (أ ب و ، د ك ل). وقال الأزهري في التهذيب ١١٩/١٠ عقب إنشاده إياه شاهداً على تدكل: إذا تدلَّل وانبسط: «ويروى توكل، ومعناهما واحد»، ووقع في مطبوعة اللسان (د ك ل) عن هذا الموضع من التهذيب

«ويروى تركل» بالراء؟

وغيَّره جامع شعر ابن أحمر، فجعله «توقل» غير معتمد على مصدر رواه كذاك، ولم ينبّه على تغييره!!

وروي في الفصول والغايات ١٧١ «تبيّن». وروي في العين ٤١٨/٨ «تحمَّل».

ولا معنى لـ «تركل» بالراء، قال ابن فارس في المقاييس ٤٣٠/٢: «الراء والكاف واللام أصل يدل على جنس من الضرب بالرِّجْل». وأما التوكّل فقد قال فيه ١٣٦/٦: «الواو والكاف واللام أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك .... والتوكل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك». وأما «تدكل» فقد قال فيه ٢٩١/٢، «الدال والكاف واللام أُصَيْل يدل على تعظُّم، يقال: تدكّل الرجل: إذا تعظم في نفسه».

٥ ـ ص ١٣ س ٧ «الأُروى: جمع الأُروية، وهي أنثى الوعل وهو تيس الجبل» علق المحقق عليه بقوله في الحاشية(٣): لم يذكر المؤلف سوى معنى واحد لهذا اللفظ [أي الأروى] وكان المنتظر أن يأتي بمعان أخرى له حتى يتفق وعنوان الكتاب. فهل سقط شيء من الناسخ؟.

قلت: لا، لم يسقط شيء! وإنما لم يذكر المؤلف سوى معنى واحد للأُروى لأنه ليس من هذا الباب [ما اتفق لفظه واختلف معناه]، وأخطأ المحقق فجعله من هذا الباب ورقمه برقم ٢٨ من أرقام مواد الكتاب. وابن الشجري إنما فسّر لفظ «الأُروى» المذكور في الكلام الذي نقله عن المجمل من غير تصريح «عن شمّ أبوال الأروى» انظر التعليق الذي قبل هذا.

وضبط الأُروى والأُروية بضم الهمزة، والصواب «الأَرْوَى» بالفتح، «والأُرْوِيَّة» بضم الهمزة وكسرها،انظر الصحاح (روي) وغيره.

٦ ـ ص ١٤ س ١١ ـ ص ١٥ س ٧ «قال ابن دريد: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة، قال: لما فرغ أمير المؤمنين علي عليه السلام من حرب الجمل فرّق في رجال ممن أبلى خمس مئة درهم. وكان فيمن أخذ رجل من بني تميم. فلما خرج إلى صِفين خرج ذلك الرجل معه، فرجع إلى الكوفة وقد عضّته الحرب، فقالت له ابنته: أين خمس المئة؟ فقال:

إنّ أباكِ فَرَّ يَوْمَ صِفّيْنْ » الثمانية الأبيات

قال المحقق في التعليق على قول المؤلف «قال ابن دريد» : لم ترد هذه القصة لا في الجمهرة ولا في الاشتقاق لابن دريد». قلت: بل هي في الاشتقاق ص ١٣٦، وانظر سفر السعادة ٣٩ وتخريج الخبر ثمة. وروى ابن الشجري هذا الخبر في أماليه ٢/٢٦٥. ونسبت الأبيات إلى زيد بن عتاهية التميمي في اللسان وعنه في التاج (ح ر ر).

٧ ـ ص ١٥ س ٥ قول الراجز التميمي المذكور

وحاتماً يستنّ في الطائينْ

هذا خطأ مخلّ بالوزن وصوابه «الطائيّينْ». وقوله «حاتماً» كذا وقع أيضاً في أماليه، وسفر السعادة ٣٩، والذي في مطبوعة الاشتقاق «وحاجباً». وأخشى أن يكونا محرّفين، والصواب «وحابساً» كما في اللسان والتاج. وهو حابس بن سعد الطائي، كان على الرجّالة من الميسرة من اللواء في جيش معاوية، انظر شرح نهج البلاغة ٣/٣٠٢ (وفيه حابس بن سعيد)، وانظر ترجمته ومصادرها في تهذيب الكمال ٥/١٨٣ برقم ٩٩٠

٨ ـ ص ١٥ س ٧ قول الراجز التميمي المذكور:

لا خَمْسَ إلا جَنْدَلُ الإحَرِّينْ

علق المحقق بقوله «لم يرد في معجم البلدان جندل الإحرين اسماً

لموضع ما».

قلت: أنَّى له أن يظن أن جندل الإحرين اسم مكان؟! وليس هو من أسماء الأمكنة فيورده ياقوت أو غيره ممن صنف في هذا الباب.

والجندل: الحجارة، والإحرين: جمع حرة، يريد: ليس لك اليوم إلا الحجارة والخيبة، عن النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٦٥.

٩ - ص ١٥ س ٧ قول الراجز التميمي المذكور.

والخَمْسُ قَدْ أجْشَمَتْكَ الأمَرّينْ

كذا ضبطه، وهو خطأ يخل بالوزن، والأبيات من مشطور السريع، وعروضه موقوفة مخبونة «مَعُولانْ» فنقلت إلى «فَعُولانْ». وصوابه: «أجْشَمَنْكِ» وكذا كان في أصل أمالي ابن الشجري [٢/٢٦٥] فغيَّره المحقق المدقق الدكتور محمود الطناحي، فجعله «جَشَّمَنْكِ» أثبته من اللسان (ح ر ر) [وفي اللسان روايتان أخريان: تُجَشِّمُكِ، يُجشِمَنْكِ] وقال في التعليق عليه: «في الأصل أجشمنك، ولا يستقيم به الوزن» وهذا سهوٌ غريب منه على علمه وفضله، وأجشمنكِ وجشَّمنكِ سواء في الوزن والمعنى والرواية.

ووقع في كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب لأبي علي) ١٤٠ (بتحقيق الدكتور الطناحي) «يُجَشِّمُكِ» وهو خطأ مخل بالوزن، وضبطه الدكتور حسن هنداوي على الصواب(شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر ١٥٩) «يُجْشِمُكِ». وهو صواب على رواية ضبط أصلي كتاب أبي علي «الخِمْس» بكسر الخاء، وكذا ضبط في أصلي كتابه «لاخِمْسَ إلا..»، فقال الدكتور الطناحي في التعليق عليه، «وهو صحيح، مِن ورد الماء خِمْساً، ويضبط بفتح الخاء، قال الخطابي [غريب

الحديث له ٢٠٣/٢ والإحالة عليه من الدكتور الطناحي]: «والخَمْس بفتح الخاء أليقُ بمعنى الحديث، يعني الخمس المئات التي أخذوها يوم الجمل» اهـ ونقل ابن الأثير في النهاية ٣٦٥/١ كلام الخطابي بتصرف.

قلت: الصواب «لاخَمْسَ... والخَمْسُ» بفتح الخاء قولاً واحداً. وكسر الخاء خطأ ممن رواه أو ضبطه، وما لجندل الإحرّين والخِمْس بالكسر؟! وإنما أخطأ من أخطأ لأنه لم يعرف الخبر أو لم يحضره، أو لأنه لم يتأمل المعنى ولم يتنبه على أن الكلام مع كسر الخاء لامعنى له.

وضبطه الأستاذ عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ في وقعة صفين ١٦٩ «يجشّمك» مع ضبطه «والخَمْس» بالفتح، وهو خطأ مخل بالوزن وصوابه «تُجْشِمُكِ».

١٠ ـ ص ٦٠ س ١٠ ـ ١١ «وقرأ بعض أصحاب الشواذ ﴿إنَّ الباقِرَ تَشابَهُ علينا﴾ [سورة البقرة ٢: ٧٠] بضم الهاء لأنه أراد تتشابه.

لم يعلق المحقق على القراءة. وقراءة الجمهور ﴿إنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ علينا﴾. والقراءة التي ذكرها المؤلف ـ وهي «الباقر» و «تشَابَهُ» بالتاء وبالشين المخففة وبضم الهاء ـ لم أجدها. والذي وجدته ﴿إن الباقر يَشّابَهُ﴾ بالياء وتشديد الشين وضم الهاء، وهي قراءة عزيت إلى محمد ذي الشامة في مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٧، والكشاف ٢٨٨/١، وعزيت إلى يحيى بن يعمر في إعراب القرآن للنحاس ٢٣٦/١ وعزا أبو حيان في البحر ٢٥٣/١ قراءة (الباقر) إلى عكرمة ويحيى، وعزا قراءة (تَشَابَهُ) بالتاء وبالشين المخففة وبضم الهاء إلى الحسن، وروي عنه (تَشَّابَهُ) بتشديد الشين، وهي قراءة الأعرج، وعزا قراءة (يَشَّابَهُ) بالياء وتشديد الشين وضم الهاء إلى ابن مسعود، وذكر أن محمداً المعيطي المعروف بذي الشامة قرأ (تَشَبَّهُ).

١١ ـ ص ٦٣ س ١١ ـ ١٢ «قال الزجاج: وقرأ بعضهم ﴿وطور سيناء﴾ [سورة التين ٩٥: ٢]

لم يعلق المحقق على القراءة. وقول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له ٣٤٣/٥، ولم ينص على ضبط السين. وقال أبو حيان في البحر ٤٨٩/٨ ـ ٤٩٠: «وقرأ الجمهور ﴿سِينينَ﴾ ... وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن سِيناءَ، بكسر السين والمد، وعمر أيضاً وزيد بن علي بفتحها والمد ...».

١٢ – ص ٩٦ آخر سطر قول الشاعر

غَذَتْهُ بَيْنَ أنهار ونَخْل وزرع بينها وأُصول جَفْنِ

كذا وقع، وهو تصحيف صوابه: غَذِيَّةُ بينِ أنهار ..» كما في سفر السعادة ١٠٢٣. والبيت للنمر بن تولب، وقد خرّجه المحقق، وانظر تخريجه في سفر السعادة. ورواية شعر النمر «سَقِيَّةُ بينِ» وهي الرواية في سائر المصادر وانظر شعر النمر (شعراء إسلاميون ٣٩٠). وغذيةُ وسقية فَعيلة بمعنى مفعولة. وضبط في بعض المصادر سُقية بضم السين؟ ولا أعرف وجهه. وأجاز البكري في السمط ٤١٥ الرفع والنصب في «سقية»، والناصب لها قوله «تريك» في بيت قبله، وهو:

ألم تَرَها تريكَ غداة قامت بمِلْء العين من كرم وحُسْنِ
سَقِيَّةَ ....البيت

١٣ ـ ص ٩٧ س ١٢ «وكان أبو عبيدة يقول: جمرات العرب ثلاث: بنو ضبّة بن أُدّ، وبنو نمير بن عامر، وبنو الحارث بن كعب ....» إلى آخر كلامه.

لم يعلق المحقق على قول أبي عبيدة في جمرات العرب. وقوله في

الديباج لـه ٧٧، والنقائض له ٩٤٦، والكامل ٧٧٨، والفصوص ٢٨٥/٣، وسفر السعادة ١٠٢٤، والمصادر المذكورة في الكامل.

١٤ - ص ١١٨ آخر سطر - ١١٩ س ٥ «الحوفزان: بقلة. والحوفزان: لقب رجل وهو الحارث بن شريك بن مطر من بني ذهل بن شيبان بن ثعلبة، ولقّب بذلك لأنه حفزه بالرمح قيس بن عاصم المنقري يوم جَدُود. والحفز: الطعن هذا قول المحققين من أهل الأخبار. وزعم أبو الحسين بن فارس أن الذي طعنه بسطام بن قيس. وقد سبقه إلى هذه الغلطة ابن قتيبة في أدب الكاتب [كذا]».

وقال المحقق في التعليق عليه: قارن المجمل ٢٢٤/١ [كذا] (حفز). أما في المقاييس ٨٥/٢ (حفز) فقد ذكر الحوفزان ولم يستكمل القصة، وقال محقق الكتاب في الحاشية: كذا ولعل في الكلام نقصاً، ثم أكمله من المجمل .... **وهكذا نرى أن ابن الشجري كان يملك نسخة كاملة من كتاب المقاييس** ليس بها تلك الثغرات التي نراها في النسخة المطبوعة .... إلى آخر كلامه.

قلت: هذا كلام غريب من كل وجه. فالمؤلف لم يصرح بنقله من كتاب مقاييس اللغة، ولم يذكر المقاييس في كتابه هذا؛ فأنّى للمحقق أن يدعي أنه نقل من المقاييس وأن لديه نسخة تامة منه نقل منها ما نقل ؟! والمؤلف إنما نقل عبارة ابن فارس في المجمل ٢٤٤ (ح ف ز)، ولفظه: «وسمي الحوفزان لأن بسطام بن قيس حفزه بالرمح.... والحوفزان بقلة». «أما نص المقاييس ففيه سقط ظاهر كما قال محققه رحمه الله.

هذا، ولم يسمِّ ابن الشجري كتاب ابن فارس الذي نقل منه كلامه مصرحاً بنقله عنه في ٦٥ موضعاً (انظر فهرس الأعلام فيه ص ٥٩٤) إلا في

موضع واحد [ص ٤٧٨] في المادة ذات الرقم ١٥٩٩ منه (الهَجْر) قال في آخرها: «كل هذا في **مجمل ابن فارس**». على أن كثيراً من مواد الكتاب أو غير قليل منها نقله ابن الشجري من المجمل وإن لم يصرح بذلك. ولو تتبع المحقق ذلك، أو تولاه من يعنى به.

وقال المحقق في آخر كلامه: هذا ويلاحظ أن المؤلف يسمي كتاب ابن قتيبة أدب الكتاب، والمعروف أن اسمه أدب الكاتب».

وفيما قاله شيئان:

أولهما أن المثبت في متن الكتاب هنا أدب الكاتب، فصوابه «أدب الكتّاب» وكذا سماه المؤلف فيما يأتي من كتابه ص ٣٢٠.

وثانيهما أن قوله «والمعروف أن اسمه أدب الكاتب» قول مرسل. فالمشهور في اسم كتاب ابن قتيبة فيما وقفنا عليه من كتب التراجم وماإليها في ذكره أو ذكر شروحه «أدب الكاتب» واسمه عند ابن الشجري في هذا الكتاب ١١٩، ٣٢٠ «أدب الكتّاب» وهذا اسمه عند ابن خلدون في مقدمته ٥٥٣، وعند ابن السيد البطليوسي في شرحه المترجم بـ «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب». ولا سبيل إلى القطع بأحدهما أن ابن قتيبة اختاره اسماً لكتابه (انظر مقدمة تحقيق أدب الكاتب ص ٩ ـ ١٠ م)

وما قاله ابن قتيبة أنّ حافز الحوفزان بسطام بن قيس = تابعه عليه ابن فارس في المجمل ٢٤٤، وأبو بكر الزبيدي في الاستدراك على سيبويه ص ١١٣ (بتحقيق د. حنا حداد)، وتابع أبا بكر الزبيدي علم الدين السخاوي في سفر السعادة ٢٤٠. والذي عليه المحققون ما قاله ابن الشجري أن حافزه قيس بن عاصم المنقري، انظر النقائض ١/٤٧، ١٤٦، ٣٢٨، والاشتقاق ٣٥٨، والاقتضاب ١٢٣، والأغاني ١٤/٨٠، وأمالي المرتضى ١/١١٣،

والمعجمات (ح ف ز).

١٥ ـ ص ١٢٣ س ٤ـ ٥ «قال ابن دريد: وكانت سادات العرب يصبغون العمائم بالزعفران. قال: وقد يريدون بالسِّبّ الشُّقّة من الثياب ....».

قال المحقق: لم أجد هذا في الجمهرة والاشتقاق. قلت: بل هو في الجمهرة ١ / ٣١ (ط حيدر آباد) و ١/ ٧٠ (ط. دار العلم للملايين)، وفيما نقله ابن الشجري عنه تصرف يسير

١٦ ـ ص ١٤٤ س ١ ـ ٢ «وقال ابن فارس: الخِلَل جفون السيوف، قال: والخِلل أيضاً سيور تُلْبَس ظُهُورَ سِيَتَي القوس»

أحال المحقق في تعليقه على المقاييس ٢/٥٦ (خل).

وابن الشجري إنما نقل كلام ابن فارس من المجمل ٢٧٦، وهو لفظه فيه (كما في النسخ ص ج ط منه)، وأثبته محققه عن الأصل: «... السيور تلبس ظهور القسيّ على سِيَتِها» وكان فيه سيئها بالهمز، والوجه سِيَةٌ بغير همز، وفي اللسان (س ي ي): وكان رؤبة بن العجاج يهمز سئة القوس وسائر العرب لا يهمزونها ...».

أما المقاييس فعبارة ابن فارس فيه ٢/ ١٥٦: «والخِلة، جفن السيف والجمع خِلل، فأما الخِلل وهي السيور التي تلبس ظهور السيتين ..». ولفظ ابن فارس في المجمل ـ وهو ما حكاه ابن الشجري ـ غير لفظه في المقاييس

١٧ ـ ص ١٤٥ س ٤ ـ ٦ « وقال: الخال: الفحل الأسود من الإبل. والخال: الجبل الأسود. قال: حكاهما ابن الأعرابي»

قلت: وقع في مراتب النحويين ٦٦ وعنه في سفر السعادة ٨٩٤: الحبل الأسود، ولم أجد الخال الحبل الأسود ولا الجبل الأسود في التاج ولا

غيره من المعجمات. وحكي عن ابن الأعرابي أن الخال الجبل، انظر سفر السعادة ٨٨٦.

١٨ ـ ص ١٤٥ س ٧ «والخال جبل تلقاء الدَّثِنِيَّة»

كذا وقع، وصوابه: الدَّثِينَة» بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وياء مثناة تحتية، انظر معجم البلدان (الخال) ٣٣٩/٢، و (الدثينة) ٤٤٠/٢.

١٩ ـ ص ١٥٣ س ١ «والدِّيك طرف لسان الفرس، حكاه أبو عبيدة»

قال المحقق في التعليق عليه: لم أجد هذا المعنى للفظ في معاجم اللغة....

قلت : ما ذكره ابن الشجري نقله من المجمل ٣٤١ بلفظ صاحبه من غير تصريح بنقله منه. وعن ابن الشجري أخذه السخاوي في سفر السعادة ٩٦٧ من غير تصبريح بنقله عنه.

٢٠ ـ ص ١٦٧ س ٣ ـ ٧ «وقال أبو إسحق الزجاج: الساهرة وجه الأرض. وقال أبو عبد الرحمن اليزيدي في تفسير غريب القرآن كما قال أبو عبيدة: الساهرة الفلاة ووجه الأرض.» ... وقال ابن دريد: الساهرة الأرض البيضاء ...»

قلت: قول الزجاج في معاني القرآن وإعرابه له ٢٧٩/٥، وكلام اليزيدي في غريب القرآن وتفسيره له ١٩٧ وهو لفظ أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٨٥/٢. وقول ابن دريد في الجمهرة ٣٣٩/٢ (ط. حيدر آباد) ٧٢٣/٢ ـ ٧٢٤ (ط. دار العلم للملايين) قال ابن دريد: «هكذا فسر أبو عبيدة في التنزيل». وعبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن «الفلاة ووجه الأرض» كما ذكر ابن الشجري.

٢١ ـ ص ٢٠٨ س ١ ـ ٤ «الصوفة ..... وصُوفَةُ قوم كانوا في

الجاهلية ... قال أصحاب النسب: هم قبيلة. وقال أبو عبيدة: هم من أفناء قبائل فتشبكوا كما تشبَّكُ الصوفة»

قال المحقق في التعليق على قول أبي عبيدة: نقل المؤلف هذا القول عن ابن فارس، قارن بالمقاييس ٣/٣٢٢ (صوف).

قلت: بل نقل كلامه كله في هذه المادة من الجمهرة لابن دريد ٣/٨٣ (ط. حيدر آباد) ٢/٨٩٣ (ط. دار العلم للملايين). ونقل كلام ابن دريد ابن فارس في المجمل ٥٤٥ - ٥٤٦، والمقاييس ٣/٣٢٢ لكنه لم ينقل قول ابن دريد «قال أصحاب النسب هم قبيلة» الذي نقله ابن الشجري عنه.

٢٢ - ص ٢١١ آخر سطر «والصَّرْف: تزيين الكلام بالزيادة فيه في قول أبي عبيد القاسم بن سلاّم»

نقل السخاوي في سفر السعادة ١٠٠٤ ما ذكره ابن الشجري ولم يصرح بنقله منه. وفي الصحاح (ص ر ف) والمجمل ٥٥٤ (ص ر ف): «قال أبو عبيد: صرف الحديث [في نسخ من المجمل: الكلام]: تزيينه بالزيادة فيه». ولفظ أبي عبيد في غريب الحديث له ٤/٣٥٢ « .. قوله صرف الحديث يعني أن يزيد فيه ويحسّنه»

وقال المحقق في التعليق على قول أبي عبيد: «في المقاييس ٣/٣٤٣ (صرف) وإن لم يكن في كتاب الأجناس لأبي عبيد»

قلت : الذي في مطبوعة المقاييس «تزيين الكلام والزيادة فيه» وقد ذكرنا أن المؤلف لا ينقل عن المقاييس، وإنما يأخذ من المجمل.

٢٣ - ص ٢٢٥ س١١ - ١٢ «والضرير: الصبر على الشر، يقال ... والضرير النفس. كل هذا في كتاب ابن فارس»

قوله على الشر كذا وقع وهو تحريف صوابه «على الشيء» كما في

في المجمل ٥٦٢، والمقاييس ٣٦١/٣، والصحاح (ض ر ر)

وعلق المحقق هنا بقوله: انظر المقاييس ٣٦١/٣ غير أن ابن فارس قال: إن الضرير قوة النفس ولم يقل «لا النفس» [كذا] كما قال المؤلف هنا. ثم إننا نلاحظ أن المؤلف يقول: ... في كتاب ابن فارس ... فهل يعني بذلك المقاييس دون غيره؟

قلت: بل يريد المجمل وفيه «والضرير: النفس» كما نقل المؤلف عنه. وقد ذكرنا أن ابن الشجري عوَّل على مجمل ابن فارس كثيراً (انظر ماسلف برقم ١٤). ولم يتنبه المحقق على هذا، فكان يحيل على كلام ابن فارس في المقاييس، وابن الشجري إنما نقل عن المجمل، واللفظ الذي حكاه هو لفظ ابن فارس في المجمل. من أمثلة ذلك المواد الآتية التي نقلها أو نقل بعض ما أورده فيها من المجمل

المادة ورقمها	موضعها في الكتاب	موضعها في المجمل
٤٦٣ الذّمام	١٥٨	٣٥٤
٤٨٠ الرس	١٦٢	٣٦٦
٥٢١ السرّ	١٧٦	٢٦٠
٥٢٨ السحر	١٧٧	٤٨٨
٦٤١ الصرف	٢١١	٥٥٤
٦٤٦ الصلا	٢١٣	٥٣٨
٧٣٦ الظلم	٢٣٩	٦٠٢
٧٥٨ العلجوم	٢٤٥	٦٧٧
١٠٣٥ الفداء	٣٢٠	٧١٤

٢٤ ـ ص ٢٤١ س ٥ «العِرِفَّان: الكَرَى ...»

قال المحقق في التعليق عليه: لم أجد هذا في المعاجم اللغوية.

قلت: قوله «العرفان الكرى» كذا وقع، وأخشى أن يكون وهماً من ابن الشجري. وقد اختلف في قول الراعي [ديوانه ١٨٦، وسفر السعادة

٣٦٦ وتخريجه ثمة]:

كفاني العِرِفَّانُ الكَرَى وكفيتُه   كِلاءَ الفلاة والنعاسُ معانِقُهْ

فقيل: هو الدليل الحاذق، وقيل هو اسم إنسان. ويروى: عرفان وكُلُوء، انظر السيرافي النحوي ٦٣٩.

٢٥ ـ ص ٢٤٧ س ٥ «جزاك الله والرحمُ خيراً أي وحِفْظُكَ الرحم»

كذا ضبطه، وصوابه «وحَفِظَكَ» وهو فعل ماض، وانظر سفر السعادة ١٠٠٨ وعن المؤلف نقل السخاوي وكنى عنه بـ «بعض علمائنا» ص ١٠٠٧

٢٦ ـ ص ٢٥٨ س ٥ من الأسفل قول الشاعر:

فلولا سليمان الخليفة حلَّقت   به من يد الحجاج عنقاءُ مغربُ

كذا أنشده ابن الشجري «مغربُ» بالرفع، وعنه نقل السخاوي في سفر السعادة ٩١٨ مصرحاً بنقله عنه ولم يسم الكتاب الذي ينقل منه.
والبيت للفرزدق في ديوانه ١/١٩، وروايته فيه:

بهم من يد الحجاج أظفارُ مُغْرِبِ

وانظر تخريج المحقق له، وسفر السعادة

٢٧ـ ص ٢٨٥ س ٤ «والعِقْد من الرمل ما تراكم»

كذا أورده المؤلف بكسر العين وسكون القاف، ومنه نقل السخاوي في سفر السعادة ١٠١٧ من غير تصريح بنقله عنه. والذي نصوا عليه أنه العَقِد ككَتِف وجَبَل، انظر التاج (ع ق د).

٢٨ ـ ص ٢٨٥ س ٥ «العَقْص: إمساك اليد عن البذل بُخْلاً»

كذا أورده المؤلف بإسكان القاف، وعنه نقل السخاوي في سفر

السعادة ١٠١٨ من غير تصريح. وقد نصوا أنه العَقَص بالتحريك، عَقِص كفرح عَقَصاً، انظر التاج (ع ق ص).

٢٩ ـ ص ٢٨٧ س ١ «والعاتي الليل الشديد الظلمة»

قال المحقق: لم أجد هذا اللفظ في معاجم اللغة.

قلت: ماذكره المؤلف نقله عنه السخاوي في سفر السعادة ١٠٢٠ من غير تصريح. وقد ذكره الزمخشري في أساس البلاغة (ع ت و)، قال: ومن الاستعارة: الليل العاتي: الشديد الظلمة».

٣٠ ـ ص ٣٠٣ س ٣ من الأسفل: «الغيابة كالغبرة والظلمة تغشى. وقال ابن فارس: الغيابة ظل شعاع الشمس بالغداة والعشي، وظل الظُّلَم»

قال المحقق في التعليق عليه: لم يرد هذا في المقاييس ولا الصاحبي. كما لم يرد في سائر المعاجم.

قلت: لم يجده لأنه قد صحَّفه، وصوابه «الغَيَاية» بالياء المثناة التحتية. وقد ورد في المجمل ٦٨٧ ومنه نقل المؤلف، وهو في الصحاح واللسان (غ ي ي) وغيرهما.

٣١ ـ ص ٣٠٨ س ٣ «الغار: النساء»

لم يعلق عليه المحقق، ولم يرد هذا في المعجمات. ووقع في سفر السعادة ٩٥٤ ـ وعن المؤلف نقل من غير تصريح ـ: الغار: الفساد، ولم يرد في المعجمات.

٣٢ ـ ص ٤٨٢ آخرسطر «الهيرذان نبت والهيرذان اللص» قال المحقق في التعليق عليه: لم يرد هذا اللفظ في المعاجم

قلت: لم يجده لأنه صحّفه، وصوابه «الهَيْرُدَان» بالدال المهملة، انظر سفر السعادة ٤٨٧، والمحكم ٤/ ١٨٢، واللسان (هـ ر د).

هذا ما رأيتُ ذِكْرَه مما وقفتُ فيه خلال قراءتي في الكتاب، وعسى أن أكون قد أصبتُ في بعض ماقلت.

وبعد، فالفضل للدكتور المحقق في الكشف عن هذا الأثر النفيس، وتحقيقه التحقيق العلمي الجيِّد، وتعليقه عليه التعليقات النافعة المبينة عن الجهد العظيم المبذول فيه، وإخراجه في أبهى حلة.

وأعوذ بالله من التكلُّف لما لا أُحسن كما أعوذ به من العُجْب بما أحسن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الثلاثاء ٦ ربيع الأول ١٤١٩ هـ

٣٠ حزيران ١٩٩٨م

الحواشي

(*) ترجمة في نزهة الألباء ٤٠٤ ـ ٤٠٦، ومعجم الأدباء ٦/ ٢٧٧٥ برقم ١٢٠٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٤، والمصادر التي ذكرها المحققون.

وانظر المقدمة الضافية التي كتبها الدكتور محمود الطناحي لتحقيقه «الأمالي» التحقيق العلمي المتقن الذي ينبغي له، أعْظِم بما بذله من جهد طيب وبتحقيقاته النفيسة.

(١) حقَّق آخر طبعاتها وهي طبعتها التامة تحقيقاً أيَّ تحقيق الدكتور محمود الطناحي، وطبعت في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٢.

(٢) آخر طبعاته حققها تحقيقاً جيداً الأستاذ عبد المعين الملوحي والأستاذة أسماء الحمصي، وطبعت في وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠.

(٣) آخر طبعاته حققها تحقيقاً جيداً الدكتور نعمان محمد أمين طه، وصدر في مطبوعات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض، وطبع بدار التوفيقية بالأزهر ١٩٧٩.

(٤) مما انتهى إلينا من آثار في هذا الباب:

ـ ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، للأصمعي، طبع بتحقيق ماجد الذهبي، دار الفكر بدمشق ١٩٨٦ .

ـ الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، لأبي عبيد، حققه امتياز علي، وطبع في بمباي ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٨م

ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه، لأبي العميثل، حقق آخر طبعة له الدكتور محمد شاكر سعيد، نادي جازان الأدبي، السعودية ١٩٩١.

ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، للمبرد، حققه العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله، القاهرة ١٣٥٠ هـ، وعن هذه الطبعة طبع بعناية الدكتور محمد رضوان الداية، دار البشائر بدمشق ١٩٩٢.

(*) وذكر القزاز القيرواني في كتابه «العشرات» (تحقيق الدكتور يحيى جبر، دار عمار بعمّان ١٩٨٤) ٩٩ لفظاً مما اتفق لفظه واختلف معناه مرتبة على الحروف، وعقد ابن بنين الدقيقي في كتبه «اتفاق المباني وافتراق المعاني» (تحقيق الدكتور يحيى جبر، دار عمار بعمّان ١٩٨٥) الباب الثاني منه لما اتفق لفظه واختلف معناه ذكر فيه ٦٠ لفظاً من هذا الباب.

ومما لم ينته إلينا فيما نعلم كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، لابن اليزيدي أبي إسحق إبراهيم بن يحيى، وهو فيما ذكر نحو من ٧٠٠ ورقة (الفهرست ٥٦، وإنباه الرواة ١/ ١٩٠ ـ

١٩١، ووفيات الأعيان ٦/١٩٠) = وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، للأحول أبي العباس محمد بن الحسن بن دينار (الفهرست ٨٧،، وإنباه الرواة ٣/٩٢).

ونظم غير ما شاعر وعالم باللغة معاني بعض الألفاظ المتفقة في اللفظ المختلفة في المعنى، انظر مقالة لكاتب هذه السطور (قواف اتفق لفظها واختلف معناها) ـ مجلة جامعة دمشق، المجلد ٦، العدد ٢٢، ١٩٩٠)

المصادر

أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحقيق د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ٣ / ١٩٩٦.

الاشتقاق، لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٥٨.

إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، ط ٣، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ببيروت ١٩٨٨.

الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، مؤسسة جمال للطباعة ببيروت.

الأفعال، لأبي عثمان المعافري السرقسطي، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٥.

الاقتضاب، لابن السيد البطليوسي، طبعة مصورة، دار الجيل ببيروت ١٩٧٣

أمالي ابن الشجري، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٢.

أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٤.

البحر المحيط (تفسير البحر المحيط)، لأبي حيان، طبعة مصورة، دار الفكر ببيروت ١٩٧٨ .

تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ.

التقفية في اللغة، للبندنيجي، تحقيق د. خليل العطية، بغداد ١٩٧٦.

تكملة الإيضاح، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، جامعة الرياض ١٩٨١

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٠ - ١٩٩٢

تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق جماعة من المحققين، القاهرة ١٩٦٦.

جمهرة اللغة، لابن دريد، حيدر آباد ١٣٤٤ هـ

وتحقيق د. رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين ببيروت ١٩٨٧.

الديباج، لأبي عبيدة، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين و د. عبد الله الجربوع، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩١

ديوان الراعي النميري، تحقيق راينهرت فايرت، منشورات المعهد الألماني ببيروت ١٩٨٠

ديوان (شعر) عمرو بن أحمر الباهلي، تحقيق د. حسين عطوان، مجمع اللغة العربية بدمشق.

دوان الفرزدق، تحقيق عبد الله الصاوي، القاهرة ١٩٣٦ .

ديوان الفرزدق، تحقيق عبد الله الصاوي، القاهرة ١٩٣٦.

ديوان (شعر) النمر بن تولب = شعراء إسلاميون

سفر السعادة وسفير الإفادة، لعلم الدين السخاوي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، دار صادر ببيروت ١٩٩٥.

سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق جماعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨١.

السيرافي النحوي، في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دراسة وتحقيق د. عبد المنعم فائز، دار الفكر بدمشق ١٩٨٣.

شرح الأبيات المشكلة الإعراب المسمى إيضاح الشعر، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم بدمشق ودار العلوم والثقافة ببيروت ١٩٨٧.

شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بمصر، ط ٢، ١٩٦٥.

شعراء إسلاميون، للدكتور نوري حمودي القيسي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط ٢، بيروت ١٩٨٤.

العين، للخليل، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

غريب القرآن وتفسيره، لليزيدي، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٧.

الفصوص، لصاعد بن الحسن الربعي البغدادي، تحقيق د. عبد الوهاب التازي سعود،

المغرب ١٩٩٣ - ١٩٩٦

الفصول والغايات، للمعري، تحقيق حسن زناتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.

الكامل، للمبرد، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ٢، ١٩٩٣.

كتاب الشعر (أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب)، لأبي علي الفارسي، تحقيق د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٨.

الكشاف، للزمخشري، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦٨.

لسان العرب، لابن منظور، دار صادر ببيروت

المبهج، لابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، ودار المنارة ببيروت ١٩٨٧.

مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تحقيق د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٢.

المجتنى، لابن دريد، تحقيق د. محمد أحمد الدالي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، قبرص ١٩٩٧.

مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤.

المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق جماعة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٨ - ١٩٧٣ (لم يتم).

مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، نشره برجستراسر، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤.

مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢،دار النهضة مصر ١٩٧٤.

معاني القران، للفراء، تحقيق محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية ١٩٥٥.

معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب ببيروت ١٩٨٨.

معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي ببيروت

١٩٩٣.

معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر بيروت.

مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٩.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٦٧.

النقائض، لأبي عبيدة، تحقيق بيفان، ليدن ١٩٠٥.

النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، مصر ١٩٦٣.

الهمز، لأبي زيد، نشره لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٠.

وقعة صفين، لنصر بن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط ٣، ١٩٨١.

نظرية التناص

صك جديد لعملة قديمة

الدكتور حسين جمعة

الخطاب النقدي العربي الحديث:

لست ممن ينكر على الخطاب النقدي الحديث عند العرب ما يعيشه اليوم من حالات تبعية، فضلاً عن أنها غير منظمة ولا متعاونة، فهو لا يزال ينهل من النقد الغربي ويحتذي به حذو القُذَّةِ بالقذة، ولا يزال النقاد العرب - كما يبدو لي - يتدربون نقدياً لإيجاد ما يسمى بنظرية نقدية قائمة على أسس تختص بهم[1]، وإن لم تتحقق حتى الآن؛ إذ لا زالت غائبة[2].

وهذا أمر لا يعيبه أحد، ولا ينتقص من مقومات الشخصية القومية والثقافية...و ... فأجدادنا قد عززوا مبدأ المثاقفة مع الآخر؛ فنهلوا مما لديه وطوعوه لحساب ثقافتهم... فتحولت الحضارة العربية بفعل المبدعين منهم من مرتبة التقليد إلى مرتبة الإبداع، وصارت مادة استلهام للآخرين من بعدُ. فالعاقل من ينتفع بما لدى الثقافات الأخرى دون أن تأخذه مظاهر الدهشة ومن ثم الاستلاب.

---

(١) انظر برج بابل ص ٧٤.

(٢) انظر غياب النظرية العربية ص ١٧٦.

ولعل الخطاب النقدي العربي يواجه حالة مشابهة لما واجهه من قبلُ عند الأجداد؛ إذا أهملنا تجاهل بعض أعلامه للتراث. لذا عليه أن يعي أن الجديد لم يستطع أن يذوب في القديم، وأن القديم لم يمت إلى غير رجعة، فالتراث مادة للثراء والانطلاق؛ إن لم نغلق أصحابه عليه.

ومن هنا فإني أرفض ما انتهت إليه حالة الخطاب النقدي عند بعض مفكرينا وأدبائنا، ومثقفينا، فهم بين حالين إما الاتباع والتقليد، وإما الانغلاق والتعصب، وقلَّ من جعل التراث منبعاً تجديدياً، ومادة يلجأ إليها إذا احتاج إليها دون أن يغلق عينيه عن كل ما يفيده من أي مصدر وفد إليه.

أما حالة الاتباع فيمثلها فئة انشدّت إلى الغرب وعزفت عن تراثها الأدبي والنقدي واللغوي، والديني... وأنكرت أن يكون هذا التراث قد قدّم إسهاماً يذكر في أي وجه من وجوه النشاط البشري. فكل رأي نقدي، أو فكري، وكل منهج أدبي إنما هو للغرب؛ وليس للتراث أي فضيلة. فقد طمس من ذاكرة أصحاب هذا الاتجاه أو أنهم غيبوه، في أحسن الحالات؛ علماً أن الخطاب التراثي يظهر بأشكال شتى في أنماط الخطاب النقدي المعاصر؛ إذا لم نقل إنه جزء أصيل وهام فيه. فما من حصيف ينكر أن يكون التراث ممتداً في الحداثة، أو ما بعد الحداثة. فاختلاف الأسلوب لا يعني اختلاف الجوهر؛ فالجوهر يظهر بأشكال جديدة قريبة أو بعيدة عن الأصل.ولعل جهل هذه الفئة بتراثها وبالثقافة الغربية مجتمعة؛ لأنها ذات اتجاه أحادي في أغلب الأحيان تنتمي إلى هذا المكان أو ذلك، أو إلى هذا

المذهب الفكري أو السياسي أو ذاك جعلها تبلبل الفكر العربي عامة، والخطاب النقدي والأدبي خاصة. فنقلت إلينا نتاج الغرب – وهذا النقل يحسب لها – ولكنها ضيعت الحقيقة في الكم الهائل من الترجمة غير الموحدة، إذا أحسنا الظن بها وقلنا: إن كثيراً من ترجماتها متناقضة؛ إما لعدم فهم طبيعة الأفكار المنقولة بدقة؛ وإما لعدم إتقانها لمنهج الغرب ولغته؛ فضلاً عن جهلها بتراثها. ولا شيء أدل على هذا من اطلاعنا على ترجمتهم لمصطلح (التناصية) فهو يزيد في ترجمة من سعى إلى نقله لتعريفنا به على عشرين مصطلحاً فهو النصوصية، وتداخل النصوص، والنص الظل؛ والمزاح والمفقود والغائب؛ وهلم جرا. فهل السبب يرجع إلى تبعية ثقافتنا للغرب أو يكمن في تجربة هذه الفئة غير الدقيقة؟، ولعله في كليهما معاً.

وأما حالة الفئة الثانية فقد أخذتها الحمية والغيرة على التراث وجعلت الغربيين مجرد نقلة لما لدينا من تراث، ولا سيما الديني منه واللغوي والفلسفي؛ وكأنهم لم يضيفوا شيئاً يستحق منا العودة إليه. ولعل الباحث الرصين أكرم ضياء العمري – على إعجابي به – يمثل هذه الفئة حين أرجع المناهج الغربية للعلوم الإنسانية إلى أرضية إسلامية؛ وكذا فعل عبد الملك مرتاض في نظرية التناص حين حصر هذه النظرية بمفهوم السرقات الأدبية المعروفة في النقد العربي القديم وجعل أصولها في آراء العرب القدماء[٣]. وهنا لابد أن أسجل إعجابي الشديد بما فعله حسين مروة وعابد الجابري وأمثالهما؛ إذ انفتحوا على الثقافة الغربية ولم يغلقوا عيونهم عن التراث؛

---

(٣) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٦.

فدورة الحضارة الإنسانية مستمرة؛ وعملية المثاقفة قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فعملية التأثر والتأثير – وإن اتخذت أشكالاً مشوهة... عند المقلدين – تصبح لدى المبدعين صناعة جديدة نحتاج إليها، وهو ما يفعله الغرب دائماً. لذا فإن الخطاب النقدي الغربي كان ينتقل سريعاً من شكل إلى شكل غيره بفعل الحوار المستمر والفعال على الساحة الغربية. ونحس هذا الأمر بقول مارك أنجينو: «مصطلح التناص مثله مثل استخدام مصطلح بنية وبنيوية... ومثلما كنا نستطيع أن نقول منذ خمس عشرة سنة: إن كل موضوع دراسة له بالضرورة بنية؛ وبذلك كان الناس بنيويين دون أن يعلموا، فإننا نقول اليوم: إن كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نُصوص أخرى يتجذّر منذ ذلك في تناص؛ وإن الكلمة هي بالتالي ملك لكل الناس»(٤).

إنه حوار إيجابي قائم على الحرية والاحترام للآخر بين القديم والجديد وبين الجديد والجديد؛ مما جعل الغرب يتحرر من إسار التأثر الموروث والتقليد الأعمى، ويصوغ نظرياته النقدية في إطار أفكاره ومذاهبه وطبيعة أدبه؛ وتنتقل بعد ذلك لتغدو منهجاً للتفكير النقدي والفكري في الوقت نفسه للناس كافة(٥).

ولعل المتأمل في النظريات النقدية الغربية يدرك أثر التفاعل بينها وبين غيرها ولا سيما العربية؛ وهو تفاعل أخذ ينكشف في النصف الثاني

---

(٤) التناصية (مارك أنجينو) ص ٥٨.

(٥) انظر برج بابل ص ١٦.

من القرن العشرين؛ إثر رجة فكرية أيقظت الهمم... فما من أحد يشك أن أوربا عرفت ابن رشد وابن سينا وابن طفيل وابن خلدون وغيرهم من علماء العرب، وتأثرت بهم؛ وقد تسرب هذا الأثر إلى كثير من الميادين الثقافية ومنها النقد والأدب. وكان العرب من قبل – كما هو عليه الغرب اليوم – قد رجعوا جميعاً إلى الثقافة اليونانية، ولهذا نجد تشابهاً آخر في المصدر الثقافي، ولكن لكل ثقافة سمتها وخصائصها. ويعترف جيرار جينيت بهذا قائلاً: «لا ينبغي في البدء أن نعد أنماط التعددية النصية الخمسة تقسيمات قطعية لا تواصل بينها، ولا تقاطع متبادل. إن العلاقات بينها هي على العكس متعددة وحاسمة غالباً. فالجامعية النصية النوعية مثلاً تتكون على الدوام تقريباً وتاريخياً بطريقة المحاكاة (فيرجيل يحاكي هوميروس وغوزمان تحاكي لازاريللو إذن تتكون باتساعية نصّية»[٦].

وأعتقد أن نظرية التناص لا تختلف عن ذلك فهي تدين بنشأتها لجملة من النظريات الغربية أولاً وتُعد امتداداً للثقافات الأخرى كالعربية. وظهر هذا بكل وضوح عند أكبر نقادها رولان بارت (١٩١٥-١٩٨٠م)، كما ظهر في مفهومها وآلياتها وأشكالها... وفعاليتها.

وبناء على ذلك نشير بسرعة إلى أصولها الغربية، ثم نتوقف عند مفهومها، وبقية الموضوعات في إطار من التوضيح والموازنة بينها وبين مثيلاتها في العربية.

(٦) طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت) ص ١٣٣ وانظر ما بعدها، ومقال مرتاض «الكتابة وحوار النصوص».

أصول غربية لنظرية التناص:

تبين لنا – في ضوء مسيرة الحركة النقدية الغربية – أن كل نظرية نقدية كانت تمهد لأختها دون أن تلغيها؛ وإن اتجهت اتجاهاً مغايراً لها في أحيان كثيرة. بل إن كثيراً من النظريات ولدت في أحضان نظرية سابقة فكانت أشبه بالبنت لها كالتشريحية والتركيبية اللتين ولدتا في قلب البنيوية، وهي آخر ما انتهت إليه الحداثة.

أما نظرية التناص – وهي نظرية من نظريات ما بعد الحداثة – فإنها ولدت في أحضان السيمولوجية (السيميائية) والبنيوية ابتداء بالشكلانية وانتهاء بالتشريحية، وإن كانت مدينة بكثير من ملامحها لغيرهما.

وقد رصد حركتها التاريخية كل من الناقد مارك أنجينو في بحثه (التناصية)(٧)، وليون سُمفل في بحثه الذي يحمل العنوان نفسه(٨). وقد انطلقت شرارتها الأولى من الشكليين في كتابات (شلوفسكي) ومن ثم (باختين) الذي اتجه بها نحو النص. ثم تسلمتها جوليا كريستيفا واستخدمت للمرة الأولى مصطلح التناص في كتاباتها وكانت تهتم بالإنتاج وتهمل التلقي والقارئ(٩).

---

(٧) انظر التناصية (مارك أنجينو) ص ٥٣ – ٧٨.

(٨) انظر التناصية (ليون سُمفل) ص ٨٩ – ١١٦، وانظر السيمياء والتأويل ٢٣-٢٥ و٣٥-٣٨ والخطيئة والتكفير ص ٦٤.

(٩) انظر: نظرية النص (رولان بارت) ص ٤٨ والتناصية (أنجينو) ص ٥٩ و٦١ والتناصية (ليون سُمفل) ص ٩١-٩٣ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ والخطيئة والتكفير ٣٢١-٣٢٢.

أما بارت - الذي بدأ سيمولوجياً في كتابه عن راسين سنة ١٩٦٣م وعناصر السيمولوجيا سنة ١٩٦٤م - فقد ظهر مصطلح التناص في بحثه (لذة النصّ سنة ١٩٧٣م)[١٠]. والقراءة السيمولوجية «تقوم على إطلاق الإشارات كدوالٍّ حرة لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية... ويصير القارئ المدرب هو صانع النص»[١١]. ويقول بارت: «ليس النص مقترن الوجود بالمعنى ولكن بمروره وعبوره... ولا تتعلق تعددية النص في الحقيقة بغموض مضمونه ولكن بما نستطيع تسميته بالتعددية المضخمة للدوالّ التي تنسجه»[١٢]. وأصبحت القراءة على يد (لاكان) اتجاهاً جديداً «يقوم على مبدأ أن البنية الشاملة للغة هي بنية لا شعورية»[١٣].

بهذا حرر (لاكان) الدال من قيد المدلول، فأحدث صدعاً بين

(١٠) انظر الخطيئة والتكفير ص ٦٤ وبعد، والتناصية (أنجينو) ٦٦، والتناصية (سمفل) ٩٠ و١٠٤. ويعد بارت من رواد البنيوية السيمولوجية؛ وكان أخرج أبحاثه الأولى في ضوئها؛ ثم تحول عنها إلى البنيوية التشريحية بعد ست سنوات في كتابه (الكتابة في درجة الصفر) سنة ١٩٧٠م فصار رائداً لها؛ ومن بعد غدا فارساً للنص حين أصبح رائداً للتناص في كتابه (لذة النص) الذي ظهر سنة ١٩٧٣م وغير ذلك من الأبحاث. انظر الخطيئة والتكفير ص ٦٤- ٧٤.

(١١) الخطيئة والتكفير ص ٤٩، وانظر في معرفة النص ص ١٢ وبعد، و١٨ وبعد.

(١٢) من العمل إلى النص (رولان بارت) ص ١٥.

(١٣) الخطيئة والتكفير ص ٥١.

الحقيقة واللغة حين تركنا وجهاً لوجه مع الإشارات العائمة، وهي إشارات اعتباطية عند بارت.

ولكن جاك ديريدا (رائد البنيوية) رفع لواء علم النقد التشريحي، ولمع اسمه حين صدر كتابه (في النحوية) سنة ١٩٦٧م. وقد دعا إلى إحلال النحوية محل السيمولوجية، وادعى أن «هذا العلم لم يوجد بعدُ»[١٤].

فالتشريحية أكدت بعد السيمولوجية قيمة النص؛ لأنه أساس النقد ومنطلق عملية التلقي. ولهذا قال (ديريدا): «لا وجود لشيء خارج النص»[١٥].

فالتشريحية «تعمل من داخل النص لتبحث عن الأثر» على حد تعبير (ليتش)؛ وهكذا فعلت التناصية. ومفهوم الأثر - بهذا الإدراك والتحليل - ينبع من قلب النص عند ديريدا وليتش، ويمثل الوحدة النظرية في (النحوية)؛ مما جعله هدفاً للقارئ الناقد؛ ولم يخرج بارت عن ذلك[١٦].

وحين نتأمل مفهوم الأثر ندرك أنه مفهوم جمالي يحصّله القارئ بوساطة عناصر البنية النصية وشفراتها. وسبق إليه ابن طباطبا ثم قُنن بما يشبه لدى التناصية في نظرية (النظم) عند عبد القاهر الجرجاني. فهي قائمة على «تضافر بلاغيات الجملة مع نحوها لتأسيس جماليتها بعيداً عن قيد

(١٤) المرجع السابق ص ٥٢ وقد ترجم كتاب ديريدا (في النحوية) إلى اللغة الإنكليزية سنة ١٩٨٣م وصدر عن جامعة كولومبيا.

(١٥) الخطيئة والتكفير ص ٥٦ وانظر فيه ٣٢١ وانظر نظرية النص (بارت) ص ٤٨.

(١٦) الخطيئة والتكفير ص ٥٦ وانظر فيه ٣٢١ وانظر نظرية النص (بارت) ص ٤٨.

المدلولات» كما أحسبه «سحر البيان الذي أشار إليه القول النبوي»[١٧]، «إن من البيان لسحرا»[١٨].

إذاً؛ أخذت التشريحية تتحول نحو اتجاه نقدي جديد يمكن تسميته بالتناصية وفق نظرة شمولية. والبنيوية – عامة – قدَّمت إسهامات كبرى في صياغة جملة من مبادئ نظرية التناص ولاسيما ما يتصل بالوظيفة الشعرية. وكان (رومان جاكبسون) أحد روادها ونقادها المشهورين؛ وهو من حصر الوظيفة الجمالية أو الشعرية في إسقاط العلامات اللغوية من محور الاختيار باعتباره استبدالياً على المحور التركيبي باعتباره محوراً تأليفياً تبعاً للعلاقات الدلالية في التماثل والتضاد والتنافر... و... ثم أخذ مفهوم الوظيفة الجمالية يرتقي في إطار السياق الشعري لا المرجعي[١٩].

وقد أفادت نظرية التناص من ذلك كله؛ وإن حاول بعض نقادها أن

---

(١٧) انظر الخطيئة والتكفير ص ٥٣ و١١٧ و١٢١-١٢٢ و٣١٧، ودلائل الإعجاز ص ٨١- ٨٩ و١٠٦ ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء (١٢٤). وأعتقد أن ابن طباطبا سبق الجميع إلى مفهوم الأثر في (عيار الشعر ص ٢٩) ولم يتنبه عليه الغذامي في (الخطيئة والتكفير).

(١٨) الجامع الصغير من حديث البشير النذير (١/ ٣٣١ حديث رقم ٢٤٥٨).

(١٩) انظر قضايا الشعرية (رومان جاكبسون) ص ٣٣ وانظر السيمياء والتأويل (شولز) ٤٦-٤٨ و٥٢ و٧٤ و٨٨ وما أورده الغذامي في الخطيئة والتكفير ص ١٥ فقد ذكر أن حازم القرطاجني سبق جاكبسون إلى التعريف بمهمة وظيفة الاتصال، وراجع حاشية (١٧) من هذا البحث وحاشية ١٢٩ وانظر في معرفة النص (ص١١ و٢٩٠-٢٩١).

يربطوا بين النصوص السابقة والنصّ الموجود وتفسير المتلقي له. وهذا الربط ينطلق من النص ذاته؛ فيقول (بول دي مان): «يعتمد التفسير اعتماداً مطلقاً على النص؛ كما أن النص يعتمد اعتماداً مطلقاً على التفسير»(٢٠). أما (بارت) فقد جعل الأثر الفني للنص لا يتوقف؛ لأن تحليله «ينكر وجود مدلول نهائي»(٢١).

إن هذه الإشارات كافية لتؤكد لنا مدى الفائدة التي قدمتها النظريات النقدية الغربية لنظرية التناص؛ ولتبرز أن الغرب حاول أن يجعل النظرية اللاحقة مبنية على السابقة دون أن يلغيها؛ لأنها غدت ملك الأجيال والإنسانية.

وهذا يفرض علينا أن نتبين بسرعة نشأة نظرية التناص ومفهومها.

مفهوم نظرية التناص:

برزت عدة نظريات في الغرب جعلت النص منطلقاً لها؛ أما التناصية فقد جعلته فحوى خطابها؛ وقلصت المسافة بين النص المقروء والنص المكتوب ثم بينهما وبين النصوص الأخرى؛ وإن ميزت ما بينها(٢٢).

ولمعت أسماء كثيرة في سماء نظرية التناص؛ في أمريكا وفرنسا خاصة؛

---

(٢٠) انظر الخطيئة والتكفير ص ٥٧ و٣٢٢؛ ولو تأملنا ما ورد عند عبد القاهر لتبين أنه سابق في ذلك لدي مان؛ انظر دلائل الإعجاز ص ٣٠٥ و٣٧٤-٣٧٨.

(٢١) نظرية النص (بارت) ص ٤٧ وانظر فيه ٣٢، ومن العمل إلى النص ص ١٤.

(٢٢) انظر من العمل إلى النص (بارت) ص ١٨ والسيمياء والتأويل (شولز) ٣٦.

مثل جوليا كريستيفا، وجيرار جينيت ورولان بارت، وميشيل أريفي، ولوران جيني، وجان ريكاردو، وميشيل ريفايتر؛ وغيرهم كثير. وقد سبقت جوليا كريستيفا في ذلك؛ إذ نشرت أبحاثاً لها سنة (١٩٦٦-١٩٦٧م) أرست فيها مصطلح (التناصية) وسبقت إليه، وعرفته؛ ولكنه لم يكن التعريف الأخير فقالت: «النص جهاز لساني يعيد توزيع نظام اللغة واضعاً الحديث التواصلي؛ نقصد المعلومات المباشرة في علاقة مع ملفوظات مختلفة سابقة أو متزامنة»[٢٣].

وقبل أن أقف عند اختلاف أعلام نظرية التناص في الغرب حول تعريف جامع موحد له أشير إلى أنه لا يقابل مصطلحَ (التناصية) المعروف مصطلحٌ عربي مستمد من اللغة؛ وإن لمسنا في مادة (نص) ما يوحي بمعاني المصطلح ودلالته. ففي اللسان: النص أصله منتهى الشيء ومبلغ أقصاه، ونص المتاع نصاً: جعل بعضه على بعض، ونصصت الحديث: رفعته.

ولهذا يمكن أن نشتق من هذه المادة ما «يتولد منها عدة دوالّ لها رموزها الواقعية التي نلحظ بينها قدراً من التقارب»؛ فتناص القوم: اجتمعوا[٢٤].

وإذا كان الغربيون قد حددوا المصطلح بالتناصية أو تداخل النُصوص،

(٢٣) نظرية النص ص ٣٣ وراجع فيه ص ٢٣ و٣٧ وانظر التناصية (أنجينو) ٥٩-٦٠ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ وقضايا الحداثة ص ١٤٧ والخطيئة والتكفير ٣٢٢ وانظر في معرفة النص ص ١١٨ وبعد.

(٢٤) لسان العرب مادة: نص.

أو التناص فقد ظهر لي أن التناصية أكثر اتساعاً وشمولاً لمبادئ النظرية ومرجعيتها في الرد على غيرها[٢٥].

وعلى الرغم من اتفاقهم على اسم المصطلح؛ وعلى الرغم من أن مجلة (تل كولtelquel) أصبحت مكاناً لكتابات أكثرهم حتى غدت عَلماً لهم لكنهم لم يتفقوا على تعريف واحد[٢٦].

فالتناصية عند (مارك أنجينو) «هي تقاطع في النص مؤدًّى مأخوذ من نصوص سابقة»[٢٧].

ويقترح (لوران جيني) تعريفاً لها: هي «عمل يقوم به نص مركزي لتحويل نصوص وتمثلها ويحتفظ بريادة المعنى»[٢٨]. ويعرفها (ميشيل ريغايتر) قائلاً: «إن التناص هو أن يلحظ القارئ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده»[٢٩]. ويقول (بارت): «إن تبادل النصوص أشلاء نصوص دارت أو تدور في فلك نص يعتبر مركزاً وفي النهاية تتحد معه... كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة». «واللغة هي النظام العلامي الوحيد الذي يمتلك القدرة على تفسير الأنظمة

---

(٢٥) انظر التناصية انجينو ص ٦٥ و٧٢-٧٤ والتناصية (سمفل) ٩٠و٩٤ وانفتاح النص الروائي ٩٣-٩٥ وقضايا الحداثة ١٣٧.

(٢٦) انظر التناصية (سُمفل) ٩١.

(٢٧) التناصية (أنجينو) ص ٦٠، ومثله في (انفتاح النص الروائي ص ٩٢).

(٢٨) التناصية (أنجينو) ص ٦٩.

(٢٩) طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت) ص ١٢٦.

الدلالية الأخرى، وعلى تفسير نفسه بنفسه أيضاً»[٣٠].

ويظهر لنا مما تقدم، ومما قدمته مظان نظرية التناص التي اطلعنا عليها أنها تتجه إلى النص وحده لتجعله فحوى الخطاب في بنائه الكلي والجزئي، ومن ثم تنظر إليه باعتباره شبكة لا متناهية من الشفرات، والتقاطعات الإشارية التي يدركها المتلقي. فهو غير قابل للتحجيم، لأنه يستجيب دائماً للانتشار؛ وإن كان مبنياً على الاقتباسات الكثيرة لنصوص سابقة؛ وهذه مزية له. فالتناصية «قدر كل نص مهما كان جنسه، لا تقتصر حتماً على قضية المنبع أو التأثير: فالتناص مجال عام للصيغ المجهولة التي يندر معرفة أصلها؛ استجلابات لا شعورية عفوية»[٣١].

ولهذا يصر (بارت) على الدور العظيم للمتناص (تلقي النص بفعل قراءته)؛ لأنه «يعمل داخل نظام لغوي وثقافي» ينبع من النص لا المنشئ[٣٢]. فالمتلقي يتعامل والنص مركباً فيعمد إلى تفكيكه ثم إعادة تركيبه ليصل إلى ما توحيه شفراته؛ وفي ضوء النصوص التي يقربها النص إليه، أو تقفز إلى ذاكرته.

وقد لحظ الباحث محمد مفتاح هذه الآلية المعقدة؛ فبعد أن عرف

---

(٣٠) نظرية النص (بارت) ص ٣٨ و٤٤ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٣٢١-٣٢٢ ومتاهة التناص (حلال الخياط) ص ٥٤، والأدب العام المقارن ص ٢٧.

(٣١) نظرية النص ص ٣٨ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٦٢ وبعد و٣٢٠ وبعد.

(٣٢) الخطيئة والتكفير ص ٥٧ وانظر (من العمل إلى النص بارت ص ٢٠) وانفتاح النص الروائي ص ٩٤-٩٦.

التناصية – وهو تعريف قاصر عما أشرنا إليه من تعريفات ونابع منها – بقوله: هي «تعالق نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة»(٣٣). قال: إنها انتهت لدى عدد من الغربيين «إلى ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين؛ إذ يُعتَمد في تمييزها على المتلقي»(٣٤).

وهذا كله حق لا مراء فيه فنظرية التناص جعلت علاقة المتلقي بالنص علاقة وجود؛ وهو لا يتحقق إلا بالقارئ لبنائه وشفراته؛ فهو ليس تابعاً للمنشئ، فهذا ليس أباً للنص وإنما اسم طبع فوقه، ولا يزوره إلا ضيفاً؛ على حد تعبير بارت. ويقول بارت أيضاً: «النقد الذي يعد خطاباً حول النص أصبح بالياً؛ وإن حدث لأحد المؤلفين التحدث عن نص قديم فإنه لن يكون حينئذ أي منتج نص جديد».

فالنص «لن يكون امتلاكاً، وهو يتمركز في حقل التبادل اللامتناهي للشفرات، وذلك ليس بحجّة للكاتب» ولهذا كله «يصبح التفسير نفسه نصّاً»(٣٥).

نستدل من نشأة نظرية التناص ومفاهيمها الأولى – عدا ما قالته جوليا كريستيفا – أنها انتصرت للنص والمتلقي وعزفت عامدة عن المؤلف؛

(٣٣) تحليل الخطاب الشعري /استراتيجية التناص ص ١٢١ وانظر متاهة التناص ٥١.

(٣٤) تحليل الخطاب الشعري ص ١٣١ ومتاهة التناص ص ٥١.

(٣٥) انظر على الترتيب الوارد للنصوص في (نظرية النص ص ٤٨ و٥٠ و٤٨) وراجع فيه ص ٤٦ وفي (من العمل إلى النص ص ١٧ و١٩) وانظر انفتاح النص الروائي ص ٩٥– ٩٦ والخطيئة والتكفير ص ٥٧ و٧٥ و٣٢٢.

وهي رؤية معروفة في السيميائية؛ مما جعلها تركز وظيفة النقد في الكشف عن شفرات النص، ووظيفة الناقد في الكشف عن نظام النص وقوانينه الداخلية المتحكمة في بنائه، فضلاً عن إنكارها للتدرج في الإنتاج. وهذا ما يوضحه بارت: «فالكلام كله سابقه وحاضره يصب في النص، ولكن ليس وفق طريق متدرجة معلومة؛ ولا بمحاكاة إرادية؛ وإنما وفق طريق متشعبة، صورة تمنح النص وضع الإنتاجية وليس إعادة الإنتاج»[٣٦].

هكذا انتصرت التناصية للنص والقارئ على حساب المؤلف الذي أعلنت موته على يد بارت[٣٧]. وتجاهلت أن التناص عند المنشئ كان إنتاجاً قائماً على تفاعل لغوي ثقافي بين نصين سابق ولاحق؛ أي أن هناك نصوصاً كثيرة سابقة كونته. وهو ما أقرَّ به بارت نفسه كما يستشف من قوله: «يستطيع الأثر الفني تقليدياً، وبخطوطه العريضة أن ينطلق من علمين: تاريخي وفقهي لغوي»[٣٨]. أما ميشيل ريفاتير فإنه يبالغ في مقولته حتى يجعل كل نص انبثق من النصوص السابقة إنما هو «الصورة الوحيدة لأصل الشعر». وقاربه لوران جيني فكل شيء «خارج التناص يصبح ببساطة غير قابل للإدراك»[٣٩].

---

(٣٦) نظرية النص ص ٣٩ وانظر فيه ٤٤ و٤٥ وراجع حاشية ١٩ و١٢٩ من هذا البحث، والسيمياء والتأويل ٧٩ و٨٩.

(٣٧) انظر كتاب موت المؤلف (رولان بارت).

(٣٨) نظرية النص (بارت ص ٤٥) وانظر قضايا الحداثة ص ١٤٠- ١٤٣.

(٣٩) السيمياء والتأويل (روبرت شولز) ص ٨٩ وانفتاح النص الروائي ص٩٤ على توالي القول.

إن المنشئ في المنظور التاريخي اكتسب خبرات وثقافات تأصلت في نصه سواء أستمد ذلك بوعي أم بغير وعي؛ مما يعزز لدينا فكرة أن المنشئ أياً كان ترتيبه الزماني إنما هو حلقة في سلسلة حلقات سابقة ولاحقة و لم يمت البتة. فهو لم ينطلق من فراغ، فهو متشبع بنصوص كثيرة سابقة له، بمعنى أنه ليس حراً في إبداعه الإنتاجي؛ ولكنه في الوقت نفسه ليس منعزلاً عنه. وهذا ما يعترف به رولان بارت إذ يقول: «كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى. إذ نتعرّف نُصوص الثقافة السابقة والحالية: فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة»[٤٠]. وكانت جوليا كريستيفا قد قالت: «إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى»[٤١]؛ ولكن المتناص لا يتجه إليها إلا في ضوء إيحاءات النص المقروء.

فالنص شبكة لا متناهية من العلاقات المرتبطة بنصوص أخرى، وذات نظام لغوي مبني على شفرات متعددة – على حد قول التناصيين –.

ونرى أن هذا النص قد اعتلج في صدر المؤلف المنشئ قبل أن يعتلج في صدر المتلقي؛ وفيه تقاطعات لغوية ثابتة – كما نرى – تنبئ بوضعها التاريخي الزماني والمكاني والثقافي. مما يجعل المنشئ ومن ثم القارئ الأخير – وإن كان محظوظاً – صلة الوصل بين السابق واللاحق الذي سيأتي

(٤٠) نظرية النص ص ٣٨ وانظر فيه ص ٢٦.

(٤١) الخطيئة والتكفير ص ١٣ و٣٢٢ وانظر فيه ٣٢٣- ٣٢٤.

بعده... فلو أمتنا الأول لأمتنا الثاني، ولما كان للفعل الثقافي أثر في اللاحق؛ وكلنا يعرف أن الثقافة إنما هي عملية تراكمية.

ويتضح لنا مما تقدم أن هناك منتجاً ونصّاً وثقافة؛ وأي تشكيل جديد لنص جديد يعيش وسط هذه الأركان الثلاثة؛ وكل ركن يرتبط بالآخر بوساطة النص مرة، وبوساطة عملية المثاقفة المستمرة مرة أخرى؛ فأي منشئ ليس معلقاً في الهواء حتى لو أطلقنا له الحرية للعبث بالنص.

وإني موقن أن التجربة الإبداعية الشعرية والنقدية للعرب قد انتهت إلى ذلك سواء ما يرتبط منها بتعلق نص مع نصوص أخرى، أم ما يرتبط بالبناء اللغوي للتجربة النصية عند المتلقي.

أما تداخل النصوص فقد انتهى العرب شعراء ونقاداً إليه بشكل فطري واعٍ. فامرؤ القيس - مثلاً - لم يتركه الإرث النصّي حراً؛ إذ تدافعت عليه الأشعار (القوافي) فطفق يتخير من نصوصها المرجان والدر ويبعد الزهيد المرذول ليجعل لنفسه موضعاً بين الشعراء، ولتكون تجربته النصية متميزة من غيرها. فهو يمارس مرحلة ما قبل النص، ومن ثم الشروع النصي الإبداعي (مرحلة النص)، ليصل إلى النص المتخيل، الذي ينتجه فيقول[٤٢]:

---

(٤٢) ديوان امرئ القيس (ص ٢٤٨. أذود: أدفع. القوافي: القصائد. عنينه: أتعبنه). وانظر ما ذكره ابن رشيق عن هذه الأبيات وعن مسألة صناعة الشعر في كتابه (العمدة ١/ ٢٠٠) ففيه إشارات تدل على سبقه لإدراك مفهوم عملية التلقي. وراجع ما أورده بدران في (النص والنص المضاد والنص الظل ٤٤).

أَذُودُ القوافـيَ عنّـي ذِيـاداً ذِيادَ غُلامٍ جَـريٍّ جـوادا
فـأعزل مَرْجانهـا جانبـاً وآخذ من درها المُسْتجادا
فلمـا كـثرن وعنّيْنَـه تخـير منهُـنَّ سـرّاً جيـادا

فنظرية التناص قائمة في أعلى مفهوم لها على أن النص الإبداعي إنما هو النهر الأخير لكل الفروع التي تنتهي إليه. وهذا عينه ما فعله امرؤ القيس وما قننه محمد بن سلام الجمحي (المتوفى ٢٣١هـ) قبل نحو ألف سنة من أرباب التناصية؛ حين قال عن شاعرنا ومن سبقه من الشعراء: «ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء»[٤٣].

ولو توقف أحدنا عند كلمته (ما قال... ابتدعها... اتبعته فيها...) لتيقن أن هذا الكلام حمّال لمفهوم التناص الذي يقول به التناصيون وإن لم يستعمل مصطلحهم. وهو نفسه ما نلمحه في قول كعب بن زهير؛ إن لم يكن أشد وضوحاً[٤٤]:

مـا أرانـا نقـول إلا رَجيعـاً ومُعـاداً مـن قولنـا مكـروراً

ومن صميم ما أشرنا إليه نلمس مقالة (بارت): «انبثاق اليوم من

(٤٣) طبقات فحول الشعراء ١/٥٥ وفيه كلام دقيق من صميم التناص، وانظر حاشية (١٢٣) من البحث.

(٤٤) شرح ديوان كعب بن زهير ص ١٥٤ وبيته هذا ينسب خطأً إلى أبيه زهير؛ مع شيء من التحريف، وهو ليس في ديوان زهير: انظر الخطيئة والتكفير١٤٣ و٣١٨.

الأمس»، وما قاله من قبل عن تواري نصوص سابقة في نص جديد[٤٥] فإذا تذكرنا أن (بارت) كان مدرساً لـلأدب الفرنسـي والكلاسيكي في جامعة الإسكندرية بمصر (سنة ١٩٤٩م) قبل أن يستقر بباريس في الكلية الفرنسـية حتى وفاته سنة ١٩٨٠م[٤٦]، أدركنا أن كثـيراً مـن مقولاتـه مستوحىً مـن النقد العربي وتراثه اللغوي والأدبي...

وبعدُ؛ فإن منتج النص يشعر بوعي كامل بأنه محـاط بمنظومـة كـبرى من النصوص والخبرات والثقافات، يتكيف معها تبعاً لطبيعته. وإذا كان هذا النمط من التناص أكثر شيوعاً لما يتصف بـه مـن وعـي كـامل بـالنُصوص السابقة؛ فهذا لا يعني أن نهمل تلك الإشارات الهائلة التي تتشكل في منطقـة اللاوعي عند المنتج.

وهنا يصبح لزاماً علينا أن نشير إلى ما انتهى إليه عبـد الملـك مرتـاض حين فرق بين التناص الذي يقـابل عنـد العـرب مفهـوم (السـرقة)[٤٧]، ومـا دخل فيه مـن مصطلحـات، وبـين التناصيـة، فهـذا المصطلـح (عنـده) يعـني النظرية. فهي «تبادل التأثير بدون قصد غالباً، وبقصد غير قائم على السـرقة الأدبية الموصوفة أحياناً». ثم قال في الصفحة التالية: هي «تحاور طائفـة مـن

(٤٥) نظرية النص (بارت/ ٣٨) وانظر الخطيئة والتكفير ص ١٤.

(٤٦) انظر الخطيئة والتكفير ص٦٤ وفي معرفة النص ص ٢٨٦.

(٤٧) انظـر الكتابـة أم حـوار النصـوص ص ١٧ وراجـع بـاب (السـرقات) في كتـاب (العمدة ٢/ ٢٨٠) على سبيل المثال.

النصوص وتضافرها لإنشاء نص جديد على أنقاضها»[٤٨].

ولو تدبرنا ما انتهت إليه تعريفات التناصية التي أشرنا إليها عند جوليا كريستيفا وبارت وجماعة (تل كول) لوجدنا أن التناص لا يقابل السرقة بالضرورة لأنه جزء من التناصية مما يعني أنه يمثل أحدَ مبادئها. وهذا ما سيتضح لدينا مرة أخرى حين نتحدث عن أشكال التناص. فنظرية التناص لم تبق على هيئة واحدة كما ولدت للمرة الأولى عند السيمائيين بهذا المصطلح. ولكن عبد الملك مرتاض أصاب إلى حد كبير حين انتهى إلى ما يعرف بالتناص المعكوس[٤٩]. فنظرية التناص تدين بولادتها للثقافات التابعة السابقة، سواء بسواء مع النظريات النقدية الغربية التي أشرنا إليها، مثلما تدين لها بكثير من مفهوماتها وأشكال آلياتها.

وأمّا ما انتهت إليه التجربة النصية في الشعر الجاهلي وفي ضوء مفاهيم نظرية التناص فإنه يجعلنا ندرك أبعاد المماثلة في تمثل النصوص السابقة وفي ممارسة التغيير البنائي اللغوي. فالشاعر الجاهلي ورث - مثلاً - إرثاً نصّياً عظيماً في ظاهرة الأطلال المثبتة في مطالع قصائد الجاهليين... مما جعله يمارس عملية الانزياح والمماثلة والمغايرة ليصل إلى نصّ جديد يرضيه، مارسها بشكل عمودي وأفقي؛ فجاء بما يحتاج إليه وحذف مالا يرضيه دون أن يميت أي نص سابق له، أو أن يطمس ملامحه.

وهو في ذلك يمارس المرجعية الضمنية لإبراز النص الغائب أو المفقود

(٤٨) انظر على التوالي في (الكتابة أم حوار النصوص ص ١٤ و١٥).

(٤٩) انظر المرجع السابق ص ١٩ والخطيئة والتكفير ص ٣٢٠.

كما تقول نظرية التناص. بل إني أزعم أن الشاعر الجاهلي حقق لنا هذه المرجعية في عدد غير قليل من النصوص الأخرى. فلو أخذنا ظاهرة تشبيه المرأة بالظبية لديه، لأيقنا شدة المعاناة التي لقيها لعظمة الإرث النصّي فيها حتى ضاقت معانيه. لهذا حاول أن يصوغ تجربته صياغة جديدة تغاير ما استقر بنفسه بوعي أو بغير وعي. وأشير هنا إلى مثال واحد لشاعرين وقفا عند تلك الظاهرة وهما عِلْباء بن أرقم والحادرة الذبياني؛ وكلاهما ركز على صفة طول العنق في المرأة ولكن تجربتهما مختلفة؛ لأن نص أحدهما مغيب عن الآخر، ولو استقر المعنى في نفسه؛ فقال علباء(٥٠):

فيوماً توافينا بوجهٍ مُقَسَّمٍ كأَنْ ظبيةً تَعْطُو إلى نَاضرِ السَّلَمْ

بينما قال الحادرة الذبياني(٥١):

وتصدَّفَتْ حتى استبتكَ بواضحٍ صَلْتٍ كمُنْتَصَبِ الغزال الأَتْلعِ

وهاك مثالاً آخر في صفة النار التي عرفت بنار الكرم عند العرب. فقد سعى الحطيئة إلى تجربة نصّية جديدة مغايرة لما جاء به الأعشى من قبلُ، حيث يقول(٥٢):

---

(٥٠) الأصمعيات ص ١٥٧. مقسم: أي حسن جميل. تعطو: تتناول. السلم: نوع من شجر البادية يعظم وله شوك.

(٥١) ديوان شعر الحادرة ص ٤٥. تصدفت: أعرضت. استبتك: غلبتك على عقلك. صلت: أي أملس أجرد. الأتلع: الطويل العنق من كل شيء.

(٥٢) ديوان الأعشى الكبير ص ٢٥١. والمحلق: اسم الرجل الذي مدحه الأعشى.

تُشَبُّ لمَقْرورين يَصْطليانِها وباتَ على النّارِ النّدى والمُحَلَّقُ

ثم جاء الحطيئة فمارس مرجعية ضمنية لنص مفقود؛ وربما يكون غائباً فقال[٥٣]:

متى تأتِهِ تعشو إلى ضوءِ نارِه تجدْ خيْرَ نارٍ عندها خيرُ مُوْقِدِ

فسقط بيت الأعشى وظل بيت الحطيئة يتردد على الألسن، بيد أنه لم يلغِ سابقه أو يطمسه، وإن تضمن أكثر معناه، دون أن نتجاهل مفهوم النص الغائب القائم على الإيحاء، وهو ما لم يقله النص الأخير صراحة.

إن مفهوم التناص الواعي – غالباً – عند الجاهلي أصبح منصباً على القالب واللغة؛ أكثر من الدلالة والمضمون لضيق دائرة المعاني لديه. وهذا صميم مفهوم نظرية التناص حين تتجه إلى البناء اللغوي للنص. ومسألة البناء اللغوي صارت إحدى معضلات النقد الغربي، وقد تخلصت نظرية التناص منها حين أرجعتها إلى ثقافة المتلقي.

وربما نقع على مثل هذا كله في جهود النقاد والبلاغيين العرب؛ فهؤلاء أطالوا الحوار مع النصوص لفهم علاقاتها البنائية عامة واللغوية خاصة، لإدراك إشاراتها الدلالية وتحولاتها الأسلوبية في إطار سياقي عام. ونظروا إلى كل نص على أنه بناء لغوي تتعدد أجزاؤه وتتشعب علاماته. ويعد عبد القاهر الجرجاني من أبرز العرب في هذا المجال، إذ عني بالبناء الكلي للغة واستغل طاقاتها الكبرى لإثبات نظريته الموسومة (بالنظم) في

(٥٣) ديوان الحطيئة ص ٨١.

كتابيه (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة). وقد رصد الدكتور محمد عبد المطلب قضايا الحداثة لديه في كتابه (قضايا الحداثة) وخص التناص بالفصل الرابع (ص ١٣٦ - ١٩٣)، لهذا أكتفي بإبراز بعض النقاط اللافتة للنظر لدى الجرجاني. فهو يقول مثلاً: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها؛ وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلَّ بشيء منها - وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له»[٥٤].

وهنا نسوق كلمة بارت: «ليس لدى فاعل الكتابة أو القراءة ما يقدمه للعناصر: الآثار الفنية، الملفوظات؛ ما يمكن أن يقدمه محصور في ميادين النصوص والتلفظات؛ لأن فاعل الكتابة أو القراءة مقيد بترتيبية كلامية»[٥٥].

وهذا كله عرف عند عبد القاهر خاصة وأصحاب علم الكلام عامة. فعلم مراتب الكلام وترتيبه مما اشتهر لديهم[٥٦]. ويبدو لي أن أثر الثقافة اليونانية واضح في الطرفين معاً، ولكن النقاد العرب كانوا الحلقة الواصلة بين القديم والجديد. وقد ظهر هذا بوضوح بينهم وبين تشومسكي الذي

(٥٤) دلائل الإعجاز ص ٨١- ٨٢.

(٥٥) نظرية النص ص ٤٦.

(٥٦) انظر قضايا الحداثة ١٦٣ وبعد.

بدأ ناقداً لغوياً سنة ١٩٣٠م وفيه صورة من عبد القاهر وغيره[٥٧].

ونحن لا ننكر أن نظرية عبد القاهر كانت نحوية في جملتها؛ «إذ هي علاقات نظمية خالصة» ولكنه في سياق ذلك كان يأتي على أمور حداثية كثيرة[٥٨].

ورأى أنه تحدث في النص المقروء وميزه من المكتوب، فسبق بارت، كما شدد على فعالية المتلقي وقدرته في فهم النص، لأنه بناء لغوي له نظام ترتيبي وتأليفي خاص، ودون أن يلغي مكانة المنتج ودوره في إبداع نصه... فالمتلقي لديه يستطيع تأويل النص وتفسيره، كما يمكن أن تتعدد مرات التلقي والتأويل، ويتغير المتلقي. فقال: «واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك؛ من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تغير من لفظه شيئاً، أو أن تحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر. وهو الذي وسّع مجال التأويل والتفسير حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين، أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير»[٥٩].

---

(٥٧) انظر قضايا الحداثة ص ٥٨ و٦٢ وبعد.

(٥٨) انظر قضايا الحداثة ص ٧ و١٥ و٤٣ و٥٩.

(٥٩) دلائل الإعجاز ص ٣٧٤-٣٧٥ وانظر فيه ٣٤ و٣٦ و٣٨ و٤٣ و٤٩-٥٦ و٨١ و٣٠٧ و٣٥٩ و٣٦٢ و٣٧٠، وهناك كثير من الصفحات التي يعثر فيها الباحث على دلالات تناصية... وراجع في ضوئها حاشية (٤ و١٤ و٥٥) من البحث وانظر الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ص ١٣٣. ووازن أيضاً بين ما جاء في نظرية التناص من مفاهيم وأشكال وبين ما ورد في طبقات فحول الشعراء (٥/١ و٨ و٤٦ و٤٩ –٥٠) وراجع حاشية (٦٨) من البحث.

وبهذا كله سبق ميشيل ريفاتير في كتبه الأخيرة عن الأسلوبية، وقد تبنى هذا فيها «مفهوم التناص كطبقة من التأول المرتبط بأفكاره عن الوجوه البلاغية»[٦٠].

ولو أمعنا النظر في كلام الجرجاني وما ورد عند أصحاب التناص ومنهم بارت لعثرنا على تقاطعات تنظيرية عديدة متشابهة إن لم تكن متطابقة، وإن افترقت الغاية بينه وبينهم أحياناً. فإذا كان أرباب التناص قد أباحوا الحرية للمتلقي، وجعلوا اللغة إشارات عائمة في نظام بنائي... فهو يفعل فيه ما يشاء تفكيكاً وتركيباً ليعيد إنتاجه من جديد وليصبح إنتاجاً جديداً؛ لا إعادة إنتاج فإن عبد القاهر احترز لنفسه من ذلك. وقد رأى أن إباحة الحرية للقارئ أو المتلقي قد تؤدي إلى المَزَلّة، وهذه تنتهي إلى الهلكة؛ ولا سيما إذا وقع النص بيد متلق جاهل. لأنه في مثل هذه الحال لن يعرف إلا «ما يريه الظاهر ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً [بعلم النظم] فيتسكع عند ذلك في العمى، ويقع في الضلال»[٦١].

---

(٦٠) التناصية أنجينو ص ٧٧ وانظر قضايا الحداثة ص ٢٣ وبعد و١٥٩وبعد.

(٦١) دلائل الإعجاز ص ٣٧٤-٣٧٥ وانظر فيه ٣٤ و٣٦ و٣٨ و٤٣ و٤٩-٥٦ و٨١ و٣٠٧ و٣٥٩ و٣٦٢ و٣٧٠، وهناك كثير من الصفحات التي يعثر فيها الباحث على دلالات تناصية... وراجع في ضوئها حاشية (٤ و١٤ و٥٥) من البحث وانظر الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني ص ١٣٣. ووازن أيضاً بين ما جاء في نظرية التناص من مفاهيم وأشكال وبين ما ورد في طبقات فحول الشعراء (١/٥ و٨ و٤٦ و٤٩ -٥٠) وراجع حاشية (٦٨) من البحث.

ولم يكتف الجرجاني بممارسة التنظير؛ بل أجرى تطبيقاً لغوياً على نصوص قرآنية فبين أثر المتلقي في قراءة النص على وجه غير صحيح، ولم ينس التطبيقات النصية المنقولة إليه من الشعر. وبهذا كله كان سابقاً في ميدان تلقي النص، وإن لم ينص على مصطلح التناص صراحة؛ لأن النية عنده متجهة إلى بناء نظرية كاملة لنظم الكلام على ترتيب سياقي بلاغي. ولعل ما يؤخذ على الجرجاني أنه ظل كسابقيه من العرب يعتمد التطبيق الجزئي، سواء في اختياره للنصوص الشعرية أو القرآنية... ولكنهم جميعاً دونه بما فيهم أصحاب أهل الكلام والناقد الفذ القديم ابن سلام.

وقد يقول قائل: إن نظرية التناص تقوم على تفكيك النص كاملاً وتحلل لغته وإشاراته كلها ثم تسعى إلى إنتاجه بتركيب جديد يبنى على رؤية المتلقي؛ فهي لا تكتفي بالوحدات النصية الجزئية. وهنا يتقدم بين يدينا ابن طباطبا (المتوفى ٣٢٢هـ) الذي سعى إلى إثبات نصوص كاملة؛ وإن لم ينس الأبيات المفردة لبيان (عيار الشعر) لديه وهو عيار مرتبط بالمتلقي؛ فيقول: «وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو وافٍ، وما مجه ونفاه فهو ناقص»، ومن ثم قنن معاييره؛ دون أن ينسى ما للحكايات الشعرية من استفزاز لتلقي السامع لها[٦٢]. واشترط في ذلك كله ألا يزيل المتلقي كلام الشاعر عن جهته؛ «لأن الكلام يملكه حينئذٍ فيحتاج إلى اتباعه والانقياد له»[٦٣].

(٦٢) عيار الشعر ص ٢٧ وراجع فيه ٢٧- ٣٠ و٥٩ وبعد.

(٦٣) عيار الشعر ص ٥٨.

وحين كان غرض ابن طباطبا تعليمياً استحسن أن يحذو السامع، أو المتلقي حذو المشهور من النصوص القديمة وتميز شعرائها فقال: «وأكثر ما يستحسن الشعر تقليداً على حسب شهرة الشاعر وتقدم زمانه»[٦٤].

أما أبو سليمان الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ) فقد استفاد من سابقيه، وحاول تطبيق العلامات اللغوية على مقطعي الليل عند امرئ القيس والنابغة الذبياني؛ واحتج لكل منهما بناء على الدلالية اللغوية وإشاراتها[٦٥].

ثم جاء الباقلاني فاتخذ «من تقسيم أنواع الأداء طريقاً لإثبات تفرد القرآن وانفصاله عنها، سواء في ذلك ضروب الصناعة وطرقها في الكلام المعدل المسجوع أو الموزون غير المسجع أو الذي يرسل إرسالاً»[٦٦]. وأطال الحوار بين نص معلقة امرئ القيس والنص القرآني مُفكّكاً ومركباً، ومعارضاً، ومقابلاً بنصوص أخرى؛ فبيّن وجوه التماثل والاختلاف - وهو ما تصر عليه نظرية التناص - فنقل ظاهرة التلقي لنص كامل إلى مرحلة التطبيق؛ مبرزاً أهمية ثقافة المتلقي ومعرفته اللغوية والنقدية في إغناء النص وتمييز جيده من رديئه[٦٧].

وفي ضوء ما تقدم كله يصبح النص الشعري مغايراً لجنس أي نص آخر؛ ولهذا قال حازم القرطاجني مشدداً على مهمة المتلقي: «وليس ما

(٦٤) عيار الشعر ص ٩٠.

(٦٥) انظر بيان إعجاز القرآن ص ٦٢- ٦٣.

(٦٦) قضايا الحداثة ص ٣٨.

(٦٧) انظر إعجاز القرآن على هامش الإتقان ٢/ ١٢-٥٠.

يكون نصّاً على الشيء في تمكين إلقائه من النفس طبقاً له مثل ما لا يفهم الشيء منه إلا بطريق ضمن أو لزوم».

ومن هنا يشدد على تميز النص الشعري لتميز علاماته اللغوية فيقول: «وأيضاً فإن الأقاويل الشعرية يحسن موقعها من النفوس من حيث تختار مواد اللفظ وتنتقي أفضلها وتركب التركيب المتلائم المتشاكل وتستقصى بأجزاء العبارات التي هي الألفاظ الدالة على أجزاء المعاني المحتاج إليها»(٦٨). ويقول في موضع آخر عن تلقي المنشئ نفسه لإنتاج نصوصه: «قد يعرضها الناظم على نفسه فيظهر له بعرضها أمور كانت قد خفيت عنه من إلحاقات وإبدالات وتغييرات وحذف.

وقد يعرض للشاعر موضع يرى أنه خليق بالتغيير أو الزيادة فيتعذّر عليه ما يليق بالموضع من التغيير أو الزيادة فيرجئ النظر فيه إلى وقت آخر»(٦٩).

إذن؛ تركت نظرية التناص البناء اللغوي وإشاراته للمتلقي؛ وهذا ما سبق به العرب تلك النظرية؛ ومارسوا التنظير والتطبيق معاً، ولكنهم لم يقعوا على مصطلح (التناصية) وإن استخدموا كلمة (النص). فهل العبرة في المصطلح الذي وفد إلينا من الغرب وتعلق به بعض منا وجعلوه فتحاً مبيناً أم التعلق بمفهوم المصطلح ودلالته وآلياته وهي مما عرفه العرب؟!!.

---

(٦٨) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١١٩.

(٦٩) المصدر السابق ص ٢١٥ وانظر فيه ٢١٦ وما بعدها.

ومن هنا ينبغي أن نتعرف إلى هذه الآليات في اتجاهها وأشكالها وفعاليتها.

آليات التناص والامتداد الثقافي:

– اتجاهاتها (كيفية التعامل مع النص):

لم يستطع النقد في يوم ما أن يقضي على مذهب أدبي ليحل محله مذهباً آخر، أو ليطمس ثقافة ما تفاعل معها أحد المبدعين. فهناك تفاعل خاص يتحكم به المنشئ داخل السياق، وهو وحده من يحدث عملية الانزياح الأولى. وبهذا ينتقل من مرحلة النص المفقود إلى مرحلة النص الموجود؛ أي مما قبل النص إلى ما بعده في معاناة شديدة... ولعل هذا ما كنا نجده بشكل دقيق في ممارسة عدد من الشعراء والنقاد العرب للتجربة النصية. وهي ممارسة تتم وفق آليات محددة تنطلق من الذات المبدعة إلى الإرث النصّي، أو قد تتوقف عند النص المتخيل وتتشبث به ليصبح موجوداً. لهذا آثرنا تسمية كيفية التعامل مع النص السابق ومن ثم الموجود بالاتجاه. والسبب في هذا أن آلية كيفية التعامل اتجهت اتجاهين اثنين؛ الأول خارجي والثاني داخلي. وإذا كان (مرتاض) قد لحظ هذا في نظرية التناص فإنه قد أدمج الاتجاهين قائلاً: «إذن فلا غير ولا ذات، ولا ذات ولا غير وإنما هناك امتزاج حتمي بين الذاتية والغيرية»[٧٠].

(٧٠) الكتابة أم حوار النصوص ص ١٨ وانظر انفتاح النص الروائي ٩٤-٩٥.

وعلى أهمية هذه المسألة في الفن عامة والأدب خاصة تبقى الدوافع الموضوعية المكون الأكبر للاتجاه الخارجي، وسبباً قوياً في توجيه الاتجاه الداخلي؛ إن لم نقل: إنها تكونه.

فالاتجاه الخارجي يتمثل بالإرث الثقافي الذي يفد إلى المبدع من كل مكان، وفي كل زمان، غير عابئ بالحدود المكانية والزمانية. وعليه أن يتكيف مع هذا الإرث متنخلاً منه ما يحتاج إليه، ومكوناً صوراً مستمدة منه لكنها مغايرة له، ويدخل فيه (التناص الخارجي والداخلي) سواء أكان النص قديماً أم مُعاصراً.

هذا ما فعله الشاعر الجاهلي سواء ذلك الذي تنخل من قصائد الشعراء القدامى صوره وكون نصّاً جديداً له، أو ذاك الذي تنخل من شعراء عصره... وكل منتج أو كاتب في رأي رولان بارت «يكتب منطلقاً من لغته التي ورثها عن سالفيه؛ والكتابة هي شيء يتبناه الكاتب». وهذا الرأي لا يختلف كثيراً عما عرض له عبد القاهر[٧١].

إن الرؤية الدقيقة إلى هذه المقولة تنبئ بأن شعراء العربية لم يخرجوا عن ذلك، فتداخل النصوص في ضوء الاتجاه الخارجي، وفي ضوء لغتهم الموروثة أساس انبثاق تجربتهم الإبداعية في حالتي المماثلة والمخالفة. من هنا نفهم تذمر عنترة في مطلع معلقته من كثرة النصوص السابقة له، فلم يترك أصحابها ما يقوله، «وقد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه و لم يغادروا له

(٧١) الخطيئة والتكفير ص ١٢ وانظر دلائل الإعجاز ص ٣٦٢- ٣٦٣.

شيئاً» على حد قول ابن رشيق، فيقول[٧٢]:

هل غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ   أمْ هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ؟!!

وفي هذا الاتجاه تقع تجربتا امرئ القيس وكعب اللتان سبق ذكرهما، وكلها تؤكد أسبقية القدماء العرب إلى ملاحظة هذه الظواهر التناصية.

فكل منتج يكون نصّاً جديداً من نصُوص قبلية وربما تكون من إنتاجه كما يتضح لنا من تجربة الشاعر الأموي سُويد بن كراع العكلي حيث يقول[٧٣]:

أبيتُ بأبواب القوافي كأنّما   أُصادي بها سِرباً من الوحش نُزَّعَا

أُكالئُها حتى أُعرّس بعدما   يكون سُحَيراً أو بُعيداً فأهجعَا

عواصيَ إلا ما جعلتُ أمامَها   عصا مِرْبد تغشى نحوراً وأذرُعا

أَهَبْتُ بغُرّ الآبدات فراجعت   طريقاً أَمَلّتْه القصائد مَهْيَعا

بعيدةُ شأوٍ لا يكاد يَرُدُّها   لها طالبٌ حتى يكِلَّ ويَظْلَعا

إذا خِفْت أن تُروى عليَّ رَدَدْتها   وراءَ التراقي خشيةً أن تطَلَّعا

وجشَّمني خوفُ ابن عفّان ردَّهَا   فثقّفْتُها حَولاً حرِيداً ومَرْبَعا

لو قرأنا الأبيات بتدبر وفق مفهوم نظرية التناص واتجاهاتها؛ لتبينا

---

(٧٢) العمدة ١/ ٩١ وديوان عنترة ص ١٨٢.

(٧٣) البيان والتبيين (٢/ ١٢). أصادي: أخاتل وأخادع. نزعا: غريبة. أكالئها: أراقبها. أعرس: أنزل بها سَحَراً، أي أعالجها إلى وقت السحر، ويعني القوافي. أهبت: دعوت. الآبدات: المتوحشات؛ أي القوافي الشاردة. أملته: سلكته. المهيع: الواسع المنبسط. تروى علي: أي عني. الحريد: الكامل.

شدة المعاناة عند الشاعر لإيجاد النصّ المتخيل في ذهنه من نُصوص كثيرة له ولغيره. فكلما حاول الاقتراب منه وجد أنه لم يتشكل؛ وهذا ما يتضح في البيت قبل الأخير. فصورة هذه القصيدة تنبئ بأنها بنيت على أساس من الاتجاه الخارجي للنُصوص السابقة، وهي تجربة نصّية وإن كانت مباشرة لكنها لم تنته إلى التقليد، وفق ما انتهى إليه ميشال أريفي فيما زعمه عن التناص المباشر أو التقليد(٧٤). فآلية الشاعر الذاتية أدركت بوعي كامل الإرث النصّي السابق فلجأت إلى المعارضة والمماثلة والاختلاف ومارست عملية الانزياح لكسر الاتجاه الدلالي للوصول إلى غايته؛ فضلاً عن الانزياح في اللغة النصية. وهو ما تبينه حازم القرطاجني ونظّر له(٧٥).

ولم يكن هذا مقتصراً على الشعراء فالناقد العربي القديم ابن سلام أجرى تجربته النقدية في ضوء الممارسة الدقيقة للنصوص الشعرية لشعراء طبقاته. فكانت هذه النصوص تطوف كاملة بخياله، معززاً إياها بتنخل الأخبار عنها وعن صاحبها؛ مما هيأ له الوصول إلى أحكام نقدية جعلته ينزل الشعراء في منازلهم. ومما قاله: «ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرمين... فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة وما قال فيه العلماء»(٧٦).

أما الاتجاه الداخلي لدينا فيمثل (التناص الذاتي)؛ في نظرية التناص،

---

(٧٤) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٤ حاشية ٤.

(٧٥) انظر منهاج البلغاء ص ٢١٣– ٢١٦.

(٧٦) طبقات فحول الشعراء (١/ ٢٣–٢٤ وانظر فيه ٢٦ و٤٩– ٥٠).

لأن التفاعل يتم مع نصوص المنشئ ذاته لغة وأسلوباً ونوعاً، سواء أكانت قديمة أم محدثة جديداً. ولعل هذا ما يتمثل لدينا في الشعر الجاهلي على اختلاف الشكل الخارجي، بينه وبين نظرية التناص، وعلى المستويين الأفقي والعمودي. فقد يحس المنشئ أن نصه مازال ظلاً لنصوص سابقة، أو أنه يتّصف بالأحادية في الدلالة واللغة... مما يجعله ينكفئ على نصه الموجود ويمارس عليه عملية الانزياح والتغيير مماثلة ومخالفة لتنتهي التجربة النصية الإبداعية إلى شكلٍ راقٍ. فالتناص الذاتي في عرف نظرية التناص طريقة نقدية راقية. وتصبح مرحلة ما قبل النّص في الاتجاه الداخلي مغايرة أو مختلفة عنها في الاتجاه الخارجي، ولكنهما نابعتان من وعي كامل عند المنتج... فالتناص الذاتي يعزز مقولة إلغاء نصوص الآخرين الأخرى، ويدخل في تجربة جديدة تنطلق من نصوصه الموجودة، وينتقل المنتج ليصبح متلقياً يمارس على نصّه سلطة مطلقة لإيجاد نص آخر متخيل يرضاه؛ فالخارجي عام والداخلي مقيد(٧٧).

وهذا الوجه المشار إليه جزء أصيل من التناص الذاتي في نظرية التناص في ضوء المراحل المتعددة التي حددتها للإنتاج النصي. فلديها ما عرف بالقبلية والبَعْدية... فلديها ما قبل النص، والنص، وما وراء النص؛ وما فوق النص، وما تحت النص، وما بين النص،... والنص المفقود والنص الظل

---

(٧٧) انظر انفتاح النص الروائي ٩٤- ٩٥ والقارئ سلطة أم تسلط ص ٢٤-٢٥ ووازن ذلك أيضاً بما أورده ابن طباطبا في (عيار الشعر ص ١٤٦).

واللاحق وغير ذلك من المصطلحات التي عرفها الغرب[٧٨].

وقد يظن أحدنا أن هذه المصطلحات من صنيع الغرب ولكنه لو دقق فيما قاله حازم القرطاجني لذهل من المفاجأة؛ إذ يقول: «وللشاعر المروّي في كل قسم أربعة مواطن للبحث:

١- موطن قبل الشروع في النظم.

٢- وموطن في حال الشروع.

٣- وموطن عند الفراغ يبحث فيه عما هو راجع إلى النظم.

٤- وموطن بعد ذلك متراخٍ عن زمان القول يبحث فيه عن معان خارجة عما وقع في النظم لتكمل بها المعاني»[٧٩].

وهذا يعني أنه يقنن لعملية التلقي عند مدرسة (عبيد الشعر) وأمثالها، كزهير والحطيئة وأشباههما[٨٠]. وتلقى هؤلاء نصوصهم الموجودة بوعي فطري عالٍ، وحسّ فني دقيق باللغة والصورة... فكان أحدهم يجوّد جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة»[٨١]. أي أنه يحاول الانتقال من النص

(٧٨) انظر مثلاً: التناصية (ليون سُمفل ص ١٠٦) وطروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت ١٢٨) والأدب العام المقارن ص ٢٨ وانفتاح النص الروائي ص ٩٣ و١٠٠ ومتاهة التناص (ص ٥١) والنص والنص المضاد (ص ٤٤).

(٧٩) منهاج البلغاء (ص ٢١٤).

(٨٠) البيان والتبيين (٢/ ١٣).

(٨١) البيان والتبيين (١٤/٢).

الموجود إلى النص المتخيل وبالعكس، كما تقول نظرية التناص. لهذا لا يمتنع عنده أن «يدع القصيدة تمكث حولاً كريتاً، وزمناً طويلاً يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه؛ فيجعل عقله زماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه»[٨٢].

وهذا الضبط والتقنين من الشاعر المنشئ أولاً وهذا التنظير من النقاد يعد أعلى طبقة نصّية من تلك الحرية المطلقة للمتلقي في التلاعب بالنص، وهو تلاعب يغاير ما أثبتناه؛ وذلك ما تبينه الحطيئة فقال: «خير الشعر الحولي المحكك»[٨٣].

وهناك نمط آخر يشابه ما تقدم من عملية تلقي النص، ولكنه تلق بوساطة القراءة على المنتج؛ إذ روى التبريزي موقفاً له مع المعري قائلاً: «كان يغير الكلمة إذا قرأتُ عليه شعره»[٨٤].

فعملية التناص منصبة عند مدرسة عبيد الشعر وغيرها على البناء اللغوي وإجراء الانزياح الملائم للشفرة النصية. ولعل هذا ما تنبه عليه الجاحظ من قبل حين شدد على أن الشأن في القصيدة إنما هو «في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج»[٨٥]. ومفهوم التناص الداخلي يبيح للناص إشهار قانون

---

(٨٢) البيان والتبيين (٢/٩).

(٨٣) البيان والتبيين (٢/ ١٣) والعمدة (١/١٠٢) وراجع حاشية ٦٩ من هذا البحث.

(٨٤) شروح سقط الزند (١/ ٣) وانظر النص والنص المضاد (ص ٤٧).

(٨٥) الحيوان (٣/ ١٣١) وانظر ردّ الجرجاني عليه وعلى أهل الاعتزال في (دلائل =

الاختلاف والمغايرة ليقوض بناء نصه الموجود؛ مثلما قوّض بناء النصوص السابقة.

ويعد التناص الذاتي أقصى ما انتهت إليه التناصية، فالناص يمارس عملية تفكيك نصه ليعيد تركيبه، وهذا يشبه ما عند الشعراء الذين أشرنا إليهم وعند أمثالهم، وما ذكره الجاحظ عند مدرسة عبيد الشعر. ولكن الجاحظ والنقاد العرب الآخرين ساقوا ما ورد لدى نظرية التناص من مفاهيم وآليات باصطلاحات استمدوها من لغتهم وثقافتهم. وهنا يتبادر سؤال للذهن: هل العبرة في شكل المصطلح أو في دلالة تصوره النقدي؟!.

وهنا يفرض البحث علينا أن نشير إلى مسألة صناعة الشعر والتنظير لها عند النقاد العرب؛ وكيفية ممارسة المنشئ لنصه؛ فينتقل من مرحلة النتاج للنصوص السابقة إلى مرحلة الإنتاج مثله في هذا مثل القارئ في نظرية التناص. ويعد ابن سلام (المتوفى ٢٣١هـ) من أوائل من أشار إلى ذلك، ولكن ابن طباطبا (المتوفى ٣٢٢هـ) من أحسن من بدأ التنظير لها، وكذا فعل الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ) وأخذ عنهم جميعاً ابن رشيق (المتوفى ٤٥٦هـ) وعنه أخذ ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) وإن ادعى أن ابن رشيق قد سبق إلى التنظير في مسألة صناعة الشعر.

ولكن ابن خلدون ذهب مذهباً بعيداً في المسألة جعلته يقترب اقتراباً شديداً مما جاءت به نظرية التناص في إثبات آلياتها ومفاهيمها. فالشاعر

=الإعجاز ص ٤٤ وبعد و ٤٩ و٥٧- ٦٥ و٣٦٥) وراجع ما ذكرناه في كتابنا (قصيدة الرثاء ص ٧٥- ٧٦).

(المنشئ) يحتاج إلى ثقافة وخبرة ومعرفة في البلاغة والنحو والعروض وأيام العرب وأخبار، وفي الفقه واللغة... وأن يأخذ نفسه بحفظ الشعر وروايته... فإذا تجرد هذا كله في ذهنه من القوالب – أي نسي صورة شكل النصوص السابقة – حذا «حذوه في التأليف كما يحذو البنّاء على القالب والنسّاج على المنوال»... ولا ينشئ نصه إلا في أوقات النشاط والفرح «فذلك أجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه»[٨٦].

إن ما انتهى إليه ابن خلدون وسابقوه «يندرج ضمن نظرية التناص المبكرة عند العرب» وإن لم يطلقوا مصطلح التناص على ذلك فهذا لا يعني أنهم غير مدركين لمفهومها الذي «فتن الناس في العصر الحاضر»[٨٧].

في ضوء ما تقدم تبين لنا أن النقاد العرب تناولوا في نقدهم وجوهاً كثيرة لنظرية التناص. وأدركوا أن إنتاج نص ما لا يأتي من فراغ... وظلت رؤيتهم متجهة غالباً إلى المنشئ دون إهمال للمتلقي؛ بل إن المنشئ عادة

---

(٨٦) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٧٢ و٥٧٤ وانظر فيه الفصول التي تحدث بها عن الشعر وصناعته ٤٥– ٤٩ على التتابع) وانظر العمدة (١/ ١٩٦ باب في آداب الشاعر و١/ ٢٠٤ باب عمل الشعر وشحذ القريحة) وانظر عيار الشعر (١٩– ٢٠ صناعة الشعر) وبيان إعجاز القرآن ص ٣٦ وراجع ما قاله الجرجاني في (دلائل الإعجاز ص ٣٥٩– ٣٦٠ و٣٦٢– ٣٦٣)؛ وانظر ما قاله ابن سلام قبل هؤلاء جميعاً في (طبقات فحول الشعراء ١/ ٥ وبعد).

(٨٧) انظر الكتابة أم حوار النصوص ص ١٧ وقارن بين ما ورد لدى نظرية التناص وما ذكره حازم القرطاجني في (منهاج البلغاء ص ١٩٩).

يضع المتلقي في حسبانه. وهذا ما يمكننا تبينه من أشكال التناص فقد عرفوا التضمين والاقتباس والمعارضة والإيحاء؛ وغير ذلك من المصطلحات لكنها لم تجتمع في إطار تنظيري موحد كما في نظرية التناص؛ وهو حديثنا التالي.

أشكال التناص:

تؤكد الأشكال النقدية لنظرية التناص أنها نظرية نقدية متقدمة؛ لأنها استطاعت بآليتها المتعددة أن تصبح أداة لنقد أي نص من أي نوع كان، ومن أي ثقافة نبت.

فالنقد ينطلق من تواري نصوص سابقة وراء نص جديد أولاً؛ وبمحاولة الكشف عن شفراته يصبح – ثانياً – مفتاحاً لفهمه، وتفكيكه وإعادة تركيبه؛ لتمييزه من النصوص السابقة له على مر الزمن. فهو تكرار إنتاجي بصورة مغايرة؛ فإذا عمد المتلقي إلى تأويله صار إنتاجاً جديداً. فالتناصية – بهذا الفهم – أداة معرفية لفهم كيفية إنتاج النص؛ وأداة معرفية لإنتاج الخطاب الجديد في الوقت نفسه[٨٨].

فالتناصية – باعتبارها نظرية نقدية – غَدت الآلية الخاصة بالقراءة الأدبية والنقدية الجديدة في سياقها التناصي، وقراءتها التأويلية للنص.

فإذا قمنا بالموازنة بينها وبين ما ورثته من النظريات السابقة لها في الغرب؛ وما وصل إليها من تأثير ثقافي من العرب خاصة أدركنا مدى ما

(٨٨) انظر طروس الأدب على الأدب (جيرار جينيت ص ١٢٦) وانفتاح النص الروائي (٩٥–٩٩) ومتاهة التناص (ص ٥٤).

ارتقت إليه الدراسة النصية على يديها. وهذا لا يشعرنا بالدونية تجاهها؛ مما يجعلنا نسعى إلى الانتقاص من شأنها؛ وإعادة أشكالها كاملة إلى الثقافة العربية كما فعل عبد الملك مرتاض حين قال: «والتناصية إن شئت اقتباس؛ وهذا مصطلح بلاغي صرف؛ ولكنه الآن مسطو عليه من السيمائية التي بادرت إلى إلحاقه بالتناصيات واستراحت، بل إنها ألحقت الأدب المقارن نفسه بنظرية التناص وبكل جرأة»(٨٩).

فالباحث ينص صراحة على أنها اقتباس، وهو مصطلح بلاغي عربي؛ وهذا لاشك فيه؛ ولكنها لم تتوقف عنده، ولم تكتف به لأنها دفعته باتجاه نقدي في إطارها التكاملي لأشكالها التي قامت عليها. وأنا لا أنكر عليه رؤيته؛ لأنني موقن بأن التناصية صك جديد لامتداد ثقافي نقدي لغوي غربي وعربي في آن معاً، بيد أنني أنبه على مغالاته بإرجاع أشكال التناص، النظرية كلها إما إلى الاقتباس وإما إلى السرقة.

«إن التأمل فيما هو تناص سيسمح بإيضاح تلك الأشكال التي أهملتها الممارسة الأدبية؛ والتي تسمى السرقة والمحاكاة الساخرة والهجاء والمونتاج والفصل والسخرية والإلصاق والخطية والمقطعية»(٩٠).

وتركزت هذه الأشكال التي حددها مارك أنجينو في إطارين اثنين:

---

(٨٩) الكتابة أم حوار النصوص ص ٥٤ وانظر الخطيئة والتكفير ص ٣٢٠ والأدب العام المقارن ص ٢٧-٢٨ و١٠٦.

(٩٠) التناصية (أنجينو ص ٦٩).

العفوية وعدم القصد تارة والقصد والوعي الكامل تارة أخرى[٩١].

فمصطلح بلاغي واحد أو أكثر لا يمكن أن يقابل نظرية التناص التي جعلت هذه المصطلحات وغيرها أشكالاً في بنيتها النقدية من أجل الكشف عن ماهية النص أولاً وإعادة إنتاجه ثانياً، على إقرارنا بالامتداد الثقافي، وتراكمه عند الأمم كلها.

ولهذا فنحن لا نتفق مع (مرتاض) اتفاقاً مطلقاً في رد مفاهيم أشكال التناص إلى مفاهيم المصطلحات البلاغية العربية؛ وإن لمسنا تأثر كثير منها بذلك. فهو يرى أن «التناص تقاطع وتواصل ومقابسة ومغامصة وموامقة»؛ ثم ينتهي إلى أن هذه الأضرب تنتهي إلى شكل جديد؛ فيقول: «ومن أهمها شأناً: التناص المباشر أو التام، والتناص الضمني أو الناقص، والتناص العائم أو المذاب؛ وهو الذي لا يكاد يعرفه أي محلل للإبداع»[٩٢].

هناك تواصل وتقاطع بين الثقافة العربية ومصطلحاتها البلاغية وبين مصطلحات نظرية التناص، ولكن كثيراً من مفاهيمها الدلالية قد تغيرت؛ فضلاً عن آلية استعمالها.

ويمكننا أن نصنف أشكال التناص في نمطين اثنين كبيرين – أشار إليهما الناقد ليون سُمفل – وهما: التناص المباشر، والتناص غير المباشر[٩٣].

(٩١) انظر قضايا الحداثة ص ١٥٣.

(٩٢) الكتابة أم حوار النصوص ص ١٧ وانظر الخطيئة والتكفير (ص ٣١٧).

(٩٣) انظر التناصية (ليون سُمفل ص ١٠٦– ١٠٧) وقضايا الحداثة ص ١٣ و١٥٤– ١٥٩.

ويمكن أن نلحظ أن كثيراً من المصطلحات التناصية إنما تعود في أصولها إلى البلاغة العربية وإن اتجهت اتجاهاً نقدياً جديداً. ويشتمل التناص المباشر على ما يلي: التناص المنحسر والمتسع؛ ويتمثل كما قال محمد خير البقاعي برسالة ابن القارح ورسالة الغفران؛ والسرقة والاقتباس والتضمين والأخذ والاستعانة والمعارضة، والحل والاستشهاد والتغاير... وغير ذلك من المصطلحات البلاغية العربية. أما التناص غير المباشر فإنه يدخل فيه المجاز والتلميح والتوليد والإيحاء والتلويح والكناية والرمز... وقد يدخل فيه التضمين في بعض صوره(٩٤).

وأياً كانت أشكال التناص؛ فهي معتمدة على فهم المتلقي وتحليل إشاراتها النصية... وأدرك الجرجاني هذا في غير ما موضع من كتابه (دلائل الإعجاز)(٩٥). وحين عرف الجرجاني وزملاؤه من العرب هذه المصطلحات البلاغية كانت مقصودة لذاتها في دراسة الأساليب البلاغية للنص؛ ولم تجتمع في دائرة نقدية وبلاغية واحدة؛ كما عليه الحال في نظرية التناص؛ لا نستثني من ذلك إلا مصطلحات السرقة فكلها تدخل في هذا الباب سواء أكانت مليحة أم قبيحة مثل الأخذ والاجتلاب والاغتصاب والتضمين... كما أن تطبيقاتهم كانت جزئية تدور غالباً في إطار البيت الواحد. وقد ذكر

---

(٩٤) انظر انفتاح النص الروائي (٩٧) ودراسات في النص والتناصية (ص ١٣٩ حاشية ١٢) والكتابة أم حوار النصوص (ص ١٦- ١٧) وراجع ما ورد – مثلاً – في (العمدة ١/ ٢٦٣- ٢٦٤ و٣٠٤- ٣٠٧ و٢/ ٣٥ و١٠٠-١٠٤).

(٩٥) انظر دلائل الإعجاز ص ٢٩٢- ٢٩٣ و ٣٠٥ و٣٠٨ و٣٥٤ وراجع حاشية (٥٩ و٦١) مما تقدم وانظر أيضاً في (بيان إعجاز القرآن ص ٦٢-٦٥).

التبريزي أن الشعراء «في القديم يأخذ أحدهم البيت المشهور من شعر غيره فيزيده في شعر نفسه على المعنى الذي يسمى التضمين. ومن ذلك أن بني سعد بن زيد مناة ينشدون لرجل منهم يقال له شِقّة:

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه   على شَعَثٍ أيُّ الرجال

وهذا البيت مروي في شعر النابغة»[٩٦].

ويرى ابن سلام في هذا: أن العرب تفعل ذلك ولا تريد به السرقة؛ ولكنه زيادة في شعر الشاعر من شعر آخر مشهور كالمثل المشهور؛ فهو ليس من باب السرقة، أو الاجتلاب؛ وعليه قول النابغة الآخر؛ وهو[٩٧]:

تعدو الذئاب على من لا كلابَ له   وتتقي مربضَ المُسْتَثْفِرِ الحامي

أخذه الزبرقان بن بدر فقال[٩٨]:

إن الذئاب ترى من لا كلاب له   وتحتمي مربض المستثفر الحامي

وتعددت مصطلحات السرقة في النقد العربي القديم[٩٩]، ولم تقتصر

(٩٦) طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٦- حاشية ٥) وانظر ديوان النابغة الذبياني - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ص ٧٤.

(٩٧) انظر طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٧- ٥٨) وديوان النابغة الذبياني - (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٨٤- وتحقيق د. شكري فيصل ص ٢٢٢).

(٩٨) طبقات فحول الشعراء (١/ ٥٨) وقد رواه صاحب (شعر الزبرقان بن بدر ص ٥٢) مطابقاً لرواية ديوان النابغة.

(٩٩) عني العرب ببحث السرقات منذ ابن سلام؛ ثم ألفوا فيها كتباً فيما بعد، وتعددت مصطلحاتها لديهم؛ وليس هذا مجالها ولكن انظر - مثلاً - (عيار الشعر ص ٩١ والعمدة ٢/ ٢٨٠- ٢٩٤).

على البيت الواحد فربما انتهت إلى القصيدة برمتها، أو إلى المنهج الفني ذاته لبناء النص كما وجدناه بين امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة[١٠٠].

والتناص – كما تنتهي إليه النظرية – قد يكون بغير وعي من المبدع، ولعل هذا ما تنبه عليه القاضي الجرجاني في مذهب السرقات فقال: «ومتى أجهد أحدنا نفسه، وأعمل فكره وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً ثم تصفح الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثالاً يغض من حسنه»[١٠١].

فما فعله النقاد العرب يعد جزءاً أصيلاً من مفاهيم نظرية التناص وأشكالها؛ بل إن نصّ الجرجاني هذا يعد سابقاً فيه لأصحابها... ولكن ذلك كله على أهميته لم يشكل نظرية متكاملة لفهم النص، وإبراز أشكال التناص فيه.

وإذا رددنا النظر في التناص المباشر القائم على مفاهيم السرقة والاقتباس والتضمين...و... لما وسعه الحديث، فالعرب أدركوا ذلك بوعي كامل؛ كما أدركوا التناص غير المباشر ولكنهم لم يقعوا على هذا المصطلح، وإنما وقعوا على مصطلحات أخرى. ولعل الإيحاء والتلميح من أبرز الأمثلة لديهم كما في قول عبدة بن الطبيب في رثاء قيس بن عاصم[١٠٢]:

(١٠٠) انظر في الأدب الجاهلي ص ٢٠٧.

(١٠١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٢١٤.

(١٠٢) الأغاني (٢١/ ٢٥).

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّمَا

فهذا النص مستمد من قول امرئ القيس[١٠٣]:

فلو أنّها نفسٌ تموت جميعةً ولكنها نفسٌ تَسَاقطُ أنفُسَا

فمن أراد التعرف إلى العلاقة بين النصين السابقين لابد أن يديم النظر فيهما لإدراك ذلك؛ وهذا ما نفذ إليه التبريزي وأخذه منه الأبشيهي[١٠٤].

وما أورده التبريزي شديد الشبه بما يدعيه أصحاب نظرية التناص عن التناص غير المباشر، وعلاقته بالنص الغائب. فقال بعضهم: «تتعطل أية عملية فهم واستيعاب لهذا النص المركب؛ ولهذه الدلالة الغامضة بدون معرفة حقيقية بهذا النص الغائب وتخريج معانيه وإضاءة ظلماته»[١٠٥].

إن أشكال نظرية التناص تثبت أن طريقة معالجتها لنصّ ما تختلف اختلافاً شديداً عن تلك الأشكال الممتدة في الإرث الثقافي العربي على شدة الشبه بينهما. وهي تثبت في الوقت نفسه أن الغربيين صاغوا أفكارهم بمنطق جديد ينتهي إلى وظائف وغايات، وإلا فقدت نظرياتهم مسوغ بقائها، فكل شكل لديهم كان ينتهي إلى فعالية معينة إيجابية أو سلبية.

وهذه الرؤية في التنظير تسير وفق نظام لا متناهٍ من التقاطعات الثقافية في مفهوم نظرية التناص؛ بينما كانت ومازالت لدينا رؤية جزئية لأشكال

---

(١٠٣) ديوان امرئ القيس ص ١٠٧.

(١٠٤) انظر شرح ديوان الحماسة – التبريزي (٢/ ١٤٦) والمستطرف (١/ ٦١).

(١٠٥) النص الغائب ص ٥٣.

نقدية جزئية. فهناك فارق شديد في طريقة المعالجة وفي بيان الهدف منها؛ وهو ما نشير إليه أخيراً في إطار فعالية نظرية التناص.

فعالية نظرية التناص:

حاولت نظرية التناص أن تجعل القارئ يملك النص ويدرك بنيته في جمله بما تحمله من علامات وشفرات؛ ولم تحاول رصد موقف المنشئ؛ لأنها اكتفت بالتفاعل النصي الداخلي والخارجي، وبالتفاعل الذاتي في شكلين أفقي وعمودي على المستوى العام والخاص. ويكفي المنشئ أنه قال النص، فلا أبوة له(١٠٦).

والسؤال الذي يتبادر للذهن: من الذي يقود الآخر: النص أم المتلقي؟ وما مدى صحة مقولة أصحاب التناص من أن المنشئ لا يزور نصه إلا ضيفاً؟ ونحن لا نشك أن النص حمال وجوه دلالية بعيدة وقريبة يتعرف إليها المتلقي تبعاً لثقافته المعرفية واللغوية. فالنص «يأخذ مظهره المادي في علاقته بالقارئ»(١٠٧).

إن وظيفة الخطاب التواصلية مستندة إلى وظيفة نصية كامنة في علامات النص وشفراته؛ ولكن هذه الوظيفة كانت من قبلُ في يد المنشئ قبل صدورها عن النّص؛ وقبل تلقيها من القارئ. فالمنشئ وحده الذي منح نصّه فعالية إيجابية أو سلبية؛ فالبنيات «النصية التي تفاعل معها النص، وكما

(١٠٦) انظر الخطيئة والتكفير ص٦٢- ٦٣ وانفتاح النص الروائي ص١٢٣ -١٢٦.

(١٠٧) انفتاح النص الروائي ص ١٤ وانظر فيه ٩٥.

تقدم لنا من خلال النص نفسه» إنما هي بنيات مقدمة من المنشئ المستند إلى وضع تاريخي وثقافي ولغوي محدد[١٠٨]. ولهذا فإني لا أستطيع أن أفصل بينها وبين المنشئ كما انتهت إليه نظرية التناص؛ هذا إذا أهملنا الدوافع الذاتية لإنتاج التجربة النصّية، كما يتضح لنا من قول الحطيئة: «كفاكم - والله - بي إذا أخذتني رغبة ورهبة ثم عويت في إثر القوافي عواء الفصيل في إثر أمه»[١٠٩]؛ فالفن خاصة نصّ يرتبط بالدوافع التي أشار إليها القدماء من العرب[١١٠]. وبهذا الوعي نُرجع مقالة التناصيين: «النص ينتج ضمن نصّية سابقة فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً؛ وبمختلف الأشكال التي تتم بها هذه التفاعلات»[١١١]، إلى المنشئ قبل إرجاعها إلى المتلقي. فالمنشئ كامن في نصّه - على نحو ما - وإلا فقد النص نفسه شرعيته التاريخية والجمالية والذاتية؛ فهو ليس مجرد بناء لغوي وإنما هو دلالات موضوعية وشعورية. والتناص نفسه يوحي بذلك كله وإن ربطه أصحابه بالمتلقي؛ فالنص «لا يأخذ من نصوص سابقة» فحسب؛ بل يأخذ ويعطي في آن واحد؛ وقد «يمنح النصوص القديمة تفسيرات جديدة أو يظهرها بحلة جديدة كانت خافية؛ أو لم يكن من الممكن رؤيتها لولا التناص»[١١٢].

---

(١٠٨) انفتاح النص الروائي (ص ١٠٦) وانظر قضايا الحداثة ص ١٥.

(١٠٩) الأغاني (١٦/ ٣٧٩).

(١١٠) انظر مثلاً: منهاج البلغاء ص ٣٣٦ وكتابنا (الرثاء في الجاهلية والإسلام ص ٢٣ وبعد).

(١١١) انفتاح النص الروائي ص ١٠٨.

(١١٢) ما بعد البنيوية ص ٩٣- وانظر النص والنص المضاد ص٤٤-٤٥.

ولما كان هذا البحث منعقداً لغاية محددة في البحث عن الامتداد الثقافي والنقدي في نظرية التناص وليس للحديث في النظرية نفسها؛ آثرنا الاكتفاء بهذه الإشارات التي تفرضها طبيعة البحث العلمي ولنقرر أن آلية الإبداع ترتبط بالمنشئ ثم بالمتلقي بوساطة النص ولولا الأول لما كان الثاني.

فالتناص – بهذا الوعي – تناص إيجابي فعال يوصل بين المنشئ والمتلقي؛ لأنه ليس مجرد صدى للنصوص السابقة. ولعل نظرية التناص – عند بعض روادها – قد أصرت على عدم الإقرار بشرعية النصوص التاريخية... كدليل على المنشئ وإنما أصبحت جزءاً أصيلاً في بناء النص الجديد كما قال (رولان بارت): «إن التناص الذي يدخل فيه كل نص لا يمكن أبداً أن يعتبر أصلاً للنص»(١١٣).

وهذا يعني أن بارت يبيح السرقة من النصوص السابقة في وضح النهار دون أن يشعر بأدنى ذنب؛ فالنصوص السابقة ملك مباح للنص الأخير وصاحبه. ولو اطردت القاعدة في هذه الإباحة لاختلط الحابل بالنابل وضاعت أصول الأشياء، وانتهى الأمر إلى الفوضى في نسبة الأفكار إلى أصحابها.

ومهما تكن خلخلة النص الجديد لبنية النُصوص السابقة لتصبح جزءاً من بنيته فإن الوحدات المعنوية لا يمكن أن تغيب عن ذلك... وإن كان التصور الجديد مغايراً للقديم. فبنية النص الأدبي المعاصر التي ثارت على

(١١٣) عن متاهة التناص / ص ٥٤.

بنية النص العربي القديم في بعض إيقاعاته ولغته لم تُلغ التجذر الفكري الموروث، وإن جددت فيه هو أيضاً. وهذا ما نستشفه في بعض النظريات الغربية وأصحابها كجاكبسون وهيرش(١١٤).

وفي ضوء ذلك كله أطرح مسألة الفعالية النصية إيجاباً وسلباً، قوة وضعفاً؛ وهي مرتبطة بالنظام البنائي للنص أولاً – وهو ناشئ عن منتج – ومرتبطة ثانياً بالمتلقي... والأول ثابت والثاني متحول. فلو كان النص ضَعيفاً في بنيته لما استطاع المتلقي أن يغنيه بتفسيره، وإعادة إنتاجه... وهذا العيب لا يقع على المتلقي وإنما يقع على المنشئ... ولو كان النص ثرياً في شفراته وعلاقاته وأتيح له قارئ غير مكوّن لما استطاع أن يتبين منه شيئاً.

وهذا وحده ما تبينته نظرية التناص كما في القول التالي: «إذا كان المناص يأتي ليجاور النص فإننا في التناص كعملية نجد المتناص يأتي مندمجاً ضمن النص؛ بحيث يصعب على القارئ غير المكون أن يستطيع تبين وجود التناص أحياناً؛ إذا غاب عنه تحديد المتناص كبنية نصية مدمجة في إطار بنية نصية أخرى هي أصل»(١١٥).

وهكذا يتضح لنا أن الفعالية التي نرمي إليها ليست هي الصورة المقابلة لمصطلح التفاعل النصي أو المتفاعلات كأشكال لنظرية التناص

---

(١١٤) انظر على التتابع في الكلام الذي أثبتناه (انفتاح النص الروائي/ ص ١٠٤ والسيمياء والتأويل/ ص ٢٩ – ٣٢).

(١١٥) انفتاح النص الروائي/ ص ١١٥.

عند بعض أتباعها[١١٦]، وإنما نعني بها قوة النص أو عدمها وقدرة المتلقي أو ضعفه على التعامل مع النص بشروطه الموضوعية والذاتية والزمانية. فقراءتي لنص ما الآن ستختلف عن قراءتي له بعد سنوات، وتبعاً للثقافة المعرفية والحساسية الذاتية والنقدية.

وهذا يعني أن استلهامي للنصوص السابقة - وفق نظرية التناص - مرتبط بذلك؛ علماً أن المنشئ كان متلقياً في المرة الأولى التي أبدع فيها إنتاجه.

ولعل الإشارة السابقة للقارئ غير المكون تبرز الفعالية السلبية الضعيفة في الإنتاج والتلقي معاً؛ فالمتلقي يدور في إطار النصوص السابقة دون أن يأتي بجديد. ومن هنا يمكننا أن نفهم تجربة امرئ القيس الظاهرة في قوله[١١٧]:

عوجا على الطلل المحيل لأننا   نبكي الديار كما بكى ابن خِذَامِ

وهكذا نصف تجربتي عنترة وكعب اللتين أشرنا إليهما من قبل[١١٨]،

---

(١١٦) انظر انفتاح النص الروائي (ص٩١-٩٣ و٩٨- ١٠٠ و١٢٣) والسيمياء والتأويل (ص١٧-١٨ و٢١ و٣٢-٣٣) وراجع حاشية (١٠٦ من البحث).

(١١٧) ديوان امرئ القيس/ ص ١١٤ وانظر فيه النمط الابتكاري الإيجابي/ ص ٨- ثم راجع ما أورده ابن سلام في هذا المقام (طبقات فحول الشعراء) (١/٥٧-٥٨).

(١١٨) راجع الحاشية (٤٤ و٧٢ من البحث).

بالتناص السلبي الضعيف - كما توحيه البنية النصية - . ونقول مثل هذا في قصيدتين لأمية بن أبي الصلت اتبع فيهما آثار عمرو بن كلثوم في معلقته، وبائية لعلقمة الفحل حذا فيها حذو امرئ القيس[١١٩].

فالتناص - مفهوماً - يعيد النص إلى نُصوص سابقة بعد أن دخلت في بنيته، ولكنه عليه أن يعيد إنتاجها بشكل جديد «بحيث تصبح جزءاً منه، ومكوناً من مكوناته»[١٢٠]، ولكنه لا يعني أن يكررها بالصورة ذاتها، أو بأكثرها.

فالنص الذي يرتكس ليدور في نص سابق دون تغيير إنما هو نص سلبي؛ وهو مجرد تكرار إنشادي كما فعل الشاعر المقلد من قبل وقد أشار إليه الجرجاني: «فإن زعمت أنك جعلته قائلاً له من حيث أنه نطق بالكلم وسمعت ألفاظها من فيه على النسق المخصوص؛ فاجعل راوي الشعر قائلاً له؛ فإنه ينطق بها ويخرجها من فِيه على الهيئة والصورة التي نطق بها الشاعر»[١٢١].

---

(١١٩) انظر على التتابع في الكلام الذي أثبتناه الدواوين التالية: (ديوان أمية بن أبي الصلت/ ص ٥٠٣ و٥١٠ وديوان عمرو بن كلثوم/ ص ٧٥ وبعد، وديوان علقمة الفحل/ ص ٧٩ وديوان امرئ القيس/ ص ٤١ وبعد). وراجع ما قيل عن هذا الاتباع في كتاب (في الأدب الجاهلي/ ص ٢٠٧-٢٠٨). وانظر الرسالة الشافية للجرجاني/ ص ١٢٩.

(١٢٠) انفتاح النص الروائي / ص ٩٢.

(١٢١) دلائل الإعجاز (ص٣٦٢-٣٦٣ وانظر بيان إعجاز القرآن للخطابي/ ص ٦٢-٦٣).

فالتناص الإيجابي القوي إنتاج أفكار قديمة بأسلوب جديد؛ فهو ثمرة نصوص سابقة؛ ولكنه ليس وحيد البنية وفقير الدلالات والإشارات... وقد ربط بعض أصحاب التناص الفعالية القوية بالقارئ وأطلق عليه ميشيل ريفاتير القارئ المثالي المتمكن من «السياق الأدبي لجنس النّص. ومتى كان فاهماً لحركة الإشارات ونحوية بنائها؛ فإن تفسيره لها كله مقبول»(١٢٢).

وهذا ما نستشفه مرة أخرى من عبارة ابن سلام في امرئ القيس والشعراء الذين سبقوه: «ما قال ما لم يقولوا؛ ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها...»(١٢٣)، ومما انتهينا إليه عن ظاهرة التلقي عند عبد القاهر(١٢٤).

وهذه الفعالية عندي متجهة إلى النص ثم القارئ بينما هي في نظرية التناص منغلقة على القارئ غير المتمكن، أو القارئ المثالي... ومهما يكن أمر تلك الفعالية فهي لا تعني الأثر الذي تحدثت عنه النظرية.

ولما كان غاية البحث قائمة على إظهار التأثير النقدي في نظرية التناص لزمت الإشارة إلى أبرز ناقد لها في الغرب. ويعد (رولان بارت) الناقد الفرنسي المشهور فارساً للنص بلا منازع. وقد نهل من معين الثقافة العربية نقداً ولغة وأدباً...و... ولكنه اتجه بها اتجاهاً نقدياً يتفق وطبيعة منهجه وفكره وأدبه؛ فجاء على شكل آخر مغاير للنصوص العربية. فرولان

(١٢٢) الخطيئة والتكفير/ ص ٨٠ وانظر ما قاله نيو هيفن عن القارئ المثالي في (السيمياء والتأويل/ ص ٣٤ وبعد).

(١٢٣) راجع حاشية (٤٣ من البحث).

(١٢٤) راجع حاشية (٥٩ و٦١) وانظر أيضاً حاشية (٦٢-٦٥) من البحث.

بارت كان معجباً بمقولة ابن طباطبا: «إن للكلام الواحد جسداً وروحاً»[١٢٥]. وظهر هذا الإعجاب في كتابه (لذة النص) المنشور سنة ١٩٧٣م[١٢٦].

ولو راجعنا تاريخ بارت النقدي والشخصي لتأكد لنا أن هذا الأثر لم يكن عابراً؛ فقد ركز بارت في بحثه (موت المؤلف) على مفهوم اللغة النصية؛ وقال: «اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف»؛ وصدر سنة ١٩٦٨م. وهو مفهوم مستمد من النقد اللغوي العربي ولا سيما عند عبد القاهر الجرجاني وأصحاب مدرسة الكلام[١٢٧].

ونحن نعرف أن هذا الباحث شهد تحولات كبرى، فقد كان سيمائياً ثم صار تناصياً. وحين كتب بحثه (الكتابة في درجة الصفر) سنة ١٩٧٠م أسسها على ما يعرف بمفاهيم التشريحية. وكتابه قائم على تحليل قصة لبلزاك بعنوان (ساراسين) المؤلفة من عشرين صفحة في ضوء الجمل التي بنيت عليها... وصنف تحليله اللغوي في شفرات خمس (التفسيرية، والحدث، والثقافية، والضمنية، والرمزية). وكل شفرة لها طبيعة ووظيفة، فالشفرة الرمزية – مثلاً – تقوم على المبدأ الثنائي الذي اعتمدته البنيوية من اختلافات وتناقضات وتعارضات... أما الثقافية فإنها تتناول التداعيات

---

(١٢٥) عيار الشعر/ ص ١٤٣– وراجع حاشية (١٧) من البحث.

(١٢٦) انظر الخطيئة والتكفير / ص ٦٨.

(١٢٧) الخطيئة والتكفير (ص ٧١ وانظر فيه حديثه عن بارت/ ص ٦٤– ٧٤) وعليه اتكأنا، وراجع ما ورد في حواشينا (٥٩ و٦١ و٦٢–٦٥ و٦٧).

المعرفية التي بني عليها النص وتتسرب عن طريق اللغة.

ولهذا كله بلغ حجم كتاب (بارت) مئتي صفحة في ثلاث وتسعين فقرة... وإذا كنا لا ننكر أثر البنيوية التشريحية في تحليل (بارت) فإنه ينبغي علينا أن نشير إلى أثر أكثر أهمية قادم من الثقافة العربية. فابن قيم الجوزية سبق بارت إلى التحليل اللغوي – ولكن في إطار السياق الثقافي العربي – فوقف عند آيتين اثنتين فقط من سورة الفاتحة «إياك نعبد وإياك نستعين» مفسراً ومقابلاً ومعارضاً، ومفككاً... في كتابه «مدارج السالكين»... فلم ينته من تحليله لهما حتى استكمله فبلغ ثلاثة مجلدات[١٢٨].

فالمنهج الذي اتبعه بارت – وهو متطور جداً عما اتبعه ابن القيم – متأثر بمنهج ابن القيم... وما من أحد يشك في ذلك كله، لأن بارت لم يلتق بالثقافة العربية مصادفة، فالمصادفة لا تتكرر... مما يؤكد لنا أن بارت اطلع عليها يوم كان أستاذاً في جامعة الإسكندرية بمصر قبل استقراره بالكلية الفرنسية حتى وفاته سنة ١٩٨٠م.

هكذا تأكد لنا فيما عرضناه من مفهوم نظرية التناص وآلياتها أنها صاغت ما تسلمته من النظريات النقدية الغربية والثقافة العربية وفق نظرية جديدة راقية ومتكاملة تصلح لدراسة أي نص كان، وأياً كان جنسه أو انتماؤه وزمانه ومكانه... لأن النص وحده فحوى خطابها... ورسمت وظيفة نقدها على هذا الأصل، بعد ربطه بالمتلقي. فمن وظائفها «أنها أعادت النظر في ذات الكاتب، والمؤسسة والكاتب والعمل. كما أن

(١٢٨) انظر الخطيئة والتكفير / ص ٦٨.

الاهتمام بالنص ذاته تم من خلال كونه حاملاً للمعنى بحيث تتراكب جميع أجزائه لتشكيل الكل. وأخيراً أتاح هذا المفهوم الانتقال من الشفرة اللسانية إلى السيموطيقية أو الإيديولوجية بوجه عام، وذلك عن طريق رفض الانغلاق، باعتبار النص يشتغل منفتحاً على نصوص سابقة»(١٢٩).

وفي ضوء هذه الوظيفة وتلك الآلية المتكاملة تكمن فعالية نظرية التناص في دراستها للنص وتفاعلها في إطاره.

وهذا كله ينقلنا إلى كلمة أخيرة في الخاتمة.

- خاتمة:

لم يكن الحديث منصباً على مفهوم نظرية التناص ومناقشته أو مناقشة الآليات التي تبنتها، ولا الوقوف عند نشأتها وأطوار ارتقائها، ولا الوقوف عند آراء أصحابها واجتهاداتهم في ذلك كله... وإن اقتضى المنهج العلمي منه أن يقتبس من ذلك كله قبسة ما ويسرع إلى غيرها، بعد مناقشة وتعليل.

فالبحث قائم على رؤية التقاطعات المشتركة بين نظرية التناص وبين الامتداد الثقافي العربي خاصة... لهذا آثرت الخطة السابقة التي أشرت إليها في البداية، وفي إطار منهج نظرية التناصية القائم على المرجعية الضمنية والثقافية والتفسيرية.

---

(١٢٩) انفتاح النص الروائي (ص ٩٣) وانظر السيمياء والتأويل/ ص ٢٦، والخطيئة والتكفير/ ص ١٤ وراجع حاشية (١٩ و٢٠ و٣٦) من البحث.

وفي ضوء ما تقدم تقتضي الإشارة منا إلى أن مصطلح التناص مصطلح واحد عند الغربيين وإن طوروا مفاهيمه ودلالته النقدية... على حين أن العرب لم يتفقوا على مصطلح واحد لهذه النظرية. واختلاف النقاد العرب المحدثين ليس منشؤه أصل المصطلح عند الغرب؛ وإنما يعود إليهم في انتماءاتهم الفكرية الثقافية؛ وفي اطلاعهم عليه في هذه اللغة أو تلك، وفي عدم القدرة على استيعابه... أو فهم لغته وطبيعة أدبها... ولهذا كله وجدنا عدداً من المصطلحات في النقد العربي كالنص السابق واللاحق، والمفقود والموجود، والظل والمتخيل والغائب، والمقترح، والنص المضاد، والنص الظل والمزاح(١٣٠).

وانفتاح هذا البحث في تفاعله الكامل والمتجاوب مع نظرية التناص في (النص المفتوح) تبين لنا أن لها أباً، ولم يزرها ضيفاً؛ في الوقت الذي أكد لنا جملة من النقاط الأخرى.

– إن خطابنا النقدي – كان – وما يزال فردياً وقائماً على الرؤية النقدية والفكرية الجزئية، إذا استثنينا بعض المحاولات في القديم والحديث كتجربة الجرجاني في (دلائل الإعجاز) وحازم القرطاجني في (منهاج البلغاء) وعبد الله الغذّامي في (الخطيئة والتكفير) وسعيد يقطين في (انفتاح النص الروائي) ومحمد مفتاح في (تحليل الخطاب الشعري). وما يزال معتمداً على إلغاء الآخر ليثبت أنه الأمثل والأوحد؛ مما يجعله يقلل من شأن عمل الآخرين. بل أزعم أنه خطاب شائع في بنية التفكير العربي.

(١٣٠)انظر مثلاً: انفتاح النص الروائي/ ص ٩٣ -٩٧ والنص والنص المضاد/ ص٤٤.

لهذا نحن بحاجة إلى حوار إيجابي مستمر يفيد فيه كلٌ باحث من الآخر، وبصورة تكاملية...

ومن هنا لم يكن هذا البحث ليظهر لولا الإفادة من كتابات الآخرين غرباً وشرقاً، مقارباً ومعارضاً، آخذاً ومعطياً في آن معاً. وأحسب أن المغاربة العرب سبقوا إلى الحديث عن نظرية التناص من المشارقة[١٣١].

– إن نظرية التناص قدمت لنا إشارات مهمة لإسهامات الامتداد الثقافي العربي، وعززت في أبنائه التمسك بتراثه ولاسيما النقدي منه. فقد أماطت اللثام عما قدّمه للحضارة الإنسانية وإن لم تعترف اعترافاً صريحاً بذلك؛ لأن مبدأها الأول (موت المؤلف) الحقيقي؛ والعبرة تكمن في النص ودلالته وإشاراته... متجاهلة أحد أشكالها (التناص المعكوس) الذي أشار إليه عبد الملك مرتاض وربما أصاب في ذلك[١٣٢].

(١٣١) قد أفدنا مما انتهى إلينا من كتابات التناصيين عند الغرب والعرب؛ ومنها على سبيل المثال (من العمل إلى النص – ونظرية النص لرولان بارت) وبقية المقالات المترجمة في كتاب د. محمد خير بقاعي (دراسات في النص والتناصية) و(السيمياء والتأويل لروبرت شولز). و(الخطيئة والتكفير للدكتور عبد الله الغذامي) و(تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح) و(انفتاح النص الروائي لسعيد يقطين) و(قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور محمد عبد المطلب) والمقالات الواردة في الموقف الأدبي (عدد ٣٣٠) ومجلة (الآداب– العدد ١–٢). وأعتقد أن (رشيد بن حدو) المغربي يعد في طليعة من نبه على نظرية التناص إن لم يكن سابقاً في هذا.

(١٣٢) انظر الكتابة أم حوار النصوص/ ص ١٩.

– إن عملية المثاقفة تجعل الأفكار والرؤى المنهجية ملكاً للإنسانية قاطبة. فالذاكرة الفردية والجماعية تختزن في ذاتها الأصول والفروع التي انتهت إليها... وهذا ما تبنته نظرية التناص... وأسسته من قبل حركة التدوين عند العرب ومن ثم الإفادة من الإرث الفكري اليوناني.

بهذا يستقر بنا طول النظر لنقول مرة أخرى: إن نظرية التناص صك جديد لعملة قديمة.

فإن وفقت في ذلك فهو منة من الله؛ وإلا فالعجز مني؛ والله من وراء القصد.

المراجع والمصادر

١- الأدب العام المقارن، دانييل وهنري باجو، ترجمة د. غسان السيد، نشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.

٢- الأصمعيات، الأصمعي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.

٣- إعجاز القرآن للباقلاني (على هامش الإتقان في علوم القرآن للسيوطي)، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

٤- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، (١-١٦ مصور عن طبعة دار الكتب و١٧ - ٢٤ مصور عن الهيئة المصرية العامة)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٥- انفتاح النص الروائي/ النص، السياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٦- برج بابل، غالي شكري، دار الريس، لندن، ١٩٨٩م.

٧- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي، ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد ودكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣- ١٩٧٦م.

٨- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار

الفكر، بيروت، ط٤، بلا تاريخ.

٩- تحليل الخطاب الشعري/ استراتيجية التناص، محمد مفتاح، بيروت، ١٩٨٥م.

١٠- التناصية، ليون سُمفل، ضمن (دراسات في النص والتناصية) ترجمة د. محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ١٩٩٨م.

١١- التناصية، مارك أنجينو، (انظر رقم ١٠).

١٢- الجامع الصغير من حديث البشير النذير، جمعه الإمام السيوطي، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار خدمات القرآن، بلا تاريخ.

١٣- الحيوان للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط٣- ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩.

١٤- الخطيئة والتكفير، د. عبد الله محمد الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ١٩٨٥م.

١٥- دراسات في النص والتناصية، د. محمد خير البقاعي، (انظر رقم ١٠).

١٦- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٤م.

١٧- ديوان الأعشى الكبير، قدم له وشرحه د. محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي، دمشق/ بيروت - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٨-ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٤م.

١٩- ديوان أمية بن أبي الصلت، صنعة د. عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية، دمشق، ط٢، ١٩٧٧م.

٢٠- ديوان الحطيئة، تحقيق د. نعمان محمد طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١- ديوان شعر الحادرة، حققه د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢٢- ديوان علقمة الفحل، حققه لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٢٣- ديوان عمرو بن كلثوم، صنعة د. علي أبو زيد، دار سعد الدين، دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢٤- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٥- ديوان النابغة الذبياني، (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٥م) و(تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

٢٦- الرثاء في الجاهلية والإسلام، د. حسين جمعة، دار معد للنشر، دمشق، ١٩٩١م.

٢٧- الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني، ضمن (ثلاث رسائل، راجع حاشية ٧).

٢٨- السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢٩- شرح ديوان الحماسة، للخطيب التبريزي، عالم الكتب، بيروت، بلا تاريخ.

٣٠- شرح ديوان كعب بن زهير، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٣١- شروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا ورفاقه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٢- شعر الزبرقان بن بدر، دراسة وتحقيق د. سعود محمود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٣- طبقات فحول الشعراء لابن سلام، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٤- طروس الأدب على الأدب، جيرار جينيت، ضمن (دراسات في النص، راجع رقم ١٠).

٣٥- العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.

٣٦- عيار الشعر لابن طباطبا، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، ١٩٨٠م.

٣٧- غياب النظرية العربية، عبد العزيز قاسم، مائدة مستديرة في الحياة الثقافية، تونس، العدد ٣٤-١٩٨٤م.

٣٨- في الأدب الجاهلي، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، ط١٠، ١٩٦٩م.

٣٩- في معرفة النص، يمنى العيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٤٠- القارئ سلطة أم تسلط، د. الطاهر الهمامي، ضمن مجلة (الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد ٣٣٠، ١٩٩٨م).

٤١- قصيدة الرثاء، جذور وأطوار، د. حسين جمعة، دار النمير للطباعة و دار معد للنشر دمشق ط١، ١٩٩٨م.

٤٢- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، الشركة العربية المصرية للنشر ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٣- قضايا الشعرية،رومان جاكبسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨م.

٤٤- الكتابة أم حوار النصوص، د. عبد الملك مرتاض، ضمن الموقف الأدبي (انظر رقم ٣٩).

٤٥- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٤٦- ما بعد البنيوية، د. شكري الماضي، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، عدد ٣٥٣، ١٩٩٣م.

٤٧- متاهة التناص، جلال الخياط، مجلة الآداب، عدد ١+٢ - ١٩٩٨م.

٤٨- المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٤٩- مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، بلا تاريخ.

٥٠- من العمل إلى النص، رولان بارت، ضمن (دراسات في النص، انظر رقم ١٠).

٥١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٥٢- موت المؤلف، رولان بارت، ترجمة د. منذر عياشي، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد ٢٤١ + ٢٤٢- ١٩٩١م.

٥٣- النص الغائب، إبراهيم رماني، مجلة الوحدة العربية، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، ١٩٨٨م.

٥٤- النص والنص المضاد والنص الظل، محمد أبو الفضل بدران، ضمن مجلة الآداب، راجع رقم ٤٦.

٥٥- نظرية النص، رولان بارت، ضمن (دراسات في النص، راجع رقم ١٠).

٥٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.

عبد الواحد المالَقي... شارح التيسير

د. محمد حسان الطيان

يعدُّ المالَقي (٧٠٥هـ) واحداً من أبرز علماء القراءات القرآنية في الأندلس، فقد شرح كتاب التيسير للداني[1]: وهو من أشهر كتب القراءات القرآنية وعمدة القرّاء في هذا الفن والأصل الذي نظم عنه الشاطبي قصيدته المشهورة بالشاطبية - وتصدّر للإقراء والإجازة دهراً طويلاً في كلٍّ من غرناطة ومالَقة فتخرّج به الكثيرون، وأفاد من كتابه كبار المؤلفين في فن القراءات ولعل أبرزهم ابن الجزري (٨٣٣هـ) خاتمة المحققين وإمام القرّاء في كتابه الكبير النشر في القراءات العشر.

ترجمة المالَقي[2]

اسمه ونسبه:

عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السَّداد، أبو محمد، الأمويّ

---

(١) أفردتُ للداني أبي عمرو وكتابه التيسير مقالاً نشرته مجلة المجمع في مج: ٦٨ ص ٣٤٦- ٣٦١ بعنوان «دفاع عن كتاب التيسير للداني».

(٢) مصادر ترجمته: الإحاطة في أخبار غَرْناطة ٣/٥٥٣- ٥٥٤، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦-١٤٧، وبرنامج التجيبي ١٠٢، والديباج المذهب ٢/٦٣، ودرّة الحجال ٣/١٣٧-١٣٨، وغاية النهاية ١/٤٧٧، وبغية الوعاة ٢/١٢١-١٢٢، وطبقات المفسرين ١/٣٥٩-٣٦٠، وكشف الظنون ١/١١٤، ٥٢٠، وهدية العارفين ١/٦٣٥-٦٣٦، والخزانة التيمورية ١/٢٧٩، ٣/٢٦٧، والأعلام ٤/١٧٧، ومعجم المؤلفين ٦/٢١٢-٢١٣. و٤٠٧ :١.Brok .

الأندلسيّ، المالَقيّ، الشهير بالباهليّ والبائع.

فهو ينتسب إلى بني أمية، البيت ذي الأوَّلِيّة والشأن في الأندلس؛ إذ كان منه الولاة والأمراء ثم الخلفاء، وهو واحد من بيوتات كثيرة ينسب إليها الأندلسيون(١)، ولعلّ نسبته إلى الأمويين إنما هي بالولاء شأن الكثير من الأندلسيين؛ لأن شهرته بالباهليّ لا تتفق مع هذه النسبة.

وينتمي إلى الأندلس عامة، وإلى مَالَقة خاصة وهي موطنه الذي فيه ولد وعاش ومات(٢).

وأما شهرته بالباهلي فهي نسبة إلى باهِلَة قبيلة من قيس عَيْلان. وهي

---

(١) قال ابن الخطيب في الإحاطة ١/١٣٥ يصف أحوال أهل غرناطة: «وأنسابهم حسبما يظهر من الاشتراءات والبَيْعات السلطانية والإحازات عربية يكثر فيها القُرَشي، والفِهْري، والأُمَيوي والأنصاري... والباهلي...» ونقل هذا النص الأمير شكيب أرسلان ثم علق عليه بقوله: «الأموي نسبة إلى بني أمية وهما أميتان الأكبر والأصغر ابنا عبد شمس بن عبد مناف من قريش والنسبة إليهم أُمَوي بضم ففتح، وأموي بالتحريك على التخفيف». الحلل السندسية ١/٢٢٧.

(٢) مالَقة: مدينة أندلسية ساحلية تقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط، كانت العاصمة الثانية في مملكة غرناطة. ومالَقَة: بفتح اللام كما في معجم البلدان «ملق» ٥/٤٣ والقاموس، والتاج، والتكملة، وقد جاء في حاشية الدسوقي على المغني ١/١٧: «المالَقي: بفتح اللام نسبة إلى مالَقَة مدينة بالأندلس، وضبطها بالكسر غلط».

أيضاً من البيوتات النازلة بالأندلس[١].

وأما شهرته بالبائع فلم أقف على أصل لها أو تعليل، وأول من ذكرها له السيوطي في البغية وتابعه الداوودي في طبقات المفسرين[٢].

ملامح من حياته:

ولد أبو محمد بمالَقَة، والمصادر لا تسعف بتحديد تاريخ مولده، وإذا لم يكن من التقدير بدٌّ فيمكننا الرَّجْمُ - من غير ما جَزْمٍ - بأنها كانت في نحو العقد الرابع من القرن السابع الهجري. آية ذلك أن من شيوخه الذين روى عنهم وأجازوه مَنْ أدركته الوفاةُ في العقد السابع من ذلك القرن، كأبي الوليد العطّار الغرناطي المتوفى سنة ٦٦٨هـ والذي روى عنه أبو محمد كتابَي التبصرة والكافي، وذلك بعد أن شبَّ عن الطَّوقِ ورحل إلى غَرْناطَةِ[٣]، وكتب له أبو الوليد بالإجازة العامّة، وكمحمد بن أحمد اللخمي المتوفى سنة ٦٦٦هـ والذي روى عنه أبو

(١) ذكر ابن الخطيب في اللمحة البدرية ٢٦ البيوتات التي نزلت بالكورة الإلبيرية من قبائل العرب فعدَّ منها قيس عيلان التي تنتسب إليها باهلة. وقال الأمير شكيب أرسلان في تمام النص السابق: «والباهلي نسبة إلى باهلة قبيلة من قيس عيلان، وباهلة اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها» الحلل السندسية ١/٢٢٩.

(٢) بغية الوعاة ٢/١٢١، وطبقات المفسرين ١/٣٥٩.

(٣) انظر الإحاطة ١/٥٥٣، وغاية النهاية ١/١٧٠.

محمد كتاب الكافي(١)، مما يرجّح أن سنّه عند وفاتيهما لا تقلّ عن الخامسة والعشرين، وإذا أضفنا إلى ذلك أن شَيخَهُ ابنَ الزبير المتوفى سنة ٧٠٨هـ كانت ولادته سنة ٦٢٧هـ، غلب على ظننا أنه لم يتجاوز الثلاثين في ذلك الحين (أي في العقد السابع) لأنَّ الأصل أن يصغر التلميذُ شيخَه ولو بسنوات ما أحسبها كثيرةً عند المالَقي بدلالة أمرين: الأول أن كثيراً ممن أخذ عن المالَقي أخذ عن شيخه ابن الزبير(٢)، فهما من جيل واحد، والثاني أنه امتدَّ به العمر كما تنبئ ترجمته وأخباره، ومع ذلك فقد أدركته الوفاة قبل شيخه ابن الزبير بثلاث سنوات!.

ولا نكاد نعثر على أثر صريح يدلنا على أوّلية أبي محمد ونشأته، ويظهر أنه ينتسب إلى أسرة أوتيت حظاً غير قليل من العلم والفضل والنباهة والذكر، فأبوه الشيخ الأجلُّ الورع الأفضل المقدس أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي السداد الأموي، كما جاء في نسخة من كتاب عمدة النحرير في الإدغام الكبير(٣)، وخاله وليُّ الله أبو محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد

---

(١) انظر غاية النهاية ٢/٧٠.

(٢) انظر على سبيل المثال الإحاطة ٢/١٣٩ و١٧٩، ٣/٦٤ و١٥٧ (وثمة ترجمةُ وَلَدِ ابنِ الزبير محمد الذي أجازه المالقي) و٣/١٨٥، و٤/١٢٧ وغير ذلك من المواضع التي تأتي الإحالة عليها عند ذكر تلامذته.

(٣) وهو لصاحب الترجمة، وسيأتي ذكره في مؤلفاته. وما نقلته هنا موجود في الورقة الأولى من جزء فيه فرش الحروف من هذا الكتاب تحتفظ به مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت رقم ٥٩٦٤ (وهو من مخطوطات الظاهرية).

ابن أبي الحجّاج ابن الشيخ رحمه الله، كما جاء في الإحاطة[١].

وهذه الأسرة الكريمة قيّضَتْ لأبي محمد بلا شك نشأةً صالحة، وحببت إليه طَلَبَ العلم، فحفظ القرآن الكريم، وأفاد من أبيه وخاله[٢]، واعتاد مجالس العلماء والفقهاء والقراء من أهل بلدة مالَقَة ومن حلّ بها من غير أهلها من الشيوخ كابن الزبير الغَرْناطي[٣]، ومحمد بن أحمد اللخمي الإشبيلي[٤]، أخذ عنهم وتفقّه بهم، وتلقّى القراءات عن كثير منهم وروى عنهم كتبها، ثم رحل إلى غَرْناطَة فأقام بها مدة، وسمع على رواتها، وكتب له بعضهم بالإجازة العامة كأبي الوليد العطار الغَرْناطي[٥]، وهناك بلغ أبو محمد رتبة الأستاذية إذ أقرأ أهل غَرْناطَة زماناً[٦].

ثم عاد إلى موطنه مالَقَة فكان خطيبَ مسجدها الأعظم، وقعد للإقراء والتعليم والوعظ، فكان مقسوم الأزمنة على العلم وأهله[٧]، أمَّهُ

(١) الإحاطة ٣/٥٥٣، وقد ذكر الوادي آشي أبا محمد هذا في شيوخ صاحب الترجمة لكنه لم ينص على القرابة بينهما، انظر برنامج الوادي آشي ١٤٧. وكذا صنع صاحب درة الحجال: ٣/١٣٧.

(٢) الإحاطة: ٣/٥٥٣.

(٣) الإحاطة: ٣/٥٥٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٥) الإحاطة: ٣/٥٥٣.

(٦) الإحاطة: ٣/٥٥٤.

(٧) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر ما سيأتي من ذكر تلامذته.

الطَلَبَةُ من كل مكان فلم يكن يكتفي بتعليمهم وإقرائهم وإنما كان يغدق عليهم من عطاياه وكرمه حتى وصفه ابن الخطيب في غير ما موضع من الإحاطة بأنه مولي النعمة على الطلبة من أهل بلده[1]، ولم يقتصر نفعه على الخاصّة من أهل بلده وإنما تعداهم ليشمل العامة منهم ومن أهل الأندلس[2].

أما وفاته فأكثر المصادر على أنها في خامس ذي القعدة من سنة ٧٠٥هـ لم يخالف عن ذلك إلا حاجي خليفة إذ جعلها ٧٥٠هـ في موضعين مختلفين من كشف الظنون[3]، وظاهر أنه تحريف غير مقصود، إلا أن متابعة البغدادي له في هدية العارفين[4]، أوهمت صاحب معجم المؤلفين أن عبد الواحد المالَقي المتوفى سنة ٧٠٥هـ غيرُ عبد الواحد الباهلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ فترجم للرجل مرتين[5]!.

هذا وقد كان لوفاة أبي محمد وقع كبير على مالَقَة وما حولها، ولا غرو فهو شيخها، وواعظها، وخطيبها، ومولي النعمة على الطلبة من أهلها، أقرأ فيها عمرَه، وأخذ عنه الكثير من أهل الأندلس[6]. لهذا ما كان الحفل في جنازته عظيماً، إذ اجتمع الناس وحفّوا بنعشه، وحمله الطلبة وأهل العلم

(١) الإحاطة: ١/٢٢٢، و٣/١٨٩، ٥٥٣.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر ما سيأتي من ذكر تلامذته.

(٣) كشف الظنون ١/١١٤، ٥٢٠.

(٤) هدية العارفين ١/٦٣٥.

(٥) معجم المؤلفين ٦/٢١٢– ٢١٣.

(٦) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وبغية الوعاة ٢/١٢١.

على رؤوسهم[١]، ودفنوه في بلده مالَقَة حيث توفي، يرحمه الله.

مذهبه وخلقه:

مذهبُ أبي محمد مذهبُ أهلِ الأندلس عامّةً وهو مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة، وقد عُرِفوا به منذ أوّليتهم في أواخر القرن الهجري الثاني[٢].

وكان أبو محمد رأساً من رؤوس المالكية في عصره، آية ذلك أن ابن فرحون ترجم له في كتابه (الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب) ووصفه هو وغيره ممن ترجموا له بأنه كان فقيهاً... أصولياً، وبأنّ له تواليفَ في الفقه[٣].

هذا وقد تفقّه بأبي محمد طائفةٌ من كبار فقهاء عصره كان لهم فيما بعد شأن كبير في الفقه وغيره من العلوم أمثال قاضي الجماعة الفقيه الشيخ محمد بن يحيى الأشعري، والقاضي الفقيه محمد بن عبيد الله القيسي، والشيخ يوسف بن موسى المنتشافري، وغيرهم ممن سيأتي ذكره من تلامذته[٤].

(١) الإحاطة: ٤/ ٥٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ١٢٢.

(٢) الإحاطة: ١٣٤/١، ونفح الطيب ١/ ٢٢١، ونهاية الأندلس ٤٤٤، وتاريخ الفكر الأندلسي ٤١٧– ٤١٨.

(٣) الديباج المذهب ٢/ ٦٣، والإحاطة: ٣/ ٥٥٣، والبغية ٢/ ١٢١.

(٤) انظر الكلام على تلامذته فيما سيأتي.

أمّا خُلُقُهُ فقد كان مرآةَ دينِه، أوفى فيه على الغاية صلاحاً وإحساناً وتواضعاً، وقد بلغ من صلاحه أن غلب عليه لقبُ الشيخ الصالح لا يكاد يذكر إلا به، وما أحسن ما وصفه ابنُ الخطيب بقوله: «كان رحمه الله بعيدَ المدى منقطعَ القرين في الدين المتين والصلاح، وسكونِ النفس، ولينِ الجانب والتواضع، وحسنِ الخلق، إلى وسامةِ الصورة، وملاحةِ الشيبة وطيبِ القراءة، مولي النعمةِ على الطلبة من أهل بلده... مقسومَ الأزمنةِ على العلم وأهله، كثيرَ الخضوع والخشوع، قريبَ الدمعة...»(١)، وقريبٌ من هذا نعتُ ابنِ فرحون له بأنه: «منقطع القرين في الدين المتين والصلاح والتواضع وحسن الخلق»(٢). ولا يعدو هذا الوصف أن يكون صدىً لما جاء في شعره وما وصفه به تلامذته، وما كلمةُ ابنِ بكرون منا ببعيد(٣).

شيوخه:

تخرَّج أبو محمد بطائفةٍ صالحة من مشايخ عصره وقرّائِه، وكانت القراءةُ السمةَ الغالبةَ على مشايخه، لا سيما أولئك الذين ذكرهم في مطلع كتابه الدر النثير، وروى عنهم كتب القراءات الثلاثة المعتمدة في شرحه، وهي: (تيسير الداني وتبصرة مكي وكافي ابن شريح) على أن من ورائهم شيوخاً آخرين ذكرتهم كتب التراجم والتأريخ، تلقّى على أيديهم أفانين العلوم المختلفة، وكتب له بعضهم بالإجازة العامّة. وفيما يلي مسرد ببعض

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٢) من كلام ابن فرحون في الديباج ٢/ ٦٣.

(٣) سيأتي نصها في منزلته العلمية.

هؤلاء وأولئك منسوقٌ على أحرف الهجاء، مع بيانٍ موجزٍ لصلة أبي محمد بكلٍّ منهم.

١– أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر (٧٠٨هـ) الإمام المقرئ المحدث المؤرخ صاحب كتاب صلة الصلة. قرأ أبو محمد عليه «وكان من مفاخره»[١]، وروى عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٢– أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجائي[٢]، أبو جعفر. الشيخ الصالح. ذكر ابن الخطيب والسيوطي أن أبا محمد أخذ عنه.

٣– إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل العطار، أبو الوليد الغرناطي (٦٦٨هـ) المقرئ الراوية. كتب لأبي محمد بالإجازة العامة[٣]، وروى المالقي عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٤– الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري، أبو علي (٦٩٩هـ) الأستاذ المجود قاضي المَرِيَّة ومالَقَة. قرأ عليه أبو محمد[٤]، وروى

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣، وانظر غاية النهاية ١/ ٤٧٧، وبغية الوعاة ٢/ ٢١.

(٢) كذا ورد اللقب في بغية الوعاة ٢/ ١٢٢، والذي في الإحاطة ٣/ ٥٥٤: «الطنجالي» وهو في كلا الموضعين مندرج في ترجمة المالقي، أما ترجمة الطنجائي فلم أصبْها فيما بين يدي من كتب التراجم.

(٣) الإحاطة ٣/ ٥٥٣.

(٤) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦– ١٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧، وتاريخ قضاة الأندلس ١٢٧، والبغية ٢/ ١٢١.

عنه ثلاثة الكتب التيسير، والتبصرة، والكافي.

٥- عبد الرحمن بن عبد الله بن حوط الله الأنصاري، أبو عمر. المقرئ الراوية. سمع عليه أبو محمد[1]، وروى عنه كتابي التيسير، والتبصرة.

٦- عبد العظيم بن محمد بن أبي الحجّاج. وصفه صاحبُ الإحاطة بوليّ الله، وهو خال أبي محمد المالَقي. قال ابن الخطيب: «ويحمل عن خاله وليّ الله أبي محمد عبد العظيم ابن ولي الله محمد بن أبي الحجاج ابن الشيخ رحمه الله»[2].

٧- قاسم بن أحمد بن حسن الحِجريّ السَّكوت، أبو القاسم المالَقي (٦٩٠هـ) المقرئ القاضي. قرأ أبو محمد عليه[3]، وروى عنه القراءات من كتاب التيسير[4].

٨- أبو القاسم بن ربيع، ذكره صاحب درة الحجال في عداد شيوخ المالَقي، قال: «وكتب له القاضي أبو القاسم بن ربيع»[5].

٩- محمد بن إبراهيم بن أحمد الطائي، أبو عبد الله الأندلسي

---

(١) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦، والديباج المذهب ١٧٨، والبغية ٢/ ١٢١.

(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٤. ولم أصب ترجمة لهذا العَلَم.

(٣) الإحاطة ٣/ ٥٥٣- ٥٥٤، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٤) الذيل والتكملة ٥/٢ ص ٥٤٣، وغاية النهاية ٢/ ١٦.

(٥) درة الحجال ٣/ ١٣٨.

المعروف بابن سمعون (٦٧٠هـ) المقرئ الإمام الكبير قرأ على عبد الله بن محمد الكواب، وقرأ عليه الإمام أبو جعفر بن الزبير وأخذ عنه التيسير والعربية[١]. وذكر ابنُ الخطيب أن ابنَ سمعون كتب لأبي محمد المالَقي بالإجازة العامة[٢].

١٠- محمد بن أحمد بن عبيد الله اللخمي الإشبيلي التجيبي، أبو بكر (٦٦٦هـ) الأستاذ الخطيب المصدَّر. أقرأ الناس دهراً بمالَقة[٣]، وروى عنه أبو محمد كتاب الكافي سماعاً.

١١- محمد بن علي بن الحسن السهيلي، أبو عبد الله الجذامي، المقرئ الضرير، قرأ على أحمد بن غالب وأبي عمرو سالم بن صالح المالَقي وعبد الله بن محمد الجذامي[٤]. وذكر ابنُ الخطيب وابنُ الجزري أن أبا محمد قرأ عليه[٥].

١٢- محمد بن عيّاش بن محمد الخزرجي القرطبي، أبو عبد الله، المقرئ الكبير، روى عنه أبو محمد كتاب التبصرة.

١٣- محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري البلَنسي بن مَشَلْيون

(١) غاية النهاية ٢/ ٤٣.

(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٣.

(٣) غاية النهاية ٢/ ٧٠.

(٤) غاية النهاية ٢/ ٢٠٢.

(٥) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٦٧٠هـ) المقرئ الكبير، روى عنه أبو محمد كتاب التيسير[١].

١٤- يوسف بن إبراهيم بن أبي ريحانة المَرْبلي، أبو الحجّاج، المقرئ الراوية. قرأ عليه أبو محمد[٢]، وروى عنه كتاب التيسير[٣].

تلامذته:

وصف صاحب الإحاطة أبا محمد بجملة صفات، جاء فيها أنه كان: «بعيدَ المدى.. طيبَ القراءة.. مولي النعمة على الطلبة من أهل بلده.. أستاذاً حافلاً متفنناً مضطلعاً، إماماً في القراءات.. مقسومَ الأزمنة على العلم وأهله.. أقرأ عمره، وخطب بالمسجد الأعظم من مالَقَة، وأخذ عنه الكثيرُ من أهل الأندلس»[٤].

فلا غرو بعدُ أن عمّ نفعُه، وطار صيتُه بين الناس؛ ولم يقتصر تعليمُه على أهل بلده، بل أمَّهُ الطلبة من كل مكان يقرؤون عليه، ويلازمونه، ويتخرّجون به. ولقد نبُهَ منهم كثيرون بين قاضٍ وقارئٍ وعالمٍ وكاتبٍ وشاعرٍ وخطيبٍ وإمامٍ حفلت كتب التراجم بذكرهم، وسأعرض فيما يلي لأشهرهم منسوقين على حروف الهجاء:

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٣٨.

(٢) الإحاطة ٣/ ٥٥٣، وبرنامج الوادي آشي ١٤٦- ١٤٧، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٣) غاية النهاية ٢/ ٣٩٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

١- أحمد بن إبراهيم المعروف بابن صفوان المالَقي، أبو جعفر (٧٦٣هـ) أديبٌ شاعر، كان آيةً في فكّ المعمّى، ذكر ابن الخطيب في الإحاطة أنه «قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي أستاذ الجملة من أهل بلده، وموليّ النعمة عليهم، لازمَهُ وانتفع به»[1].

٢- عبد الله بن علي المعروف بابن سلمون الكناني، أبو محمد (٧٤١هـ) مقرئ لغوي فقيه، وهو صاحب كتاب «الشافي في تجربة[2] ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي» جاء في مشيخته أنه قرأ «بمالَقَة على الأستاذ أبي محمد الباهلي»[3].

٣- عثمان بن يحيى بن محمد بن منظور القيسي المالَقي، أبو عمرو (٧٣٥هـ) الأستاذ القاضي «لازم الأستاذَ أبا محمد بن أبي السداد الباهلي»[4]، وله مؤلفات منها «اللُّمَعُ الجدلية في كيفية التحدث في علم العربية».

٤- علي بن محمد بن سليمان الأنصاري المعروف بابن الجيّاب، أبو الحسن (٧٤٩هـ) وزير الدولة النصرية، وأحد كبار كتابها وشعرائها المعروفين، وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب، وقد نقل من خطّه أسماء

(١) الإحاطة: ١/ ٢٢٢ وترجمته ثمة ٢٢١- ٢٣٢.

(٢) كذا في الإحاطة ولعل الصواب: تحرير.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٤٠١ وترجمته ثمة ٤٠٠- ٤٠٤ وفي الغاية ١/ ٤٣٦.

(٤) الإحاطة: ٤/ ٨٦ وترجمته ثمة ٨٦- ٨٧.

أشياخه: «ومنهم الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي الباهلي»(١).

٥- القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (٧٣٠هـ) صاحب البرنامج المعروف باسمه، وقد جاء فيه: «وسمعت أيضاً يسيراً من صدر هذا الكتاب [الجامع الكبير المختصر في السنن المفردة] من فِلْقِ في الشيخ المقرئ الفاضل أبي محمد عبد الواحد بن محمد الأموي المعروف بالباهلي رحمه الله»(٢).

٦- محمد بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبو عمرو (٧٦٥هـ) وهو ولدُ شيخِ المالَقي أبي جعفر بن الزبير. وقد «استجاز له أبوه الطِّمَّ والرِّمَّ من أهل المشرق والمغرب... ومن أهل الأندلس أبو محمد بن أبي السداد...»(٣).

٧- محمد بن أحمد بن حميس الأنصاري (٧٥٠هـ) العالم الخطيب وأحد بلغاء عصره، له مصنفات منها «النفحة الأرَجِيَّة في الغزوة المرْجِيَّة» وقد أجازه الشيخ أبو محمد الباهلي(٤).

---

(١) الإحاطة: ٤/ ١٢٧ وترجمته ثمة ١٢٥- ١٥٢ حيث أورد له تلميذه ابن الخطيب كثيراً من أشعاره.

(٢) برنامج التجيبي ١٠٢. وفِلْق الفم شِقّه ومنفرجه، يقال كلمني من فِلْق فيه: من شِقّه. القاموس والتاج (فلق).

(٣) الإحاطة: ٣/ ١٥٧. والطِّم والرِّم كناية عن الكثرة. اللسان (طمّ).

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٨٤- ١٨٥.

٨- محمد بن أحمد بن الزيات الكلاعي، أبو بكر، القاضي الخطيب ابن الشيخ الخطيب أبي جعفر بن الزيات له مشاركة في فنون عدة، «قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي»[١].

٩- محمد بن أحمد الغسّاني المعروف بابن حفيد الأمين، أبو القاسم (٧٤١هـ) من أهل العربية والفقه والفرائض، ذكر ابن الخطيب في مشيخته أبا محمد بن أبي السداد[٢].

١٠- محمد بن أحمد الغسّاني المعروف بابن حفيد الأمين أيضاً، أبو الحكم (٧٤٩هـ) وهو شقيق أبي القاسم المتقدم، وخطيب مسجد مالَقَة الأعظم «قرأ على الأستاذ الخطيب أبي محمد الباهلي»[٣].

١١- محمد بن بكرون بن حزب الله، أبو عبد الله، من أهل الخصوصية والفضل، استهلَّ ابن الخطيب مشيختَهُ بقوله: «منهم الأستاذ مولي النعمة على أهل بلده، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، قرأ عليه القرآن العظيم أربع عشرة ختمة قراءةَ تجويدٍ وإتقان بالأحرف السبعة، وسمع عليه كتباً كثيرة، وقال عند ذكره في بعض الاستدعاءات: ولازمتُه رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته...»[٤]. ولم يذكر تاريخ وفاته.

---

(١) الإحاطة: ٢/ ١٣٩. وترجمته ثمة ١٣٨- ١٣٩ وفي غاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٦٤.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٦٧ وترجمته ثمة ٦٦- ٦٧.

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٨٩ وستأتي تمام كلمة ابن بكرون في شيخه المالقي وقوله: «بالأحرف السبعة» يريد القراءات السبع.

١٢– محمد بن جابر الوادي آشي (٧٤٩هـ) الإمام المقرئ المحدث الثقة المشهور، وهو صاحب برنامج معروف باسمه، ذكر فيه المالَقي وعدَّ بعض مشايخه[١].

١٣– محمد بن عبد الله بن فُرتون الأنصاري المعروف بالهنا، أبو القاسم (٧٥٠هـ) قاضي القضاة «أخذ عن الجلّة من أهل بلده كالأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، لازمه وانتفع به»[٢].

١٤– محمد بن عبيد الله بن منظور القيسي المالَقي، أبو بكر (٧٥٠هـ) القاضي الفقيه، «قرأ على الأستاذ أبي محمد بن أبي السداد الباهلي، ولازمه وانتفع به..» وله تصانيف عديدة منها «نفحات المُسُوك وعيون التبر المَسْبوك في أشعار الخلفاء والوزراء والملوك»[٣].

١٥– محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بالمُعَمَّم، أبو عبد الله (٧٥٤هـ) الشيخ الخطيب، قرأ على كثيرين «منهم الأستاذ أبو محمد ابن أبي السداد الباهلي..». ونسبت إليه مؤلفات كثيرة منها «إرشاد السائل لنهج الوسائل»[٤].

---

(١) برنامج الوادي آشي ١٤٦– ١٤٧. وانظر ترجمته في غاية النهاية ٢/ ١٠٦.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٢٢٧. وترجمته ثمة ٢٢٦– ٢٢٧.

(٣) الإحاطة: ٢/ ١٧٠– ١٧٢، وانظر في ترجمته أيضاً تاريخ قضاة الأندلس ١٤٥، وغاية النهاية ١/ ٤٧٧.

(٤) الإحاطة: ٣/ ١٩١– ١٩٣.

١٦- محمد بن محمد بن يوسف الهاشمي المعروف بالطنجالي، أبو بكر (٧٣٣هـ) ممن جمع بين الدراية والرواية، وخطب بمسجد مالَقة الأعظم، «قرأ على الأستاذ أبي محمد الباهلي...»(١).

١٧- محمد بن يحيى بن سعد الأشعري المالَقي، أبو عبد الله، المعروف بابن بكر (٧٤١هـ) قاضي الجماعة الصدر المتفنّن، أحد أشياخ لسان الدين ابن الخطيب(٢)، وصاحب كتاب «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»(٣). قال ابن الخطيب عندما عرض لمشيخته: «قرأ على الأستاذ المتفنن الخطيب أبي محمد بن أبي السداد الباهلي القرآن العظيم جمعاً وإفراداً، وأخذ عنه العربية، والفقه، والحديث، ولازمه، وتأدب به»(٤).

وابن بكر هذا هو راوي كتاب شيخه المالَقي (الدر النثير) قال ابن الجزري في معرض إسناده كتاب التيسير: «وأخبرني بشرحه للأستاذ أبي محمد عبد الواحد بن محمد الباهلي الأندلسي المالَقي، وتوفي سنة خمس وسبع مئة بمالَقَة، غيرُ واحدٍ من الثقات مشافهة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن يحيى بن بكر الأشعري عن المؤلف تلاوةً وسماعاً»(٥).

---

(١) الإحاطة: ٣/ ١٩٣- ١٩٤.

(٢) نفح الطيب ٥/ ٣٨٥.

(٣) نشر في بيروت عام ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور محمود يوسف زايد.

(٤) الإحاطة: ٢/ ١٧٩، وقد نقل هذه العبارة المقري في نفح الطيب ٥/ ٣٨٧.

(٥) النشر ١/ ٦٠.

١٨- يحيى بن عبد الله بن أبي عزفَـة اللخمـي، الرئيـس أبـو زكريـا (٧١٩هـ) محدث ضابط وشاعر مُجيد، رأس بسَبْتَة نائباً عن ملك المغرب السلطان أبي سعيد بن عبد الحق. أخـذ عـن كثيرين منهـم: «أبـو محمـد الباهلي..»[١].

١٩- يوسـف بـن موسـى بـن سـليمان الجذامـي المنتشـافري، أبـو الحجّاج، الشـيخ الفقيـه القـاضي المتصـوف والشـاعر الكـاتب، نقـل ابـنُ الخطيب من خطِّه في ثبتٍ أجـاز فيـه أولاده قولَـهُ: «فمـن شـيوخي الذيـن رويت عنهم، واسترفدت البركة منهم، الشيخ الخطيب الصالح المتفنّن، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد البـاهلي..»[٢]، وأبـو الحجـاج هـذا هـو راوي قطعة الشعر التي أوردها ابن الخطيب في ترجمة المالَقي[٣]، وسـيأتي الكلام عليها، هذا ولم يؤرخ ابن الخطيب لوفاتـه وإنمـا قـال: «كـان حيّـاً عام أحد وستين وسبع مئة» على حين قدَّرها البغدادي بنحو سنة ٧٦٧هـ، وذكر له مصنفات عدّة تنحو في مجملهـا نحـو التصـوف والرقـائق منهـا: «تخميس البردة»[٤].

(١) الإحاطة: ٤/ ٣٤١، وترجمته ثمة ٣٤٠- ٣٤٣.

(٢) الإحاطة: ٤/ ٣٨٧. وثمة ترجمته ٣٧٧- ٣٩٠.

(٣) هي في الإحاطة ٣/ ٥٥٤.

(٤) هدية العارفين ٢/ ٥٥٧، وانظر الأعلام ٨/ ٢٥٤.

مؤلفاته:

أجمعت مصادر ترجمة الرجل أنّه شرح كتاب التيسير في القراءات شرحاً أفاد فيه وأجاد - وذلك بكتابه المسمى «الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير» - وسأخصه بنبذة يسيرة بعد تمام هذه الفقرة - وأنّ له كتباً غيره في القراءات والفقه[1]، إلا أنهم لم ينصّوا على أسماء تلك الكتب خلا صاحب كشف الظنون فقد نسب إليه كتاباً اسمه «الأصول الخمسة التي بني الإسلام عليها»[2]، وتابعه البغدادي في هدية العارفين فذكر هذا الكتاب مع شرح التيسير وزاد كتاباً آخر اسمه «المنتخب في فضائل القرآن»[3]، وبهذا تكون مؤلفات المالَقي التي بلغَنا علمُها ثلاثةً.

على أن من ورائها مؤلفاتٍ أخرى للمالَقي على ما يبدو؛ فقد عثرتُ على رسالة مخطوطة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، نسبت إليه كما جاء في عنوانها الذي دلّ على أنها جزء من كتاب اسمه «عمدة التحرير في الإدغام الكبير». وهذا نص العنوان: «جزء فيه فرش الحروف من كتاب عمدة التحرير في الإدغام الكبير تأليف الشيخ الفقيه الأستاذ المقرئ المتفنّن الأوحد الأكمل الخطيب الإمام الأفضل أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ الأجل الورع الأفضل المقدّس المرحوم أبي عبد الله محمد بن علي

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤، والبغية ٢/ ١٢٢، وطبقات المفسرين ١/ ٣٥٩، والغاية ١/ ٤٧٧.

(٢) كشف الظنون ١/ ١١٤.

(٣) هدية العارفين ١/ ٦٣٥ - ٦٣٦.

بن أبي السّداد الأموي رضي الله عنه»[١].

ولعل قادماتِ الأيام تكشف عن المزيد من هذه المؤلفات.

وكتاب الدر النثير كتاب مؤلف في القراءات القرآنية، وهو شرح لكتاب التيسير في القراءات السبع (للداني ٤٤٤هـ) الذي نظمت عنه الشاطبية (فصار الفرع أشهر من الأصل) وقد اعتمد المالقي في هذا الشرح مبدأ الموازنة بين التيسير وكتابي التبصرة لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) والكافي لابن شريح (٤٧٦هـ)، وعوّل على كثير من كتب القراءات المعتمدة كالسبعة لابن مجاهد، والإقناع لابن الباذش، والتذكرة والكشف لمكي، ومؤلفات الداني المختلفة، فجاء جامعاً وملخصاً لعصارة علم الأندلسيين في هذا الباب.

وهو إلى هذا كله قد امتاز بمزيّتين اثنتين:

الأولى: أنه استقصى ذكر أمثلة الأصول كالإدغام الكبير والإمالة، واستوعب وجوهها المختلفة، ولا أعلم كتاباً آخر يَشْرَكُهُ في هذه المزية.

---

(١) يقع هذا الجزء ضمن مجموع من القطع الكبير يحمل رقم (٥٩٦٤) من مخطوطات الظاهرية في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ويشغل منه ٧ ورقات (١٧٣- ١٧٩) ولديّ مصورة عنه. وقد جرى فيه المالقي على حصر أمثلة الإدغام الكبير في القرآن الكريم مرتبة حسب ورودها فيه بروايتي الحافظ والإمام. انظر فهرس المخطوطات الظاهرية - علوم القرآن ١/ ٢٢٠.

والثانية: أنه جمع إلى شرف الرواية دقة الدراية، فلا تخلو مسألة من مسائله من الكلام على العلل والتماس وجوه الحكمة والقوانين الصوتية الكامنة وراء كل وجه من وجوه الأداء.

وقفتُ على خمس نسخ خطية تحتفظ بها مكتبات مختلفة في العالم وهي:

١- نسخة مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق (١٥٠ ورقة).

٢- نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة، رقم ٢٦٠، (١١٠ ورقة).

٣- نسخة متحف طوبقبوسراي باصطنبول، رقم ١٥٣، (١٨٦ ورقة).

٤- نسخة مكتبة إسميخان سلطان في المكتبة السليمانية باصطنبول، رقم ١١، (٨٣ ورقة).

٥- نسخة مكتبة كوبريللي باصطنبول، رقم ١٦، (٢٣٦ ورقة).

وكان تحقيق هذا الكتاب (مع دراسة مستفيضة عنه) موضوع أطروحة علمية نهضتُ بها وأشرف عليها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ونلت بها درجة الدكتوراه بتقدير شرف من جامعة دمشق بتاريخ ٢٨/ ٦/ ١٩٩٤م.

منزلته العلمية:

أتيح لأبي محمد أن يصيب حظاً من فنونٍ من العلم مختلفة، وكانت موارده في ذلك متعددةً متنوعةً، أولها شيوخه الذين أخذ عنهم وقد تقدم ذكرهم. وثانيها تراث عريض من علم القراءات وكتبها، تتلمذ عليه واستقى منه، وصرَّح في مواطن كثيرة من كتابه الدر النثير بالنقل عنه، من مثل مؤلفات الداني ومكي بن أبي طالب وابن شريح الرُّعيني وابن فِيْرُّه وابن الباذِش والمعدّل وغيرِهم، بالإضافة إلى كتب النحو واللغة وفي مقدمتها كتاب سيبويه، فلا غروَ أن كان بعد ذلك – فيما ذكر ابنُ الخطيب –: «أستاذاً حافلاً متفنّناً، مضطلعاً، إماماً في القراءات، حائزاً خَصْل السباق إتقاناً وأداءً ومعرفةً وروايةً وتحقيقاً، ماهراً في صناعة النحو، فقيهاً، أصولياً، حسنَ التعليم، مستمرَّ القراءة، فسيح التحليق[١]، نافعاً، متحبباً، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله..»[٢]. ونعته ابنُ الجزري بقوله: «أستاذ كبير، شرح كتاب التيسير شرحاً حسناً أفاد فيه وأجاد...»[٣].

هذا وقد أحَلَّهُ ذلك كلُّه مكانَ الصدارة والأستاذية بين أهل بلده وما

---

(١) التحليق لغة الارتفاع، جاء في التاج (حلق): «.. قال شمر: لا أدري التحليق إلا الارتفاع» ولعل هذه العبارة كناية عن سعة علم الرجل ورفعة شأنه.

(٢) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣. وانظر بغية الوعاة ٢/ ١٢١.

(٣) غاية النهاية ١/ ٤٧٧. ولا يبعد عن ذلك قول ابن فرحون فيه: «كان فقيهاً نحوياً أصولياً حسن التعليم نافعاً منجباً منقطع القرين في الدين المتين والصلاح والتواضع وحسن الخلق». الديباج المذهب ٢/ ٦٣.

جاوره، فغلب عليه لقب الأستاذ الخطيب المتفنّن، حتى لا يكاد يذكر إلا به[١]، بالإضافة إلى ألقاب أخرى عرف بها كالمقرئ، والفقيه، والشيخ الصالح... إلى غير ذلك مما يدلُّ على مكانته العلمية ورفعة شأنه، وسأعرض فيما يلي لدلالة كلٍّ من هذه الألقاب على صاحبها المالَقي:

- **الأستاذ:** هذا لقب اختصّ به في الأندلس كبار العلماء، لا يكاد يطلق إلا على من تبوأ منزلةً علمية مرموقة وكثر طلابه ومن تخرّج به: كابن الباذِش[٢]، وابن الزبير[٣]، والمالَقي[٤]، وأضرابهم..

- **الخطيب:** غلب هذا اللقب على أبي محمد لاعتلائه منبر الخطابة في مسجد مالَقَة الأعظم عُمرَه[٥].

- **النحوي:** أقدم من نَحَله هذا اللقب قرينُهُ أبو حيان الأندلسي شيخ النحاة في عصره (٧٥٤هـ) وستأتي كلمتُه فيه[٦]، وفي الدر النثير من المباحث النحوية ما يدل على علوّ كعب صاحبه في هذه الصناعة.

- **الفقيه:** عرف به أبو محمد لتمكّنه من الفقه، وتأليفِهِ فيه، وتفقّهِ

---

(١) الإحاطة ٢/ ١٣٩، ١٧٦، و٣/١٨٩، و٤/١٢٧، ٣٨٧.

(٢) انظر مقدمة تحقيق الإقناع ١/ ٢٢- ٢٦، والإحاطة ١/١٩٥، هذا وممن نعت المالقيّ بالأستاذ ابن الجزري في النشر ١/ ٦٠، ٣٥٣، وهو في الموضع الثاني «الأستاذ المحقق».

(٣) الإحاطة: ١/ ١٨٨.

(٤) الإحاطة ٢/ ١٣٩، ١٧٦، و٣/١٨٩، و٤/١٢٧، ٣٨٧.

(٥) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٦) انظر كلمة أبي حيان فيما سيأتي وهي في بغية الوعاة ٢/ ١٢٢.

الكثيرين به كما جاء في مواضع متعددة من الإحاطة[١]، على أن لهذا اللقب خاصيةً متميزةً عند الأندلسيين فقد جاء في نفح الطيب نقلاً عن المغرب: «وسمة الفقيه عندهم جليلةٌ حتى إن الملثّمين كانوا يسمّون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وهي الآن بالمغرب بمنزلة القاضي بالمشرق، وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات»[٢].

– **المقرئ**: القراءة رأس العلوم التي برع بها أبو محمد، ومن ثَمَّ فقد أقرأ عمره[٣]، ولا أدلّ على علوّ كعبه فيه من مؤلّفه الدر النثير الذي جمع فيه فأوعى.

– **المتفنّن**: يشير هذا اللقب إلى كثرة العلوم التي حازها أبو محمد، كالقراءات، والنحو، والفقه، والأصول، والحديث[٤]..

– **الشيخ الصالح**: تقدمت الإشارة إلى هذا اللقب في عرض مذهب الرجل وخلقه[٥]، وأضيفُ إلى ذلك هنا خبراً يدل على صلاحه أيضاً وتصدّره للوعظ، جاء في الإحاطة: حدث الشيخ الفقيه القاضي أبو الحجاج المنتشافري، قال: رأيت في النوم أبا محمد الباهلي أيام قراءتي

(١) انظر ما سبق من ذكر مذهبه وتلامذته.

(٢) نفح الطيب: ١/ ٢٢١.

(٣) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٣ وانظر في علمه بالحديث ما سيأتي في الصفحة التالية.

(٥) انظر ما تقدم، وانظر الإحاطة ٤/ ١٢٧، ٣٨٧.

عليه بمالَقَة في المسجد الجامع بها، وهو قائم يذكّر الناس ويعظهم فعقلت من قوله: أتحسبونني غنياً فقيراً، أنا فقير أنا.. فاستيقظت وقصصتها عليه، فاستغفر الله وقال: يا بني حقاً ما رأيت، ثم رفع إلي ثاني يوم تعريفه [كذا] رقعة فيها مكتوب:

لئن ظن قوم من أهل الدُّنى بأن لهم قوةً أو غنى

الأبيات...»[١].

ومن الجدير بالذكر أن ثمَّةَ علوماً أخرى حازها أبو محمد وعلّمها لم يشر إليها مترجموه، لكن المتتبع لتراجم تلامذته يقع على عبارات تفيد مشاركة المالَقي بهذه العلوم، من ذلك مثلاً ما مرّ من كلامٍ على تلميذه قاضي الجماعة ابن بكر الذي «أخذ عنه العربية، والفقه، والحديث، ولازمه، وتأدّب به..»[٢]. مما يدلّ على علم المالَقي بالحديث والعربية والأدب...

وكان أبو محمد إلى ذلك كله قريناً لمشاهير العلماء والنحاة والقراء مثل أبي حيان النحوي الذي ذكره في كتابه (النُّضار في المسلاة عن نُضار)[٣]، بقوله: «صاحبنا الأستاذ المقرئ النحوي»[٤]. ويبدو أنهما

(١) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤، وسيأتي تمام الأبيات في الكلام على شعره.

(٢) الإحاطة: ٢/ ١٧٩، وانظر ما تقدم ص ٣٩٧.

(٣) وهو كتاب صنفه أبو حيان بعد موت ابنته نُضار، ذكر فيه أول حاله واشتغاله ورحلته وشيوخه. انظر كشف الظنون ٢/ ١٩٥٨.

اشتركا في الأخذ عن كثير من الشيوخ(١).

وقد كان للشيخ أبي محمد في نفوس طلابه ومريديه محبةٌ فاقت حدَّ الوصف ولعلّ خيرَ ما يجلوها كلمةُ تلميذه محمد بن بكرون بن حزب الله التي يقول فيها: «ولازمتُهُ رضي الله عنه وأرضاه إلى حين وفاته، ونلت من عظيم بركاته وخالص دعواته ما هو عندي أجلُّ الوسائل، وأعظم الذخيرة، وأفضل ما أعددته لهذه الدار والدار الآخرة. وكان في صدر هذا الشيخ الفاضل كثيرٌ من علم اليقين، وهو علم يجعله الله في قلب العبد إذا أحبه، لأنه يؤول بأهله إلى احتمال المكروه، والتزام الصبر، ومجاهدة الهوى ومحاسبة النفس، ومراعاة خواطر القلب، والمراقبة لله، والحياء من الله، وصحة المعاملة له، ودوام الإقبال عليه، وصحة النية، واستشعار الخشية، قال الله تعالى:﴿إنما يخشى الله من عبادِهِ العلماءُ﴾ فكفى بخشية الله علماً، وبالإقبال عليه عزّاً»(٢).

شعره:

لم يكن أبو محمد شاعراً، ولكن أُثرتْ عنه بعض مقطّعات الشعر، مما هو إلى شعر العلماء أقرب، ويدور ما وصلنا من شعره حول غرض

(٤) بغية الوعاة: ٢/ ١٢٢.

(١) كأبي جعفر بن الزبير وأبي علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص الفهري، انظر مشيخة أبي حيان في الإحاطة ٣/ ٤٤، وانظر المدارس النحوية ٣٢٠.

(٢) الإحاطة: ٣/ ١٨٩– ١٩٠.

واحد لا يكاد يبرحه هو الدعاء والابتهال والتذلل لله سبحانه، من ذلك ما أنشده في مستهلِّ كتابه الدر النثير حيث قال:

وقفتُ ببابِ اللهِ جلَّ جلالُهُ ... لأحظى بتوفيقٍ ينيرُ هلالُهُ
وقلتُ إلهي نجّني وأحلّني ... بمقعدِ صدقٍ لا يخاف حِلالُهُ
بمنزلِ رضوانٍ بهِ كلُّ مشتهىً ... وللعينِ لذاتٌ ظليلٌ ظلالُهُ
وأتممْ عليَّ الفضلَ بالنظرِ الذي ... تخصّ به من تستقيمُ خِلالُهُ
وعُمَّ جميعَ المسلمينَ بمثلِهِ ... وذا رحمٍ حقٌّ عليَّ بِلالُهُ[1]

ومن ذلك ما أنشده في ختام كتابه حيث قال:

كملَ الكتابُ بحمد ربِّي وحدَهُ ... والحمد لله المصدّقِ وعدَهُ
وصلاتُهُ وسلامُهُ ورضاه والـ ... ـبركات تختصُّ المشفعَ عندَهُ
خيرَ البريّة رحمةً للعالمينَ ... ولا نبيَّ من البريَّةِ بعدَهُ
وتعمُّ أعلامَ الهُدى أصحابَهُ ... والتابعينَ ومن يُراعي عهدَهُ
والحمدُ آخرُ دعوةٍ أدعو بها ... واللهُ عزّ وجلّ يسمعَ حمدَهُ[2]

ومن شعره أيضاً ما حكاه ابن الخطيب في الإحاطة عن تلميذ المالَقي الشيخ الفقيه القاضي أبي الحجاج المنتشافري:

لئن ظنَّ قومٌ من أهل الدُّنا ... بأنّ لهم قوةً أو غِنى

(١) الدر النثير الورقة ١/ أ.

(٢) الدر النثير الورقة ١٥٠/ أ.

لقــد غلطــوا ويحهــم، مــالَهم؟ فتــاهوا عقــولاً عَمُــوا أعينــا[٣]

فــلا تحســبوني أرى رأيَهــم فــإنّي ضعيــفٌ فقــيرٌ أنــا

وليـس افتقــاري وفقــري معــاً لخلـقٍ فمـا عنـدَ خلـقٍ غِنـى

ولكــنْ إلــى خــالقي وحــدَهُ وفــي ذاك عــزٌّ ونيـلُ المنـى

فمــنْ ذلَّ للحــقِّ يــرقَ العــلا ومــن ذلَّ للخلـقِ يلـقَ العَنـا[٤]

وبعد.. فليس هذا كل شيء في ترجمة المـالَقي وعلمـه، وإنمـا هـو صدى لما اجتمع لديّ من كتب التراجم التي عرضـتْ لـه أو ألمعَـتْ إليـه، ولا ريب أن من ورائها كتباً أخرى لم تصلْ إلينا – أو وصلَتْ ولم ترَ النّـورَ بعد – كتاريخ مالَقَة لابن عسكر، والإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالَقة لأصبغ ابن العباس[١]، وغيرهما مما عسى أن يوضّح غامضاً أو يبيّـن خافيـاً أو يزيد فيما نقص من مراحل حيـاة الرجـل. أمـا علمـه فمـا أحسـب شيئاً سيوفيه حقّه ويجلو حقيقته كدراسة ما خلّفَهُ من آثار، وعلى رأسـها سِـفْرُه الأكبر «الدر النثير» وهو ما أصبو إليه في بحوث تالية.

---

(٣) جاء هذا البيت في الأصل على النحو التالي :

لقد غلطوا ويحهم بجمع مالهم فتــاهوا عقــولاً وعمــوا أعينــا

فأصلحته بما يقيم وزنه ولا يضر بمعناه!.

(٤) الإحاطة: ٣/ ٥٥٤.

(١) نص عليهما ابن الخطيب في معرض ذكره لمصادره في الإحاطة ١/ ٨٣.

ثبت المراجع

– الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢ ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

– الأعلام، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ ١٩٨٠م.

– الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر بن الباذش الأنصاري (٥٤٠هـ)، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.

– برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي (٧٣٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، ١٩٨١.

– برنامج الوادي آشي، محمد بن جابر الوادي آشي (٧٤٩هـ)، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣ ١٩٨٢م.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

– تأريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن علي بن عبد الله النُّباهي

(٧٩٢هـ)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

– الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، المكتبة التجارية الكبرى بفاس، ط١ ١٣٥٥هـ – ١٩٣٦م.

– الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير، عبد الواحد المالقي (٧٠٥هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق ١٩٩٤م.

– درَّة الحَجَّال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (١٠٢٥هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة بتونس، ودار التراث بالقاهرة، ط١ ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

– الديباج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي (٧٩٦هـ)، تحقيق د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

– الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي (٧٠٣هـ)، تحقيق د. محمد بن شريفة – د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤ – ١٩٦٥م.

– طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي (٩٤٥هـ)، تحقيق علي محمد عمر، مركز تحقيق التراث بدار الكتب – مكتبة وهبة، مصر، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

- عمدة النحرير في الإدغام الكبير، عبد الواحد المالقي (٧٠٥هـ)، مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية الموجودة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (٥٩٦٤).

- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (٨٣٣هـ)، بعناية ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

- فهرس الخزانة التيمورية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف بحاجي خليفة (١٠١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

-النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٨٣٣هـ)، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المَقّري

التلمساني (١٠٤١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي (١٣٣٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- C. Brockelmann, Oeschichte, Der Arabischen Litteratur, Leiden, ١٩٣٧.

(التعريف والنقد)

نَظَراتٌ في سِيرة كَشَاجِمَ وآثارِه

(القسم الأول)

الدكتور محمد بن عبد الله العزّام

لم أكن أعرف شيئاً كثيراً عن أبي الفتح كَشاجم، ولكني انصرفت في بضع السنوات الأخيرة إلى دراسة سيرة أبي الطيّب المتنبيّ وأخباره وشروح ديوانه، فكنت أعجب من غياب اسم هذا الشاعر المشهور من أخباره ومن أخبار سيف الدولة، مع أنّه كان يعيش في حلب وكان فيما يقولون من شعراء سيف الدولة.

طبعات الديوان:

ثمّ اطّلعت على الطبعة الجديدة من ديوانه، وهي بتحقيق الدكتور النبوي شعلان ومن منشورات مكتبة الخانجي بمصر في عام ١٩٩٧. فإذا مكتوب على الغلاف: **المتوفّى سنة ٣٦٠**، فازداد العجب لأن المحقّق الفاضل ينبغي أن يكون قد حرّر المسألة، ولكن ظهر أنه لم يبحثها أصلاً، ووجدته يردّد الكلام المعروف عن سيف الدولة وإكرامه للشعراء، وتوسّع فيه في مقدّمة كتاب أدب النديم، من غير الاهتمام ببحث وجود كَشاجم في قَصْره وعَصْره، كأنّها مسألة مفروغ منها.

ولكنّه قصرٌ في استخراج الأشعار المتنازع عليها بينه وبين السّريّ الرّفّاء، مع أنه وقف على ديوان السّريّ الصادر عام ١٩٨١. وهذه الأشعار تَدُلّ على مقدار

الاضطراب في رواية ديوان كَشاجم، والتداخل بينه وبين دواوين معاصريه، وبعضها لا وجود له في أصل ديوانه ولا في زياداته. ولم يرجع المحقّق إلى كتاب المصايد والمطارد المنسوب لكَشاجم، وهو مطبوع ، وفيه أشعار كثيرة منسوبة إلى كشاجم وأشعار ينسبها المصنِّف إلى نفسه، ولا يخلو الكتاب من إشكال. ولعلَّه لم يسمع بكتاب البيزرة الذي يقال إنَّه من تصنيفه (لأن المصنِّف ينشد أشياء من شعر كَشاجم على أنَّها من شعره)، وهو مطبوع أيضاً. ونسي نشر ترجمته الموجودة في بعض النُّسخ، ولقد اتّسع المقام لنشر كلام كثير ليس له علاقة ظاهرة بالشاعر، فكان يَجِب نشر الكلام المتعلِّق به، ولا سيَّما أن تراجمه في الكتب قليلة. وانصرف ـ مع الأسف ـ إلى الهجوم على الدكتور سامي الدهان رحمه الله، واتهامه بشتى التُّهم بعبارات غير مستحسنة، لأنه استخرج بعض أشعار الخالديين من ديوان كَشاجم، بينما يجزم هو بأنَّها لكَشاجم من غير دليل إلا وجودها في ديوانه. وهذا الهجوم لا مسوِّغ له لأن دسَّ أشعارهما في الديوان أمر معروف مشهور مقطوع بوقوعه.

وقد حُقّقت هذه الطبعة من الديوان على النُّسخة المصرية (أعني نسخة دار الكتب المصرية ذات الرقم ٤٥٧٩)، وعُورضت على نسخة بطرسبرغ وطبعة بيروت القديمة، وعلى أربع نسخ حديثة في مصر. وازدحمت الحواشي بفروقاتها مع أن كثيراً منها تصحيفات واضحة لا قيمة لها. وفات عليه استخدام نسخة الدار المهمّة ـ ذات الرقم ٧٩م ـ التي اطَّلع عليها الدكتور الدهان فوجدها سالمة من بعض الشعر المدسوس. وأهمّ من ذلك أنه لم يقف على نسخة برنستون وهي أجلُّ النُّسخ على الإطلاق.

أما الطبعة العراقية فقد صدرت في بغداد سنة ١٩٧٠، وهي بتحقيق السيدة الفاضلة خيرية محفوظ. وقد اتخذت النسخة المصرية نفسها أصلاً كما قالت، وعارضتها بنسخة بطرسبرغ ونسخة برنستون وطبعة بيروت القديمة. ولكنَّها أفرغت جميع الأشعار الواردة فيها وفي سائر المصادر في

ترتيب هجائي واحد، وخلطت بين كَشاجم وبين ابنه أبي نصر في بعض المواضع، وأغفلت الإشارة إلى أن بعض القطع وردت ملحقة ببعض النُّسخ، فضاعت معالم الديوان واختلط الحابل بالنابل.

ولم يقف محقّق الطبعة المصرية على هذه الطبعة العراقية، وتجاهلها فلم يذكرها ولومن أجل الاعتذار عن عدم الاطّلاع عليها. وهي منتشرة بأيدي الناس وطالما أشار إليها الباحثون، ونحن في عصر الاتصالات والمجلات العلمية والمكتبات ومعارض الكتب. وهو أولى بمعرفة وجودها لأنَّه حريص على كلّ ما يتعلّق بكَشاجم، وقد رجع إلى دواوين أخرى ممَّا صدر في العراق ومنها ديوان السَّريّ الرَّفّاء، فلا أقلَّ من أن يكون قد سمع بها في المجالس والكتب والمقالات. فكان يجب عليه أن يبحث عنها ويستفيد منها. وبلغني أن الأستاذ هلال ناجي استدرك على الطبعة العراقية في بعض المجلات، ثمَّ نشره في كتابه (هوامش تراثية). فلم يرجع إليه المحقّق إن كان قد علم به. وهذا باب خطير من أبواب النقص الملحوظة في الأعمال العلمية العربية، أعني ضعف وسائل الباحثين عن معرفة البحوث المنشورة والحصول عليها للاستفادة منها، فتضيع الجهود السابقة لأنها لا يستفاد منها، وتضيع الجهود اللاحقة لأن الجهود الأولى تُغني عن كثير منها.

ولم أقصد في هذه المقالة إلى نقد هاتين الطبعتين، مع أن الحاجة قائمة إلى نقدهما. ولا يزال الديوان في رأيي بحاجة إلى تحقيق جديد صحيح!

اسم أبيه وجدّه:

لقد وقع القدماء والمعاصرون في أوهام كثيرة تتعلّق بكَشاجم، فاختلفوا في اسم أبيه وجدّه وفي كنيته وفي تاريخ وفاته، وأورد بعضهم أخباراً لا تصح عنه. وسوف أشرح هذه الإشكالات ثمَّ أعرض رأيي في تخريجها، وهو تخريج قريب موثَّق يفسّر أكثرها من غير تكلُّف إن شاء الله.

وأوَّل إشكالٍ يتعلَّق باسم أبيه وجدِّه: فقد أجمعتْ نُسخ ديوانه وجمهور المصادر على أنه (أبو الفتح محمود بن الحُسين)، وزاد بعضها بعد الحُسين (ابن السِّنْدي بن شاهك الرَّمْلي). ونص عصريّه المسعودي على ذلك في مروج الذهب ٣٦٦/٤، وقال في موضع آخر (أنشدني أبو الفتح محمود ابن الحُسين بن شاهك الكاتب، وكان من أهل العلم والدراية والمعرفة والأدب). وقال ابن العديم في ترجمة أبي نصر من بُغية الطلب ١١١/٣ ما مختصره (أحمد بن محمود بن الحُسين بن السِّنْدي بن شاهك، أبو نصر بن أبي الفتح الكاتب المعروف والده بكَشاجم من ولد يزدجرد - وقيل اسمه محمَّد، وقيل الفتح - شاعرٌ ابن شاعر، **كان مع أبيه بحلب**). وقال الزِّرِكلي في حاشية الأعلام ١٦٧/٧ ما مختصره (كذلك ورد اسمه في مقدِّمة نسخة قديمة من ديوانه كتبت سنة ٥١٤، ونقل حبيب زيات من مخطوطة اطلع عليها أن له ابناً اسمه أبو الفرج أحمد بن محمود بن الحُسين بن السِّندي بن شاهك). فهناك اضطراب في اسم ابنيه، **ولكن لا خلاف على أنَّه محمود بن الحُسين بن السِّنْدي**. وقد صرَّح هو باسم جدِّه السِّنْدي فقال:

في سطورٍ أعارها جَدِّيَ السِّنْـ ـدِيُّ من نقشِ نفسهِ في النقودِ

ومن الممكن أن يقال إنه جدّ أبيه، ولكن لا ينبغي - والحال هذه - العدولُ عن المعنى الحرفي إلا بدليل.

والإشكال في ذلك أن السِّنْدي بن شاهك رجل معروف، وكان صاحب الشرطة والحرس للرشيد المتوفَّى سنة ١٩٢ كما في الوزراء للجهشياري ٢٣٦ وغيره، وقال ابن خلكان ٣١٠/٥ في ترجمة موسى الكاظم الذي حبسه الرشيد (وكان المُوَكَّلُ به مدَّة حبسه السِّنْديَّ بن شاهك جدّ كشاجم الشاعر المشهور). وله أخبار مع الهادي والأمين والمأمون، بل قال بعض الدارسين إنه كان من خاصّة أبي جعفر المنصور المتوفَّى سنة ١٥٨

كما يستفاد من كلام الجاحظ في البيان ٣٢٨/٢. فكيف يعيش حفيدُه كَشاجم ليكون شاعراً أو طباخاً لسيف الدولة المتوفَّى سنة ٣٥٦ وتقع وفاته في سنة ٣٦٠؟ هذا لا يكون في المعتاد من الأعمار مع أنه غير مستحيل، ولكنَّه بعيد جداً.

واضطربوا في تخريج هذا الإشكال. فقال الزِّركلي في الحاشية (لا بدَّ من أبوين على الأقلّ لملء المدَّة)، وأشار إلى قول السيوطي في حسن المحاضرة ٥٦٠/١ بأنه محمود بن محمَّد بن الحُسين بن السِّنْدي، واستحسن هذه الزيادة لأنها تسدّ الفراغ. ولكنَّه لم يأخذ بها كما يتضح من ترتيب الأسماء في كتاب الأعلام ومن التعقيب عليه بذكر إجماع النُّسخ على خلافه.

أمَّا الدكتور شعلان فجاء في مقدِّمة تحقيقه الديوان – وفي مقدِّمة أدب النديم أيضاً – بتخريج من أغرب ما يكون! فقد استخرج من كتب الجاحظ اسمي نصر وإبراهيم ابني السندي بن شاهك، وزعم – من غير دليل – أنه لم يكن لهما أخ ثالث، وأن كَشاجم يَجِب أن يكون حفيداً لإبراهيم لأن الجاحظ أثنى على علمه وفضله فهو أولى بأن يكون جدَّ كَشاجم! فوقع في ثلاثة محاذير: زيادة اسم في سلسلة النسب، وتخصيص إبراهيم من غير مخصِّص، وإنكار أن يكون الحُسين ابناً ثالثاً للسندي! وهذا النوع من التلفيق لا يُعاجُ عليه.

وإنَّما وقع الناس في هذا الإشكال لقعودهم عن تحقيق عصره.

كُنيته:

أطبق المؤرخون والأدباء على أنَّه أبو الفتح، وأجمعت على ذلك نسخ الديوان بحيث لا يُرتاب في ذلك على الإطلاق. ولكن شذَّ السيوطي فكنّاه بأبي نصر، فقال شعلان في مقدِّمة الديوان (لم أدر من أين جاء السيوطي بما قال في اسم الشاعر وكنيته). والحقّ أنه لم يبتدع شيئاً من عند نفسه، فلقد

سبقه إلى ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام ٢٣٣ (جزء وفيات ٣٦٠) وسير أعلام النبلاء ٢٨٥/١٦ والعبر ٣٢٢/٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٥/١٦.

وهذا الإشكال أيضاً فرع من الإشكال الأول، وسيأتي جلاؤه إن شاء الله.

تاريخ وفاته:

ثمَّ يأتي الإشكال الأعظم في تحديد عصره وتعيين تاريخ وفاته. ولا أجد بُدّاً من استعراض أقوالهم مرتبة على التواريخ، وهي على النحو التالي:

- فورد في مقدِّمة الطبعة الأولى من الديوان (بيروت ١٣١٣) أنَّه مات في سنة ٣٣٠. ولم أعرف سند ذلك، وأظنّ أن الناشر وجده في النسخة المطبوع منها.

- وذكره بعض علماء القرن الرابع فلم يذكروا تاريخ وفاته، وهم: المسعودي المتوفَّى سنة ٣٤٦ في المروج ٣٦٢/٤ - ٣٦٩، والشابُشْتي المتوفَّى سنة ٣٨٨ في الديارات ٢٦٠، وابن النديم في الفهرست ١٥٤. ويُستفاد من مجموع كلامهم أنه كان من رجال أوائل القرن لأن المسعودي التقى به وذكر أشياء من شعره أُنشدت في مجلس المستكفي العباسي الذي تولَّى الخلافة من سنة ٣٣٣ إلى سنة ٣٣٤، ولم يذكر الشابُشْتي وابن النديم بقاءه إلى عصرهما.

- ولم يترجم له الثعالبي المتوفَّى سنة ٤٢٩ في يتيمة الدهر، وإنَّما ترجم لابنه أبي نصر، وهو لا يُقارَن به. هذا مع أنه من أشهر شعراء الشام والثعالبي شديد الإعجاب بهم، ومع قوله عن ديوانه (وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك الديار). فالتفسير المعقول لذلك أنه عاش قبل العصر المقصود من تصنيف اليتيمة، كما لم يترجم لأمثاله كالخبزرزّي والصنَّوبريّ.

• وأثنى عليه ابن شرف القيرواني المتوفَّى سنة ٤٦٠ في مقامته المسمّاة برسائل الانتقاد (انظر رسائل البلغاء ٣٢١). وليس من طريقته ذكر الوفيات، ولكن أسماء الشعراء في كلامه مرتَّبة على العصور إجمالاً، فجعله بعد ابن المعتزّ وابن الرُّومي وقبل الصَّنوبريّ والخبزرزّي وأبي فراس والمتنّبي.

• وترجم له الحافظ ابن عساكر المتوفىًّ سنة ٥٧١، وهو أشهر مؤرخي بلاد الشام، في مختصر تاريخ دمشق ١١٧/٢٤، **ولم يذكر تاريخ وفاته**.

• وترجم له ابن العديم مرَّتين في بُغية الطلب، ولكنَّ الترجمة المطوَّلة ضاعت فيما ضاع من أجزاء الكتاب، وبقيت المختصرة وهي سطران. وبقيت ترجمة ابنه أبي نصر وهي مفيدة جداًّ في معرفة عصر أبيه.

• وترجم له الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في الكتب المذكورة قبل، وكنّاه بأبي نصر، وجعله ضمن وفيات سنة ٣٦٠ من غير تصريح بتاريخ وفاته. وقال (روى عنه الحُسين بن عُثمان الخرقي وغيره)، وسيأتي بيان ما فيه من الخلط.

• وترجم له الصفَدي المتوفَّى سنة ٧٦٤ في الوافي. ولم أقف على كلامه بعد، وأظنّه موجوداً في كتاب ابن شاكر لأنه يسلخ كلامه غالباً.

• وترجم له محمَّد بن شاكر الكتبي المتوفَّى سنة ٧٦٤ في عيون التواريخ ٦١/١٢ (نسخة الظاهرية) وفوات الوفيات ٩٩/٤، وقال في الفوات (كان من شعراء أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة ... وكانت وفاته في حدود الخمسين وثلاث مئة).

• وقال ابن كثير المتوفَّى سنة ٧٧٤ رحمه الله في البداية والنهاية ٢٨٥/١٦ فقال (كشاجم: شاعر زمانه، يذكر مع المتنبي. وهو **أبونصر محمود بن حسين**، له ذكر في تاريخ دمشق، روى عنه الحسين بن عثمان الخرقي وغيره). وهذا الكلام مليء بالأوهام.

• وترجم له الزركشي المتوفَّى سنة ٧٩٤ في عقود الجمان ٣٢٢ (وهو مخطوط لم أقف عليه بعد).

• وترجم له السيوطي المتوفَّى سنة ٩١١ في حسن المحاضرة ١/٥٦٠، وكنّاه بأبي نصر، ولم يصرّح بتاريخ وفاته، ولكن جاء به مع المتنبي في سياق واحد. وورد في حاشية الأعلام للزِّركلي أنَّه سلكه في الوفيات الواقعة بين سنة ٣٤٥ وسنة ٣٥٤.

• وذكره الحاج خليفة المتوفَّى سنة ١٠٦٧ في كشف الظنون ١/٨٠٧ وفي مواضع أخرى، فجعل وفاته في سنة ٣٥٠.

• وترجم ابن العماد الحنبلي المتوفَّى سنة ١٠٨٩ في شذرات الذهب ٣/٣٧، وجعل وفاته في سنة ٣٦٠.

• وذكره الزبيدي في تاج العروس ٩/٤٦، ولم يذكر متى مات.

• وترجم له جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٣٥٤ فلم يقطع بشيء في تاريخ وفاته.

• وترجم له بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢/٧٧، وجعل وفاته في سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠. وقال (كان يعمل في خدمة سيف الدولة مُنَجِّماً ورئيساً للطبّاخين). وقال إنه مدح ابن حمدان أمير الزاب من بلاد إفريقية. وهو غلط محض كما يتَّضح من مراجعة مصدره وهو كتاب رسائل الانتقاد لابن شرف. ولكنَّه تكرر في غير كتاب من غير إشارة إلى كتاب بروكلمان!

• وترجم له الزِّركلي في الأعلام ٧/١٦٧، فجعلها في سنة ٣٦٠، مع الإشارة إلى الأقوال الأخرى. ولكنَّه قال (استقرَّ في حلب فكان من شعراء أبي الهيجاء ثمَّ ابنه سيف الدولة.). وهذا وهم في العبارة لأن أبا الهيجاء لا علاقة له بحلب. وقال (وقيل: كان في أوَّليَّته طبّاخاً لسيف الدولة)، وهذا وهم آخر لأن صلته بسيف الدولة على فرض صحتَّها لم تقع إلا في آخر

حياة كَشاجم.

• وترجم له كحالة في معجم المؤلفين ٨٠٣/٢ (الطبعة الجديدة)، فجعلها في سنة ٣٦٠.

• ونقل المستشرق ولفنسون في مقالة له في مجلة المجمع بدمشق ٢١١/١٨ (١٩٤٣) الأقوال المختلفة في تاريخ وفاته ولم يرجّح شيئاً منها، إلا أنه أشار إلى انقطاع أخباره في عصر سيف الدولة.

• وترجم له الدكتور محمَّد أسعد طلس رحمه الله في مقدِّمة كتاب المصايد. فقدَّر مولده بسنة ٢٩٥، وهو غلط ظاهر يتعارض مع قول المصنّف في الصفحة ١٦ (وكلّ ما أذكره من ذلك سماعي من إبراهيم بن جابر بحلب سنة أربع وثلاث مئة)، فهذا ليس قول ابن تسع. وكتب على الغلاف (المتوفَّى بعد سنة ٣٥٨)، اعتماداً على أنَّه هجا كافوراً الإخشيدي، وهذا وهم فاحش أيضاً.

• وعدَّه الدكتور عبد الوهاب عزام ضمن شعراء سيف الدولة، وأشار إلى أنه مدح ابن حنزابة وزير كافور (ذكرى أبي الطيِّب ١٩و ١٠٨). ولا أصل لذلك كلّه.

• وترجم له الدكتور سامي الدهان رحمة الله في كتابه قدماء ومعاصرون ١٣ ـ ٣٠، وجعله من شعراء سيف الدولة، وكتب في الحاشية (المتوفَّى سنة ٣٤٠). ولكنَّه ذكر في موضع آخر أن التاريخ لم يحفظ سنة وفاته. فمن الواضح أنَّه لم يبحث هذه المسألة مع اهتمامه المعروف بشعراء الشام في القرن الرابع.

• وترجم له الدكتور فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ٤٤/٤/٢ في جملة شعراء سيف الدولة، فقال إنه قدم إلى مصر سنة ٣٣٩ (ولم يذكر سند قوله هذا)، ورجّح أنَّه مات في سنة ٣٦٠.

• وذكره الدكتور عمر فرّوخ في تاريخ الأدب العربي ٢/٥٠٥، وأشار إلى مولده في بَلْخ من غير ذكر المصدر ـ وهو غريب جداً ـ وجعل وفاته في سنة ٣٦٠.

• أما الدكتور شوقي ضيف فلم يترجم له في كتاب العصر العباسي الثاني الذي ينتهي عند سنة ٣٣٤. وإنّما ذكره في الكتاب التالي وهو كتاب عصر الدول والإمارات (قسم الشام ١٨٩)، وقال: نظنّ ظناً أنه وُلد سنة ٢٩٠، ورجَّح وفاته في سنة ٣٦٠، وأشار إلى صلته بسيفّ الدولة.

• وقال الدكتور إحسان عبّاس في حاشية ديوان الصَّنَّوبري ٢٩٤ (ومن الظاهر أن كَشاجم تُوُفِّي قبل الصَّنَوبري في حدود سنة ٣٣٠)، وهو رأي ما أحراه بالصحَّة، وقد مات الصَّنَّوبريّ في سنة ٣٣٤ كما هو معلوم. وأضاف (ويقال إنَّه خطب إلى الصَّنَّوبريّ ابنته)، هكذا بعبارة التمريض من غير ذكر المصدر، والذي في ديوان كَشاجم تعزيتُه بموت بنته.

• وذكرت السيدة خيرية محفوظ في مقدّمة الديوان ما قيل عن وفاته في سنة ٣٦٠، وأن الأكثر على وفاته في سنة ٣٥٠، فكأنها ترجِّح ذلك.

• وسلكه الدكتور مصطفى الشكعة مع أبي الفرج الببغاء في عداد كتَّاب سيف الدولة من غير إحالة على مصدر (انظر كتابه: سيف الدولة الحمداني ٢٤٢). وقد ذكر كثيراً من رسائل الببغاء المكتوبة لسيف الدولة ولم يذكر شيئاً لكشاجم. ولا شكّ عندي أنه ركَّب وصفه بالكتابة على عمله المزعوم عند سيف الدولة، فصار كاتباً من كتّابه.

• وذهب الأستاذ هلال ناجي في كتابه هوامش تراثية إلى أن مولده لا يُعلم على وجه التحقيق، ورجَّح وفاته سنة ٣٥٠.

• وبلغني أن الدكتورة ثريا ملحس لها عنه رسالة جامعية، مقدَّمة إلى الجامعة اليسوعية سنة ١٩٨١. ومما ورد فيها أنه ولد في بغداد ومات بها،

فهو بغدادي لا رَمْليّ، لأن الرملة غير مذكورة في شعره، ورجَّحت أنه مات سنة ٣٤٨. ولم أقف على هذه الرسالة، ولا أطمئن إلى هذه النتائج، والرجل شاميّ رَمْليّ حلبي من غير شكّ.

● ومضى أن الدكتور شعلان كتب على غلاف الديوان أنه مات في سنة ٣٦٠، من غير تحقيق لهذه المسألة المهمَّة.

فالحاصل أن القدماء إلى منتصف القرن الثامن لم يذكروا تاريخ وفاته، ومنهم ابن عساكر مؤرخ الشام. ولكن طريقة المتأخرين في ترتيب التراجم على طبقات، بدلاً من ترتيبها على الحروف أو نشرها كما يتَّفق، تجعلهم يضطرّون إلى الاجتهاد والتخمين لوضع الترجمة التي يجهلون وفاة صاحبها في أصلح الأماكن لها على وجه التقريب والتقدير، وقد صرَّح بذلك الذهبي في غير موضع من كتاب تاريخ الإسلام. وهذا تفسير صنيعه وصنيع من جاء بعده في تقدير وفاة كَشاجم، فإنهم قرؤوا ما يَدُلُّ على أنه كان من رجال سيف الدولة ـ بصرف النظر عن صحَّة ذلك في نفسه ـ فاجتهدوا في تقدير تاريخ وفاته وجعلوها في سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠.

وتابعهم أكثر أهل عصرنا من غير تحقيق، وانطلقوا إلى التشكيك في عدد الآباء بينه وبين جدِّه السندي وتخيّلوا أشياء لا أصل لها. ولا يُستغرب ذلك من بروكلمان والزِّركلي وكحالة وفرّوخ وسزكين وغيرهم ممَّن يكتبون تواريخ عامّة، وإنَّما يُستغرب ممَّن فرغ للترجمة له وتحقيق ديوانه ومصنَّفاته فلم يحقّق عصره وتاريخ وفاته، ويمرّ على الشواهد الكثيرة فلا يقف عندها.

والحقّ أن القول بوفاته في سنة ٣٦٠ أو بعد سنة ٣٥٨ **باطل قولاً واحداً**. والدليل على ذلك ما نقله ابن العديم من خطّ أديب مصري مشهور من أهل الضبط والتحقيق كان يعيش في ذلك العصر، وهو صالح بن إبراهيم

ابن رِشْدين راوية أبي الطيِّب المتنبّي، قال (هجا أبو الحسن محمَّد بن هارون الأُكثمي أبا الفرج وأبا نصر عُبيد الله وأحمد ابني كَشاجم بهذه الأبيات فلم يجيباه:

أبْنَيْ كَشاجم أنتما ... مُستعملانِ مُجَرَّبانِ
لو تَكْتُبان لذا الزما ... نِ أُمَتُّماهُ بلا زمانِ
مات المَشُومُ أبوكما ... فخَلفتُماهُ على المكانِ
وقُرِنتُما في عصرنا ... ففعلتُما فعلَ القِرانِ
بغَلاء أسعار الطعا ... مِ وميتةِ الملك الهِجانِ

فكتب ابن العديم بخطه في الحاشية بإزاء البيت الأخير (الملك كافور). وهذه الأبيات موجودة في اليتيمة أيضاً ١/٣٩٣ من غير تفسير. ولقد أشار الشاعر في البيت الثالث إلى وفاة أبيهما المشؤوم كَشاجم، ويُفهم من كلمة «عصرنا» في البيت الرابع أنَّ موته متقدِّم بعض الشيء. وتضمَّن البيت الخامس ما يَدُلُّ على تاريخ الأبيات وهو وفاة كافور في سنة ٣٥٦. وقال ابن العديم في موضع آخر ٣/١١٢ (تُوفِّي أبو نصر بعد موت كافور في حدود الستين والثلاث مئة). فلقد مات كَشاجم قبل سنة ٣٥٦ يقيناً. والإشارة واضحة في هذه الأبيات إلى اشتغاله وأبنائه بصنعة الكتابة وأنهم كانوا رجال دولة، فهي تدحض ما قيل من اشتغاله بالطبخ لسيف الدولة، ولو وقع ذلك لأشار إليه هذا الشاعر في هجائهم.

دلالة الديوان على عصره:

لم أجد في الديوان نصّاً يدل على تاريخ مولده ولا وفاته، ولكنَّ فيه إشارات كثيرة يشهد بعضها لبعض، **وهي قاطعة الدلالة على أنه من مخضرمي القرنين الثالث والرابع.**

فلقد مدح أبا الحَسن عليّ بن سُليمان الأخفش ـ النحويّ المشهور

المتوفى سنة ٣١٥ ـ بقصيدتين، وفيهما إشارة إلى وجود الأخفش في الشام آنذاك (الديوان ٤٢ و ٥٨، وستكون الإحالة على الطبعة المصرية بتحقيق الدكتور شعلان). وفي ديوان الصَّنَوبريّ ٣٧٣ و ٤٢٠ قصيدتان في مدحه أيضاً. ويُستفاد من أخبار الأخفش أنه ذهب إلى مصر في سنة ٢٨٧، ثمَّ جاء إلى حلب في سنة ٣٠٠، ثم عاد منها إلى بغداد في سنة ٣٠٥. فينبغي أن يكونا قد مدحاه **في أوائل القرن الرابع** عندما كان يقيم في حلب. وهذه قرينة قوية جداً.

ويهدينا ديوانه وديوان الصَّنَوبريّ إلى عمق الصداقة بينهما، وقد تبادلا قصائد كثيرة، واستهداه كشاجم أشجاراً ليغرسها في حديقته، ولا يكون استهداء الأشجار إلا إذا كانا مستقرَّين في بلد واحد،أي في حلب. وثَمَّة قصيدة متنازعة بينهما، أعني أنها موجودة في ديوا نيهما. ورأى الدكتور شعلان أن كَشاجم أعطاها للصَّنَوبريّ ليقرأها فدخلت في ديوانه. والأمر في ظنّي على العكس؛ لأن ديوان كَشاجم مضطرب غير مسموع عليه، ويظهر أنه جُمع بعد وفاته، فمن السهل أن تدخل فيه أشعار لغيره.

ومع ذلك كلّه لا نَجِد رثاء أحدهما لصاحبه، ولكنَّ ديوان كَشاجم باقٍ بتمامه وديوان الصَّنَوبريّ ناقص بمقدار الثلثين تقريباً. فالأقرب إلى المعقول أن يكون رثاء الصَّنوبري لكَشاجم ضاع فيما ضاع من ديوانه.

وقد تواردا على مدح كثير من الرجال غير الأخفش أو هجائهم أو رثائهم، ومنهم أبو العباس محمَّد بن أحمد بن عبد الله الرَّشيديّ وأبو الحُسين الهاشمي وعبد الملك بن محمَّد الهاشمي وأحمد بن إسماعيل الإسكافي وأبو بكر الدقيشي، فهذا يَدُلُّ بوضوح على تعاصرهما زماناً ومكاناً. ولم أجد بياناً شافياً عن هؤلاء القوم، ولعلَّ المصادر لا تخلو من الإشارة إلى بعضهم. وأظنّ أنَّ أبا العباس الرشيدي كان يلي بعض الأعمال

في حلب أو غيرها من بلاد الشام؛ لأن كَشاجم يطلب منه تشغيله في وظيفة الكتابة. فإن صحَّ ذلك فينبغي أن يكون في أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع عندما كان الحلّ والعقد بيد الخليفة العباسي؛ لأن أمور الخلافة اضطربت كثيراً بعد مقتل المقتدر في سنة ٣٢٠، ووثب الناس على الولايات، فلا مجال لتولية أمير من البيت العباسي إلا في عصر سيادة الخلافة.

وترجم ابن العديم في البغية ٣/ ٥٠ لأبي الحسن أحمد بن محمَّد بن أبي يعقوب بن هارون الرشيد، وذكر أنه يلقب بالرشيدي، ومدحه الشعراء من أمثال الصَّنوبري وابن الزكورية الأنطاكي، **وروى عنه أبو الفتح كشاجم وأبو بكر الصولي**، وتولى أحكام المظالم والأمور الدينية - يعني في حلب على ما يظهر من سياق الكلام - وكان له عناية برواية الحديث، وتوفي في سنة ٣١٤. فهذا ينطبق على الممدوح من كلّ وجه إلا الاختلاف في الاسم والكنية!

وقال كشاجم في كتاب المصايد ٧ (أخبرني بمثله أبو بكر الصولي). وقد ولد الصولي في سنة ٢٥٠ تقريباً ومات في سنة ٣٣٥، ومن الواضح أنه كان من أقران كشاجم. ولا أدري هل التقيا في الشام أم في العراق. وفي وفيات الأعيان ٢/ ١٤ خبر يرويه الصولي عن كتاب المصايد لكشاجم، وأخشى أن يكون وقع خلل في هذا الموضع من وفيات الأعيان، ولا يصحّ تعليق المحقّق بأن الصولي قد يكون ذكره في شرح ديوان أبي تمام لأنه غير موجود فيه.

وفي الديوان قصيدة في مدح أبي عليّ بن مُقْلة الوزير الخطّاط المشهور، وقد تولى الوزارة ثلاث مرات بين سنتي ٣١٦ - ٣٢٤ (الديوان ٣١٠). فقد يكون كَشاجم جاء إليه في بغداد أو أرسلها إليه من الشام.

والمُهِمّ أن تاريخها يشهد مرّةً أخرى لوفاته في أوائل القرن، لا لأنه يستحيل بقاؤه إلى منتصف القرن، ولكن لأن غزارة هذه الإشارات إلى أوّل القرن يقابلها ضحالة شديدة في الإشارات إلى منتصف القرن كما سيتّضح إن شاء الله.

وفيه قصيدة أخرى حاسمة في الدلالة على عصره، وهي في مدح الحسن بن الحسن بن رجاء، وسمّاه فيها بالحسن بن الحسن، وخاطبه بابن رجاء، والتمس فيها منه عملاً في مجال الكتابة (انظر الديوان ٣٨٠). ومما قاله فيها:

سليلُ أكابرَ سَنُّوا العُلا ... فأكْرِمْ بها وبهم من سُنَنْ
همُ أثبتوا المُلكَ في أسِّهِ ... وشادوا دعائمَه والرُّكُنْ

فالممدوح وآباؤه كانوا من الولاة والقادة ورجال الدولة، وهذا هو الواقع. فجدّه رجاء بن أبي الضحّاك كان والياً على الخراج بدمشق فقُتل هناك في حادثة مشهورة ذكرها الطبري وغيره في حوادث سنة ٢٢٦. ووالده الحسن بن رجاء الكاتب المعروف، لم أعرف تاريخ مولده ولا وفاته ولم أجد له ترجمة شافية، ولكنّه كان غلاماً في عصر المأمون، وقد كلّمه فأُعجب بكلامه ورفع منزلته، وله شعر في مدحه (انظر مختصر تاريخ دمشق ٦/٣٣٥ وإعتاب الكتاب ١٦٨ والمذاكرة للنشابي ٢١٠ وحاشية ديوان البُحتُري ٤/٢٣٤٦). ومدحه أبو تمّام بقصيدتين وهجاه البُحتُري، وله أخبار مع أبي تمّام ذكرها الصولي في أخبار أبي تمام ١٦٧ - ١٨٢. وذكر ابن القارح في رسالته إلى المعرّي ٤١ أنه كاد أن يضرب عُنقه بسبب استهزائه بالصلاة، فقال أبو العلاء في رسالة الغفران ٤٨٣ إن هذه الحكاية مشهورة. فيتّضح من مجموع ذلك أنه ينبغي أن يكون قد وُلد قبل المئتين لأن المأمون قدم إلى بغداد من خراسان في سنة ٢٠٤ ومات في سنة ٢١٨، ومات أبو

تمّام في سنة ٢٣١. أمّا ابنه الحسن بن الحسن - ممدوح كَشاجم - فمعروف أيضاً وتاريخ وفاته محفوظ، فلقد ولاه الخليفة المكتفي - المتوفّى سنة ٢٩٥ - على أعمال الخراج والضِّياع بحلب، ومات فيها فجأة في شهر جُمادى الأولى سنة ٣٠١ فنُقل تابوته إلى بغداد (انظر صلة تاريخ الطبري ٢٥ وزبدة الحلب ٩٥/١). وترجم له ابن العديم في موضعين من بغية الطلب ٣٤٦/٥ و٥/ ٣٦٦ لأنه كان يظنّ أنَّه الحسن بن الحُسين ثم صحّ لديه أنّه الحسن بن الحسن، وذكر أنَّه كان والي حلب وأنه دُفن فيها. وكان ينبغي لمحقق الديوان أن يعرف هذه الحقائق التاريخية المُهِمّة، وهي قريبة المتناول في كتب التاريخ المعروفة.

ومدح ثلاثة من التّنوخيين: الحُسين بن عليّ، وأبا الحسن عُبيد الله بن إبراهيم، ورجلاً يقال له أبو القاسم (الديوان ١٥، ١٨، ٤٤٧). وذكر أن الحُسَين «من بني الفُصَيص»، وقال فيه:

تلقى الملوكَ الصِّيدَ حول رواقهِ لِلإذنِ أو زُمَراً على أبوابِهِ

فهذا يَدُلُّ على أنَّه كان أميراً. وذكر أن عُبيد الله من «آل إبراهيم» أي من بني الفُصَيص أيضاً. وقال على رأس مدح أبي القاسم (وقال يتشوّق قوماً من بني الفُصَيص ويذكر رحيلهم عن الساحل)، والقصيدة صريحة في أنّهم أُخرجوا من ساحل الشام بالقوّة.

وهؤلاء القوم معروفون، فهم أمراء اللاذقية وما حولها، والفُصَيص هو جدّهم يوسف، وكان له ابنان: إسحاق وإبراهيم، ولا يمتنع أن يكون له ابن ثالث اسمه عليّ هو والد الحُسين هذا، وأكاد أجزم بأنَّ عُبيد الله بن إبراهيم أخو عليّ بن إبراهيم ممدوح المتنّبي. وقال ابن العديم في زبدة الحلب ٩٧/١ (ثمّ ولّى مُؤنسُ المظفَّرُ غلامَه طريفَ بن عبد الله السَّبكريّ الخادم في سنة ٣١٩، وكان ظريفاً شهماً شجاعاً. وحاصر بني الفُصَيص في حصونهم

باللاذقيّة وغيرها. فحاربوه حرباً شديداً حتًى نفد جميع ما كان عندهم من القُوت والماء، فنزلوا على الأمان، فوفًى لهم وأكرمهم، ودخلوا معه حلب مكرمين مُعظَّمين)، ولم يذكر اسم أمير بني الفُصَيص. ولكنَّ المفهوم من كلامه في بُغية الطلب ٤٩٢/١ أنه إبراهيم، ومن كلامه في البُغية ٣٥/٣ أنه إسحاق. وبين هذه النصوص بعض تعارض، ويظهر أن ابن العديم نقلها من مصادر مختلفة.

ثمَّ تمكَّنوا من استعادة اللاذقيّة، وجاء إليهم أبو الطيّب المتنبي من العراق في حدود سنة ٣٢١ ونزل في ضيافتهم، قبل أن يثور في بادية السماوة. فمدح كبيرهم محمّد بن إسحاق (ولكنه فيما يظهر صرف ذلك المدح إلى أخيه الحُسين بن إسحاق، ويطول الكلام في تفصيل أسباب ذلك). ثمَّ مات محمّد فرثاه أبو الطيّب ومدح أخاه الحُسين، وأشار إلى الخلافات بينهم وبين أبناء عمِّهم إبراهيم. ومن الواضح أنه كان منحازاً إلى آل إبراهيم، وقيل إنه هجا آل إسحاق، وزعم هو أن الهجاء قيل على لسانه. ولعلّ ذلك الخلاف كان له صلة بالدعوة الباطنية كما قال الأستاذ محمود شاكر رحمه الله. ثمَّ وثب عليّ بن إبراهيم واستولى على الإمارة، فوفد عليه أبو الطيّب في حدود سنة ٣٣٠، ومدحه وحرَّضه على استئصال شأفة أبناء عمِّه.

فهذه التواريخ تدلّ على أن قصيدة كشاجم في مدح أبي القاسم قيلت في حدود سنة ٣٢٠، عندما كانوا في المنفى بحلب. ويُفهم منها أنَّه كان سيِّد قومه، ولكنَّه لم يذكر اسمه. ولم أجد النصّ على كُنيتي الأبوين إسحاق وإبراهيم. والذي أظنّه أنهما قد ماتا قبل ذلك بكثير، وأن ما نقله ابن العديم من مصادره لا يصحّ، وشعر أبي الطيب يدلّ على أنهما كانا في الأموات سنة ٣٢١ لأنه كان يمدح ويهجو ويرثي أبناءهما. فعلى ذلك يكون أبو القاسم ممدوح كشاجم هو محمد بن إسحاق الذي رثاه المتنبي، ومعلوم

أن أبا القاسم كنية أكثر المحمَّدين.

ولقد طوتهم الأحداث بعد بضع سنين على أيةِ حال، حين دخلت اللاذقيّة وجميع ما حولها في مُلك سيف الدولة. فآخر تاريخ معقول لبقيَّة القصائد هو سنة ٣٣٣، وهذا يتَّفق مع تقديرنا لعصر كشاجم.

وظنَّ الدكتور محمد أسعد طلس أنه هجا كافوراً الإخشيديّ المتوفىّ سنة ٣٥٦ بالقصيدة التي أوَّلها:

أكافُور قُبِّحْتَ مِنْ خَادِمٍ ولا قَتْكَ مُسْرِعَةً جائحَهْ

وأحال على كتاب الإعجاز والإيجاز للثعالبي ٢٥٨، وبناء على ذلك وضع على غلاف كتاب المصايد (المتوفَّى بعد سنة ٣٥٨). **وهو وهم بلا شكّ،** لأن الثعالبي لم يَقُل إنها في كافور الإخشيديّ وإنَّما في كافور فقط، وكان ينبغي مراجعتها في الديوان. والقصيدة ثابتة فيه (الديوان ٩٥)، وتوجد كذلك في خاص الخاص ١٣٥ ولباب الآداب ١٠٢/٢ وهما للثعالبي أيضاً. وقيل على رأسها في الديوان (قال يهجو كافوراً، **غلام له**)، فثبت أنَّه لا علاقة لها بكافور الإخشيديّ. وممّا يُستطرف أن بعض متأخري المغاربة ركَّب على هذا الوهم في كافور وهماً آخر، فجعلها لأبي الطيّب المتنبّي وأدخلها في ديوانه!

وورد في خاتمة نسخة الأصل المصرية ما مختصره (قال أبو بكر محمَّد بن عبد الله الحمدوني: هذا آخر ما وقع إلينا من شعره **وما صحَّ عنه،** قد جمعتُه وألَّفتُه على حروف المعجم. ثمَّ لقيتُ أبا الفرج بن كَشاجم بالرَّيّ فأنشدني لوالده ...)، وساق أشعاراً غير قليلة ليست في أصل الديوان، وسيأتي القول في كثير منها. وهذا هو نفس الابن المذكور سابقاً. ولا نعرف متى وقع هذا اللقاء بينهما، ولكن ينبغي أن يكون الحمدوني قد جمع الديوان بعد وفاة الشاعر، وأن يكون الديوان بزياداته موجوداً في حياة السَّريّ الرَّفّاء

(المتوفَّى سنة ٣٦٢ على أصح الأقوال)؛ لأن الأشعار التي قال الثعالبي إنَّه دسَّها في الديوان موجودة في متن هذه النُسخة وزيادتها. ومن الواضح على أية حال أنَّ كَشاجم مات قبل السَّريّ بوقت طويل. فمن البعيد أن يشتغل بنسخ ديوان شاعر لا يزال على قيد الحياة فيدسُّ فيه أشعار الخالديين، ولا أن يتجرأ الخالديان فيسرقا منه هذه القصائد غير القليلة ثمَّ لا يفطن الناس إلى ذلك.

دلائل أخرى من التاريخ:

ولقد ورد في التواريخ ما يشير أيضاً إلى أن كَشاجم كان من مخضرمي القرنين، ومن ذلك:

• أن السندي بن شاهك جدّه القريب، وعصره ما علمت، فالمعقول أن يكون حفيده قد وُلد في النصف الثاني من القرن الثالث ومات في النصف الأول من القرن الرابع. ولا حاجة لاستشكال ذلك ومُعالجته بإضافة أسماء لا أصل لها.

• ورد في كتاب المصايد ما يدلّ على أن المصنِّف كان رجلاً بالغاً في مطلع القرن الرابع، ومضت الإشارة إلى ذلك.

• ذكر بعض المؤرخين أنَّه كان من رجال أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة، وقال ابن شاكر في عيون التواريخ إنَّه جاء معه إلى الموصل. ومعلوم أنَّه ولي الموصل مرتين: الأولى من سنة ٢٩٣ إلى سنة ٣٠١، والثانية سنة ٣١٤ ثمَّ مات مقتولاً في سنة ٣١٧. فهذا إن صحَّ دليل قاطع.

• ومضى النصّ على أن أبا الفرج وأبا نصر كانا رجلين من رجال الدولة في سنة ٣٥٦، بل قبل ذلك. ومضى تصريح ابن العديم بأن أبا نصر تُوُفّي بعد موت كافور في حدود الستين والثلاث مئة.

• وترجم الثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩) لأبي نصر في اليتيمة ٢٨٥/١، **فروى عنه بواسطة رجل واحد**، وذكر شعراً له في مدح إسحاق بن كيغلغ (مهجوّ المتنّبي الذي مات مقتولاً بيد غلمانه في سنة ٣٤٨)، وفي مدح ابن حنزابة وزير كافور. فمن الواضح أنه كان من طبقة المتنبّي وسيف الدولة وكافور، كما كان أبوه كَشاجم من طبقة الصَّنَوبريّ وأبي الهيجاء والد سيف الدولة.

• وروى الخطيب البغدادي في كتاب البخلاء ١٢٦ (طبعة مصر ١٩٩٠) شعراً لكشاجم بالإسناد المتّصل إلى صالح بن رِشدين راوية أبي الطيِّب وصاحبه في مصر، عن أبي نصر. وهذا يدلّ أيضاً على أن الابن كان من طبقة أبي الطيِّب.

• وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي نصر قول أبي عبد الله الحُسين بن عُثمان الخِرَقي إنَّه ـ أي الخرقي ـ كان في الرملة سنة ٣٥٦ وقد ورد إليها أبوعليّ القرمطي صاحب الأحساء، **وذكر أنَّ أبا نصر بن كَشاجم كان كاتبه**، وحكى حكاية شهدها هو وأبو نصر في مجلس القرمطي، وفيها أبيات في الشمعة قالها القرمطي بديهاً فأجازها أبو نصر (انظر مختصر تاريخ دمشق ٣١١/٦).

انقطاع أخباره في عصر سيف الدولة:

هذه الإشارات التاريخية المتواترة يقابلها ويشهد لها غيابٌ تامّ في الإشارات إلى مابعد سنة ٣٣٠. وقد شهدت هذه السنوات قيام الدولة الحمدانية في حلب، ولقي الشعراء من رعاية سيف الدولة ونواله مالا نظير له، فطرؤوا على حلب من البلدان كافة. ولقد مات الصَّنَوبريّ بعد دخول سيف الدولة إلى حلب بسنة أو أقل، ومع ذلك لم يَفُته أن يمدحه بقصيدة موجودة في ديوانه. ولكن لا ذكر له في ديوان كشاجم ولا ذكر لكشاجم

في أخبار سيف الدولة وأسماء شعرائه! وليس يُعقل أن يعيش مثله في حلب، ويعاصر أحداث الجهاد والصراع مع الروم، فلا يقول شيئاً في مدح هذا الأمير الكريم المجاهد! فكيف غاب صوته وانقطعت أخباره؟ إنَّ الجواب الواضح أنَّه كان قد غادر الدنيا قبل أن يأتي سيف الدولة إلى حلب.

وقال الثعالبي في اليتيمة ١/١٤ (وكان أبو بكر الخُوارِزمي في ريعان عمره وعنفوان أمره قد دوَّخ بلاد الشام، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء، ومطرح الغرباء الفضلاء. فأقام ما أقام مع أبي عبد الله بن خالوَيْه وأبي الحَسن الشمشاطي وغيرهما من أئمة الأدب، وأبي الطيِّب المتنبي وأبي العباس النامي وغيرهما من فحول الشعراء). وقال أبو العَلاء المعرِّي في مقدِّمة شرح ديوان ابن أبي حَصينة (وقد كان عليّ بن عبد الله بن حمدان أقام سوقاً للشعراء، وتفردَّ بتقريبهم دون الأمراء. فرحل إليه قريبهم والبعيد، والتمس عنده النَّوَال الرغيب لا الزهيد، فما اشتهر منهم إلا نفر قليل، منهم أحمد بن الحسين المتنبي، وأحمد بن محمَّد النامي، والحارث بن سعيد المعروف بأبي فراس، ورجل يُعرف بابن كاتب البُكْتُمُريّ). ومن شعرائه أيضاً: أبو الفرج البَبَّغاء وأبو العباس الصفري وابن كوجك والخالديان وأبو الحصين الرَّقِّي والشيظمي وأبو ذرّ وأبو محمَّد الفياض، ولاذكرَ لكَشاجم!

أمّا القول بأنه كان طبّاخاً عنده فلم يَرِد إلا في كتب المتأخرين كالصفدي في الوافي ٢١/١٩٥ والجزولي في مطالع البدور ٢/١٧٦، وذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣/٣٨ بصيغة التمريض. وعبارة الصفدي (والناس يسمّون عصره وزمانه: الطراز المُذْهب؛ لأن الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلُهم: خطيبه ابن نُباتة، ومعلِّمه ابن خالوَيه، وطبّاخه كَشاجم، والخالديان خُزّان

كتبه، والمتنبي والسّلامي والوأواء والببّغاء وغيرهم شعراؤه). وهذا كلام إنشائي خالٍ من التحقيق، فابن خالوَيه لم يكن معلّماً لسيف الدولة بل لأولاده، والسلامي والوأواء لا أعلم أنهما كانا من شعرائه.

ولا أرتاب في أنه ضرب من التلفيق بعد الخلط بين كشاجم وبين ابنه أبي نصر، فلقد ذكر ابن فضل الله في مسالك الأبصار ١٠٥/؟ أنَّ أبا نصر كان ماهراً في الطبيخ، فإن صحَّ ذلك فلا يعني أنَّه كان يطبخ للناس. والذي يَدُلُّ عليه الديوان أنَّ كَشاجم كان يتكسَّب بشعره ويمدح الأمراء والأعيان منذ أوائل القرن، ويفتخر بإجادة الكتابة وإتقان أدواتها ويلتمس توظيفه في أعمالها لا في المطابخ.

ولقد سطعت في تلك السنين شمس أبي الطيّب المتنّبي وبهر العقول وشغل الناس، واختلفت فيه الآراء واشتدَّ الجدل حوله. ولقد تتبَّعت جميع أخباره ما وسعني التتبُّع فلم أجد فيها أيَّة إشارة إلى كَشاجم، ولا تفسير له إلا أنه كان قد مات.

الرأي في حلّ هذا الإشكال:

لعلَّه اتَّضح الآن كثرة الأدلة على أنه كان من مخضرمي القرنين الثالث والرابع ولم يدرك عصر سيف الدولة، وأن أولاده عاشوا في عصر سيف الدولة وكافور، وأنه مدح الحسن بن الحسن المتوفَّى سنة ٣٠١ يقيناً. فلا غرابة في أن يكون السندي بن شاهك جدّ المادح معاصراً لرجاء بن أبي الضحاك جدّ الممدوح، ولا حاجة بنا إلى استشكال عدد الآباء وتكلّف الأسماء لسدّ هذا الفراغ المزعوم. وينبغي أن يكون قد مات في سنة ٣٣٠ التي ورد ذكرها في بعض نسخ الديوان. فهذا يحلّ جميع الإشكالات، لأنها إنما رسخت في الأذهان بناء على الاقتناع بوفاته في سنة ٣٦٠، فإذا حُذفت ثلاثون سنة استقام الأمر.

ولقد فرَّق ابن العديم وابن عساكر ـ وهما من أثبات المؤرخين ـ بينه وبين ابنه أبي نصر، وعقدا لكلّ منهما ترجمة مستقلة، كما ترجم الثعالبي من قبلهما لأبي نصر فقط وذكر أباه استطراداً في ترجمة السَّريّ الرَّفَّاء ولم يخلط بينهما. **ولكن وقع لدى المُتأخِّرين خلطٌ غير مُستغرَب**، فظنّوا أن الشاعر المشهور هو أبو نصر، وألصقوا أخباره وكُنيته وتاريخ وفاته بأبيه الذي كان أشهر منه. فمن ههنا خلط الذهبي بينهما في النبلاء ١٦/٢٨٥، وظنّ أن الأب يكنى بأبي نصر مع أنَّه أبو الفتح بلا إشكال، وقال (روى عنه الحُسين بن عُثمان الخرقي وغيره) مع أن الخرقي يروي عن أبي نصر بلا إشكال أيضاً. وتابعه السيوطي على تكنيته بأبي نصر، واستشكل اسم محمَّد ابن محمود بن الحُسين ـ لأن كَشاجم اسمه محمود بيقين ـ فظن أنَّ الاسم مقلوب، فجمع بين الأغلاط وجعله أبا نصر محمود بن محمَّد بن الحُسين! ولا أرتاب في أن هذا الخلط هو أساس دعوى أن كَشاجم كان يعيش في عصر سيف الدولة وأنه مات في سنة ٣٥٠ أوفي سنة ٣٦٠. واستمر الخلط بينهما إلى عصرنا، فأضافت محقِّقة الطبعة العراقية أبيات أبي نصر في صفة الشمعة إلى متن ديوان أبيه (انظر الصفحة ٣٨٨).

أمّا الطرف الآخر من الإشكال التاريخي ـ أعني أن يكون السندي بن شاهك من خاصَّة أبي جعفر المنصور المتوفى سنة ١٥٨ ـ فلم يقُم عليه دليل صريح؛ لأن الجاحظ لم يقُل ذلك في البيان ٢/٣٢٨، وإنَّما هي أخبار رواها عن السندي تتّصل بأشياء وقعت في مجلس المنصور وليس فيها التصريح بالحضور، وإنَّما قال في أحدها (فما علمنا أن المنصور ضحك كيومَئذٍ)، وفي الآخر (فكفَّ عنه الربيع حتَّى ظننّا كذا وكذا). فهذه العبارات ليست صريحة، وهي على أيةحال ليست كافية لإسقاط كونه جدّ كَشاجم، ونحن لا ندري متى مات السندي وابنه الحُسين ولا متى وُلد حفيده كَشاجم، ومن

الممكن جداً اجتماع التواريخ المُناسبة بحيث يكون الحُسين قد وُلد في أوائل القرن الثالث وأبوه كبير السنّ، وأنجب ابنه كَشاجم في منتصف القرن أو بعد ذلك بحيث أصبح شاعراً يُشار إليه بالبنان في أوّل القرن الرابع. وليس في بقاء حفيد السندي إلى ثلث القرن الرابع مايدعو إلى الاستغراب الزائد، وأنا أعرف رجلاً وُلد بعد ابن عمّه بنحو ثمانين عاماً، ورأيتُه في مجلس وفيه شيوخ طاعنون في السن وهو شابّ، فمازحه بعض الناس قائلاً:إنك لشيخ كبير لأن والد هؤلاء ابن عمّك!

وكان السندي عامل بغداد في عهد الرشيد، ثمَّ وجدتُ في العقد ٦/ ٤٤٥ وكتاب المكافأة لابن الداية ١٢٩ ـ وهما معاصران لكشاجم ـ أنَّ السندي كان من قوّاد المأمون وجلسائه. فهذا ينأى به عن عصر المنصور بنحو خمسين عاماً، ويُوغل به في القرن الثالث، ويقرّبه إلى عصرحفيده كشاجم. وممَّا يَدُلُّ على ذلك أيضاً قول كَشاجم يمدح أبا العباس الرَّشيدي:

يابنَ مولى أبي نَصرٍ السِّنْـ ـديِّ رُكْنِ الخلافةِ المَشْدُودِ
جامعِ السَّيْفِ للخليفةِ والأقـ ـلامِ أعْظمْ بسَيِّدٍ ومَسُودِ
شَهِدَتْ غُرَّةُ الرَّشِيدِ على وجـ ـهِكَ بالمولدِ الزكيِّ السعيدِ

فهذا دليل صريح على أن السندي ـ وكنيته أبو نصر ـ كان من موالي هارون الرشيد وقادته وكُتّابه وأركان دولته. ومعلوم أن الولاء صلة ثابتة كالنسب، والغالب أن يكون ولاء الأعاجم لَمنْ أسلموا على أيديهم، وقد أسلم كثير منهم على أيدي العباسيين فانتسبوا إلى ولائهم. فمن البعيد أن يكون السندي من خاصةً أبي جعفر المنصور وجُلسائه قبل أن يثبت ولاؤه لأحد ، ثمَّ يصير في شيخوخته من موالي هارون.

(آراء وأنباء)

فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور مسعود بوبو[1]

(١٩٣٨- ١٩٩٩م)

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

أيتها النفسُ أجملي جزعا ... إن الذي تحذرين قد وقعا

أقف موقفي هذا يُظلّني الخشوع، ويلفّني الحزن والأسى أسفاً على

(١) اختاره الله إلى جواره في فجر يوم الاثنين ١٩٩٩/٩/٢٠م، بأحد مستشفيات باريس.

وقد أقامت الهيئات والمؤسسات العلمية التي عمل فيها حفل تأبين له مساء الثلاثاء ١٩٩٩/١١/٢م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، بمناسبة انقضاء أربعين يوماً على وفاته.

وننشر هنا كلمتي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية، والأستاذ الدكتور محمد إحسان النص نائب رئيس المجمع، اللتين قيلتا في حفل التأبين. وستنشر هيئة الموسوعة العربية - وكان رحمه الله المدير العام لها - جميع كلمات حفل التأبين في كتيّب خاص، وتضم إليها طائفة طيبة من الكلمات التي كتبها أصدقاء الفقيد وعارفوه، تقديراً لفضله، وإشادة بمناقبه، رحمه الله الرحمة الواسعة، وجعل مثواه في عليين.

فقد الصديق العزيز الأستاذ مسعود الذي اختطفته المنية، أكثرَ ما كان عطاءً، وأكملَ ما كان عملاً، فكانت الفجيعةُ به بالغة.

أذكره فأذكر شمائله الغُرّ، وما تحلّى به من خصال طيبة حبّبته إلى معاشريه وأصدقائه والعاملين معه. يلقاك بابتسامته الحلوة، ويحدّثك ويحاورك فيما تتجاذبان من قضايا بصوته الهادئ العذب، فلا تحسّ أنه يغالبك، بل يبسط لك الرأي لتختار طريقك بعد اقتناع. وإنه ليملك إعجابك بدماثة خلقه، وشدة تهذيبه، وطيب قلبه، وتواضعه، فتحسُّ أنك قريب إليه، محبٌّ له.

عرفتُ الأستاذ مسعوداً، رحمه الله، زميلاً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب (جامعة دمشق)، والتقينا مراراً على منصة الحكم في مُدرّج الكلية نناقش رسائل الماجستير والدكتوراه، وجمعتنا ندوةٌ حافلة في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد (٦/ ٦/ ١٩٩٢م) تحدثنا فيها عن أعمال الأستاذ العلامة محمد أحمد دهمان مؤرخ دمشق.

وبدا لي الصديق الكريم في مواقعه تلك الأستاذ العارف المتقن، يستقصي وينقّب ويبحث ليقدم الرأي الدقيق الحصيف، مع الأناة وحسن التأنّي، قد جمع صفتي العالم والمربّي.

وشاءت المصادفات السعيدة أن نجتمع بعدُ في كنف الموسوعة العربية، فقد تولّى منصب المدير العام المساعد لهيئة الموسوعة العربية (القرار الجمهوري رقم ٤٦ تاريخ ٢/ ١٠/ ١٩٩٣م)، وعملنا معاً سنة ونيّفاً كانت من أجمل أيامنا (١٠/١٠/١٩٩٣- ٣١/١٢/١٩٩٤م)،

فعرفتُ فيه عن قرب الصديق الصدوق، وحبّب إلي نفسي ما فطر عليه من السجايا الحميدة، إلى جانب ما يتحلى به من صفات الجدّ والدأب والإخلاص في العمل، مع المعرفة العميقة الواسعة والكفاية.

وقد أتاحت له قراءاته الواسعة، ومواهبه ونشاطه المتواصل أن يبرّز في فنون من القول، وأن يشارك في مجالات مختلفة، فكتب المقالات والخواطر والقصة وأمثالها في المجال الأدبي، وكتب البحوث النفيسة في المجال اللغوي. وكانت له الدراسات اللغوية التاريخية التي امتدّ القول في بعضها، مثل مقالته «من تاريخ اللغة العربية»(1).

وكان له مشاركات في الندوات والمؤتمرات اللغوية والأدبية، وقام بالإشراف على الرسائل الجامعية، كما شارك في مناقشة مجموعة طيبة منها، وألقى المحاضرات في المراكز الثقافية والنوادي الأدبية، إلى غير ذلك من ضروب النشاط، ومنها مقالاتُه في الصحف، وأحاديثُه في الإذاعة، ويغلب عليها التوجيه اللغوي، أو الحديثُ الأدبي والثقافي. وقد نشر قسماً صالحاً من مقالاته اللغوية والأدبية والثقافية في مختلف المجلات في سورية والبلاد العربية.

ولعل من الخير أن تُجمع هذه المقالات وسواها مما نعثر عليه في المجلات والصحف لتصدر في كتب تجمعها فتغدوَ ميسّرةً لقرائها

---

(١) نشر منها سبع مقالات في مجلة: «دراسات تاريخية»، (س١٠ع٣٣-٣٤، س١١ع٣٧-٣٨، س١٤ع٤٧-٤٨، س١٥ع٤٩-٥٠، س١٦ع٥١-٥٢، س١٧ع٥٥-٥٦، س١٩ع٦٣-٦٤) وكان رحمه الله عازماً على إتمامها.

وطالبيها.

وأبرز مؤلفاته ستة كتب:

١- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج (وزارة الثقافة ١٩٨٢م) وهو رسالته للدكتوراه.

٢- نافذة على اللغة (دار البعث ١٩٨٣م) وهو مجموعة بحوث وزوايا لغوية كانت تنشر في صحيفة البعث.

٣- دراسات في اللغة (جامعة دمشق ١٩٨٤م) ويقع في قسمين: قسم خصص لعلم اللغة (اللسانيات)، وقسم لفقه اللغة العربية. وكان مقرراً لطلبة السنتين الثالثة والرابعة في قسم اللغة العربية.

٤- أبحاث في اللغة والأدب (دار شمأل بدمشق ١٩٩٤م) وهو مجموعة من البحوث اللغوية المتخصصة نشر معظمها في الدوريات العربية داخل سورية وخارجها.

٥- في فقه اللغة العربية (جامعة دمشق ١٩٩٤- ١٩٩٥م) وكان مقرراً لطلاب السنة الرابعة في قسم اللغة العربية.

٦- الصوت والصدى (اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩م) وهو كتابات تغلب عليها الخواطر والتأملات.

* * *

وقد هيأت دراساته الكثيرة، وقراءاتُه الواسعة المنوعة، ونشاطه المتوقد، ومشاركاتُه العلمية والأدبية الجمّة، وتعمقه في دراسة العربية

وتفهُّم أسرارها، وعرضُه لجملة من قضاياها، أن يقع الاختيار عليه لعضوية مجمع اللغة العربية، فانتخبه مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ٢٨/٢/١٩٩٦م، عضواً عاملاً في المجمع، وصدر المرسوم الجمهوري (ذو الرقم ٤٨ في ١٣/٣/١٩٩٧م) بتعيينه، فانضم إلى مجمع الخالدين، وخصّه بجانب من وقته ونشاطه، فكان عضواً في أربع من لجان المجمع: لجنة المعجمات، ولجنة النشاط الثقافي، ولجنة الأصول، ولجنة المجلة إلى جانب مشاركته الجادة في مجلس المجمع. وعلى قصر المدة التي أمضاها، رحمه الله، في المجمع فقد كان طاقةً متجددةً في لجانه ومجلسه، وكان لمناقشاته ومقترحاته صداها الطيب، وآثارُها الفاعلة في نفوس زملائه. ولم يُغْفل الكتابة في مجلة المجمع ولا المحاضرة في موسم محاضراته[1].

إن المرء ليعجب وهو يتابع سيرة الأستاذ الكريم، رحمه الله، من قدرته الفائقة في ضبط الوقت، والإفادة من كل دقيقة، فكان في نشاطه مضرب المثل، يقوم بكل المهام المنوطة به على أتمّ وجه، ثم لا يصرفه ذلك كله عن الكتابة والبحث. كان المدير العام لهيئة الموسوعة العربية، والأستاذ بكلية الآداب، وعضوَ مجمع اللغة العربية، وعضو اتحاد الكتاب العرب. واستطاع، بما أُوتي من قدرة على التنظيم، أن يلبّيَ كل متطلبات هذه المهامّ، لا يكاد يخرم منها شيئاً، وأن يقدّم الكثير الطيّب من المقترحات التي تجوّد العمل وتحسّنه.

لقد رُزق، رحمه الله، حبَّ القراءة وموهبةَ الكتابة، مما أتاح له أن يقدّم هذه الثروة الفكرية الطائلة. ولئن كان الجانب اللغوي محور عمله وميدانه الذي يجول فيه، إنَّ ذلك لم يمنعه من الإطلالة الواسعة على

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، مج ٧٣: ٢٣٧، ٥٥٥، مج ٧٤: ١٣٧.

ميادين الثقافة فعبَّ منها ونهل. ومن هنا يطالعك هذا التنوعُ الجميل في نتاجه الخصب، وهو تنوع يتناول المادة والأسلوب معاً. إنه يواجهك في كتبه اللغوية بأسلوبه الرصين يميل به إلى الجزالة، وهو يختار الكتابة السهلة في كتبه التعليمية، فإذا آثر كتابة الخواطر والتأملات غلب على أكثرها الرقة والعذوبة والخيال.

وإذا كان المقام لا يتسع لي لوقفة تحليل وعرض لهذا النتاج فإنه لابد لي من إشارة عابرة لظاهرة استوقفتني هي ما يطفح به قلب فقيدنا الغالي من حب عميق لوطنه وبلده، وتعلقٍ شديد بلغته العربية الشريفة، ومقاومة صلبة لمشروعات الاستعمار البغيضة.

لقد كانت هذه العواطف الكريمة هي الموجه الأول له في حياته، تراها تنسرب بين كلماته هنا وهناك. ونظرة إلى كتابه الأخير: «الصوت والصدى» تفصح عن الكثير الكثير مما ذكرت.

يا فقيدنا الغالي

فارقتنا أحبَّ ما كنتَ إلينا، وأسعدَ ما كنّا بك. كنتَ في أوج عطائك، مازلتَ ناضرَ العود، واسع الأمل، ومازلتُ أذكر حديثك الرحب الفسيح عما تتطلع إلى إنجازه يوم ودّعتُك قبيل سفرك، وما خطر لي ببال أن يكون الوداع الأخير.

وقد كنت أرجو أن أُملاّك حقبةً فحال قضاءُ الله دون رجائيا

فليرحمك الله الرحمة الواسعة، ولينزلك منازل الأبرار مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

كلمة الأستاذ الدكتور إحسان النص

نائب رئيس المجمع

ورئيس قسم الحضارة في هيئة الموسوعة العربية

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

سرعان ما غادرتنا يا أبا وجد، غادرتنا على غير توقع ولا ترقّب ونحن في أمسّ الحاجة إليك، وكانت وفاتك مفاجأة مذهلة لنا، لم نصدق النبأ الفاجع حين نُقل إلينا، فقد كنت بيننا قبل وفاتك بأيام، نتحدث ونتسامر ونعالج أمور الموسوعة بهمة ونشاط، دأبك في كل يوم، ولم يخطر لنا في بال أنك ستفارقنا بعد أيام، وسيغيب عنا وجهك الباسم المتدفق عزيمة ونشاطاً، فلمَ غادرتنا على هذا النحو المفاجئ السريع، أمللت جوارنا فآثرت عليه جوار ربك الأعلى، وآثرت الباقية على الفانية.

نحن نعلم أن الموت قدر كل كائن حي في هذه الدار الفانية، ولكننا كلما بلغتنا وفاة عزيز علينا يملكنا العجب ونتساءل: كيف، ولماذا، ونحن نردد ما قاله عبد الله بن الزبير حين بلغه مصرع أخيه مصعب: «إنّ لفراق الحميم لذعةً ولوعة.. يجدها حميمه عند المصيبة» فهو الأجل المحتوم وسنّة الوجود التي لا محيد عنها ولا مبدّل لها:﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهم

لاَ يَسْتَأْخِرونَ سَاعةً ولاَ يَسْتَقْدِمُون﴾ صدق الله العظيم، فلا نملك إلاّ الإذعان لمشيئة الله وقدره.

عرفت مسعوداً طالباً في قسم اللغة العربية، وأشهد أنه كان طالباً مثالياً في جدّه وحسن استيعابه لما يلقى عليه، وعنايته بمتابعة البحث والمطالعة والرجوع إلى كتب التراث وإعداد البحوث المتصلة بمواد الدراسة، وقد لفت نظري بنجابته وذكائه، وكان طُلَعَةً نَهِماً إلى التزوّد بالمعرفة والاطلاع العميق الوافي على كل ما يتصل بموادّ دراسته.

ثم دارت عجلة الزمان فلقيته بعد سنوات وقد تخرج، وكان من المتفوقين في دراسته العليا ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه بدرجة الامتياز ثم غدا أستاذاً لامعاً لعلوم العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق وعضواً في اتحاد الكتّاب العرب، ثم وقع عليه الاختيار ليتبوأ منصب رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دمشق. وانصرف إلى البحث والتأليف فقدم للمكتبة العربية مؤلفات كثيرة يتجلى فيها العمق والدقة وتحرّي الحقائق العلمية فأغنى بها الدراسات اللغوية والنحوية.

وكان إلى ذلك يوافي الصحف والدوريات بمقالات أدبية شيّقة صيغت بأسلوب تصويري مبدع وأداء رشيق ولغة شاعرية طليّة فارتقت به مؤلفاته ومقالاته إلى منزلة الأدباء المبرزين اللامعين.

وقد أهلته مواهبه وطاقاته العلمية والأدبية الخصبة لتبوؤ منصب المدير العام المساعد، فصدر بتعيينه القرار الجمهوري ذو الرقم ٤٦ والمؤرخ في ٢/١٠/١٩٩٣. ثم صدر القرار الجمهوري ذو الرقم ٣٦

والمؤرخ في ١٩٩٧/٤/٢٦ بتعيينه مديراً عاماً لهيئة الموسوعة العربية، خلفاً للأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي خطا بالموسوعة خطواتها الأولى.

وقد أنشئت هيئة الموسوعة العربية بموجب المرسوم التشريعي ذي الرقم /٣/ بتاريخ الخامس من شهر كانون الثاني عام واحد وثمانين وتسع مئة وألف، وكان إنشاء هذه الهيئة واجباً قومياً أملته حاجة الأمة العربية إلى سفر جامع شامل يزوّد أبناء هذه الأمة بما أبدعته قرائح المفكرين والعلماء والأدباء في الشرق والغرب كما يعرّف العالم بحضارة الأمة العربية العريقة وتراثها المجيد. ولم يصدر قبل موسوعتنا موسوعة عربية تحقق هذه الأهداف وإنما كانت محاولات فردية مشكورة ولكنها غير وافية، فكان إنشاء هيئة الموسوعة العربية مبادرة كريمة من السيد الرئيس حافظ الأسد، رئيس الجمهورية العربية السورية، وكان إنشاؤها يمثل تحدّياً جريئاً للصعاب والمعوّقات الجسام التي حالت دون اضطلاع الجامعة العربية بهذه المهمة. فنهضت سورية وحدها بهذا العبء الجسيم، ولم يَأْلُ السيد الرئيس جهداً في توفير كل ما يعين على إصدار الموسوعة على النحو المنشود مادياً ومعنوياً.

كان لقائي الثاني بالفقيد الراحل في هيئة الموسوعة العربية حين اختير مديراً عاماً لها، وهنا عرفت فيه خصالاً تضاف إلى ما كنت أعرفه منها قبل، عرفت فيه الباحث المدقق والإداري القدير، وقد انكبّ على عمله في الموسوعة بهمة لا تعرف الكلال، ودأب كلّفه الكثير من الجهد والمشقة، فكان من أولي العزم الشديد، لم تثنه عن إنجاز مهمته الصعاب

الكثيرة التي اعترضت سبيله فقد بذل في سبيل إنجاز عمله كل ما لديه من طاقات جسمية وعقلية وإدارية، وكان لقائي الثالث بفقيدنا العزيز في مجمع اللغة العربية، فقد اختاره أعضاء المجمع بالإجماع زميلاً لهم، تقديراً لكفايته العلمية ووفرة نتاجه العلمي وحميد خلقه، وتمّ ذلك في الجلسة الثانية عشرة من جلسات مجلس المجمع بتاريخ الثامن والعشرين من شهر شباط عام ستة وتسعين وتسع مئة وألف، وصدر المرسوم الجمهوري بتعيينه ذو الرقم ثمانية وأربعين في الثالث عشر من شهر آذار عام سبعة وتسعين وتسعمئة وألف، ثم احتفل المجمع باستقباله مساء الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر نيسان من العام نفسه. وألقيتُ يومئذٍ كلمة في الاحتفاء به.

انصرف الفقيد إلى عمله في هيئة الموسوعة العربية ومجمع اللغة العربية، وخص الموسوعة بأكثر وقته، ووجه عنايته إلى إصدار المجلد الأول منها فتحقق له ذلك بعد عناء وجهد عظيم، وأنجز في عهده إلى ذلك جانب كبير من المجلد الثاني.

وقد جاء المجلد الأول على النحو المنشود في أناقة طباعته وحسن إخراجه وجودة بحوثه. وكان الفقيد حريصاً على قراءة كل كلمة تكتب في الموسوعة، وعلى تحري الدقة والصواب في كل ما يرد إلى الموسوعة من بحوث.

ولا أنسى ذلك اليوم الذي قدم إلينا فيه المجلد الأول، فقد كانت الفرحة تترقرق في محياه الباسم، وكانت عيناه تشعان ببريق الانتصار،

وكان سروره بصدور هذا المجلد سرور الوالد بإنجاب وليده البكر وسرور الأم بلقاء وحيدها بعد غياب طويل.

وقد عرف العاملون في هيئة الموسوعة في الفقيد العزيز روحه الجادة وأدبه الجم وحرصه على مشاورة زملائه في كل ما يتصل بأمور الموسوعة، دقيقها وجليلها، لا يرضى أن يبرم أمراً إلا بعد عرضه على زملائه في مجلس الإدارة، ولا يستبد برأي بدا له فإن سمع من أحد زملائه رأياً يخالف ما بدا له ووجد فيه الصواب لم يتردد في الأخذ به.

وكان في تعامله مع العاملين معه في الموسوعة مثال الإنسان المهذب، يتحلى بالخلق الحميد والرصانة الجادة وسعة الصدر، فما فارقت الابتسامة ثغره في أحلك الأوقات. وأشهد أني ما رأيته يوماً يفارقه هدوؤه واتزانه وسعة صدره، وما أخرجه النقاش المحتدم حول أمر من الأمور عن طبيعته الهادئة الرزينة.

لقد فقدنا بغياب أبي وجد الصديق الوافي، والعالم المتعمق، والإداري الحاذق، والباحث الجاد، وكان في خلاله هذه واحداً من النخبة المختارة من أبناء هذا البلد.

اخترمته يد المنون وهو في قمة عطائه وذروة نشاطه العلمي، والكائن البشري مهما يكن حظه من القوة والجلد لا قبل له بمغالبة القدر، والناس في هذه الدنيا بين مفارق ولاحق، ومغادر ومنتظر، والمنية بالمرصاد مهما يطل بالمرء أجله.

يدفن بعضنا بعضاً وتمشي ... أواخرنا على هام الأوالي

ونحن لا نملك إلا الإذعان لمشيئة الله التي لا مرد لها، والرضا بالقدر الجاري علينا.

نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لابد من شربه

تبخل أيدينا بأرواحنا ... على زمانٍ هي من كسبه

فهذه الأرواح من جوّه ... وهذه الأجساد من تُربه

أهداني الفقيد العزيز قُبيل رحيله وليده الأخير كتاب «الصوت والصدى»، فقد انطفأ الصوت الآن، ولكنّ صداه المندّى بالأرج العطر سيبقى حيّاً في نفوسنا وقلوبنا وأسماعنا.

* * *

تصحيحات في محاضرة

تطور الفكر القانوني

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

(المنشورة في الجزء الأول من المجلد الرابع والسبعين)

الخطأ	الصواب
ص٧٨: بالشلاح	بالسلاح
ص٨٠: بمنظنة	بمظنة
ص٨٠: تفاديتما	تداركتما
ص٨٦: عام ٢٢٥	عام ٣٢٥
ص١٠١: وراحت تسيرها	وراحتا تسيرانها.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الأول من عام ٢٠٠٠م

أ – الكتب العربية

خلود العقاد

- **ابن رشد الحفيد: سيرة وثائقية** / تأليف محمد بن شريفة– ط١– الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **إجازة الحديث**/ محمد حسين الحسيني الجلالي؛ تقديم سعيد أيوب– ط٢– [د. م]: دار المنار، ١٩٨٩.

- **أديب الأندلس أبو بحر التجيبي: عمر قصير وعطاء غزير** / محمد بن شريفة - ط١ - الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **الأسد في عيون العالم: محاضرات ألقيت في مستشفى الأسد الجامعي بمناسبة تجديد البيعة للسيد الرئيس حافظ الأسد - آذار ١٩٩٩** / حسن العلوي وآخرون - دمشق: مستشفى الأسد الجامعي، ١٩٩٩.

- **الإسكوا (١٩٧٤ - ١٩٩٩): خمسة وعشرون عاماً في خدمة تنمية المنطقة** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا

ـ [نيويورك]: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **أفكاري** / شفيق جبري ـ ط١ ـ دمشق: دار عكرمة، ١٩٩٨. بيروت: دار قتيبة، ٢٠٠٠ ـ خمسة أجزاء.

ـ **الاكتفاء بما روي في أصحاب الكساء**/ رواية أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي؛ تلخيص محمد حسين الحسيني الجلالي؛تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي ـ ط٢ ـ [د . م]: دار الجذور، [١٩٩٧].

ـ **أنشطة منظمة العمل الدولية في إفريقية ١٩٩٤ ـ ١٩٩٩** / مكتب العمل الدولي ـ ط١ ـ جنيف، ١٩٩٩.

ـ **بنت الساحرة: قصص** / عبد السلام العجيلي ـ بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٨٠].

ـ **التعريب: مؤسساته ووسائله** / د. ممدوح محمد خسارة ـ ط١ ـ بيروت: مؤسسة الرسالة ؛ الدار المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **تقرير عن بدايات تطبيق نظام الإدارة البيئية «ايزو ١٤٠٠٠»** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ـ نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ـ **الحاشية على شروح الإشارات** /آقاحسين الخوانساري؛ تحقيق أحمد العابدي ـ ط١ ـ قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٩٩] ـ مجلدان.

ـ **حفنة من الذكريات** / عبد السلام العجيلي ـ ط ١ ـ دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧.

- **الحقوق الأساسية للبلدان النامية في ظل الفات ومنظمة التجارة العالمية** / سعيد النجار، اللجنة الاقصادية والاجتماعية لغربي اسيا - نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **حقوق الإنسان والتشغيل بين التنافسية والآلية: موضوع الدورة الأولى ١٩٩٦: الرباط** / أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، ١٩٩٦ - (سلسلة الدورات).

- **الخائن** / عبد السلام العجيلي - ط ٢ - بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٨٠].

- **دراسات في أدب عبد السلام العجيلي** / مجموعة من المؤلفين؛ تحرير إبراهيم الجرادي - ط ١ - دمشق: الأهالي، ١٩٨٨.

- **دراسات في المخطوطات العربية** / إعداد سماء زكي المحاسني - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٩.

- **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** / تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي؛ تحقيق عبد الهادي التازي - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٧ - خمس مجلدات، (سلسلة التراث).

- **رصيف العذراء السوداء: قصص** / عبد السلام العجيلي - بيروت: دار الشرق العربي، ١٩٨٨.

- **رؤساء الدول أمام حق تقرير المصير وواجب الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية: موضوع الدورة الأولى ١٩٩٤: فاس** / أكاديمية المملكة المغربية - الرباط، ١٩٩٤ - (سلسلة الدورات).

- **سبعون دقيقة حكايات: محاضرات** / عبد السلام العجيلي [د.م]: دار الكاتب العربي، [١٩٨٠].

- **سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق** / أبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري ـ القاهرة: الدار البيضاء، ١٩٩٠.

- **شرح الأربعين النووية** / محمد حسين الحسيني الجلالي ـ ط ٣ ـ بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٧.

- **الشيخ الطوسي مفسراً** / خُضيّر جعفر ـ ط ١ ـ قم: مركز النشر التابع المكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٩٩].

- **عمل لائق وحماية للجميع في إفريقية: تقرير المدير العام** / مكتب العمل الدولي ـ ط١ ـ جنيف، ١٩٩٩.

- **عيادة في الريف** / عبد السلام العجيلي ـ ط٢ ـ بيروت: دار الشرق العربي، [١٩٧٧].

- **غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام** / أبو القاسم القمي؛ تحقيق عباس تبريزيان، مكتب الإعلام الإسلامي ـ ط١ ـ قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٥٨] ـ المجلدان الرابع والخامس.

- **القراءة الأخرى: إعادة نظر في بعض المسكوكات الأدبية** / د. سعاد عبد الوهاب ـ القاهرة: دار قباء، ٢٠٠٠.

- **قناديل إشبيلية: قصص** / عبد السلام العجيلي ـ بيروت: دار الشرق، [١٩٨٠].

- **قناديل إشبيلية : قصص /** عبد السلام العجيلي - بيروت: دار الشرق، [١٩٨٠].

- **كتالوج المعاجم والموسوعات ١٩٩٨ - ١٩٩٩ /** مكتبة لبنان - بيروت، ١٩٩٩.

- **الكفاف: كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية /** يوسف الصيداوي - ط ١ - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩ - جزءان.

- **مسائل في المعجم /** إبراهيم بن مراد - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧.

- **مسح الجمهورية العربية السورية حول صحة الأم والطفل: التقرير الرئيسي /** رئاسة مجلس الوزراء، المكتب المركزي للإحصاء - دمشق، ١٩٩٥.

- **المسلم في التاريخ: أعمال الدورة الثانية المنعقدة في الدار البيضاء من ٢٥ – ٢٧ آذار ١٩٩٨ /** بإشراب عبد المجيد الشرفي - الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٩.

- **معجم أشعار المعصومين الواردة في بحار الأنوار: ما نظموه وما أنشدوه /** مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية - ط ١ - قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، [١٩٥٨].

- **المعجم العربي المختص: وقائع الندوة العلمية الدولية الثالثة التي نظمتها جمعية المعجمية بتونس ١٧ - ١٨ نيسان ١٩٩٣ /** جمعية المعجمية العربية بتونس - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦.

- **معجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة**

الذرية: إنكليزي - عربي / هيئة الطاقة الذرية - طبعة جديدة، موسعة - دمشق: الهيئة، ١٩٩٩.

- **معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد للجيب: إنكليزي - عربي** / إعداد أحمد شفيق الخطيب - ط ٢، منقحة - بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٩.

- **مقدمة لنظرية المعجم** / إبراهيم بن مراد - ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧.

- **الملامح الاقتصادية في رحلة ابن بطوطة** / د. أحمد مطلوب - ط ١ - بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩.

- **منظمة الإسكوا: خمسة وعشرون عاماً ١٩٧٤ - ١٩٩٩: التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - بيروت: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: من بحوث ندوة مجمع اللغة العربية بدمشق (اللغة العربية: ملامح الحاضر وآفاق المستقبل ١٩٩٧)** / د. ممدوح محمد خسارة - ط ١ - بيروت: مؤسسة الرسالة؛ الدار المتحدة، ١٩٩٩.

- **النوع الاجتماعي والمواطنة: دور المنظمات غير الحكومية في السلطة الوطنية الفلسطينية: تقييم نقدي** / إعداد زهير كمال، اللجنة الاقتصادية والإجتماعية لغربي آسيا / نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩ - (سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية؛ ٢٧).

- **هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم** / د. علي فهمي خشيم - ط ١ - بيروت: دار الشرق الأوسط، ١٩٩٧.

- **وثيقة مشروع حول إعادة تأهيل القطاع الزراعي في الأراضي الفلسطينية: مقترح لتطوير الإحصاءات الزراعية بوزارة الزراعة** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - نيويورك : الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ب - المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٦٧٦- ٦٧٩	١٩٩٩	سورية
الحياة الموسيقية	٢٠	١٩٩٩	سورية
دراسات تاريخية	٣	١٩٨٠م	سورية
	٦٣- ٦٤	١٩٩٨	سورية
صوت فلسطين	٣٨٠	١٩٩٩	سورية
صوت المعلين	٣٣ (١٩٧٧)، ٣٤، ٣٥ (١٩٧٨)، ٥٢ (١٩٨٠)		سورية
الطليعة	٢، ٣، ٨	١٩٣٦	سورية
الطيران المدني	٤	١٩٦٨	سورية
عالم الذرة	٨	١٩٨٩	سورية
مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية	مج ٧ (الآداب والعلوم الإنسانية: ٨) ١٩٩٥		سورية
مجلة جامعة دمشق	مج ١٤ (الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية: ١، ٢) ١٩٩٨ مج ١٤ (العلوم الاقتصادية والقانونية: ١) ١٩٩٨ مج ١٤ (العلوم الصحية: ٢) ١٩٩٨		سورية
المجلة الطبية العربية	١، ٢، ٣ (١٩٦١)، ٤، ٥، ٦ (١٩٦٢)، ٧ (١٩٦٣)، ٩، ١٠ (١٩٦٤)، ١١، ١٤ (١٩٦٥)، ١٦ (عدد خاص) ١٩٦٦، ٢٢ (عدد خاص) ١٩٦٧		سورية
مجلة العاديات	٣، ٤ (١٩٣٤)، ١ (١٩٣٧)، ٢ (١٩٣٨)		سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المعلومات	من ١٠٩- ١١٣	١٩٩٩	سورية
المرأة العربية	من ٩٢- ٩٧ (١٩٧٦)، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩ (١٩٧٧)، من ١٢٠- ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧ (١٩٧٨)، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥ (١٩٨٠)، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٦ (١٩٨٤)		سورية
المعرفة	١٤٣ (عدد خاص)، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٠ (١٩٧٤)، ٤٣٢ (١٩٩٩)		سورية
المعلم العربي	١ (١٩٤٨)، (٤و ٥) ١٩٥١، ٣ (١٩٥٢)، ١، ٢ (١٩٥٢)، ٤ (١٩٥٣)، ٤ (١٩٥٧)، (٣و ٤)، (٥ و ٦) ١٩٥٨، (١ و ٢) ١٩٥٨، ٣، (٨ و ٩) ١٩٦٠، (١ و ٢) ١٩٦٠، (١ و ٢) ١٩٦١، (٣ و ٤) ١٩٦٢، (٥ و ٦)، ٩ (عدد خاص)/ ١٩٦٢، (١ و ٢) ١٩٦٢، (١و ٢) ١٩٦٤		
المهندس العربي	٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧ (١٩٨٤)، ٩٥، ٩٦ (١٩٨٩)، ٩٩، ١٠٠ (١٩٩٠)، من ١٠١- ١٠٤ (١٩٩١)، ١٠٥، ١٠٦ (١٩٩٢)، من ١٠٩- ١١٢ (١٩٩٣)، ١١٥ (١٩٩٤)		سورية
الموقف الأدبي	٣٤١	١٩٩٩م	سورية
النشرة الاقتصادية لغرفة تجارة دمشق	٣	١٩٩٩	سورية
الأنباء	٧٨٢، ٧٨٥	١٩٩٩م	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
حولية مديرية الآثار العامة	مج ١٤	١٩٦٩	الأردن
دراسات	مج ٢٥ (الكشاف السنوي) ١٩٩٨		الأردن
	مج ٢٦ (العلوم الإدارية: ٢) ١٩٩٩		
هدي الإسلام	مج ١ (٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) ١٣٧٦		الأردن
	مج ٢ (٦، ٨) ١٣٧٧		
	مج ٦ (٢، ٣، ٥، ٦، ٨) ١٣٨١		
	مج ٧ (١) ١٣٨٢		
	مج ٨ (١– ٧) ١٣٨٣		
	مج ٨ (٨) ١٣٨٣		
آفاق الثقافة والتراث	(٢٠– ٢١) ١٩٩٨م، (٢٢– ٢٣) ١٩٩٨م		الإمارات
مجلة كلية الدراسات الاسلامية والعربية	٢ (١٩٩١م)، ٥ (١٩٩٢م)		الإمارات
تعليم الجماهير	١٦	١٩٨٠	تونس
المجلة العربية للثقافة	١	١٩٨٢	تونس
المجلة العربية للعلوم	٢، ٣	١٩٨٣	تونس
الأصالة	١١ (١٩٧٢)، (٨٥– ٨٦) ١٩٨٠، (٨٩– ٩٠) ١٩٨١م		الجزائر
الثقافة	٤	١٩٧١م	الجزائر
أخبار المكتبة	١٨	١٩٩٩م	السعودية
الدارة	١	١٣٩٦هـ	السعودية
عالم الكتب	مج ٢٠ (٥و ٦) عدد خاص	١٩٩٩م	السعودية
المجلة العربية	٢٦٩	١٩٩٩م	السعودية
نشرة المستخلصات	١٣	١٩٩٨م	السعودية
أوراق مجمعية	٦، ٧	١٩٩٩م	العراق
البلاغ	١٠	١٩٧٤م	العراق
الرسالة الإسلامية	(٢٥ و ٢٦)	١٩٧٠م	العراق

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المجمع العلمي	مج ٤٦ (ج ٢/ ١٩٩٩م)		العراق
المعلم الجديد	٦ (١٩٣٩)، ١، ٢ (عدد خاص)، (٣و ٤)، ٥، ٦/ ١٩٣٩، ١، ٢، ٣ (عدد خاص) ١٩٤٠، ١، ٢ (١٩٤٠) ج ١ (١٩٤٥)، ج١، ج٦ (١٩٤٦) ج (٤و٥)١٩٤٧، ج ١ (١٩٤٧) ج ٣، ج٤، ج (٥و٦) جزء خاص/١٩٤٩ ج٢، ج٣، ج٤، ج ١ (١٩٥١) ج (١-٢) جزء خاص/ ١٩٥٣، ج٤ (١٩٥٤)، ج٣(١٩٥٥)، ج٦ (١٩٥٦)، ج٣، ج٤، ج (٥و٦)/ ١٩٥٧ ج١، ج٢، ج٣، ج (٤و٥)/ ١٩٥٨، ج٥(١٩٦٠)، ج ١ (١٩٦٤)، ج ١ (١٩٦٥)		العراق
المكتبة	٥ (١٩٦١)، ٥٩ (١٩٦٧)، ٦٣ (١٩٦٨)		العراق
الاقتصاديات العربية	٩	١٩٣٥	فلسطين
الريان	٥	١٩٨٠	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٢٩	١٩٩٢م	الكويت
البيان	٣٥٠	١٩٩٩	الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢٠ (١٣٧، ١٣٨، ١٣٩)	١٩٩٩-٢٠٠٠م	الكويت
العربي	٤١٣	١٩٩٣	الكويت
الآداب	٣، ٦، ٧، ١١، ١٢ (١٩٥٣)، ٩ (١٩٦٣)		لبنان

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأديب	ج١ (١٩٤٩)، ج١١ (١٩٥٠)، ج٥، ج٦، ج٧ (١٩٥١)، ج٨ (١٩٥٢)، ج١٠ (١٩٥٩)، ج٧ (١٩٦٤)، ج١٠ (١٩٦٦)، ج٨ (١٩٦٧)، ج١٢ (١٩٦٨)، ج٢ (١٩٧١)		لبنان
حوار	٦	١٩٦٣	لبنان
الدراسات الأدبية	١، ٤ (١٩٦٢)، ١، ٢ (١٩٦٣)، (٣و٤) ١٩٦٣-١٩٦٤،(١و٢)١٩٦٤، (٣و٤) ١٩٦٤-١٩٦٥،(١و٢)١٩٦٥، (٣و٤)١٩٦٥-١٩٦٦، (١و٢)١٩٦٦		لبنان
الدراسات الفلسطينية	٣٩	١٩٩٩	لبنان
الشراع	٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢	١٩٩٩	لبنان
العلوم	٤، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١(١٩٦٣)، ٣، ٧ (١٩٦٤)		لبنان
الفكر العربي	٣٠	١٩٨٢	لبنان
المعارف	(٧و٨)	١٩٦٢	لبنان
الوعي	٤٤ (١٩٦٠)،٧ (١٩٦٨)		لبنان
الهدى الاسلامي	٢(١٣٨١هـ)، ٣، ٤(١٣٨٢هـ)، ١(١٣٨٢هـ)، ٢، ٣، ٤ (١٣٨٣هـ)، ٢، ٣، ٤ (١٣٨٦هـ)، ٢(١٣٨٧هـ)، ٤(١٣٨٨هـ)، ١(١٣٨٩هـ)، ٣(١٣٩٧هـ)		ليبيا
التمويل والتنمية	٣(مج ٣٦)	١٩٩٩	مصر
الدكتور	٢٢٨، ٢٢٩(عدد ممتاز)، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣(١٩٦٧)، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، من ٢٤٢-٢٤٥(١٩٦٨)،		مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	٢٤٦، من ٢٤٨-٢٥١، ٢٥٣-٢٥٧(١٩٦٩)، ٢٥٨، من ٢٦٠-٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩ (١٩٧٠)، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١ (١٩٧١)، ٢٨٢(١٩٧٢)		
رسالة اليونسكو	آذار، نيسان، أيار	١٩٩٩	مصر
الكتاب	مج٢ (ج٨، ج٩/ ١٩٤٦)، مج٣ (ج٥، ج٦/ ١٩٤٧)، مج٤ (ج٧، ج٨، ج١٠ (عدد خاص)، ج ١١، ج١٢/ ١٩٤٧)، مج٥ (ج٥) ١٩٤٨ مج٦ (ج٧، ج٨، ج٩ (جزء خاص)، ج١٠/ ١٩٤٨)، مج ٧ (ج١، ج٢، ج٣/١٩٤٩) مج٨ (ج٧، ج٨، ج٩ جزء خاص/١٩٤٩) ج٩ (١٩٥٠) مج١٠ (ج٣، ج٨/ ١٩٥١) مج ١١ (ج٣، ج٥/١٩٥٢) مج ١٢(ج٢، ج٣، ج٥، ج٧/ ١٩٥٣)		مصر
نشرة الإيداع	آذار، نيسان	١٩٩٩	مصر
الهداية الإسلامية	مج٥ (ج٧) ١٣٥١ مج ٦ (ج٩و ١٠) ١٣٥٣ مج٧ (ج٦ و ٧) ١٣٥٤ مج ٩ (ج ١٠) ١٣٥٦		مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الهلال	(ج١– ج ١٠) مج ٥٥(ج١–ج٦)، (ج٧–ج١٢)/ ١٩٤٧ مج ٥٦(ج١–ج٦)، (ج٧–ج١٢)/ ١٩٤٨ مج٥٧(ج١)عددخاص، ج٢، ج٤، ج٥(عدد ممتاز)، ج٦، (ج٧–ج١٢)/ ١٩٤٩ مج٥٨(ج١، ج٣، ج٤ (عدد ممتاز)، ج٥– ج ١٠(عدد خاص)، ج١١/ (١٩٥٠ مج ٥٩(ج ١ (عدد ممتاز)– ج٦)،(ج٧، ج٨ (عدد ممتاز)– ج١٢)/ ١٩٥١ مج ٦٠(ج١ (عدد ممتاز)– ج٦)، (ج٧–ج٨(عدد خاص)، ج٩، ج ١٠ (عدد خاص)– ج١٢)/ ١٩٥٢ مج٦١(ج١ (عدد ممتاز)–ج٦)، ج٧–ج١٠ (عدد خاص)، ج١١، ج١٢)/١٩٥٣ مج ٦٢(ج١–ج٤(عدد ممتاز)، ج٥، ج٦)، (ج٧، ج٨(عدد ممتاز)– ج١٢)/ ١٩٥٤ مج ٦٣ (ج١–ج٦)،(ج٧–ج٩ (عدد ممتاز)، ج ١٠–ج١٢)/١٩٥٥ مج٦٥(ج٩–ج١٢/١٩٥٧) مج ٦٦(ج١(عدد خاص)، ج٢/ (١٩٥٨	١٩٠٩	مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
دعوة الحق	٨، ٩	١٩٥٨	المغرب
الاتحاد السوفييتي	١١، ١٢(١٩٥٦)، ١٢(١٩٥٧) ٢٥، ٢٦(١٩٥٨)، ١١٨(١٩٦٦)		الاتحاد السوفييتي
أندونيسيا	١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١(١٩٦٨)، من ١- ١٢، ١٣، ١٩(١٩٦٩)، ١، ٣، ٤، ٩، ١٠، ١١(١٩٧٠)، (١٠-١١) ١٩٧١، ١٦٧(١٩٧٦)		أندونيسيا
الثقافة الاسلامية	٣٧(١٤١١هـ)، من ٣٨-٤٣ (١٤١٢هـ)، ٤٥-٤٨(١٤١٣هـ)، ٥٠، ٥١(١٤١٤هـ)		إيران
الهادي	٥(١٣٩٤هـ)، ١(عدد ممتاز) ١٤٠٠هـ، ٢(١٤٠١هـ)		إيران
المراحل	٧(١٩٥٧)، ٦٠(١٩٦٠)، (٨٨-٨٩)١٩٦٣، (١١٠-١١١) ١٩٦٥		البرازيل
مجلة النفط	أيار، حزيران، تشرين١ (١٩٦٠)، تشرين٢ (١٩٦٤)، آذار، نيسان، حزيران (١٩٦٥)، حزيران، تموز (١٩٦٦)، من كانون ١- كانون٢/ ١٩٦٨، نيسان (١٩٦٩)، من نيسان- آب (١٩٧٠)، أيار (١٩٧١)		بريطانيا
بلغاريا الجديدة	(٥-٦)، ٩، ١٠، ١٢ (١٩٧٣)، ٣، ٤، ٨ (١٩٧٤)، ١، ٢، ٣، ٨، ٩، ١٠، (١١-١٢)/ ١٩٧٥، ١، ٢، ٤، ٩، ١٢ (١٩٧٦)، ٦، ١١		بلغاريا

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	(١٩٨٠)، ٦، ٧ (١٩٨٤)،		
	٣، ٦، ٧ (١٩٨٧)		
وقائع اليونسكو	٣، ٤، ٦، (٧– ٨)، ٩ (مج ١١)	١٩٦٥	فرنسا
	١، ٥، ٦، (٧– ٨)/ مج ١٢	١٩٦٦	
	(١–٢)/ مج ٢٣	١٩٧٧	
ثقافة الهند	مج ١ (١، ٢، ٣)	١٩٥٠	الهند
	مج ٦ (٢، ٤)	١٩٥٥	
	مج ٧ (٣)	١٩٥٦	
	مج ٨ (٤)	١٩٥٧	
	(١–٢)، ٣، ٤ (مج ٩)	١٩٥٨	
	(١– ٢)، ٤ (مج ١٠)	١٩٥٩	
	مج ١١ (١، ٣، ٤)	١٩٦٠	
	مج ١٢ (١، ٢، ٣)	١٩٦١	
مجلة المجمع العلمي الهندي	١– ٢ (مج ١٢)	١٩٨٧م	الهند
	١– ٢ (مج ١٤)	١٩٩١م	
الهند	٢ (١٩٦٩)، ٢٣ (١٩٧٢)،		الهند
	٣٥ (١٩٧٣)		

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- Annual Report of The Librarian of Congress , 1998.- Washington, 1999.
- Arabische Briefe/ by Albert Dietrich .- Hamburg, 1955 .-
- Das Arabische Reich und Sein Sturz/ by J . Wellhausen .- Berlin , 1902 .
- Before the Storm/ by Reiko Uchida , trBy : ELon Satoru Simon .- Tokyo , 1999 . (Translated from Japanese language).
- Begriff Der Arbeits - Schule/ by Georg Kerchensteiner.- Stuttgart , 1959 .
- The Conditions and Consequences of Choice/ by Naila Kabeer .- Geneva , 1999 .- (Publication of United Nations Research Institute for Social Development) .
- The Court of The IL - Khans , 1290 - 1340 / edited by Julian Raby & Teresa Fitzherbert .- oxford , 1994 .- (oxford Studies in Islamic Art , XII).
- Escwa (1974 - 1999) , Twenty - Five years of Service to The Regions' Development / by Serge Nédélec .- Geneva , 1999 .- (united Nations Publication).

- The Escwa Region : Twenty Five years , 1974 - 1999 , Political , Econonic and Social Developments / by Ahmed youssef Ahmed and others , ed . by Riad Tabbarah .- Beirut , 1999 .- publ . by :
Escwa , united Nations) .

- Fehrest Noskheha - ye Khatti , .- ye Ketabkhane - ye Majles -e Shura - ye Islami / The Center of
publication of the office of Islamic propagation of the Islamic Seminary of Qum .- Iran .
(Listing The Handwritings of The Library of The Islamic Consultative Assembly).

- Fehrest Noskheha - ye Khatti - ye Ketabkhane - ye Majles- e Shura - ye Islami/ by Ali Sadrai Khui .- Iran .
(Containing Library Manuscripts).
Vols : 26 , 35 , 36 , 37 , 38 .

- Gender in The World Banks Poverty Assessments/ by Ann Whitehead .- Geneva , 1999 .- (Publication of UNRISD).

- Geschichte des Mittelalters für die V . and VIKLasse/ by Konstantin Nutu .- Germany , 1957 .- illustrated .

- The Greeting of Business in Mexico/ by David Barkin .- Geneva , 1999 .- (publ . of UNRISD) .

- Die Grossen Denker/ by Will Durant .- Leipzig , 1926 .

- Die Kultur Der Antike / by Ernst Howald .- zürich , 1948 .

- A Monumental Manifestation of the Shiite Faith in Late Twelfth - Century Iran/ by Raya Shani - Oxford , 1996 .- (oxford Studies in Islamic Art , xI) .

- Publications and Documets of Escwa : Twenty - Five years / by united Nations .- Newyork , 1999 .- (pub . of United Nations).

- Die Renaissance Des Islams/ by A. Mez .- Heidelberg, 1922 .-

- Vorlesungn über Den Islam / by Ignaz Goldziher .- Heidelberg , 1925 .

- World Commission on The Ethics of Scientific Knowledge and Tehnology (Comest) , proceedings of The First Session - oslo , April , 1999 .- Unesco , 1999 .

- Wörterbuch Der Religionen / by Wilfried Nälle .- München , 1960 .

2 - Periodicals :

- Acta Orientalia , Academiae Scientiarum Hungaricae Nos . : (1- 2) 3 , 4 , vol . 51 , 1998 .

- Beijing Review , China .

Nos . : 20 , 21 , 22 , 23 , 24 , 25 , 26 , 27 , 28 , 29 , 30 , Vol . 24 , 1999 .

- Bulletin of Labour Statistics , Geneva .

No . 3 , 1999.

Publ. by: International labour office Geneva .

- Bulletin officiel .

No . 3 , vol . LxxxI, 1998.

Publ. by : Bureau International Du Travail .

- Deutschland , Magazine on Politics , Culture

and Business .

No . 5 , 1999.

- EFA 2000 . Bulletin Publié par l'unesco pour le Forum International Consultatif sur l'éduction pour tous .

No . 36 , 1999 .

- India Perspectives .

Nos . : March , 1999 (special Issue) , March , 1999 (No . 3) , March , 1999 (Special issue) , April . 1999 , May , 1999.

- Korea and World Affairs, A quarterly Review .

No . 2, Summer , 1999 .

publ . by : Research Center fo[illegible]e and Unification of Korea .

- Law and State , A Biannual Collection of Recent German Contributions to These Fields .

Vol . 59/ 60 , 1999

publ . by : The Institute for Scientific co - operation , Tübingn.

- Ma'arif , Monthly Journal of Darul Musannefin Shibli Academy , Azamgarh , India .

No . (July) , 1999 (In Urdu language).

- The Middle East Journal .

No . (3), Summer , 1999.

Pub L. by : Middle East Institute , Wahington , USA .

- Name - ye fahrangestan , The quarterly Journal of Iranian Academy of persian language and

Literature , Iran .
Nos . : 1,2, 3, vol . (1) , 1995
No . 4 vol . (1) , 1996
Nos.: 1, 2, 3 , 1996
No.: 4, 1997.
Nos . : 1, 2 , 1997 , vol . (1).
(In persian language).
- Nature Resources , Unesco .
No . (2) , vol . (35) , 1999
- Perspetives , revue Trimestrielle d'éducalion Comparẽe , Unesco.
No . (1), mars , 1999.
Pub L .by : Bureau International D'Education .
- Revue International Du Travail , Ceneve .
No . (2) , 1999.
- Samsung Magazine , Korea.
No . (3) , 1999
- SGI , quarterly , Soka Gakkai International quarterly Magazine , Japan .
No . 18 , 1999 .
- Sirat - e - Mustaqeem .
No . (1) , 1999.
pub L. by : National Halal Centre , Birmingham , UK .
(in persian Language).
- Studia Islamica , paris .
No . 89 , 1999 .
- The Töyöshi - Kenkyü , The Jounal of Oriental

Researchers , Kyoto , Japan .
No . (1) , 1999 .
(in chinese language).

- Travail , le Magazine De l'oit , Geneve .
No . (31) , 1999 .
pub L. by : Bureau International Du.Travail , Geneve .

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والسبعين

مجلّة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »

عدد خاص

وفيه القسم الأول من بحوث ندوة

(إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح)

(من ٢٥ حتى ٢٨/ ١٠/١٩٩٩)

ربيع الأول ١٤٢١ هـ

تموز (يوليو) ٢٠٠٠م

تقديم

برعاية كريمة من السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، عقدت في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ١٠/٢٥ حتى مساء ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٩ ندوة عنوانها: «**إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته**» وقد شارك في هذه الندوة نحو من خمسة وعشرين باحثاً من الأقطار العربية ومن القطر العربي السوري، وألقيت فيها بحوث في إطار أربعة محاور هي:

المحور الأول: الإفادة من كتب التراث العربي وجهود الهيئات العلمية المختلفة

أ- الإفادة من كتب التراث العربي

ب- الإفادة من المؤلفات الحديثة في وضع المصطلح العلمي العربي.

ج- الإفادة من جهود الهيئات العلمية العربية والأجنبية التي تعنى بالمصطلح العلمي العربي.

المحور الثاني: أساليب وضع المصطلح العلمي العربي.

أ- المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده.

ب- الاشتقاق بدلالته الواسعة.

ج- الإفادة من الصيغ الصرفية المختلفة في وضع المصطلح وتوليده.

د- إمكان اللجوء إلى النحت عند الضرورة.

هـ- ترجمة المصطلحات الأجنبية وشروطها.

و- تعريب المصطلحات الأجنبية.

ز- النظر في السوابق واللواحق والدوامج الأجنبية وما يصلح استخدامه في وضع المصطلح العربي.

المحور الثالث: المصطلح والتقنيات الحديثة

أ- الاشتقاق والتصريف بالحاسوب لصياغة المصطلح.

ب- النظم الخبيرة والمصطلح (نظام الصرف والنحو والدلالة).

ج- العناصر المتعددة في الحاسوب (الصوت والصورة والفيديو).

د- بنوك المصطلحات.

هـ- النصوص الفائقة والمصطلح.

و- المكانز الحاسوبية والذخيرة اللغوية.

ز- الأنترنيت وشيوع المصطلح.

المحور الرابع: سبل توحيد المصطلح وإشاعته.

أ- سبل توحيد المصطلح العلمي العربي.

ب- سبل إشاعة المصطلح العلمي العربي الموحد.

تناولت هذه المحاور مشكلات المصطلح العلمي في اللغة العربية ومايعانيه من تعدّد وتشتت على أيدي المعرِّبين، وأبانت عن أنجع السبل لتوحيده وإشاعته في المؤسسات العلمية والجامعات ليسعف المترجمين الذين ينقلون للعربية العلوم الحديثة التي غزت أصقاع المعمورة.

وقد أقيم حفل افتتاح الندوة في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ١٩٩٩/١٠/٢٥ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضر الحفل الدكتور محمد زهير مشارقة، نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل، والسادة أعضاء القيادة القطرية، والسادة أعضاء اللجنة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية، والسادة ا لوزراء والسفراء العرب، وأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق والأساتذة الباحثون المشاركون في الندوة، وممثلو وزارة التربية ووزارة التعليم العالي، والمؤسسات الثقافية في القطر العربي السوري ورئيس جامعة دمشق وعمداؤها وأساتذتها وجمع غفير من العلماء والباحثين المعنيين بشؤون اللغة العربية.

وقد ألقيت في حفل الافتتاح الكلمات الآتية:

- كلمة الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الندوة.
- كلمة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي.
- كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ورئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.
- كلمة الأستاذ الدكتور ناجح الراوي رئيس المجمع العلمي ببغداد، ممثل الوفود المشاركة.

واستأنف المشاركون في الندوة أعمالهم في الساعة الخامسة والنصف من بعد ظهر يوم ٢٥/١٠/١٩٩٩ في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية بانتخاب رئيس الندوة ومقررها، فأقروا بالإجماع انتخاب الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع القاهرة ورئيس اتحاد المجامع العربية رئيساً للندوة، والأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضو مجمع دمشق مقرراً لها.

ثم بدأت جلسات الندوة في القاعة المذكورة، وترأس الجلسة الأولى الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع، والمقرر لها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضو المجمع.

تابعت بعد ذلك الندوة أعمالها في القاعة المذكورة، فألقى السادة المشاركون بحوثهم ضمن المحاور الأربعة المذكورة آنفاً. وأتيح للحضور فسحة من الوقت للمناقشة والتعقيب والاستيضاح.

وفي هدي البحوث الملقاة والمناقشات التي دارت حولها أعدت لجنة الصياغة في الندوة تقريراً يشتمل على ما انتهت إليه من توصيات. وقد نوقشت هذه التوصيات في الجلسة الختامية، وأقرت صيغتها النهائية.

وفي ختام الندوة وجه الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع دمشق برقية إلى السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية

السورية باسم السادة المشاركين عبّروا فيها عن أصدق آيات الولاء والشكر. وهذا نص البرقية:

سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

المشاركون في ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته»، التي أقامها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق وفي رحابه يرفعون لسيادتكم أسنى آيات الولاء والإكبار لرعايتكم الكريمة للعلم والعلماء وللعربية والعاملين في خدمتها. ومن حسن الاتفاق أن تنعقد هذه الندوة بُعيد احتفالات الشعب العربي السوري بالذكرى السادسة والعشرين لمعارك العزّ والفخار في حرب تشرين (أكتوبر) التحريرية وعلى مشارف احتفالات جماهيره الواسعة بالذكرى التاسعة والعشرين للحركة التصحيحية المباركة، التي كان لكم فضل قيادتها، وهي الحركة التي سدَّدت المسار الوطني والقومي، وكان من قطوفها اليانعة ما نعم به القطر العربي السوري من عزّة وازدهار. وهم يكبرون في شخصكم المفدى مواقفكم الوطنية الصامدة ويقفون معكم في صدق إخلاصكم للمبادئ القومية التي تصون للوطن والأمة كرامتهما وتحفظ لهما حقوقهما الثابتة، وهم يعبّرون عن عظيم تقديرهم لسياستكم الحكيمة في مواجهة مناورات أعداء الوطن والعروبة ومحاولاتهم المستميتة لرفض الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة في الجولان والجنوب اللبناني والضفة الغربية والقدس الشريف، وهم يؤمنون بأن الأعداء لن ينالوا من ثباتكم وقوة عزيمتكم وتشبثكم الصارم بالمبادئ والحقوق التي آمنتم بها ويعاهدونكم على المضي قدماً في المسيرة الصاعدة التي انتهجتموها للأمة، ويسألون الله أن يمدّكم بالعون والتوفيق. ودمتم ذخراً للعربية والوطن والأهداف القومية الكبرى.

كلمة الدكتور
محمد زهير مشارقة
نائب رئيس الجمهورية

أيها الأخوة

أيها الرفاق

أيها السادة الحضور من علماء وباحثين.

نرحب بكم أجمل ترحيب، ونحييكم أحسن تحية ونحن نلتقيكم، في الجلسة الافتتاحية للندوة التي قرر اتحاد المجامع العربية عقدها في دمشق الفيحاء. وموضوعها (إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبلُ توحيدِهِ وإشاعتِهِ).

ويأتي عقد هذه الندوة، تقديراً من اتحاد المجامع العربية، لأهمية تعريب المصطلحات وتوحيدها في الوطن العربي، ونشرِها فيه، حتى تواكبَ لغتنا العربية الجميلة، مايشهده عالمُنا المعاصر، من تطورٍ متسارعٍ في مختلف ميادين العلم والتقنية، وتطبيقاتِها العمليةِ وحتى تبقى اللغةُ العربيةُ، لغةً للعلم والمعرفة والثقافة، في حاضرنا الزاهر كما كانت كذلك في ماضينا التليد.

وشأن لغتنا العربية في هذا المجال، شأنُ غيرِها من اللغاتِ الحيّةِ، فاللغات الحيّة تتميز بالتطور، وتتسم بالمرونةِ وبقدرتِها على الاستجابةِ لحاجاتِ الناطقين بها، ولحاجات التطور العلمي والتقني، ولا نبالغ إذا قلنا إن

اللغة العربيـة بالمقارنة مع اللغات الحية الأخرى تَبُذُّها ثراءً وغنى، وقدرةً على التعبير الدقيق عن مختلف المصطلحات والمسمَّيات، معتمدةً على قواعدها اللغوية والنحوية والصرفية، وعلى مرونتها وسعةِ أبواب الاشتقاق والنحت والتعريب فيها، ومن يتصفح كتب الأقدمين من علمائنا وباحثينا في الطب والهندسة والفلك والزراعة والحيوان وما إليها، يجدِ البيناتِ الصادقةَ والأدلةَ القاطعةَ على ذلك.

وإذا كان للغة العربية ما لها من أهمية على الصعيدين العلمي والثقافي، فإن لها دوراً آخر لا يقل أهمية عن دورها المعرفيّ والحضاري، ألا وهو دورها القومي. ففي اللغة العربية تتجسد هويةُ الأمة، وتتجلّى خصائصها، واللغة هي المقوّم الأساسي للقومية العربية وهي الوعاء الذي حفظ لنا تراثنا المعرفيّ والحضاري على مر العصور، وهي في الوقت ذاته صلة الوصل بين ماضينا التليد وحاضرنا المجيد، وصلة الوصل بين العربي وأخيه العربي في جميع أرجاء الوطن العربي.

ويأتي عقد هذه الندوة في مدينة دمشق، نظراً لما تلقاه لغةُ القرآن الكريم في سورية من اهتمام وتقدير كبيرين. فهي لغة العلم والمعرفة، وهي لغة التربية والتعليم في جميع المؤسسات التربوية والتعليمية على اختلاف مراحلها، وهي لغة الإعلام بمختلف وسائله من مقروءة ومسموعة ومرئية. حازت سورية بذلك قصب السبق، وكرس عدد من العلماء والباحثين من أبنائها جهودهم، لإعلاء شأنها، والدفاع عنها، والتصدي لكل الحملات المغرضة التي قادتها الدوائر الاستعمارية والصهيونية، بغية التقليل من شأنها، والدعوة إلى الانصراف عنها واستبدال لغة أخرى بها. وغايتهم من ذلك قطع الصلة بين حاضر الأمة وماضيها، وتمزيق أوصالها ليسهل عليهم استعمارها واستعبادها والتحكم بمقدراتها حتى حين.

وقد تعاظم اهتمام سورية العربية بلغتنا القومية، في عصر حافظ الأسد، من خلال اهتمام السيد الرئيس، بلغتنا العربية الجميلة، وسعيِهِ بوسائل عديدة، لكي تكون لغة العلم والمعرفة والثقافة، لغة البيان والتبيين، وحرصِهِ على تعليمها في مختلف المراحل الدراسية في التعليم الجامعي وما قبل الجامعي، من خلال مناهج متطورة وكتب قيمة.

وعلى هذا كانت رعايته الكريمة لهذه الندوة، ويسعدني وأنا أنوب عن سيادته في رعاية الندوة، أن أنقل إليكم تحياته الطيبة، وتقديره للجهود الكبيرة التي ستبذلون لإقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده ونشره، وأمانيّه في أن تكون هذه الندوة خطوة جادة على طريق بذل مزيد من الاهتمام بلغتنا العربية حتى تزدهر، وتستعيد أمجادها الغابرة يوم كانت لغةً للعلوم والمعارف، لغةً للثقافة والحضارة، في العصور الذهبية من تاريخنا العربي.

أيها الأخوة.

أيها الرفاق.

إذا كانت عملية السلام في المنطقة، هي القضيةَ التي تحظى باهتمام كبير في العديد من الدوائر والمحافل السياسية الدولية والإقليمية، فما ذلك إلا لأن السلام العادل والشامل إذا ما تحقق، فستكون له آثار إيجابية، في توافر الأمن والاستقرار لجميع الأطراف فيها.

وسورية أكدت في العديد من المناسبات أن السلام هدف استراتيجي لها وللأمة العربية ومشاركتُها في مؤتمر مدريد الذي عقد في ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١ كانت لتحقيق هذا الهدف.

والسلام الذي تسعى سورية إلى تحقيقه، هو السلام العادل والشامل،

الذي يستند إلى قرارات الشرعيـة الدولية ولا سيما القرارات/ ٢٤٢- ٣٣٨- ٤٢٥ / ويرتكز على مرجعية مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام، إنه السلام الذي يعيد إلى كل ذي حق حقّه، ويـؤدي إلى انسحاب إسرائيل من الجولان إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧، ومن جنوب لبنان وبقاعه الغربي ومن باقي الأراضي العربية المحتلة، وفي مقدمتها القدس الشريف. ويؤدي إلى استرجاع الحقوق المغتصبة، وفي مقدمتها حقوق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير، وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني.

ولكن عملية السـلام، وبالرغم من مضيّ ثمانية أعوام علـى انطلاقتها، لم تبلغ غايةً ولم تحققْ هدفاً وهذا عائد إلى غطرسة إسرائيل وصلفها وتعنتها، وتنكر قـادتها للـمبادئ التـي قامت عليـها عمـلية السـلام، ورفضِهـم الالـتزامَ بمتطلبـاتِها واستحقاقـاتِها. فهم يعتـمدون أساليب المراوغة والمكر والتـضليل، ويـحـاولون فـرض إملاءاتهـم علـى الأطـراف العـربيـة، يمـضـون فـي بنـاء المستوطنات، وتوسيع القائم منها، ويستقدمـون المزيد من المهاجريـن اليهود من أصـقـاع شـتى، ويصـترحون بـأن لا عودةَ لحـدود الرابع مـن حزيران عـام ١٩٦٧، ولا انسحاب من الجولان، ولا من القدس التـي يدّعون أنها عاصمة أبديـة لهم. وأن لا عـودة للاجئين إلى بـيوتـهم وديارهـم التي شـردوا منهـا، ويواصـلون أعمـال القـمع والبـطش والإرهاب، علـى المواطنين فـي الأراضي العربية المحتلة، ويصعّدون من اعتداءاتهم الوحشية المتكررة على لبنان.

وإذا كانت بعـض الأوساط والمحافل، قد انتـابها شيء من التفـاؤل بعد سقوط نتنياهو، ومجيء باراك إلى سدة الحكم في إسرائيل، لأن الأول أدخلَ عملية السلام في طـريق مسدود، وتنكَّر لمستلزماتها جـملةً وتفصيلاً، ووقف من السـلام موقفاً عـدائياً سافراً. أمـا الثاني فـقد أحدث جَلَبَـةً عالية بشـعاراته الانتخابية، وحديثِه عن السلام واستئناف محادثاته، والانسحاب من جنوب

لبنان، وما إلى ذلك، وها قد مضى على وصول باراك إلى السلطة ما يقرب من أربعة أشهر ولكن شيئاً ما لم يحدث و إذا كانت العبرة بالأفعال لا بالأقوال فإن بإمكاننا القولَ إنه لم يتغير شيء في إسرائيل، ولم يطرأ أي تطور إيجابي على موقفها من عملية السلام. بل إن لاءات باراك تنسف كلَّ الشعارات التي رفعها إبّان حملته الانتخابية والتي فاز على أساسها بثقة الناخبين في إسرائيل.

وإذا كان قد بدا لبعض المحافل والأوساط على الصعيدين الإقليمي والدولي، أن الفرصة بعد وصول باراك إلى الحكم قد أصبحت سانحةً لاستئناف عملية السلام، إلا أن باراك لم يختلف في قليل أو كثير عن سلفه في مواقفه من عملية السلام. فهو لا يرغب في استئناف المفاوضات على المسار السوري من حيث توقفت، ويسعى بوسائل شتى إلى فصل المسار اللبناني عن المسار السوري ويؤكد أن لا عودة إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧، وأن لا عودة للاجئين إلى وطنهم وديارهم التي شردوا منها، وأن القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، ويعتمد أسلوب المكر والخديعة والمراوغة مع الفلسطينيين. وإذا ما حدث وضاعت الفرصة المتاحة لاستئناف عملية السلام، فإن سورية ليست المسؤولةَ عن ضياعها، لأن سورية التي اختارت طريق السلام، تجدُ فيه مصلحة لها ولغيرها، وسورية لن تفرط بشبر من أرضها المحتلة، ولن ترضخ لإملاءات إسرائيل، وهي متمسكة بنهج السلام ومستعدة لمواصلة العمل لأجله، وفق قرارات الشرعية الدولية، ومرجعية مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام.

وكما بين السيد الرئيس حافظ الأسد في كلمته الجامعة بمناسبة تجديد البيعة للولاية الدستورية الخامسة (فإن على الإسرائيليين أن يدركوا أن سياساتهم الراهنة تجاه العرب لا يمكن أن تحقق لهم الأمن ولا للمنطقة

السلام، فالقوة تتيح العدوان ولكنها لا توفر الأمن والطمأنينة. ومفهوم القوة نسبي في الزمان والمكان، وعوامل القوة ليست ثابتة. وما يجري في الأراضي المحتلة هو برهان ساطع على ذلك. ومهما بلغت شدة القوة التي يمتلكها المعتدي فستبقى أضعف من إرادة الشعوب وتصميمها على التحرير وعلى إنهاء العدوان.

إننا واثقون أننا سنستعيد أرضنا المحتلة في الجولان مهما طال الزمان أو قصر، ومهما بلغت قوة المعتدين، ومهما ضاقت ظروف العرب.

أيها الرفاق.

أيها الأخوة

ختاماً نأمل لندوتكم بلوغ ماتسعى إلى بلوغه من غايات، وتحقيق ما ترمي إلى تحقيقه من طموحات وتتمنى أن يتمكن المشاركون فيها، من خلال محاور البحث المختلفة التي سيطرقون بها المواضيع المطروحة على بساط البحث، أن يصلوا إلى مقترحات وتوصيات، تعزز مكانة اللغة العربية، حتى تبقى اللغة العربية نبراساً لثقافتنا، ومنارةً لحضارتنا، والمقوم الأساسي لقوميتنا العربية.

كلمة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي

الرفيق الدكتور محمد زهير مشارقة

نائب رئيس الجمهورية ـ ممثل راعي الندوة

السيد الرئيس حافظِ الأسد رئيسِ الجمهورية العربية السورية

السادةُ الحضور: أيها الجمعُ الكريم:

يسعدني أن أرحبَ بكم في بلدِكم سورية العروبةِ، سورية الصمودِ والكرامة، سورية حافظ الأسد، وأن أشاركَكم في افتتاحِ ندوةِ (إقرارِ منهجيةٍ موحدةٍ لوضعِ المصطلحِ العلمي العربي وسبلِ توحيدهِ وإشاعتِه)

لقد وجّه السيدُ الرئيسُ حافظٌ الأسدُ إلى الاهتمامِ بلغتِنا العربيةِ سبيلِ تقدمِنا العلمي والحضاريِ وأداةِ عملِنا التربويِ التعليمي، وواسطةِ عقدِنا القومي حيثُ يقولُ سيادتُه:

(لغتُنا العربيةُ هي عنوانُ هويتِنا وهي الرابطةُ بين الناطقينَ بالضادِ، وهي من أهمِ صلاتِ الماضي بالحاضرِ والمستقبلِ، بها نعبرُ عن ذاتِنا وننشرُ في الوطنِ والعالمِ نتاجَ الفكرِ العربيِ وننقلُ إلى أبناءِ الأمةِ العربيةِ النتاجَ الفكريَ للشعوبِ الأخرى).

السادةُ الحضور:

لقد أكدت اليونسكو أنه لا يوجدُ عائقٌ في نظامِ لغةٍ يحولُ بينها وبين

جعلِها لـغةَ حضارةٍ حديثةٍ إذا كانـت هذه اللغةُ تصلحُ لأن تكونَ لغـةَ التعليمِ الجامعيِ والتقني، وقد أثبتت سوريةُ أن اللغةَ الـعربيةَ بما تتـميزُ به من القـابليةِ والمرونةِ والاتسـاعِ والغنى مؤهـلةٌ لأن تكونَ لغةَ التـعليمِ الجامـعي فاعتُـمِدَت اللغـةُ العربيةُ في الـتدريسِ والتأليـفِ والبحثِ العلـمي، وتفخرُ سـوريةُ الأسدِ بريادتِها للتدريسِ الجامعي باللغة العربيةِ، ليس في مرحلةِ الإجازةِ فحسب بل في مرحـلةِ الدراساتِ العليـا وتتميـزُ سوريةُ في تعليمِها الجـامعيِ بتخـصيصِ ساعـاتٍ لتدريسِ اللغـةِ العربيـةِ لطلابِ الجامـعاتِ السوريةِ كـافةً وفي توفـيرِ الكتابِ الجامعي باللغةِ العربيةِ لهم ولطلابِ الجامعاتِ العربيةِ الأخرى.

السادةُ الحضور:

لقـد عرّفت بـعضُ المعـاجمِ اللغـويةِ الاصطـلاحَ على أنه اتـفاقُ طائـفةٍ مخـصوصةٍ علـى أمرٍ مخـصوصٍ، أما العـلماءُ والمجمـعيون والاخـتصاصـيون فإنهم يعـتمدون المصطلحَ العلـميَ للتعبيـرِ عن معنىً من المعاني في مـجالٍ ما، وقد حرصـوا على وضعِ الكثيـرِ من المصطلحـات والألفاظِ المعربةِ في جـميعِ الاختـصاصـاتِ والعلومِ الحـديثةِ معتـمدينَ التـحوير والتضـمينَ والاشتـقاقَ والنحتَ والتركيبَ المزجيَ والترجمةَ والتـعريبَ سبلاً للوصولِ إلى مصطلحٍ يجاري العصرَ ويواكب التطوراتِ العلميةَ والمستجداتِ الحديثةَ.

وتحقق نـتيجةَ ذلـك كلِّه ألوفٌ مؤلفـةٌ من الألفاظِ الـعربيةِ ومـئاتٌ من الألفـاظِ المعـربةِ والتـي روعيَ في وضـعِها شـروطُ الدقةِ الـعلمـيةِ والصحـةِ اللغوية.

الأخوةُ الحضور:

قد يـكون مفيـداً ونحن في افـتتـاحِ ندوتِكم الهـامةِ هذه والتـي تضم كوكبةً متميزةً من المعجميين والاختصاصيين في اللغةِ أن أتحدثَ عن إشكاليةِ

المصطلحِ وأن أضربَ مثلاً لتباينِ مفاهيمِه في حدودِ الاختصاصِ التربوي الذي أُعنَى به فكلمة SUPERVISOR الإنكليزيةِ يقابلُها بالعربيةِ مصطلحاتٌ كثيرةٌ منها المفتشُ والموجهُ والمشرفُ والمتفقدُ والمتربصُ، وغيرُ ذلك من مصطلحاتٍ كثيرةٍ لمفهومٍ واحدٍ وجميعُها يدورُ حولَ الموظفِ الذي يتابعُ أمورَ المعلمين ونموَهم.

ومع اتساعِ الثقافةِ وانتشارِ العلوم وتنوعِ الاختصاصات كثرت المصطلحاتُ وتباينت بينَ بلدٍ وآخرَ وأضحت أدواء اللغةِ وكثيراً ما نسمع في اللقاءاتِ والندواتِ ألفاظاً يغيب عنا معناها ونلحظ اختلافاتٍ في المصطلحاتِ التي يدور النقاشُ حولَها.

كما كان للبرنامج الوطني لنشرِ المعلوماتية والبرنامج الوطني الجامعي اللذين وجّهَ إلى تحقيقهما العقيدُ الركنُ الدكتورُ بشارٌ الأسدُ رئيسُ الجمعيةِ العلميةِ السوريةِ للمعلوماتية ما ساعدَ على توطينِ المعلوماتية ومواكبةِ الجيلِ الجديدِ لها وإتقانِه لأبعادها بما يتلاءم مع لغتِنا العربيةِ وثقافتِنا وحاجاتِنا وهويتِنا.

السادةُ العلماء:

لقد حرص مجمعُ اللغةِ العربيةِ على عقدِ هذه الندوةِ في الوقت الذي يحتفلُ فيه شعبُنا العربيُ بذكرى التشرينين تشرينِ التحريرِ وتشرينِ التصحيح اللذين قادهما السيدُ الرئيسُ حافظٌ الأسد.

وتزامنُ عقدِ هذه الندوةِ مع أفراحِنا بالتشرينين له دلالةٌ كبيرةٌ، فكما حقق التعاونُ العربيُ والوحدةُ الوطنيةُ النصرَ والكرامةَ وبناءَ سوريةَ الحديثةِ كذلك فإن تعاونَ اللغويين في الوصولِ إلى مصطلحٍ عربيٍ موحدٍ، يسهم في الحفاظِ على الهويةِ العربيةِ والشخصيةِ العربيةِ والإنسانِ العربي، وفي هذا

يقول السيدُ الرئيسُ مبيناً أن دعمَ اللغةِ العربيةِ يقعُ ضمنَ دائرةِ المعركةِ الشاملةِ إذ يقول سيادتُه:

(إن لم تكن معركُتنا في إنقاذِ لغتِنا فأي معركةٍ ستكون؟)

أيها السادة:

إن سوريةَ التي ضحت بالدماءِ غزيرةً في حرب تشرينَ لاستعادةِ الجولانِ وعودةِ الحقِ إلى أصحابه لايمكن أن تفرطَ بذرةٍ من ترابِ الوطنِ وهي حينَ تطالبُ بتحقيقِ السلامِ العادلِ والشاملِ القائمِ على قراراتِ مجلس الأمن فهي تؤكد رفضَها احتلالَ أراضي الغيرِ بالقوةِ وبناءَ مستوطناتِ العدوِ على أرضِ الجولانِ المغتصبِ.

ومن هنا بدت الحاجةُ ملحةً إلى منهجيةٍ تهدف إلى وضع أسسِ المصطلح العلمي العربيِ وترسُّم سبلِ انتشارِه وتعميمِه.

وإذا لم يكن بإمكاننا في الوقتِ الحاضرِ توحيدُ المصطلحات العلميةِ بفروعها المختلفةِ بين جميع الأقطار العربيةِ فلا بأسَ من العمل على توحيدِ منهجياتِ وضع المصطلحاتِ العلميةِ وهي خطوةٌ ضروريةٌ لتوحيدِ المصطلح العلمي العربي وتحقيقِ سيرورةِ استعمالهِ، ومن هنا تأتي أهميةُ هذه الندوةِ.

وإذا كان محبو اللغةِ العربيةِ قد عمدوا منذُ القديم إلى تحري المصطلحاتِ العربيةِ في الكتبِ القديمةِ ليستخرجوا منها ما يصلُحُ استعمالُه من ألفاظٍ صحيحةٍ في وقتِنا الحاضرِ فإننا بحاجةٍ ماسةٍ إلى تدريبِ الباحثين على أساليبِ وضع المنهجية في العلوم جميعِها وبخاصةِ الإنسانية منها حيث تتعددُ مفاهيمُ المصطلح وتأخذ مناحيَ شتى.

السادةُ الباحثون:

إن عملَكم هذا يتطلبُ الكثيرَ من الجهدِ والوقتِ والتحلي بالصبرِ

وتجنبِ اليأسِ، ومما يدعو إلى التفاؤلِ أنّ أطراً شابةً نالت التدريبَ على التقانات واكتسبت خبرةً ومهارةً في الاستخدامِ الأمثلِ للتكنولوجيا المتوفرةِ وهي عناصرُ سيكون لها دورُها في تقديمِ العونِ للمجمعيين لوضع المنهجيةِ وتحديدِ المصطلحِ وتنشيطِ التعريبِ بالصورةِ المناسبة.

وكان الفضلُ في إعداد هذه العناصرِ الشابةِ المؤهلةِ لتوجيه السيدِ الرئيسِ حافظِ الأسدِ بتدريسِ المعلوماتيةِ في جميع الكلياتِ والأقسامِ الجامعية بما فيها أقسامُ اللغةِ العربيةِ وإحداثُ أقسامِ المعلوماتية والهندسةِ المعلوماتيةِ في الجامعات جميعِها.

ختاماً لا يسعني إلا أن أشكرَ لكم حضورَكم الندوةَ وحرصكم على اللقاءِ والحوارِ العلميِ مع نظرائكم وسعيكم لتقديم آراءٍ ناضجةٍ حولَ منهجيةِ وضعِ المصطلحِ ليستنير بها الباحثون والمهتمون، كما أشكرُ رئيسَ مجمع اللغةِ العربيةِ وأعضاءَه الذين بذلوا كلَّ جهدٍ لإنجاحِ هذه الندوةِ.

والشكرَ نرفعُه لراعي الندوةِ سيادةِ الرئيسِ المناضلِ حافظِ الأسدِ حامي حمى اللغةِ العربيةِ توجيهاً وممارسةً معبرين عن أعمقِ آياتِ الولاءِ والوفاءِ لسيادتِه، معاهديه أن تلتزمَ مؤسساتُ التعليمِ العالي بتوجيهاتِه، وأن تمضيَ قدماً في مسارات بناءِ الإنسانِ العربي لغةً وعلماً وعقلاً وانتماءِ الإنسانِ الذي وصفه سيادتُه بأنه غايةُ الحياةِ ومنطلقُ الحياة.

بوركت جهودُكم أيها الباحثون ونتمنى أن تسفرَ ندوتُكم عن إيجادِ المنهجِ العلميِ الأفضلِ، والأيسرِ استعمالاً، والأكثرِ مطاوعةً مما يعطي أكلَه الطيبَ في بناءِ لغةِ أجيالِنا العربيةِ الصاعدة.

كلمة الأستاذ الدكتور
شوقي ضيف
رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

سعادة الأستاذ الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية

السيدة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم

السيد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع دمشق

السادة الزملاء أعضاء الندوة، السيدات والسادة

يسعدني أن أحمل من القاهرة ومصر إلى دمشق وسورية رئيساً وشعباً وحكومة تحية صادقة، أعزَّ الله سورية ودمشق بجهود أعلامهما ورجالهما المخلصين للعروبة والعربية، كما أحمل من مجمع القاهرة إلى مجمع دمشق تحية تجلة لأعماله اللغوية والعلمية الفريدة.

وأشكر باسم اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية الأستاذ الدكتور شاكر الفحام لدعوته اتحاد المجامع إلى عقد هذه الندوة بمجمع دمشق. وأسعدني وأسعد اتحاد المجامع أن لبَّت دعوتي لحضور الندوة كوكبة من أعلام المجامع اللغوية والهيئات العلمية في الوطن العربي. وبدون ريب ستفيد الندوة فوائد علمية قيمة من مناقشاتهم وأفكارهم وخبراتهم. وإني باسم حضراتكم جميعاً واسم اتحاد المجامع اللغوية واسمي أقدم أخلص الشكر إلى

رئيس مجمع دمشق وإلى الحكومة السورية للضيافة الكريمة التي أشعرت كلاً منا بأنه في بلده وبين أهله وأصدقائه.

وأرى من واجبي - إنصافاً لجميع أعضاء مجامع الأمة السابقين والحاليين - أن أشيد بجهودهم الخصبة المثمرة في وضع عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية العربية في مختلف العلوم التي تدرَّس في الجامعات العربية وتعريفها ونشرها في معاجم علمية، وقد رسموا لها منهجيات متعددة أدَّت أداء مباركاً نافعاً إلى وضع المصطلحات العلمية العربية حتى الآن. وعلى سبيل المثال أذكر المنهجيات التي وضعها أعلام في مجمع القاهرة للمصطلحات العلمية، وأولاها منهجية في سنة ١٩٦١ وضعها المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد عمار عضو المجمع آنذاك، ومنهجية ثانية وضعها الأستاذ الدكتور محمود مختار سنة ١٩٨٠ ومنهجية ثالثة وضعها مقررو لجان المجمع القاهري سنة ١٩٩٥ واتحاد المجامع اللغوية حين قرر إقامة هذه الندوة يأمل أن تتوحد مصطلحات العلوم الغربية في الوطن العربي، بحيث نصبح أمة واحدة في نهضتنا العلمية، تتعدد بلداننا ودولنا وتتوحد علومنا ومصطلحاتها متخلصة من البلبلة الحالية بسبب اختلاف المنهجية في وضع المصطلحات العلمية من مجمع لغوي إلى مجمع لغوي ومن بلد عربي إلى بلد عربي بل ربما من عالم عربي إلى عالم عربي مواطن له. وأمل اتحاد المجامع اللغوية كبير في أن تتوحد مصطلحات العلوم الغربية في بلداننا العربية بعد هذه الندوة وما تضع للأمة في مصطلحاتها العلمية من منهجية علمية يلتزم بها علماؤها ومجامعها اللغوية وهيآتها العلمية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور ناجح الراوي
رئيس المجمع العلمي في العراق

السيد ممثل السيد رئيس الجمهورية

الأستاذ الدكتور زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية المحترم

الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي المحترمة

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية المحترم.

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق المحترم

الأساتذة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بدعوة كريمة من مجمع اللغة العربية بدمشق نجتمع اليوم في دمشق العروبة لإقرار منهجية موحّدة للمصطلح العلمي العربي بغية توحيده، وبحثِ سُبُلِ إشاعته. فباسمي، ونيابةً عن زملائي المشاركين في الندوة أقدّم جزيلَ الشكر وعظيمَ الامتنان إلى مجمع اللغة العربية بدمشق لحسن الاستقبال، وكرم الضيافة، والإعداد الجيّد لهذه الندوة الفكرية.

أيتها السيدات والسادة:

لقد شهد القرن العشرون الذي سنودعه لنستقبل قرناً جديداً، تطوراً

هائلاً في العلوم والتقانة. وأخذت تفصل أمتَنا العربيةَ عن العالم المتقدم فجوةٌ كبيرةٌ في هذا المجال. وعلينا أن نسعى لتقليص الفجوة وتجسيرها قبل فوات الأوان. وهذا يتطلب منا السعيَ الحثيثَ للاهتمام بالعلم والتقانة في أقطارنا العربية، والعملَ على وحدة الثقافة، وتعريبِ العلوم والتعليم، وتوحيد المصطلحات العلمية في مجال العلوم والفنون والآداب للحفاظ على سلامة اللغة العربية وأصالتها. فاللغة العربية تمثل إحدى الركائز الأساسية لهويّتنا القومية، ومن حق طلبتنا أن يتعلموا بلغتهم القومية لينشأ جيل قادر على تأسيسِ مدارسَ عربيةٍ فكريةٍ، ويكون له دور في حركة العلم والتقانة العالمية، ويسهم في إغناء الحضارة الإنسانية من جديد.

ومن هنا تأتي أهمية انعقاد هذه النّدوة؛ فقد شهد العالم مع نهاية القرن العشرين تغيّراتٍ جذريةً، تمثلت ببروز ظاهرة القطب الواحد. فقد هيمنت أمريكا على قرارات مجلس الأمن الدولي، وعملت على تثبيت الكيان الصهيوني، وفرض الحصار على شعبنا في العراق وليبيا والسودان، والعدوان الهمجيّ المسلح عليه دون ما رادع. كما نشهد محاولات الغزو الثقافي الغربي لطمس ثقافات الشعوب، وفرض ثقافته وتوجهاته الجديدة. كلّ ذلك يفرض على مجامعنا العربيةِ أن تبذل جهداً مضاعفاً لمقاومة هذا الغزو، وأن يكون لنا دور بارز في وحدة الثقافة العربية وتطوير التعليم، وتعريبه، ليكون أداةً للوحدة العربية المنشودة.

تحية لمجمع اللغة العربية بدمشق، والشكر موفور لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لقراره بعقد هذه الندوة.

والسلام عليكم.

كلمة

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل

السادة أعضاء القيادة القطرية - السادة أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية

السادة الوزراء - السادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي

الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الأساتذة أعضاء المجامع العربية

السادة العلماء والباحثون المشاركون - السادة الضيوف

أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن تحية، وأرحّب بكم أجمل الترحيب وأكرمه، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور لنحتفي بافتتاح ندوة:

«إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته»

هذه الندوة التي يعقدها اتحاد المجامع العربية بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق، ليعالج قضية مهمة لها شأنها وأثرها البعيد في تنمية اللغة العربية وازدهارها، ومدّ آفاقها.

إن وضع المصطلحات العربية الملائمة لنقل المستجدات العلمية والمخترعات يُغني اللغة العربية، ويزيد في طاقتها وتحديثها وقدرتها على التعبير عن المعاني الجديدة، وتنمية المعرفة العلمية. فالمصطلحات هي لغة العلم ومفتاح المعرفة، وهي إلى جانب ذلك تعبر عن مظاهر الحضارة الجديدة بكل تنوعاتها، فالسعي الحثيث لتوفير هذه المصطلحات كفيل أن يساعدنا على نقل علوم الغرب إلى العربية واستيعابها، وأن نمضي صعداً في طريق التقدم والرقي.

ولنا في ماضي حضارتنا العريقة ما يؤيد صدق هذا الاتجاه، فقد ترجم العربُ الأوائل علوم الإغريق والفرس والهند، واستوعبوها، لينشئوا حضارتهم العربية الزاهرة التي أظلّت العالم من سور الصين إلى جبال البرانس عدة قرون. وفيما وصل إلينا من مؤلفاتهم وترجماتهم والمصطلحات التي وضعوها ما يدلّ على الجهد الكبير الذي بذلوه، حتى تأتّى لهم أن يُرسوا دعائم الحضارة التي شيّدوها.

ولهذا أيضاً فقد سارع دعاة النهضة العربية الحديثة منذ أيام محمد عليّ إلى التعليم بالعربية، ووضعِ المصطلحات العلمية، وترجموا الكتب إلى العربية، وألّفوا بها، وأُسّست المدارس، ثم قامت مدرسة الألسن الشهيرة للترجمة، وصدرت مجلةُ روضة المدارس، وظهرت فئة متنورة مثقفة قدّمت الكثير مثل رفاعة رافع الطهطاوي ومحمد بْن عمر التونسي، وبدأ نسغُ الحياة الجديدة يسري في أوصال العربية، ويبشّر بالنهضة المرتقبة. ولكنّ التجربة لم يُتح لها أن تبلغ مداها، فقد اعترضها المستعمرون وأحلّوا لغاتهم في التعليم محل العربية، في مصر وبلاد المغرب العربي.

على أن مسيرة التعريب ووضع المصطلح مالبثت أن انتعشت بعد توقف، فقد قامت الجامعة السورية التي درّست العلوم جميعاً بالعربية،

وساندتها المجامعُ العربية، وعلى رأسها مجمع القاهرة، والمؤسساتُ اللغوية بمتابعة وضع المصطلحات العلمية تيسيراً للباحثين والدارسين والمترجمين، إلا أن تعدّد الواضعين جعل إزاء المصطلح الأجنبي الواحد عدة ألفاظ عربية بحسب اجتهاد كل منهم، مما أنذر بنوع من الفوضى في تحديد المصطلح وإقراره، وتعالت دعوات المصلحين تنادي بأمرين:

أولهما: إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي،

والثاني: العمل على توحيد المصطلح العلمي،

لكي تكونَ لغةُ العلم في البلاد العربية واحدة لا تنافر بينها ولا تباين، وتظلَّ لغتنا العربية هي اللغة الواحدة الموحِّدة التي تجمع صفوفنا، وتُوثّق روابطنا، وتقف حاجزاً منيعاً دون التشتت والفرقة.

وكان لتلك الدعوات أثرها، فتأسس اتحاد المجامع العربية، وعُقدت مؤتمرات التعريب، وأدّت المساعي والجهود المتضافرة إلى إقرار منهجية وضع المصطلحات في ندوة الرباط (١٨ - ٢٠ شباط ١٩٨١م)، وكانت خطوة موفقةً ناجحة في هذا السبيل، ثم ضُمت إليها ملاحظُ مختلفة في ندوة عمّان (٦ - ٩ أيلول ١٩٩٣م)، تلتها توصياتُ مجلس مجمع القاهرة ومؤتمرِه في دورتيه الستين(١٩٩٤م) والواحدة والستين (١٩٩٥م).

وإننا لنأمل أن تقدم ندوتُنا، ببحوثها وتوصياتها، الصيغة الأقرب إلى الكمال في منهجية وضع المصطلح، وفي التهدّي إلى سبل توحيده ونشره.

على أن ما نسعى إليه لنحققه اليوم ليس غايتَنا المرتجاةَ التي نقف عندها، وإنما هو وسيلة صالحة لبلوغ الغاية التي نرنو إليها، ونجهد ونجاهد من أجلها.

ذلك بأن أمتنا العربية تعيش في حياتها العلمية وضعاً شاذاً مما أورثَناه

الاستعمارُ، فأغلبُ جامعاتنا في الوطن العربي مازالت تدرس الطب والعلوم وأمثالها باللغة الأجنبية، اعتقاداً منها أن العربية غير مؤهلة للتعبير عن هذه العلوم، فحكمت بذلك على الجانب العلمي والتِقاني من اللغة بالضمور والجمود، وحصرت اللغة في نطاق ضيق لا تَعْدُوه. وهذا وضع غريب جداً، لا نكاد نجد له شبيهاً في حياة الأمم. فالوضع السائد المألوف أن الأمم تعلّم بلغاتها، وتجهد الجهد كله لتُطوّر هذه اللغات وتغنيَها بوضع المصطلحات الملائمة لمستجدات العصر، وبترجمة العلوم عن الأمم التي بلغت أعلى درجات الرقي في التقدم العلمي والتقاني.

إننا نريد لأمتنا أن تنهج النهج السويّ الذي سلكته الأمم: تجعلُ العربية لغة التعليم العالي والبحث العلمي في أرجاء الوطن العربي كله، تغذّيها دائماً وأبداً المصطلحاتُ التي تفي بمتطلبات العصر المتجددة، وترفدها ترجماتٌ للمصادر والمراجع العلمية في بلاد الغرب ليظل الأساتذة والعلماء المؤلفون والمدرّسون على معرفة بآخر التطورات في المجال العلمي، ولتكون تآليفهم ودراساتهم وبحوثهم في المستوى العالمي المطلوب.

وهكذا تغْنَى اللغةُ ويصقلها الاستعمال والتداول، فتُلبّي ما يراد منها، وتوثّق التعاونَ بين مراكز العلم والبحث العربية مما يطوّر العلوم وينمّيها، وتجمعُ طاقات الإبداع المبددة فتهيئُ لإنبات العلم العربي في الأرض العربية، وتفسح للعلماء العرب أن يشاركوا المشاركة الفعالة في المسيرة العلمية العالمية، ومايواكبها من مظاهر الحضارة والتقدم، وهذا ما نتطلع إليه، ونعمل ونداب لتحقيقه.

لقد كانت العربية لغة الحضارة العالمية التي أعلى الأجداد قواعدها السامقة في أيام الازدهار والنهوض، فوسعت بطواعيتها ومرونتها مستجدات عصرها ولبّت متطلباته.

ولا بد لنا اليوم من وقفة ملؤها العزم والتصميم والإيمان لنعيدها سيرتها الأولى لغةً عالمية تشارك في جميع جوانب المعرفة. وليس ذلك ببعيد، والمثل قريب:

هل نغفل عن دولة أضاعت لغتها قروناً، ثم استفاقت فعملت وبذلت، فاستعادت لغتها لتجاري بها لغات العالم.

إن اللغة العربية هي هويتنا، ومستودع ذخائرنا، تصل حاضرنا بماضينا، ونستعيد بها تراث سبعة عشر قرناً أو يزيد، يقص علينا سيرة أمتنا وتاريخها المجيد وجلائل أعمالها، وهو أمر تفردت به العربية، فكيف لا يحفزنا هذا كله أن نجمع القوى، ونستثير الهمم، ونستشعر العزة والكرامة لنؤدي حقّ العربية علينا في حفظها وصونها وتنميتها.

ولا يَعني هذا أن نهمل اللغات الأجنبية، بل يجب علينا أن نوليها حقها من الدرس والإتقان، فهي نافذتنا على العالم، نطّلع بها على ماعند الأمم الراقية، وننقل ما سبقتنا إليه من العلوم والمعارف، ونزوّد معجمنا العربي بمستجدات العصر، ونظلُّ على صلة وثيقة بالحركة العلمية العالمية.

هذه كلمة قصيرة أردت بها أن أدلّ على غايتنا من وضع المصطلح وتوحيده، وهو توحيد التعليم بالعربية، فهو خيارنا الوحيد الذي يمضي بنا في مدارج الرقي.

ولعله يحسن أن أشير هنا إشارة عابرة إلى أن التأليف والتعليم بغير العربية في وطننا العربي يحصر العلم في مجموعات محدودة، ضيقة النطاق، ويضعف تبادل المعرفة بينها وبين سواد الشعب. أما التعليم بالعربية المبينة فإنه يساعد على نشر المعرفة في طبقات المجتمع لأنه يتحدث بلسانها، ويقرّب إليها المعرفة، بوسائل شتى، تنهل منها بحسب طاقتها، ويهيئها لتكون أكثر علماً وقدرة على الاستجابة لمتطلبات العصر.

إن تعميم التعليم بالعربية كان ومايزال مطلباً لكثير من المؤسسات التربوية والعلمية والثقافية واللغوية تنادي به وتدعو إليه، دع عنك المفكرين والعلماء. ومن آخر ما صدر من توصيات بهذا الصدد توصية مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والستين (١٩٩٨م) ونصها:

«١ - يوصي المؤتمر الحكومات العربية باتخاذ الوسائل اللازمة لتعريب التعليم الجامعي والعالي في الوطن العربي».

فلنعقد العزم ولنبدأ العمل، وقدوتنا في مسيرتنا الأممُ التي التزمت بلغاتها تعلّم بها وتؤلف. وإن التعليم باللغة الأمّ قريب المتناول، ومن السهل تذليل مصاعبه، ويكفي أن أذكر أن سورية بعد زوال الحكم العثماني اختارت العربية لساناً لها في كل مؤسسات الدولة ودواوينها، وفي التعليم بكل مراحله. وبدأ التعليم الجامعي بالعربية في عام ١٩١٩م، ولم تزدنا التجربة إلا تمسكاً بما اخترناه، وإيماناً بصحة ما ذهبنا إليه. وها نحن أولاء اليوم وقد مضى على التجربة ثمانون عاماً أشد حرصاً على الالتزام بالعربية المبينة، وأكثر تبشيراً بها لتكون لسان العلم العربي في أرجاء هذا الوطن الحبيب.

من تمام القول أن نرفع أسمى آيات الشكر والثناء إلى السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي تفضل برعاية الندوة إعزازاً للعربية التي حاطها بعنايته، ورفع منارها، ووجّه لمزيد من الاهتمام بها.

وإنه لمن المصادفات السعيدة أن تنعقد ندوتنا والشعبُ في أوج أفراحه وابتهاجه احتفاءً بذكرى التشرينين: تشرين التحرير وتشرين التصحيح، إنهما معركتا الانتصار الكبير اللتان قادهما الرئيس المظفر حافظ الأسد ففتحتا الطريق أمام شعبنا لنهضة شاملة، وأقامت هذا التحالف الوثيق بين الشعب وقيادته الحكيمة في معارك التحرير والبناء، وأهابتا بالجماهير أن تلتف حول

قائدها الأمين الذي يقف قلعة صامدة أمام العدو الصهيوني وأطماعه، رافعاً شعار السلام لا الاستسلام، ومدافعاً عن أرض الوطن، شديد الشكيمة لا يفرط في ذرة من ترابه.

وبعد، فإني أرجو للندوة النجاح والتوفيق، وأن تصدر توصياتها ملبّية لما نتطلع إليه من منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي، وسبيل توحيده، وأن تكون البرق المبشر بالخير العميم، وهو إقرار التعليم بالعربية في جميع الجامعات العربية والمؤسسات العلمية العربية.

والسلام عليكم

مِنهجيَّةُ بناءِ المُصْطَلحات وتطبيقاتها

الدكتور أحمد شفيق الخطيب

تَمْهيد:

أيها السيدات والسادة الأكارم

تُرى لو عُقِدت هذه الندوة في نهاية الألف الأوّل الميلادي - ماذا كان يكون موضوعُها؟ ومن كان يكون حُضورها؟

لعلَّ الجوابَ سهلٌ استنتاجُه من استقراء ما كتبه أسقُفُ قُرطُبة، أكبر مدن أوربا في القَرن العاشر، حيث يقول: «إنَّ اللغةَ العربيةَ قد فتَنتْنا بعُذوبة ألفاظِها وبلغةِ إنشائها حتى لا نكادُ نجِدُ فينا من يقرأ الكتبَ المُقدسَّة باللاتينيَّة. وشبابُنا الأذكياءُ جميعاً لا يعرفون غيرَ لُغة العربِ وآدابهم؛ وكلَّما قرؤوا كتُبَها ودَرسوا آدابَها ازدادوا إعجاباً بها. فإذا حَدَّثْتُهم عن كتابٍ من الكُتب اللاتينيَّةِ سَخروا منه، وقالوا إنَّ الفائدةَ منه لا تُساوي التَّعبَ في قِراءته. وهكذا نَسِيَ المسيحيُّون لُغتَهمُ وجهِلوا كتابتَها وبلاغتَها وحذقوا اللسانَ العربيَّ - حتى ليكتبونه نَثْراً ونَظْماً بأُسلوبٍ أنيقٍ يفوقون به العربَ أحياناً».

وفي إشارةٍ إلى هذه الفترة من ازدهار الحضارة العربيَّة واللغةِ العربية، تَقولُ الكاتبةُ زيغْريد هونكه في كتابها «شمسُ العَرب تسطَعُ على الغَرب»:

«لقد أضحت العربيةُ لُغةَ العُلماءِ بل لُغة الشعوب التي دخلَها الإسلامُ، وكانت لُغةَ العلم وَحدَها لا تُنازعُها تلك المكانةَ أيُّ لُغةٍ أُخرى. لقد استطاعت العربيةُ استيعابَ جميع العلومِ التي بلغَتْها الحضاراتُ التي سبَقَتْها -

مُضيفةً إليها عُلوماً جديدةً بمُصطلحاتٍ ومفاهيمَ جديدةٍ. وفيها كانت تؤلَّفُ الكتُبُ، وبِها يتحدثُ العُلماءُ ويُديرون الحِواراتِ في ما بينَهم مهما اختلفتْ أُصولُهم».

فقد كانت العربيةُ آنذاكَ اللغةَ العالميَّةَ ـ لغةَ العلوم والآداب، لُغةَ الطِّب والهندسةِ، لُغة عِلم الفلك والفلسفة واللاهوت.

كانت الجامعاتُ العربيَّةُ آنَذاك جامعاتٍ عالميَّةً ـ بل الجامعاتِ العالمية الوحيدةَ في العالم ومحَطَّ رحالِ كُلِّ عالِمٍ يُفتِّشُ عن ازدياد المَعرفة في حقل اختصاصه.

والأدلةُ على المكانة العلميَّة للُّغةِ العربيَّة حينئذٍ لا تُعْوِزُنا ـ فهناك مئاتُ الألفاظِ في الفلكِ والكيمياء والطِّبِّ والفيزياء والجُغرافية والرِّياضيات التي أخذَتْها اللغاتُ العلميَّةُ الغربيَّة عنها(*)، وكذلك المؤلَّفاتُ العربيةُ المُتْقَنَةُ في الفلك والطِّبِّ والعلوم التي ظلَّتْ تُدرَّسُ في جامعات أوربَّا العريقةِ في مونبِلييه ولُوڤان وتوبنْجن طَوالَ عدّة قرون!

هذه اللغةُ دمسَ عليها في مواطِنها مع أواخر القرن الرابعَ عشَرَ الميلاديِّ عَهدٌ من الظُّلْمةِ والوَهَنِ القوميِّ والاجتماعيِّ والسِّياسيِّ عَطَّلَ قُوى الإبداع والمَسارَ العلميَّ والأنشطةَ الرائعةَ التي كانت العربيةُ أداتَها كُلَّها.

وزادَ الطِّينَ بِلَّةً، مَجيءُ العُثمانيين لِيَبْسُطوا سُلطانَهم وسياساتِهم

(*) المؤرخ العلاّمة فيليب حِتِّي تقَصَّى، بتكليف من مؤسَّسة وبْستَر، خمسةَ آلافِ لفظةٍ في اللغة الإنكليزية من أصلٍ عربي اعتمدتها المؤسسةُ. في حين يُقدِّرُ المستشرقُ الإنكليزي Arthur Jeffry في مقدمته لكتاب The Foreign Vocabulary of the Quran هذه الألفاظ بعشَرة آلاف.

التَّتْريكيةَ والتجهيليَّةَ على الوطنِ العربي ويجعلوا التركيةَ لُغةَ الدواوينِ ودوائرِ الدولة والمدارس - على نُدْرَتِها وأساليبِها في تدريس كُلِّ المواد، حتى مادةِ اللغة العربيّة، بالتركيَّة في كُتبٍ وُضِعَتْ بالتركيّة، وعلى يدِ مُعلِّمينَ أتراكٍ غالباً. ولا تَسَلْ عن مُناخ الجَهْلِ الدامس الذي راحَ يتزايَدُ ويَعُمُّ حتى شمَلَ البلادَ والعِبادَ باستثناء بعض الأديرةِ والجَوامع.

وتُشيرُ إحصاءاتُ اليونِسْكو أنّه بِسَبب هذا الرُّكود - حتى أوائلِ القَرنِ العشرين - لم يدخُلِ اللغةَ العربيةَ سِوى خمسين مُصطلحاً.

العربيّةُ في بِدايات عَصر النهضة الحَديثة:

مع بداياتِ عَصرِ النهضة الحديثة أوائلَ القرن الماضي بخاصةٍ، انطلقتِ العربيَّةُ تأخذُ طريقَها مُجَدَّداً إلى دُنيا العُلوم الحضاريةِ نتيجةً للتحوُّلات السِّياسية والاجتماعية والثقافيَّة والاقتصادية التي أحدَثَتْها الاحتِكاكاتُ بالغَرْب في مختلف المجالات. وقد بدأتْ تباشيرُ هذه النَّهضةِ في مَوقعَين كانا دَوماً أرضاً خِصْبَةً لِلانبعاثِ والتطوُّر - عَنَيْتُ منطقةَ شمالي سورية ولبنان، ومصر، كما في بعض المَغرِب أيضاً(*).

فإثْرَ الحَملةِ النابليونيةِ الفرنسيةِ التي فَتَحت الأعينَ، بخاصةٍ أعينَ الحُكّام، على الحضارةِ الأوروبيّة، وما إنْ تسلَّمَ محمّد علي مقاليدَ السُّلطةِ في مصر، حتى عكَفَ على نَقْل مدنيَّةِ الغَربِ عن طريق البَعَثاتِ والمعاهِد والترجمات. وكان طبيعيّاً أن تتّخِذَ معاهِدُ محمد علي القاهريةُ، منذُ تأسيسها عام ١٨٢٥، في الطبِّ والهندسة والزِّراعة والعسكريّات، اللغةَ

(*) المؤرخون للنهضة العلميَّة الحديثة يذكُرون بالخير جهودَ محمود قابادو والمدرسة الصادقية ومكتبَ العلوم الحربية الذي أسّسه البايُ عامَ ١٨٦١ قبل أن يحتلَّها الفرنسيون عام ١٨٨١؛ ثم جهادَ جامعة الزيتونة في تونس وجهودَ جامعة القَرويين في المغرب.

العربيَّةَ وسيلةً لها في تعليم المناهج على كُلِّ المُستويات.

لقد جعلَ محمد علي الترجمةَ إحدى وسائله العمليةِ لِنَقْلِ عُلومِ الغَرب وحضارته، فأسَّس مدرسةَ الألسُنِ وقلمَ الترجمةِ عامَ ١٨٤١. وكان يَفرِضُ على المدرِّسينَ وتلاميذِ البعثات أن يُترجموا الكتبَ التي تُعَيَّنُ لهُم وأن تكونَ ترجماتُهم مُتْقَنةً وسَليمةً من الخطأ.

ويُعتبرُ الاهتمامُ بالعلوم الطِّبِّيَّةِ أقدمَ جُهدٍ في العالمِ العربي الحديث لِوضْعِ المُصطلحات. وجديرٌ بالذِّكر أن كليةَ الطِّب في «أبو زعبل» ثُمَّ في قَصر العَيْني استمرّتْ تُدَرِّسُ الطِّبَّ أكثر من ستِّين عاماً. وفي رحابها نَشأ أعظمُ أساتذة عُلوم الفيزياء والكيمياء والأحياء وسِواها، وأعظمُ نقَلَتِها. وفي مُختبراتها نَجَحَ الطبيبُ الألمانيّ تيودور بلْهارتز وتلاميذُه في اكتشافِ جُرثومة البلهارسيا عام ١٨٥١.

ومن المَعالِم المُصطلحيَّة المَشهودةِ في هذه الفترة ما تَمَّ بجُهودِ كلية الطِّب في القاهرة التي بدأتْ تدريسَ الطبِّ بالعربية عام ١٨٢٦. فقد شعرَ ناظِرُها الدكتور پيرُون ومُساعِدوه، بمَسيس الحاجة إلى ترجمةِ مُعْجَمٍ شامِلٍ في العلوم الطبِّيَّة - فاستَحضرَ من باريس «قاموسَ القواميس الطِّبيَّة»، لفابْر، في ثمانية مُجلَّدات، تشمَلُ جميعَ الاصطلاحاتِ العلميَّةِ والفنِّيَّةِ في الطِّبِّ والنَّبات والحَيَوانِ والعُلومِ الأُخرى.

وقد تعاونَتْ مدرسَةُ الطِّبِّ بِكُلِّ هَيئاتها على ترجمةِ هذا القاموس إلى العربيَّة، فوزَّعَه الدكتور پيرُون على مَهَرةِ المدرِّسينَ (بإشراف أُستاذِه في العربيَّة محمد عُمر التونسي) لِيُنْجِزَ كُلٌّ منهُم قِسْماً مِنْهُ. ولم يكتَفِ پيرون بذلك، بَلْ أرادَ أن يكونَ القاموسُ الجديدُ جامِعاً أيضاً لِلألفاظ والمُصطلحَات الطِّبية القديمة. فأتى بالقاموس المُحيط للفيروزآبادي، ووزَّعَهُ على أفراد الهَيئة، وأمرَ كُلاً منهم أن يُراجعَ الجُزءَ الذي بِيَدِه، ويَنْتقيَ منه كُلَّ لَفْظٍ دَلَّ

على مَرَضٍ أو عَرَض، وكُلَّ اسمِ نَباتٍ أو مَعدِن أو حيَوان(*).

ولم تكنْ جهودُ الرُّوّادِ في الكلِّية السورية الإنجيلية(الجامعةِ الأميركية في بيروت لاحقاً)، أواسِطَ القرنِ الماضي، أقلَّ شأناً. فقد كانت مؤلَّفاتُ المُستَشْرقين الأمريكان، من أمثال كَرنيليُوس فانْدَيْك ويُوحَنّا وُرتَبات وجورج پوسْت، بمعاوَنةِ أساتذتهم العَربِ من أمثال بُطرس البُستاني واليازجيِّين ناصيف وإبراهيم، ويوسف الأسير وأحمد فارس الشدياق، تُغَطّي بَرامجَ الدِّراسةِ في عُلوم الطِّبِّ والفيزياء (الفلسفة الطبيعيَّة حينئذٍ) والكيمياء والصيدلة والرِّياضيات والفلك وسِواها بلُغةٍ عربيَّةٍ سليمةٍ ومُستوىً علميٍّ راقٍ قُرابةَ رُبع قَرن (من ١٨٦٧ إلى ١٨٩٠). فلم يكُنْ يخطرُ ببالِ رُوّادِ النهضة، عَرباً أو أجانبَ مِن المُخلصين، التدريسُ بغير العربيَّة ـ تطبيقاً لِمَنْطِقٍ عِلميٍّ عَمليٍّ نَفْسانيٍّ تربويٍّ صحيح.

وقد كان يُرجَى لِلّغة العربيَّة في هذا العَهد أن تبلُغَ أعلى درجات الرُّقيِّ لو أُتيحَ لها أن تكونَ، وتَستمِرَّ، لِسانَ حال النَّهضة العلميَّة العَصْريَّة. لكنَّ سياساتِ الغَربِ التي تعرفونها جيداً، حالياً وسالفاً، ما كانت تُخَطِّطُ لِمثل هذا الانتعاش في مَسيرة اللغةِ العربية ـ وقد أخذَتْ تَستوعِبُ أسبابَ الحضارة ومُتطَلَّباتِها العلميةَ بنجاحٍ في القاهرة وبيروت. فما إن ثَبَّتَ الاجتياحُ البريطانيُّ أقدامَهُ في مِصْرَ حتى عرْقَلَ هذه المَسيرةَ ـ أوّلاً بتحويل التدريس في مدرسةِ الطبِّ إلى اللغة الإنكليزية عام ١٨٨٧ (بعدَ قُرابة ثُلُثي قَرنٍ من

(*) حمل هذا القاموس اسم «الشذور الذهبيَّة في الألفاظ الطبيَّة». وقد قام بجمع مادته وتبويبها الشيخ محمد بن عمر التونسي. ولم يُنْشَرْ من القاموس إلاّ جُزءٌ يَسير. وهو حالياً من موجودات المكتبة الأهلية في باريس. وقد أهداها إيّاه كلوت بك خليفةُ الدكتور پيرون في كُلّية الطب ومديرُها لاحِقاً.

الإنجازات). ثُمَّ أكملَ البريطانيونَ إجهاضَ المَسيرةِ تلكَ ثانياً، بقرارٍ عامٍ عامَ ١٨٨٩، بأن تكونَ لُغةُ التعليم في مُختلِف المعاهدِ المصرية اللغةَ الإنكليزية. فأُغلقتْ مدرسةُ الألسُنِ، ونُفِيَ رِفاعة الطهطاوي ومُؤيِّدوه إلى السُّودان، ووُجِّهتِ البعَثاتُ إلى إنكلترا (بَدلَ فرنسا وإيطاليا).

وما هو إلاّ عامٌ أو بِضعةٌ، حتى حذا الأمريكيونَ في الكلية السورية الإنجيلية، ولاحِقاً الفرنسيون في جامعة القديس يوسُف، حَذْوَ البريطانيين، فتَحوَّلَ التدريسُ فيهما، أيضاً، من العربية إلى الإنكليزية والفَرنسيَّة. وهكذا حُرِمَتِ اللغةُ العربيَّةُ من فُرْصَتِها الذهبيةِ، وغُرِسَتْ بذورُ الشَّكِّ والرِّيبةِ في نفُوسِ أبناءِ العربية بِلُغَتِهم - بأهَمِّ مُقوِّماتِ أصالتِهم وحضارتهم.

لكِنَّ جُهدَ المُخلصين لا يَني - فما إن حطَّت الحَربُ العالميةُ الأولى أوزارَها وزالَ نيرُ العُثمانيين، حتى عادتْ حركةُ الاستِعراب تثور في نفوس المُخلصين. فقامَ معهدُ الطبِّ في دِمَشق عام ١٩١٩ على أنقاض كُليةِ الطِّب التركية - وبِقرارٍ شُجاعٍ تمَّ العَزْمُ على جعل العربية لُغةَ التدريس فيه. وراحَ الرُّوّادُ، من أساتذة المعهد من أمثالِ مُرشِد خاطر وحَمدي الخياط وجميل الخاني وصلاح الدين الكواكبي، يُرسِّخون مَعْلماً آخرَ مُصطَلحيّاً في مَسار ابتِعاث العربية العِلمية. فبَرهنوا مُجَدَّداً أنّ العربيّةَ لا تَعْجِزُ عن استيعاب العِلمِ بمُختَلف فُروعه حين تتضافرُ النِّيَّةُ الطَّيِّبةُ مع الجُهْدِ الرَّصين. وعَزّزَ مَسيرتَهم مَجمعُ اللغةِ العربية في دمشق (المجمع العلميّ العربيّ حينئذ) الذي تأسَّس في العام نَفسه وضَمَّ بعضاً من رُوّاد المعهد الطبي آنذاك. وفي يَقين الكثيرين، ويَقيني، أنَّه لو استمَّرتْ جُهُودُ معاهدِ العلوم الطبيَّة والهندسيةِ والزراعيةِ وسواها في القاهرة، لِتتضافر مع جُهود العاملين في الكليةِ السورية الإنجيلية بمُختلِف فُروعها، مُعزَّزَةً بجُهودِ المَيامين من رجال المعهد الطِّبي في دمشق - أقول، لو تَمَّ لِهذه الجُهودِ أن تَتضافرَ، لَكَانَ حالُ العربيةِ اليومَ غَيْرَ ما هو عليه،

ولكانت العربية اليومَ لُغةَ العلم ولُغة تعليم مُختلف العلوم في كُلٍّ المعاهدِ والجامعاتِ كما هي الحال في مُختلِف أقطارِ المَعمورة.

المُصطلَح ونحن:

المُصطلحُ لَفْظٌ، كلمةٌ أو كلِمات، تحملُ مَفهوماً مُعَيَّناً مادِيّاً أو معنوِيّاً غيرَ مَلْموسٍ، أو هوكلمةٌ أو كلماتٌ ذاتُ دَلالةٍ عِلميَّة أو حضاريَّة يَتواضعُ عليها المُشتغلون بتلك العلوم والفنون والمباحث.

ولا تَسْتَغربوا أنّ لفظةَ «مُصطلح» إيّاها هي من جُملة مُصطلحاتنا الحديثة. فاللفظةُ لا ترِدُ في المعاجم العربيَّة القديمةِ والحديثة ـ اللّهُمَّ إلاّ حديثاً جداً في المُعجم «الوجيز» لمجمع اللغة العربية الذي يَتجاوز مُوَسَّعَه «الوسيط» فيُورد اللفظةَ مَشروحة بأنها «اتِّفاقٌ في العلوم والفنون على لفظٍ مُعيَّن لأداءِ مَدلولٍ خاصٍ». وهذا المَفهومُ تُضَمِّنُه المعاجمُ العربيةُ لفظة «اصطلاح (ج. اصطلاحات)».

«المُصطلحاتُ» مَفهومٌ يربطُه البعضُ بالعلوم والعُلماء ونَرْبطُه نحنُ بألفاظِ الحضارةِ. قضيَّتُنا مع المُصطلحات ليستْ مقصورةً على حقولِ التِّقانياتِ في الهندسةِ والطب والصيدلة والفيزياء والجيولوجية والأحياء والفضائيات، بل هي تتجاوزُ ذلكَ إلى مَجالاتِ الاجتماعياتِ والإنسانياتِ والحياةِ العامَّة في المَنْزِل والشارع والحَقْل والهواءِ من حَولنا ـ في مَلْبَسنا ومأكَلنا ومَشْرَبنا وتَسْلِياتنا ـ شِيباً وشُبّاناً. وفي ألعاب أطفالِنا وسائرِ مُحتويات بُيوتنا، كما في مَتاجِرنا ومَصارِفنا ومَدارسنا وشتّى مَناحي حياتنا.

منذُ حوالي قَرنٍ من الزمان شكا إبراهيم اليازجي اللغويُّ الشهير في مَقالٍ له بعُنوان «اللغة والعصر» من أنّ الكاتبَ لو رامَ أنْ يَصِفَ حُجرة مَنامه لم يكَدْ يَجدُ في اللغةِ ما يكفيه لِذلك ـ فَضْلاً عَمّا ثَمَّةَ من آنيةٍ وأثاثٍ ومَلبوسٍ وفِراشٍ، وغيرِ ذلكَ من أصناف الماعونِ وأدواتِ الزِّينة مِمّا لا يجِدُ

لِشيءٍ مِنه اسماً في لُغَتنا.

وكرَّر الشكوى نفْسَها الأديبُ المعروف أحمد حسن الزيّات ـ قال فيها يُخاطب رئيس مجمع اللغة العربية:

«ماذا يا سيِّدي لو حضرَتْ بينَنا سيدةٌ رافِلةٌ بأحدث الأزياء وسُئلتُ أن أُسَمِّيَ ما عليها من لِباس، أو لونزَلْتُ في دارٍ حديثةٍ وطُلِبَ إليَّ أن أصِفَ ما فيها من رياشٍ وأثاث».

ماذا تُراني، يا رئيسَ المجمع، قائلاً ـ وأنا مِمَّن أفنَوا أعمارَهم في تحصيل مادة اللغةِ واكتِساب ملكَةِ الكتابة!

ماذا أُسمِّي هذا المائِلَ على الفود الأيمن، أو هذا المائلَ على الجبين الزاهر؟

وماذا أقولُ في هذا المُزَرَّرِ على الصَّدرِ المُشرِق، وهذا المُدارِ تحت الثّدي الناتىء، وهذا المُرسَلِ على الكَشحِ الهضيم، وهذا المُفصَّلِ على القَدم اللطيفة؟ ـ وأنا لا أعرف من غطاء الرأس إلا القناعَ والخِمار، ولا من كِساءِ الجسم إلا المُلاءَةَ والإزار، ولا من وِقاء الرِّجل إلا النَّعلَ والحِذاء.

فهل تنطَبِقُ هذه الأسماءُ على هذه الأشياء؟

أم هل تكونُ دَلالتُها عليها كَدلالةِ الرِّياش والأثاث على كُلِّ موبيليات البيت، والوردِ والرياحينِ على جميعِ أزهار الحديقة، والجَهلِ والعُجمَةِ على كُلِّ أدوات السيارة؟ لا جَرَمَ أنّي سأعجِزُ على كُلِّ حال ـ ألا إنِّي قد بلَّغت!

إنَّ الغَمْرَ الحضاريَّ الذي اجتاحَ الوطنَ العربي خلال بِضعة العقودِ الماضية، والذي سيكتسحه أكثرَ فأكثرَ في بِضْعةِ عُقود الألفِيّة الثالثة وظاهرةِ العَولمة (ولو سطحيّاً أفقياً للأسف في مُعظمه)، أغرقنا وسيُغْرِقنا في مستورداتِ الحضارة الحديثة ـ حاجيّاتٍ وتِقْنيّاتٍ وأفكاراً ومُخترعاتٍ

وأساليبَ عَيْشٍ في مُختلفِ المَجالات الحياتيَّة والصحيَّة والاجتماعية ـ بحَيْث إنّ بعضَ هذه التِّقانات والمُخترعاتِ تَجدُ لها سُوقاً وانتِشاراً في بعض أوساطِنا وبَعْض أقطارِنا المَليئةِ اقتصادياً، أكثر مما تجِدُ في بلَدِ المَنْشأ.

كُلُّ هذا يعني أن المصطلحَ اليومَ غدا ضرورةً علميةً وضرورةً حَضاريَّة لا يُمكِنُ تَجاهُلُها. ومُواكَبةُ هذا الرَّكبِ الحضاري تَفرضُ أن تنضَمَّ لُغتُنا إلى هذا الرَّكْب وتَنْفَتِحَ عليه بِمُصطلحات تستَوعبُ هذه المُستَجِدّات. المصطلحُ بِحَدٍّ ذاتِه ليس غايةً ـ الغايةُ هي امتلاكُ المعارفِ العِلميّةِ والتِّقانيةِ والحَضارية، والمُعاصَرةُ الفعليةُ اللاسطحيَّةُ للرَّكبِ الحضاريّ المُنطلِق حوالَينا بِزَخْمٍ مُتَزايد ـ والمُصطلحُ هو بعضُ وسائِلنا لامتلاك تلكَ المعارف والتقانات.

هنالك نقصٌ كَمِّيٌّ ونوعيٌّ في الإنتاج العربي من المطبوعات الحضاريَّة التثقيفيَّة. وهذا القصورُ يبدو بِخاصةٍ في المطبوعات المُؤلَّفة أو المُترجمةِ حولَ المَفاهيم الجديدة في العِلْم والتقانيّات(*). فالمُصطلحاتُ لها دور فاعِلٌ في إعداد الكُتب المَعرفيَّة العِلميةِ والثقافيةِ والتِّقانية والمَراجع العامّة؛ ولا يُمكِنُ إحداثُ تَوعيَةٍ حضاريَّةٍ عامَّةٍ حقيقيَّةٍ مع استِمرار القُصور في هذا المَجال.

المُصطلحاتُ اليومَ جزْءٌ مُهمٌّ من اللُّغة ـ أيِّ لُغة ـ باعتِبارها مفاتيحَ للمعرفة الإنسانية في شَتّى فروعها، ووسيلةَ التفاهُم والتواصُل بين الناس في مُختلِف المجالات العلميَّة والعمليّة.

تُقَدِّرُ بعضُ الدِّراسات أن ما يتجاوز ٥٠٪ من مُفردات لُغاتِ البُلدان المُتقدِّمة عِلمياً هو مُصطلحاتٌ علميَّة أو حضاريَّة مُستجِدّة ـ والكثيرُ من هذه

(*) معدَّلُ الإنتاج الفكري العربي من الكتب هو دونَ المستوى الطموح ـ حوالي ١ في المئة من الإنتاج العالمي أي رُبْع مُعدَّل الإنتاج بالنسبة إلى عدد السُّكان العالمي بمُختلف شعوبِه. ومُعظَمُه في نِطاق الكتب المدرسية.

الألفاظ يُستَخْدَمُ على نطاق عالمي. ولا يخفى أن هذه المُستَجِدّات تتحابَكُ اليومَ مع مَشاكلنا الاقتصاديّةِ والسياسيَّةِ والأخلاقيَّةِ واحتياجاتِنا المادية بِشكلٍ لا يُمكنُ فَصْمُه. فلا غرابةَ أن يَنْبري المُترجمون واللُّغويون والأُدباءُ والصحافيون والمعجميون، ثُمّ المجامعُ والمؤسساتُ العِلميَّة والمهنيَّة لوَضع مُقابلاتٍ تُعرفُ بها هذه المُستجِدّاتُ وتُتَداولُ كمُصطلحات.

من المعالِم البارزةِ في مَسار المُصطلح العربي وَعودةِ انبِعاث العربيةِ العِلْميةِ بيانٌ رافقَ إنشاءَ نادي دار العلوم القاهري قبلَ حوالي تِسعين عاماً ألقاه محمد حفني ناصِف؛ وكان مُقدِّمةً لإنشاءِ مجمع اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٣٤. يقول البيان:

إن غرضَ النادي هو البحثُ في اللغة العربيَّة عن أسماءٍ للمُسَمَّياتِ الحديثة بأيٍّ طريقٍ من الطُّرق الجائزةِ لُغَويّاً ـ ترجَمةً (كتناضُح واستِحلاب) أو اشتِقاقاً (كمِحرار ومِكشاف) أو مَجَازاً (كطيَّارة ودَبّابة) أو تَضْميناً (كمئفاق ومِطياف) أو تركيباً (كَبرمائي ولا سلكي). فإذا لم يتيَسَّرْ ذلك بعدَ البَحْث يُستعارُ اللفظُ الأعجميُّ بعد صَقْلِه ووَضْعِه على مَناهج العربيَّة، ويُستعملُ في الفُصْحى بعدَ أن يَعْتَمِدَه المَجْمعُ اللُّغويُّ الذي سيُؤلَّفُ لهذا الغرض(*).

ثم كان المجمع، بَل المجامعُ(**) ، وفي صُلْبِ أهدافها، لا وَضعُ آلافِ المصطلحات التي كانت (وتَظَلُّ) تُلِحُّ إليها الحاجَةُ فقطْ، بلْ لِمَنْهَجةِ وتنظيم وَضع هذه المُصطلحات أيضاً ـ باعتبار أنّ العملَ المُصطلحيَّ لا يُمكِنُ أن

(*) مجلة مجمع اللغة العربية ـ مجمع فؤاد الأول حينئذٍ ـ العدد الأول ، ص ٣٣. وما بين الأقواس من أمثلة هو من إضافتي.

(**) في القاهرة ١٩٣٤، في بغداد ١٩٤٧، في عمّان ١٩٧٦، في تونس ١٩٨٣، في الخرطوم ١٩٩٢، وفي القدس ١٩٩٤.

يَقْتَصِرَ العملُ فيه على المَجامع وَحْدَها، فهو حاجةٌ يوميَّةٌ ضروريَّةٌ لِمُواكبةِ رَكْبِ الحضارةِ وتِقْنيّاتها وإنجازاتها.

وقد تحقَّقتْ هذه المَنْهَجيَّةُ بشكلٍ شِبْهِ مُتكامِلٍ في توالي الرُّبع الأول من هذا القرن، وتوضَّحَتْ معالِمُها في أعمالِ ومَحاضِر مجامع اللغة ـ وبخاصةٍ إنجازاتِ شَيْخِها مجمع اللغة العربية في القاهرة(*)، كما في أعمال أفرادٍ من الروَّاد أذكُرُ منهم: محمد شرَف في «معجم العلوم الطبيعية والطبية» ـ القاهرة ١٩٢٦، وأمين المعلوف في «معجم الحيوان»، القاهرة ١٩٣٠، وأحمد عيسى في «معجم أسماءالنبات» ـ القاهرة ١٩٣٢، والأمير مصطفى الشهابي في «معجم الألفاظ الزراعية» ط١ ـ دمشق ١٩٤٣، وط٢ ـ القاهرة ١٩٥٧، وحسن حسين فهمي في «المرجع في تعريب المصطلحات العلميَّة والفنيَّة والهندسيَّة» القاهرة ١٩٥٨، وغَيْرَهُم من المعجَميِّين المعاصرين.

وكانت هذه المَنهَجيَّةُ موضوعاً شاغلاً عالَجه وتدارسَه العديدُ من المؤتَمراتِ والندوات. أذكرُ منها ما كان لي شرفُ حضوره بدءاً بـ «ندوة توحيد مِنهجيّات وَضع المصطلحات العلميَّة» التي عُقِدت في الرَّباط ١٩٨١(**) ،ثم «نَدوة التعاون العربي في مجال المُصطلحات عِلماً وتطبيقاً» ـ تونس ١٩٨٦، و«ندوة التقييس والتوحيد المُصطلحي في النظرية والتطبيق» ـ تونس ١٩٨٩، و «ندوة تطوير مِنهجيَّة وَضع المُصطلح العربي وبَحثُ سبُلِ نَشر المصطلح المُوحَّد وإشاعَتِه ـ عمّان ١٩٩٣. ثم «نَدوة العربية

(*) انظر الملحق رقم ٢.

(**) تُراجع بُنودُ المِنهجيَّة المُعتمدة في هذه الندوة في الملحق رقم ١.

وتحدِّيات القرن الحادي والعشرين» ـ المنامة، أيلول **١٩٩٥**. ومُؤخَّراً «مؤتمرا التعريب الثامن والتاسع» في مراكش **١٩٩٨**(*)، ومؤتمر التعريب العاشر في القاهرة **١٩٩٩**.

وكان صدرَ عن مُقَرِّري اللجان العِلميَّة بمَجمع اللغة العربية في القاهرة «نشرة التوصيات الخاصة بمنهج وضع المُصطلحات العلمية العربية المُتخصِّصة» ـ وقد أقرَّ المجمعُ ومؤتمره هذه التوصيات في الدورتين الستين **١٩٩٤** والحادية والسِّتين **١٩٩٥**(**)

الواقع أنَّ المبادئَ الأساسيَّة التي أُقِرّت في ندوة الرباط عام ١٩٨١، وتَمثَّل فيها كافةُ مجامع اللغة العربية ومُعظمُ المؤسّسات المُخْتصَّة العاملةُ في حقل المُواصفات والتعريب والتربية في الوطن العربي، ـ تلك المبادئ كانت من الشمول بحيث ظَلَّتْ موضعَ التأييد من كُلِّ النَّدَوات والمؤتمرات اللاحقة ـ وهي مع الملاحظات والتعليقات والأمثِلة التي أُضيفت إليها في تِلكُم الندوات والمُؤتمرات تؤلِّف مَنْهجيَّةً شاملةً لوضع (أو بِناء، حسب قراءة نَدوتنا اليوم) مُختلِف المُصطلحات العلمية. ولعَلَّ من المناسب أن أستعرضَ بشيءٍ من التفصيل بنودَ هذه المَنْهجيَّة مع أحدثِ نُصوصها ـ أبدؤها بالبَنْد الأول في مختلف المنهجيّات والتوصيات ـ أولويَّة التُّراث.

أولويَّةُ التُّراثِ، كوسيلةٍ لتوليد المُصطلحات الجديدة بتَحرِّي لَفْظٍ منه يُؤدِّي مَعنى اللفظ الأجنبِيِّ أو يُقارِبُه، أمرٌ مَنطِقِيٌّ وبَديهيٌّ، بِخاصةٍ في لُغةٍ

(*) أولى التوصيات التي صدرَت عن مؤتمري التعريب الثامن والتاسع ١٩٩٨ تنُصُّ على «الالتزام بالمبادئ الأساسية الصادرة عن ندوة الرباط ١٩٨١ وندوة عمان ١٩٨٣ حول منهجيَّة وضع المصطلحات». وكان هذا الالتزامُ أيضاً من توصيات ندوة عمّان نفسِها.

(**) تراجَع هذه التوصيات في المُلحق رقم ٣.

كالعربيَّةِ غَنيَّةٍ بتُراثِها الفِكريِّ والعِلميّ وتَجاربها الحضاريَّة مِمّا أتاحَ لها تُراثاً وحَصيلةً لُغَويَّةً قَلَّما تأتَّت لِغَيْرِها من اللغات. وبالفِعل، كما أسلَفْنا، ساعدَ هذا التُّراثُ مُنْذُ مَطلَعِ القَرْنِ التاسعَ عشَرَ في إيجادِ وصياغةِ الكثيرِ من المُصطلحات المُقابلةِ لذاك السَّيْلِ العارم من الألفاظ التي جُوبِهْنا وما نَزالُ نُجابَهُ بِها. وهذا وَضعٌ لم يتَسَنَّ للكثير من الناطقين بلُغاتٍ أُخرى.

أذكُر لِلمقارنة تَجْربةَ مُعَلِّمٍ تَنْزانيٍّ مع مُصطلح «الكثافة» في الفيزياء، ترِدُ في كتاب «التربية العلمية والتكنولوجية في التنمية الوطنية»، وكنتُ ترجمتهُ أوائلَ الثمانينيّات للمكتب الإقليمي لِمنظَّمة اليونسكو. يقول الأستاذ: «كان عليّ أنْ أشرحَ مَفْهوم «الكثافة density»، وليسَ في لُغتنا السَّواحِليَّة لَفظٌ لِهذا المفهوم. فطلَبْتُ مِن التلاميذ إحضارَ قِطَعٍ مُتَساويةِ الحَجْم من الخشَب والطِّينِ والفِلِّين والحديد، توَضَّحَ بالميزانِ أنَّ ثِقْلَها مُختلِفٌ. فقرَّرنا، الطلابُ وأنا، أنَّ: الثِّقْلَ «أُوزيتو ـ بالسَّواحلية» مُختلِف. وفي مُعالَجتِنا سبَبَ هذا الاختلاف، علَّلهُ الطُّلابُ بأن «الثِّقْلَ» في الحديد «مَرْصوص»، وهذا الثِّقْلُ ليسَ عارِضاً ولا مُضافاً ولا طارئاً، بَلْ أصيلٌ في المادة. فخَرَجْنا بِمُصطَلح «أُوزيتو واصيلي» ـ بالعربية «الثِّقْلُ الأصيل». وهكذا أدخَلْنا إلى اللُّغةِ السَّواحلية مُصطلحاً جديداً».

الحمدُ لله أنّا لم نُجابِهْ سَيْلَ المُصطلحات المُتَدفِّقَ في ظُروفِ وواقعِ المُعلِّمِ السَّواحلي. لكنَّ الإفادةَ المُصطلحيَّةَ من التُّراث ظلَّتْ مَحدودةً. فلم يُفِدْ منها عمَلياًّ إلاّ قلَّةٌ من الروّاد الذين تسنَّى لهُم، إضافةً إلى سَعَة الاطِّلاع اللُّغويّ، سَعةُ اطِّلاع في مادة التراث التي لها تعَلُّقٌ باختِصاصاتهم ـ لأن سَعَةَ الاطِّلاع اللغوي في أقصاها لا تتَجاوزُ عادةً مادَّةَ المُعجَم العربي؛ والمعاجِمُ العربيةُ، للأسف، لَمْ تُعِرْ هذه الناحيةَ الاهتمامَ الذي نرى نحنُ اليومَ أنَّها تستَحِقُّه. فالمُعجميُّون العربُ في مُحاولاتهم جَمْعَ اللغةِ، حتّى في أوسَعِها،

أهمَلوا جُلَّ ما اعتَبروه مُنافِياً لِمَفْهومِ الفَصاحة الذي انْطَلقوا منه. فهُمْ حصَروا الفُصْحَى زماناً بعُصورٍ مُعَيَّنةٍ (ليس منها عُصورُ الازدهار العِلميّ العربي)، ومكاناً بجَماعاتٍ مُعَيَّنة (ليسَ منها جماعاتُ العِلم)، فحَرموا اللغةَ من الكثيرِ الكثيرِ من المُصطلحات التي ازدَهرتْ بِها عُلومُ العربيَّةِ - بِحُجَّةِ أنَّها مُوَلَّدةٌ أو أعجميَّةٌ أو دَخيلةٌ أو مُعَرَّبة.

ألا يُفاجئُكُم مثَلاً أن لَفظة «الجَبْر» بمعناها الرِّياضيّ، والتي أخذ الغربُ اسمَ ذلك العِلم منها، غيرُ واردةٍ بهذا المعنى - لا في «لِسان العرب» ولا في «القاموس» ولا حتّى في «تاج العروس» - مع أن كتابَ «الجبر والمُقابلة» لِمُحَمَّد بن موسى الخوارِزمي (المُتوفّى عام ٨٤٩م) كان معروفاً ومُنْتَشراً أواسِطَ القَرْنِ التاسعِ الميلادي؟

وهكذا، كان على القائمين بتحرّي المصطلحات التراثيَّة في مجالات اختصاصاتهم الغَوصُ في كُتب التعريفات وفِقْهِ اللغة العلمية، من مثل:

١ - رسالة في حدود الأشياء - للكندي.

٢ - إحصاء العلوم - للفارابي.

٣ - مفاتيح العلوم - للخوارزمي.

٤ - المُخصَّص - لابن سِيده.

٥ - كشاف اصطلاحات الفنون - للتهانوي.

٦ نهاية الأرب في فنون الأدب - للنويري.

٧ - كتاب التعريفات - للجرجاني.

٨ - السلوك لمعرفة دول الملوك - للمقريزي.

٩ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار - للجَبَرْتي.

١٠ - أبجَد العلوم - لِصدِّيق حسن خان.

١١ ـ مُفيد العلوم ـ للخَشاء (ويُنسب لأبي بكر الخوارزمي).

١٢ ـ مقاليد العلوم ـ للمَنَاوي.

١٣ ـ بحر الجواهر ـ للطيِّب الهروي، وغيرها.

وليس من السهل على الكثرة الكاثرة من هؤلاء، لأسباب متعدِّدة، الوصولُ إلى مُبتغاهم في هذه المراجع. أنا مثلاً لستُ من مُسْتَقري التراث ـ إلاّ في حدود حاجاتي المعجميَّة غالباً. وأذكر أني أقع أحياناً على ألفاظٍ لمفاهيمَ أستَغْرِب كيف أن عُلماءَنا تجاهلوها أو رفضوها.

ـ مثلاً يرفضون «صَمَدَ» بمعنى الجَلَد وقوةِ الاحتمال ـ وهي فعلاً لا تُفَسَّر في المعاجم التراثية، كفعلٍ، بهذا المعنى. لكنْ عندما تَقرأ «ناقة مِصماد» تكتشف أن معنى «الصمود» ليس غريباً عن اللفظة.

كذلك أذكر وقوعي على كلماتٍ يُمكن أن تؤدِّي مَعانيَ ومَفاهيمَ لم يُتَّفَق عليها بَعدُ، مثل:

إثار مقابل brassiere. الإثار: شبهُ كيسٍ يُشَدَّ على الثدي حتّى لا يتدلَّى. (الوسيط)

وتذريب مقابل toilet training (apprentissage de la proprete´) ذرّب ـ ذرَّبت المرأةُ طِفْلها: حملته (على رجليها الممدودتين) حتى يقضي حاجته. (محيط المحيط)

ما من شَكٍّ أنَّ إمكاناتِ التُّراث تظَلُّ مَحدودةً على سَعَتِها وأهَميتها، لأسبابٍ منها أيضاً أنّ عُلومَ العَصْرِ التي تُجابِهُنا بالآلاف المُؤلَّفة، بل بالملايينِ من المَفاهيم والمُصطلحاتِ اللازْمةِ لها، هي مَفاهيمُ عِلميَّةٌ جديدةٌ يكادُ عُمْرُ مُعظمِها لا يعودُ لأكثرَ من مِئةِ عام. كما إنّ الكثيرَ من المُصطلحاتِ التي يَعْمُرُ بها التُّراثُ، في العلوم التقليدية، بِخاصةٍ، قد وُضِعَ لها اصطلاحاتٌ

ترسَّخَتْ على مَدى عِدَّةِ أجيالٍ من الاستعمال، وقد لا يكونُ من السَّهْلِ استيعابُها لتُنافسَ المُصطلحاتِ التي استَقرَّت. لكنْ نقولُ إن مُصطلحاتِ هذا التُّراث يجبُ أن ترى النُّور؛ وسيكونُ فيها حَتْماً الكثيرُ مِمّا يُمكنُ الإفادةُ منه قياساً أو مَجازاً أو استعارةً أو تحويرَ مَعنىً - وكُلُّها من وَسائلِ توليد المُصطلح المُتعارَفة. كما إن المُصطلحَ المُتميِّزَ لن يَعجزَ عن مُنافسةِ المُصطلح الأسبَقِ إن توافَرتْ فيه خصائصُ الدلالة والدِّقة والرِّقَّةِ والعَيُوشيَّة. مثلاً، مُتَرْجمو كَلُوتْ بك والدكتور پيرون عربوا peritoneum (peritoine) «بَريطون»، ثم جاء المُنَقِّبون في التُّراث بمُصطلح صِفاق Siphac وهو لفظ لا تيني عربي الأصل ظلَّ يُطلَق على البريتونيوم في ٢٥ طبعةً من معجم دورلند الطبي الشهير.

كذلك عرَّب المُترجمون لَفْظَ «الأُورطي» aorta (aorte)، وهو من المُعَرَّبات القديمة. ثمّ جاءَ المُنَقّبون بِعِدّةِ ألفاظ منها «الوَتين» و «الأَبْهَر»؛ فشاعَ مُصطلحا الوَتين والأبهر، وانتقى المُعجمُ الطبيُّ الموَحَّد مُصطلحَ «الأبهَر» كمُصطلح توحيد.

ولا أريد تجاوزَ مَرجعيَّةِ التُّراث كمَصدرٍ مُصطلحي دون أن أُشيرَ إلى ضَرورة ترقيَةِ الألفاظ العاميَّة، المُعبِّرة السَّليمةِ سَليقةً وذوقاً، واعتبارِها قِسماً مُهِمّاً من التُّراثِ اللُّغوي في هذا المَجال. فهي بالفعل كان لها دَورٌ في سَدِّ كثيرٍ من الثَّغَرات في مُجابَهةِ الفَيْض المُصطلحيِّ في هذا المجال - في مثل: بائكة وبَريمة وجُملون وحَوْش وخَابور ودَبْش ورَصيد وزرَديَّة وسُنْبُك وسَوّاق وشَتْلة وصاج وصُوبة وعَوّامة وكَسْم ومَحْصَلَة ومَكُّوك ورَشْة - من الأسماء؛

ومن الأفعال: خوَّش، ودَلَف، وقَرِفَ، وحَوّش، وملَخَ، وسيب وشَوَّر، وغيرها كثير. وما أحْرانا، بكلمات الأُستاذ مَحمود تيمور «أن نَعرِفَ

لهـذه الألفاظ حقَّـها في الـعربيَّـةِ تُثْري الفُـصْحَى وتكسِبُهـا مَزيداً من الـدِّقَّةِ والتَّعبير»(*) .

٢ً: من الوسائل التي مارسها العربُ في توليد ألفاظٍ تستجيبُ لمتطلَّبات الحياة المتجدِّدة «المَجاز».

العربُ عَرَّفوا المجازَ بأنه ما تجاوزَ مَعنـاهُ الأصليَّ إلى غَيره بِقَرينةٍ مُباشِرةٍ أو غيرِ مُبـاشِرةٍ تدُلُّ على ذلك. والواقعُ أنَّ العربَ أبدعـوا في هذا المَجال منذُ بداوَتهم الجاهلية ـ فـهُم مثلاً: نقلوا مَفهومَ الفَصاحـة كَميزةٍ لِلَّبن، الذي أُزيلَ رَغْوُهُ وبَقِيَ خالصُه، إلى مَفهوم حُسْنِ الكلام وجُودَتِه؛ ونَقلوا مَفهومَ الشكِّ من االوَخْـزِ بشيءٍ دقيـقٍ كالشوكـة يُؤلمُ الجِسْـمَ إلى مَفهـومِ التردُّدِ والحَـيْرةِ وعَـدمِ اليقـين ممّـا يؤلِـمُ النفْسَ والـعقْلَ؛ ونَقلوا مَـفـهومَ الإبـهام من الـظلام الكثيف، لا يُـمكن فيه تَمييـزُ الأشياءِ، إلى مَفهـومِ الغموضِ واشتِبـاه المقصود وعَدَم المـفهومـيَّة؛ ونَـقلوا مَفـهوم البَلاغة من بُلوغ غايةِ المَسيـر إلى مَفـهومِ الإيجاز المُـعجزِ الرَّصين والمَنطقِ الجيِّد؛ ونقـلوا مَفهـومَ المَجْدِ من امتِـلاءِ بَطْنِ الدابَّة بـالعَلَف إلـى معنى امتِلاءِ حياة الشـخص أو الجـماعـةِ بالمعانـي النَّبيلة والفِعل المكرُميّ.

وليسَ أبلـغَ من أثَر القرآن الكـريم على العربيـة في هذا المجال، كـما في سِواه. فألـفاظٌ مِثل: الإسلام، والـقرآن، والإيمان، والجهاد، والحـقّ، والباطل، والصَّـوم، والرُّكـوع، والصِّـراط، والطـهارة، والـقُنوت، والـعَرْش، وغـيـرُها كثير، كـانت مَعروفةً قبلَ الإسلام بمـعناها اللُّغَويّ فقط قبلَ أنْ يـتوسَّع القُرآنُ في دَلالاتها على مَعانيها الأُخرى.

(*) « العامية الفُصْحى » ـ محمود تيمور ـ مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة العدد ١٣.

ولم يَقِفِ المجازُ كعاملٍ في هذا السبيل طَوالَ تاريخ العربية، بل واكبَها باستمرارٍ حتى إنَّ بعضَ المَجازات ـ الشرعيّةِ والحضاريةِ والعلمية ـ غدا حقائقَ لا يَرجعُ الذِّهنُ إلى أصلِها إلاّ بعدَ البَحث والتأثيل. فنحنُ اليومَ لا نفهمُ البريد post (La poste) مسافة بينَ مَنزِلَين من منازِل الطريق، ولا الهاتفَ telephone صوتاً يُسمَع دونَ أن يُرى صاحبُه، ولا العدسةَ lens (lentille) حبَّة عدسٍ. فالذِّهنُ يحمِلُها اليومَ على المعنى الجديد الذي اكتسبته ولا زمَتْه ومِثلُها طيفٌ spectrum (spectre) ، وذرَّة atom (atome)، وعُنصر element (élément) ودرَّاجة bi-cycle (bicyclette)، ومَصْنَع factory (usine ou fabrique)، وسيَّارة car (voiture)، وطيَّارة airplane (aeroplane) ، وبُندقيَّة rifle (fusil)، ومَصْرِف bank(banque)، ودبَّابة tank(char de combat ou tank)، وجريدة newspaper (journal)، ومَجلَّة magazine (revue ou magazine) ، وانتِفاضة (intifada)؛ أو كَبَرْق (telegraph) (للتلغراف)، ومُرسِل ومُستقبِل transmitter & receiver (lé metteur et récepteur) (في اللاسلكي)، وخَطّ line (line) (في مجالاتٍ مُتعدِّدة)، وسِنّ cog or thread (dent) (في التُّرس المُسَنَّن)، ومُكَثِّف condenser (condensateur) (في الحرارة والكهرباء)، وتَشْخيص diagnosis (diagnostic) (في الطِّب والفَنّ)، وسَلْبيَّة negative (négatif) (في التصوير والجَبْر والسِّياسة)، ولِسان tongue (languette) (في النِّجارة والجُغرافية)، وتصميم design (في الهندسة)، ومئاتٍ غيرِها ـ نُوَلِّدُها بترجمة المَفهوم بلَفظةٍ ننقلُها من معنىً قديمٍ إلى معنىً جديد، أو

نَصوغُها في إحدى الصِّيَغ المُتعدِّدة التي تُناسِبُ المَقامَ مَجازاً أو تشبيهاً أو استِعارةً.

والمَجازُ، رُغمَ كونه مَرغوباً فيه أحياناً، فهو في مَجال التوليد المُصطلحيّ مَحدودٌ من حيث إمكانيةُ التوسُّعِ في استِخدامه، ومِن حيثُ إمكانيةُ توافُق أذواقِ المُصطَلِحين في ارتجاله من تُراثٍ غنيٍّ بالمُترادِفات أو شبهِ المترادفات - ولَعلَّ بعضَنا لا يزالُ يذكرُ المِسَرَّة والإرزيز والسَّفير والنَّدي ثم الهاتف، للتلفون - ومن حيث طولُ فترة عمليةِ الغربلة والاستِقرار على واحدٍ من هذه المجازات، إذ استغرقَ الاستقرارُ على لَفظة «هاتِف» لِتنافِسَ، لا لتطمِسَ، لفظةَ «تلفون» مثلاً قُرابةَ نِصفِ قَرْن! - بل إن المُعرَّبةَ ما فَتئت تأخذ مَوقعاً لها على ألسِنَتِنا. فلا أذكرُ مثلاً أني سمعتُ أحداً يقول: «ذاهبٌ إلى مركز (أو دائرة) التلفون لأهتِف»، بل الكُلُّ يقولون «ذاهبٌ إلى مركز الهاتف لأُتَلْفِن»!

٣: التوليد بالاشتقاق - اللغةُ العربية متَميِّزةٌ في عَراقَتِها وقُدُراتِها الفريدةِ كلُغة اشتِقاقيّةٍ من الطراز الأول، ففيها من وسائل الاشتِقاق، والقياس مُرونةٌ ومُطاوعةٌ وسيطرةٌ على المعاني ما يجعلُها من أدَقِّ اللُّغاتِ وأصلَحِها للتعابير والمَفاهيمِ المُختلِفة.

في دراسةٍ حولَ إمكاناتِ الاشتِقاق في اللُّغةِ العربيَّة، يَذكُر الأُستاذ حَسن حسين فهمي(*)، خمسَةَ عشر صيغةً لِلفعل - نَعْرِف منها فعَل وأفعَل **وفَعّل وفاعَل واستَفْعل وافْعَلّ وافْعالّ وافعَوْعَل وافعَوّلَ وانْفعل وافتَعل وتفعَّل وتفاعَل وفَعْلَل وتفَعْلَل** - وكُلٌّ منها له معنىً مُختلفٌ. فَمِن «كَتَب أو حَضَر» -

(*) المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية - حسن حسين فهمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨.

لفِعْلٍ حَدَثَ، نَقُول: أَكْتَبَ وكَتَّبَ، أو أحضَر وحَضَّر للتعدية، وكاتَب وتكاتَبَ لِلمُشاركة، وحاضَر وتَحَضَّر فيما يتعلَّقُ بالمُحاضرة والحَضارة، واستكْتَب واستَحْضَر للطَّلَب، وأحياناً للصيرورة كما في استَحْجَر، واكْتَتَبَ لِلمُساهمة وانكتَب للمُطاوعة وتكَتَّب للمُبالغة؛ هذا عدا عن صيَغِها لِلْمجهول، مِثل كُتِبَ وأُحضِر واكْتُتِبَ واحتُضِر.. إلخ، مِمّا لو أرَدْتَ ترجَمتَه إلى لُغَةٍ أجنبيَّةٍ لا قتضَى أداؤه جُملةً كاملةً في عِدَّةِ كلمات.

ومن كُلِّ صيغَةٍ من صيغ الفِعل هذه يُمكن اشتقَاقُ مصادرَ بأوزانٍ مُتعدِّدةٍ ـ **فَعْل ومَفْعَل وفَعوليَّة ومَفعوليَّة ومِفعالية ومِفْعليَّة**؛ وصفاتٍ بأشكال مُتعدِّدةٍ ـ **فَعيل وفَعول وفَعِل**؛ واسمِ آلةٍ بأوزان مُتعدِّدة ـ **مِفْعَل، وَمِفْعَلة، ومِفْعال، وفاعول، وفَعّالة وفاعولة.**

بالإضافة إلى اسمِ **الفاعل** واسمِ **المَفعول** واسم **المَرَّة** واسم **الهيئة** واسم **الزمان** واسم **المكان** واسم **التفضيل** واسم **المِهنَة**(*)، عدا عَشَرات الأوزان اللامُصنَّفة في اللُّغة مثل سِجِلّ: **فعِلّ**، وتمثال: **تِفعال**، ومِعْوَل: **فِعْوَل**، وعُشْر: **فُعْل**، ورَفُّول: **فَعُّول**، وجَيْشان: **فَعْلان**، ونُتْفَة: **فُعْلَة**، ومَزلقان: **مَفْعلان**، وصُداع: **فُعال**، ورَمَد: **فَعَل**، وحُثالة: **فُعالة**، ومُصَيْطِبة: **مُفَيْعِلة**، ومُغَيْزِل: **مُفَيْعِل** ... وغيرها، بحيث لنْ يَقِلَّ عددُ الألفاظ التي يُمكن اشتِقاقُها من كُلِّ فِعلٍ عن مئتَيْن، وقد يَزيدُ على الثَلاثِ مائة ـ لا نستخْدِمُ منها بشكْلٍ فاعِلٍ أكثَرَ من ثلاثين. ويبقى المجالُ مُتاحاً للإفادة من المزيد من

(*) يقترح بعضهم صيغة فِعالة لاسم بعض العلوم الحديثة مثل:

كِهافة: علم الكهوف	speleology	ثِداوة: علم الأثداء	mastology		
نِسابة: علم الإنسان	genealogy	شِياخة: علم الشيخوخة	gerontology		
ضِراسة: علم الأضراس	odontology	وطِبابة لما له علاقةٌ بالطِّبّ عوناً أو صيدلة	paramedics		

هذه الصِّيغ المُختلفة لأداءِ معانٍ مُختلفةٍ. قديماً قِيل: **زيادةُ المعاني في زيادة المَباني**، وبالمَنْطِق ذاتِه يُقال: **واختِلافُ المعاني في اختِلافِ المَباني.**

اللُّغة العربيَّةُ لُغةٌ اشتِقاقيةٌ من الدَّرجة الأُولى - وهي إلى حَدٍّ إلصاقيةٌ أيضاً، فالزيادات بالهَمْز أو التضعيف أو ألِف المُشاركة أو ياءِ النِّسْبَة هي في الواقع اشتِقاقاتٌ إلصاقيَّةٌ بَدْئية أو وسَطِيَّة أو إلحاقيَّة؛ كما إنّا نَلْحظُ تَقَبُّلاً مُتَزايداً لإلحاقاتٍ مُنْفَصِلةٍ معقولةٍ من نوع التركيب، مثل: فَوق بنَفْسجي أو فَوق سَمْعي وتحت تُربي ولا سِلكي وعَبْر فَضائي وما وَرائي ... إلخ.

وللدلالة على مدى فاعِليَّة الاشتقاق في توليد المُصطلحات أُشيرُ إلى دِراسةٍ إحصائيَّة للدكتور وَجيه عبد الرحمن على ٣٠ ألفَ مُصطلحٍ في معاجم الطبِّ والتشريح لاحظَ فيها حضرَتُه أنَّ توليدَ هذه المُصطلحاتِ كُلِّها تَمَّ بالاشتِقاق من ١٥٠ جَذراً فقطْ إضافةً إلى أعضاءِ الجِسْم.

فاللُّغةُ العَربيَّةُ بِجذُورها التي تُقارِبُ السِتَّةَ آلاف(*)، لَن تَعْدَمَ مُطْلَقاً فَيْضاً من الألفاظِ لِتَغْطية مُختلِف المُصطلحات. أضفْ إلى ذلك أنّ إمكانيةَ الاشتِقاق تقعُ أيضاً على غيرِ الجُذور العربيَّة؛ فقديماً قالوا: زوَّق بالزاووق (الزئبق)، وتزَنْدَق من الزَّندقة؛ فقُلنا نحن قياساً أكْسَج وهَدْرَج وكَبْرتَ وغَلْفَن وكَهْرَبَ، وغيرُها كثير.

• قديماً وحديثاً، اختلفَ النَّحْويون حولَ قِياسيَّة القِياس، فارتأى فريقٌ منْهُم التوسُّعَ فيه لِمَنْح اللُّغةِ قُوّةً وقُدرةً على مُجاراة المُستَحْدَثات العلميَّة والحضارةِ المُتَسارِعة، بينما ربطَهُ فريقٌ آخَرُ بالسَّماع. ونحنُ نَميلُ إلى الأخذ بالرأي الأوَّل - رأيِ المَدْرسَة الكوفِيَّة.

(*) في الإحصاء الذي أجريناه في دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، على مَوادِّ «محيط المحيط» لبُطرس البستاني بلغَ عددُ هذه الجذور ٧٣٦٠ فِعلاً، منها ٥٧٠٣ أفعالٌ ثلاثية، وبعض الدراسات الحاسوبية تُقدِّرُها بأكثر.

فكما قال العرب في المُشتَرِكَة في الجِنْس: مُتَجانِسَة، والمُشتَرِكة في الشكل: مُتَشاكِلة، والمُشتَرِكة في السَّمت: مُتَسامتة، والمشتركة في الشَّبَه: مُتشابِهة.

نَقُول نحن قياساً ـ المُشتَرِكة في الكُتلة: مُتكاتِلة، والمُشتَرِكة في المكان: مُتماكِنة، والمُشتَرِكة في الجهد: مُتَجاهدة، والمُشتَرِكة في الطاقة: مُتَطاوِقة.

* صيغة « **مستَفْعَل**» استخدمَها العربُ بمَعنى الناتج من فِعْلٍ أو عَنْه ـ فنقُول في مُنْتَجٍ كيماويّ أو طِبِّيّ product(produit) **مُستَحْضَر**، ونَقُول في ناتج مُستَدَرّ من اللَّبنِ emulsion **مُستَحْلَب**. لكنّك إن قُلتَ في ناتج خَلْطِ ذَرورِ مادةٍ لا تذوبُ في الماء « **مُستَعلَق**» مقابل suspension يستَهجنونها. وهذا ما أخذه أحدُهم عليّ فعلاً وهو يُناقِشُني في صلاحيَّة هذا المُصطلح، حتى إنه استخدمَ التعبيرَ الإنكليزي obscene أي مُنافٍ للحشمة في وَصفِه، مما جعلني أتردّدُ باديءَ ذي بَدْء، في استخدام هذا المُصطلح، لكنّ كوفيّتي في القياس سوَّغَتْه. ومعَ الزّمن والتكرارِ صِرْتُ أستَسيغُه، وكذلك استساغَهُ كثيرون واستخدموه في هذا السِّياق.

* الصِّفَةُ المُشبَّهة «فَعُول» لم يتَّفِقْ جَمْهَرةُ النُّحاةِ على قياسيَّتها بمعنى «صالِحٌ لِـ» أو «قابِل لِـ» أو «من طبْعِه أن» أو «في وُسْعِهِ أن» (فيما يُقابِلُ الكاسِعةَ able ـ أو أحدَ شكلَيْها الآخرَيْن ible - ble-). وكان مجمعُ اللغة العربية اتخذ قراراً بترجمة هذه الكلمات بالفعلِ المُضارع المَبْني للمَجهول(*) ـ فيُقال:

يُذاب مُقابلَ soluble، ويُطْرَق مُقابل malleable، ويُغْسَل مقابل

(*) ص ٧٥ ـ «مجموعة القرارات العلميَّة في ثلاثين عاماً». مجمع اللغة العربيَّة، القاهرة ١٩٦٣.

washable (lavable)، ويُباع مقابل(marketable (vendable، ويُصْهَرمقابل fusible، ويُخَثَّرمقابل coagulable، ويُنقَل مقابل transmissible أو (movable (mobile... إلخ.

والمعجمُ العربيُّ مُقِلٌّ في هذه الصيغة بهذا المعنى فعلاً ـ لكنْ هنالك أمثلةٌ كافِيَة، نَذكُر مِنها: بيُوض، جَزوع، حَنون، خَضوع، ذَلول، رَقُوء، سكُوت، فخور، عَبوس، غيُور، قَنوع، كفَور، لَجُوج، نزوع، نَصُوح، نفُور، هَتون، هَلُوع، ولُود، يَؤوس(*) ـ مِمّا يُمكِنُ اعتِبارُه مُبَرِّراً لِقياسِيَّة هذه الصِّيغة ـ فنقول:

في soluble ذَؤوب، وفي malleable طَروق، وفي washable غَسول، وفي marketable بيُوع، وفي fusible صَهور، وفي coagulable خثُور، وفي transmissible أوmovable نَقُول.

كما نقول: خَلُوط ومَزوج في miscible، وصَبُون في saponifiable، ورَسوب في precipitable، وعَجون في kneadable، وسَحون في pulverizable، وقَسوم في divisible، وسَدود في impermeable، ولَهوب في flammable، وصَبُوغ في stainaible، ومَرون في flexible، وغيرها كثير.

(*) الأستاذ محمَّد شوقي أمين أوردَ ما يزيدُ على المئة مِنها مَصوغةً على وَزْن فَعُول ـ أوردْتُ هنا الشائعَ منها.
يُراجَع «كتاب في أُصول اللغة» جـ ١ مجمع اللغة العربيَّة ١٩٧٥، القاهرة.

ولعلَّ قياسيَّةَ «فَعول» في عَشَرات الألفاظ التي تتقبَّل هذه الصيغة(*) تُفيدُنا في اشتِقاقاتٍ أُخرى تَتْبعُ هذه الصِّفة كما في صِياغة المَصْدَر الصِّناعي. فقد كان من قَرارات مجمع اللغة العربيَة، المُلْحَقةِ بقَرار ترجمة الكلماتِ المُنْتَهية بـ able بالفعل المضارع المَبْني لِلمَجهول، أن يُتَرْجَمَ المصدرُ الصِّناعي مِنها بصيغة «مَفعوليَّة» فيُقال:

في solubility مَذوبيَّة، وفي movability مَنْقوليَّة، وفي fusibility مَصهوريَّة، وفي malleability مَطروقيَّة - رُغْمَ التناقُضِ الظاهر في أن يكُون الاسمُ:

من يُذابَ soluble مَذوبيَّة solubility، ومن يُنقَلmovable، مَنقوليَّة movability ومن يُطْرَقmalleable مَطروقيٌّ malleability.

مما دعا بعضَهم إلى مَنْطِقَةِ القَرارِ الأوّل بصِياغة هذه المصادر على وِزان «يُفْعَلِيَّة» - يعني أن يقال:

يُذابيَّة حيث قُلْنا ذَؤوبيَّة من ذؤوب، ويُصْهَريَّة حيث قُلْنا صَهُوريَّة من صَهور، ويُطْرَقيّة حيث قُلْنا طَروقيَّة من طَروق، ويُنْقَليّة حيث قُلْنا نَقُوليَّة من نَقول.

٤ً: ومن وسائل توليد المصطلحات أيضاً، وهو نادر، **النَّحت:**

والنَّحتُ في اصطلاح الصَّرفيين هو أن يُختَصَرَ من كَلِمتَين فأكثر كلمةٌ واحدة؛ ولا يُشترَطُ فيه حِفظُ الكلمةِ الأُولى بتمامها بالاستِقراء، ولا الأخذُ من كُلِّ الكلمات، ولا مُوافقةُ الحركاتِ والسَّكَنات.

(*) لقد أحصَيْتُ مِنها ما يُقارِبُ المئتين قدَّمتُ في مُذكَّرة إلى مجمع اللغة العربية في مؤتمره الثامن والخمسين بعنوان «حول صياغة فَعول من الفِعل «نَقَلَ» صِفةً لما يُمكن نقلُه أو انتقاله».

وبعضُهم يَرتئي أنّ لِلّنحتِ جُذوراً بعيدةً في تاريخ تطَوُّر اللغة، فَيُعيدون «صَلْدَم»، وهي في اللغة، «الصُّلب المتين والشديدُ الحافِزُ من الدواب»، إلى صَلْد وصَدْم، و «قَصْلَبَ» إلى قويَ وصَلُبَ، و «هَرْوَلَ» إلى هَربَ وولَّى، و «بَعْثَر» إلى بعَثَ وثار، و «دَحْرَج» إلى دحرَ فَجرَى - وإنْ كُنّا نعْتَبِرُ اليومَ أن هذه ألفاظٌ مُعجَمِيَّةٌ سليمةٌ لا مَنحوتات.

نحن ألِفْنا النَّحْتَ، بالتعريف المذكور أعلاه، في تعابيرَ وِزانَ «فَعْلَل» شاعَتْ كثيراً أو قليلاً مثل: بَسْمَلَ في قال: بسم الله الرحمن الرحيم، وحَيْعل في قال: حَيَّ علي الصلاة، وحَمْدَل في قال: الحمد لله، وصَلْعم في قال: صلى الله عليه وسلَّم، وحَوقَل في قال: لا حولَ ولا قُوّة إلا بالله، وفَذْلَك في قال: فذلك هو كذا.

وفي تعابيرَ من الوَزْن نفسِه لم تَشِعْ، مثل: مَشْكَن في قال: ماشاء الله كان، ودَمعَز في قال: أدام الله عزَّك، وطَلْبَق في قال: أطال الله بقاءَك، وكبْتَع فيقال: كَبت الله عدوَّك.

وخلالَ القَرْن الحاليّ دخلَ اللغةَ، العلْميَّة بخاصة، عشراتٌ من هذه المنحوتات، بشكل تركيب مزجي، لاقى بعضُها رواجاً ومقبوليَّة، مثلُ الصفات:

بَرمائي في amphibian وشِبْغَروي في colloid، وكَهْرمِغْنيطي في electromagnet، وكهرضوئي في photoelectric، وبِتروكيماوي في petrochemical، وجيوفيزيائي في geophysical، أو كالأفعال والأسماء المَصوغة منها مِثل:

تَشَاكَبَ وتشاكُب في تشابُه التركيب، أو تماكبَ وتماكُب في تماثُل التركيب، وتشاكَل وتشاكُل في تشابه الشكل، وحَلْمأ وحَلْمأة في التَّحلُّلِ بالماء.

وهي قليلةٌ لا يَخْفَى مَعناها وتركيبُها على القارئ، بخاصةٍ في السياق المُناسِب.

وكان من الطبيعيٌ أنّ الكثيرَ من المَنحوتات الغريبة المُبهَمة لم يَلْقَ

رواجاً، فماتَ في مَهده، مثلُ الأفعال: حَرْصَم في حرَّر من الصمغ، وصَلْكَل في استأصَل الكُلوة، ونَزْوَر في نزَع الورق، وحَلْكَل في حلَّل بالكُحول، وزَهْرَج في أزال الهِدْروجين؛ ومصادِرها مثلُ: حَرْصَمة ونَزْورة وزَهْرَجة وصَلْكَلة وحَلْكَلة. ومثلُها شِبْلَري وشِبْلَريات من شِبْه بِلّوري، وشارسيَّة في شارِدَة سلبيَّة، وغشجنِيَّات في غشائيات الأجنِحة Hymenoptera، وشَمْبَصي في سمعي بَصري audiovisual، ومافوسَجية في مافوق البنفسَجيَّة، وغرائب أخرى مثلُ «قصْبَر سَغْقَدمي» في «قصبي رسغي قدمي». وكُلُّها مِمّا يستَغْلِقُ فيه المَعْنى ويَمُجُّه الذَّوق.

فالعربُ المَشهورون بفَصاحتهم وسلامَة سَليقتِهم لم يَسْتسيغوا مثلَ هذه التراكيب. وهذا يُفَسِّرُ نُدْرةَ استِخدام النحتِ قديماً وحديثاً في صياغة المُصطلحات، حتى إنّ بعضَهم يقَدِّرُ أن المَنحوتاتِ الشائعةَ الناجحةَ في العربيَّة لا تتجاوزُ المِئة عَدّاً (حوالي ٠.٠٥٪).

منذُ حوالي رُبْع قَرن كان الدكتور محمد حسين كامل، من كبار المجمعيِّين في مصر، مُتضايقاً من بَرمائيّات، وفَضَّل عليها استِعمال المُعَرّبة «أمفيبيا»؛ ولا أعتقد أن الكثيرين منا الآن يتَّخذون هذا المَوقف.

على كُلٍّ، النحتُ بهذه الوسيلة كانَ وسيَظلُّ في تَقديرنا نادرَ الاستِخدام في صياغة المُصطلحات. ففي إحصاءٍ أجراه الدكتورُ وجيه عبد الرحمن شَمل ثلاثةَ معاجمَ صَدرتْ عن مكتبِ تنسيق التعريب ـ أولُها في الفيزياء (تعدادُ ألفاظه ٥١٢٦)، وثانيها في النِّفط (تعدادُ ألفاظه ٣٨٠٢)، وثالِثُها في الطِّبّ (تَعدادُ ألفاظه ٢٣٠٥) ـ لم يجدْ سوى ثلاثَةَ عشَرَ مُصطلحاً صِيْغَت بالنّحْت(*).

(*) مجلة اللسان العربي، العدد ١٩.

ولعلَّنا نَزيدُ هذا العددَ كثيراً إذا اعتبرنا التركيبَ المَزْجيَّ بالإلصاقات المُنفصِلة ضَرْباً من النَّحت في مِثل **لاسلكي ولا أخلاقي ولا شعوري ولا أدْرِيّة ولا ساميَّة وأمثالِها. أو مثل فوق سَمعي وفوق بنفسَجي وفوق صوتي وفوق إشباعي وفوق مِجْهَري وتحْت تُربي** وما ورائي وأمثالِها.

وقبل أن أتْرُك سَبيلَ النَّحتِ بشكْلَيه الاختصاري والمَزْجي، أُشيرُ إلى ضَربٍ جديدٍ من النحتِ الذي يَمْزُج ألفاظاً أعجميَّةً أو مُعَرَّبةً - مثل بارامِغْنطيسي ودايامِغنطيسي ومِتافيزيقي؛ وقد نجِدُ لها مُبَرِّراً؛ أو يَمْزُج ألفاظاً أعجميَّةً مع أخرى عربيَّة مثل: جمالوجيا في esthetics وفِكرولوجيا في ideology. ونَتْرُكُ الحكْمَ على مِثْل هذه المَنْحوتات الجريئة للزَّمَن؛ فالزمنُ والاستِعمالُ كثيراً ما يَصقُلانِ ما لا يألَفُهُ الذَّوقُ آنِيّاً - فيُصبحَ مُستَساغاً مَقبولاً تالياً.

نحنُ اليومَ نستَثْقِل مَثلاً أن نَنْحتَ من «حراري نووي» مُقابل thermonuclear مصطلح «حَرْنوي» - مِثلما نقول «كهرضوئي» و«كهرمائي» و «بتروكيماوي». ولعلَّ الوَضْعَ يتغَيَّرُ مُستَقْبلاً حين تشيعُ محطاتُ الطاقة العاملة بالحرارةِ النووية فيروجُ مُصطلح «الحَرْنَويّة».

٥: أما إذا تعذَّر وضعُ لَفظ عربيٍّ سَليمٍ مُناسبٍ يؤدّي مَفهومَ المصطلح الأجنبي بأيٍّ من الوسائل السابقة - لا تقصِّياً من التُّراث ولا مَجازاً أو اشتِقاقاً - وهو واقعٌ لا يستطيعُ العارفُ بآفاقِ العِلْم والتِّقانات إنكارَه، فيُصارُ فيه إلى التعريب.

والتعريبُ الذي أقصِده ليس «التعريبَ» الذي هو مَطْلَبُنا إثر استبدالِ لُغاتٍ أجنبِيَّة باللغة العربيَّة في تَدْريس الطِّبّ والهندسة وموادٍّ

العلوم الأخرى في معظم أرجاء الوطن العربي ـ بل ما أعنيه هنا هو التعريبُ بِمَفهومَي التَّرجمةِ **والاقتِراض** خاصةً.

في الواقع، التعريبُ بِمفهومَي التَّرجمة والاقتِراض، يُلَخِّصُ قضيَّتنا مع المَعارفِ الحضاريةِ المُتَجَدِّدةِ ومُصطلحاتها، اليومَ كما عَبْرَ تاريخ العربيَّةِ الطويل ـ هكذا كان على مدَى تاريخِ الُّلغات في صِراعها مع الحضارات، وهكذا هو اليوم. والعربيَّةُ ما شذَّت يوماً عن هذا رُغْمَ ما يُبديه بعضهم من التخوُّفِ على جَوهَرِ العربيةِ وجَلالِها من تَعريب الاقتِراض. طبْعاً العربُ، قَبْلَ الإسلام وبعدَه، عَبْرَ احتِكاكهم بالحضارات المُختلفة، اكتَسبوا من الحضاراتِ الأخرى وأكسَبوها مَعارفَ وأفكاراً في مختلِف مَناحي الحياة بِحَصيلتِهم الُّلغويةِ الذاتيّة؛ ولكنَّهم أيضاً اكتَسبوا من الحضاراتِ الأخرى معارِفَ وأفكاراً في مُختلِف مَناحي الحياة مع مُقترضاتٍ لُغَويةٍ زادَتْ من ثَراءِ لُغَتِهم ومن قُوَّتها التعبيريَّة في مَجال المَعارف المكتَسبة وغيرِه من المجالات. وهكذا اكتسبَتِ اللغةُ العربيَّةُ مئاتِ الألفاظ الدَّخيلةِ التي هضَمَتْها في كُتُبها وآدابها حتى لَيَبْدو الكثيرُ منها مِثل **أُستاذ وبَخور ودَواة وقلَم وسَيف وصِراط وقِنديل وكوفيَّة ومِسْك ويَمّ، وغيرها**، عرَبيَّ النَّجارِ أكثرَ من كثيرٍ من الألفاظ العربيَّة العريقة الحَسب والنسب.

هذا التعريبُ، أو ما وَصَفْنَاهُ سالِفاً بالتعريب الاقتِراضي، لم يُرهِب العُلَماءَ العربَ الذين كانوا يُريدون العربيةَ لُغةً لأهلِ العِلم كما هي لُغةٌ للعموم. فالذي يُراجِعُ كُتُبَ المُفردات، يَجِدُ ـ كما يُخبِرُنا الدكتور إبراهيم بن مُراد رئيسُ جمعية المُعجمية العربيَّة بتونس حالياً، أنَّ نِسْبَةَ الألفاظ المُعَرَّبة في كتاب «الجامع لابن البيطار» تؤلِّف ٤٦٪ من مُفرداته، وفي «كتاب الأدوية المُفردة لأبي جعفر الغافقي» حوالي ٦٥٪. أولئك

العُلَماءُ لم يَخْلِطوا بين ما هو من صُلْب اللغة، أو ما يتوقَّعون صَيرورتَه من صُلْبِ اللغة - كَونَ أهلِ اللُّغة كُلِّهم يَشتركون فيه، وبين ما هو لُغةٌ لأهل العِلم خاصَّةً -. فعرَّبوا بِبالغ الحِرْصِ والانتقائيةِ في الأوّل، حتّى لَتكادُ تَغْفُلُ عن كَونِه مُعَرَّباً، في حين عَرَّبوا بلا تحفظ في الآخرة، من مثل:

أنولُوطيقا وغُنطازْيا وإسطَقس وأرِثْماطيقا وجيُومَطرى وكتيغُورياس (في الفلسفة والرياضيات)،

وبوريطُس ومَرْقَشيتا وبَطْراليون وخَلْقيدون (في الكيمياء)،

وبَريطون وقُولون وبَنْقراس ومَساريقى (في الطب)،

وإطريفِل وقَنْطَريون وطَرَخْشَقون وفَرْبيون وبوغَلْصن (في النبات)،

وبَطْلينوس وقَبْيون وطَرَسْتوج (في الحيوان)، وغيرها كثير.

وقد نَسَجَ رُوَّادُ النهضة الحديثة في غالبيَّتهم على مِنوال القُدَماءِ في تَوليد المُصطلحات.

فعَرَّبوا، ترجمةً، المُصطلحاتِ التي يحتاجُ فَهمُها وفَهْمُ مَدْلولِها العِلميِّ إلى فَهم أصلِها ومَعناها اللغويِّ - بخاصّةٍ تلكَ المُصطلحاتِ التي تفرِضُ نفسَها على التداوُلِ الشعبيِّ، لا في مَجالات العِلم فقط، بل في مختلفِ مَجالات الحياة - مِن قبيل:

ذَرَّة مُقابِل atom، **وطاقَة** مُقابِل energy، **وجُزَيء** مقابل molecule، **ومَناعة** مقابل immunity، **وقُدرة** مقابل power(puissance)... إلخ.

وعَرَّبوا اقتراضياً، في جوٍّ من الاعتراضات يَخْفُتُ حيناً ويَشتدُّ حيناً، في ما سِوى ذلك من أسماءِ كيماوياتٍ جديدةٍ وأسماءِ أجناسٍ وأنواعٍ ومُصطلحاتٍ عاليةِ التخصُّص في الهندسة والكهرباء والإلكترونيّات. وكُلُّ فئةٍ من هذه، كما لا تجهلون، تُعَدُّ بالملايين.

والجديرُ بالذِّكر أنَّ هذه الملايينَ من الألفاظ لا يدخُلُ منها عادةً إلى صُلبِ أيِّ لُغةٍ إلاّ القليلُ القليلُ ممّا يَشيعُ استخدامُه في الحياة اليوميَّة. والشاهِدُ على ذلك أنَّ مُعجَم وِبْستَر الدولي الثالث الذي يَستغرقُ اللغةَ الإنكليزية في قُرابة نِصْفِ مليون مَدخَلٍ لا يُورِدُ من مَلايين هذه المُصطلحاتِ المُتخَصِّصة سِوى بِضعَةِ آلاف.

نحنُ مثلاً لا نَستوعِبُ معنى immunity إلا بمُصطَلح «مَناعة» ـ المُقابِلِ العربيِّ الذي نَفهمُ مَدلولَهُ من مَعناه، كما لا نفهمُ impedance دونَ المُقابل العربيِّ «مُعاوَقة»، ولا نَستوعبُ أسرارَ الـ gravity دونَ المقابلِ العربيِّ «جاذِبيَّة».

لكنّا لا نَحتاجُ إلى مُصطلحٍ عَربي **كالمُصدِئ**، لِمَعرفة الأكسجين، أو **الطاسِل** لمعرفة الإيثان، أو **الشذّام**، لِمَعرفة الصوديوم، أو **المُقرِم**،لمعرفة اليُود، أو **الخَطوط** لمعرفة الغرافيت، أو **الضوّاء**، لمعرفة المغنسيوم، أو **الجائل** لمعرفة البيُوتان، أو المُميه لِمَعرفة الهدروجين؛ ولا حتى المُحَوِّز لِمَعرفة الترانزِستور، أو **عِلم الهَلَك** لمعرفة الجيولوجية، أو **المِشواف والرائي** لمعرفة التلفزيون ـ وهي مُصطلحاتٌ خَلَّقها الصَّفاوِيّون المُتحمِّسون عاطِفيّاً لِجَلالِ اللُّغة المَوهوم في مُحاوَلاتٍ لِتحميل التعريبِ، ترجَمةً، ما يتجاوَزُ إمكانيّاته. فلم يأتوا بأكثَرمِن ألفاظٍ ساذَجةٍ ضَبابية ـ ربَّما عربيَّةُ الجَرْس، لكنَّها خاويةُ المَعنى؛ وغالباً ما تكونُ مُضَلِّلةً بعيدةً عن الدِّقةِ العِلمية. المُهِمُّ ليسَ عربيةَ الكلمة أو أعجميتَها ـ المُهِمُّ هو لِياقتُها ومَقبوليتها، ودِقّتها.

أحدُ المُصطلحيِّين عَبَّر عن هذا الموقف بقوله: «إذا حُرِمتُ الولَد، وكان عليّ أن أتبنَّى، فإني أُفَضِّل الطّفلَ الأجنبيَّ السَّليم على العربي الأكْتَع».

والذين يَطلُبونَ التعريبَ الشامِلَ ترجمةً، ويُعارضونه اقتراضياً، إنما يطلبون ما هو غيرُ عمليّ وغير مُستطاع ـ لا في اللغة العربية ولا في سِواها. وهم، مِن حيثُ لا يدرون، يُسهِمون في عَرقلةِ مَسيرة الفِكر العَربيّ والعِلْمِ العَربيّ والإبداع العربي؛ ويُعطونَ أعداءَ العربيَّةِ حُجَّةً مُستمِرَّةَ التجدُّدِ لإعاقةِ تعريبِ التعليم بانتِظارِأن تتوافرَ له المُصطلحاتُ وتتكامَل.

وليسَ بالضرورة في التعريب الاقتِراضيِّ هذا إلزامُ المُصطَلَح المُعَرَّبِ بالأوزان العربيةِ وقَصْرُه على الحُروفِ المَوجودَةِ في العربية. فتَغييرُ الكلمةِ الأجنبيةِ قد يُفسِدُ نِظامَها ويُخِلُّ بمعناها ومَدلولِها، فتغدو غَريبةً ـ لا فَصيحةً تُرَدُّ إلى أصلٍ عَربي، ولا أجنبيَّةً يتجَلَّى لها وَجهٌ في لُغتِها الأصلية ـ فيَضيعُ الغَرضُ الذي لأجلِه عُرِّبَت. ولا أستغرِبُ أن اتَّفَقَ عُلماءُ العَربِ القُدامى والمُحدَثون على ذلك ـ مِن سيبويه وابن بَرّي وأبي حَيَّان وعبد القادر البَغدادي إلى إبراهيم مَدكور وعبّاس حسن وصُبحي الصالح.

فمَثلاً، كثرةٌ من المُسمَّياتِ المُعَرَّبة تَبدأ بالسَّاكِن، مثل غْرافيت وتْرايود وپْروتون وكْلور وسْبكْتروسكوب، أو من أسماءِ الأشخاص، سْميث وجْيوڤاني وبْراون وفْلِمنغ . .

إنَّ إضافةَ الأَلِفِ التي يَزيدُها بَعضُهم، أو تحريكَ الحرفِ نَفْسِه هما تَحريفٌ لا مُسَوِّغَ له يُبعدُ مَنطوقَ اللفظِ عن مُسَمّاه. فـ Brown مثلاً هو بْراون ـ لا إبراون ولا بُراون ولا بِراون أو بَراون.

كذلك لا نُلْزِمُ المُسَمَّى المُعرَّبَ بقاعدةِ عَدم التقاءِ الساكِنَيْن ـ سَواءٌ اقتَصَرَ الأمرُ على ساكِنَينِ اثنين أو عِدَّةِ سَواكِن ـ فَنقول رِنْتْجِن وپاونْد وبُويْلْ وشارلْ وكِنْغْستون.

والذين يُعرِّبون قَصْراً على الحروف العربيةِ، كثيراً ما يُخِلُّونَ بمعنى

المُصطَلَح المُعَرَّب ومَدلولِه. وهذا يَطالُ غـالِباً الأحرُف پ (p) - فيُستبدَل به ب، وڤ (v) فيُستبدَل به حرف ف وَ (g) فيُستبدَل به جـ أو غ، وهذا يتنافَى أحياناً مع الدِّقة العلميَّة - وإلا كيفَ يُميِّزُ عُلَماؤنا في الطِّب والفيزياء والكيمياء مثلاً بين بيتا (Peta) الإغريقية مُقابل ألفا وغاما وبين پيتا (peta) التي تعني ١٠ ^١٥ ومُشتَقّاتِها المُتعَدِّدة؟ أو بينَ barotitis **التهاب الأُذنُ الضغطي** وبَين parotitis **التِهاب النكَفية**، أو بين بُورون (التي هكذا عَرَّبها المعجمُ الطبي المُوحَّد مُقابل Purone أحد مُشتَقّات حامض اليُوريك، وبين العُنصر المعروف البورون boron، أو بين كريْبس krebs عالم الكيمياء الحيوية وكريْپس cripps السياسي والقائد الاجتماعي وكلاهما بريطاني ويحمل لقب سِير، أو بينَ ڤانيلا Vanilla وفانيلا Fannel.. أو بينَ ستيفِنسون مُخترِع القاطِرة وستيڤنسون المُرتبِط اسمُه بآلات الرصْد الجَوِيّ... إلخ. ومِثلُها ڤيتامين وأمپير وڤازلين وچول وقلط (والواقِعُ أنَّ رَجُلَ الشارع يلفِظُها هكذا). وتصَوّروا ما يَجرُّه ذلك من مُفارَقاتٍ في أحدِ معاجِمنا العربية حيث يُفسِّرُ اللفظُ غرام بما يلي: الغَرام: الوَلوع والحُبّ المُعذِّب والهلاك، ووَحدةُ الوزن في طريقة القياس المِتري.

وألفِتُ كذلك إلى ضرورة إيجاد وسيلةٍ خَطيَّةٍ لِرَقْنِ حَرفَي الواو والياء كَي يُلْفظا بالشكلِ الصحيح في المُسَمَّياتِ المُعرَّبة - فنُميِّزُ بذلك بين لفظِ الواو رقيقةً في مثل جُول Joule **وبُول** Boole **وكُوري** curie، وبين لَفظِها مُفخمةً في **تُور** Torr **وهُول**Hall **وبُور**Bohr **وپُول**Paul. كما نُميِّزُ بين لفظ الياء نَحيلةً في بيرد Beard وجين gene **وويڤر**Weaver ولَفظِها **مُضخَّمةً مُمَالةً في بِيرد** Bird **وجِين**Jane **وويڤر**Waver(*).

(*) كأن يُضاعف سِنّ الياء وعُروة الواو مثلاً.

ولا أنسى قائمةَ المُركَّباتِ العُضويةِ الطويلة جداً التي اضطُررنا إلى لَفظِها بالألف، فَرنسيّاً، في **ميثان** methane **وإيثان** ethane **و بروپان** propane **وبيوتان وپنْتان** ... إلخ، لِكَي نميِّزَها عن إخوتِها اللامُشبَعة في **ميثين** methene **وإيثين** ethene **وپروپين وبيوتين**... إلخ.

بهذه المُعطَيات في المَجالات العلميةِ تُصبحُ أبجَديّتنا، وبالتالي لُغَتُنا، قادرةً على استيعابِ المُسَمَّياتِ العِلميةِ على اختلافِها بصورةٍ مُؤدِّيةٍ ـ لعَلَّها تَفوقُ قُدرةَ الكثيرِ من اللغاتِ العالميةِ في هذا السياق.

* والمواصفاتُ المُصطلحيَّة السليمة تقتضي تفضيلَ اللفظة على العبارة. فمثلاً لا نَعتبرُ عِبارة «**عدّاد أو جهاز قياس عمق ماء الآبار**» مقبولةً مقابل bathometer، والمُصطلحُ المُفَضَّل هو **مِعماق**؛ كما لا يَصحُّ مصطلح **فُتحة بُركانية تخرجُ منها الغازاتُ الحارّةُ والبُخار** مقابل fumarole، وإن صحَّ هذا أن يكون شرحاً لِمُصطلحٍ أفضَل، مثل نافِثة. كذلك لا يُقبل أن يقال مقابل sublimation **تحوُّلٌ من صُلْب إلى بُخار مباشرةً بدل التصعيد أو التسامي**، ولا مُقابل interface «**السطح الفاصل بين سطحَين غير قابلين للامتزاج» بدل «السطح البيني»**. ولا «عاملِ فِقدان الرطوبة وتسبُّب الهشاشة في النبات» مقابل wilting coefficient أو wilting point بدل مُعامل الذُّبول.

وتقتضي المُواصفاتُ المُصطلحيَّة السليمة أيضاً تفضيل الكلمة التي تَسمحُ بالاشتِقاق على الكلمة التي لا تسمَحُ به ـ مما يُسَهِّل النِّسبةَ والإضافة والتّثنية والجَمع، مثلاً:

قابِليَّة المَطْل صَحيحةٌ مُقابل **مَطُوليَّة** ductility؛ ولكن **مَطُوليَّة** أفضل لصَلاحيتها للاشتِقاق: مَطلَ، يَمطلُ، مَطول، لا مَطول، إلخ. تابع صُنْعيٌّ أو

قَمر صناعيّ صحيحةٌ مُقابل satellite، لكنْ **ساتِل** تَفْضُلهما مِن حيث قابلِيتُّها للاشتِقاق، وهكذا.

* ومهما تَكُن وسيلَتُنا إلى المُصطلح ـ عَوداً إلى التراث، أو الارتجالَ مَجازاً، أو الاشتقاقَ قياساً أو النحتَ تركيباً، فالمواصفاتُ المصطلحيَّةُ السليمةُ تقتضي الدقَّةَ الفائقةَ في أن يحملَ المُصطلحُ مَفهومَ مَدلوله، ويُوافقَه مَعنىً وبِنْيةً؛ وهذا يتطلَّبُ باديءَ ذي بدء، أن يستوعبَ المُصطلِحُ أو المُصطلِحون مَفهومَ المُصطلَحِ لُغَوِيّاً وموضوعيّاً قبل أن ينقلُوهُ لنا من لُغتِه الأصليةِ إلى العربية. فلا يعطونا الاسمِ صفةً مثل

مالح جدّاً مُقابل brine بدل «**ماءٌ ملح**»، أو ثنائي الأعراس (الأمشاج) مقابل dichogamy بدل ثُنائيّتها، ولا الصفة اسماً مثل **هواء جاف** مُقابل air-dry بدل **هوائي التجفيف**؛

أو مادة منقولة مُقابلallochthonous بدل «**دخيل (أو جليب) النشأة**»،

أو **رسوبات توضُعيَّة متبقِّية** مُقابل autochthonous **بدل «مكانيّ النشأة»**؛

ولا يخلطون لنا الصفة بالموصوف كقولهم: **وسائد اللافا** مُقابل pil-low lava بدل لافا **وساديّة. أو كتل اللافا** مُقابل block lava بدل لابا كُتليَّة؛ ولا يترجمون لنا مُصطلحات مثل codan بـ مِكواد ظَنّاً أنه اشتقاقٌ من code ـ واللفظة في الواقع تركيبٌ من أوائليات الكلمات car-rier-Operated Device Anti Nnti-Noise : مضائلةُ تشويش تُشَغِّلها الموجة الحاملة، وتعريبُها كودان أفضل.

ولا يترجمون لنا المُصطلحَ في غير سِياقه، فيَضيعُ المَفهوم كقولهم

غسّالة مُقابل washer في سياق **فَلكة «روندیلة» جِلدية أو معدنيّة؛ أو استثمار** مُقابل investment **في سياق الصّب الكُسوي أو الإحداقي** في (“invetment casting(cire perdue“casting أو شُروط مُقابل ظُروف في geological conditions ـ هذا إذا لم يَتعدوا بالمُصطلح عن مَفهومه أوحتى يَعكسوا فَحواه كأن يُقال:

تحكُّم بالطحالب Algae control لِمَفهوم **مكافحة الطحالب**، أو **قابل للتأكُّل** مُقابل corrosive **بدل أكّال**، أو **نواتج النُفايات** waste products بدل **نواتج أو منتوجات فَضَلاتيّة** أو **مرفأ طين الحفر** mud port بدل **فتحة طين الحفر**،

أو لَوي أو تحريف الأنبوب مُقابل pipe wrench بدل مفتاح (ربط) الأنابيب! فحَدِّث ولا حَرج.

* يا سادتي، حتى الدقةُ اللُّغويةُ وحدَها لا تكفي في مجال وضع المصطلحات.

صحيحٌ إنَّ بعض المُصطلحات يوضَعُ أحياناً لِمجرَّد وُجود مُناسبة أو مشاركة أو مُشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومَدلولِه الاِصطلاحي، وأنه لا يُشتَرطُ في المُصطلَحِ أن يَستوعِبَ كُلَّ معناهُ العلمي ـ كأن نقول: طَيف مُقابل spectrum، وعدَسة مُقابل lens، وهاتِف مُقابل telephone

ودرَّاجة مُقابل bicycle، ودبّابة مُقابلtank،

وتُرْس مُقابلgear، وجامِعة مُقابلuniversity... إلخ.

ولكنَّ ذلك غيرُ صحيح دائماً. فالدِّقَّة العِلميَّة، أو دِقَّةُ المَعنى الفنِّي بِخاصةٍ، قد لا تكتفي بمُجَرَّدِ المُناسبة أو المُشابَهة أو المُشاركة،

فلا يصحُّ مثلاً أن نضَعَ «صُلْب» مُقابل (solid (solide حيثُ

الدقّة العلميَّة تَقْتَضي جامد، باعتبار أنّ الريشَ أو الحريرَ أو القُطن جَوامِدُ وليستْ صُلْبَةً hard (dur)،

ولا أن نقُول **قُوَّة** مُقابل power (puissance) حيثُ الدقّة العلمية تقتضي **قُدرة**، ولا أن نَضَعَ «**رَدّ فِعْل**» مُقابِل reaction في سياقٍ كيماويّ، حيث المُقابل الصحيحُ هو **تَفاعُل**،

ولا أن نقولَ **انصِهار** مُقابل fusion في سياقٍ فيزيائيّ نَووي حيثُ الصوابُ اندماج،

ولا قَساوةَ الماء مُقابل hardness of water بدلاً من **عُسْر الماء**،

ولا **قُوَّة القَصّ** مُقابِل shear strength بدلاً من **مُقاومة القصْ**.

وأجزِمُ لكُم إنَّ هذه الأمثلة وسابقاتِها كُلَّها مُستَقاةٌ من أعمالٍ، أو من مشاريع أعمالٍ، معجَميّة أو مُصطلحية صادرةٍ عن مؤسَّسات نُجِلُّها، أو عن مَرجعيَّاتٍ نَحترِمُها، أو عن هيئاتٍ رسميةٍ عِلميَّةٍ مَرموقة في الوطن العربي.

* والدِّقَّةُ المُصطلحيَّةُ تَفترِضُ أن يكونَ لِكُلِّ مَدلولٍ دالٌّ خاصّ، فلا يُعبَّر عن المعنى الواحدِ بمُصطَلحَين - كُلُّ مُصطلحٍ منهما ذو دَلالةٍ مُختلفةٍ في القُطْرِ نَفْسِه أو في أقطارٍ مُختلفة. إنَّ بعضَ العُلَماء والطّلاب العرب، مثلاً، ما زالوا يستَخدمون المُصطلح مَعدن مُقابَل metal التي يقولُ فيها آخرون فِلِزّ، ويَصطلحونَ على مَعدن لِمُصطلح mineral. والذين يُمَعدِنون metal يَصطلحونَ على فلِزّ، مُقابل ore. وقِسمٌ كبيرٌ من أبنائنا الطّلَبة في سورية لا يزال يَفْهَمُ لَفظة molecule **بمَعنى ذَرَّة**(*)، **وليسَ فيهم مَن لم يَسمعْ بالقُنْبُلة**

(*) مُنذ زمنٍ بعيد وقعَ في يدي كتابٌ صادرٌ أواخر الثمانينيات لطلاب السنة الخامسة في كلية الطبّ يتحدَّث عن ذَرَّة الهيموسيِدْرين (وهو بروتين غنيٌّ بالحديد يحوي جُزَيئه آلافَ الذرّات).

الذَّرِّيـة. وهو فـي مادة النَّبـات يَقـرأُ الأُشـنـاتِ مُقـابِل Algae - في حين أنَّ الطالبَ في مِصر ومُعـظَمِ البلاد العربية الأُخرى يَقرأ مُقابِلَـها الطَّحالِب. ومِثلُ ذلك المُصـطلحُ Lichens يُقـابله الحَزاز في الشام، والأُشـنـاتُ في القـاهرة، والمُصطلح Mosses الذي يُقـابلُ الطَّحالب فـي الشام والحَزاز في الـقاهرة. هذا التخالُفُ مَرفوضٌ عِلمياً ولا نَتساهَلُ فيه مُطلَقاً.

قد نَتساهَلُ، مع أفـضلِيَّة التوحيد، في ما يَجرُّ إلـيه غِنى التُّراث في ذلك المجال من مثل:

بَرْي وسَحْج مُقـابل abrasion، أو في **لاصِبـغيّ ولا لَونيّ** مُقـابل ach-romatic،

أو **تجلُّد وتثلُّج** مُقابل glaciation، أو في **رَصّ ودَكّ** مُقابل compac-tion،

أو **غِلاف صـخريّ، وغِـلاف حجـري** مُقـابل lithosphere، **أو تجفـيف ونَزْع الماء في** dehydration،

أو **نَجْد وهَضْبة** مُقابل plateau، أو **حَلَزوني ولَولبي في** spiral،

أو سُبـات شتَـوي وبَيـات شتَـوي في hibernation، أو خَطأ فَـرْز وخطأ تصنيف مُقابل mis-sort ،

أو **تعليق وحاشية** مُقابل annotation، أو **غَيمة، وسَحابة**، مُقابل cloud (nuée)،

أو **تحسُّـس واستِشـعار** مُقـابل sensing، **أو تعـجيل وتَسـريع** مُقـابل ac-celeration.

- إذ المُصطـلحُ العربـيُّ لا يَحْملُ مَـفهـوماً مُخـالِفاً. بَلْ قـد نَتَسـاهَلُ، مع قَـبولِ

الترادُف، كضَرورةِ واقعِ حالٍ طبِّيٍّ، في مثل:

نِقْي ونُخاع مُقابل marrow (moelle)، **وبُرَداء وأجميَّة والمُعرَّب ملاريا** مُقابل malaria، **ونُكاف وأبو كعيب** مُقابل mumps (oreillons)، **ومِرَّة وصَفراء** مُقابل gall (bile)، **وقَيح ومِدَّة وصَديد** مُقابل pus، وأمعاء ومَصارين مُقابل intestines، وخُراج ودُمَّل مُقابل abscess (abcès) - باعتبار أنَّ الطبيبَ سيتعاملُ حَتْماً بهذه الألفاظ مع زبائِنه وبيئتِه - ولا يُفتَرضُ فيه أن يتعَلَّمها منهُم إنْ لم يكُنْ قد سبقَ له مَعرِفتُها.

ونحن لا نَتَساهَلُ أيضاً في أن يكون للمُصطلحِ الأجنبي مُرادفاتٌ تَصلُح في الواقعِ مُرادفاتٍ لِمُصطَلحاتٍ أُخرَ ذاتِ مَفهومٍ مُختلفٍ عِلْمياً.

فلا يصح أن يُقال بروز مُقابل الأجنبيات projection, protrusion, eminence, prominence, protuberance.

أو استِبدال مُقابل replacement,substitution.commutation

أووسيط مُقابل parameter, median,mean,intermediary,

أو تناظُر مُقابل correspondence, symmetry, analogy, homology, parallelism.

ولا تماثُل مُقابل symmetry, similarity, similitude, resemblance, homology, likeness, sameness, etc.

والعكسُ أيضاً صَحيح؛ فلا يجوزُ أن يوجد في أدبِنا العلميِّ البيولوجيِّ مثلاً بِضْعَةَ عَشَرَ مُرادِفاً مُقابل degeneration(*) ؛ ولا في أدبنا التِّقْنيِّ أحدَ

(*) أحصى منها الدكتور صادق الهلالي سبْعَةَ عشرَ أذكرُ منها: استِحالة واضمحلال وانحلال وتحلُّل وانفِساد وفَساد وضُمور وتدَنٍّ وتَدَهْوُر وتفَسُّخ وحَرَض وتَلف.

عَشَر مُرادفاً مُقابِلَtechnique(*).

الدقّةُ المُصطلحيَّة تقضي أن يُحَدَّدَ أو يُصاغَ مُصطلحٌ عربيٌّ مُميَّزٌ خاصٌّ لكُلِّ مُصطلحٍ أجنبيٍّ بعدَ تَحرِّي الدلالةِ العِلميّةِ الدقيقةِ لِكُلٍّ واحدٍ منها، وانتِقاءِ اللفظ العرَبيِّ العلمي الذي يُقابِلها. ويَحسُنُ عِند انتقاءِ مُصطلحاتٍ من هذا القَبيل أن تُجْمَعَ كلُّ الألفاظِ ذاتِ المعاني القريبةِ أو المُتشابهةِ الدّلالةِ وتُعالَجَ كمجموعةٍ واحدة.

فمِنَ الفيزياء تُمحَّصُ مُصطلحات مثل:- oscillation, vibration,vacillation, swinging, wobbling, swaying, rocking, etc.

مع مُقابلاتها العربيّات: ذَبْذبة وتذبذُب واهتزاز وتَرجُّح (أو ارتِجاح) وتراوُح، وخَطَران ونَوَسان وسِواها،

أو المُصطلحات:

impedance, inertance, reluctance, resistance

مع المُرادفات العربية: مُعاوقة، مُقاصرة، مُمانعة، مُقاوَمة؛

أو المُصطلحات؛ hard, solid, brittle, dry, stiff, rigid مع المُرادفات: صَلْد، صُلْب، جامِد، قَصِف، يابِس، قاسٍ، جاسئ؛

أو المُصطلحات:

flexibility, plasticity, elasticity , pliancy, pliability, etc.

مع المرادفات:

(*) هي: تقنيات، والتقنية الفنيَّة، والأُسلوب الفني في التنفيذ، وفنية التطبيق، والمعالجة الفنية، والتقنية التكنيكية، والحيل الفنيّة، والصنعة الفنية، والطريقة الفنية، وأسلوب المعالجة - إضافةً إلى المعرّب تِكْنيك.

مُرونيّة، لَدانة، مُرونة، مُطواعية، مَرانة، طَواعية؛

أو المُصطلحات: adapt, accommodate, adjust, condition, modify.

مع المُرادفات: هايأ، كيَّف، ضبَط، هيَّأ بالمُكيِّفات، عَدَّل ...إلخ.

ومن الهندسيّات، المُصطلحات. factory, workshop, atelier, plant, mill.

مقابل المرادفات: مَصْنَع، مَشْغَل، وَرْشَة، مُحتَرف، مُنْشأة، مَعمَل؛

والمُصطلحات: bolt, bar, latch, lock, padlock, breech, shutter

مع المُرادفات: مِزلاج، رِتاج، تِرْباس (دِرْباس)، قُفل، غال، مِغلاق، غلَق،

ومن الكيمياء أمثال المُصطلحات: composition ,structure, synthesis مع المُرادفات: تركيب، بِنية، تخليق،

والمُصطلحات:

dissociation,solution,dissolution,analysis

مع المُرادفات: تفكّك، حَلّ (ومَحلول)، انحِلال، تحليل،

ومن الجيولوجيا أمثال المُصطلحات:

eon, era, age, chron, period, epoch, hemera

مُقابل المُرادفات: دَهر، حُقب، حِين، زَمن، عَصْر، فترة (أو حِقبة)، أوان،

ومن الزراعة أمثال المُصطلحات: forest, wood, bush, jungle, grove, scrub, coppice, thicket, etc. مُقابل المُرادفات: غابة، حَرَجة، حُرْش، أيكة، مَشْجَر، دَغَل، أجَمة، بيّارة، مَنْسَغة ... إلخ. وهكذا

يُحدَّدُ لِكُلِّ مُصطلحٍ أجنبيٍّ مُقابلُه العربيُّ الأوفقُ والأنْسب.

الواقع يا سادتي أن وَضْعَ المُصطلحات سيَظَل مدَّةً طويلةً من الزّمن مِن عَمَلَ الأفراد - يَعني من مسؤوليةِ المُصطلحِيِّين - لا مِنْ عَمل المجامع اللُّغوية نفسِها - التي سيَبْقى لها دورُ الإشراف والإقرارِ والفَرْز والاستبعاد أو التأييدِ وتَهْيِئةِ أسبابِ الانتِشار في الوطن العربي.

إنّ تحديدَ المنهجيَّة جيِّد، ولكِنّه ليسَ أكثرَ من التصميمِ المُمتاز لِلْمَبْنى الذي يَعتَمِدُ تنفيذُه وتَطبيقُه على البَنّاء.

يُنظِّر البَعضُ أنّ المؤسَّسات التي تضْطَلِعُ بوَضْع المُصطلحاتِ من مَجامعَ واتِّحاداتٍ، كما أنّ الخبراءَ المُصطلَحيِّين لا يتَّبعونَ منْهجيَّةً علميَّةً واحدةً في وضعِ المُصطلحات - لذا فإنّ مُصطلحاتِهم تَخْتلِفُ في ما بَيْنَها. والواقع هو خلافُ ذلك. فالمُشكلةُ، بل الحقيقةُ المُرَّة، لعلَّها في ما حَدَّده الأمير مُصطفى الشهابي حيث يقول:

«الذين يتحلَّون بمعرفة دقائق العلوم الحديثة، وأسرارِ اللغة التي يُترجمون عنْها، وأسرارِ اللُغة التي يَنقُلونَ إليها هم قليلون جِداً في بلادِنا العربيَّة» (*).

وللأسَف، فإن مَقولةَ الأمير لم تتَغيَّرْ كثيراً خِلالَ نِصْفِ القَرن الذي نُوَدِّعُه قريباً.

منْهجيَّةُ الرباط المؤيَّدَةُ والمُكامَلةُ من نَدوات عمّان والمَنامة ومَرّاكُش ومَجامع اللغة العربية جمْعاء، مُمتازة؛ لكِنَّها تحتاجُ إلى مُنَفِّذين - إلى

(*) الأمير مصطفى الشهابي - المُصلحات العلمية في اللغة العربيَّة - دمشق - المجمع العلمي العربي ١٩٥٢.

مُصطلحيِّين يُطبِّقونها. فتحقيقُ ذلك التَّطبيق يتطلَّب إمكاناتٍ ودِرايةً ومِزاجاً لا يَسْهُلُ عَمليّاً إعطاءُ مُواصفاتٍ مُحَدَّدةٍ لها.

يُقال إن أحدهم استوقَف ألْدوس هكْسلي في الطريق. وفاجأه بالسؤال التالي:

مِستر هَكْسلي، بماذا تَنْصَحُ مَن يُريد أن يُصْبِحَ كاتباً؟ فأطرقَ هكْسلي ـ وكأنّه فوجئ حَقّاً بالسؤال ـ ثُمّ تصنَّعَ الجِدِّيةَ وقال: يَشْتَري قَلَماً ووَرَقاً وقِنينة حِبْر.

ولو اعتَرضَني أحَدُهم لِيسألني: بماذا أنصَحُ من يُريد أن يُصبحَ مُصطلحيّاً، لأضَفْتُ إلى عناصرِ هكْسلي، متصنِّعاً الجِدِّيةَ نَفْسَها، وبِضْعَةَ قواميس؟

ويبدو لي مع الأسَف أن عدداً لا يُستهان به مِمَّن يُحاولون «خِدمَة» العربيةِ في مَجالِ المُصطلحات يأخذون هذه الأجوبة على مَحْمِلِ الجِدّ!

إن مِهنةَ المُصطلحيِّ، كما تعلمون، لَمَّا تتحدَّدْ معالِمُها في العالم العربي؛ فليسَ هُنالك برامجُ متعارفةٌ ولا طُرقُ تأهيلٍ مُحَدَّدةٌ ومَرسومةٌ، لإعداد المُتخصِّصين في المُصطَلح والشؤون المُصطَلحيَّة. ومُعظمُ، أو رُبّما كُلُّ المُتخصِّصين الذين أعرِفُهم، تعلَّموا المِهنَةَ بِجُهودِهم وإمكاناتِهم الشخصيَّة، ولم يدرسُوها كعِلْم، إنّما توافرت لَهُم خلفِيَّاتٌ دِراسيَّةٌ تثقيفيَّة عِلميَّةٌ ولُغَوِيَّةٌ ساعدَتْ في هذا التأهيل.

لكنْ مهما يختلِفُ المُنَظِّرون في تِقْنِيّات المُصطَلحيَّةِ ومِنْهجيّاتها ومناهِجِها ومَساقاتها، فهُنالك أساسيَّاتٌ لا خِلافَ فيها لِما يُمكنُ اعتبارُه بعضَ مُؤهِّلاتِ المُصطَلحي قَبْلَ الورقِ والقلم وقِنّينةِ الحِبْر، حتّى وبِضْعَةِ القواميس. وهي، في جوهرها لا تختلِفُ كثيراً عن المُتطلَّباتِ الأساسيَّةِ

لأعمالِ الترجمةِ العِلميةِ والتقانيّة الناجحة. ولعَلَّه يُمكنُ تلخيصُ هذه المُتطلَّبات في أساسيّاتٍ خَمْس.

أولاً ـ معرفةٌ دقيقة بِلُغَتي التعامُل ـ لُغةِ الأصل ولُغةِ الهَدف. فقديماً قالوا: صاحبُ الترجمة يَنْبغي أن يكونَ ذا عِلْمٍ وافٍ باللغتَين.

ثانياً ـ إلمامٌ كافٍ بمادَّة المَوضوع. ويُركِّزون اليومَ على المُصطَلحيِّ الواسع طَيْفِ التخصُّص، وليسَ بالضرورة المُتخصِّصَ في الموضوع نَفْسِه.

ثالثاً ـ خِبْرةٌ عمليَّةٌ بالمَنْهَجيَّة المُصطَلحيَّة ـ مدعومة بالتُّراثِ المُصطَلحيِّ القديم والحديث وتَعَرُّفِ المَشهورِ منه ـ على الأقلِّ في مجال الموضوع مَدارِ البحث، واستيعابِه واكتناهِ قواعدِ ووسائلِ اشتِقاقه، والتدرُّبِ على تطبيقاتٍ عمليةٍ في الصِّياغة المُصطَلحيّة.

رابعاً ـ مَوهبةٌ عِمادُها ذَكاءٌ مُدرَّبٌ يُمكِّنُ من مَلْءِ الثَّغَراتِ في النصِّ الأصلي، وخيالٌ واسعٌ يُمكِّنُ من تصوُّرِ العُدَّةِ أو الشيءِ أو العمليةِ مَوضعِ البَحث، ومقدرةٌ سَليقيَّةٌ تُمكِّنُ المُصطلِحَ من التعامُلِ مع اللفظِ في سِياقِه بِوضوحٍ وإيجازٍ ودِقَّة.

خامساً ـ دِرايةٌ وبَصيرةٌ تُوَجِّهانِ الاختيارَ لانتِقاءِ المُرادفِ المُصطلحي الأنسَبِ من التُّراثِ أو المعاجمِ ذاتِ العَلاقةِ أو الكِتابات المَنشورةِ حَولَ الموضوع.

لقد أضحى عِلْمُ المُصطلَح اليومَ، كما سائرُ المَهارات ذاتِ المسؤولية، دراسةً تَخَصُّصيَّة تتطلَّبُ، حتى فوق كُلِّ ما أسلَفْتُ، قابليَّةً شخصيَّةً ومُرونةً لُغويَّةً وسَعَةَ أُفقٍ وصبْراً وأناةً وحُبّاً عميقاً لِلُّغة التي يُصْطَلحُ فيها.

لقد عرَفَت العربيةُ مُصطلَحيّين أفذاذاً تحقَّقَتْ فيهم هذه المُواصفاتُ والخصائصُ الذاتيَّة والمُكتَسَبَة ـ عِلْماً ومَنْهَجيَّةً وقابِليَّةً، فأثْرَوا اللغةَ بأعمالهم،

من أمثالِ رفاعة الطهطاوي وعُمر التونسي وإبراهيم اليازجي وبطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وكرنيليوس فانْدَيْك وخليل سعادة وأحمد عيسى وثُلاثيِّ مُعجم كليرڤيل ـ الخيّاط وخاطِر والكواكبي ـ ويَعقوب صَرّوف والأمير مصطفى الشهابي وغيرِهم مِمَّن تَعرفون.

لكنّا بحاجة، لا إلى أفرادٍ من مِثل هؤلاء، يَبْرُزون على فَتَراتٍ وفي بعض مَيادينَ فقط ـ بل إلى كتائبَ فاعلةٍ مِنهُم في كُلِّ مَيدان ـ عُدَّةً آنِيَةً ومُستَقبَليَّةً لِلَّحاق بالرَّكْبِ الحَضَاري المُتَسارع ومُواكبتِه. والسبيلُ العمليُّ الآنيُّ لإعداد مِثل هؤلاء لعَلَّه ما كان، ولا يزالُ مُطَبَّقاً في الكُلّيّاتِ العِلمية في ما كان يُدعى الاتحادَ السوڤييتي حيث يَدْرسُ الطلابُ من مُختلِف القوميّات مُختلِفَ الاختصاصات باللغة الروسيَّة ويُدمَجُ تَعليمُ الموضوع العِلمي أو التقني، لِلمُتَخرِّجِ في مِهنةٍ، مع تدريبه على العمل في الوَقْت ذاته كَمُتَرجِمٍ ومُصْطَلَحيٍّ في حَقلِ تَخَصُّصه. ويُشتَرطُ فيه عِنْدَ التَخرُّج كتابةُ أطروحتِه بِلُغَتِه القوميةِ التي ستكونُ لُغةَ المُمارسةِ في بَلَدِه تالياً.

إن ما قامَت به بعضُ الجامعاتِ في العالَم العربي من استحداثِ مَساقاتٍ لِلترجمة التَّقليديَّة لم يَعُدْ كافياً اليوم. وأذكرُ أنَّ أحدَ الزُّملاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة (*)، اقترحَ أكثرَ من مَرَّةٍ أن تقومَ المُنظمةُ العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنشاءِ جامعةٍ للمُصطلَحات يَؤمُّها حامِلو الدِّبلومات العَربِ من مُختلف أقطار العالَم العربي في مُختلف الاختصاصات. وفيها يَتَثقَّفون بالاطِّلاع والمُمَارسَةِ في مَجال المُصطلَح عُموماً، ثُمَّ كُلٌّ فريقٍ في مُتَطلّباتِ وتُراثِ اختِصاصه، ويتَخرَّجُ واحِدُهم خَبيراً مُصطلحيّاً يظَلُّ على

(*) الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ونائب رئيس اتحاد المجامع العلمية العربيَّة.

اتِّصالٍ بجامعتِه والزُّملاءِ الآخرينَ في مَجال اختصاصِه، وتَبادلُه جامعتَه مع زملائِه في الجامعاتِ الأخرى. فَنضمنُ لَهُم وبِهِم الخِبْرَةَ والتواصُلَ والمُصطَلَحَ الجَيِّدَ المُوحَّد.

خاطراتٌ إضافيَّة في مجال المصطلحات الطبيّة والعلميّة وقضية التعريب بعامة:

المُعجمُ الطِّبيُّ العربيُّ هو أوسَعُ المعاجم العلميَّة العربيَّة ـ ولا غَرو، إذ إنّ المعجمَ الطبي نالَ عنايةً خاصة مُنْذُ أوائِل النهضةِ الحديثة. والكثيرُ الكثيرُ مِمّا أسلفتُه إجمالاً يَنْطِبقُ على المُصطلحات في مُختلِفِ المَجالات التِّقانيّةِ والعُلوميّة المُختلفة والطِّبيّة طبْعاً (*) .

لكِنْ لا بأسَ من إضافة الخواطر التالية:

أ: اللُّغاتُ الأوروبيّة الحديثة اعتَمدتْ في صياغة مُصطَلَحاتها العلميَّة والطِّبيَّة أساساً على المُكوِّنات اليونانيّة واللاتينيَّة. ويتَساءَلُ الكثيرُ من العُلماءِ في الغَرْب «أين كانَتْ تكونُ لُغانا العِلمية لولا هذه الجُذور».

نحنُ في العربية عَمَدْنا إلى ترجمة هذه الجُذور في الغالِب مع شيءٍ من الاجتهاد، فقُلنا مثلاً في

anemometer مِقياسُ الريح، مِرياح، وفي megalomania هوس العظمة،

وفي arthritis التهاب المَفْصِل (المفاصل)، وفي myocardium عضل القلب،

(*) وألفت هنا إلى نشرة المبادئ التي اعتمدتها لجنة العلماء الأفاضل الذين أشرفوا على مراجعة الطبعة الرابعة من المعجم الطبي الموحد. وقد تكرم السيد المسؤول بإطلاعي عليها، وستصدر مع المعجم قريباً إن شاء الله.

وفي chromosome صِبغي، وفي neuralgia ألم عصبي،

وفي appendectomy اِستـئِصـال الزائدة، وفي pentadactyly خُماسية الأصابع،

وفي megacephaly ضخامة الرأس، وفي xenophobia رَهْبة الغرباء،

مترجمين تلك المصطلحات عن جُذورها الأصلية. لكن ينبغي التنبُّه إلى أن بعضَ المكوِّنات اليونانية واللاتينيَّة قد تتَشابه شكلاً وتختلِفُ معنىً.

مثلاً لدينا الجذر اللاتيني(os(oris بمعنى mouth فم أو opening فوهة كما في ostium .

والجذر (os (ossis اليوناني بمعنى bone عظم، كما في ostein و osteal(*).

كذلك لدينا الجذران اللاتينيان ileo كما في ileocecal وile ocolic وileum. بمعنى لفائفي (المِعى اللفائفي) والجذر ilio كما في iliocostal وiliofemoral و ilium بمعنى حَرقفي (العظم الحرقفي). والصِّفتان من الجذرين ileal وilial تتماثلان لفظاً وصوتاً - بفارقِ i أو e بعد حرف l الأوّل - كتابةً.

أو لو نأخذ الجَذْر، أو ماقد يبدو أنّه الجذر، di في المداخل الثلاثة التالية(**) :

(1)- (dimorphy) (GK) di, = double, ازدواجيَّة الشكل
twice &. (GK)morph = form

(*)لاحظ مجال اللبس الشديد في ostium و osteal و ostein.

(**) إقرأ من اليسار إلى اليمين.

(2)- divergent (GK) di, dis = apart & (Lat) مُباعِد
vergere - to tend

(3)- diuresis (GK) diourein = to urinate بمعنى إدرار البَوْل، إبالة.

وكذلك الجَذْر، أو ما يبدو أنه الجذر، -mel، في المداخل التالية(*).

(1)- melalgia (GK) mel,melos = limb &algia = pain

بمعنى أَلَم الأطراف

(2)- melicera (GK) meli - honey & (GK) cera,keros = wax

بِمَعنى كيسة عسلية

(3)- melancholia (GK) melano = black & (GK) chole = bile

بمعنى السَّوداوية، ملنخوليا.

وقد تختلف هذه الجُذور ومداخلُها وتعني الشيء نفسَه، مثلاً glossal (GK) وَ lingual (L)

أو cribriform(L) وَ ethmoid (L) بمعنى sieve like غربالي، مُنخُلي

أو flavum(L) وَ luteum(L) بمعنى أصفر، صفراوي؛ وغيرُها كثير.

يعني لا بُدّ من التدقيق في أصل الجَذْر أو الجُذور المكوِّنة أو شِبْهِها ومعناها، وطبعاً سياقِها لصوغ المُقابل العربي الصحيح.

(*) إقرأ من اليسار إلى اليمين.

مع ملاحظة أنه أحياناً يحول السياق الوضعي دون إمكانية هذا التطبيق. فنحن نقول مثلاً في articulatio acromioclavicular-is **المفصل الأخْرَمي الترقوي** أو في sphenopalatine artery **الشريان الوتدي الحنكي**، وفي gastroduodenal artery **الشريان المعدي العفجي**، لكن نقول في، أو هم قالوا عن حكمة، في internal saphenous vein **الوريد الصافن الباطن**،

وفي external saphenous vein الوريد الصافن الظاهر مع تعريب saphenes اليونانية اقتراضياً لتفادي المفارقة ـ لأن الجَذْر sa-phene = يعني manifest الظاهر أو البيِّن.

ب: أحياناً هناك مصطلحات أجنبيَّة تعارفنا في العربية على أكثر من معنىً واحدٍ لها ـ مثلاً نحن نقول في cerebrum «مُخّ». ونترجم ce-rebral hemispheres نصفا كُرة المخ (أيمن وأيسر كما تعلمون). لكن cerebrum فيزيولوجياً تحملُ أيضاً معنى «المُخّ» كجزءٍ من الدِّماغ brain من جملة الأجزاء الأخرى كالمُخيخ والمِهاد (أو السَّرير) والنِّخاع المُستطيل وسِواها.

فإذا قلنا في cerebrospinal fluid **السائل المخي النخاعي**، أو في cerebrospinal meningitis **التهاب السحايا المخية النخاعية**، فإنا نكون قد جاوزنا الصواب ـ لأن الجذر cerebro في هذين المُصطلحين يعود إلى cerebrum بمعنى الدماغ وليس بمعنى الجُزء المُخِّي منه. فهذا السائل يغمر الدماغَ كلَّه، وذلك الالتهاب يصيب الدماغ كلَّه.

وأحياناً يحملُ اللفظ الأجنبي نفسُه مَعنَيين مُتباعدين ـ فيخلط المترجمُ بين السِّياقين بشكلٍ لافت. كأن يقول في appendicular skeleton

هيكل زائد أو زائدي. فاللفظ appendicular يحمل أن يكون صفةً من appendix- وهو ما توهمه القائل هنا دون تدبُّر - في حين أن السياق يقتضي ترجمة appendicular كصفة من appendage بمعنى limb بمصطلح هيكل الأطراف.

وليس بعيداً عن هذا الالتباس من تَرجم خالطاً بين الجذر annus وَ annualis بمعنى سنَة، والجذر anulus و annularis بمعنى حلقة - مترجما المصطلح annular thickening تثخُّن سنوي بدل تثخُّن حلقي.

جـ : أحياناً يكون المُصطَلحُ الأجنبي مَنسوباً إلى اسم، والاسمُ يحمِلُ أن يكون لفظاً لُغوياً، فيُترجَمُ عندنا بمعناه اللغويّ مثل: Student's test اختبار الطالب، أو (distribution ~) توزيع الطالب، وهو اختبار ستيودَنْت (مُصطلح في التوزيع الإحصائي السُّكاني) نِسبةً إلى العالِم. W.S Gosset الذي اختارَ اسمَ Student كاسمٍ مُستْعارٍ له.

وأذكرُ أنّي كنتُ من ضحايا مثل هذا الالتباس حين كُنت أُعِدُّ مَسرداً لقاموس حاسوبي في سِلْسِلة قواميس علميَّة مُعرَّفة ومُصَوّرة - فاقتبَسْتُ ترجمة للمدخل shell sort حققتُها في قاموسين حديثين إنكليزي - عربي - **(تَصْنيف القشرة)**. ثُمَّ حين حققتُها في مَرجعٍ مُوسَّع إنكليزي - إنكليزي اكتشفتُ أن اللفظةَ اسمٌ نسبَه إلى نفسِه خبيرٌ حاسوبي اسمهُ دونالد شِل عام ١٩٦٠، وليسَتْ ممّا يصح ترجمته.

وفي كواشف رن أ في بروتين السَّرطانيَّات - هناك، مثلاً، مصطلح Southern blot test الذي قد يتبادَر إلى ذِهن المُصطلح ترجمتُه لُغوياً - اختبار **التنشيف الجنوبي**، بخاصةٍ أن هناك مُصطلحاً مثيلاً هو Northern -

blot testفي حين أن Southern blotting منسوبٌ إلى الدكتور E.M. Southern، مكتشفه ـ بينما Northern blotting هو تَسْمِيةٌ قياسية عَشوائيّة؛ عُقِّدتْ بِمُصطلَح ثالث هو Western blot test(*).

د: الدِّقةُ الأدائية للمُصطلح تتطلَّبُ معرفةً دِقِّية علمية ولُغوية وموسوعيّة قد لا تتوافرُ جميعُها للعُلماء أو لِلُّغويين أحياناً ـ

أيامَ كان الدكتور طه حسين رئيساً للمجمع ـ مجمع اللغة العربية ـ وكان مدارُ البحث في لجنة المُصطلحات الهندسية يدور حول (gear (pinion أو gear wheel عرضت اللجنةُ مُصطلَح «مُسَنَّنة». فتدخَّل الدكتور مُعترضاً: بل قُلْ «مُضَرَّسة». وهنا تصدَّى له الدكتور عبد الحليم المُنتَصر قائلاً: يا سيادة الرئيس «كُلُّ ضِرْسٍ سِنّ، لكنْ ليسَ كُلُّ سِنٍّ ضِرساً» ـ فوافق الرئيس على مُسَنَّنة.

وأذكرُ في مؤتمر التعريب العاشر أن سيادة الدكتور حسن علي إبراهيم الطبيب المشهور، وابن الطبيب الأكثر شُهرةً، اعترضَ على لَفظة «ذيفان»، مُقابل المُصطلح toxin، مقترِحاً إطلاق «سمّ» عليها ـ باعتبار أن toxin تَعني السُّم أيضاً. وهنا تصَدَّى له جُملةٌ من الأعضاء، كُنْتُ من بينهم، قائلين بمَنْطِق المرحوم الدكتور المُنتصِر: «كُلّ ذِيفان سُمٌّ، وليس كُلُّ سُمٌّ ذِيفان». فالزِّرنيخ سُمٌّ، لكنه ليسَ ذِيفاناً ـ الذي هو بالتعريف الدقيق، لـ toxin: سُمٌّ من أصل عُضويّ، أما سُمّ الحيَّة فهو ذِيفانٌ كما هُو سُمٌّ. فسحبَ الدكتور إبراهيم اعتراضه.

(*) في رأيي، يَسري التعريبُ هنا، لا على «سذَرْن» فقط بل أيضاً على «نُورْذِرن» و «وِسْتِرن» باعتبارهما اسمَين مُستَعارَين صِيغا قياساً على نَسَق تسمية اختبارٍ مَثِيلٍ في الكشف عن البروتينات السَّرطانية، سبق أن اكتَشفَه الدكتور E. M. Southern. والترجمةُ هنا تحجبُ هذه العَلاقَة المُهِمَّة.

هـ: أحياناً واضع المصطلح يترجم من لُغَة أو إلى لغةٍ لم يتلَقّ عُلومَه بها.

فالذي درسَ بالإسبانيَّة أو الروسيَّة أو حتى الفرنسيَّة يصعب عليه أحياناً فهمُ المُصطلح الإنكليزي. وهو إن كان يُترجم إلى الإنكليزيَّة فقد يَصوغُ المُصطلحَ بشكلٍ لا يتّفِقُ وقواعدَ تلك اللغة.

إليكم مثلاً الترجمات والتسميات الإنكليزية التالية:

superficial circumflex vein iliac «الوريد المنعطف الحرقفي السطحي» مقابل الاسم الفرنسي Veine circonflexe iliaque superficielle

أو Accessory nerve of internal Saphenous one «العصب الإضافي للعصب الصافن الباطن» مقابل الاسم الفرنسي Nerf accessoire du saphene interne

أو appendicular meso «المساريق الزائدي» مقابل الاسم الفرنسي meso appendiculaire

أو renal box «محفظة الكلوة» مقابل الفرنسي loge renale والتسمية الإنكليزية المتعارفة renal capsule

أو air's pocket «جيب هوائي» مقابل الفرنسي Poch'a air أو af-ter the scrotum's opening «بعد فتح الصفن» مقابل الفرنسي après ouverture du scrotum.

وأحياناً قد يُفرض على الإنكليزية لَفظٌ حُروفيٌّ مُخالفٌ لِمنطق تلك اللغة مثل:

سَرو كنايت وهو سَرو «نايت» Knight's cypress (Cupressus Knightiana) باسم عالمٍ نباتي أُطلِقَ اسمُه على ذلك

النوع من السرو؛ أو **جِسم هيكْمور** وهو جسم هايْمور Highmore's body باسم الجرّاح البريطاني نتَانيال هايمور.

ولمزيد من أمثلةٍ في هذا الباب، لعلّي أذكُر لكم مُصطلحاتٍ اقتَرحها أحدُهم في مجلة اللسان العربي كمَشروع مُعجم - من مُصطلحاته:

adult: كهل، و adequaty :مطابقة، intercepting: التقاط، وcombination: توافق، و pronounced: باذّ.

وهو يترجم مُعاق بِـ handicapated بدل handicapped،

ودارة مُغلقة بِـ shut circuit بدل closed circuit،

ويستخدم undergroup بدل subgroup،

و no hypothesis بدل null hypothesis

و frustring بدل frustrating،

وadequation بدل adequacy.

والواقع أن الذي يقوم بمُحاولة الصياغة المصطلحيَّة في مثل هذه الحالات يكون قد خالَف أُولى مُواصفات المُترجم، كما وضَعها الجاحظ في بيانه؛ وكرَّرها، مع شيء من التوسيع ابن أبي أصيبِعَة في طبقاته منذ عِدّة قُرون، بأن يكونَ القائمُ بالترجمة أو واضع المُصطلَح «ذا علم وافٍ باللغتين - أعلمَ الناس باللغة المَنقولة (لُغة الأصل) واللغةِ المَنقول إليها (لُغة الهدف)، حتى يكونَ فيهما سَواءً وغايةً، وأن يكونَ بيانُه في نَفْسِ الترجمة في وَزْنِ عِلمه في نَفْسِ المعرفة».

في إحدى المداخلات حول مُتطَلَّباتِ المُصطلحيَّة ومؤهلات المُصطلحي قاطعني أحدُهم قائلاً: يَعْني تُريد المُصطلحي مَوسوعةً مُصغَّرة؟؛ فأومأتُ أن نَعم - موسوعةٌ مُصَغَّرة في مَوضوع اختِصاصه وفي لُغَتي الأصل

والهَدف!

* لكنَّ المُصطلحاتِ، يا سادتي، أوّلاً وأخيراً، وَسِيلةٌ لا غاية؛ وهي حتّى لو تحَقَّقَت لها كُلُّ المواصفات التي تَطرّقْتُ إلى عَرْضِها - تَقْيِيساً ومَنْهَجيَّةً ودِقَّةً وضَبْطاً، لن تكونَ إلاّ طُولاً وعَرضاً في الفراغ، بلا عُمق، وبالتالي غيرَ فاعِلةٍ حَقّاً ما لم توضَعْ مَوضعَ التطبيق اليَوميّ العمليِّ والعِلميِّ في قاعات الدَّرسِ وأوساطِ الدارِسينَ والمُدرِّسين والعُلماءِ - في المدرسة والجامِعة والمُختَبرات ومَعامِلِ الأبحاث - في مُحاضراتهم ومُؤلَّفاتهم وكُتبِهم ومُداولاتهم والبيئةِ من حوالَيهم.

وأنَّى لنا ذلك وجامعاتُنا التي قاربت المئة في العالَم العربي، إلاّ أقلَّ القليل منها تُدرِّسُ موادَّ العلوم - لا سيَّما التِّقانيّات والطِّبّ والهندسات باللغاتِ الأجنبيَّة. فيَتخرجُ الجيلُ الطالعُ غريباً لا عن المُصطلحات فقط بل عن لُغتِه القَوميَّة أيضاً - حتَّى لَيأنفَ الاختصاصيُّ منهم، أو هو في الواقع يعجزُ، عن استخدامها في محاضراته وكتاباتِه حتّى في موضوع اختصاصه، كما قد يَتهرَّبُ من التدريس بها مُعَلِّماً أو أستاذاً فيما لو طُلِبَ إليه ذلك.

إنَّ مُستقبلَنا العِلميَّ والحَضاريَّ مُرتبطان بقضيَّة تعريب العِلْم والتعليم - فلا يُعقَلُ أن نخوضَ مَجالات العِلم الحديث ونُواكِبَ تِقاناته ونَنْعَمَ بِمُنْجزاتِه، وتَبْقى لُغَتُنا غريبةً عن أجواء العلم وديناميكيَّته وتقنيَّاته وإبداعه. لقد آنَ أن تُصبحَ اللغةُ العِلميَّة العربيَّة جُزءاً من حياتنا اليوميَّة في المدرسة والبيت والمَصنع، وأن تَغدو الثقافةُ العلمية جُزءاً من ثقافة الصانع والطالِب والمعلِّم والصحافي والأديب وصاحب الاختِصاص الفَنِّي.

المَسؤولونَ في العالَم العربي يُكثِرون الحديثَ عن التنمية في هذه الأيام، ويُركِّزون مَشاريعَها على النواحي المادِّيَّة. ويالَيتَهُم لا يتناسَونَ أنَّ تنميةَ الإنسان العربي هي الأساسُ في عمليَّة التنمية. ديمقراطية العِلم وديمقراطيَّةُ

المَعرفة وتكافؤُ الفُرص مُقْفَلةٌ حتماً دونَ اللغة القومية. من المُحال أن تَنْقُلَ الأُمَّة كُلَّها إلى العِلم، لكنْ من المُمكِن أن تنقُلَ العِلمَ كُلَّه إلى الأُمة بإتاحتِه لهمُ باللغة القوميَّة . إنّه لا تَنْمية دونَ تعريبِ التعليم، تَعريباً شامِلاً في مُختلف القِطاعات ـ لا الجامعية والأكاديمية فقطْ بل الصِّناعية والتجاريةُ والزراعيةُ والحياتية عامَّةً. وإلاّ كيفَ يَصِلُ العِلمُ إلى الفلاّح والنجّار والبنّاء والحدّاد والصانع والسَّمكري وسائقِ السيّارة وغيرِهم من أفراد المجتمع. كيفَ يصلُ العِلمُ إلى هؤلاء إذا كانت كُلّياتُ الزراعةِ والصيدلة والصناعة والهندسةَ والكيمياء تُخَرِّجُ لهُم مَن لا يستطيعونَ إيصالَ ما يتعلَّمونه إليهم؟

يا سادتي، بطريقةٍ غير مباشرة، كُلّياتُنا تؤهِّلُ خرِّيجيها ليخدُموا بيئةً أخرى غير بيئتهم؛ منذ حوالي خمس سنوات نشرت أكاديميةُ البحث العلمي في القاهرة نتائجَ إحصاءٍ أجرتْهُ حول هجرة العقول المِصريَّة من حَملة الماجستير والدكتوراة ـ التكنوقراطيين كما يُسمُّونهم.

فكانوا ٢٠٠ ألف في الولايات المتحدة، ١٥٠ ألف في أستراليا، ٦٠ ألفاً في كندا و ١٥٥ ألفاً في أوربة؛ وجُلُّهم طبعاً مِمَّن أُهِّلوا لاختصاصاتهم بغير اللغة القوميَّة ـ يَعني مِمَّن أُهِّلوا ليهاجروا!

فلو أنّ هؤلاء الـ ٥٦٥ ألفاً أُهِّلوا باللغة القومية ـ ونالوا من الثقافة الأجنبيَّة واللغة الأجنبيَّة مايُبقيهم على صِلَةٍ بالتقدم العلمي والتقني في مجالات اختصاصاتهم، لما كان هاجرَ ولا حتى عُشْرُهم، ولكانوا عاملاً فاعلاً في تنمية بلدهم. ولوفّروا، على الأقل، كُلفَةَ تعليمهم التي قدَّرَتْها الأكاديميَّة بحوالي ٥٠ مِليار جُنيه مصري.

التحدِّي الذي يُواجِهُنا كأُمَّةٍ اليوم وغداً، القريبَ والبعيدَ، هو تحدِّي استِنْبات العِلم وتَوطين التكنولوجيا عَربيّاً؛ فاللغةُ ـ أيُّ لُغة، حَسبَما يُؤكِّدُ العارِفون ـ هي المَهْدُ الذي يَنْبُتُ فيه العلم، وما استَفادَ قومٌ عِلماً إلاّ عِلماً

زَرعوهُ بلُغَتِهم.

اللُّغَةُ العربيّةُ لا ينقصُها خصائصُ اللغة العلمية ولا مُقوِّماتُها. والذين يتّهمونَ العربيةَ بالعَجْز عن مُجاراة التطوُّرات الحَضارية العلمية إنما يعترفون بعَجْزهم هُمْ، بل بعَجْزنا نحنُ في دُنيا العرب ـ نتيجةً لبيئات الجَهْل والتجهيل والكسَل العَقليّ والانهزامية التي نُشِّئنا عليها مُرسَّخَةً من عُهود الظُّلمة والقَهر، خلالَ السَّيطرة العُثمانيّة والاستعمارية الغربيّة، ولا تَزالُ فاعلةً فينا بقُوىً لا نَدْريها أو لعلَّنا نَدريها، ولأسبابٍ مُتباينةٍ لا نتحَمَّسُ لتَغْييرها.

اللغةُ العربية نالَتْ اعترافَ العالَم منذُ **١٩٧٣**، وأصبحَتْ لُغةً رسميّةً مع اللغاتِ الخَمْس الكبرى في مؤسَّسات هيئة الأمم المُتحدة كافّة عام **١٩٨٢**؛ لكنَّ العالَمَ العربيَّ مع الأسَف يتنكَّرُ للُغَته. إنَّكَ لا تكادُ تَجِدُ بين أُمَم العالَم، صغيرِها وكبيرها، أُمَّةً تُقدِّمُ العِلمَ لأبنائها بغَير لُغَتِهِمْ سِوى في عالَمِنا العربيِّ المُتعَثِّر ـ فلا صُعوبةَ كِتابة اللُّغة اليابانية أو الصِّينية، ولا صِغَرَ حَجْم بعض دُوَل أوربة، ولا فَقْرَ بعض دُوَل آسيا، ولا شُحَّ مُصطلحات اللغة التركية، ولا مَواتَ اللغةِ العِبْرية، حالَتْ دونَ أن تكونَ اللغةُ القومية هي لُغةَ تدريس العُلوم في تلك البلاد.

في إحدى الندوات أخبرَنا زميلٌ زارَ شمالَ أوربَة في جَولَة تربوية في فِنْلندة، أنّه في إحدى المدُن، وسُكّانُها لا يتَجاوزون الرُّبْعَ مليون، ٩٣٪ منهم يتكَلَّمون الفِنْلَندية و ٧٪ يتكلَّمون اللغة السّويدية ـ وكِلتاهُما لُغةٌ رسمية في فِنلندة، هناك كُلِّيتانِ للطِّب ـ إحداهُما تُدَرِّسُ باللغة السّويدية والأُخرى باللغة الفِنْلندية.

والتعريبُ كذلكَ ضَرورةٌ قَوميَّة يَقتَضيها ترابُطُنا أُفُقيّاً كأُمَّةٍ، أو على الأقلّ كشعوبٍ، على امتِداد الوطنِ العَربي، ويَقْتَضيها ترابُطُنا عموديّاً مع تاريخنا وجُذورنا وتُراثِنا وعُروبَتِنا. لقد نَجحَ الاِستعماريُّون، والمُنتَدَبون

الأوصياءُ قَهْراً، في تَقسيم الوطنِ العربيِّ سِياسياً وإدارياً واقتصادياً وحتى ثقافياً، لكنّهم رُغْم مُحاولاتِهم المُتَعدِّدة لم يَنْجَحوا في تمزيق اللغة العربيَّة ـ فظَلّتِ الرابطَ القوميَّ الروحيَّ؛ والتعريبُ تَمْتينٌ لهذا الرابِط.

والتعريبُ حتى يتجاوَز كُلَّ ذلك، لأنَّه قَضيَّةُ كرامَة ـ كرامَةُ لُغةٍ وكرامةُ أُمَّة. إنَّ الاستمرارَ في تدريسِ العُلوم والتِّقانيّات وسِواها من الموادِّ الرئيسيّةِ في برامجِ مُعظمِ جامعاتِنا وبعضِ مدارسنا بلُغَةٍ أجنبيَّة، إضافةً إلى أنَّه مُخالِفٌ لِكلِّ المبادئ التربويَّة، هو إذلالٌ للغة العربية وهَدْرٌ للكثير من جهود التَّنميةِ العِلمية العربية، ولِكُلِّ الجُهود التي تُبذَلُ في مَجال المُصطلحات العربية ـ بل هو إذلالٌ لِلشخصيَّة العربيَّة، ومُركَّبُ نَقْصٍ يَصُبُّ في هَدْمِ المَعنويّات والطُّموح العربي.

إنَّ الشابَ العربي ـ الطالبَ اليوم والمُثَقَّفِ والمُثقَّف غداً، الذي يرى الموادَّ الرئيسيَّة في بلدِه تُدَرَّسُ بلُغةٍ أجنبيَّة، وأنّه يتَقدَّمُ للامتِحانات الحاسِمةِ في مصيره بها، وأنَّ المكانةَ الاجتماعيَّةَ والرَّفاهَ أيضاً مُرتَبطانِ وثيقاً بها، يتأصَّلُ في قَرارة نفْسه بالإشراطِ النَّفسي الباڤلوڤي، شِئْنا أم أبَيْنا، دُونيَّةُ اللغةِ العربية وثانَويَّةُ أهَمِّيَّتها ـ مَهما نتكلَّمُ عن فضائل العربيَّة وجَلالِها، ومَهما نُمَجِّدْها بالكلامِ والشِّعارات. وهذا المُوقفُ المؤسِفُ لا يَقْتصِرُ على الطالِب وَحدَه، بَلْ إنَّه تأصَّلَ إلى حَدٍّ كبيرٍ في لاوَعْي الأهلِ في الكثيرِ من البيئاتِ ـ وأحياناً حتَّى في لا وَعْي الأساتِذة والمَسؤولين، فَغَدَوا يتقبَّلون هذا الواقع الشاذَّ وكأنَّه الأمرُ الطبيعيّ.

خيارُ التعليم باللُّغة الأجنبيَة ما كان خياراً عَربيّاً، بل أمرٌ فُرِضَ علينا استعمارِيّاً ـ بالانتدابِ العَسكريِّ أوَّلاً، ثُمَّ استَمرَّ بالانتدابِ الفِكريِّ النَّفساني تالياً.

أليسَ مؤسِفاً، ولعلّي أقولُ أليسَ مَعيباً، أنَّه بَيْنما العَدوُّ الغاصِبُ يُحيي بالحِسِّ القَومي أوَّلاً وبالعملِ الجادِّ ثانياً لُغةً ماتَتْ منذُ عِشرينَ قَرناً ونَيِّف لِتغدوَ لُغةَ حَضارةٍ

وعِلْم - تُعْقَدُ بها النَّدواتُ في عُلومِ الطبِّ والنَّوويَّات والتكنولُوجيا، على اختلافها، ونَحْنُ أهلُ لُغَة القُرآن - أهلُ العَربيَّةِ الفُصْحى - رباطِ الوَحدة والكَرامة - نعملُ على تخلُّفِها وإبعادِها عن مَيادينِ العِلْم الحديثِ والمُعاصرة!

والذين يحتَجُّون لإعاقةِ حركة تعريب التعليمِ الشامل بانتظار أن تتَوافر لها ولَه المُصطَلحات وتتكامَلَ، إنّما يَضعون العَربةَ أمامَ الحِصان، كما يقولون. فالتعريبُ ووَضْعُ المُصطَلحاتِ، بل والترجمةُ (ترجمةُ المَراجع والمناهج وأُمَّهات الكتُب) والتأليفُ، تَسيرُ معاً - هكذا كانت في مدارسِ محمَّد علي في الهندسة والزِّراعة والطِّبّ، وهكذا كانت الحالُ في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكيّة فيما بعد)، وهكذا كانت الحالُ؛ ولا تزال في المعهد الطبِّيِّ في دمشق منذ العام ١٩١٩، وحديثاً في كليّات الطبّ في السُّودان وليبيا، ولدى بعضِ النُّشطاء في بعض كليّات الوطن العربي(*). وليسَ يلزَمُنا إلى تحقيق ذلك إلا العَزْمُ الصادقُ والحِسُّ القوميُّ على جعلِ العربيةِ لُغةَ التعليمِ في كُلِّ المَعاهد على كُلِّ المُستَويات - مَدعوماً بتأهيلِ الجِهاز البَشَريِّ المؤهَّلِ للقيام بما يتطلَّبه ذلك من مهمّات.

ولا يعني تعريبُ العلم والتعليم بِحالٍ من الأحوال حَرْباً عل اللغة الأجنبيَّة، بل على العكس - التعريبُ، وبخاصةٍ تعريبُ العُلوم، يَفْترِضُ استمراريَّةَ التواصُلِ باللغاتِ الأجنبيَّةِ على الطلاب كما على الأساتِذة - فلا أحدٌ يَجْهَلُ البَوْنَ الشاسعَ بينَ ما وصلَتْ إليه عُلومُ الحضارةِ الحديثة وتِقاناتُها وما استوعَبْناه مِنها نحنُ حتى اليوم.

(*) الدكتور أحمد ذياب في تونس درّس عِلم التشريح بالعربيَّة بين ١٩٨٥ وَ ١٩٨٨ وكانت التجربة ناجحة، لكنها أُجهِضَت. الدكتور محمد توفيق الرُّخاوي في مِصر يتحدّى المُعترضين ويُدرِّس موادَّه الطبيَّة باللغة العربية.

فكَما يَفترضُ التعريبُ أن يُمارِسَ المُهندِسُ أو الطبيبُ أو الزراعيٌّ أو حتى الجيُولوجيُّ مِهنتَه على الناس، ولِلناس، باللغة القوميَّة - رابطتِه بهم ووسيلةِ تَفاهُمه معَهم، فإنَّ مُستَقبلَ مَسيرةِ التعريب ونجاحَها المُستَمرَّ يتطلَّبان أن يكونَ هذا المُهندسُ أو الطبيبُ أو الخبيرُ الزراعيُّ ضَليعاً بلُغةٍ أجنبيَّة يتَواصَلُ فيها وبها مع العُلماء أو مع مُنجزاتهم لِمُتابعةِ الرَّكْبِ العِلمي في تَخصُّصه، والوقوفِ على آخرِ ما توصَّلَ إليه زُملاؤه في العالم من حَوله - فلا تَحصُلُ فَجوةٌ عِلميةٌ حَضاريةٌ بين ما درسَهُ هو كطالبٍ وبين ما تمَّ من تَقَدُّم بعدَ تخرُّجه كمُمارِس، ويكون هو في الوَقتِ نَفْسه مُؤهَّلاً لأن يُؤدِّيَ ما يَجِدُّ من مُسَمَّياتٍ علميةٍ في تلكَ اللغةِ بمُصطلحاتٍ عَربيَّةٍ سَليمة.

مَقولتُنا بالتعريب ليسَتْ ضِدَّ تعزيز تعليم اللغة الأجنبيَّة، فالحاجةُ إلى إتقانِ لُغةٍ أجنبيَّةٍ عالميَّةٍ مُعاصرةٍ هي اليومَ مَطلَبٌ تربويٌّ أساسيٌّ لِكُلِّ مُثقَّفٍ عَربيٍّ أو غَيْر عَربيٍّ، عالِمٍ أو غيرِ عالم - إنَّما الاعتراضُ الشديدُ هو على إحلالِ اللغةِ الأجنبيَّة مَحلَّ العربيةِ كلُغةٍ لِتعليمِ العُلوم.

اللغة الإنكليزيةُ هي اليومَ حاجةٌ ضروريَّةٌ يوميَّةٌ لِلعالِم الفرَنْسي والفِنْلندي والألماني والرُّوسي والياباني والكُوري وأيِّ عالِمٍ مِن أيِّ قَوميَّةٍ كان - لكنْ لا الفَرنسيُّون ولا الكوريُّون ولا اليابانيُّون ولا الفِنلَنديُّون طَرحوا مَسألةَ اعتِمادِ اللغةِ الإنكليزيَّةِ في تدريس موادِّ العُلومِ في بلادِهم.

المُؤسِفُ أنّا نرى أنَّهُ كُلَّما قارَبَتْ حركاتُ التعريب النجاحَ في بلدٍ عربيٍّ أو كادَت، تَنْقَضُّ عليها حركاتُ التغريب فتُعَرقِلُها وتُجهِضُها - والأمثلةُ على ذلك في مَشرِق العالَم العربي ومَغربِه غيرُ خافية - ممّا يُذَكِّر بالحروبِ المُعْلَنَةِ وغير المُعلَنَةِ على اللغة العربية - لُغةِ الدِّين والتُّراثِ والتاريخِ المُشترك.

الكُلُّ مُتَّفِقون على رَفْضِ الفَتْوى الاستعماريَّةِ بعَدم صَلاحيَّةِ العربيَّةِ لِتعليم موادِّ العلوم؛ والكُلُّ مُتَّفِقون على أنَّ التعريبَ - تعريبَ العُلوم وتعريبَ

البَحثِ العلمي والتأليفِ العِلميِّ والتِّقانات العلميةِ ضَرورةٌ حَتْميَّة لِخلْقِ لُغةٍ عِلميَّةٍ عربيَّة ـ هي في الواقع المَدخَلُ الوحيد لامتِلاكِ القُدرةِ العِلميَّةِ العربيَّة واقتِحامِ آفاقِ المُعاصرَة؛

والكُلُّ مُتَّفِقون على أنَّ الإصرارَ على تَعليم العلوم والتِّقْنيّات باللُّغاتِ الأجنبيّة هو حِصارٌ على العربيَّةِ يَمْنَعُها من التطوُّرِ والنُّموّ؛ وأنه بِدونِ رَفعِ هذا الحصارِ ستَؤولُ العربيَّةُ لُغَةً للحياةِ اليوميّةِ فقط ـ وهو أمرٌ مُنافٍ لِكافةِ الأهدافِ القوميَّةِ والحَضاريَّة.

والكُلُّ مُتَفِقون على أنَّ التعريبَ مَطْلَبٌ أساسيٌّ يَحفَظُ للأُمَّة تاريخَها وشَخصيتَّها وكرامَتَها ويُؤهِّلُها للمشاركة الفعّالةِ في الحَضارة الإنسانيَّة لِتَحْفَظَ لها مَوقعاً مُشْرِقاً في شمسِ عالَمِ الغَدِ المَرموق.

إنّ تحدِّيات القرن الحادي والعشرين أمامَنا شاخِصةٌ ـ تحدِّي مُواكبةِ الرَّكْبِ الحضاريِّ المُتَسارع لَحاقاً ومُجاراةً ومُشاركة؛

تحدِّي أن تكونَ العربيَّةُ لُغةَ العلم ولُغةَ البَحثِ العلميِّ والتِّقانات،

تحدِّي أن نتجاوزَ أعباءَ التخلُّفِ على مَدى القُرون الخَوالي، وأعباءَ الجُغرافية التي خلَّفها لنا الانتدابُ والاستعمارُ والغَزْوُ الصهيوني بمُمالأةِ القُوى الدَّوليةِ المُسَيْطِرة،

تحدِّي أن نَعْمَلَ ونُخَطِّط ونُنَفِّذَ بمَنْطِق العِلم والتاريخ ـ لا بمَنْطِقِ الاستراتيجياتِ القَبليَّة والإقليميَّة الضيِّقة لِضمانِ أن تَدْخُلَ أجيالُ العَربِ الجديدةُ، عِلمياً وتقانياً وحضارياً، القرنَ الحادي والعشرين دونَ إبطاء،

تحدِّياتٌ كثيرةٌ كَبيرةٌ نأمُلُ أن نتجاوزَها بنَجاحٍ يُعيدُ إلى نُفوسنا الثِّقة وإلى تاريخنا الأمجاد. ﴿وقُلِ اعملوا فسَيرى اللهُ عَملَكم ورَسولُه والمؤمنون﴾.

شكراً لكم.

ملحق ١

المَبادِئُ الأساسية في مَنهجيةِ وَضْع واختيارِ المُصطلحاتِ العِلمية التي أقرتها ندوة توحيد منهجيّات وضع المصطلحات العلمية الجديدة (*)

١ ـ ضَرورةُ وجودِ مُناسبةٍ أو مُشاركةٍ أو مُشابَهةٍ بين مَدلولِ المُصطلح اللغوي ومدلولِه الاصطلاحي، ولا يُشترطُ في المُصطلح أن يستوعِبَ كُلَّ مَعناه العِلمي.

٢ ـ وَضْعُ مُصطلحٍ واحدٍ للمفهوم العِلميِّ الواحد، ذي المَضمونِ الواحد، في الحقل الواحد.

٣ ـ تَجنُّبُ تَعدُّدِ الدلالات للمصطلحِ الواحد في الحَقل الواحد، وتَفضيلُ اللفظِ المُختَصّ على اللفظ المُشْتَرك.

٤ ـ اِستِقراءُ وإحياء التراثِ العربي، وخاصةً ما استُعمِلَ منه أو ما استَقَرَّ منه من مُصطلحاتٍ علمية عربية صالحةٍ للاستعمال الحديثِ، وما وَرَد فيه مِن ألفاظٍ مُعَرَّبة.

٥ ـ مُسايَرةُ المنهج الدوليّ في اختيار المُصطلحاتِ العِلمية:

أ ـ مُراعاةُ التقريب بين المصطلحاتِ العربية والعالمية لِتَسهيلِ المُقابلة بينهما لِلمُشتغلين بالعِلم ودارِسيه.

ب ـ اعتمادُ التصنيفِ العَشري الدولي لِتَصنيفِ المُصطلحات حَسَبَ حُقولِها وفُروعِها.

ج ـ تقسيمُ المفاهيم واستكمالُها وتحديدُها وتَعريفها وترتيبُها حَسَب كُلِّ حقل.

دـ اشتراك المُختَصِّين المُنتجين والمُستهلكِين في وَضع المُصطلحات.

هـ ـ مواصَلةُ البُحوثِ والدراسات لِتَيسُّرَ الاتصالُ على الدَّوام بين واضِعي المُصطلحاتِ ومُستعمليها.

(*) الرباط ١٨ ـ ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٨١.

٦ ـ استخدامُ الوسائِل اللغوية في تَوليدِ المُصطلحاتِ العلميَّة الجَديدة بالأفضَليـة طِبقاً لِلترتيب التالي: التُّراث فالتوليد (بما فيه من مجازٍ واشتقاق وتعريب ونَحْت).

٧ ـ تفضيلُ الكلماتِ العربية الفَصيحة المُتواترةِ على الكلماتِ المُعَرَّبة.

٨ ـ تَجنُّب الكَلمـاتِ العامية إلا عندَ الاقتضـاء ـ بشرطِ أنْ تكونَ مُشتركـةً بين لهجَاتٍ عربيةٍ عديدة، وأن يُشارَ إلى عاميَّتِها بأن تُوضَع بين قوسَين مثلاً.

٩ ـ تفضيلُ الصِّيغةِ الجَزْلة الواضِحة وتجنُّبُ النّافِرِ والمَحظور من الألفاظ.

١٠ ـ تفضيلُ الكلمةِ التي تَسمحُ بالاشتِقاقِ على الكلمةِ التي لا تسمحُ به.

١١ ـ تفضيـلُ الكلمـةِ المُفردة لأنَّهـا تُساعِدُ علـى تَسهيـل الاشتقاقِ والنِّسبة والإضـافة والتثنية والجَمع.

١٢ ـ تفضيلُ الكلمة الدقيقةِ على الكلمة العامَّـةِ أو المُبْهَمـة، ومراعاةُ اتفاقِ المُصطلَح العربي مع المَدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دونَ تقيُّد بـالدلالة اللفظيَّة لِلـمُصطلح الأجنبي.

١٣ ـ في حالة المُترادفات، أو القريبةِ من الترادُف، تُفَضَّلُ اللفظةُ التي يُوحي جَذرُها بالمفهوم الأصليِّ بصفةٍ أوضَح.

١٤ ـ تُفَضَّلُ الكلمةُ الشائعة على الكلمـة النادرة أو الغريبة إلا إذا التبسَ معنى المُصطلح العلميِّ بالمعنى الشائع المُتداوَلِ لتلك الكلمة.

١٥ ـ عندَ وجودِ ألفاظٍ مُترادِفـة في مَدلولِها، ينبغي تَحديدُ الدلالة العِلمـيةِ الدقيقة لِكلِّ واحدٍ منهـا، وانتقاءُ اللفظ العلمي الذي يُقابلها. ويَحْسُن عند انتقاء مُصـطلحاتٍ من هذا النوع أن تُجمَع كُلُّ الألفاظ ذاتِ المَعاني القريبـة أو المُتشابِهةِ الدلالة وتُعالَجُ كُلُّها كمجموعةٍ واحدة.

١٦ ـ مراعاةُ ما اتفَقَ المُختصُّون على استِعماله من مُصطلحاتٍ ودَلالات عِلمية خاصَّة بهم، مُعَرَّبةً كانت أو مُترجَمة.

١٧ ـ التعريبُ عند الحاجةِ وخاصةً المُصطلحات ذات الصِّيغة العالَميَّة ـ كالألفاظ ذاتِ الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المُستعملة مُصطلحاتٍ، أو العناصر والمركَّبات الكيماوية.

١٨ ـ عندَ تعريب الألفاظ الأجنبية يراعَى ما يأتي:

أ ـ ترجيحُ ما سَهُلَ نُطقُه في رَسْم الألفاظ المُعَرَّبةِ عند اختلافِ نُطقها في اللغات الأجنبية.

ب ـ التغيير في شكله، حتى يُصبحَ مُوافِقاً للصيغة ومُستَساغاً.

جـ اعتبارُ المُصطلح المعرَّب عربيّاً، يخضعُ لِقواعد اللغةِ العربية ويجوزُ فيه الاشتقاقُ والنحتُ وتُستخدمُ فيه أدواتُ البَدْء والإلحاق، مع موافقتِه للصِّيغة العربية.

د ـ تَصويبُ الكلماتِ العربيةِ التي حَرَّفَتْها اللغاتُ الأجنبية واستعمالُها باعتمادِ أصلِها الفصيح.

هـ ـ ضَبْطُ المُصطلحاتِ عامَّةً والمُعَرَّبِ منها خاصةً بالشكلِ حرصاً على صِحَّة نُطْقِه ودِقَّة أدائه.

ملحق : ٢

مُوجَزٌ بأهم القرارات
التي اتخذها مجمعُ اللغة العربيَّة في القاهرة
تسهيلاً لِعَمَل المُترجِمين وَواضِعي المُصْطلحَاتِ العِلميَّة
والفنيَّة والهندسيَّة
ـ مع أمثلةٍ وتعليقَات

١ ـ يؤخَذُ بمبدأ «القياس» في اللغة.

٢ ـ يجوز «النحتُ» عندما تُلجئُ إليه الضّرورةُ العلميّة: فنقولُ في كهربائي مغنطيسي كَهرَمغنطيسي أو كَهرمغنيطي ، وفي كهربائي ضوئي، كهرضَوئي، وفي شبِه غَرَوي شبْغرَوي.

٣ ـ المَصْدرُ الصناعي: إذا أُريدَ صُنْعُ مصدرٍ من كلمة يُزادُ عليها «ياء النسبة والتاء». من الأمثلة الحديثة على هذه المصادر قِلْويَّة، حَمْضيَّة، قاعِديَّة، مَفهوميَّة وحسّاسيَّة.

٤ ـ يُصاغُ لِلدَّلالة على الحِرْفة أو شِبهِها من أيِّ بابٍ من أبواب الثلاثي مَصدَرٌ على وزن «فِعالة»، مثل نِجارة، حِدادة، سِباكة، خِراطة، زِهارة، طِبابة، مِساحة ونِحالة.

٥ ـ يُقاسُ المَصدرُ على وزن «فَعَلان» لِفَعَلَ اللازم مفتوح العَيْن إذا دَلَّ على تَقلُّبٍ واضطراب: جَيَشان، غَلَيان، نَوَسان، نَبَضان، ثَوَران.

٦ ـ يُقاسُ من «فَعَلَ» اللازم المَفتوح العَين مَصْدرٌ على وزن «فُعال» لِلدَلالة على المرَض: صُداع، كُساح، سُعال، نُكاف.

٧ ـ يُجازُ اشتِقاقُ «فُعال» و «فَعَل» لِلدّلالة على الدّاءِ سَواءٌ أوَرَدَ له فِعلٌ أم لم يَرِد: مُعاد ودُوار وخُناق وعصاب، وسَدَر ورَمَد وخَصَر وشلَل.

٨ ـ إن لم يَرِدْ في اللغة مَصدرٌ لـ «فَعَلَ» اللازم مفتوح العين الدالّ على صوت، يَجُوزُ أن يُصاغَ له قياساً مصدرٌ على وَزن «فُعال» أو «فَعيل» مثل: ثُغاء وصُراخ وشُواش، وحَفيف وهَدير وصَفير.

٩ - يصحُّ أخذُ المصدرِ الذي على وَزن «تَفْعال» من الفعلِ للدَّلالة على الكَثرة والمُبالَغة: كما في تَهْطال وتَبْيان؛ وكذلك تصحُّ صياغةُ هذا الوزن ممّا لم يَرِدْ فيه فِعل.

١٠ - تُتَّخَذُ صيغةُ «التفاعُل» لِلدّلالة على الاشتراك مع المُساواة أو التماثُل: كالترابُط والتقارُن والتوافُق.

١١ - يُصاغُ قِياساً مِن الفِعل الثلاثي «مِفْعَل» و «مِفْعَلَة» و «مِفعال» لِلدّلالة على الآلة التي يُعالَجُ بها الشيء: مِبْرَد ومِثْقَب، مِخْرَطة ومِلْزَمَة، مِثقاب ومِطياف، ويُضافُ إلى صِيَغ اسم الآلة أيضاً الأوزان «فاعلة»: رافِعة وسانِيَة، و «فاعُول»: حاسُوب وساطور، و «فِعال»: إثار وبِزال. كذلك فإنَّ استعمالَ صِيغة «فَعّالة» اسماً لِلآلة هو استعمالٌ عربي صحيح: ثقّابة، برّادة، فتّاحة.

١٢ - يُصاغُ «فَعّال» قِياساً لِلدّلالة على الاحتِراف أو مُلازمة الشيء: زَجّاج، حَدّاد، سَبّاك، دَهّان.

١٣ يُصاغُ «فَعّال» لِلمُبالغة من مَصدرِ الفِعل الثُلاثي اللازمِ والمُتعدّي: ذَوّاب، أكّال، دَوّار.

١٤ - يُصاغُ وِزان «فُعالة» لِلدّلالة على فُضالة الشيء أو ما تَحاتَّ منه أو مابَقِيَ منه بعدَ الفِعْل، مِثل: نُشارة وبُرادة ورُشاحة وقُطارة وعُصارة وكُنافة.

١٥ - يُصاغُ وِزان «مَفْعَلة» قِياساً من أسماءِ الأعيان الثلاثيةِ الأُصول للمكان الذي تكثرُ فيه هذه الأعيان سَواءٌ أكانت مِن الحيوان أم من النبات أم مِن الجمَاد، مع إجازةِ التصحيح أو الإعلال في ما وسَطُه حرف عِلَّة، فيُقال مثلاً: مَلْبَنة ومَطْيَنة ومَقْطَنة ومَضْبَنة ومَزْرَعة ومَقصبة ومَفرسَة.

١٦ - الاشتقاقُ من الجامدِ أُجيزَ لِلضرورة في لُغة العلوم، كما في: مُهدْرَج، مُكَرْبَن، مُيَوَّد، مُبَسْتَر - كَصِفاتٍ للموادِّ المُعالَجة بالهدروجين والكربون واليُود أو بالبَسْتَرة.

١٧ - «فَعَّلَ» المُضعَّف مَقيسٌ للتكثير والمُبالغة: كسَّرَ، خَضَّرَ، لَمَّعَ.

١٨ - كُلُّ فِعلٍ ثلاثيٍّ مُتعَدٍّ دالٌّ على مُعالجةٍ حِسِّيَّة فمُطاوِعُه القِياسيّ «انفعل»: اِنكسَرَ، اِنحنى، اِنفصَلَ. أما إذا كانت فاءُ الفِعل واواً أو لاماً أو نُوناً أو مِيماً أو راءً، فالقِياسُ فيه «اِفْتَعَلَ»: امتدَّ، اِلْتَفَّ، ارتَدَّ.

١٩ ـ قِياسُ المُطاوَعَة «لِفَعَّل» مُضَعَّف العين هو «تَفَعَّل»: تَكَسَّر، تعدَّل، تصَعَّد.

٢٠ ـ قياسُ المُطاوَعَة «لِفاعَلَ» الذي أُريدَ به وَصفُ مَفعوله بأصلِ مَصدره يكونُ «تَفاعَل»: تباعَدَ، توازَنَ.

٢١ ـ قياسُ المُطاوعة من «فَعْلَل» وما أُلحِقَ به «تَفعْلَل»: تَفَلْطَح، تَدَحْرَج.

٢٢ ـ صيغةُ «استَفْعَل» قياسيَّةٌ لإفادة الطَّلَب أو الصَّيرورة: اِستَمْهَلَ، واستَنْجد؛ اِستَحْجَر واستَطال.

٢٣ ـ يُنسبُ إلى لَفظِ الجَمْعِ عندَ الحاجة، كإرادةِ التمييز أو نحوَ ذلك: صُوَرِيّ، جُزُرِي، وَثائقِيّ، عُمّالي، جماهيريّ. كما يجوز النِّسبةُ إلى المُثَنَّى في المُصطلحات العلمية، كما في: إثناني وبُطَيناني وأُذَيناني.

٢٤ ـ إظهارُ الكَون «الوُجود» العامّ، كما في قولِك: «هذا حَمْضٌ يُوجَد (أو مَوجودٌ) في عَسَل الشَّمع» جائزٌ وصَحيح.

٢٥ ـ يجوزُ جَمعُ المَصدر عندما تختلفُ أنواعُه، كما في: توصيلات، إرسابات، تمديدات، إشعاعات.

٢٦ ـ تَعديةُ الفِعل الثلاثي اللازِم بالهمزة قِياسيَّةٌ: أبدأ، ألانَ، أدارَ.

٢٧ ـ يجوزُ صَوغُ المُركَّب المَزجي في المصطلحات العِلمية عندَ الضرورة، كأن تقول: تَحت تُربة (تَحتْربة)، فَوق بَنفسجي، لا شُعوريّ وما ورائيّ ـ على أن لا يُقبَل منه (في اللغة) إلاّ ما يُقِرُّه المجمع.

٢٨ ـ في ترجمةِ الصَّدْر a أو an الذي يدُلُّ على معنى النفي تقرَّرَ وَضْعُ لا النافية مركَّبة مع الكلمة المطلوبة فيُقالُ مثلاً: لاتَماثُلي، لا نُقطي، لاسِلكي ـ شَرْطَ أن يوافِقَ هذا الاستعمالُ الذوقَ ولا يَنفِرُ منه السَّمعُ.

٢٩ ـ يجوزُ دُخول «أل» على حرفِ النَّفي المُتَّصِل بالاسم واستِعمالُه في لُغة العِلم: أللاَّسلكيّ، اللاهَوائِيّ، اللاتَماثُليّ.

٣٠ ـ تُفَضَّلُ الكَلِمةُ الواحِدةُ على كَلِمَتَيْن فأكثرَ عندَ وَضعِ اصطِلاح جديد إذا أمكن ذلك، فتَقول: زَوَّم بدلاً مِن غَيَّر البُعدَ البؤري، وبَريشَة لا كُسارة صَخريَّة مُلتحِمة،

وترمومتر بدلاً من مِقياس درجة الحرارة.

٣١ ـ في تَرجمة صِيَغ الكَشْفِ والقياس والرَّسْم تُوضَعُ صيغةُ «مِفعال» لِما يُرادُ به الكشْف (ويَنْتهي بـ -scope) مثل مِطياف spectroscope، وصيغة «مِفعَل» لِما يُرادُ به القياسُ (وينتهي بـ -meter) مثل مِطْيَف spectrometer، وصيغة «مِفْعَلة» لِما يُرادُ به الرسْمُ (وينتهي بَـ -graph) مثل مِطيفة spectro-graph. وإذا حالَت صُعوباتٌ دونَ اشتِقاقِ اسم الآلة من المعنى، يُوضَعُ لها اسمُ «مِكشاف» أو «مِقياس» أو «مِرْسَمة» مُضافاً إلى عملِها ـ فتَقولُ في الآلاتِ الوارِدة علاه، على التوالي، «مِكشاف الطيف»، «مقياس الطيف»، و «مِرْسمة الطيف». كما نقول مِكشاف كهربائي في electroscope ومِقياس مِغنَطيسي في mag-netometer ومِرسَمة الزلازل في seismograph.

٣٢ ـ تقَرَّرَ ترجمةُ الكاسِعة «-gen» بكلمة مُولِّد(ة) فيُقال في antigen مثلاً: مُولِّد الضدّ أو مُولِّد (ة)، المُضادّ.

٣٣ ـ تقرَّرَ أن يُترجم الصَّدرُ -hyper بكلمة «فَرْط»، والصَّدر -hypo بكلمة «هَبْط».

٣٤ ـ تُتَرْجَمُ الكلماتُ المُنتهية بـ -able «بالفعل المُضارع المَبني للمجهول» كما في: يُذاب soluble (ولا يُذاب insoluble)، يُباعsalable، يُبَلّ أو يَنْتل wettable، يُنْقَل أو يُحْمَل portable، يُطْرَقmalleable.

ويُترجمُ الاسمُ منها بالمَصدرِ الصِّناعي فيُقال: مَذوبيَّة، مَنْقُوليَّة، مَطروقيّة ومَبيعيَّة(*).

٣٥ ـ تُتَرْجَمُ الكاسِعةُ -oid بكلمة «شِبْه» فيقال: شِبْهُ فِلزٍ في metalloid

(*) استَخدمنا صيغةَ «فَعُول» لتَرجمةِ الكلماتِ المُنْتهية بهذه الكاسِعة أو أحدِ شكلَيها الآخرَين -ble و -ible ، فقُلنا في الواردة أعلاه على التوالي: ذَؤوب (ولا ذَؤوب) وبَيُوع وبَلُول ونَقُول وطَروق. وتُصاغُ منها الأسماء بصيغة «فَعُوليَّة»: ذؤوبيَّة، بَيُوعيَّة، بَلُوليَّة ... إلخ. انظر ص ٥١٨ و ٥٢٠ من هذه المُداخلة.

وشِبهُ غَرَوي في colloid؛ وقد يَصِحُّ ترجمةُ هذه الكاسِعةِ في الاصطلاحات العلميـة بالنَّسَب مع الألف والنون ـ فتقولُ فِلزّاني في metalloid، وغَرَواني في colloid؛ كذلك تُستعملُ صيغةُ النسبة مع الألف والنون في ترجمة المصطلحات الإفرنجيَّة التي تنتهي بِـ form- أو like- ، مالم يَتنافَ ذلك مع الذوق العربي.

٣٦ ـ عند تعريب أسماءِ العناصرِ الكيماويَّة التي تنتهي بالمَقطع ium ـ يُعَرَّبُ هذا المَقْطعُ بِـ «يُوم» (ما لم يكُنْ لاسم العُنصر تعريبٌ أو ترجمة شائعة) كما في: ألومنيوم، بوتاسيُوم، كالسيوم.

٣٧ ـ تُتَّخَذُ الحُروفُ العربية أساساً لترجمة رُموزِ العناصر الكيميائيَّة على أن يُتركَ لِلمختصّين اختيارُ الحُروف التي تَرمُزُ لِكُلِّ عُنصر. (عُدِّل هذا القرار لاحقاً ـ انظر التوصية ٥ في الملحق رقم ٣).

٣٨ ـ يُجيزُ المَجمعُ أن يُستعملَ بعضُ الألفاظ الأعجميَّة ـ عند الضرورة ـ على طريقة العرب في تعريبهم، وبخاصةٍ حين ينصَبُّ المُصطلحُ على اسم عَلَم، أو كان من أصلٍ يونانيٍّ أو لاتينيٍّ شاعَ استعمالُه دولياً. وفي هذه الحال يَحتَفِظُ المُصطلحُ بصورته الأجنبيةِ مع المُلاءمةِ بينها وبين الصِّيَغ العربيَّة، فنقولُ فُلْط وأُوم وجيولوجية وديناميكا وإنزيم ومَيْكا ونيُوترون ولِيْزَر ... إلخ.

٣٩ ـ يُعتبرُ المُصْطَلَحُ المُعَرَّبُ عربياً ويخضعُ بالتالي لِقواعِد العربيَّة، مع جَواز الاشتقاق والنَّحْت منه واستخدام أدواتِ البدءِ والإلحاق قياساً على اللسان العربيّ. مثالُ ذلك المُصطلح أيون ـ مُثَنّاه أيونان وجمعُه أيونات، نشتقُّ منه الفِعل (أَيَّنَ أو تأيّن) والمَصدر (تأْيِين أو تأيُّن) والصِّفة (مُؤَيِّن أو مُؤيَّن)؛ ومثله أكسَدة وبَستَرة وكَرْبَنة وسِواها.

٤٠ ـ يُفضَّلُ اللفظُ العربيّ على المُعرَّب القديم إلاّ إذا اشتُهر المُعَرَّب. وهكذا قُلنا: الهَندسة لا جيومَطرى، وعِلم الفلَك لا أسترونُومْيا، والأَبْهَر (أو الوَتين) لا الأورْطي، والصَّفاق لا بَريطون ـ بينما احتفَظْنا بأمثال كَيْلُوس وقُولون وباذِنجان وهَيُولى وغيرها.

٤١ ـ تُفَضَّلُ الاصطلاحاتُ العربية القديمة على الجديدة إلاّ إذا شاعت.

٤٢ ـ يُرَجَّحُ أسهَلُ نُطقٍ في رَسْم الألفاظِ المُعَرَّبة عندَ اختلافِ نُطقِها في اللغات الأجنبية ـ فنقولُ فِبْرين لا فَيْبرين وأسبَسْت لا أسبَسْتوس.

٤٣ ـ يُرسَمُ حرف G في الكلمات المُعَرَّبةِ جيماً (قاهِريَّة) أو غَيْناً: أنغستروم أو أنجستروم. ولِضَبط لَفظ حرف الجيم (في هذه الحال) يفضَّلُ رَسمُه بنقاطٍ ثلاث، ويجوزُ كتابتُه بالرمز الفارسي، أي بكافٍ عَربية لها خَطّان مُتَوازيان «گك».

٤٤ ـ يُكتَبُ الحرفُ J كما يَنْطِقُ به أهلُ كُلِّ لُغة: «ج» في الإنكليزيَّة والفرنسيَّة ويُلفَظُ جيماً مُعَطَّشة (قُرشيَّة)، و «ي» في الألمانيَّة (كما في يينا Jena) و«خ» في الإسبانيَّة.

٤٥ ـ يُراعى مُسايرةُ النَّهج العِلمي العالَمي في اختيار المُصطلحاتِ العِلمية ومُراعاةُ التقريب بين المُصطلحات العربية والعالمِيَّة لتسهيلِ المُقابلة للمُشتغلين بالعِلم ولِلدّارسين.

٤٦ ـ عِند وَضع مُصطلح عربي لِمُقابلةِ المُصطلح الأجنبي يُسترشَدُ بالأصل اللاتيني أو الإغريقي إنْ وُجِد، ويُراعى أن يتَّفِقَ المُصطلحُ العربي مع المَدلول العِلمي للمُصطلح الأجنبي دونَ تقيُّدٍ بالدَّلالة اللفظيَّة، مِثالُ ذلك أنْ نقول: غُرفةٌ كاتِمة لا غُرفةٌ مَيْتة مُقابِل dead room، وجَزْر لامَدّ خفيض مُقابل low tide.

٤٧ ـ تُفضَّلُ الألفاظُ غيرُ الشائعة لأداءِ مُصطلحاتٍ علمية ذات دلالةٍ دقيقة مُحدَّدة، مِثالُ ذلك أن نقول:

كَمّ لا كميَّة مُقابِل quantum، واستِطارة لا تَبَعْثُر مُقابل scattering وتَجْوية لا تأثُّر بالعوامِل الجويَّة مُقابل weathering(*).

٤٨ ـ عِندَ وجودِ ألفاظ مُترادِفة أو مُتَقارِبة في مَدلولها ينبغي تحديدُ الدلالةِ العِلمية الدقيقة لِكُلٍّ منها، وانتقاءُ اللفظ العلمي الذي يُقابله، مثال ذلك:

مُقاومَة مُقابِل resistance، ومُعاوَقة مُقابل impedance، ومُمانَعة مُقابل reluctance، ومُقاصَرة مُقابل inertance.

(*) ومن هذا المُنطَلَق فَضَّلنا مُصطلح «مِقْلاد» على «مفتاح» مُقابل switch لأنَّ «مِفتاح» شائعة لعِدَّة مَفاهيمَ أُخرى.

ويحسُنُ عندَ انتقاءِ مُصطلحاتٍ من هذا النوعِ أن تُجمعَ كُلُّ الألفاظ ذاتِ المعاني القريبة أو المُتشابهةِ الدلالة وتُعالَجَ كُلُّها كمجموعةٍ واحِدة.

٤٩ ـ الكلماتُ العربية التي نُقِلت إلى اللغات الأجنبية وحُرِّفَتْ تَعودُ إلى أصلها العربي إذا ما نُقِلَت إلى العربية مَرَّةً أخرى،

فيُقال في Alhambra «الحمراء» لا «ألْهَمبرا»، وفي Arsenal «دارُ الصناعة» لا «تَرَسانة»(*).

٥٠ ـ تُرَجَّح كِتابةُ الكلمات الأجنبيَّة المُعَرَّبة المُنتهية بِـ logy ـ الدالَّةِ على العِلم بِـ «تاء» (مَربوطة) في آخرها.

فيُقال: جيُولوجية، بيُولوجية، سوسيولوجية.

٥١ ـ الكلماتُ التي شاعت بصيغةٍ خاصةٍ تَبقَى كما اشتُهِرَت نُطقاً وكِتابةً.

٥٢ ـ قَبِلَ المجمعُ إدخالَ حَرف «پ» ليُقابلَ الحرف p، كما قبِلَ أن يُكتب الحرف V فاءً بثلاثِ نُقَط (ڤ).

٥٣ ـ وافقَ المَجمعُ على كتابة الرقم «٢» مستقيم الرأس أُفقياً (٢) نَفياً للاشتباه بينه وبين الرقم ٣.

٥٤ ـ يجوز حَذفُ تاء التأنيث من المؤنَّث المجازي في المُصطلح العلمي إذا أدّت هذه التاء إلى الالتباس(**).

(*) تَرَسانة تعريبٌ عن التركيَّة، والتُّركيَّة عن الفرنسيَّة D'arsenal. واللفظةُ في الفرنسيَّة (وسِواها من اللغات اللاتينيَّة) مأخوذة عن العربيَّة الأندلسيَّة.

(**) فنقول مثلاً أُذَين مقابل atrium لا أُذَيْنَة، ونترك أذينة مقابل auricle.

مُلحق ٣: توصيات خاصة بمنهج وضع المصطلحات العلمية العربية المتخصصة أقرها مجلس المجمع ومؤتمره في دورتيه الستين (١٩٩٤) والواحدة والستين (١٩٩٥)

تعريف: ـ المصطلح العلمي لفظ يصطلح عليه أهل العلم المتخصصون للتفاهم والتواصل فيما بينهم.

المصطلح العلمي العربي المتخصص هو دعامة اللغة العلمية.

المبادئ الأساسية لوضع المصطلح وتعريفه: ـ

١ ـ الإفادة بما استقر في التراث العربي من مصطلحات علمية عربية أو معربة صالحة للاستعمال الحديث.

٢ ـ الوفاء بأغراض التعليم ومطالب التأليف والترجمة والثقافة العلمية العالية باللغة العربية.

٣ ـ مسايرة النهج العلمي العالمي في وضع المصطلحات العلمية ومراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية تيسيراً للمقابلة بينها للمشتغلين بالعلم وللدارسين.

٤ ـ حفز المشتغلين بالعلم على وضع مصطلحات «ذات أصل عربي» لما يستحدثونه في العلوم.

٥ ـ إلحاق المصطلح بتعريف موجز يوضح دلالته العلمية.

التوصيات:

١ ـ الأخذ ما أمكن بوضع مصطلح من أصل عربي لمقابله الإنجليزي أو الفرنسي بالترجمة المباشرة أو بالاشتقاق أو بالنحت أو بالمجاز من لفظ عربي، مع الاسترشاد بالأصل اللاتيني أو الإغريقي إن وجد، ومراعاة أن يتفق المصطلح العربي مع

المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دون تقيد بالدلالة اللفظية فيقال مثلاً: «غرفة كاتمة» وليس «غرفة ميتة» في مقابل dead room، «مكونات فحمية» وليس «مقاييس فحمية» في مقابل coal measures، «نيم الريح» وليس «علامات الريح» في مقابل wind marks، «مهبط النهر» وليس «التيار التحتي» في مقابل down stream،

«المد» في مقابل high tide، «الجزر» في مقابل low tide، «صخور مغتربة» في مقابل nappes.

«منكشف الصخر» في مقابل outcrop، «طبقة متكئة» في مقابل overfold، «مهوى الصدع» في مقابل hade of fault

٢ ـ إيثار الألفاظ غير الشائعة لأداء مصطلحات علمية ذات دلالة محددة دقيقة مثال ذلك:

«كم» بدلاً من «كمية» في مقابل quantum، «امتزاز» بدلاً من «امتصاص سطحي» في مقابل adsorption، «استطارة» بدلاً من «تبعثر» في مقابل scattering، «أيْض» بدلاً من «تحول غذائي» في مقابل me-tabolism،

«مبْدى» بدلاً من «عتبة» في مقابل threshold، «بوغ» بدلاً من «جرثومة» في مقابل spore،

«الصخر السرئي» بدلاً من «بيض السمك» في مقابل oolitic rock،

«التجوية» بدلاً من «التأثر بالعوامل الجوية» في مقابل weathering ـ على أن تتجنب الألفاظ الغريبة والمبتذلة والثقيلة على النطق أو السمع والتي لا يسهل الاشتقاق منها فيقال مثلاً: «الرياضيات» بدلاً من «ماثيماتيقا» في مقابل mathematics، و«الكحول» بدلاً من «الغول» في مقابل alcohol.

٣ ـ الأخذ بالتعريب عند الحاجة، وبخاصة عندما ينصب المصطلح الأجنبي على اسم علم، أو كان من أصل يوناني أو لاتيني شاع استعماله دولياً، ويحتفظ بصورة

قريبة لصورته الأجنبية مع الملاءمة بينها وبين الصيغ العربية، مثال ذلك:

فيزيقا physics ، سيكلوترون cyclotron جيولوجية geology نيوترون neutron

بيولوجيا biology إنزيم enzyme فسيولوجية physiology پپسين pepsin

ديناميكا dynamics مايكا mica إستاتيكا statica كاميرا camera

٤ ـ اعتبار المصطلح المعرب لفظاً عربياً وإخضاعه لقواعد اللغة وإجازة الاشتقاق والنحت منه، واستخدام أدوات البدء والإلحاق، على أن يقاس كل ذلك على اللسان العربي. مثال ذلك لفظ «أيون» مقابل ‹‹ion›› الذي اشتق منه الفعل «أين»، فيقال: «أينت الغاز فتأين»، وينسب إليه، فيقال: «جهد أيوني»، «وكثافة أيونية»، ويثنى ويجمع على «أيونين» و «أيونات» ومصدره تأين وتأيين، ومنه أشعة مؤيِّنة، و «غاز مؤيَّن»، وينحت منه «كاتيون» أي «أيون كاثودي»، و «آنيون» أي «أيون أنودي» و «محلول لا أيوني».

وكذلك لفظ «أكسيد» oxide الذي اشتق منه أكسدة ومؤكسِد ومؤكسَد. ولفظ «بسترة» pasteurization واشتق منه «لبن مبستر» «ولبن لامبستر».

٥ ـ استخدام الرموز الكيميائية والوحدات والرموز الفيزيقية والرياضية الحديثة بصورها العالمية لتسهيل المقابلة بين صيغها الأجنبية والعربية للباحثين والدارسين.

٦ ـ الأخذ بما درج المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم، أو مقصورة عليهم، معربة كانت أو مترجمة، مثال ذلك: متفسفر phosphorescent، تلجنُن lignification، متفلور fluorescent، تسلكت silicification، هدرته hydration، تصخُّر petrification، ترانزستور transistor ، ديلزه dialysis ، إلا إذا تبين خطأ الاستعمال الشائع، فيستبدل به استعمال صحيح مثال ذلك:

«حاسب إلكتروني» بدلاً من «عقل إلكتروني»: computer

٧ ـ إفراد المصطلح الواحد بلفظ واحد ما أمكن لتسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع ـ مثال ذلك «ترمومتر» بدلاً من «مقياس درجة الحرارة» فيقال «قراءات ترمومترية» بدلاً من «قراءات مقياس درجة الحرارة»، و «ترمومترات بلاتينية» بدلاً من «مقاييس درجات الحرارة البلاتينية»، هذا بالإضافة إلى ما في هذا التعبير الأخير من اللبس.

وكذلك «زوم» للعدسة ذات البعد البؤري المتغير «zoom»، و «بريشة» بدلاً من «كسارة صخرية ملتحمة» «breccia» ؛كما يلزم ضبط المصطلحات دائماً بالشكل حرصاً على دقة نطقها، ولا بأس من استخدام الحرف (پ، ڤ) ، عند الضرورة.

٨ ـ توحيد المصطلحات المشتركة (مترجمة كانت أو معربة) ذات المعنى والدلالة الواحدة بين فروع العلم المختلفة، فإن كان المصطلح المشترك أصيلاً في أحد فروع العلم الأساسية، التزمت به الفروع الأخرى مثل «فوتون» و «إكترون» وهما مصطلحان نشآ أصلاً في الفيزيقا واستخدمتهما بقية العلوم. أما إذا كان المصطلح مشتركاً بين علوم مختلفة، فينبغي أن يتم عليه اتفاق وإجماع من المتخصصين في هذه العلوم مثال ذلك أسماء العناصر.

٩ ـ عند وجود ألفاظ متقاربة في مدلولها، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها مثال ذلك: مقاومة re-sistance، معاوقة impedance ؛ ممانعة reluctance ، مقاومة التشوه resilience ، مقاصرة inertance.

ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات الدلالات القريبة وتعالج كلها كمجموعة واحدة.

١٠ ـ تعريف المصطلح فرض واجب في المعجم لا يستقيم بدونه ـ وهذا يعني ضرورة التعريف بدلالة المصطلح بلغة علمية مبسطة يخاطَبُ بها العاملون في مجال استخدامه وبأسلوب موجز يتمشى مع العلم الذي ورد به وليس بالضرورة متطابقاً في العلوم المختلفة إلا إذا كان من المصطلحات الأساسية العلمية.

وحين يرد المصطلح في سياق تعريف مصطلح آخر فلا محل لتعريفه بل يرجع إليه في موضعه من المعجم ويجوز الإشارة إلى مصطلح آخر قريب منه للإيضاح. ويحسن استخدام الصور والرسوم والمخططات زيادة في التوضيح أو الشرح.

١١ ـ يكتب اسم العالم الأجنبي بالحروف العربية بالصورة التي ينطق بها في لغته مع الإشارة إلى جنسيته وتخصصه وتاريخ وفاته إن وجد، ويضاف إليه الاسم مكتوباً بالحروف اللاتينية.

وسائل وضع المصطلح العلمي في العربية

أ.د. محمد ضاري حمادي

من المقرر أن ترقي الإنسان في درجات العلم يوصله إلى ما لم يكن له به من عهد سابق، وأن هذا الجديد يفرض عليه أن يضع له ما يناسبه من التسمية. وهكذا يضع الواضع الأول - وهو من يصل إلى الجديد - التسمية من لغته هو، أما من يضع التسمية، بعد الواضع الأول، في لغة أخرى فهو الواضع الثاني. وهنا يلزم أن يجد الواضع الثاني تسمية من لغته لا من لغة الواضع الأول؛ فإن تعذر عليه الأمر اضطرّ إلى اقتراض تسمية الواضع الأول، وإدخالها في متن لغته، بمقتضى لوازم الاقتراض اللغوي وشرائطه. على أن مما يلزم التنبّه عليه أن مصطلح الواضع الأول لا يوجب بالضرورة أن يكون وافياً بالمراد؛ فقد يخطئ الدلالة على ما يراد الدلالة عليه، فلا يجد الواضع الثاني مندوحة من التعويل على حقيقة المسمّى، لا أن يشغله النظر في معنى مصطلح الواضع الأول عن تلك الحقيقة. يقول الدكتور جميل الملائكة في هذا الصدد ما نصّه: «يلزم في جميع الأحوال الاهتمام عند وضع المصطلحات بالمعنى قبل اللفظ، مع ملاحظة أن المصطلح الأجنبي قد لا يكون في كل الحالات موفقاً كل التوفيق في

تأدية المعنى المراد به، وقد يكون مغلوطاً أصلاً»[١].

ولئن كان الاهتمام بالمفهوم أمراً جوهرياً، لقد كان الاهتمام بالتخصيص أمراً جوهرياً آخر يستلزمه استقرار المصطلح واستمراره؛ وذلك أن يكون لكل مفهوم مصطلح مخصوص به، وأن يكون لكل مصطلح مفهوم مخصوص به. وقد وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة القرار الآتي: «الاصطلاحات العلميّة والفنيّة والصناعيّة يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى»[٢]. وأقرّ المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط في ندوته التي أقامها في شباط سنة ١٩٨١م هذا المبدأ؛ فنصّت الفقرة الثانية من مقررات الندوة على ما يأتي: «وضع مصطلح واحد للمفهوم الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد»[٣]، ونصّت الفقرة الثالثة من تلك المقررات على ما يأتي: «تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي: مج (٢٤) – ص (١٠).

(٢) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث (مجموعة القرارات العلمية من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين): إخراج: محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقي أمين [القاهرة (مجمع اللغة العربية) ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م]: ص (١٤١).

(٣) مقدمة في علم المصطلح: د. علي القاسمي. [بغداد (دار الحرية للطباعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م (نشرته «الموسوعة الصغيرة» الصادرة عن دار الشؤون الثقافية والنشر).]: ص (١٠٨).

المختص على اللفظ المشترك»(٤). أما في الترادف فينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل لفظة، وتفضيل اللفظة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي أوضح من غيرها، وذلك ما أقرته الندوة المذكورة(٥).

لقد اتخذت اللغة العربية وسائل تضع بها المصطلح العلمي، أشهرها ما يأتي:

الوسيلة الأولى: النقل الدلالي: وهو وسيلة يلجأ إليها الواضع حين لا يجد اللفظ الدال دلالة مباشرة على المعنى المقصود فلابدّ قبل اللجوء إلى النقل الدلالي من البحث عن اللفظ العربي المعبّر تعبيراً مباشراً عن المراد بالمصطلح العلمي، فإذا لم يتيسر العثور على ذلك اللفظ تولى الواضع نقل المعنى اللغوي للفظ من الألفاظ إلى المعنى العلمي المطلوب؛ إذ يستعمل الواضع عندئذ ذلك اللفظ في غير دلالته الأصلية؛ أي في دلالة أخرى جديدة على أن تكون بين الدلالتين علاقة، مع قرينة تمنع من إرادة الدلالة الأصلية.

لقد أفاض علماء العربية في بيان العلاقة بين الدلالتين الأصلية والجديدة، وفصلوا القول في أوضاعها، وبيّنوا أن تلك العلاقة إما أن تكون المشابهة فالمجاز هنا «استعارة» وإما أن تكون غير المشابهة فالمجاز هنا

(٤) مقدمة في علم المصطلح: د. علي القاسمي. [بغداد (دار الحرية للطباعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م (نشرته «الموسوعة الصغيرة» الصادرة عن دار الشؤون الثقافية والنشر).]: ص (١٠٨).

(٥) مقدمة في علم المصطلح: ص (١١٠-١١١) في الفقرتين: (١٣)، و(١٥).

«مرسل» ويستطيع المعنيّ بوضع المصطلح العلمي في العربية الوقوف على تفصيلات تلك العلاقة وألوانها في مظانّها القديمة والحديثة ولاسيما في علم البيان من علوم البلاغة العربية، وفي علم الوضع من علوم الكلمة العربية. ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن العلاقة إن لم تكن المشابهة (المجاز بالاستعارة)، فإنها تنطوي على أنواع وألوان مختلفة (المجاز المرسل) منها السببيّة والمسبيّة والكلية والجزئية، والآلية والمحلية، واللازمية والملزومية والبدلية والمبدلية، والدلالية والمدلولية والمظهرية والضدية، وغير ذلك من العلاقات[٦].

إنّ تحقق أيّ من العلاقات بين الدّلالتين كاف للاصطلاح وعلى هذا سجلت ندوة الرباط المشار إليها آنفاً «ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشرط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي»[٧].

إن النقل الدلالي وسيلة وضعية حققت للعربية قديماً وحديثاً ثروة هائلة من المصطلحات العلمية، وقد أقبل واضعو المصطلحات العلمية العربية على هذه الوسيلة فأغنتهم بما عبّروا به عن مفاهيم العلم وثمار

---

(٦) ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي [القاهرة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي) ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م – ط (١)]: ص (١٦٨– فما بعدها)، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان: السيوطي [القاهرة (دار إحياء الكتب العربية د.ت]: ص (٩١ – فما بعدها).

(٧) مقدمة في علم المصطلح: ص (١٠٧).

الحضارة، ومن ذلك آلات ظهرت في العصر الحديث كالسيارة والقطار والهاتف والطيارة والدبابة والغواصة والباخرة والحافلة والشاحنة والمطبعة.. وغيرها الكثير الكثير. ولم يكن هذا النقل ليتم لو لم تتحقق العلاقة بين الدلالة الوضعية لكل من هذه الألفاظ والدلالة الاصطلاحية لها. فالدلالة الوضعية للقطار مثلاً هي مشهد الإبل حين يسير بعضها خلف بعض على نسق واحد. جاء في معجم «لسان العرب» لابن منظور (٧١١هـ) ما نصه: «القطار: أن تقطر الإبلُ بعضها إلى بعض على نسق واحد»(٨). ولذا صحّ في العصر الحديث إطلاق «القطار» على الآلة الحديثة للعلاقة القائمة بين الدلالتين (الأصلية والجديدة) وهي الشبه في الصورة المتمثلة بالتتابع على نسق واحد، وفي الغرض المتمثل بما تؤديه مجموعة الإبل تلك وما تؤديه الآلة الحديثة... وهكذا لابد من تحقق العلاقة في كل لفظ نقله واضع المصطلح العلمي العربي من دلالته الأولى إلى دلالته الجديدة؛ سواء أكانت تلك العلاقة المشابهة (المجاز بالاستعارة) أم إحدى علاقات المجاز المرسل.

الوسيلة الثانية: الاشتقاق: وهو أخذ كلمة من أخرى؛ فهو وسيلة في توليد الجديد من الكلمات. وقد عرفت العربية بأنها لغة اشتقاقية، ومن هنا بذل علماء هذه اللغة عنايتهم البالغة في استقراء أقيستها. وقد وجدوا أن من تلك الأقيسة ما يطرد ولا ينقطع، وأن منها ما ينقطع ولا يطرد.

---

(٨) لسان العرب: ابن منظور [بيروت (دار صادر) ١٣٧٥- ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٥-١٩٥٦م]: مادة «ق ط ر».

وهكذا غدا التوليد بالقياس الذي يطرد ولا ينقطع سبيلاً واسعاً إلى ابتكار الجديد من الألفاظ. فبمقتضى خضوع الحالة لهذا القياس – الذي يطرد ولا ينقطع – نستطيع استنباط مصدر الفعل، وفعل المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأسماء التفضيل، والزمان، والمكان، والآلة. ومن هنا أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قراراً بتكملة فروع المادة اللغوية التي لم تذكر المعجمات إلا بعض ألفاظها كالمصدر، أو الفعل، أو أحد المشتقات الأخرى(٩).

إنّ تسخير الأوزان القياسية في توليد المصطلحات العلمية في القديم، وفي الحديث، قد أثمر الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية، عبر التاريخ حتى الوقت الحاضر، كتلك التي ظهرت في العصر الحديث من مثل: المِحْصَد، والمِبْذر، والمُتْحف، والمَصرِف، والمِذْياع، والمِنظَار، وغيرها الكثير... وقد يكون هناك أكثر من وزن في الباب الاشتقاقي الواحد كما هو الحال في اسم الآلة مثلاً؛ إذ إن أوزانه من الفعل الثلاثي هي: «مِفْعَل»، و«مِفْعَلة»، و«مِفعْال». وقد أقرّ مجمع اللغة العربية

(٩) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث: ص (١٨- ٢٠). أشار المجمع في ختام قراره إلى أنه إن سمع عن العرب ما يخالف هذا القياس «عملنا بالمسموع فقط، أو عملنا بالمسموع أو القياس». ونرى، في هذه الحالة، الأخذ بالمسموع فقط؛ لأن السماع إذا ورد يبطل القياس. ينظر: حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث: د. محمد ضاري حمادي) [بغداد (دار الرشيد – بوزارة الثقافة والإعلام) ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م]: ص (٢٧٥).

بالقاهرة أن هذه الأوزان الثلاثة قياسية؛ فنصّ قراره على أنه «يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن «مِفْعَل»، و«مِفْعَلة»، و«مِفْعال»؛ للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء»[١٠]، وأوصى المجمع أن يكون ذلك عند غياب المسموع من أسماء الآلات؛ وهذا نصه: «ويوصي المجمع باتباع صيغ المسموع من أسماء الآلات فإذا لم يسمع وزن منها لفعل جاز أن يصاغ من أي وزن من الأوزان الثلاثة المتقدمة»[١١]. والحق أن أوزان المسموع من أسماء الآلة والأداة كثيرة، وقد استقرى الأستاذ محمد بهجة الأثري ذلك، وبيّن أن تلك الأوزان لا تنحصر في الثلاثة المذكورة؛ إذ منها: «فاعِل»، و«فاعِلة»، و«فَعول»، و«فَعيل»، و«فعيلة»، و«فاعول»، و«فعّالة»، وغيرها[١٢]، كما بيّن أن العرب اشتقت أسماءً للآلة والأداة من الفعل المتعدي واللازم، والثلاثي وغيره، ومن المصدر ومن اسم العين[١٣].

ومن الممكن الانتفاع من هذه الظاهرة في العربية، وذلك في تحقيق التمييز الدقيق بين مصطلح علمي وآخر في الحقل العلميّ الواحد. وقد

(١٠) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث: ص (٣٤).

(١١) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث: ص (٣٤).

(١٢) ينظر: حركة التعريب في العراق: د. أحمد مطلوب [بغداد (معهد البحوث والدراسات العربية - بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م]: ص (١٧٩- ١٨٢).

(١٣) ينظر: حركة التعريب في العراق: د. أحمد مطلوب [بغداد (معهد البحوث والدراسات العربية - بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م]: ص (١٧٩- ١٨٢).

أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قراراً في هذا المجال، وهو التمييز بين المصطلحات العلمية بتخصيص كل وزن من أوزان الآلة الثلاثة بحالة معينة، وهذا نصه: «تلتزم صيغة واحدة تجري عليها كلمات الجنس الواحد، فما يراد به الكشف وضعنا له صيغة «مفعال» Seope ، وما يراد به القياس وضعنا له صيغة «مِفْعَل» Meter وما يراد به الرسم وضعنا له صيغة «مِفْعَلة» Graph»[١٤]. ومن الباحثين من يرى في هذا المنحى تقييداً ثقيلاً لواضع المصطلح؛ فقال مصطفى الشهابي: «وأعتقد أن هذا القرار يقيد المجمع ولجانه وسائر واضعي المصطلحات بقيد ثقيل. ومع هذا قرأت أخيراً مقالاً لأحد أعضاء المجمع يقول فيه إن المجمع عدل عن قائمة المصطلحات التي كان وضعها على أساس هذه القواعد الثلاث»[١٥]. والذي يراه هذا البحث هنا أن هذا القرار قد رسم القواعد بوضوح لا لبس معه ولا صعوبة، فما يراد به الكشف فله صيغة، وما يراد به القياس فله صيغة أخرى، وما يراد به الرسم فله صيغة ثالثة؛ فالأمر ميسور، والطريق محدد. أما فائدة ذلك فهو التخصيص المميِّز، وهو ما اتفق واضعو المصطلحات العلمية ومستعملوها على أهميته والحاجة إليه.

ومن الباحثين من يعد النحت – وهو توليد كلمة من كلمتين أو أكثر، بعد تهذيب فيهما وتشذيب – مسلكاً من مسالك الاشتقاق المفضي

---

(١٤) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث: ص (٧٠).

(١٥) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث: مصطفى الشهابي [دمشق (مطبعة الترقي) ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م – ط٢]: ص (٧٦).

إلى توليد الألفاظ الجديدة على نحو ما قال الأقدمون «عبشميّ» نسبة إلى «عبد شمس». وقد أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارين في شأنه الأول مقتضب والثاني فيه تفصيل، ونصّ الأول هو: «يجوز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية»[١٦]، أما نصّ الثاني فهو: «النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة قديماً وحديثاً. ولم يُلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات، ولا موافقة الحركات والسكنات وقد وردت من هذا النوع كثرة تجيز قياسيته، ومن ثم يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصلي من الحروف دون الزوائد. فإن كان المنحوت اسماً اشترط أن يكون على وزن عربي، والوصف منه بإضافة ياء النسب، وإن كان فعلاً كان على وزن «فَعْلَل» أو «تَفَعْلَل»، إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة، وذلك جرياً على ما ورد من الكلمات المنحوتة»[١٧].

والذي يراه هذا البحث أن النحت وسيلة يلجأ إليها واضع المصطلح العلمي في العربية إذا تعذر عليه الوضع بالوسائل اللغوية العربية وهي:

أولاً- الترجمة المباشرة.

ثانياً- الترجمة المجازية (النقل الدلالي). وقد مرّ بنا آنفاً الكلام على هذين الأمرين في فقرة واحدة هي «النقل الدلالي»؛ لأن النقل هذا لا

---

(١٦) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث: ص (٩).

(١٧) كتاب في أصول اللغة: إخراج: محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقي أمين [القاهرة (مجمع اللغة العربية) ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م]: ص (٤٩).

يُلجأ إليه إلا إذا تعذرت الترجمة المباشرة.

ثالثاً– الاشتقاق القياسي الذي مضى عرضه في هذا البحث. وعليه، كان يلزم فيما يرى هذا البحث أن يشار في قراريْ مجمع اللغة العربية بالقاهرة المذكورين إلى مرتبة النحت في وسائل وضع المصطلح العلمي في العربية، وأنه يشغل هذه المرتبة المتأخرة؛ فلا يجوز اللجوء إليه قبل الترجمة (بنوعيها المباشر والمجازي)، والاشتقاق. هذا إلى أن أمراً آخر كان يلزم الإشارة إليه في موضوع النحت في العربية، وهو موافقة الكلمة المولدة بطريقة النحت للذوق العربي، ولجرس الكلمة العربية ونسيجها الصوتي. ولقد قلت في بحثي «النحت في العربية واستخدامه في المصطلحات العلمية» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٠م ما نصه: «ولا جدال في لزوم أن يكون النحت على وفق ما عرفته اللغة العربية في الماضي من مراعاة أوزان الكلمة، وحسن نسيجها الصوتي، وموافقتها الذوق وحظوتها عند الناس، بالاستساغة والقبول»[١٨]. ذلك أن النحت إلصاق، وأن العربية لغة اشتقاقية؛ فلا بد من تحقق الشروط المذكورة في الكلمة المنحوتة، ومن الأولى أن نعبِّر عن المصطلح المطلوب بأكثر من كلمة واحدة على أن نعبِّر عنه بكلمة منحوتة تفتقر إلى أي شرط مما تقدم من تلك الشروط.

إن الاشتقاق مسلك لغوي دقيق يقتضي التأني والإتقان، وإن ما مضى من الكلام فيه إنما يخص ذلك الاشتقاق الذي يطرد قياسه ولا

(١٨) مجلة المجمع العلمي العراقي: مج (٣١) – ج (٢) – ص (١٨٧).

ينقطع؛ فهو السبيل إلى التوليد الصحيح للكلمة السليمة مبنى ومعنى. أما الاشتقاق الذي لا يطّرد قياسه بل ينقطع فلا يصح أن يكون قاعدة تسلك في ذلك التوليد، وإلا ظهرت كلمات غريبة على الذوق، غريبة على السمع والنطق.

الوسيلة الثالثة: الاقتراض اللغوي: وهو أن تأخذ لغة من لغة أخرى، وذلك عام في اللغات. قال الدكتور علي القاسمي في كتابه: «مقدمة في علم المصطلح»: «وهي عملية عرفتها اللغات عموماً حينما يعمد الناطقون بلغة ما إلى استعارة ألفاظ من لغة أخرى عندما تدعو الحاجة إلى ذلك»[١٩]. ومن الحق القول بأن فتح هذا الباب على مصراعيه من دون شرط أو ضابط يفضي في آخر المطاف إلى إغراق اللغة المقترضة في بحر الدخيل. وقد استنبط علماء اللغة العربية مما فعَله الفصحاء ضوابط في هذا الباب، أظهرها أن الاقتراض إنما يكون عند الضرورة الملجئة؛ وهي ألا يعثر من يروم وضع المصطلح العلمي على ما يؤديه من الكلمات العربية، ثم يتعذر عليه توليد الكلمة العربية بالنقل الدلالي، أو بالاشتقاق القياسي، أو بالنحت، بمقتضى ما مرّ في هذا البحث من لوازم هذه الوسائل وشروطها، فعند ذلك يلجأ إلى الاقتراض اللغوي؛ حتى إذا تقرر ذلك لزم إخضاع اللفظة المقترضة لمنهج التعريب. وبهذا نصّ قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو: «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ

---

(١٩) مقدمة في علم المصطلح: ص (١٠٠).

الأعجمية – عند الضرورة – على طريقة العرب في تعريبهم»[٢٠]. فما منهج التعريب الذي اختطّه الفصحاء، والذي يلزم أن نسير عليه؟ إن ذلك المنهج يقوم على أمرين جوهريين أولهما واجب ملزم، والثاني جائز لا واجب. أما الأول فيخص الصوت وأما الثاني فيخص البناء؛ وعلى النحو الآتي بيانه:

الأول – ما يخصّ الصوت: إن الكلمة الأجنبية التي يراد اقتراضها وإدخالها متن اللغة العربية عند الضرورة الملجئة التي أشير إليها آنفاً، إمّا أن تكون حروفها من حروف العربية نفسها؛ أي ليس فيها صوت من غير أصوات العربية، وإما أن تكون حروفها من غير حروف العربية، وإما أن تشتمل على النوعين معاً. وخلاصة هذا أن الكلمة الأجنبية إما أن تشتمل على صوت لا وجود له في العربية، وإما ألاّ تشتمل على ذلك. فإن هي اشتملت على ذلك الصوت الأجنبي كان الواجب هنا تغيير ذلك الصوت إلى صوت عربي، وهذا أمر واجب نصّ على ذلك علماء اللغة العربية في القديم. جاء في كتاب سيبويه ما نصه: «اعلم أنهم يغيّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة» [٢١]. وفيه أيضاً: «فالبدل مطّرد في كل حرف ليس من حروفهم؛ يبدل منه ما قرب منه من حروف

(٢٠) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث: ص (٨٣).

(٢١) كتاب سيبويه [تحـ: عبد السلام محمد هارون. القاهرة (الهيئة العامة المصرية للكتاب) ١٣٨٥- ١٣٩٧هـ/ ١٩٦٦- ١٩٧٧م]: ٤/ ٣٠٣، ٤/ ٣٠٦.

الأعجمية»[٢٢]. وهكذا، كان الفصحاء يغيرون أي صوت غير عربي؛ فلزم الاقتداء بهم والأخذ بمنهجهم. قال الجواليقي: «والإبدال لازم؛ لئلا يدخلوا في كلامهم ما ليس من حروفهم»[٢٣]. وعلى هذا يكون ما قرره مجمع اللغة العربية بالقاهرة من كتابة الأعلام الأجنبية بحسب نطقها في لغاتها الأصلية إدخالاً للأصوات غير العربية في اللغة العربية[٢٤]، وذلك مناقض لمنهج الفصحاء في التعريب، على ما تقدم بيانه آنفاً مع أن المجمع نفسه قد نصّ في قراره في التعريب على أن اللفظ الأجنبي الذي يجيزه المجمع عند الضرورة يستعمل «على طريقة العرب في تعريبهم»، على ما تقدم[٢٥].

وقد تشتمل الكلمة الأجنبية على صوت عربي؛ فإذا أدخلت في العربية غُيِّر ذلك الصوت العربي إلى صوت عربي آخر. قال الجواليقي: «وليس في كلامهم زاي بعد دال إلا دخيل. من ذلك الهنداز، والمهندز. وأبدلوا الزاي سيناً، فقالوا: (المهندس)»[٢٦]. على أن ذلك لا يتحتم في كل

---

(٢٢) كتاب سيبويه [تحـ: عبد السلام محمد هارون. القاهرة (الهيئة العامة المصرية للكتاب) ١٣٨٥- ١٣٩٧هـ/ ١٩٦٦- ١٩٧٧م]: ٤/ ٣٠٣، ٤/ ٣٠٦.

(٢٣) المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم: الجواليقي [تحـ: أحمد محمد شاكر. القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م - ط٢]: ص (٥٤).

(٢٤) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: القسم الثالث: ص (٩٥ - فما بعدها).

(٢٥) ينظر: الهامش العشرون.

(٢٦) المعرب: ص (٥٩).

حال؛ ومثاله أنه «ليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء؛ فإذا مرّ بك ذلك فاعلم أن ذلك الاسم معرَّب؛ نحو: نرجس، ونرس...»[٢٧]، وهكذا تركها الفصحاء على حالها، فلم يبدلوا صوتاً من صوت. يقول سيبويه في هذا: «وأما ما لا يطّرد فيه البدل فالحرف الذي هو من حروف العرب»[٢٨].

يتضح، إذن، أن الإبدال الصوتي في هذا الباب على نوعين؛ أحدهما مطّرد، وهو الذي يخص ما تخلو منه العربية من الأصوات التي في اللغات الأخرى. والآخر غير مطّرد، وهو الذي يخص ما في العربية من الأصوات التي في اللغات الأخرى. يقول الخفاجي: «والحروف المبدلة عشرة: خمسة يطّرد إبدالها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء مما ليس في كلامهم، وهي المخلوطة. وخمسة لا تطرد وهي السين والشين والعين واللام والراء، وكل حرف وافق الحروف العربية. والحاء قد تبدل من الخاء كما في حبّ، وخبّ، وهذا كله أغلبيّ»[٢٩].

الثاني – ما يخص البناء: من الكلمات الأجنبية ما يوافق بناؤه بناء الكلمة العربية، ومنها ما لا يوافق. أما الأول فلا إشكال فيه؛ إذ هو باق

---

(٢٧) المعرب: ص (٥٩).

(٢٨) كتاب سيبويه: ٤/ ٣٠٦.

(٢٩) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من المعرب والدخيل: الخفاجي [تحـ: محمد عبد المنعم خفاجي. القاهرة (المطبعة المنيرية) ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م – ط١]: ص(٢٥).

على بنائه، وأما الثاني فإن الفصحاء قد يخضعونه لبناء الكلمة العربية، وقد لا يخضعونه. قال سيبويه: «فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه»[٣٠]. وواضح أن هذا الإلحاق يقتضي تغييراً في البنية اللغوية، من الزيادة والحذف وغيرهما، ولكن الفصحاء قد يفعلون ذلك فيما لم يلحقوه ببناء كلامهم أيضاً. وقد يتركون الكلمة الأجنبية على حالها، سواء أعلى بنائهم كانت أم لم تكن؛ وذلك إذا كانت تلك الكلمة ذات حروف من حروفهم[٣١].

وقد بيّن سيبويه أن الفصحاء حين يُلحقون إنما يفعلون ذلك على غرار إلحاقهم كلمة عربية ببناء كلمة عربية أخرى، على ما هو معروف في علم الصرف العربي، فقال: «لمّا أرادوا أن يعرّبوه ألحقوه ببناء كلامهم، كما يلحقون الحروف بالحروف العربية»[٣٢]. وعليه، يحاول المعرِّب إلحاق الكلمة الأجنبية ببناء الكلمة العربية، فإن تعذر ذلك حاول جعلها على بناء يقارب بناء الكلمة العربية، فإن تعذر ذلك تركها على هيئتها الأصلية[٣٣].

(٣٠) كتاب سيبويه: ٤/ ٣٠٣، ٤/ ٣٠٤، ٤/ ٣٠٤.

(٣١) كتاب سيبويه: ٤/ ٣٠٣، ٤/ ٣٠٤، ٤/ ٣٠٤.

(٣٢) كتاب سيبويه: ٤/ ٣٠٣، ٤/ ٣٠٤، ٤/ ٣٠٤.

(٣٣) اصطلح مجمع اللغة العربية بالقاهرة على ما جاء من المعرب في معجمه الوسيط بالرمز (مع)، ويدل على «اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص، أو الزيادة، أو القلب» واصطلح على ما جاء من الدخيل في المعجم المذكور بالرمز (د)، ويدل على «اللفظ الأجنبي الذي دخل العربية دون تغيير». ينظر:

لقد واجهت العربية قضية المصطلح العلمي، عبر التاريخ، مواجهة برهنت فيها على قدرتها العالية في توليد الألفاظ المعبرة عن المعاني الجديدة وفي نقل دلالات الألفاظ إلى ما يبتغيه المصطلح العلمي، وفي اعتماد منهج علمي دقيق في الاقتراض اللغوي. وقد شهد العصر الحديث وضع ثروة هائلة من المصطلحات العلمية العربية بالوسائل نفسها؛ تلك التي وضع بها علماؤنا الماضون مصطلحات العلوم والفنون والآداب.

إن اللغة العربية مستمرة بهذه المواجهة وسط موجات المصطلح العلمي الحديث، وسيوله الدّفّاقة؛ ذلك أن للعربية مناهجها الراسخة، وقدراتها الكاملة، وطاقاتها الكامنة، التي تجعلها وافية بما يراد منها، معبِّرة، مصوِّرة في العصر الحديث، وفي العصور اللاحقة.

المعجم الوسيط: إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرين. [القاهرة (مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠- ١٣٨١هـ/ ١٩٦٠ - ١٩٦١م]: ص (١٤) من التقديم.

مبادئ يركز عليها

عند

وضع المصطلح العلمي العربي

د . عبد الحليم سويدان

هذه المبادئ مستمدة من «المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها» التي وردت في ندوة الرباط ١٨ - ٢٠ شباط ١٩٨١، ومن تقرير لجنة الصياغة عن نتائج أعمال ندوة عمان ٦ - ٩ أيلول ١٩٩٢ عن «تطوير منهجية وضع المصطلحات العربية وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته»، ومما جاء في مؤتمر التعريب السابع في الخرطوم (٢٥ / ١ - ١ / ٢ / ١٩٩٤) عن منهجية وضع المصطلحات العلمية.

١ - عندما ينقل مصطلح علمي من الأجنبية إلى العربية يبدأ بإثبات معنى أصله في اليونانية أو اللاتينية أو في غيرهما ثم يوضع المقابل العربي ويعطى عنه تعريف موجز:

مثال : Homogametic من اليونانية homos ومعناها مماثل و gamos ومعناها زواج أو عرس ويكون المصطلح العربي: متماثل

الأعراس أو الأمشاج، ويطلق على الجنس (الذكر أو الأنثى) الذي لا يعطي إلا نوعاً واحداً من الخلايا التناسلية (فيما يتصل بالصبغيين الجنسيين X و y) وعكسه: متخالف الأعراس أو الأمشاج Heterogametic ويطلق على الجنس الذي يعطي نوعين مختلفين من الأعراس أو الأمشاج (فيما يتعلق بالصبغيين الجنسيين).

٢ ـ تفضيل مصطلح واحد للمعنى العلمي الواحد في الحقل الواحد.

٣ ـ تفضيل الكلمة التي تتيح الاشتقاق على التي لاتتيحه.

٤ تفضيل الكلمة المفردة لأنها تتيح الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع.

٥ ـ يفضل في حال المترادفات أو الكلمات القريبة من الترادف أقرب الألفاظ صلة بالمعنى المقصود.

٦ ـ الرجوع إلى كتب التراث العلمية واستنباط مافيها من مفردات تصلح لأن تكون مصطلحات علمية.

٧ ـ الحرص على استعمال ما جاء في التراث العربي من مصطلحات عربية أو معربة. وتفضيل المصطلحات التراثية على المولدة.

٨ ـ تفضيل الكلمة الشائعة الصحيحة على الكلمة المتروكة أو الغريبة.

٩ ـ تفضيل الكلمات العربية الفصيحة على الكلمات المعربة إلا إذا اشتهر المعرب، وتجنب النافر من الألفاظ.

١٠ ـ تجنب الكلمات العامية إلا عند الضرورة ويفضل في هذه الحالة أن تكون شائعة في أكثر من قطر عربي، وأن يشار إلى عاميتها بوضعها بين قوسين.

١١ ـ مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم معربة كانت أو مترجمة.

١٢ ـ التعريب عند الحاجة ولاسيما المصطلحات ذات الصبغة العالمية، وأسماء الأعلام المستعملة مصطلحات، والعناصر والمركبات الكيمياوية.

١٣ ـ مسايرة النهج الدولي في اختبار المصطلحات العلمية وذلك باعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات واستكمالها وتعريفها وترتيبها بحسب حقولها وفروعها.

١٤ ـ عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها. ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات المعاني المتقاربة أو المتشابهة الدلالة وتعالج كلها مجموعة واحدة.

١٥ ـ عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى مايأتي:

ـ ترجيح ما يسهل نطقه بالعربية من الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

ـ التغيير في شكل اللفظ لكي يصبح مستساغاً وموافقاً للصيغ العربية شريطة أن لا يؤدي هذا التغيير إلى وضع كلمات يكون لها بالعربية معانٍ محددة غير المعنى المقصود.

- يعد المصطلح المعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه عند الضرورة الاشتقاق والنحت.

- تصحيح الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

- ضبط الكلمات عامةً والمعرب منها خاصةً بالشكل حرصاً على صحة نطقها.

منهج مقترح

لوضع المصطلح العلمي العربي بمساعدة الحاسوب

د. عماد الصابوني

١ مقدمة

تعاني اللغة العربية اليوم من نقص حقيقي في المصطلحات العلمية والفنية*. ويبدو هذا النقص أوضح ما يبدو في مجال التقانة التي تُستحدث فيها مصطلحات اختصاصية كل يوم. وغني عن البيان أن هذا النقص يؤدي إلى إبطاء إيقاع التنمية في البلدان الناطقة بالعربية؛ فإذا كانت التنمية تعني الاطراد في اكتساب المعارف وتمثّل التقانات، فإن ذلك لا يكون، كما هو معروف، إلا بتجاوز الحاجز اللغوي من أجل إيصال المعرفة باللغة الأم إلى كافة فئات المجتمع.

نقلُ العلم والتقانة إلى اللغة العربية هو إذن أولوية أولى. وقد تنبه

* استعدنا في هذه الورقة –مع تصرّف يسير– كثيراً من الفقرات التي وردت في: «نحو آلية منهجية في توليد المصطلح العربي – مقاربة أوليّة»، د. *عماد الصابوني* ود. *إياد سيد درويش*؛ ورقة عمل مقدَّمة في الاجتماع الحادي عشر للجنة تنسيق استعمال اللغة العربية في تقنية المعلومات TC-٨ (المنظّمة العربية للصناعة والتعدين/مركز المواصفات العربي)، دمشق ١٧-١٩/١١/١٩٩٨.

الباحثون -اللغويون منهم والعلميون- إلى هذه القضية منذ أواخر القرن الماضي، فبُذلت جهود كبيرة في ترجمة المصطلحات وتعريبها وفي تصنيف المعجمات والمسارد. ونجحت تلك الجهود في «تطويع» اللغة العربية واستعمالها الناجع في التعليم المدرسي والدرجات الأولى من التعليم الجامعي، في الكثير من البلدان العربية. ولكن المشكلة تبدو من جديد، بكل حدتها، في الدرجات الجامعية العليا وفي الدراسات الاختصاصية، وفيما تثمر من أبحاث هي في الحقيقة عصب التقدم العلمي الحديث.

الإشكالية هنا ذات وجهين: يتجلى الوجه الأول في عدم وجود ألفاظ عربية كافية تقابل الفيض الهائل من المصطلحات التقنية الاختصاصية التي يتزايد عددها يوماً بعد يوم. وينتج من هذا اعتماد اللفظة العربية نفسها أحياناً لمقابلة أكثر من مصطلح أجنبي، مع ما يؤدي إليه ذلك من لبس وإبهام في فهم المعنى. أما الوجه الثاني فيتجلى في اقتراح لفظة عربية معينة لمقابلة مصطلح ما اقتراحاً «متعجلاً» في بعض الأحيان، في حين كان من الأجدى استخدامها لمقابلة مصطلح آخر. وسنأتي في سياق هذا البحث ببعض الأمثلة التوضيحية.

إن ورقة العمل هذه لا تطمح إلى إعطاء حل «جاهز» لمشكلة إيجاد المصطلح العلمي العربي، بل الهدف منها إيجاد آلية منهجية قياسية لمعالجة المشكلة المذكورة آنفاً، بحيث تكون قابلة للـ «حوسبة» وتسمح بإنشاء بيئة معلوماتية تساعد الباحث على اختيار المصطلح المناسب.

٢ في المصطلح

يمكننا تعريف المصطلح بأنه «لفظ يؤدي معنى دقيقاً يكتسب دلالته من المنطق الداخلي للعلم الذي ينتمي إليه». ولا شك في أن المصطلح يستمد معناه اللغوي من جذر اللفظ، إلا أن له دلالة محددة بدقة أكبر من المعنى اللغوي الواسع، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمجاله العلمي. مثلاً: المعنى اللغوي الواسع لكلمة Pin الإنكليزية يشمل الوتد والدبوس والمسمار، في حين أن معناها في الإلكترونيات يدل حصراً على أرجل (أو «مغارز») الدارات المتكاملة. وهكذا فإن الصبغة العلمية للمصطلحات تعطيها تعريفاً دقيقاً يعبر عن ذات أو مفهوم محدد تعبيراً يزيل أي لبس أو إبهام.

سنطلق فيما يلي اسم حقل المصطلح الدلالي على مجموعة المفردات التي تشترك مع ذلك المصطلح في الدلالة على ذوات أو معان أو مفاهيم أو أجهزة يربطها ربطاً مباشراً ووثيقاً قاسم مشترك في مجال علمي محدد (مثلاً: Hardware, Software, Computer, Data, Processor الخ...). وبالطبع، فإن الحقل الدلالي لمصطلح ما يمكن أن يتسع أو يضيق تبعاً للقاسم المشترك المعتمد. وسنعطي لاحقاً طريقة أولية لتوليد الحقول الدلالية.

صياغة المصطلح

إيجاد المصطلح العلمي العربي الأنسب المقابل للمصطلح الأجنبي ليس بالأمر الهيّن، خاصة وأن التطور الكبير في المجالات العلمية والتقنية الذي يشهده العالم منذ عدة عقود قد أدى إلى توليد عدد هائل من المصطلحات الموافقة لمفاهيم وتجهيزات مستجدة. وقد تمكنت اللغات الأوروبية من وضع مصطلحات جديدة بالاعتماد على آلياتها الصرفية

الخاصة (باستخدام البادئات واللاحقات مثلاً)، واستفادت من العديد من الجذور اليونانية واللاتينية. من جهة أخرى، يجب ألا ننسى أن مخترع الجهاز أو واضع المفهوم له دائماً الأسبقية في اختيار المصطلح، مثلاً 'الجبر' نُقل بلفظه العربي إلى اللغات الأوربية ليصبح Algebra في الإنكليزية، في حين ما تزال هناك صعوبات في ترجمة كلمة Design الإنكليزية إلى اللغة الفرنسية بالرغم من التشابه الكبير بين المصطلحات العلمية في اللغتين.

ويمكن أن نشير هنا إشارة سريعة إلى الطرق الشائعة في إيجاد المصطلح العربي:

استعمال المقابل اللغوي المباشر: أي اعتماد اللفظ الشائع للتعبير عن معنى المصطلح. هذه هي أبسط الطرق المستعملة في الترجمة. ولكنها تؤدي أحياناً إلى التباس سببه اتساع المعنى اللغوي للفظ في مقابل دقة المصطلح العلمي من جهة، ووجود المرادفات المتعددة من جهة أخرى. مثلاً: هل «أثر/تأثير» هو Effect أم Trace أم Influence أم Impact؟ وهل «معيار» هو Standard أم Criterion أم Gauge؟ وهل «مقياس» هو Standard أم Scale أم Measure أم لفظة تنتهي باللاحقة -meter؟ وهل «قياس» هو Measurement أم Size أم Analogy أم Syllogism؟

توليد مصطلح مستحدث: ويجري ذلك باستخدام الآليات الصرفية المعروفة من اشتقاق وتركيب وإضافة ونحت ومزج واختصار... في الحالة العامة، نقوم غالباً باعتماد وزن عربي معروف لتوليد المصطلح انطلاقاً من جذر الكلمة المقابلة لغوياً. هذا ما حدث مثلاً في ترجمة

Computer: أولاً تُرجمت To Compute لغوياً إلى «حسب»، ثم اعتُمد وزن «فاعول» (اسم آلة مُتَضَمَّن فيه معنى المبالغة) لتوليد مصطلح «حاسوب».

تعريب المصطلح: أي اعتماد الكلمة الأجنبية بلفظها مع مراعاة القوانين الصوتية والأوزان الصرفية العربية. مثلاً تعريب كلمة Geography إلى «جغرافيا»، أو تعريب كلمة Machine إلى «مكنة» (أو «ماكينة» أو «ماكنة») [1] عوضاً عن «آلة».

تقابل المصطلحات

إن إيجاد المصطلح العربي بالاعتماد على المعنى الدلالي للتعبير الأجنبي فقط يؤدي في كثير من الأحيان إلى التباس في الترجمة ناتج عن مقابلة كلمة واحدة عربية لعدد من الكلمات الأجنبية. فعلى سبيل المثال، تُقابل كلمة «نقْل» عدة كلمات إنكليزية مثل Transport و Transfer و Transmission التي لكل منها، في مجال الاتصالات، معنى خاص يميزها عن غيرها؛ كما تستعمل كلمة «مدير» في مقابل الكلمات Director و Manager و Administrator. وعلى العكس، نجد في بعض الأحيان عدة مقابلات عربية لكلمة أجنبية واحدة. مثلاً كلمة Focal تترجم إما إلى «محرق» أو إلى «بؤرة»، وكلمة Modulation تترجم إما إلى «تعديل» أو إلى «تضمين». ولا تختلف هذه التقابلات المتعددة بين المصطلحات باختلاف المعجم المعتمد فحسب، بل إن المعجم الواحد

(١) انطلاقاً من النطق الإيطالي للكلمة.

كثيراً ما يعطي عدة ترجمات للكلمة نفسها.

ولما كانت اللغة العلمية دقيقة، ولكل كلمة فيها معناها ومدلولها الخاصين اللذين لا تشارك بهما كلمة أخرى، فإن الترجمة ضمن الحقل الدلالي الواحد يجب أن تكون على شكل مصطلح لمصطلح قدر المستطاع. وكما ذكرنا سابقاً، فإن اعتماد كلمة في مجال علمي ما، إنما هو تحديد وتضييق لمدى دلالتها الأصلية؛ وهكذا يجب اعتماد عملية التحديد نفسها هذه في اللغة العربية. ففي حال وجود عدة ترجمات عربية للمصطلح الأجنبي نفسه، يجب اختيار الأقرب دلالة تاركين بقية الكلمات الممكنة لمصطلحات أخرى من الحقل الدلالي نفسه. من هنا تبرز أهمية عدم التعجل في اختيار الكلمة العربية المقابلة للتأكد من أن اللفظة المختارة ليست أكثر ملاءمة لمصطلح آخر، ولتجنب التكرار في تقابل المصطلحات. هذا هو جوهر الآلية التي سنقترحها في القسم التالي من البحث.

هذا ويجب عند اختيار المصطلح مراعاة القضايا التالية ما أمكن:

صحة اللغة: إذ يجب ألا ننسى أن الأساس في الترجمة هو ملاءمة المصطلح لقواعد اللغة المنقول إليها.

الشيوع: يسهّل اعتماد المصطلحات الشائعة من تداولها. والشيوع ذو وجهين: الأول محاولة اعتماد الشائع من الألفاظ على ألسنة الناس؛

والثاني توخي الشيوع عند توليد مصطلح جديد[٢]. ومن الضروري بذل الجهد اللازم لـ «توحيد الشائع» بين مختلف الأقطار العربية في حال وجود خلافات.

الإيحاء بالمعنى: ينبغي استنباط المفردات التي تعطي لسامعها فكرة عن دلالتها. مثلاً مصطلح «إنسالي» (نحت من عبارة «إنسان آلي») في مقابل Robot غير صالح، لأنه من جهة يوحي بالـ «إنسال» (من الجذر «نسل»!)، ولأن الـ «رَبوط» من جهة أخرى ليس أبداً إنساناً آلياً.

السهولة: إن اعتماد بعض المصطلحات الغريبة أو المعقدة لغوياً أو الثقيلة على السمع قد يفقدها دلالتها لغير المتعمقين باللغة العربية (وهم غالبية العاملين في المجالات العلمية والتقنية). عندئذ يصبح المصطلح العربي أصعب استعمالاً من المصطلح الأجنبي[٣]. مثلاً، لم تلق لفظة «ناسوخ» في مقابل Fax رواجاً[٤]، وبقيت تستخدم في اللغة المنطوقة والمكتوبة لفظة «فاكس» المعرّبة على الرغم من أنها غير مصوغة على وزن عربي معروف[٥].

الدقة: وخاصة فيما يتعلق بالمصطلحات التي يقتصر استعمالها على المختصين، حتى وإن أدى ذلك إلى بعض «الغريب» أو إلى عدم الإيحاء.

(٢) المثال التقليدي الذي يُتندر به هنا هو 'الشاطر والمشطور والكامخ بينهما' في مقابل Sandwich!

(٣) هذا الأمر صحيح بوجه خاص من أجل المصطلحات المتداولة أو غير التخصصية.

(٤) ربما لأنها توحي بـ «التناسخ» أكثر من الـ «نسخ»... وتوحي أيضاً بـ «الناسوت واللاهوت»!

(٥) لذلك يفضّل عليها الرسم «فَكْس» على وزن «فَعْل».

المباشر بالمعنى (مثل «مكنز» في مقابل Thesaurus).

٣ في آلية توليد المصطلح

رأينا أن المشكلة الأساسية التي تعترض واضع المصطلح هي ضرورة اختيار لفظ يؤدي المعنى بدقة ومن دون إبهام، بحيث يتقابل على شكل واحد لواحد مع المصطلح الأجنبي. إذن، من أجل إيجاد آلية منهجية لتوليد المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية، يجب التفكير في المسألة على نحو «شمولي». ويجري ذلك بفحصٍ كاملِ حقل المصطلح الدلالي قبل اختيار اللفظ المقابل. والحقل الدلالي كما نعرّفه هنا يتكون من شقين:

(١) الشق الأجنبي: ويحوي كل المصطلحات الأجنبية المرتبطة بالمصطلح المدروس والمستعملة في مجال استخدامه، سواء أكان هذا الارتباط تشابهاً أم ترادفاً أم تضاداً. ويجب اعتبار الأبنية الصرفية كافة (ذات المعنى) التي تشترك في جذرها اللغوي مع المصطلح المدروس وإدراجها في الحقل الدلالي. مثلاً: من أجل إيجاد مقابل لكلمة Compiler يجب التفكير في الوقت نفسه في To Compile و Compilation ، الخ... لأننا قد نجد مقابلاً لـ Compiler يبدو مقبولاً (مثلاً «ترجمان» المقترحة عوضاً عن «مترجم» ذات المعنى الأوسع) دون إمكان إيجاد مقابل لـ To Compile و Compilation. نسمي تلك المجموعة من الأبنية الصرفية ذات الجذر المشترك صفاً دلالياً داخل الحقل.

(٢) الشق العربي: ويحوي الجذور العربية الممكن استخدامها لمقابلة المصطلحات الأجنبية في الشق الأول. من هذه الجذور تُستخرج المشتقات المختلفة:

- الأفعال المزيدة بكل أوزانها؛

مصادر الأفعال بصورها المختلفة (بما فيها المصدر الميمي والمصادر الصناعية)؛

- الأسماء المشتقة: أسماء الفاعل والمفعول والصفات المشبّهة مع صيغ مبالغتها؛ وأسماء المرّة والهيئة؛ وأسماء الزمان والمكان؛ وأسماء الآلة؛ ...

يتحدد الحقل الدلالي للمصطلح وفق المجال التطبيقي الواحد (مثل المعلوماتية أو الإلكترونيات أو الميكانيك). ويمكن تعريف مجموعة من التقاطعات بين حقول المصطلح الدلالية في مجالات مختلفة، فكلمة Machine مثلاً مشتركة في حقلين دلاليين هما المعلوماتية والميكانيك. يعرف هذا الاشتراك حينئذ تقاطعاً بين الحقلين الدلاليين، ويمكّن الباحث من تقرير اعتماد ترجمة واحدة للمصطلح المشترك أو اعتماد ترجمة مختلفة في كل حقل دلالي على حدة.

تكوين الحقل الدلالي

لنأخذ أولاً مثالاً تطبيقياً – مبسَّطاً- يعيننا على استنباط سيرورة تكوين الحقول الدلالية.

نريد إيجاد مقابل عربي للمصطلح الإنكليزي (.Standard (n:

•نوجد أولاً الصف الدلالي للمصطلح، وهو:

{Standard (a.), Standard (n.), Standardize (v.), Standardization (n.)}
(a. = adjective; n. = noun; v. = verb.)

•ثمة مقابلان عربيان معروفان لـ Standard (a.) هما: 'قياسي' و 'معياري':

➢من 'معياري' نجد المقابلات التالية:

Standard (a.) = 'معياري'; Standard (n.) = 'معيار';

Standardize (v.) = 'عيَّر' | 'عاير'; Standardization (n.) = 'تعيير' | 'معايرة'.

(حيث | تعني الخَيار.)

ولكن 'عيَّرَ تعييراً' و 'عايرَ معايرةً' مستقرَّة فيها معانٍ أخرى مختلفة، وهي – من ثَمّ– لا تصلح. يبقى أمامنا خيار أخير: ابتكار فعل من ملحقات الرباعي هو 'مَعْيَرَ مَعْيَرَةً' ووضع:

Standard (a.) = 'معياري'; Standard (n.) = 'معيار';

Standardize (v.) = 'مَعيَر'; Standardization (n.) = 'مَعيَرَة'.

مزية هذا الحل أن 'معياري' معتمدة في بعض معاني Standard (a.) (كما في 'الانحراف المعياري' في مقابل Standard Deviation)؛ أما عيوبه فهي اضطرارنا إلى ابتكار فعل غير مألوف، إضافة إلى أن لفظة 'معيار' مستقرة في مقابل Criterion/Criteria، وهذا يودي إلى لبس في المعنى.

من 'قياسي' نجد المقابلات التالية:

Standard (a.) = 'قياسي'; Standard (n.) = 'قياس' | 'مقياس';

Standardize (v.) = 'قاس' | 'اقتاس' | 'قيَّس' | 'قايس';

Standardization (n.) = 'قياس' | 'اقتياس' | 'تقييس' | 'مقايسة'.

في هذا الحل، «قاس قياساً» مستخدمة في أداء معنى مستقر: قياس الطول أو الحجم أو غيره... وكذا: القياس الفقهي أو النحوي (هذا المعنى الأخير يقترب من المعنى المراد ترجمته، ولكن لا يطابقه كما

سنرى)، وكذلك تُقابِل فيه لفظةُ «قياس» لفظتي Standard و Standardization كلتيهما –وهذه نقيصة. أما «مقياس» فهي تدل في لغة العلم على أداةٍ للقياس، ولا نريد زيادة تحميل هذه الدلالة. وأما «قيَّس تقييساً» فهي توحي بالنسْب إلى «قياس» محدَّد، وهي من ثَمَّ إلى أداء معنى Sizing أو Dimensioning أقرب. يبقى لدينا «اقتاس» و «قايس»؛ واللفظتان تدلان على معنى: تقدير الشيء على مثاله، وهو المعنى المُبتغى. نفاضل بين اللفظتين بملاحظة أن كلمة «قايس» قد توحي بالموازنة والمفاضلة عن طريق القياس، وهو معنى يبعدنا عما نريد. لذا نستبقي «اقتاس اقتياساً». وأخيراً، وبغرض الحفاظ على تجانس الصف الدلالي، يمكن اقتراح «اقتياسي» عوضاً عن «قياسي» في مقابل Standard (a.) (وبذلك نبتعد عن معنى «الرقم القياسي» في الرياضة مثلاً) و «مقتاس(ـة)» عوضاً عن «قياس» أو «مقياس» في مقابل Standard (n.)، مفرِّقين بذلك بين «آلية القياس» (ونترك لها مصطلح «قياس») و «الشيء الذي يُقاس عليه» (ونضع له مصطلح «مقتاس(ـة)»).

•نقترح إذن:

Standard (a.) = 'اقتياسي'; Standard (n.) = 'مقتاس(ـة)';

Standardize (v.) = 'اقتاس'; Standardization (n.) = 'اقتياس'.

بتأمّل المثال السابق، نجد أن إيجاد المقابل الأنسب لمصطلح ما يتطلّب معالجة كامل صفه الدلالي. بل إننا قد نضطر، في أثناء اختيار المقابلات، إلى الانتقال من صف المصطلح الدلالي {Standard} إلى صفوف دلالية أخرى مرتبطة به {Criterion}، {Size}،

{Dimension}، الخ... من جهة أخرى، علينا فحص مترادفات مختلفة واحتمالات صرفية متعددة، والمفاضلة بينها (من حيث المبنى والمعنى) قبل إثبات المصطلح العربي.

اعتماداً على ما تقدّم، نجد أن تكوين الحقل الدلالي لمصطلح ما (انطلاقاً من لفظه الأجنبي[٦]) يجري وفق الخطوات التالية:

١) تكوين الصف الدلالي للمصطلح الأجنبي عن طريق سرد صيغه الصرفية المستعملة كافة، وذلك بالعودة إلى مجموعة من معجمات المصطلحات الاختصاصية.

٢) سرد المقابلات العربية الممكنة للمصطلحات الأجنبية الواردة في الصف الدلالي السابق، وذلك بالعودة إلى مجموعة من المعجمات المعتمدة، و/أو باقتراح مقابلات جديدة.

٣) تكوين الصفوف الدلالية لكل المصطلحات الأجنبية التي ترتبط بالمقابلات العربية المسرودة في «٢)» والمختلفة عن المصطلحات الموجودة في «١)». نسمي مجموعة الصفوف الدلالية المكوَّنة في «١)» و «٣)» مترابطة دلالية.

٤) إيجاد كل المصطلحات الأجنبية المرتبطة بالصفوف الدلالية

(٦) سنفترض عموماً أن اللفظ الأجنبي هو الكلمة الإنكليزية. ولكن يجب عدم استثناء بعض المصطلحات بلغات أخرى (مثل الفرنسية أو الألمانية) التي لها أحياناً مصطلحات مسبوكة سبكاً أفضل.

السابقة (من ناحية التشابه والترادف والتضاد) في المجال العلمي نفسه، وذلك بالاستفادة من معجمات المترادفات، ومن المكانز ومسارد المصطلحات المختلفة، ومن جهود التقييس في مجال التصنيف المعجمي والمصطلحي.

٥) تكوين الصفوف الدلالية للمصطلحات المُوجَدة في «٤)». إن مجموع الصفوف الدلالية هذه يُكوِّن الشق الأجنبي من الحقل الدلالي للمصطلح المدروس.

٦) سرد المقابلات العربية الممكنة للمصطلحات الأجنبية الواردة في هذا الحقل الدلالي، وذلك بالعودة إلى مجموعة المعجمات المعتمدة، و/أو بالاجتهاد[٧].

٧) تحديد مواضع التكرار (وجود كلمة عربية واحدة في مقابل أكثر من مصطلح أجنبي وبالعكس) ومواضع النقص (عدم وجود كلمة عربية صالحة في مقابل مصطلح أجنبي ما)، وكذلك تحديد المقابلات العربية «المستقرة» وتثبيتها.

٨) استخراج الجذور العربية للكلمات الواردة في «٦)».

٩) استخراج الأفعال والأسماء المشتقة من الجذور العربية الواردة في «٦)» من أجل تكوين الشق العربي من الحقل الدلالي للمصطلح المدروس.

---

(٧) ولا يخفى هنا أهمية أن تزوّد اللغة العربية بمعجم مترادفات عصري.

بعد تكوين الحقل الدلالي للمصطلح وتحديد مواضع النقص والتكرار، يستطيع الباحث اقتراح المقابلات اللازمة على نحو شمولي مستفيداً من كل الصيغ الصرفية المتاحة والموجودة في الشق العربي من الحقل الدلالي.

ملاحظة: يمكن أن يجري تنفيذ بعض الخطوات السابقة تنفيذاً «عَوْدياً»، أي إن سرد المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية الواردة في الصفوف الدلالية -الخطوتان «٢» و «٦»- يعقبه تكرارياً العودة إلى إيجاد المقابلات الأجنبية للمفردات العربية الناتجة -الخطوة «٤». وهكذا دواليك حتى الوصول إلى حالة تقارب تتحدد باستقرار مجموعتي المصطلحات المتقابلة.

(انظر في نهاية البحث مثالين آخرين على تكوين الحقول الدلالية.)

بيئة معلوماتية مساعدة على تطبيق آلية توليد المصطلح

إن تكوين حقول المصطلحات الدلالية يدوياً هو من دون شك عمل مضن. ومن ثمّ يجب التفكير بحوسبة تلك العملية من أجل إحداث بيئة معلوماتية تساعد الباحث على تنفيذ الخطوات المذكورة آنفاً قبل اختيار المصطلحات المناسبة. ولا يمكن، بالطبع، جعل عملية انتقاء المصطلح آلية، فهذا اجتهاد متروك للباحث، ولكن يمكن استخدام الحاسوب في منحيين أساسيين:

المنحى الأول أتمتة بعض خطواتِ عمليةِ تكوين الحقول الدلالية. يمكن مثلاً استخدام برمجيات قادرة على وزن المفردات العربية

واستخراج جذورها، أو برمجيات قادرة على توليد كافة الأوزان الصرفية (الفعلية منها والاسمية) لجذر عربي ما بطريقة آلية؛ ويمكن الاستفادة من معجمات المصطلحات (الأحادية والثنائية اللغة) إذا توفّرت بصيغة «إلكترونية».

المنحى الثاني إنشاء قاعدة معطيات «علاقاتية» يفرّغ فيها الشقان العربي والأجنبي من الحقول الدلالية. وتستخدم قاعدة المعطيات تلك بطرائق متعددة أهمها:

- استعراض الصفوف الدلالية لمصطلح ما؛
- استعراض حقل المصطلح الدلالي وفق هيئة (أو «مصاغة») معينة تساعد على اختيار المقابلات أو إظهارها؛
- عند اقتراح مصطلح عربي في مقابل مصطلح أجنبي معين، يستطيع الباحث أن يطلب من النظام عرض المترابطة الدلالية المتعلقة بالمصطلح المقترح، وهذا مما يسمح له باستعراض الكلمات المستعملة التي تنتمي إلى الصف الدلالي العربي نفسه مع معانيها الأجنبية؛
- توليد معجمات ومسارد مصطلحاتية توليداً آلياً بمصاغات مختلفة (مثلاً مرتبة أبجدياً، أو على شكل مترادفات/متضادات، الخ...).

أمثلة

سنعرض هنا مثالين لتوضيح بعض الأفكار الواردة في هذا البحث. وقد جرى تبسيط هذين المثالين ما أمكن لأن الغرض منهما ليس تطبيق

الآلية تطبيقاً صارماً، إنما هو إلقاء الضوء على الإشكالية المعروضة.

المثال الأول: *التقابل في أسماء الأدوات والآلات والتجهيزات بين الإنكليزية والعربية.*

في هذا المثال (الشكل ١) اكتفينا، من أجل تبيان الترابطات التشابكية بين المصطلحات ومقابلاتها، بصنع جدول يظهر التقابلات بين مجموعتي المصطلحات الدالة على أسماء الأدوات والآلات والتجهيزات المختلفة في اللغتين الإنكليزية والعربية، وذلك بالعودة التكرارية إلى عدد من المعجمات الثنائية اللغة إنكليزي-عربي وعربي-إنكليزي.

المثال الثاني: *الترابطات الدلالية المنبعثة من مصطلح Process بالإنكليزية والعربية.*

في هذا المثال انطلقنا من مصطلح Process بالإنكليزية، وقمنا بتوليد مجموعة من الصفوف الدلالية المترابطة بدءاً من تلك الكلمة (الشكل ٢-١). قمنا بعد ذلك باستخراج كل الجذور العربية القابلة للاستعمال لإيجاد مقابلات المصطلحات الواردة في المترابطة الدلالية السابقة (الشكل ٢-٢). في الخطوة الأخيرة، اقترحنا بعض المقابلات للمصطلحات الواردة في تلك المترابطة (الشكل ٢-٣).

(انظر التعليقات على المثالين في نهاية البحث.)

٤ على هامش المنهج المقترح: قضايا للبحث

تسمح الآلية التي قدمناها في الفقرات السابقة بمساعدة الباحث على اقتراح مقابلات عربية للمصطلحات العلمية على نحو منهجي، ولكن

وضع هذه الآلية موضع التنفيذ، والتوصّل إلى سياسة عربية موحّدة في وضع المصطلح العلمي، يتطلب معالجة بعض المسائل التي قد تعرض للباحث المترجم في أثناء تعامله مع النصوص العلمية، وتوجب إيجاد حل قياسي (منهجي) لها. نذكر هنا، على سبيل التعداد لا الحصر، بعض تلك المسائل:

معاني الأبنية الصرفية في العربية

رأينا في المثال التطبيقي المتقدّم عرضه أن واضع المصطلح كثيراً ما يضطر إلى الموازنة بين أبنية صرفية مختلفة لاختيار أنسبها. ويتطلّب ذلك أن تكون بعض المعاني التي تعبّر عنها الأبنية الصرفية «قياسية» —خاصة أبنية الأفعال، وأن تقرّ مجامع اللغة العربية قياسية استخدامها للدلالة على تلك المعاني، كما نستخدم قياساً زِنة «أَفْعَلَ» للتعدية، وزِنة «فَعَّلَ» للمبالغة والتكثير. أضف إلى ذلك أن هناك في اللغة العربية العديد من الجذور «المستغرَقة»، أي أن معظم أوزانها الصرفية المعروفة مستخدمة استخداماً مستقراً للدلالة على معان محددة، في حين نحتاج أحياناً من أجل مقابلة مصطلحات أجنبية من الصف أو الحقل الدلالي نفسه إلى توليد مفردات جديدة مشتقة من ذاك الجذر. ينبغي في هذه الحالة استنباط أوزان جديدة (أو اعتماد أوزان موجودة ولكن غير شائعة) وتحديد معانيها «الشكلية» من أجل استيعاب معان جديدة.

مثلاً: تستخدم كلمات To Digitize, Digitized, Digitization بكثرة في مجال الإلكترونيات والمعلوماتية. ولكن زِنة

«رَقَّمَ» تعجز عن أداء الدلالة المطلوبة (لأنها معنى To Number فيها مستقر). من ثمّ يمكن هنا اعتماد وزن مثل «فَعْلَنَ» لأداء المعنى واشتقاق الكلمات: «رَقْمَنَ» و«مُرَقْمَن» و«رَقْمَنَة».

وفيما يلي عدد من أبنية الأفعال الصرفية غير الشائعة (المستخدمة لإلحاق الثلاثي بالرباعي المجرد على قالب «فَعْلَلَ») التي يمكن الإفادة منها في صياغة المصطلحات العلمية، مع اقتراح بعض المعاني التي يمكن أن تؤديها:

- فَعْلَن وتفعلن (كـ «رقمن»). ويمكن استخدامها للدلالة على مدّ معنى الاسم إلى الفعل، أو لنسب المفعول به إلى صفة من الصفات (على غرار أحد معاني «فَعَّلَ»). وقد وردت هذه الصيغة الصرفية قديماً مُشتقةً من ألفاظ تُوُهِّمت فيها أصالة النون (في مثل 'قَطْرَنَ' أي طلى بالقطران)، ولكنني أرى فائدة في تعميم إمكان استخدامها عند الحاجة إليها[٨].
- مَفْعَل وتمفعل (كـ 'تمركز'). ويمكن اشتقاقها من بعض الصيغ الصرفية المبدوءة بميم.
- فَوْعَل وتفوعل (كـ 'حوسب' و 'عولم'). ويمكن اشتقاقها من بعض الصيغ الصرفية (خاصة 'فاعِل' ومثيلاتها) لأداء معنى التعميم أو مدّ المجال.
- فَعْوَل وتفعول، فَيْعَل وتفيعل، فَعْيَل وتفعيل. وتستخدم جميعها لنقل معنى الفاعلية أو المفعولية إلى الفعل.

أما على صعيد أسماء الذات وأسماء المعنى وأسماء المصادر، فيوجد العديد

---

(٨) وقد وردت استخدامات مشابهة في العامية الشامية (وغيرها) في مثل قولهم 'تَوَلْدَنَ' أي: تصَرَّفَ تصرُّفَ الأولاد. والعاميات، مع عدم مشروعيتها، تبقى دليلاً على ما يمكن وصفه بـ "السليقة اللغوية الشعبية".

من الأبنية الصرفية «المفيدة» نذكر منها مثلاً:

- أوزان 'فَعال' و 'أُفعول' و 'تِفعال' و 'يُفعول' و 'تفعيلة'.
- أبنية بعض الأسماء الممدودة (مثل 'فَعلاء' و 'فَعولاء' و 'فِعلياء' و 'فُعيلاء' ...) المناسبة لترجمة أسماء العلوم أو المذاهب العلمية.
- وزني «فِعلين» و «فعلم» اللذين يمكن استخدامها لأداء معنى: الجوهر الحامل للصفة. مثلاً: «صوتم» في مقابل Phoneme.

وحبذا لو تقوم مجامع اللغة بضبط أوزان الأسماء المزيدة في العربية (سواء أكانت مُشتقّة أم شبيهة بالجامدة) مع وضع لائحة بالمعاني القياسية التي يمكن لهذه الأبنية أن تؤديها[٩].

السوابق واللواحق

تستخدم اللواصق (السوابق واللواحق أساساً) بكثرة في اللغات الأوربية. وهي تعطي مرونة كبيرة في اشتقاق كلمات «مُرَكَّبة» جديدة. يجب إذن إيجاد طريقة قياسية لمقابلة السوابق واللواحق الشهيرة مقابلةً تحافظ على قواعد الصياغة في اللغة العربية. مثلاً: هل نترجم مصطلحاً كـ Multiprocessing بـ «معالَجة متعددة» أو «معالَجة تعددية» (بجعل السابقة صفة وجذع الكلمة موصوفاً) أم بـ «تعدد المعالَجه» أو «تعددية المعالَجة» (بإضافة جذع الكلمة إلى السابقة)؟ ومتى نستخدم في الوصف الصفة (متعدد) والنسبة (تعدديّ)؟ ومتى نستخدم المصدر الصناعي (تعدديّة)؟ وفي مثل Multiprocessor، هل نقول «معالِج تعدديّ» أم

(٩) فَعَل ذلك من قبل الشيخ عبد الله العلايلي عندما حاول تعريف أسسٍ لوضع المعجم الجديد.

«معالِج متعدد» أم «معالِجات متعددة» أم «متعدد معالِجات»، وماذا نفعل عند ورود Multiprocessors، وهي جمع المصطلح السابق؟

وبالطبع، فليس هناك دوماً حل وحيد ينطبق على جميع الحالات. ولكن علينا محاولة إيجاد قواعد عامة تؤدي إلى تجانس الترجمات عند اختلاف المترجمين.

نذكر من السوابق الشهيرة:

anti-, de-, dis-, un-, ex-, re-, bi-, di-, multi-, hexa-, micro-, macro-, mini-, mega-, pre-, post-, para-, meta-,
semi-, sub-, super-, hyper-, ultra-, infra-, inter-, intra-, extra-, syn-, con-, trans-, tele-, quasi-, pseudo-, ...

ومن اللواحق الشهيرة:

-able, -ability, -logy, -meter, -metry, -graph, -graphy, -gram, -scope, -scopy, -nomy, -on, -eme, -type, ...

المختصرات الأوائلية و «النقحرة»

نظراً لكثرة المصطلحات العلمية المركّبة من أكثر من كلمة وطولها، تعتمد اللغات الأوربية بكثرة استخدام المختصرات الأوائلية، مثل CPU (= Central Processing Unit) الدالة على وحدة المعالجة المركزية في حاسوب، ومن تلك المختصرات ما يتحول إلى كلمة قائمة بذاتها (مثل Radar)، وقد تشتق منها مفردات جديدة. يجب إذن التفكير في طريقة قياسية تسمح بإيجاد مختصرات أوائلية عربية واستخدامها

(كتابة ولفظاً)[١٠]. وإذا كان من غير الممكن إيجاد مختصرات أوائلية عربية مقابلة، يجب اعتماد نواظم لاستخدام المختصرات مكتوبة بحروف لاتينية في متن النص العربي.

ومن جهة أخرى، فإن الكاتب العربي قد يضطر أحياناً إلى إيراد ألفاظ أجنبية في نصه مُعَرَّبة كما هي (أي من دون سبكها على وزن من أوزان العربية). ويتطلّب ذلك وضع قواعد ثابتة لما دُعي بـ "النقحرة" (أي: نقل الحروف) Transliteration، وإيجاد مقابلات قياسية للأصوات اللاتينية غير الموجودة بالعربية، سواء أكانت صامتة (g في مثل لفظة go الإنكليزية، p، v) أم صائتة (e، o، u الفرنسية، ...).

أسماء الأعلام واستخدام الأقواس

- من المصطلحات الإنكليزية ما أصبح ذا صبغة عالمية تستخدم في معظم اللغات (مثل Web)، ومنها ما تحول إلى أعلام (مثل Internet). يوجب ذلك اعتماد استراتيجية عربية ثابتة لمقابلة تلك الكلمات: متى نعرِّبها ومتى نترجمها. مثلاً: هل Internet هي 'إنترنت' و Web هي 'وِبّ'؟ وماذا عن Bit؟ هل هي 'بِتّ' أم 'خانة' أم 'منزلة'؟
- يسمح استعمال الحروف الهجائية الكبيرة في اللغات التي تعتمد على الأبجدية اللاتينية بتيسير الدلالة على أسماء الأعلام كتابةً، في حين أن اللغة العربية تفتقر إلى مثل هذه الوسيلة. ويلجأ الكاتبون بالعربية أحياناً إلى استعمال الأقواس الهلالية ( ) أو علامات الاقتباس " " لحصر أسماء الأعلام. ولما كان لاستخدام الأقواس دلالات مختلفة، وجب تحديد تلك الدلالات تحديداً

(١٠) يجب أن نأخذ هنا في الحسبان أن ظاهرة الصرف العربي تجعل عدداً محدوداً من الحروف يتكرر بتواتر كبير في بدايات الكلمات (مثل الألف والتاء والميم والنون).

واضحاً ومُوَحَّداً (في الكتابة العلمية خاصة) يزيد من تجانس ووضوح النص ويسهّل قراءته. يمكن على سبيل المثال تخصيص استخدام علامات الاقتباس المستقيمة " " لحصر أسماء الأعلام؛ في حين نترك استخدام علامات الاقتباس الزاويّة « » لإيراد قول منقول عن كاتب آخر، أو لحصر قول مأثور أو تعريف علمي؛ واستخدام علامات الاقتباس المعقوفة " " للدلالة على كلمة مستحدثة أو غريبة، أو على كلمة تُستعمل بمعنى يختلف عن معناها المألوف.

٥ خاتمة

عرضنا في السطور السابقة لإشكالية المصطلح العلمي العربي الاختصاصي من حيث قدرته على الوفاء بالمعنى بدقة وأمانة؛ وبيّنا أن المشكلة ذات وجهين: نقص الألفاظ العربية في مقابل الأعداد المتزايدة من المصطلحات الأجنبية المستحدثة؛ وضرورة اختيار المقابلات وفق نهج شمولي يأخذ بالاعتبار المحتوى اللغوي لحقل المصطلح الدلالي، الذي تنتمي إليه الصيغ الصرفية المختلفة للجذور الممكن استخدامها عند اختيار اللفظ المناسب.

من أجل التصدي لتلك الإشكالية، عرضنا لمنهج يساعد الدارس على انتقاء المصطلح الملائم، بالاستفادة من آلية مقترحة لتكوين حقول المصطلحات الدلالية تضمن إيجاد الترجمة المناسبة التي تسعى لتحقيق التقابل على شكل واحد لواحد بين المصطلحات الأجنبية ومقابلاتها العربية وتزيل ما أمكن من التشابه والالتباس. وبيّنا أن تلك الآلية قابلة للحوسبة على شكل بيئة معلوماتية تضع تحت تصرف واضع المصطلح أدوات فعالة لمعاينة حقول المصطلحات الدلالية؛ وتقصي إمكانات الترجمة، واحتمالات التشابه والترادف، والآثار المحتملة لاختيار مصطلح ما على حقول دلالية أخرى؛ الخ... كما وذكرنا، على هامش المنهج المُقترح، بعض القضايا التي قد تعرض للباحث العربي العامل في حقل الترجمة العلمية ووضع المصطلحات.

إن الأفكار المعروضة في سياق ورقة العمل هذه ما هي إلا خطوة أولى في الطريق إلى الهدف الذي نسعى إليه، ألا وهو إيجاد آلية منهجية قياسية محوسبة

للمساعدة على توليد المصطلح العربي. غير أن وضع هذه الآلية موضع التطبيق الفعلي لا يتم إلا بتضافر وتكامل جهود اللغويين والتِقنيين، المهتمين بجعل اللغة العربية لغة حديثة يمكن بواسطتها إنتاج العلم والمعرفة.

كلمة شكر: يشكر المؤلّف جميع من ساهم في إنضاج الأفكار الواردة في هذا البحث، وبوجه خاص د. إياد سيد درويش؛ كما يوجه جزيل الشكر للأستاذ مروان البوّاب الذي تفضّل بمراجعة نص البحث.

المراجع

- *سيبويه عمرو بن عثمان*؛ «الكتاب»؛ تحقيق *عبد السلام هارون*؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ د.م.؛ ١٩٧٧.
- *ابن عصفور الإشبيلي علي بن مؤمن*؛ «الممتع في التصريف»؛ تحقيق *فخر الدين قباوة*؛ دار الآفاق الجديدة؛ بيروت-لبنان؛ ١٩٧٩.
- *مصطفى الغلاييني*؛ «جامع الدروس العربية»؛ المكتبة العصرية؛ بيروت-لبنان؛ ١٩٩٧.
- *محمد خير حلواني*؛ «المغني الجديد في علم الصرف»؛ دار الشرق العربي؛ بيروت-لبنان؛ د.ت.
- *إميل بديع يعقوب*؛ «معجم الأوزان الصرفية»؛ عالم الكتب؛ بيروت-لبنان؛ ١٩٩٦. وفي ملاحقه: «مقررات مجمع اللغة العربية بالقاهرة»؛ واقتراحات الشيخ *عبد الله العلايلي* في الأوزان العربية، من كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد».
- المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس – الأمانة العامة؛ «طريقة اختيار ووضع المصطلح – مقترح»؛ د.م؛ د.ت.
- *عماد الصابوني وإياد سيد درويش*؛ «نحو آلية منهجية في توليد المصطلح العربي – مقاربة أولية»؛ ورقة عمل مقدَّمة في الاجتماع الحادي عشر للجنة تنسيق استعمال اللغة العربية في تقنية المعلومات TC-٨ (المنظّمة العربية للصناعة والتعدين/مركز المواصفات العربي)؛ دمشق-سورية؛ ١٩٩٨.
- ISO Standard ٧٠٤; "Principles and methods of terminology"; ١٩٨٧.
- ISO Standard ٨٦٠; "Terminology work — Harmonization of concepts and terms"; ١٩٩٦.
- ISO Standard ١٠٨٧; "Terminology — Vocabulary"; ١٩٩٠.
- ISO Standard ١٩٥١; "Lexicographical symbols and typographical conventions for use in terminography"; ١٩٩٧.
- ISO Standard ٢٣٨٢; "Information processing systems — Vocabulary"; ١٩٨٧.

<u>المثال الثاني</u>: الترابطات الدلالية المنبثقة من مصطلح Process بالإنكليزية والعربية

الشكل ٢-١

صف دلالي

مترابطة دلالية

process	to process	processing	processor		
				procedure	
	to treat	treatment			
act	to act			action	active
				activity	
	to activate		activator	activation	
	to actuate		actuator	actuation	
			sensor		
				animation	
	to operate	operating	operator	operation	operative
					operational
effect	to effect		effector		effective
					efficient
	to effectuate				
trace					
influence					
	to realize				
	to implement				
	to execute				
	to manipulate		manipulator	manipulation	
	to handle	handling	handler		

مجموعة من الصفوف الدلالية المترابطة المولّدة انطلاقاً من كلمة Process.

تشير الأسهم إلى مصطلحات من صفوف دلالية أخرى ترتبط بالكلمة المُنطلَق منها.

الشكل ٢-١

الجذر	فعل	انفعل	أفعل	افتعل	فعّل	تفعّل	فاعل	تفاعل	استفعل	فعلن	فعلل	تفعلل
ب ج ل	بجل	(انبجل)		(ابتجل)	بجّل	تبجّل	(باجل)	(تباجل)				
ع م ل	عمل		أعمل	(اعتمل)			عامل	تعامل	(استعمل)			
ش غ ل	شغل	(انشغل)	أشغل	اشتغل	شغّل	تشغّل	(شاغل)	(تشاغل)				
ص ن ع	صنع			(اصطنع)	(صنّع)	(تصنّع)	(صانع)					
ط ل ع				(اطلع)			طالع	(تطالع)				
م ر س				امترس		تمرّس	مارس					
ز و ل	(زال)		(أزال)				زاول					
أ ث ر			(آثر)		أثّر	تأثّر			(استأثر)			
ح د ث	حدث		أحدث		(حدّث)	(تحدّث)	(حادث)	(تحادث)	استحدث			
ج ر ي	جرى		أجرى				(جارى)	(تجارى)				
ن ج ز			أنجز									
أ د ي					أدّى							
د و ر	(دار)		أدار		(دوّر)	(تدوّر)	(داور)		استدار			
ن ت ج	نتج		(أنتج)						(استنتج)			
ب ش ر			(أبشر)		(بشّر)	(تبشّر)	باشر		(استبشر)			
س ي ر	سار		أسار		سيّر		(ساير)	(تساير)				
ن ه ج	نهج		أنهج									
ق د م	(قدم)		أقدم		(قدّم)	(تقدّم)	(قادم)	(تقادم)	(استقدم)			
ط ر د	(طرد)		أطرد	اطّرد			(طارد)	(تطارد)	(استطرد)			
د ر ج	درج	(اندرج)	أدرج		(درّج)	(تدرّج)	دارج	تدارج	(استدرج)			
ش ر ع	شرع		أشرع	(اشترع)	(شرّع)							
ط و ر					طوّر	تطوّر						
ت ب ع	تبع		أتبع	اتّبع		تتبّع	(تابع)	تتابع	(استتبع)			
ع ق ب	عقب		أعقب		عقّب	(تعقّب)	(عاقب)	(تعاقب)				
ت ل و	تلا						تالى	تتالى				
و ل ي	(ولي)		أولى		(ولّى)	(تولّى)	والى	توالى				
س ل س ل											سلسل	تسلسل
ق و م	قام		أقام		(قوّم)		(قاوم)		(استقام)			
ص ر ف	(صرف)	(انصرف)			(صرّف)	تصرّف						
س ل ك	سلك		أسلك	استلك	(سلّك)	(تسلّك)						
خ ط ط	خطّ	(انخطّ)		اختطّ	خطّط							
ن س ق					نسّق							
و س ق				اتّسق								
س و ق	ساق	(انساق)		استاق	(سوّق)	(تسوّق)						
ط ر ق	طرق		(أطرق)			تطرّق						
س ل ب	سلب	(انسلب)		(استلب)					(استلب)			

الجذر	فعل	انفعل	أفعل	افتعل	فعّل	تفعّل	فاعل	تفاعل	استفعل	فعلن	فعلل	تفعلل
ن ش ط	نشط				نشّط	تنشّط						
ح ر ك					حرّك	تحرّك	حارك	تحارك				
ج ه د			(أجهد)	(اجتهد)			(جاهد)					
س ر ي	سرى		(أسرى)		(سرّى)	(تسرّى)						
ج د و	(جدا)		(أجدى)									
ن ج ع	نجع			(انتجع)								
ح ف ز	حفز				حفّز	تحفّز						
ح ث ث	حثّ		أحثّ									
ح ض ض	حضّ											
ن ز ل	(نزل)		(أنزل)		(نزّل)		(نازل)	تنازل				
م س ك	(مسك)		أمسك	امتسك		(تمسّك)		(تماسك)				
ق ب ض	(قبض)	(انقبض)		اقتبض	(قبّض)							
ل م س	(لمس)			(التمس)			(لامس)	(تلامس)				
م س س	مسّ		أمسّ	(امتسّ)								
ج س س	جسّ											
ن ش أ	نشأ		أنشأ									
ب ث ق		انبثق										
ب ز غ	بزغ											

صيغ الأفعال المولّدة انطلاقاً من مجموعة الجذور العربية الممكن استخدامها عند دراسة ترجمة المترابطة الدلالية السابقة.

وُضعت بين قوسين الصيغ الفعلية المعتمدة لأداء معانٍ أخرى مختلفة.

الشكل ٢-٣

process	سيرورة/إجرائية	to process	يعالج	processing	معالجة	processor	معالج				
								procedure	إجراء		
								action	فعل/فعلة	active	فاعل/فعّال/نشيط
								activity	نشاط		
		to activate	نشّط			activator	منشّط	activation	تنشيط		
		to actuate	فعّل			actuator	مفعّل	actuation	تفعيل		
		to operate	يشغّل	operating	تشغيل	operator ١	مشغّل	operation ١	عملية	operative	تشغيلي
		to activate	نشّط			operator ٢	مشغّلة	operation ٢	تشغيل		
						operator ٣	مؤثر				
										operational	عملياتي
effect	أثر/تأثير	to effect	يؤثر			effector	مؤثر/محدث			effective	فعلي
										efficient	ناجع
		to effectuate	يجري/يحدث								
		to manipulate	يتداول			manipulator	متداول	manipulation	تداول		
		to handle	يتناول	handling	تناول	handler	متناول				

عينات من مقابلة المصطلحات في المترابطة الدلالية المعنية.

المبادئ الأساسية

في

وضع المصطلح وتوليده

أ. د. محمود أحمد السيد

نحاول في هذا البحث الموجز أن نشير إلى أن سلامة اللغة العربية في تطورها، وأن نقف على المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده، وأن نقدم بعض الاتجاهات في وضع المصطلحات وتوليدها، لنخلص أخيراً إلى ذكر عدد من سبل الارتقاء بوضع المصطلحات وتوليدها.

أولاً ـ سلامة لغتنا العربية في تطورها:

غني عن البيان أن الأفكار والمفاهيم والأحكام ليست خالدة أبداً كالمقدسات الدينية، ولكنها كالإنسان في تطوره، والأفكار تحملها الظروف الاجتماعية ثم تلدها أو تجهضها وتنميها أو تهملها، ثم ترعاها أو تشردها.

وإذا كان الولد سر أبيه فإن الأفكار سر ظروفها الاجتماعية سواء في تناغمها أو تناقضاتها، تفهم مدلولاتها وأبعادها على أساس العلاقات التي تربطها بأبعاد الزمان والمكان، وتقدر أهميتها بما تؤديه من وظائف في حياة الفرد والجماعة(١).

ومن المسلم به أن اللغة تتكون من عاطفة وفكر ومجتمع، وأن العاطفة

تنمو وترتقي لدى الفرد كما تنمو وترتقي لدى الجماعة، وأن فكر الإنسان في تطور دائم، فهو ينمو ويتوسع ويكتسب خبرات جديدة طوال حياته.

وليس ثمة مجتمع يبقى آسناً، وإنما ظلت المجتمعات في تطور دائم، فانتقلت من البداوة إلى الحضارة، ومن الهمجية إلى التمدن والرقي، ولقد تبعت اللغة هذا التطور لأنها ظاهرة اجتماعية لا بل كائن حي يخضع لقوانين الحياة وناموس الارتقاء والنمو، ولا بد من توالي الدثور والتوالد فيها أراد أصحابها ذلك أم لم يريدوا، فالشجرة تبدل أغصانها وأوراقها أو تموت وكذلك هي حال اللغة، فهي في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها النحوية وصيغها ومعانيها وإن اختلفت سرعة التطور من مرحلة إلى أخرى(٢).

واللغة طاقة إبداعية غير محدودة، وكل فعل كلامي، منطوقاً كان أو مكتوباً، يتضمن عنصراً ذاتياً على درجة من الإبداع يحرك سكونية اللغة، فهي في تطور مستمر ولا تعيش إلا بالنسغ الحي الذي يسري في عروقها من شعر شعرائها وفكر مفكريها، وإن بإمكان اللغة أن تتجدد وتحيا مادام الشعب الذي يتكلمها يتجدد ويحيا ويبدع، ومن غير إنسان متجدد تؤول اللغة إلى حالة الموت(٣).

ولغتنا العربية كانت في حركة دائبة، إذ إنها لا تعرف الركود في مسيرتها إلا في عصر الانحدار «فاستطاعت في الجاهلية أن تعبر عن تجارب أصحابها، وعندما ظهر الإسلام بمفاهيمه الجديدة استطاعت أن تتمثل هذه المفاهيم وأن تعبر عنها أيما تعبير. ففي الوقت الذي كان يغلب فيه على مفردات العربية في الجاهلية المضمون الحسي نرى أن المضامين المعنوية المجردة قد شقت طريقها إلى مفردات اللغة، فكلمة «مجد» معناها العزة والرفعة، والأصل فيها امتلاء بطن الدابة بالعلف، والفعل «قضى» معناه حكم والأصل

فيه القطع الحسي، وكلمة «الأسلوب» معناها الطريقة والوسيلة والفن من القول، والأصل السطر من النخيل، والفعل «عقل» معناه «فهم» والأصل عقل الناقة أي ربطها، إذ إن العقل يربط الأهواء ويمنعها من الانفلات»(٤).

ولقد ورث الإسلام بعد ظهوره ألفاظاً كانت شائعة في البيئة العربية بمدلولات معينة ترتبط بحياة العرب قبله متلبسة بضروب من الوثنية والعادات الاجتماعية غير السليمة فكان لابد من تغييرها بإحلال غيرها محلها على نحو ما أبدل تحية «السلام عليكم» بـ «عم صباحا وعم مساء»؛ وفي ذلك مغزى إنساني ونفسي واسع.

ومن منطلق التغيير النفسي نحو الأمثل والأفضل عمد الإسلام إلى ترك ألفاظ اجتماعية متداولة قبله إلى ألفاظ أخرى تلائم قيمه في المساواة المطلقة بين المؤمنين وإن تفاوتوا في الوضع الاجتماعي كأن يكون بعضهم حراً والآخر مملوكاً فسمّى القرآن المملوك «فتى» والمملوكة «فتاة» ولم يسمه «عبداً» أو يسميها «أمة» وحث على الإحسان إليهما، ونهى ذوي الفحش ومن لاذمة له ولا مروءة عن إكراه الإماء على البغاء، فقال تعالى معرّضاً ببعض المنافقين ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾(٥).

وفي ضوء هذا المنطلق الإنساني صدرت السنة النبوية، فنهى الرسول ﷺ عن أن يقال عبدي وأمتي، وأمر أن يقال فتاي وفتاتي، فأنزل المماليك بذلك منزلة الأبناء ذكوراً وإناثاً، وهذا ما يسمى في ضوء علم اللغة الحديث بالتطور المتسامي(٦).

وفي العصر العباسي استطاعت اللغة العربية أن تطوع لها الثقافات القديمة محتفظة بأصولها وقواعدها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن اللغة العربية ليست باللغة التي كتب عليها الجمود، وإنما هي لغة أصيلة مرنة، عبَّرت عن حاجات العصر الجديد واتجاهاته، فازدادت مفرداتها غنى بالوضع

تارة، وبالاشتقاق تارة أخرى، وبالنحت تارة ثالثة، وتنوعت أساليبها وفق مقتضيات العصر، فظهرت مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العصر في ميادين المعرفة كلها من فلسفة وطب وعلوم ورياضيات ....إلخ.

وإذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية تزدهر بازدهار الأمة وتضعف بضعفها فإن العربية بلغت أوج ازدهارها في العصر العباسي، ولقد أورد الجاحظ في «البيان والتبيين» طائفة من الألفاظ التي استخدمها المتكلمون في جدلهم العقدي حتى العصر الذي هو فيه مثل «الهوية والماهية» من: ما هو ؟ وما هي؟ والتلاشي من لاشيء[٧].

وإذا كانت اللغة قد أصيبت بالجمود في عصر الانحدار فليس مرد ذلك إلى اللغة نفسها، بل إلى المتكلمين بها، فقد كانوا جامدين فجمدت اللغة بجمودهم، وكانوا منزوين فانزوت اللغة معهم، وكانوا بعيدين عن الحياة فبعدت اللغة عن الحياة وإلى هذا أشار الدكتور طه حسين قائلاً: «إذا كان المتكلمون باللغة العربية تنقصهم الحياة فلا عيب على اللغة ألا تحيا، وإذا كانت تنقصهم المرونة فلا عيب فيها ألا تكون مرنة لأن العربية ليست شيئاً يعيش في السماء، أو يعيش في الجو، بل هي شيء يعيش في النفوس والقلوب، وتنطق به الألسن، شيء ملازم للأحياء يؤدي ما في نفوسهم»[٨].

وأطل العصر الحديث، فتبدأ المحاولات لفك الأغلال التي قيدت اللغة ودفعها إلى الاستجابة لمطالب النهضة العلمية والتقانية، إلا أن فريقاً من الباحثين مالوا إلى التمسك باللغة كما كانت عليه في أول أمرها قبل الإسلام وأيام الأمويين وصمموا على استخدام الأفصح، فإذا استخدم كاتب كلمة «فنّان» قالوا له: هذا خطأ ، والصواب «الربيز» لأن الفنان يعني حمار الوحش الذي يفتن في جريه، وإذا قال: صبية بسيطة، قالوا : هذا خطأ وصوابه صبية ساذجة لأن البسيطة تعني الأرض الواسعة، وهذا ما دعا هؤلاء إلى التقيد بما

ورد في المعاجم من صيغ ورفض مالم يرد فيها.

والواقع إن الحرص على سلامة اللغة ضرورة قومية، إلا أن هذا الحرص يجب ألا يدفعنا إلى التعصب والتزمت ضد كل تطور، لأن سنة التطور أقوى من السدود التي توضع في طريق اللغة، ولا يمكن بحال من الأحوال الحيلولة بين اللغة وتطورها.

وهناك من يبالغ ضد هذا التحيز ضد كل تطور فيقول: إن سمعي لم يتألم قط أكثر من تألمه من لفظ أو إضافة جاءنا بها المشتغلون بعلم التربية فنسبوا إلى التربية «تربوي» وأشعرنا بعد ذلك بألفاظ وتراكيب لو حلفنا لأهل عصور العربية بالطلاق والعتاق أنها عربية ما صدقوا ولا آمنوا[٩].

إن هذا الموقف لايخدم اللغة في نظري لأن لغتنا من أخصب اللغات وأكثرها ملاءمة للتطور، والمحافظة على سلامة اللغة لا تنفي أن اللغة في تطور دائم، ولا سلامة للغة إلا في هذا التطور، فإذا كنا نريد للغتنا السلامة فلا تكون السلامة في الجمود، ولكن في الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها، ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته، وأكمل اللغات وأرقاها ما واكب روح العصر واستوعب متطلباته.

ثانياً ـ المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده:

كان شعور الرواد الأوائل الذين عاصروا بداية عصر النهضة مع الغرب أن لغتنا العربية من الاتساع والقدرة بحيث تستطيع التعبير عن معطيات الحياة والعلم الواردة من الخارج بلغة عربية سليمة.

ومن هؤلاء الرواد الأوائل رفاعة الطهطاوي الذي أسس مدرسة الألسن وأحمد فارس الشدياق الذي دعا في مجلته إلى العمل الجماعي لتعريب مصطلحات العلوم والفنون، وإبراهيم اليازجي الذي كتب في مجلة

«الضياء» مطالباً بتعريب المصطلحات العلمية[١٠].

وكان هؤلاء الرواد يمثلون الإرهاصات الأولى للمجامع اللغوية والعلمية في البلاد العربية، والتي أخذت على عاتقها خدمة اللغة العربية، والحفاظ على سلامتها والعمل على سيرورتها وانتشارها، ووضع المصطلحات بالعربية مقابل المصطلحات الأجنبية.

ونحاول فيما يأتي تعرف المبادئ التي اعتمدتها بعض المجامع اللغوية في وضع المصطلحات وتوليدها:

١ ـ **المجمع العلمي العربي بدمشق:** بد أعماله عام ١٩١٩ متوخياً خدمة اللغة في المجال الحكومي وذلك بإصلاح لغة الدواوين، ولغة التعليم والتدريس والكتب المدرسية، ومواجهة مقاصد الحضارة الواسعة ومطالب الحياة العصرية في القرن العشرين.

ونص بند من بنود إنشاء المجمع على أن يتم تعليم كل العلوم في الجامعات السورية باللغة العربية فقط، وأن يعمل المجمع على مد الجامعات بما يفيها من تيسيرات تعريبية، وانطلاقاً من الإيمان بالتعريب لم يستسلم الأساتذة للعجز الذي كان يهيمن على اللغة العربية بفعل التتريك الذي مس أركان الدولة كلها، ولم يتريثوا في عملية التعريب حتى تتوافر المصطلحات وإنما رأوا أن البداية هي التي تفسح المجال لتوليد المصطلحات، وأن الاستعمال هو الذي يعمل على توحيدها، وهكذا كانت مسيرة التعريب تدور في نطاق:

١ ـ الإيمان بالتدريس في الجامعات السورية باللغة العربية.

٢ ـ أساس كل عمل هو البداية.

٣ ـ اعتماد الترجمة من اللغات العلمية.

٤ ـ اعتماد التعريب التدريجي الشامل ضمن خطة شاملة للتعريب.

٥ ـ علاج كل خطأ بالتدريب والتوجيه والمعايشة وتحسين اللغات الأجنبية.

٦ ـ تعريب الطب يجيء في أولوية الأولويات.

وشمَّر رجالات المجمع عن سواعدهم بحثاً وتنقيباً في بطون المعاجم عن المفردات العربية القديمة بغية وضع المصطلحات مقابل المصطلحات الأجنبية، وها هو ذا الطبيب محمد جميل الخاني يقول: «إن كل معنى يجول في الذهن لابد أن يكون له لفظ في اللغة العربية ولو كان كامناً في أغوار معاجمها، وينبغي ألا يجتاز عقبة من عقبات المصطلحات دون تذليلها بترجمتها إلى العربية ولو تكبد في ذلك أعظم المشقات»[١١].

وذكر الأمير مصطفى الشهابي في معجمه «الألفاظ الزراعية» منهجه في وضع المصطلحات متمثلاً في تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي، وإذا كان اللفظ الأعجمي جديداً، وليس له مقابل في لغتنا ترجم بمعناه كلما كان ذلك قابلاً للترجمة أو اشتق له لفظ عربي مقابل بوسائل الاشتقاق والمجاز والنحت وإذا تعذر وضع لفظ عربي بالوسائل المذكورة عمد إلى التعريب مع مراعاة قواعده على قدر المستطاع[١٢].

ورسم الأستاذ الدكتور جميل صليبا الطريقة الصحيحة التي يجب على العلماء اتباعها في وضع المصطلحات العلمية متمثلة في القواعد الآتية[١٣]:

القاعدة الأولى: هي البحث في الكتب العربية عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد، فالقدماء أطلقوا لفظ الجوهر على المعنى الذي تدل عليه كلمة Substance وأطلقوا لفظ المقولات على

المعنى الذي تدل عليه كلمة Categories.

القاعدة الثانية: هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث فيبدل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد، مثال ذلك ترجمة لفظ Intuition بالحدس، وقد أشار إلى هذا اللفظ الجرجاني وابن سينا من القدماء.

القاعدة الثالثة : هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي كأن يستعمل لفظ الشخصية للدلالة على Per-sonnalité، ولفظ الاهتمام للدلالة على Interet ولفظ التكيف للدلالة على Adaptation، فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء. ولكنه شبيه بما استعمل القدماء من استعمال كلمة قوة للدلالة على Puissanse وكلمة إمكان للدلالة على Possibilité.

وقالوا : إن الإمكان في الشيء هو جواز إظهار ما في قوته إلى الفعل وطبيعته بين الواجب والممتنع، فاشتقوا من الإمكان التمكين بمعنى إخراج الشيء من القوة إلى الفعل بالإرادة، وقد يجيء التمكين عندهم بمعنى آخر، وهو أن يكون تفعيلاً من المكان فنقول: مكنت الحجر في موضعه إذا وفيته حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب.

القاعدة الرابعة: هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية، وهو ما نطلق عليه اسم التعريب كقولنا :هرمية في ترجمة Hormique أو قولنا: الديمقراطية في ترجمة Democratie.

ويؤيد الباحث الدكتور صليبا منهجيته في وضع المصطلحات بما ورد في كتاب «الهوامل والشوامل» لأبي حيان التوحيدي في تراثنا العربي إذ يقول «على أني رأيتك تستعفي أن تفهم حقيقة إلا أن تكون في لفظ عربي،

فإن عدمت لغة العرب رغبت عن العلم، لكننا ـ أيدك الله ـ لا نترك البحث عن المعاني في أي لغة كانت وبأي عبارة حصلت»[١٤].

وتلك هي نماذج من الأسس المعتمدة في وضع المصطلحات في رحاب المجمع العلمي العربي بدمشق.

٢ ـ مجمع اللغة العربية في القاهرة: نصت المادة الثانية من لائحته على أن للمجمع أن يستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التي لم تعرب غيرها من الألفاظ العربية، وذلك بأن يبحث أولاً عن ألفاظ عربية في نطاقها، فإذا لم يجد بعد البحث لها أسماء عربية وضع أسماء جديدة بطرائق البحث المعروفة من اشتقاق أو مجاز أو غير ذلك، فإذا لم يوفق في ذلك التجأ إلى التعريب للمحافظة على حروف اللغة وأوزانها بقدر الطاقة[١٥].

وأجاز المجمع استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم، وعمل المجمع في ميدان المصطلحات وضعاً وتوليداً على:

١ ـ الحفاظ على التراث العربي وإيثار ترجمة المصطلح مع إجازة التعريب.

٢ ـ الوفاء بأغراض التعليم العالي ومتطلبات الترجمة والتأليف والثقافة العلمية العالمية.

٣ ـ مسايرة النهج العلمي العالي في أسلوب اختيار المصطلح والتقريب بينه في العربية وبين نظيره في اللغات العالمية الحية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلوم الأساسية وتطبيقاتها.

٤ ـ تعريف كل مصطلح تعريفاً علمياً معجمياً.

٥ ـ الإبقاء على المصطلح العربي القديم وتفضيله على الجديد إلا إذا

شاع الجديد.

٦ ـ قبول ما استعمله المولدون مما جرى على الأقيسة من مجاز أو اشتقاق مع إجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان في لغة العلوم.

٧ ـ إجازة استعمال بعض الألفاظ الأعجمية للضرورة[١٦].

وعمل المجمع في منهجيته أيضاً على:

١ ـ ترك القديم على قدمه ما دام صالحاً.

٢ ـ اعتماد الاشتقاق أو المجاز.

٣ ـ وضع مصطلحات سهلة وميسرة.

٤ ـ اعتبار استعمال الناس حجة.

٥ ـ إباحة المحظور في سبيل الضرورة العلمية وتنزيل الحجة منزلة الضرورة[١٧].

كما اعتمد المجمع بعض الأسس الأخرى في أثناء الممارسة العملية تمثلت في:

١ ـ الأخذ بمبدأ القياس في اللغة، ويجوز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية.

٢ ـ ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة دُوَلي، جماهيري.

٣ ـ يجوز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه: إشعاعات، تمديدات.

٤ ـ يجوز إدخال «ال» على حرف النفي المتصل بالاسم: اللاهوائي، اللاسلكي.

٥ ـ يجوز الاشتقاق من الجامد للضرورة في لغة العلم: مُهَدْرَج، مُكَبْرَت.

٣ ـ المجمع العلمي العراقي: كانت المنهجية التي اتبعها المجمع العلمي العراقي لا تختلف عن منهجية كل من مجمعي دمشق والقاهرة، ويقول الدكتور جواد علي في هذا الصدد: «وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات وإقرارها ووضعها هي أن يدرس المجمع المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص كأن يستعرض حده وتعريفه عند المختصين أو في الكتب الخاصة، ويتعرف أصله ونشأته ثم يسمع آراء المختصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة، ثم يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديماً وحديثاً لغوية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له مما قد يفي بالمراد، فإذا وقف على كلمة صالحة موافقة له مؤدية للمعنى الاصطلاحي ورأى فيها الرشاقة والسلامة عقد رأيه وبت في الأمر»(١٨).

وعمل المجمع من خلال لجانه المختصة على اتباع ما يأتي:

١ ـ تفضيل اللفظ العربي على المولد، والمولد على الحديث إلا إذا اشتهر، واستعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذاً عنه مثل لفظ الكحول Alcohol.

٢ ـ تجنب تعريب المصطلح الأجنبي إلا في الأحوال الآتية:

ـ إذا أصبح مدلوله شائعاً بدرجة كبيرة يصعب معها تغييره.

ـ إذا كان مشتقاً من أسماء الأعلام.

ـ في حال الأسماء العلمية لبعض العناصر والمركبات الكيماوية.

ـ إذا كان من أسماء المقاييس أو الوحدات الأجنبية.

ـ إذا كان مستعملاً في كتب التراث مثل اسطرلاب.

٣ ـ وإن لم يتيسر مصطلح عربي ففي الاشتقاق والتوليد والقياس والمجاز متسع كبير.

٤ ـ مجمع اللغة الأردني: انطلق مجمع اللغة الأردني في عملية وضع المصطلح وتوليده من رؤيته أن المصطلح الأصيل المستمد من التراث أو ذلك المسكوك بالوسائل المتاحة للغة من قياس أو اشتقاق أو مجاز يجب أن يكون الهدف الأسمى لوضع المصطلح العربي. ومن هنا كان حرص المجمع على دقة المقابل العربي بالترجمة، ويفضل أن يكون المصطلح الوليد عربياً تراثياً كلما كان ذلك ممكناً، أو تحديد المصطلح الأجنبي إذا كان من الشيوع والذيوع بحيث أصبح علماً.

إلا أن المجمع في الوقت نفسه يرى أننا نكون أقدر على النهوض بتعريب العلوم واللحاق بالجديد فيها إذا جعلنا الأولوية للتعريب لا للترجمة(١٩).

٥ ـ مكتب تنسيق التعريب: عمل مكتب تنسيق التعريب بالرباط وهو أحد المكاتب التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، على وضع خطة لوضع المصطلحات وتنسيقها مستأنساً بقرارات المجامع اللغوية، ومما جاء في هذه الخطة:

أ ـ استعمال لفظة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي، ولا تستعمل المرادفات إلا فيما ندر وعند الضرورة، وبذلك يتحقق توحيد المصطلحات.

ب ـ وضع مصطلح عربي مقابل كل دلالة إذا كان للمصطلح الأجنبي أكثر من دلالة واحدة.

جـ ـ دراسة المصطلح الأجنبي دراسة وافية وتعرف مدلوله العلمي ومفهومه الدقيق ومعناه الاصطلاحي الخاص المستعمل في حقل الاختصاص قبل الإقدام على وضع مقابله العربي.

د ـ عدم الاقتصار على اعتماد لغة أجنبية واحدة مصدراً وحيداً

للمصطلحات الأجنبية.

هـ استعمال الألفاظ العربية المتداولة التي سبق أن استخدمها العلماء العرب الأقدمون وألا يجتهد في وضع لفظ جديد مناسب مع الأخذ بالحسبان المصطلحات التي وضعتها المجامع واللجان المتخصصة.

و ـ الاكتفاء بوجود مناسبة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

ز ـ الابتعاد عن الكلمات المثقلة بعدة معان.

ح ـ الالتزام قدر الإمكان بالقوائم الدلالية والسوابق واللواحق والصيغ القياسية التي يعدها المجمع الموحد.

ط ـ جواز اللجوء إلى النحت أو التركيب المزجي بشرط أن تكون اللفظة المنحوتة مقبولة أو شائعة.

ي ـ استعمال الكلمات الدخيلة أو المستعربة عند اللزوم.

ك ـ اختيار اللفظ الأسهل من بين مختلف اللغات الأجنبية لنقله إلى العربية بأخف ما يمكن على اللسان العربي دون التزام لغة أجنبية واحدة.

ل ـ الحرص في استعراب الكلمة على وضعها في صيغة يسهل جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها.

م ـ اعتبار المصطلح المستعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة العربية.

ن ـ جواز التصرف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس وجواز النسبة إلى المفرد والجمع[٢٠].

٦ ـ من ثمار التنسيق: كانت أولى المحاولات في سبيل توحيد المصطلحات تكليف لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب بالجامعات

السورية وضع ترجمة عربية لمعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور « Clairville» ثم كانت الخطوة الثانية صدور المعجم الطبي الموحد بإشراف اتحاد الأطباء العرب وبالتعاون مع مجلس وزراء الصحة العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ويشتمل المعجم على المصطلحات الطبية باللغات الثلاث: الإنجليزية والفرنسية والعربية. وقد جاء في مقدمته المنهج المعتمد في وضع المصطلحات وتوليدها على النحو الآتي:

١ ـ استعملت كلمة عربية واحدة مقابل التعبيرالأجنبي، ولم تستعمل المترادفات إلا فيما ندر.

٢ ـ استعملت الكلمات العربية المتداولة التي استعملها الأطباء العرب الأقدمون إذا كانت تفي بالغرض العلمي وترك الكلمات الدخيلة التي وجد مايقابلها في العربية.

٣ ـ استبعدت الكلمات الدخيلة إلا إذا كانت اسماً لشخص أو مشتقة من اسمه أو كانت مستعملة في لغات متعددة.

٤ ـ ابتعدت اللجنة عن الألفاظ الوعرة ما أمكن.

٥ ـ لم تلجأ اللجنة إلى النحت أو التركيب المزجي إلا فيما ندر كأن تكون الكلمة قد شاع استعمالها[٢١].

ويتبدى من خلال عرضنا السابق في وضع المصطلح وتوليده أن ثمة قواسم مشتركة بين الجهات المعنية، وأنه إذا خلصت النوايا فإن عملية توحيد المصطلحات ليست بعملية مستحيلة، وها هي ذي تجربة المعجم الطبي الموحد ماثلة أمامنا إذ إن الأطباء السوريين وهم السباقون في عملية التعريب تخلوا عن كثير من المصطلحات التي وضعوها من قبلُ في سبيل التوحيد، توحيد الفكر بين أبناء الأمة الواحدة، ولا تخفى على أي منا الفائدة الكبيرة من

تثبيت المصطلحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها، إذ إن الألفاظ حصون المعاني، وتثبيت المصطلحات العلمية هو الحجر الأساس في بناء العلم، فإذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها على حد تعبير المرحوم الأستاذ الدكتور جميل صليبا والذي يرى أن تثبيت المصطلحات لا يفيد العلماء وحدهم بل يفيد العلماء والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء فله إذاً فائدة تربوية وفائدة اجتماعية معاً.

أما الفائدة التربوية فهي أن تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها فلا يستعمل اللفظ إلا فيما وضع له، ولا يدل على المعنى الواحد إلا بلفظ واحد وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والمتعلمين معاً لأن المعاني إذا كانت محددة سهل على المعلم شرحها، وعلى المتعلم فهمها، كذلك الألفاظ إذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم. و أما الفائدة الاجتماعية فهي أن تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم، فلا يتكلمون بما لا يعلمون، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني، فإذا أردت أن تحسم الخلاف بين الناس، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتشابهة فابدأ أولاً بتحديد المعاني تحديداً علمياً واضحاً، وهذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض، ويوفر على الناس الكثير من الجهد والوقت[٢٢].

ثالثاً - وضع المصطلحات وتوليدها بين المؤيدين والمعارضين والمعتدلين:

لم يكن ثمة اتفاق بين الدارسين على وضع المصطلحات وتوليدها، ولكل فريق أنصار وخصوم، ونحاول فيما يأتي تسليط بعض الأضواء على حجج الفريقين:

١ - المعارضون:

يرى أنصار هذا الاتجاه أن اللغة العربية لغة بداوة تفتقر إلى التجريد ولا تستطيع حمل المصطلحات الحضارية، وأن العربية لا عهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة، وأن ثمة عدم دقة في مصطلحاتها الموضوعة على المصطلح الأجنبي، إذ إن المصطلحات العربية سواء أكانت قديمة مستمدة من التراث أم عربية حديثة مترجمة قد لا تكون دقيقة دقة المصطلح الأجنبي وأن لغة العلم إنما هي لغة عالمية، فضلاً عن قلة المصطلحات العربية القديمة وعدم جدواها.

ولقد حاول بعض الدارسين رصد مشكلات وضع المصطلح اللغوي المعاصر فوجد «أن أهم مشكلاته تتمثل في تعدد المصطلحات واللبس وعدم الدقة ونقص المصطلحات وعدم الشيوع وسيرورة المصطلحات الأجنبية. وعند بحث الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة وجد أنها تتمثل في حداثة هذا العلم في العربية، وتنوع البيئات التي يصدر عنها المصطلح»[٢٣] . ونتج عن هذه الأسباب اضطراب الباحثين في تحديد المدلول الحقيقي للمصطلح ووصول المعربين إلى أحكام مغايرة للواقع الحقيقي لحقيقة المصطلح وانشغال عدد من المتخصصين بالبحث عن مصطلح دقيق يؤدي المعنى بطريقة مثلى، وإظهار اللغة العربية على أنها لغة ضعيفة.

ويأتي في طليعة المعارضين لتأصيل المصطلح بالعودة إلى التراث المرحوم الدكتور محمد كامل حسين الذي يرى أن ثمة ضخامة في عدد المصطلحات التي نحتاجها في هذا العصر، وأن لافائدة من المصطلحات المعروفة لدى العلماء القدماء لقلتها من جهة ولأن المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظاماً خاصاً، كما أن اختلاف المناهج ومذاهب التفكير العلمية تجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والحديثة محالاً.

ولقيت دعوة الدكتور محمد كامل حسين صدى لدى كثيرين حتى

إن الدكتور إبراهيم مدكور رأى أن قضية تأصيل المصطلح بالعودة إلى التراث أخذت تتراجع لديه، ودعا المجمع إلى جمع المصطلحات القديمة، وإن كان يرى أنها أصبحت لا تفي بالحاجة، ولا يتردد في أن يعرّب كما عرّب قديماً.

ويرى بعض الدارسين المعاصرين أن ثمة نقصاً في دقة التعبير عن المصطلحات الأجنبية الموضوعة باللغة العربية. ومن مظاهر نقص الدقة، التعبيرعن عدة مصطلحات أجنبية بمصطلح عربي أو لفظ عربي واحد، فقد ترجم المصطلحان substance, essence بمصطلح عربي واحد هو جوهر، علماً بأن الأول يعني المادة لا الجوهر.

ومن مظاهر نقص الدقة في المصطلح العملي عدم التوافق بين المصطلح ومايراد له من مدلول، فتوليد «مِصْعقة» في مقابل المصطلح الأجنبي par-atonnerre وهو اسم آلة من صعق للجهاز الذي يستقبل الصاعقة ويدرأ خطرها وأذاها غير دقيق، وسمّاها آخرون «مانعة صواعق» والأدق أن تسمى «واقية صواعق» لأن هذا الجهاز لا يصعق ولا يمنع الصاعقة وإنما يجذبها ويذهب مفعولها فهو يقي منها، أما المِصعقة فهي تفيد عكس ذلك(٢٤).

ويرى بعض الدارسين المعارضين للجوء المعربين إلى النحت أن النحت يشوه الكلام العربي إن لم يؤخذ بحذر فلا مسوّغ للتمحل في الإتيان بلفظ «حلقظة» لأحلام اليقظة، و «الصوفني» للصورة الفنية.

٢ ـ المؤيدون:

يذهب مؤيدو العودة إلى التراث لوضع المصطلحات وتوليدها إلى أن شكوى المختصين من نقص المصطلحات العربية غير صحيح، فالعربية مقارنة باللغات الأخرى مطواع، ولها قدرة فائقة في ارتجال المصطلح ونحته أو

اشتقاقه، ولها من المرونة ما يمكنها السيطرة على المعاني بصيغها وحركاتها وغزارة مادتها ما يجعلها دقيقة وصالحة للتعبير، كما أن لها من ضروب التوليد ما يمكنها من إعطاء المصطلحات الجديدة نفساً جديداً، وهذا كله يعود إلى جذورها التي تزيد على ستة الاف سنة، فلن تعدم مطلقاً فيضاً من الألفاظ لتغطية مختلف المصطلحات.

وفي العصر الحديث ألفينا العربية لا تستعصي على استيعاب كل ما جدّ من علم وتقنية معتمدة في ذلك على أصولها القديمة الأربعة: القياس والاشتقاق والتعريب والنحت فكثرت في العصر الحديث المترجمات والمعربات من الألفاظ وفق أساليب العربية وعلى وفق نظائر لها استعملها العرب في العصور المختلفة فترجموا عدداً كبيراً من الألفاظ الناجمة عن علم وصناعة على وزن اسم الآلة مِفْعال وفعَّالة، وبالمثل نحتوا ألفاظاً نمّت العربية وواجهت بها كل عصر قبل ظهور الاسلام وبعده إلى عصرنا هذا الذي تطورت فيه الحياة فإذا نحتوا من عبد شمس وعبد الدار عبشمي وعبدري فإنهم نحتوا في العصر العباسي الهُوية والتلاشي، ونحتوا البسملة والحوقلة وفي العصر الحديث نحتوا درعمي نسبة إلى دار العلوم(٢٥).

والسير على نهج الفصحى في النحت يعين على ترجمة كثير من المصطلحات العلمية الكثيرة التي لا تؤدي العربية معناها كقولنا الدبابات البرمائية وهذا طريق من طرق نمو اللغة.

ويميل بعض الدارسين إلى أنه لا حجر على أي متكلم بالفصحى يصوغ جملاً عربية تشبه في نظامها جمل العرب في مفرداتها وأبنية كلماتها ودلالة ألفاظها، وإن لم تكن تلك الجمل بعينها مما قاله العرب، وقد أحسن «ابن جني» حين عقد في كتابه « الخصائص» فصلاً ذهب فيه إلى أن ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، فالاشتقاق الأصغر قياسي،

والمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها، وقد سبق بعضهم بعضاً في الوجود، ومنهم من يخطئ استخدام تكاتف بمعنى تعاون أو وضع كتفه إلى جانب كتف زميله[٢٦]، ويذهبون إلى التقيد بما ورد في المعاجم من صيغ ورفض مالم يرد فيها، ولطالما سمعنا «ليس من كلام العرب» إلا إذا نص النحويون على أن صيغة بذاتها قياسية.

ومن الواضح أن في ذلك تقييداً لا مسوغ له لأن اللغة أدق من قواعدها، وأوسع من معاجمها، وأن التقيد بما ورد منها في المعاجم القديمة ينقص من قدرتها على التطور والنمو، فهناك كلمات كثيرة لم يعرفها لسان العرب، وهناك ظواهر في بناء الجملة العربية الحديثة لا تكاد تبدو شائعة في الضوابط التي استخرجها النحاة من لغة القرون الأولى، فالجملة العربية الحديثة تعرف تراكم المصادر على نحو لم يعرف قديماً بالقدر والانتشار نفسيهما، ويعرف النثر العربي الحديث اتجاهاً إلى فك حالة الإضافة باستخدام حروف الجر[٢٧].

ويرى بعض الدارسين أن ثمة خطراً على اللغة العربية من الاقتراض اللغوي، ومن مخاطره ضياع القيمة التعبيرية للجذر العربي فكلمة «ورشة» المعربة عن workshop لا جامع بين مدلولها ومدلول الجذر «ورش» الذي يدل على الجموح.

ومن المخاطر أيضاً إرباك المعجمية العربية وذلك بإدخال جذور جديدة يصعب تصنيفها في إطارها الذي يعتمد على نظام الأسر اللغوية المؤلفة من الجذر واشتقاقاته، وهذا ما يؤدي إلى بلبلة فمثلاً كلمة «تلفاز» هل نضعها في «تلف» أو «لفز» أو نعتمد الأصل الرباعي «تلفز» على إشكالاته أو نعتمد الاسم كاملاً فنضعها تحت «تلفاز» أو «تلفزة»[٢٨].

ويذهب بعض الباحثين إلى الاقتداء بمنهجية سلفنا في وضع المصطلحات وتوليدها، «وهاهو ذا أبو الريحان البيروني ينددد بالمترجمين الأوائل الذين أخذوا الألفاظ اليونانية وأدخلوها باللغة العربية دون بيان معناها الحقيقي فيقول في مستهل كتابه «تحديد نهايات الأماكن» مبيناً تأثير ذلك على المتعلمين «ونحن نراهم يستعملون في الجدل وأصول الكلام والفقه طرق المنطق ولكن بألفاظهم المعتادة فلا يكرهونها، فإذا ذكر لهم «ايساغوجي وفاطيفورياس، وباري أرمنياس، وأنالوطيقا» يشمئزون منها وحق لهم ذلك فالجناية من المترجمين إذ لو نقلت الأسامي إلى العربية فقيل «كتاب المدخل والمقولات والعبارة، والقياس والبرهان» لوجدوا أنفسهم متسارعين إلى قبولها غير معرضين عنها[٢٩].

وهكذا نرى أن أصحاب هذا الاتجاه لا يجيزون التعريب لأنهم يرون فيه إفساداً للعربية وتشويهاً لها وعندهم أن الترجمة هي السبيل الأوفق والأولى بالاتباع.

٣ ـ المعتدلون:

ويفضل هؤلاء في سياق تعريب العلوم البدء بمحاولة ترجمة المصطلحات الأجنبية التي يراد نقلها إلى الساحة العلمية، ولكنهم لا يعارضون نقل المصطلحات الأجنبية بطريق التعريب، وهم إذ يفضلون البدء بالترجمة لأن في الترجمة مزايا علمية وقومية يتمثل أهمها في الظفر بحقائق علمية تكسوها لباساً عربياً يرشحها للتمثل والهضم والاستيعاب في سهولة ويسر بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك من إغناء اللغة العربية وتطويع مادتها.

واختيار البدء بالترجمة مشروط بشرطين متلازمين أولهما الفهم التام الدقيق لمفهوم المصطلح الأجنبي، وثانيهما أن يكون المصطلح العربي المقابل

مناسباً نطقاً وصياغة وخالياًمن الشذوذ والإغراب في أصواته وبنائه أي أن تكون صورته النطقية مقبولة ومستساغة، وشكله الصرفي مأنوساً بحيث يسهل استخدامه بطريقة تعمل على استقراره وانتشاره في الوسط العلمي المعين، فإذا كان المصطلح العربي المناسب موجوداً بالفعل فنعم ذلك، وإلا كان اللجوء إلى ابتكاره بطريق التوليد.

وللتوليد جانبان: توليد في الصيغة وتوليد في الدلالة.

والتوليد في الصيغة قد يكون بالوضع أو النحت، ونعني بالوضع ابتكار كلمة جديدة من أصل عربي بطريق الاشتقاق أو القياس أو ما إلى ذلك من ضروب التوليد اللفظي فإن لم يسعفنا الحال لجأنا إلى النحت، وهو منهج مأخوذ به في اللغة العربية منذ أقدم عصورها.

أما التوليد في الدلالة فيكون بتوظيف كلمات قديمة في معنى جديد بالتوسع في دلالته على ضرب من المجاز فالتوليد يعني اختراع كلمة جديدة أو توظيف كلمة قديمة في معنى جديد.

وإذا لم يوفق الدارس إلى ترجمة مصطلحاته الأجنبية إلى مايقابلها في العربية بالوسائل المشار إليها فلا ضير عليه أن يلجأ إلى التعريب، والتعريب أسلوب مشروع وله أحكامه وضوابطه التي تعني في الأساس إخضاع المصطلح الأجنبي لشيء من التعديل أو التغيير في بنيته ليطابق النظم الصوتية والصرفية في العربية، فالتعريب في مجال المصطلحات تابع للترجمة وتال لها متى كانت الترجمة الدقيقة عصية المنال.

وإذا صعب الأخذ بالتعريب في ضوء ضوابطه وأحكامه المقررة فلا مانع من نقل المصطلح الأجنبي بصورته الأصلية كاملة غير منقوصة، حتى يستقر مفهومه ويتضح بصورة لا لبس فيها ولا غموض. وليس ثمة بأس من

التعريب وخاصة في المراحل الأولى من نقل العلوم ولكن بأقدار مناسبة وحيث تكون الحاجة ملحة إلى هذا النهج[٣٠].

ويذهب بعض هؤلاء المعتدلين إلى القول إن التعريب يمكن أن يتم بكتابة المصطلح الأجنبي بالحروف العربية حينما يكون المصطلح لفظة شائعة في جميع اللغات مثال: رادار، إيدز أو سيدا، فاكس، يونسكو، وتتألف هذه الألفاظ كما هو معلوم من مجموعة حروف يدل كل واحد منها على معناه بإحدى اللغتين الإنكليزية أو الفرنسية على أن يكتب إلى جانب ذلك المعنى الذي تدل عليه باللغتين العربية والأجنبية. ومن الضروري كتابة الاسم الأجنبي بالحروف العربية وذلك حين يكون اسم علم أو اسماً لاتينياً لجنس من النبات أو الحيوان ولا يوجد له اسم مقابل باللغة العربية أو لا يمكن ترجمة ذلك الاسم مثل كوكا كولا، شامبانزي، كونغورو .....[٣١].

والواقع أن اللغة ليست بقاصرة عن تمثل المصطلحات الجديدة، وهذه المصطلحات الجديدة تتطلب تسمية لها فإذا لم توضع التسمية العربية فوراً استعملت التسمية الأجنبية واستخدمها الناس فسرت على ألسنتهم، والمسألة متوقفة على السرعة في وضع المصطلحات العربية تجاه مايقابلها من مصلحات أجنبية.

رابعاً ـ اجتهادات في وضع المصطلحات وتوليدها:

١ ـ من الاجتهادات التي ظهرت في مجال الاقتصاد مصطلح «الخصخصة» أو «التخصيص» مقابل المصطلح PRIVATI SATION وتعني نقل ملكية الدولة إلى الخواص.

ويتساءل بعضهم لماذا لا نستخدم مصطلح «الخوصصة» كما استخدمنا مصطلح «العولمة» بمعنى وضع الشيء على مستوى العالم، والصيغة

الصرفية واحدة هي «فوعلة» وتدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى مثل «قولبة» أي وضع الشيء في صيغة «قالب» والخوصصة ليست مشتقة من فعل خص يخص حتى يقال تخصيص بل من خاص مفرد خواص(٣٢).

والعولمة ترجمة لكلمة MONDIALIZATION الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي سواء تعلق الشيء بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة. والكلمة الفرنسية المذكورة ترجمة لكلمة GLOBALIZATION الإنكليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في أمريكا وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل.. وبهذا المعنى يمكن أن نفترض أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع أي العالم كله.

٢ - ومن الاجتهادات في مجال اللغة استخدام مصطلح الألسنية لترجمة مصطلح LINGUISTIQUe الفرنسي و LINGUISTICS الإنكليزي. ولمصطلح الألسنية تاريخ طريف فقد اطرد الظن أنه مصطلح اختص به أهل المغرب عموماً ثم تواتر الظن بأنه أخص بالمدرسة التونسية لابتكار بعض أبنائها إياه، وكلا الظنين واهم إذ إن مصطلح الألسنية كان مولده في فلسطين، ثم احتضنت لبنان نشأته، وقد رافقته في نشأته جملة من المصطلحات المتبلورة ذهنياً منها مصطلح «المعجمية» ومصطلح «الثنائية» أما واضعه فهو اوغيسطين الدومينيكي حين نشر سنة ١٩٣٧ كتابه «المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية والسامية». ثم اطرد استعمال المصطلح في المدرسة اللبنانية خاصة عندما عززه أنيس فريحة وريمون طحان بسلسلة عام ١٩٧٢ عنوانها «الألسنية»(٣٣).

غير أن مصطلح الألسنية لم يكن بين المتخصصين العرب يسير التمثل

فكأنما ظل يجر إثم النسبة إلى الجمع، ولهذا السبب عدل عنه إلى غيره. ومن المادة اللغوية (لسن) انبثق المصطلح الأكثر تجريداً والأبعد ائتلافاً والأعم تصوراً وهو لفظ «اللسانيات»، وقد ظهر في الجزائر عام ١٩٦٦ وعززه ظهور مجلة اللسانيات عن معهد العلوم اللسانية والصوتية في عام ١٩٧١، وقد شاع المصطلح و استخدمته الدراسات على اختلاف مشاربها، ولكن المترجمين اللبنانيين مازالوا على مايبدو حريصين على استخدام المصطلح القديم. ولعل من الأفضل استخدام المصطلح الأكثر شيوعاً وانسجاماً مع القواعد العربية وأصولها.

٣ - وفي مجال النصوص وضع مصطلح النص المفرّع مقابل hyper-text، والنص المفرع في علم الحاسوب هو تسمية مجازية في تقديم المعلومات يترابط فيها النص والصورة والأصوات والأفعال معاً في شبكة من الترابطات مركبة وغير تعاقبية مما يسمح لمستعمل النص (القارئ سابقاً) أن يجول في الموضوعات ذات العلاقة دون التقيد بالترتيب الذي بنيت عليه هذه الموضوعات، وهذه الوصلات تكون غالباً من تأسيس مؤلف وثيقة النص المفرع أو من تأسيس المستعمل حسب ما يمليه مقصد الوثيقة(٣٤).

ففي كلمة (بحيرة) على سبيل المثال في المجال الأدبي يمكن أن تقود إلى أشكال البحيرات في العالم ماضياً وحاضراً، ويمكن أن تقدم أنموذجاً لبحيرة جنيف وحين يكون النص معداً إعداداً أدبياً يمكن أن تقدم أسماء وربما نماذج من القصائد التي قيلت في البحيرات وأحياناً اللوحات الفنية و غيرها، وقد يسمع الإنسان ولا ينظر فحسب صوت شاعر يلقي نصاً على شاطئ بحيرة أو هدير أمواج أو صوت رياح وهي تصفر فوق البحيرة، وللمستعمل أن يطلب أي مؤثرات مساعدة وعندها يصبح النص مرفّلاً.

والنص المرفّل hyper media هو مصطلح لاحق للنص المفرع وإغناء

له وقد دخل مجدداً في علم الحاسوب وعالم الإعلام والتربية، وهو في علم الحاسوب دمج الرسوم والأصوات والفيديو أوأي تشكيل آخر في منظومة ترابطية بشكل رئيسي لخزن المعلومات واستدعائها. وفي النص المرفل تربط المعلومات بشكل يسمح للمستعمل أن يقفز عند عملية البحث عن المعلومات من موضوع إلى آخر متصل به، ويسمح للمستعمل أيضاً القيام بتداعيات بين الموضوعات بدلاً من التنقل المفروض تتابعياً من موضوع إلى آخر كما في قائمة الفبائية. فمثلاً إن عرضاً متشعباً حول الملاحة قد يحوي وصلات بموضوعات مثل التنجيم وهجرة الطير والجغرافية والأقمار الصناعية والرادار. وإذا قدمت هذه المعلومات بشكل رئيسي من خلال صيغة النص فهي أقرب إلى النص المفرع Hypertext. أما إذا داخلها الفيديو والموسيقا والتشخيص أو عناصر أخرى في العرض فإن النص يكون مرفلاًhypermedia ، وهذا يعني أن الأخير أكثر تعقيداً وتنوعاً وأوفر حركة وأغنى ارتباطاً. والنص المفرع اشتق من مصطلح (فرع) الدارج في فن الشروح والحواشي عند العرب(٣٥). أما المرفل فقد جاء في المعجم الوسيط رفل يرفل رفلاً ورفولاً ورفلاناً بمعنى جر ذيله وتبختر في سيره، ونلاحظ الحركة مع التبختر، ومنه المضعف رفَّل يقال رفّل في ثيابه أو في مشيه أي رفل(٣٦).

٤ ـ ثمة من يفرق بين مصطلح (الحداثة modernity) الذي يعني نزعة عامة باتجاه روح العصر والمستقبل، وبين الحداثية، modernisim وهو مصطلح محدد يدل على تمذهب خاص منبثق من المفهوم العام للحداثة، وفيه أحياناً جنوح نحو التنكر للقديم والتهاون بسلامة اللغة.

وفي كل اجتهاد لابد من توخي الاختصار وسهولة النطق في المصطلح الدخيل حينما يعرب، وتحاشي المفردات التي أدخلتها الصحافة المسموعة أو المكتوبة في صورتها الأعجمية من غير صقل، وعلى سبيل المثال:

وضع برجزة على وزن فَعْلَلة بدلاً من بورجوازية، ويمكن أن نشتق منها الفعل تبرجز أي صار برجزياً.

ووضع تلفزة للدلالة على المصدر في حين أن تلفاز يمكن استعماله للدلالة على الجهاز. ووضع سترجة على وزن فعللة بدلاً من استراتيجية.

والمقصود من هذه الطريقة في الاشتقاق هو صقل الألفاظ الأعجمية وتهذيبها بتطويعها لكي تلائم الذوق العربي، خصوصاً أن بعض المفردات الأعجمية التي يحتاجها هي في أصلها طويلة فإذا جاءت في صيغة الجمع (استراتيجيات، تكنولوجيات) أو في صيغة المثنى «تلفزيونات» فإنها تصبح مستثقلة[٣٧].

خامساً ـ سبل الارتقاء بوضع المصطلحات وتوليدها:

من السبل التي يمكن اعتمادها للارتقاء بوضع المصطلحات وتوليدها:

١ ـ الإفادة من خصائص اللغة العربية ومرونتها في وضع المصطلحات وتوليدها وعدم اللجوء إلى وضع المصطلحات الأجنبية كاملة إلا إذا أعوزتنا سبل الاشتقاق والنحت والترجمة و المجاز.

٢ ـ سرعة البت في وضع البديل باللغة العربية ذلك لأن في التباطؤ والإمهال تعزيزاً لاستخدام المصطلحات الأجنبية وسيرورتها على الألسنة والأقلام، وعندها يصبح من الصعوبة بمكان محوها.

٣ ـ التنسيق بين الجامعات في الدولة الواحدة ثم بين هذه الجامعات والجامعات العربية وبين هذه الجامعات والمعاهد المتخصصة ومراكز البحوث ومجامع اللغة والمنظمات العربية المعنية في العمل على توحيد المصطلح وسيرورته وانتشاره.

٤ ـ الاستعانة بأسلوب الفريق في وضع المصطلحات وتوليدها، على

أن يكون ثمة متخصصون في اللغة ومتخصصون في الترجمة، ومتخصصون في العلم نفسه ....إلخ.

٥ ـ اعتماد المجتمع وتقبله للمصطلحات، إذ إن اللغة ظاهرة اجتماعية وليست ملكاً لفرد معين، وقد اقترح بعضهم كلمة (مثَّالة) مقابل (fax) واقترح آخرون (الناسوخ) ، إلا أن الاستخدام الذي شاع هو (فاكس) وهي كلمة عالمية، حتى إن بعضهم لجأ إلى استخدام الفعل منها فقال (فكّس) أي استخدم الفاكس أو أرسل فاكساً. وعلى هذا النحو أخذت كلمة (شيفرة) مقابل (chiffre) الفرنسية كما استخدمت كلمة (code) الإنجليزية، ولم يشع استخدام (راموز) العربية، وإنما شاعت كلمة (كود) الإنجليزية، وبعضهم أخذ الفعل (يشفَر) و (يكوَد).

٦ ـ العبرة في الاستخدام في شيوع المصطلحات وسيرورتها، فبعد أن استخدم الناس (التلفون) في كلامهم جاءت مقترحات (المحاور، المقول، الهاتف) وسرت بعد ذلك كلمة الهاتف، ولكن ليس ثمة مسوغ لاستخدام التلفون بعد ذلك ما دام البديل العربي موجوداً، واللغة العلمية لا تحيا إلا بالتداول والاستعمال، كما أنه ليس ثمة مسوّغ لاستخدام كلمات (الديموغرافية، والبسيكولوجية، والسوسيولوجية، والميتودولوجية) مادامت البدائل العربية لهذه الكلمات موجودة (السكانية، والنفسية، والاجتماعية، والمنهجية) وثمة أسماء انقرضت أو تكاد تنقرض من الاستعمال الدارج مثل (أوتوموبيل، وكلمة جورنال)، إذ طردتهما كلمتا السيارة والصحيفة أو الجريدة.

٧ ـ الابتعاد عن التمحل في وضع المصطلحات من قبل أفراد وفرضها على الآخرين، إذ لا مسوغ لاستخدام مصطلح تكنجة ما دامت المجامع وضعت التقانة مقابل تكنولوجيا وصدرت (استراتيجية العلوم والتقانة) على

النطاق القومي، وهناك من نحت كلمة الزمكنة لبعدي الزمان والمكان، و (يعصرن) لجعله ملائماً للعصر. وكما سبقت الإشارة إلى أن العبرة للاستعمال، فالاستعمال هو الذي يفرز، وهو الذي يعزز بقاء مصطلح دون غيره.

٨ ـ قيام الإعلام بمسؤوليته في تعزيز المصطلحات من خلال الكلمة المسموعة والمكتوبة والمرئية، فالتنسيق بين أجهزة الإعلام والمجامع والجامعات يسهم أيما إسهام في سيرورة المصطلحات وانتشارها.

٩ ـ الأخذ بالحسبان الأعمال المترجمة في الترقية لأعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات.

١٠ ـ تخصيص جوائز في الجامعات والمجامع والمراكز للكتب المترجمة التي تعتمد المصطلحات التي تم إقرارها وقبولها.

١١ ـ الربط الوثيق بين وضع المصطلح وتوحيده من جهة واستخدامه في الترجمة والتأليف والتدريس والبحث العلمي من جهة أخرى.

١٢ ـ العناية بالتراث والبحث في أمهات الكتب فيه، وفي المخطوطات العلمية، عن المصطلحات في ميادين العلوم المختلفة، وتوجيه الباحثين في معاهد التراث إلى اختيار موضوعات رسائلهم في الماجستير والدكتوراه في مجال التراث العلمي العربي.

١٣ ـ تمكين الدارسين في الجامعات من اكتساب المهارات اللغوية في اللغة الأجنبية وإتقانها إضافة إلى تمكينهم من إتقان المهارات اللغوية في اللغة العربية وذلك في ضوء نصوص وظيفية في مجالات اختصاصاتهم.

١٤ ـ اعتماد التقنيات والحواسيب في الترجمة وفي تعليم اللغة وتعلمها، واعتماد معاجم حاسوبية في العلوم المختلفة.

١٥ ـ الاستعانة بالأبحاث المتطورة بشأن الترجمة الآلية التي تدخل فيها اللغة العربية شريكة مع اللغات الأخرى.

١٦ ـ وضع مساق في العلوم والحضارة العربية على أن يكون متطلباً أساسياً في الكليات الجامعية تتضمن مفرداته الأصول التراثية في التخصصات المختلفة.

١٧ ـ تعزيز الانتماء إلى الأمة ولغتها، إذ بقدر مايكون الانتماء عالياً تتحقق الأهداف وتذلل الصعاب.

١٨ ـ ضرورة الانتقال من استهلاك العلم والتقانة إلى استنباتهما عربياً ورصد الأموال الكافية للبحث العلمي في جميع الميادين.

خاتمة

والخلاصة التي ننتهي إليها هي أن اللغة في تطور دائم، وأن سلامة اللغة العربية في تطورها ومواكبتها لروح لعصر، وأنه آن لنا أن نتجاوز موضوع قدرة اللغة العربية على توليد المصطلحات ووضعها إلى مشكلة أساسية في ظل العولمة، وهي أن نحافظ على ذاتيتنا الثقافية وهويتنا الحضارية، وأن يكون لنا نصيب في الحضارة البشرية والتجربة الإنسانية والإسهام في إغناء الحضارة الإنسانية نأخذ منها كما يأخذ غيرنا، ونبلغ الآخرين بلغتنا كما يبلغوننا بلغتهم على حد تعبير عبد القادر المهيري، إذ لا مكان في هذا العالم إلا للأحياء المبدعين والأقوياء بإيمانهم وانتمائهم والمعتزين بأمتهم عملاً دؤوباً، وصدقاً مع مجتمعهم وأنفسهم، وعزيمة جبارة تذلل العقبات.

حواشي البحث

١ ـ الدكتور حامد عمار ـ من همومنا التربوية والثقافية ـ مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٥ ص ٥١.

٢ ـ الدكتور محمود أحمد السيد ـ شؤون لغوية ـ دار الفكر ـ دمشق ١٩٨٨ ص ٤٩.

٣ ـ الدكتور رفيق عطوي ـ تعليم اللغة العرية (صعوبات وحلول) ـ مؤتمر التدريس الفعال لمهارات اللغة العربية في المستوى الجامعي ـ جامعة الإمارات العربية المتحدة ـ العين ١٩٩٨ ص ٣٠٢.

٤ ـ المرجع الثاني ص ٥٠.

٥ ـ سورة النور (٣٣).

٦ ـ الدكتور كاصد ياسر الزيدي ـ الوزن الحضاري للعربية و التحديات المستقبلية ـ مجلة التعريب ـ العدد السابع عشر ـ حزيران ١٩٩٩ ص ١٩.

٧ ـ الجاحظ ـ البيان و التبيين ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الخانجي، القاهرة، ١/١٣٩.

٨ ـ نقلاً عن الدكتور محمود أحمد السيد ـ المرجع الثاني ـ ص ٥١.

٩ ـ المرجع السابق ص ٥٤.

١٠ ـ أحمد الضبيب ـ المصطلح العربي في عصر العولمة ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٧٣ الجزء ٣ تموز ١٩٩٨ ص ٦٩٥.

١١ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤/٣١٥.

١٢ ـ شحادة الخوري ـ التعريب والمصطلح ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد ٧٣ الجزء الرابع ص ٨٠٩.

١٣ ـ الدكتور جميل صليبا ـ المعجم الفلسفي ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧١ ص ١٢.

١٤ ـ أبو حيان التوحيدي ـ الهوامل والشوامل ـ القاهرة ١٩٥١ ص ١٠٤. نقلاً عن الدكتور جميل صليبا ـ المرجع السابق ـ ص ١٥.

١٥ ـ مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ٢٢/١.

١٦ ـ محمود مختار ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ولغة العلم ـ مجلة مجمع اللغة العربية ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٩٨٥ الجزء ٥٧ ص ١٨.

١٧ ـ محمد هيثم الخياط ـ نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث ـ الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني ـ عمان ١٩٩٤ ص ٩٥.

١٨ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد سنة ١٩٦٩ المجلد ١٧ ص ٢٩.

١٩ ـ محمود السمرة ـ مجلة مجمع اللغة الأردني ـ العدد المزدوج ١٥ ـ ١٦ سنة ١٤٠٢ هجرية ص ٩٦.

٢٠ ـ محمد هيثم الخياط ـ نحو منهجية موحدة لوضع المصطلح العربي الحديث ـ مرجع سابق.

٢١ ـ مجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ المعجم الطبي الموحد ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٤ (المقدمة).

٢٢ ـ الدكتور جميل صليبا ـ المعجم الفلسفي ـ مرجع سابق ـ ص ٨.

٢٣ ـ مصطفى طاهر الحيادرة ـ مشكلات تعريب المصطلح اللغوي المعاصر ـ ملخص رسالة ماجستير في كلية الآداب بجامعة اليرموك بإشراف الأستاذ الدكتور سمير استيتية ـ مجلة التعريب ـ العدد السابع ـ حزيران ١٩٩٤ ص ٢٠١.

٢٤ ـ الدكتور ممدوح خسارة ـ إشكالية الدقة في المصطلح العلمي ـ مجلة التعريب العدد السابع ـ حزيران ١٩٩٤.

٢٥ ـ الدكتور كاصد الزيدي ـ الوزن الحضاري للعربية والتحديات المستقبلية ـ مرجع سابق ص ٢٠.

٢٦ ـ الدكتور رمضان عبد التواب ـ العربية الفصحى وتحديات العصر ـ محاضرات الموسم الثقافي الخامس بجامعة مؤتة ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ ص ١٦٤.

٢٧ ـ الدكتور محمود أحمد السيد ـ شؤون لغوية ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣.

٢٨ ـ الدكتور ممدوح خسارة ـ مخاطر الاقتراض اللغوي على العربية ـ مجلة التعريب العدد السابع عشر ١٩٩٩ ص ٢٥.

٢٩ ـ الدكتور محمد زهير البابا ـ التعريب بين الماضي والحاضر ـ مجلة التعريب، العدد العاشر ص ٣٠.

٣٠ ـ الدكتور كمال بشر ـ التعريب بين التفكير والتعبير ـ مجلة التعريب، العدد التاسع ١٩٩٥ ص ٤٢.

٣١ ـ الدكتور محمد زهير البابا ـ التعريب بين الماضي والحاضر ـ مرجع سابق. ص ٤٤.

٣٢ ـ الدكتور محمد عابد الجابري ـ قضايا في الفكر المعاصر ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٩٧ ص ١٣٥.

٣٣ ـ الدكتور عبد السلام المسدي ـ قاموس اللسانيات ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ١٩٨٤ ص ٦٩.

٣٤ ـ الدكتور حسام الخطيب ـ الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع ـ المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر ـ دمشق ـ ١٩٩٦ ص ٧٩.

٣٥ ـ المرجع السابق ص ٨٠.

٣٦ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ج ١ / ط٣ / ص ٣٦٢.

٣٧ ـ الدكتور حنفي بن عيسى ـ القواعد العامة للترجمة ـ مجلة التعريب ـ العدد السابع عشر ـ حزيران ١٩٩٩ ص ٤٤.

٣٨ ـ عبد القادر المهيري ـ من قضايا العربية في عصرنا ـ مجلة المعجمية ـ جمعية المعجمية العربية ـ تونس ١٩٨٥ ص ٨.

التكنولوجيا الحديثة والمصطلح العلمي العربي
في ظل اقتصاد المعرفة

الدكتور محمد مرايايتي – الأستاذ مروان البواب

مستخلص:

سنتطرق لفكرتين تدور الأولى حول الأهمية الجديدة للمصطلح في ظل ما يسمى بالاقتصاد المعرفي، وتتعلق الثانية بإمكانيات استخدام التكنولوجيات (التقانات) الحديثة في توليد المصطلح وتوحيده ونشره. مع توجه العالم نحو اقتصاد المعرفة، يغدو المصطلح العلمي ضرورة أساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. يتوجه الاقتصاد العالمي (أكثر من السابق) من ذلك الاقتصاد الذي أساسه المادة إلى الاقتصاد المبني على المعرفة Knowledge-Based Economy. وهناك ظواهر عديدة لهذا التوجه ودلائل على تعاظم دور المعرفة في التنمية، كما يمكن قياس ذلك باستخدام مؤشرات عددية تدل على تسارع هذا التوجه، ونشهد مؤخراً العديد من الأمثلة على هذا الاقتصاد وعلى دور المعرفة فيها.

إن اللغة هي وعاء المعرفة والمصطلح مادتها، لذلك فإن نجاح تجاوب الأمة عامة مع اقتصاد المعرفة ومع المعرفة يحتاج للتعامل معها بلغة الأم، إذ كيف للاقتصاد أن ينمو إذا كان العنصر البشري وهو العامل الأهم في هذا النمو لا يتكلم لغة المعرفة ولا يعرف مصطلحاتها؟

تقدم تكنولوجيات العصر وخاصة تكنولوجيات المعلومات والاتصالات والإعلام وتكنولوجيا اللغة فرصة جديدة وهائلة لاستعمالها كوسائل وأدوات فعّالة لوضع المصطلح وتوحيده ونشره، وستبين هذه المقالة بعضاً من هذه الإمكانيات وسنختم المقال ببعض التوصيات.

اقتصاد المعرفة

يتجه الاقتصاد العالمي أكثر من أي وقت مضى نحو اقتصاد يتعاظم فيه دور المعرفة. فمركبة المعرفة في الإنتاج والخدمات التي تمثل الفعاليات الأساسية في الاقتصاد تزداد باستمرار، كما بدأت القدرة التنافسية لهذه الفعاليات تستند أكثر من السابق على المعرفة العلمية والتكنولوجية وعلى المهارات البشرية في هذه الحقول. وازداد تداول المعرفة كسلعة أو خدمة بشكل كبير. من جهة أخرى يشهد الاقتصاد تنامياً هائلاً في قيمة الأصول غير المادية للشركات والمؤسسات Intangible Assets، إذ توجد الآن شركات لا تزيد قيمة أصولها المادية من بناء وتجهيزات عن مئات ألوف الدولارات بينما تقدر قيمتها في السوق ببليونات الدولارات نظراً لامتلاكها معارف على شكل قواعد معطيات مختلفة، وعلى شكل علاقات تزويد وتسويق متشعبة، ونظراً لتمتعها باسم معروف وموثوق Trade Mark.

من ظواهر اقتصاد المعرفة أيضاً اهتمام الشركات بها، والحفاظ على سريتها، والتشديد على ذلك من خلال ما يسمى بحقوق الملكية الفكرية، التي يزداد التأكيد عليها ومتابعتها عالمياً عبر المنظمة العالمية للملكية الفكرية WIPO، وعبر اتفاقيات مثل TRIPS، ...

ومـــن المظاهر الأساسية في هذا الاقتصاد ازدياد الطلب على القوى العاملة "المعرفية" أي تلك التي تمتلك المعرفة والخبرة، وازدياد مرتباهما، مقابل نقص في الطلب وفي المرتبات على القوى العاملة اليدوية.

يجـــري ترميز المعرفة بكافة أنواعها على شكل أرقام إثنانية Binary. هذا الترميز الرقمي للنصوص والوثائق والصور والأفلام والكلام والموسيقى وغيرها، جعل المعرفة تتجه نحو سهولة وتقييس التداول من حيث التحصيل والخزن والفهرسة والبحث والنقل.

من المؤشرات التي تقاس فيها درجة التوجه نحو اقتصاد المعرفة ما يلي:

- **عدد الحواسيب في أماكن العمل؛**
- **المركبة المعرفية في مجمل الصادرات لكل دولة؛**
- **كمية المبادلات المعرفية الدولية؛**
- **نسبة القيمة المضافة المعرفية في السلع والخدمات؛**
- **عدد براءات الاختراع؛**
- **مدة التعلم والتدريب للفرد خلال عمره المهني؛**
- **عدد الحواسيب المضيفة على الإنترنت لكل دولة؛**
- **عدد مستخدمي الإنترنت كنسبة من عدد السكان؛**
- **عـــدد مواقـــع الشركات على الإنترنت ونسبة التعامل بالتجارة الإلكترونية فيها؛**
- **عـــدد قواعـــد المعطيـــات المتوفرة في كل من قطاعات الإنتاج والخدمات**

ونريد في هذا البحث التأكيد على فكرتين هما:

اللغة وعاء المعرفة والمصطلح مادتها، لذلك يأخذ المصطلح أهمية جديدة في ظل اقتصاد المعرفة ويلعب دوراً اقتصادياً تنموياً إضافة لدوره السابق في المجال العلمي والثقافي.

تقدم التقانات (التكنولوجيات) الحديثة وهي أساس اقتصاد المعرفة، فرصة سانحة للاستفادة منها وتسخيرها في توليد المصطلح وتوحيده ونشره. ومن هذه التكنولوجيات: تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واللغة والإعلام.

المصطلح العلمي يغدو ضرورة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية

يعبر عن المعرفة باستعمال اللغة من خلال المصطلح العلمي. ويمكن تقسيم المعرفة إلى أربعة أشكال هي:

- معرفة المعلومة أو "معرفة ماذا" Know What
- معرفة العلة أو "معرفة لماذا" Know Why.
- معرفة الكيفية أو "معرفة كيف" Know How.
- معرفة أهل الاختصاص أو "معرفة من" Know Who.

وفي كل هذه الأشكال يُعدُّ المصطلح حجر الأساس في جمع أو تحصيل المعرفة، وخزنها أو إدخالها إلى ذاكرة الحاسوب، ثم معالجتها فهرسةً وبحثاً وتصنيفاً، وأخيراً في استرجاعها، ونشرها واستخدامها. وقد ولّد اقتصاد المعرفة شبكات معرفية على مستوى المؤسسات (Intranet) والأقاليم

والعالم (Internet). وباستناد الاقتصاد الحديث على المعرفة واستناد تداول المعرفة بكل عملياتها على المصطلح وباتجاه المجتمع نحو مجتمع المعلومات، أصبح المصطلح ضرورة اقتصادية واجتماعية ملحة.

إن نجاح تفاعل الأمة عامة مع اقتصاد المعرفة يحتاج للتعامل معه بلغة الأم، من هنا تنبع أهمية المصطلح العلمي في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية. إن عمليات التكنولوجيا وتوطين المعرفة شعبياً تحتاج للمصطلح العلمي، إذ لا يمكن جعل العمالة العربية عامة (أكثر من ٦٠ مليون عامل) تتقن المعرفة (بأنواعها الأربعة) باللغة الإنكليزية أو الفرنسية، كما لم نجد أمة من الأمم في العالم تمكنت من توطين التكنولوجيا بلغة غير لغة الأم.

المصطلح العلمي والتكنولوجي ضروري لتوحيد ولتوسيع السوق البينية العربية، وذلك في المجالات المالية والمصرفية، ومجالات التشغيل والصيانة، وكذلك في حقول التعليم عن بُعد، خصوصاً في مجالات التجارة الإلكترونية e-commerce، وغيرها. لذلك فإن توليد المصطلح وتوحيده ونشره أصبحت ضرورة تنموية لها جدواها الاقتصادية. وعليه فإن الجهود في هذه المجالات مطلوبة حتى من القطاع الخاص فهو مدعو لأن يدخل في دعم هذه الجهود. ومن الأمثلة على أهمية اللغة في الاقتصاد الجديد وفي التجارة البينية ما يشهده على صعيد الاتحاد الأوروبي بلغاته الـ ١٢، إذ يجري تنفيذ العديد من مشاريع الترجمة الآلية والفورية بين هذه اللغات لتسهيل التواصل الاقتصادي والاجتماعي بين دول الاتحاد.

وهـــناك العديـــد مـــن المشاريع الأوروبية لتحقيق هذه الترجمة الآلية على الإنـــترنت. إن المقـــابل العربي لمثل هذه المشاريع ليس إلا توحيد وإشاعة المصطلح العلمي العربي.

وتعـــد التكـــنولوجيات الحديثة متاحة للمساعدة في عمليات توليد وتوحيـــد وإشاعة المصطلح ومن هذه التكنولوجيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واللغة والإعلام.

تكنولوجيا المعلومات والمصطلح

تطـــورت تكـــنولوجيا المعـــلومات تطـــوراً سريعاً، دخلت فيه كل نشـــاطات الحيـــاة من البيت إلى المدرسة والمصنع والمكتب، كما تعد هذه التكـــنولوجيا الخـــلفية الأساســـية لاقتصـــاد المعـــرفة. أما تطبيقات هذه التكـــنولوجيا فهـــي واســـعة وتتفتق كل يوم عن جديد. وينمو الاقتصاد المعـــلوماتي أكثر من أي قطاع آخر في الدول المتقدمة، ولا بد للعالم العربي من محاولة أخذ حصته من هذا القطاع المعرفي العالمي.

يمكـــن لهـــذه التكـــنولوجيا أن تُستخدم لصالح توليد وتوحيد ونشر المصطلح (انظر الصندوق رقم –١–):

- **تقـــدم تكنولوجيا الوسائط المتعددة Multimedia المتوفرة في كل الحواسيب اليوم، والتي تسمح لمستخدم الحاسوب بالتعامل مع النص المكـــتوب ومـــع الصـــوت والصـــورة والفيلم بآن معاً، تقدم هذه التكـــنولوجيا وسيلة جديدة وفعّالة لبناء معاجم للمصطلحات يجري فيهـــا شـــرح كـــل مصـــطلح بكافة الوسائط. كما توفر لغة برمجة**

النصـــوص الفائقـــة (أو النصوص المفرعة) HTML إمكانيات لبناء معاجم للمصطلحات غاية في السهولة للانتقال من المصطلح إلى شرح كافة ما يدور حوله بسرعة ويسر، وكذلك الانتقال من مصطلح إلى آخـــر بكبســـة زر دون الحاجة للانتقال من جزء إلى آخر من أجزاء المعجم الورقية!!

- توفـــر تكـــنولوجيات قواعد المعطيات، وقواعد المعرفة، والنظم الخبيرة Expert-Systems، الآن إمكانية وضع المعطيات إضافة إلى وضع القواعـــد وبعـــض الذكاء في الحاسوب وتسخيرها جميعاً في موضوع المصـــطلح. فعـــلى سبيل المثال، يمكن الآن إدخال الجذور وقواعد الصرف وقواعد النحو وقواعد الدلالة إلى الحاسوب وتسخيرها جميعاً للمساعدة في توليد المصطلح وفق منهجية محددة معتمدة. كما تساعد هـــذه التكـــنولوجيات في إيجاد وتحديد بنوك المصطلحات، وكذلك المكانـــز الـــلغوية الضـــخمة، والقيام بتحليل هذه المكانز لاستخراج المصطلحات تاريخياً وجغرافياً وموضوعياً.

- تســـاعد تكـــنولوجيا الترميز الرقمي للمعرفة بأنواعها في تخزين المعـــرفة ومـــنها المعـــاجم وبنوك المصطلحات في حيز فيزيائي صغير كأقراص الليزر CD-ROM، ووفق معايير أو تقييس معتمدة، وتوفيرها لـــلفرد العربي بسرعة وسهولة وتكلفة زهيدة، وبالتالي بكميات كافية على المستوى العربي. لقد حسبت ما لدى المكتبة الوطنية السورية من كـــتب ومـــراجع فوجدت أنه يمكن خزنها جميعها على شريط ليزري

واحـــد فقط!! إذن يمكن شراء المعاجم الآن بعشرات الليرات بدل آلاف الليرات مما يساعد في توحيد وإشاعة المصطلح.

- يُعـــدُّ النشر الإلكتروني الحديث من التكنولوجيات التي ستجعل الكتاب الإلكتروني سهل التحرير، وقليل التكلفة، وسهل التبادل أو الـــنقل عبر الشبكات. توفر هذه التكنولوجيا الفرز الآلي، وتصحيح النصـــوص والفهرســـة الآليتين، كما توفر معاجم آلية موجودة تحت تصـــرف المحرر تزوده بشكل آلي بالمصطلحات والمرادفات والأضداد (هـــذا مـــتوفر الآن للغة الإنكليزية). من شأن هذه الآليات تسهيل توليد وتداول المصطلحات.

- أخيراً توفر تكنولوجيا التجارة الإلكترونية **e-commerce**، وهـــي ممارســـة الـــتجارة عبر شبكة الإنترنت، إمكانية بيع المعاجم واستلامها عبر هذه الشبكة بشكل فوري، وهذا يُعد بحد ذاته وسيلة فعَّالة لإشاعة المصطلح ولتوحيده.

تكنولوجيا الاتصالات والمصطلح

- تـــتزاوج تكـــنولوجيا المعلومات مع الاتصالات لتعطي تطبيقات متـــنوعة وهامة ستساعد في التواصل لتوحيد وإشاعة المصطلح (انظر الصـــندوق رقم –٢–).إذ تُعدُّ الشبكات الحاسوبية بأنواعها وسيلة ناجعـــة لنشـــر المصـــطلح. إن وضـــع المعاجم المصطلحية ولوائح المصـــطلحات على الشبكات المحلية للمؤسسات **Intranet**، من شأنه أن يوحد استعمال المصطلح ضمن المؤسسة الواحدة. وبالمقابل، إن وضـــع المعاجم المصطلحية العربية على الإنترنت، كما هي الحال

بالنسبة للغات الأخرى، سيساعد في التواصل المصطلحي العربي. يضاف إلى ذلك بأن تسهيلات التواصل التي توفرها شبكة الإنترنت مثل البريد الإلكتروني، ومجموعات الأخبار، والدردشة، ونقل الملفات، ومواقع المؤسسات والأفراد، كلها تساعد في التواصل المصطلحي على مستوى الوطن العربي عامة. إذ يجب إيجاد مجموعة أخبار للمصطلح العلمي العربي، وإنشاء مواقع على الإنترنت لكل المؤسسات التي تعمل في المصطلح، ووضع المعاجم الإلكترونية على هذه الشبكة. ومن الأمثلة في اللغات الأخرى الموقع **www.onelook.com** الذي يحتوي على أكثر من ٦٢٩ معجماً.

- من جهة أخرى، توفر الشبكات الحاسوبية إمكانية التشبيك بين المؤسسات التي تعمل في المصطلح، مثل مجامع اللغة العربية ومؤسسات التعريب والجمعيات العلمية. إن مواقع هذه الجهات على الإنترنت يجب أن تشبك وأن توضع الروابط فيما بينها، مما سيساعد في توحيد وإشاعة المصطلح، خاصة إذا وضع كل مجمع جميع منشوراته في موقعه على هذه الشبكة.

- ستكون الجامعات الإلكترونية العربية إذا أحسن تصميمها وتعريبها وسيلة فعّالة لتوحيد وإشاعة المصطلح العلمي العربي. وهناك عدة مشاريع عربية في هذا المجال يتوقع أن تستقطب مئات آلاف الطلاب العرب. ومن الضروري هنا الاهتمام بتعريب العلوم في هذه الجامعات وبالتالي سيكون لها أثر في توليد وتوحيد وإشاعة المصطلح العلمي العربي إذ ستنتشر في كل الدول العربية غير عابئة بالحدود فيما

بينها!! وعلى مجامع اللغة العربية التعاون مع هذه الجامعات لحسن تعريبها.

▪والخلاصة هي أن تكنولوجيا الاتصالات الحالية، بما فيها الهاتف الجوال أو المحمول الذي يمكن وصله إلى الحاسوب والإنترنت، يمكن لها أن توفر لك عشرات المعاجم أينما كنت حتى في قلب الصحراء. وقد جرى مؤخراً تسويق نماذج متكاملة صغيرة ورخيصة الثمن من الهاتف المحمول المتكامل مع الحاسوب والإنترنت.

تكنولوجيا اللغة والمصطلح

من التكنولوجيات الحديثة ما يسمى بتكنولوجيا اللغة Language Technology (انظر الصندوق رقم -٣-). تشتمل هذه التكنولوجيا على تقنيات التواصل بين الإنسان والآلة، مثل تعرف الكلام آلياً وتركيب الكلام من قبل الحاسوب. كما تشتمل على عمليات معالجة اللغة الطبيعية آلياً Natural Language Processing حيث يقوم الحاسوب بالمعالجات الصرفية والنحوية والدلالية بشكل آلي. وتشتمل أخيراً على تقنيات الترجمة الآلية والترجمة بمساعدة الحاسوب من والى اللغة العربية.

إن هذه التقنيات ستقدم خدمة لمسألة توليد وتوحيد وإشاعة المصطلح:

▪فتعرف الكلام وتركيبه آلياً يمكن أن تستعمل موصولةً مع قواعد المعطيات المصطلحية ووضعها على الإنترنت مثلاً كي تسهل على العامة الدخول إلى هذه القواعد عن طريق الكلام وأخذ الإجابة حول المصطلحات آلياً عن طريق الصوت. ويمكن أن تقوم مجامع اللغة

العربية أو منظمات التعريب بوضع قواعد المعطيات هذه في مواقعها على الإنترنت.

▪أما تقنيات معالجة اللغات الطبيعية فستساعد في إيجاد نظم خبيرة أو قواعد معرفة لتوليد المصطلح وفق منهاج موحد معتمد عربياً. كما يمكن أن تساعد في الفرز الآلي والبحث الآلي والفهرسة الآلية للمصطلح في عمليات تحرير الكتب والوثائق.

▪لا يخفى على أحد ما يمكن أن تقدمه تكنولوجيا الترجمة بمساعدة الحاسوب أو الترجمة الآلية من خدمات وتسهيلات لعمليات توليد وتوحيد وإشاعة المصطلح، وخاصة إذا ما جرى تعاون بين الشركات التي تقدم هذه التكنولوجيات من جهة ومجامع اللغة العربية ومؤسسات التعريب والترجمة من جهة أخرى. إذ يمكن لهذه الشركات تبني لوائح المصطلحات المعتمدة من قبل هذه المجامع والمؤسسات وبالتالي تحقيق تقدم كبير باتجاه الوصول إلى الهدف المنشود من التوحيد والإشاعة وذلك بتكلفة قليلة وسرعة كبيرة.

▪نجد أخيراً أن تقنيات التحليل الآلي للنصوص والفهم الآلي لها من قبل الحاسوب تستطيع أن تدلو بدلوها في عمليات استخراج المصطلحات من نص ما وعمليات توحيد المصطلح بشكل آلي في كتاب ما.

تكنولوجيا الإعلام

تطورت تكنولوجيا الإعلام خلال العقدين الأخيرين بشكل كبير ولا بد للعالم العربي من الاستفادة منها كوسيلة فعّالة لتوحيد وإشاعة المصطلح

(انظر الصندوق رقم –٤–). من هذه التقنيات الجديدة التلفزيون التخاطبي، وشبكات الألياف البصرية التي تصل إلى المنازل (مثال القرى المعلوماتية في مصر) توفر ما يسمى بالطرق السريعة للمعلومات Information Highway، والأقمار الصناعية، والشبكات الهاتفية الخليوية أو الهاتف النقال.

من جهة أخرى، نرى توجهاً حقيقياً نحو تكامل كل وسائط الاتصال مع بعضها البعض وإيصالها للفرد. فالنظم المتكاملة الآن تضم الصوت والنص والصورة والقلم بآن معاً كما توفر الهاتف والفاكس والإنترنت.

التوصيات:

إن تبني وإقرار منهجية موحدة لوضع وتوحيد وإشاعة المصطلح أمر هام من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ظل التوجه نحو اقتصاد المعرفة، لذلك نوصي بوضع سياسة عربية للمصطلح العلمي ضمن السياسة الثقافية العربية تشتمل على إجراءات في المجالات الأربعة التالية:

(أ) مجال توليد المصطلح: ترابط وتكامل مبادئ توليد المصطلح ضمن نظرية متناسقة:

- التأكيد على تعريب التعليم العالي والبحث العلمي، وتشبيك الجامعات ومراكز البحوث العربية.
- دعم ترجمة العلوم إلى العربية والترجمة بمساعدة الحاسوب.
- التأكيد على دعم البحوث في المصطلح للوصول إلى منهجية موحدة في وضع المصطلح واستخدام قواعد المعرفة والنظم الخبيرة في ذلك.

- التأكيد على إدخال مادة علم المصطلح بمساعدة الحاسوب في التعليم العام والعالي.
- دعوة القطاع الخاص للمشاركة في دعم وضع وتقييس المصطلح العلمي: التجارة الإلكترونية البينية، وعولمة التجارة والمال والإنتاج.

(ب) مجال توحيد المصطلح: حل مشاكل الترادف والاشتراك والإقليمية:

- تشبيك: مجامع اللغة، ومؤسسات التعريب، ومؤسسات علم المصطلح العربية والعالمية، الجمعيات العلمية، ...
- تشبيك هيئات المواصفات العربية بالتعاون مع AIDMO وتسريع إصدار المواصفات الخاصة بما يلي: منهجية وضع المصطلح العلمي العربي، دليل علم المصطلح، السردات القياسية الاختصاصية، تُصنيف وخزن المصطلحات، ...
- وضع معاجم على الإنترنت.

(ج) مجال إشاعة المصطلح:

- التوجه نحو وضع معاجم حاسوبية متعددة الوسائط على الإنترنت حسب الحقول العلمية، وتحديثها دورياً.
- تبني مبادرات وطنية وعربية لبرامج تلفزيونية فضائية بالتنسيق مع مؤسسات المصطلح.
- برامج وطنية لتحويل المكتبات العربية إلى رقمية لرفع معدلات التداول.
- وضع مجلات المصطلح (اللسان العربي مثلاً) على الإنترنت.
- وضع "المعاجم الموحدة" للمصطلح على الإنترنت.

(د) مجال التعاون العربي والدولي

- تشبيك مؤسسات المصطلح العربية والعالمية:
  - **الشبكة الدولية للمصطلحات في فيينا Termnet**
  - **مركز المعلومات الدولي لعلم المصطلح.**
  - **الشبكة الدولية للإعلام المصطلحي في أستراليا Infoterm.**
  - **مكتب تنسيق التعريب – ألكسو.**
  - **هيئات ومراكز ومعاهد المواصفات العربية.**
  - **اللجان : TC-5 TC-8 AIDMO.**
  - **الأمم المتحدة: ..... UNESCO,WIPO, WB,UNIDO.**
  - **اللجـــنة 6150 704 919 (ISO Tc-37) مواصفة شبكات وبنوك المصطلحات.**
  - **المنظمات والاتحادات العربية الاختصاصية.**
- الطلب من كل الجهات وضع صفحة خاصة بالمصطلح في مواقعها.

تكنولوجيا المعلومات و المصطلح

تشبه الكهرباء أول ظهورها و التسابق إلى حقول الذهب

تكنولوجيا المعلومات ← **إلى كل بيت**

تعدد الوسائط ← معاجم المصطلحات، النصوص الفائقة المصطلحية

قواعد المعطيات و المعرفة والنظم الخبيرة ← بنوك المصطلحات، المكانز و المصطلح
النظم الخبيرة لتوليد المصطلح،
توثيق وتنسيق المصطلحات

ترميز المعرفة رقمياً ← كميات هائلة، سرعة، سهولة، تقيس، تكلفة

النشر الإلكتروني ← أسهل و أرخص، مكتبات ومعاجم في متناول العامة،
تصحيح نصوص آلي، فهرسة آلية، فرز آلي، تحرير نصوص مع معاجم مصطلحية آلية

التجارة الإلكترونية E-com ← بيع المعاجم ، إشاعة المصطلح ، التقييس

الصندوق رقم (١)

تكنولوجيا الاتصالات و المصطلح

الشبكات المحلية Intranet ,Extranet ← لوائح ومعاجم المصطلحات

التواصل المصطلحي = ثورة

الشبكات العالمية(الإنترنت) ← البريد الإلكتروني، المواقع
مجموعات الأخبار ، المعاجم الإلكترونية ،
نقل الملفات، الدردشة

التشبيك = توحيد وإشاعة

الشبكات الافتراضية ← مجامع اللغة، مؤسسات التعريب،الجمعيات العلمية

الجامعة الإلكترونية ← توحيد و إشاعة

الحاسوب ـ الهاتف البدوي nomad ← توحيد وإشاعة

الصندوق رقم (٢)

تكنولوجيا اللغة

التواصل بين الإنسان و الآلة
تعرف وتركيب الكلام، فهم الكلام ← تواصل آلي مع قواعد المعطيات المصطلحية

معالجة اللغات الطبيعية ← الصرف و النحو و الدلالة الآلية و المصطلح، البحث الآلي ، الفرز الآلي، الفهرسة الآلية

الترجمة بمساعدة الحاسوب،
و الترجمة الآلية ← معاجم مصطلحات آلية
معاجم تقابل للمصطلحات

التحليل الآلي للنصوص وفهم النصوص ← استخراج المصطلحات من نص
توحيد المصطلح في نص

الصندوق رقم (٣)

تكنولوجيا الإعلام

وسيلة فعالة لتوحيد وإشاعة المصطلح

- التلفزيون التخاطبي
- شبكات الألياف البصرية حتى المنازل
- الأقمار الصنعية و الشبكات الخلوية
- تكامل نظم الإعلام و المعلوميات : الأجهزة الجوالة
  و الصوت و النص و الصورة و الإنترنت

الصندوق رقم (٤)

السوابق واللواحق

وأهميتها في فهم ووضع المصطلح العلمي

الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

لقد تعرضت اللغة العربية منذ انتشارِ التعليم العالي في بعض الأقطار العربية، لحملاتٍ مغرضة تدّعي بأن هذه اللغة غير أهلٍ لتدريس العلوم الحديثة. وكان أكثرُ من آثارَ تلك الحملاتِ هم من المتعلمين العرب الذين تخرجوا من معاهد إفرنسية أو إنكليزية، منذ أوائل هذا القرن. وكانت حجتُهم الرئيسة: أن كثيراً من المصطلحات العلمية الحديثة لا يوجدُ ما يقابلها باللغة العربية، وأن هذه اللغة تعجزُ عن إيجاد لفظة عربية واحدة، تؤدّي المعنى الذي يتضمنُه المصطلح الأجنبي.

من المعلوم أن مجامعَ اللغة العربية، في القاهرة ودمشق وبغداد وعمّان، منذ نشأتها بين عامي (١٩١٩ - ١٩٧٦)، قد قامت بوضع أسس التعريب والترجمة والاشتقاق. وصدرت عنها مئاتٌ من الألفاظ العربية، الأصيلة والمستحدثة، والتي تعبر عن كثير من المصطلحات الواردة في مختلف المؤلفات العلمية الأجنبية الحديثة.

كما توحّدت أهدافُ تلك المجامع والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

١ً - الحِفاظُ على سلامةِ اللغةِ العربيةِ من اللحن.

٢ً - إغناؤها بالمصطلحات اللازمة لدراسة العلوم العصرية.

٣ً – السعيُ لإحياء التراث العربي الإسلامي بتحقيق المخطوطات ونشرها، للاستفادة مما فيها من مفردات.

٤ً – وضعُ وتوحيدُ المصطلحات المستعملة في مختلف العلوم والفنون والآداب.

٥ً – وضعُ معاجمَ عامةٍ ومعاجمَ اختصاصية، تضمُ تلك المصطلحات، باللغات الثلاث العربية والفرنسية والإنكليزية.

٦ً – تقومُ لجنةٌ فنيةٌ أو علمية، في كل بلد عربي، بدراسةِ المصطلحات التي يُراد وضعُها أو تعريبها أو ترجمتها، بالاشتراك مع ممثلين للمجامع اللغوية أو العلمية الموجودة فيها. وتُودع هذه الدراسات لدى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، لتوزيعها على الهيئات العلمية لأخذ الرأي، تمهيداً لعقد مؤتمرات علمية مختصة تقوم على توحيد المصطلحات المختلف عليها.

مما سبق يتبين أنه كان لابد من قيام مكتبٍ مختص يقومُ بتنسيق التعريب بين الأقطار العربية.

وقد تأسس هذا المكتب فعلاً منذ عام ١٩٦٩، وأصبح مقره في مدينة الرباط بالمغرب. وأُلحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٢. وبدأ بنشر مجموعة من المعاجم الاختصاصية، ضمن مجلة دورية أُطلق عليها اسم اللسان العربي. ثم أخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب، بإصدار سلسلة من تلك المعاجم، ثلاثية اللغة، ونرجو أن يتم عما قريب إتمام تلك السلسلة لتشمل جميع العلوم والفنون والآداب التي تدرس في الجامعات.

والآن، وبعد أن استعرضنا جهود جميع المؤسسات العربية التي تساهم في حملة تعريب العلوم والفنون العصرية ألا يحق لنا أن نتساءل عن الأسباب التي جعلت بعض الجهات المسؤولة في البلاد العربية تحجم عن تدريس العلوم بلغتها الأم في المرحلة الجامعية، علماً بأن أكثر اللوائح التنفيذية للجامعات العربية تتضمن مادة تنص على أن تكون دراسة العلوم فيها باللغة العربية، إلا إذا تعذّر ذلك لسبب ما.

لقد كان وراء إحجام بعض الدول العربية أو الإسلامية أسبابٌ استعمارية أو عرقية أو طائفية. فمن الأغراض الاستعمارية التفريق بين الشعوب الإسلامية بإبعادهم عن لغتهم لأنها لغة القرآن الكريم. وذلك بإقناعهم أن الحروف العربية صعبة النطق، وفيها حروف غير موجودة باللغات الأخرى، كما أن الكتابة بها صعبة لأنها تحتاج لكثير من الإعجام والتشكيل.

ويقول بعض المستشرقين إن اللغة العربية الفصحى فقيرة بالمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة، بينما اللهجات العامية أصبحت أغنى منها بتلك المفردات. لهذا لابد أن تتوارى اللغة العربية الفصحى، كما توارت اللغة اللاتينية خلال عصر النهضة، وأن تحل محلها لغات فتية، أكثر قابلية للنمو والتطور، كاللغات الفرنسية والإيطالية والإسبانية، التي نشأت منها.

ومن الحجج التي يدلي بها المغرضون، عجز اللغة العربية عن ترجمة البوادئ واللواحق المستعملة في تشكيل المصطلحات العلمية الأجنبية، للحصول منها على مصطلح عربي يتألف من لفظة واحدة، كما هو الحال باللغات الأجنبية.

لقد كنت أود الرد على جميع الحجج التي أوردها أعداء اللغة العربية، ولكن نظراً لضيق الوقت المحدّد لكل محاضرة لذلك سأكتفي بالكلام عن ترجمة السوابق واللواحق، الواردة في المصطلحات الأجنبية، لإيجاد مصطلح عربي يؤدي معنى المصطلح الأجنبي.

من المعلوم أن المصطلحات العلمية، لاتينية كانت أو فرنسية أو إنكليزية، تتألف من مقطع واحد أو أكثر. فمثلاً كلمة ion هي من أصل يوناني، وتعني السائح أو السائر. ولما تحول معناها لمصطلح يعني الذرة، أو مجموعة من ذرات، تحمل شحنة كهربائية موجبة أو سالبة، فقد أطلق عليها في سورية اسم الشاردة. أما إذا كان المصطلح يتألف من مقطعين أو أكثر فإنه يطلق على المقطع الأول اسم بادئة أو سابقة Prefixe، و يطلق على المقطع الثاني اسم لاحقة أو كاسعة Suffixe. أما إذا توسط بين البادئة واللاحقة مقطع واحد أو أكثر فيطلق عليه اسم داخلة Infixe.

وهنالك ألفاظ بسيطة تضاف لجذر الكلمة، اسماً كانت أو صفة أو فعلاً، في أولها أو في آخرها، فتعطيها معنى آخر، وتدعى لاصقة Affixe. ومثال ذلك إضافة الحرف a الذي يعطي للكلمة معنى بلا أو بدون، مثال ذلك: acepale أي بلا رأس وacaule أي عديم الساق.

إن فكرة ترجمة المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية، بالاعتماد على ترجمة البادئة واللاحقة ليست حديثة العهد. لقد طرحت هذه الفكرة منذ سنوات عديدة ويقول الأستاذ المهندس المرحوم وجيه السمان، العضو السابق في مجمع اللغة العربية بدمشق، في تقرير قدمه للمجمع المذكور بتاريخ ١٩٨٧/١٢/٢٦ ما يلي: لقد دعيت شخصياً لحضور ندوة الثقافة العربية للتعريب، والتي انعقدت في مدينة طرابلس بليبيا في أواخر شهر

كانون الثاني وأوائل شباط من عام ١٩٧٥، ولكنني لم أتمكن من حضورها، فأرسلت بحثي وعنوانه ((التعريب للعلوم الطبيعية ومشاكله)) تعرضت فيه لترجمة السوابق واللواحق الموجودة في المصطلحات العلمية. وقد ظهر هذا البحث في النشرة السنوية لمكتّب تنسيق التعريب في ذلك العام.

– لقد نشر أيضاً الأستاذ الدكتور محمد رشاد الحمزاوي، في العام نفسه، بحثاً عنوانه ((الصدور واللواحق وصلتها بتعريب العلوم ونقلها إلى العربية الحديثة)) وظهر هذا البحث في العدد الثاني عشر من الجزء الأول لمجلة اللسان العربي.

– وفي عام ١٩٨١ عقدت ندوة بالرباط، دعا إليها المكتب الدائم لتنسيق التعريب للنظر في ((المبادئ الأساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها)) وحضر تلك الندوة ممثلون عن أغلب الأقطار العربية، وكان المرحوم الأستاذ وجيه السمان، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، مندوباً عن سورية. فأخذ معه قائمة من السوابق واللواحق المستعملة في العلوم الطبية، زوّده بها المرحوم الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمعنا السابق، لعرضها على الندوة. وقد نشرت تلك القائمة في الجزء الثاني من المجلد الخامس عشر لمجلة اللسان العربي، ثم نشرت بعد ذلك في صدر المعجم الطبي الموحد، الذي أصدره اتحاد الأطباء العرب ١٩٨٣.

لقد قدمت في تلك الندوة أبحاث أخرى تتعلق بالسوابق واللواحق منها:

– ((تعريب السوابق واللواحق في اللغة العربية)) أعدها الدكتور

التهامي الهاشمي، الأستاذ الباحث في جامعة محمد الخامس بالرباط.

- ((منهجية وضع المصطلحات، مع التركيز على المصطلحات العلمية)) قدمها الأستاذ أحمد شفيق الخطيب.

- كما قدم الأستاذ محمود مختار، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قائمة بما أقره مجمع القاهرة في ترجمة السوابق واللواحق.

- مما لاشك فيه أن الأمير المرحوم مصطفى الشهابي، الرئيس السابق للمجمع العلمي العربي بدمشق، كان من أوائل من تكلم عن السوابق واللواحق، ودعاها بالصدور والكواسع. وقد استعملها، بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، في وضع مصطلحات جديدة ذكرها في معجم الألفاظ الزراعية الذي نشره في عام ١٩٤٣م، ثم أعاد طبعه بعد التنقيح والزيادة في عام ١٩٥٧م.

وفي مقدمة كتابه ((المصطلحات العلمية في اللغة العربية)) والذي ألفه عام ١٩٥٥م يقول الأمير الشهابي: ((لقد بدأت منذ نحو ثلاثين سنة أنشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي مجلة المقتطف بالقاهرة، نتفاً من المصطلحات العلمية في علوم الزراعة، وعلوم المواليد الثلاثة، من نبات وحيوان وجماد. وثابرت إلى يومنا هذا على وضع المصطلحات أو تحقيقها، حتى تجمع عندي منها نحو عشرة آلاف لفظة عربية أو معرّبة، وضعتها قبالة الألفاظ الفرنسية أو الأسماء العلمية (أي اللاتينية))).

- لقد لجأ المرحوم الشهابي، عند وضع المصطلح العربي، المقابل للمصطلح العلمي الأجنبي لعدة طرق:

أولها وأهمها بالنسبة إليه إيجاد لفظة عربية واحدة للتعبير عن المصطلح الأجنبي.

أما الطريقة الثانية فهي ترجمة كل من البادئة واللاحقة التي يتألف منها المصطلح الأجنبي. وإن اعتماده على تطبيق الطريقة الأخيرة يدل على معرفته الجيدة لمعنى الألفاظ والمصطلحات الأجنبية باللغتين الفرنسية واللاتينية: وفيما يلي أمثلة على ما وضعه من مصطلحات في علم النبات وغيره:

اليف الكلس	Calcicole	قصار القرون	Brachyceres
بهاتيات الشعر	Callitricacees	إنشطار	Bipartition
العصر الفحمي	Carboniferien	مقياس التحليل	Acetimètre
حبة القلب	Cardiospermum	مقياس الحموضة	Acidimètre
ملتهمة الثمر	Carpocapsa	مقياس الأشعة	Actinomètre
زكية الرائحة	Agathosma	غدية الثمار	Adenocarpus
فطور دعامية	Basidiomycetes	غدية الفم	Adenostema
علم الأحياء	Biologia		

خاتمة البحث بما يتعلق بوضع المصطلحات العربية العلمية:

يقول المرحوم الأمير الشهابي، عند الكلام عن النهج الصحيح الذي ينبغي لواضعي المصطلحات العلمية العربية أن يسيروا عليه، حسب رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

١-يفضل اللفظ العربي الأصيل على اللفظ المعرب القديم، إلا إذا

اشتهر الاسم المعرّب.

٢-ينطق بالاسم المعرّب على الصورة التي نطقت بها العرب.

٣-تفضّل المصطلحات العربية القديمة على المصطلحات الجديدة إلا إذا شاعت.

٤-تفضل الكلمة الواحدة على الكلمتين أو الأكثر عند وضع اصطلاح جديد، إذا أمكن ذلك، وإذا لم يمكن ذلك تفضل الترجمة الحرفية (أي ترجمة البادئة واللاحقة).

٥-المصطلحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى.

إلا أن الأمير الشهابي يعود فيقول: ((إن واضع المصطلحات يكون مضطراً أحياناً لإثبات مصطلحين أو أكثر أمام الكلمة الأعجمية الواحدة، لأنه لا يملك حق التفضيل بين مصطلح عربي وآخر وخاصة عندما يكون كلاهما سائغاً)).

ومما جاء في كتابه ((المصطلحات العلمية في اللغة العربية)) عند الكلام على المعاجم التي ينفرد باحث واحد في وضعها: ((إن المعجمات الأعجمية (ثنائية أو ثلاثية اللغة)، والشاملة لعلوم مختلفة، لا يمكن أن تكون جميع مصطلحاتها العربية صحيحة أو صالحة أو راجحة، لأنه ليس في مقدور فرد أن يتقن علوماً عصرية كثيرة، وأن يحقق جميع مصطلحاتها، وأن يميز الصالح منها من غيره. فالمعجمات الأعجمية

المشهورة (كمعجم لاروس القرن العشرين) يطّلع بعبئها عشرات بل مئات من العلماء، كل منهم في نطاق اختصاصه)).

لقد اهتم الأمير الشهابي بوضع وتصحيح كثير من المصطلحات، وخاصة مايتعلق منها بعلوم الزراعة والنبات والحيوان والكيمياء. ففي علم النبات مثلاً اهتم بعلم التصنيف النباتي، فصنف المملكة النباتية إلى شعب Embranchement وطوائف Classes، ورتب Ordres، وقبائل Tribus، وفصائل Familles، وأجناس Genres، وأنواع Espèces، وأصناف Variétés، وسلالات Races.

وبما أن صفات النبات الظاهرة، وخاصة الأوراق، تعد من الصفات المميزة للأنواع عن بعضها البعض، فقد قام بترجمة تلك الصفات من اللاتينية إلى العربية، معتمداً على ترجمة السوابق واللواحق غالباً. وبلغ عدد تلك الصفات (٦٥) صفة، نذكر منها على سبيل المثال:

ورقة ثنائية التشريم	F. bipartite	ورقة كفية مفلّقة	F. palmatiséquée
ورقة محدّبة العروق	F. Curvinervée	ورقة دَرْقية العروق	F. peltinerviée
ورقة ثنائية التخريم	F. bifide	ورقة ريشية العروق	F. penninerviée
ورقة سنانية	F. lancéolée	ورقة سهمية	F. sagittée

إن معرفة الطالب أو الباحث لمعنى البوادئ واللواحق، اليونانية أو اللاتينية باللغة العربية، يؤدي لمعرفته معنى الكثير من المصطلحات العلمية الأجنبية بصورة تامة أو تقريبية. وبما أن عدد المصطلحات في مختلف

العلوم آخذ بالازدياد، لذلك من الضروري وضع مسرد يضم السوابق واللواحق في صدر كل معجم علمي أو أدبي، تماماً كما جرى في المعجم الطبي الموحد. ولبيان فائدة ذلك المسرد يكفي أن أذكر بأن عدد المصطلحات الطبية التي وردت في المعجم الأخير يبلغ تقريباً (٢٤٠٠٠) مصطلح، بينما عدد السوابق واللواحق لا يتجاوز (٢١٦).

من المعلوم أن ترجمة البادئة أو اللاحقة باللغة العربية يختلف من علم لآخر، كما أن المترجم يضطر أحياناً لاستعمال ألفاظ مختلفة بالنطق ولكن متحدة المعنى عند ترجمة إحدى اللواصق، فمثلاً نجد في المعجم الطبي الموحد المصطلحات الآتية، والتي تبدأ باللاصقة – a أو – an:

anhydride	بلا ماء	Abacterial	لا جرثومي
anodantia	انعدام الأسنان	Abiotic	لا حيوي
anorchism	انعدام الخصية	Afebril	بلا حمى

لهذا يستحسن عند وضع مسرد باللواصق والبوادئ واللواحق ذكر الألفاظ العربية المترادفة والتي يمكن أن تؤدي المعنى المطلوب .

منهجية

وضع وتوحيد المصطلح العلمي العربي

و

واقعنا المعرفي

د. محمد العربي ولد خليفة

لا شك أيها السادة العلماء الأجلاء، أن كل واحد منا يطلّ على حديقة لغتنا الغناء من نافذة اختصاصه، وأن الحديقة الزاخرة بمالذّ وطاب، تتّسع للجميع، وهي ظمأى، تنتظر فيضاً من الإبداع والابتكار، يمسح عنها آثار القرون العجاف، ويعيد للعربية ما وصلت إليه من علمية وعالمية، لا ينكر المنصفون في الغرب أنها ساعدت أوربا النهضة على دخول عصر الأنوار.

إن الثروة المصطلحية في مجال العلوم والفنون والتقانة هي أشبه باحتياطي الخزينة العمومية من العملة الصعبة، فهي فضلاً عن كونها من مقومات سيادة الأمة وهيبتها ومصداقيتها، تكشف أيضاً عن عبقرية علمائها ومدى إسهامهم في تقدم الإنسانية، وتؤهلهم لتقديم «القروض» المصطلحية إلى غيرهم، والاقتراض منهم بلا عقد ولا تعقيد، أي بدون انبهار يؤدي إلى تحقير الذات autodevalorisation أو انكفاء يدفع إلى العزلة القاتلة والاضطرار، إن آجلاً أو عاجلاً، لدفع خدمات المديونية بشروطها المجحفة

ومن بينها التنازل عن الكرامة وقبول التبعية المادية والذهنية.

استعرنا هذا التشبيه من عالم المال والأعمال، البعيد عنا، للتأكيد أولاً على أهمية الرهان الذي ينبغي أن تخوضه أمتنا بدون تردد ولا تأجيل، وللتذكير ثانياً بأن مدح لغتنا والتغني بتراثها العريق لا يكفي ولا يعفي أهل الذكر والفكر، وكل الساسة في بلداننا من وضع مخططات واقعية وطموحة للنهضة بالعلوم والفنون والآداب.

يمكن أن ترتكز تلك المخططات على منظور مشترك بعيد المدى، فإذا كانت السياسة تعني المهارة والحنكة وامتزاج التجربة بالخبرة فإن العلماء أيضاً في مجالاتهم ساسة، من السهل أن تتضافر جهودهم في مثل هذه المؤسسات الموقرة التي تلتقي اليوم تحت لواء اتحاد المجامع العربية، وفي الجامعات العربية ومراكز البحث التي هي بمثابة بحار بأسماء مختلفة ولكنّها تصب في محيط واحد هو اللغة وفقهها وعلومها، وعلى الخصوص العلوم التي تستخدم العربية في البحوث الأساسية (Recherche fondamentale) والتطبيقيّة.

من الواضح أن إشكالية وضع المصطلح لا تقتصر على اللغة العربية بل هي فيها أقل مما في غيرها من شجرتها السامية الحامية وحتى في المئتي لغة (٢٠٠) المتعارفة في العالم [١]، بسبب قدرتها الفائقة على الاشتقاق، على العكس من اللغات الهندو الأوربية التي تلجأ إلى التركيب وقد بدأ ابن جني (توفي سنة ٣٩٢هـ - ١٠٠٢م) في كتابه الخصائص تقعيد هذا المبحث الهام قبل حوالي ألف عام وعرف باسم «الاشتقاق الأكبر»[٢].

إن إشكالية المصطلح العلمي لا ترجع إلى مدى مطاوعة اللغة العربية وقدرتها على تسمية الأشياء وضبط المفاهيم فيما يعرف بالمفردات النمطية

الموحّدة (Lexical typology) إن الأمر يتعلق بواقعنا المعرفي الراهن فمن المعروف أن حصيلة الإنتاج العلمي في وطننا العربي بما فيه براءات الاختراع التقني ضئيلة جداً حتى مقارنة ببلدان خرجت لتوها من عهد الجهالة والتجهيل وتحررت قبل حوالي نصف قرن أو أقل من الهيمنة الكولونيالية مثل الهند والصين وكوريا الشمالية والجنوبية وكوبا المحاصرة منذ أربعة عقود من طرف العام سام جارها المستبد.

قد يكون من المفيد لمداولاتنا حول «منهجية وضع المصطلح العلمي وتوحيده» أن نستحضر موقعنا المعرفي في الساحة الدولية فالمصطلحات في كل لغة هي مرحلة تالية لازدهار البحث العلمي وليست سابقة له، وإذا اعتمدنا مدخل مكاشفة الذات فإننا سنرى أن لنا موقعاً صغيراً جداً حتى مقارنة بعدد من بلدان العالم النامي الذي ننتمي إليه، ولا يعني ذلك ـ كما سنبيّن فيما بعد ـ الاستهانة بمؤهلات أمتنا وقدراتها التي تمرّ بمرحلة كمون، أو تبرير الركون إلى جلد الذات ورثائها وقبول الصغار والمسكنة.

في نهاية العشرية الأخيرة من هذا القرن انقسم عالمنا إلى مركز يحتكر المعرفة والثروة وأطراف مهمشة وتحت الرقابة وبالرجوع إلى مصدر موثوق إلى حد كبير هو «اليونسكو»[٣]، فإننا نجد المعلومات الأولية التالية:

ـ إن مجموع الإنفاق على البحث العلمي من أجل التنمية (R. D) قد بلغ سنة ١٩٩٤ ست مئة (٦٠٠) مليار دولار.

ـ ينحصر (٧٧,٢٪) من ذلك المبلغ في الولايات المتحدة (٣٥,٨٪) والاتحاد الأوربي (٢٦,٦٪) واليابان (١٤.٨٪).

ـ توظف البلدان الآسيوية المتطورة العشر ١/١٠ من ذلك المبلغ الإجمالي.

- لا توظف القارة الإفريقية كلها أكثر من ٠,٧٪ وهي النسبة نفسها التي وظفتها «البرازيل» وحدها في بداية هذا العقد.

- تحتكر الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي واليابان ٩٢٪ من الإنتاج العلمي والتقاني (المنشورات العلمية - براءات الاختراع، تصدير التقنيات)، وتصدر فيها ٣/٤ المجلات المتخصصة في العالم.

- تراجعت روسيا وجمهورياتها وشركاؤها السابقون إلى نصف ما كانت تنتجه في عهد الاتحاد السوفياتي.

- حققت الصين الشعبية طفرة هائلة فقد ضاعفت إنتاجهاالعلمي أربع مرات عما كان عليه سنة ١٩٨٢ (حسب تقديرات ١٩٩٥).

- تنتج الصين الشعبية مع كل من كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة ضعف ما تنتجه الهند من بحوث علمية ومخترعات وحوالي ٤٠٪ من الإنتاج العلمي الياباني.

- تسيطر البلدان المشار إليها آنفاً على العلوم والتقانات الأكثر تطوراً بنسبة ١٠٠ / ١٠٠ مباشرة أو عن طريق فروعها المتعددة الجنسية Multi-nationale وشركاتها العملاقة (ميزانية البحث العلمي في جنرال موترز «General motors» بلغت ٨ مليار دولار سنة ١٩٩٨) تظهر تلك السيطرة وخاصة في مجالات التقنيات الحيويّة (Biotech) والصناعة الجينية Life industry وجادات المعلوماتية والاتصال (Internet - Intranet).

يمنعنا الخجل من عقد أية مقارنة أو ترجمتها إلى جداول بالنسبة المئوية، وأقول فقط بأنه ليس لنا أن نشتكي من اللغة وقواعدها قبل أن نعترف أيضاً بأن من حق اللغة أن تشتكي منا وتحتج على مالحقها من فقر وجمود

كانا السبب في مزاحمة الضرائر - (اللغات الأخرى) - لها في عقر دارها بدون رقيب أو نصير.

ليس الهدف من المقولة السابقة البحث عن متّهم أو تبادل اللعان، إن الهدف الأول والأخير هو دعوة نخبنا المفكرة والقيادية لاستعادة الثقة بالنفس بلا غرور ولا تغرير والتكاتف لكسر طوق الانكسار والهزيمة المعنوية ومن علاماتها التي لا تخطئ فتور الهمة، وإضعاف رصيد الأمة، والرضا بموقع صغير في ذيل قافلة العصر، وحسب إنذارات العولمة ومستجدات القرن القادم فإنه لن يكون للعجزة والمعوقين من أهل الذيل أي موقع ولا مستقبل على الإطلاق.

استعادة الثقة بالنفس تعني الانتقال من واقعية الحضيض الانهزامية إلى الواقعية الطموحة التي تقرن الحزم بالعزم وتجسد القائمة الطويلة من التمنيات المتداولة شعراً وخطباً وتمنع نخبنا من الاسترخاء والاتكال على الاستهلاك الذهني وتضييع الوقت في رثاء الذات والغفلة عما نحن فيه من ضعف وتبعيّة.

وعلى الرغم من أننا نعتقد مع سقراط الحكيم بأن الحق يبقى حقاً ولو خذلته القوة إلى حين، وأن الباطل يبقى باطلاً ولو ناصرته القوة إلى حين فإننا نرى أن مسلسل المآسي في منطقتنا هي في ذلك «الحين» الذي طال أمده، فقد تبيّن أن معاني الحق والشرعية تراوح بين التأويل والتأجيل والإلغاء، إذا لم تساندها قوة ذاتية وهل هناك مصدر آخر للقوة غير العلم والثقافة التي يبدأ منها الردع وتضمن الحصانة.

لا أدري هل تجد السطور السابقة مكاناً في انشغالات السادة العلماء والخبراء؟ ولكنّي على يقين لا يشوبه ظنّ ولا تخمين، بأن معالجة مسألة المصطلح، سواء أكانت بالتعريب أو الترجمة أو الاشتقاق لابد أن تبدأ

بتشخيص صارم ودقيق، لما قطعته هذه العملية الشاقة والنبيلة من أشواط في الماضي القريب والبعيد، وذلك عن طريق التقييم المرحلي والمقارنة بما أنجز في عيون التراث العلمي العربي الإسلامي، وما يجري حولنا في عالم تتلاحق فيه الاكتشافات وتتسابق التطبيقات بسرعة مذهلة عولمت كل مايصدر عن بلدان المركز وأوصلتها إلى كل أرجاء المعمورة التي أصبحت كما يقال قرية كونية صغيرة يصح فيها المثل الشعبي الجزائري «اعمل مثل جارك وإلا حوّل باب دارك».

إن المصطلحات العلمية ليست مجرد كلمات أو تراكيب تُخزّن في القواميس المختصة أو في ملاحق البحوث وتُصنّف منها الموسوعات، بل هي، كما أشرت فيما سبق، العملة الصعبة في بنوك العلوم والمعطيات لكل علم فيها «حساب جاري» ينبغي تغذيته باستمرار من المخابر ومراكز البحث، وتحمل ختم التصديق من هذه الهيئة الموحّدة وفروعها من المجامع في كل قطر عربي وهي هيئة تتمتع بحق التنقيح والتعديل والتجريح.

بعد هذه التوضيحات السريعة، نجمل الآن وجهة نظرنا المتواضعة في صورة ملاحظات واقتراحات وذلك على النحو التالي:

١ ـ إذا كان الواقع المعرفي في منطقتنا العربية والإسلامية يعاني حالياً من فجوة التخلّف، ولا يحتل مكانه الطبيعي في موكب المقدمة، فإن ذلك ليس مصيره النهائي، ولا قدره المحتوم، فالمعرفة الإنسانية في أية نقطة وصلت إليها، هي متّصل(Continuum) يتوالى فيه صعود الأمم وهبوطها، فهي أشبه بأمواج البحر لا تتحرك موجة إلا بدفع من التي سبقتها.

إن كل نقطة في المتصل المعرفي، هي نتيجة لتراكم الخبرات والمعارف بالإنسان والطبيعة والعلاقات بينهما، وبالتالي فإن العلوم والفنون والآداب ليست حكراً على زمان أو مكان واحد، ولا يتفرّد بها أي عرق من الأعراق،

وعلى هذا الأساس ينبغي تقييم منجزات الحضارات القديمة التي كان معظمها في الشرق، ولا يعني ذلك بالطبع امتيازاً عرقياً أو جغرافياً، فأغلب البشرية كان متواجداً في تلك المناطق.

٢ ـ من الإنصاف أن نذكّر بأن جزءاً من معاناتنا الراهنة يرجع إلى ما تعرضت له ذخائر الحضارة العربية والإسلامية من نهب وتدمير، على يد جحافل متوحشة من الصليبيين الذين شوهوا المسيحية السمحة، والتتار والمغول المعادين للحضارة والعمران، وقد أجهزت الكولونيالية الإجرامية في القرنين الماضيين على ما أفلت من نفائس المخطوطات فنحن من الأمم القليلة التي تطّلع وتدرس تراثها الثقافي والعلمي منه، بوجه خاص في خزائن الأسكوريال وليدن ومدريد وباريس ولندن ...، وحتى الولايات المتحدة التي ظهرت للوجود منذ مالا يزيد كثيراً على قرنين من الزمان.

٣ ـ ساعد النهب والقرصنة عدداً من علماء الغرب وبعض أساطين الاستشراق على الترويج لنظرية «الفراغ» العلمي في المنطقة وعدم قابلية العقلية (Mentalité) وليس العقل، فالثقافة العربية في رأيهم، لا تتقبل العقلانية ولا تستطيع صياغة العلاقات بين الجزئيات في قوانين كلية من الواضح أن هذا الفراغ المزعوم ليس مؤسساً من الناحية العلمية ولا يتطلب دحضه سوى التنبيه إلى أنه لا علم بلا أخلاقية (Epistéméthyque)[٤].

أعمى الحقد والاستعلاء وادعاءات المركزية الأوربية (Eurocentrisme) بصائر أولئك الناس فعاد عليهم ذلك بالوبال، عندما ادعت النازية بالأمس أن الألمان هم أرقى أجناس أوربا والعالم وانطلاقاً من هذه العقيدة المزيّفة بدأت بتدمير أوربا، كما تدفع هذه القارة العجوز اليوم ثمن غرورها السابق وتتصاغر أمام الهيمنة الثقافية والتقنية الأمريكية فقد

أصبحت أوربا كلها مجرد محطة صغيرة للأحادية القطبية وهيمنتها الكونية (Pax-Americane)[٥].

٤ ـ لقد ظُلم العرب والمسلمون مرتين: ظلم عن طريق النهب والتدمير، وظلم بإنكار أو تجاهل مساهمتهم في التراث الإنساني، حتى توهم البعض أنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل تدريس العلوم الأداتية مثل الرياضيات والحاسوب باللغة العربية فضلاً عن العلوم التجريبية مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء وفروعهما، وقد أدى ذلك إلى ندرة استعمالها في البحوث المتخصصة داخل الجامعات ومراكز البحث في العلوم والتقنيات في كثير من أقطار الوطن العربي.

٥ ـ إن وضع المصطلحات عن طريق التعريب أو النقل أو الترجمة في العلوم الدقيقة والتجريبية أسهل من وضعها والاتفاق عليها في العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تستخدم الرياضيات والمناهج التجريبية والمخابر، ولكنها تتطلب في كل اللغات امتلاكاً وتحكماً أكبر في الرصيد اللغوي، واطلاعاً أعمق على علوم الدلالة والسياق، فضلاً عن الإلمام بقواعد اللغة والبيان.

٦ ـ إن سهولة وضع المصطلح وتعميمه وعدم حاجة العلماء إلى تحصيل لغوي وفير لا يعني إعفاء الطلاب المتخصصين والباحثين من إتقان اللغة، فقد شاع عندنا مشرقاً ومغرباً أن إتقان اللغة واحترام بنيتها وجمالياتها هو من الحذلقة أو البلاغة الكمالية وهي من اختصاص الأدباء والخطباء والشعراء، وهذا بالطبع غير صحيح، فدقّة التعبير وسلامة التبليغ مطلوبة من الجميع.

إن أعظم العلماء في القديم والحديث كانوا من النابغين في اختصاصاتهم التي أغنوا من خلالها لغاتهم، وتوجوا أعمالهم بمؤلفات نفيسة

في الفلسفة والأدب وقصص الخيال العلمي وقد ساهموا عن طريق وسائل الاتصال السمعي والبصري والمقروء فيما نسميه تعميم الفصحى وتفصيح العامية أي التثقيف العام وإثراء رصيد المجتمع من المصطلحات والأفكار، وقد كان العلماء العرب من السباقين إلى نظم المتون والأراجيز الألفية في مختلف العلوم والفنون والأفكار، ولأسلافنا في المغرب العربي باع وأي باع.

٧ ـ تتوفر اللغة العربية على الشروط الأساسية لعلمية اللغة وعالميتها وهي:

أ ـ العمق التاريخي الجغرافي فهي من أقدم اللغات المكتوبة والمنطوقة منذ أكثر من ألف عام في قسم كبير من آسيا وإفريقية، وعن طريق الإسلام (القرآن) في القارات الخمس كما أنها بقيت على العموم هي نفس اللغة التي كتبت بها علوم المقدمة (Sciences de pointe) حتى القرن السابع الهجري (الرابع عشر ميلادي)، فلم تمنع الفتن والتفكك السياسي والعدوان الخارجي من ازدهار العلوم والفنون في المغرب والمشرق الإسلامي[٦].

ب ـ استقلالية اللغة العربية على مستوى اللسان (Langue) والكلام (Parole) سواء نظرنا إليها على ضوء علم النص أو علم اللغة الاجتماعي أو قارناها بلغات أخرى من شجرتها اللغوية (Arbre linguistique) أو خارج تلك الشجرة (علم اللغة التقابلي أو المقارن) فقد استمدّت الكثير من مفرداتها من لغات أخرى مثل العبرية والفارسية والهندية كما استعانت بها نفس تلك اللغات وخاصة في لغة العلم والفلسفة والفقه وأصوله، وامتزجت بها كما هو الحال في الفارسية والتركية والمالطية ولكنها حافظت لأمد طويل على خصائصها وثرائها الكبير في الاشتقاق والمترادفات حتى قال (آدم ميتز) إن العرب اهتموا كثيراً بالنثر «وفاقوا في ذلك جميع

الشعوب»(٧).

ج ـ التنميط أو القابلية للتعبير (Norinalisation) أي اختيار مفردات معيّنة بسبب تواترها وملاءمتها للمفهوم المراد تعريفه لما فيه من خصائص تقرّب الدال من المدلول.

لم يهتم اللغويون العرب في القديم بقضايا التنميط في المصطلح العلمي لأنهم كانوا كما أشرنا ينتجون العلم بما فيه فقه اللغة والمعاجم التي وصلت أوجها في نهاية القرن الرابع الهجري على يد علماء من أعلى طراز مثل ابن فارس (٣٩٥ هـ) وحمزة الأصفهاني (٣٥٠ هـ) والحسن العسكري (٣٩٥ هـ) والجوهري (٣٩٢ هـ).

والملاحظ أن وفرة النشاط العلمي وتعدد المدارس والاجتهادات في وضع المفاهيم تقلل من مصاعب التنميط في اللغة الواحدة كما حدث في أثناء ازدهار الحضارة العربية في الفلسفة مثلاً حيث لا نجد سوى القليل من الخلافات في المصطلح مابين الكندي وابن رشد ويفصل بينهما زمن طويل. وكما نلاحظ اليوم في البلاد الأنغلوسكسونية (بريطانيا ـ الولايات المتحدة ـ كندا ـ استراليا)، حيث يتبنى كل واحد منها بسرعة المصطلح الذي يطلق على اختراع أو ابتكار يسبق إليه أي بلد منها.

٨ ـ وصفنا اللغة العربية بالمطاوعة والمرونة التي تشاركها فيها كل اللغات السامية بما فيها الأمازيغية المتداولة في شمال غرب إفريقية وخاصة في الجزائر والمغرب غير أن العربية تتميز باستمرارية تاريخية أكسبتها عمقاً حضارياً زاخراً وثراء قلّ نظيره في عائلتها اللغوية، وقد أوصلها القرآن الكريم إلى أعلى درجات البيان والإتقان وهو الإعجاز(٨).

ومن الناحية التركيبية البحتة التي أفاض فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه «العين» فإن المصطلحات المترجمة أو المقترحة أصلاً

بالعربية تجد في الأوزان والصيغ مثل: «فعيل» و «فعّال» و «فُعال» و «فعَلان» و «فعْلان» و «مفعلة» و «أُفعولة» و «مِفعال» إلخ ... ما يساعد على النحت والاشتقاق.

كما أنه بالإمكان تعريب بعض المصطلحات وإخضاعها لخصائص اللغة العربية كما فعل سلفنا من العلماء بكلمات مثل إيساغوجي وفلسفة وأسطرلاب أو استعمال الشائع في العامية كما فعل الطبيب ابن حمادوش الجزائري (١١٠٧ هـ - ١٦٩٥ م) في كتابه «كشف الرموز»[٩]، الذي اعتمد فيه على مصطلحات الشفاء لابن سينا والجامع لابن البيطار والتذكرة لداود الأنطاكي واستخدم أيضاً في تسمية الأدوية وخصائصها العلاجية مفردات من العامية العربية والأمازيغية.

٩ ـ إن ثراء اللغة العربية وتمتعها بالمطاوعة والاشتقاق لا تقلل من المصاعب الموضوعية التي يعاني منها الخبراء والباحثون في كل حقول المعرفة العلمية لأسباب كثيرة.

أولها: الفجوة المهولة بيننا وبين ركب المقدمة الذي يدفع يومياً بآلاف المصطلحات والرموز والتراكيب التي تفرض نفسها على المجتمع العلمي وحتى على المجتمع الثقافي بمعناه الواسع ويضطر علماؤنا إلى التعامل معها وملاحقتها قبل الاهتمام بنقلها معربة ومترجمة إلى العربية.

ثانيها: إن العلوم كلها قد اتجهت منذ منتصف هذا القرن إلى استخدام الرموز والإشارات الحرفية والرقمية وأصبح الاختزال لغة اصطناعية يتعامل بها الناس ابتداءاً بإشارات المرور حتى مخابر الفضاء والهندسة الوراثية (Hio Génétique) فعندما يرى الرياضي حرف (N) يفهم معناه ولا يحتاج إلى جملة كاملة تقول له إنه مجموعة الأعداد الطبيعية وعندما يضاف إليه (0) أو صفر (N^0) فإنه يعرف أنها جملة

أخرى تعني مجموعة الأعداد الطبيعية مع الصفر ... وقس على ذلك الاختزال في كل علوم الطبيعة والمجتمع حيث تجمع حروف عدة كلمات لتصبح كلمة واحدة لها مدلول متفق عليه بين أهل الصنعة كما هو الحال في (IQ) والمعتمد في كثير من اللغات ليدل على نسبة الذكاء، و (TAT) التي ترمز للاختبار الإدراكي عن طريق الإسقاط على الأشكال إلخ ...

لا أدري هل بالإمكان الاستفادة من مبحث الترخيم في النحو وهل حدث أي تعاون في هذا الميدان بين السادة علماء اللغة والخبراء المعنيين بالرموز، ومن المعروف أن الترخيم شائع الاستعمال في المغرب العربي في العربية والأمازيغية على حد سواء.

السادة العلماء والخبراء الأجلاء

بعد هذه اللمحة التي تضمنت وجهة نظر متواضعة فإنني أتقدم إلى جمعكم الموقر بالمقترحات العامة التالية:

١ - إن ثراء لغتنا الجميلة بالابتكارات المصطلحية ليس مسألة تقنية بحتة إذ لابد أن تتوفر الإرادة السياسية بتجسيد المبدأ الوارد في دساتير البلدان العربية ومؤداه أن العربية هي اللغة الوطنية والرسمية، وبالتالي تحشد الجهود والإمكانيات وتوظف وفق منظور منسّق وبعيد المدى بإشراك الكفاءات العربية المتواجدة داخل أوطاننا وخارجها فقد أثبت تفوق علمائنا في الجامعات ومراكز البحث الأوربية والأمريكية أن العقل العربي لا يقل عبقرية عن غيره فالعجز والقصور الحالي راجع في كثير من علله إلى «المناخ العام» وضعف الإرادة السياسية.

٢ - ينبغي أن يتجه العمل المشترك والتنسيق بين مجامعنا إلى التوحيد فاللغة الواحدة لها مجمع واحد وله مجامع قطرية أو مراكز جهوية تخدم سياسة واحدة لترقية اللغة العربية ومن الواضح أن سياسة اللغة لا تعني

الضياع في المجادلات الكلامولوجية في تعبير الأستاذ المرحوم محمد عزيز الحبابي.

٣ ـ انطلاقاً من أهمية العمل المشترك فإنه بالإمكان أن يصبح الاتحاد أشبه بالبرلمان اللغوي الذي يعمل وفق قواعد الديمقراطية ويسهر على تشجيع الاجتهاد ويحتضن الإنتاج العلمي الراقي والمتخصص فمن المعروف أن كثيراً من دور النشر لا تعنى بطبع ونشر الأعمال الأكاديمية غير الموجهة إلى الجمهور الواسع وهذا شأن التجارة التي تسبّق مبدأ الربح والخسارة، ولذلك فإن تمويل مثل هذه الأعمال ينبغي أن تكون من ميزانيات المجامع وبالأساس على كاهل الدولة التي من مسؤولياتها رعاية العلماء، قبل حساب تكاليف البيع والشراء.

٤ ـ هناك في مسألة المصطلح واللفظ الأعجمي بوجه عام اتجاهان يتقاسمان الرأي العام الثقافي: يرى الأول أن لا بأس من استعمال المصطلحات والكلمات كما هي في لغتها الأصلية ولا داعي للترجمة أو التعريب بل يذهب المشتطّون في هذا الرأي إلى تعويض العربية بلغة حيّة أو أكثر (الإنكليزية في المشرق الفرنسية في المغرب)(*) وتدور في هذا الشأن مجادلات ساخنة وأحياناً انفعالية، ومن الواضح أن من دوافع هذا الرأي الكسل العقلي والاهتمام بشكل الحداثة والعصرنة وليس بمفاهيمها ومناهجها وكذلك الاعتقاد الخاطئ بأن اللغة التي تنطق بها هي المتخلفة وليس المرحلة التاريخية التي تعبرها المنطقة وأهلها، فضلاً عن عدم إدراك البعض أن اللغة

(*) نلاحظ عرضاً أن شيوع لغة القوة الكولونيالية السابقة (فرنسية إنكليزية خاصة) في بلدان دون أخرى من الوطن العربي ليس عائقاً لتوحيد المصطلح العلمي العربي إذا توحدت قواعد المنهجية (Paradignes).

العربية هي لغة موحدة وليست واحدة أو أحادية أي ترفض التعايش والتعاون والإثراء المتبادل مع اللغات الأخرى فلا يقول إلا غافل أو مستغفل: لغة الضاد ولا لغة غيرها في عصر الأقمار الصناعية وقواعد وشبكات الاتصال العابرة للقارات.

«GCI» (Global communicatre infracstructure)

وما وصلت إليه العلوم والثقافة والآداب والفنون الجميلة من تقدم مذهل يحدث كله تقريباً خارج حدودنا.

أما الرأي الثاني فهو يتصوّر أن الدفاع عن العربية يتطلب التشدد والتزمت ورفض مالم يرد في كتب التراث من مصطلحات وكلمات. لا شك أن في هذا الموقف غيرة على العربية وتمسّكاً بما يُسمّى طهارتها ونقاءها ولكننا نعرف أن من الحبّ ما قتل، فلا توجد في العالم لغة ليس فيها مفردات ومصطلحات دخيلة بسبب الاحتكاك المباشر وظاهرة التثاقف (Acculturation) بل إن أسماء آليات ومرافق أخضعت لنطق تلك اللغات وتركيبها، وأذكر أن أحد القرويين في سهل المتيجة وسط الجزائر قال لي إنه لم يفكر، إطلاقاً في أصل كلمة «زلاميط» (علبة كبريت) (Allumette)، وأنه من السهل عليه نطقها بحكم العادة.

٥ ـ من الناحية العملية البحتة من المفيد أن يستعجل الاتحاد والمجامع التي يمكنها ترجمة القائمة الطويلة من الأبحاث أو الأطروحات التي كتبها الباحثون العرب بلغات أخرى في كثير من بلدان العالم ونحن نقترح أن يلتزم أعضاء البعثات إلى الخارج بترجمة أعمالهم بعد أقل من خمس سنوات من تقديمها وأن توكل ترجمة البحوث التي أنجزها العلماء العرب في الخارج إذا صعب عليهم هم القيام بذلك ولكن بترخيص وتعاون معهم إلى لجان متخصصة في مجال البحث نفسه، وأن يتسع ذلك إلى ملاحقة

منجزات البحث العلمي الذي قام به العلماء في كل القارات إنه بلا ريب عمل مرهق مكلف وعسير ولكن هكذا بدأ أجدادنا مسيرتهم العلمية الباهرة وأبدعوا آثارهم الخالدة.

٦ ـ إن العولمة تداهمنا في عقر دارنا وتحمل إلينا غثها وسمينها ويبدو لنا أن الحل لا يكمن في تجاهلها أو اتخاذ موقف يشبه موقف الثعلب من العنب بالتهجّم على سلبياتها وشرورها، إن القافلة تتحرك بنا أو بدوننا، ومن الأفضل، بل من المحتوم علينا أن نفتكّ مكاننا فيها وقد اقترح السيد عبد العزيز بوتفليقة رئيس الجمهورية الجزائرية في محاضرة أمام المثقفين من شتى أنحاء العالم العربي مصطلحاً جديداً هو العوربة (ملحق بالمحاضرة) التي ينبغي أن تسبق العولمة، وتهيئ لوطننا العربي مكاناً محترماً فيها، وتبدأ العوربة بالعلماء الذين عليهم أن يقتنعوا فيما بينهم أولاً، ويقنعوا أولي الأمر ثانياً، بأن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا وأن منطقتنا دفعت ثمناً باهظاً بسبب التخلف والتشتت وبعض الصراعات المفتعلة، وأن طريقنا إلى النجاة يبدأ بالتضامن الموضوعي ويرتقي بالعلم والعمل.

إن زمن التنابز بالألقاب والشعارات قد ولى وانقضى، وإن أمتنا ملت أحلام اليقظة لأنها أدركت بحدسها الصائب أن ما هو مجرد أحلام يمكن أن يكون واقعاً وحقيقة.

أمة لديها من المؤهلات المعنوية والمادية ما لأمتنا لا بد أن يكون المستقبل أمامها وليس وراءها.

الحواشي والمصادر

١ ـ ابن خلدون: المقدمة ص ص ١٠٥٦ ـ ١٠٦٨، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٠. انظر العدد الخاص بالشجرة اللغوية في: ١٩٩١، ١٦٤ Scientific American Reveu N⁰.

٢ ـ ابن جني: الخصائص الكتاب الثاني الفصل الثلاثون ط ـ مصر ١٣٢٥هـ.

٣ ـ UNESCO: Rapport mondial sur la Science. Paris 1998.

٤ ـ محمد العربي ولد خليفة: المحنة الكبرى ص ص ٩٥ ـ ١٠١ المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٩٩.

٥ ـ محمد العربي ولد خليفة: النظام العالمي ماذا تغيّر فيه؟ وأين نحن من تحولاته؟ ص ٣١٤ المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٩٨.

٦ ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ـ ٩ ـ ص ٢٤٦ دار الكتاب العربي ط ـ ٣ ـ بيروت.

٧ ـ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة د. أبو ريدة ط ٤ ج ١، ص ٤٣٧، ص ٤٤٠، الخانجي ودار الكتاب العربي، القاهرة ـ بيروت ١٩٦٧.

٨ ـ سالم العلّي: ابن خلدون وعلوم اللسان العربي، حوليات جامعة الجزائر ص ص ١٨٧ ـ ٢٠٠، عدد ٨، ١٩٩٤.

٩ ـ إبراهيم مراد: المصطلح الأعجمي عند ابن حمادوش الجزائري، مجلة الثقافة عدد ٧٨ ص ص ١٢٩ ـ ١٣٥، الجزائر ١٩٨٣.

توحيد المصطلح وتعميمه
المقاصد والأبعاد

د. عبد الكريم الأشتر

- ١ -

لقضية المصطلح العلمي في العربية خصوصية مستمدة من خصوصية الماضي والحاضر. فالعربية، على ما نعلم جميعاً، لغة خصبة بالغة الثراء، كانت في الماضي غير البعيد، إلى جانب اللاتينية، لغة الحضارة في العالم. فمرونتها وقدرتها، في استمداد المصطلح الحديث منها، تبلغ حد التفوق. ثم إنها اليوم لغة أمة مجزأة، في أكثر من عشرين كياناً سياسياً، نمت في كل منها إغراءات إقليمية مختلفة الألوان باعدت ـ مهما حاولنا تزويق الحقائق والاستعلاء عليها ـ بينها.

فمن هنا يكون توحيد المصطلح العلمي فيها قضية ذات وجهين: وجه الاتفاق على المصطلح في ذاته، من حيث هو قضية علمية بحت متصلة بطبيعة اللغة وخصائصها، وبالواقع الحضاري العام، ووجه توحيده في أنحاء الوطن العربي كله، من حيث هو قضية لغوية قومية عامة ترتفع فوق هوى الأفراد وهوى الكيانات السياسية على السواء.

وإذن، فلتوحيد المصطلح وجه علمي يقرّبنا من حضارة العصر، بصفتنا أمة واحدة، ويقوي من قدرتنا على الإسهام في صنعها، مكان التهافت الساذج على الإسهام في استهلاكها. ووجه قومي يعين على تجاوز

مالابد أن نسميه مكرهين: «الحدود الدولية»، بيننا، ويحقق المعنى القومي العميق الذي تكوّن اللغة الواحدة حقيقته الكبرى.

فهكذا إذن تمس قضية المصطلح وتوحيده وتعميمه مسألة المسائل في تاريخنا الحديث: السعي إلى المزيد من تقليص المسافات بيننا، وإلى المزيد من تقوية الإحساس بالوجود الواحد فكراً وتصوراً وتعبيراً، وكسرِ جبروت التجزئة التي يواجهنا واقعها الصلد حيثما توجهنا في ميادين التنمية العامة.

سيقول بعضنا: لقد أحلتها قضية شبه سياسية. نعم! إنها كذلك في بداياتها ونهاياتها، مادام وجود الأمة ونهضتها وبناء ثقافتها ومستقبلها شأناً من شؤون السياسة. وليس ينكر أحد أن قضية المصطلح، بالمعنى الذي أردته، هو، في النهاية، قضية قومية لا يمكن أن ينفرد في اختيار الحلول لها قطر عربي واحد أو أقطار عربية متعددة؛ ولا ينفع فيها، بحكم وحدة الهوية التي تعبر عنها اللغة ، إلا الحل القومي الجامع. وهكذا تقع القضية في الدور المعروف: يساعد اختلاف المصطلح بيننا على إذكاء واقع التجزئة في الوجدان العربي، بعد أن ساعد واقع التجزئة على إذكاء هذا الاختلاف!

– ٢ –

بناء على هذا، يصبح العمل في توحيد المصطلح، ابتداءً من مرحلة الاستمداد إلى مرحلة التعميم، عملاً لغوياً في الجانب المعرفي، سياسياً جامعاً في الجانب القومي.

ومن الواضح أن إشكالية التطبيق، في مرحلة التعميم، متأثرة بإشكالية المناهج المختلفة في مرحلة الاستمداد، إذ لابد أن تنتقل إليها ارتباكاتها الكثيرة، وفوضاها، وتضارب الاجتهادات في اختيار المصطلح، فتفعل فعلها

في مرحلة التعميم.

ومن هنا يقرّب توحيد مناهج الاستمداد، في وطن اللغة الواحد، في المشرق والمغرب، توحيد الرأي فيه، وقبوله في مرحلة التطبيق والتعميم. تستوي في هذا ميادين البحث في العلوم النظرية والعلوم العملية، كما تستوي في ميادين المعرفة الأخرى: في اللسانيات والفنون على اختلاف أدواتها التعبيرية.

وقد تقاطعت أكثر الآراء، في مناهج الاستمداد، عند نقطة التقاء تتفرع منها جهود المستمدين: الانطلاق من تراث العربية أولاً، على أساس الوفاء، قدر الإمكان، بطرائقها في توليد المصطلح، ومراعاة صياغته الصرفية وخصائصه الصوتية (ولمجمع القاهرة هنا منهج معروف يمكن تملّيه: في القياس، والنحت عند الحاجة، والنسبة إلى الجمع، وجمع المصادر، وإدخال «الـ» على حرف النفي المتصل بالاسم، والاشتقاق من الجامد عند الضرورة). ولعل في شيوع بعض المصطلحات العربية المقبولة، في الدارجات العربية، ما يمكن الإفادة منه أيضاً، ليسر تناوله، وسهولة لفظه ولملاءمته ووضوحه بسبب قربه من الفطرة التي صاغته، ولمرونته وقبوله الاشتقاق والتوليد منه أحياناً. ثم ننصرف بعد هذا، استجابة لحاجاتنا وحاجات العصر النامية، إلى الاقتراض من اللغات الأخرى، على أسس متفق عليها، تراعي، قدر الإمكان أيضاً، التزام النظام الصوتي العربي، وإيقاعه الصرفي، مع خفة النطق، ووضوح الدلالة وضبطها لئلا تصبح مراجعة الأصل الأجنبي ضرورية، ويصبح الشعور بعدم القدرة على الاستغناء عنه لازماً، ومع اعتماد منهج محدد في نقل الحروف اللاتينية.

إن في اتباع هذه السياسة اللغوية المتوازنة حفظاً لشخصية اللغة، وتثبيتاً

لخصائصها، واستثماراً منمّياً لقدراتها يعينها على مواجهة طوفان المعارف الحديثة ومصطلحاتها المتدفقة. ثم إن هذا التوازن اللغوي، من ناحية أخرى، يعين على حفظ توازننا النفسي أمام التيار الحضاري الغالب.

وما تزال في لغتنا، في المعجمات وكتب التراث، على اختلاف الموضوعات، كنوز من المفردات يمكن استغلالها والانتفاع بها في توليد المصطلح، حين تصدق النية وتتسع المعرفة ويحسن الإحصاء، بالاستعانة بالتقنيات الحديثة، دون أن يعني هذا، كما قلنا، تجاهل الالتزام بضرورة التعريب، أو بقبول الدخيل عند الضرورة، لتغطية منجزات الكشوف العلمية ودقة حدودها التي تستوعبها مصطلحاتها في لغاتها الأصلية، وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية.

نعود فنقول: إن القصد من إحكام العمل في وضع المصطلح، كما أشرنا من قبل، تحسين قبوله والتعامل معه في مرحلة التطبيق والتعميم، أعني مرحلة التوحيد التي تعني توحيد اللفظ في ذاته، وتسهيل موقعه من أفواه الناس وأقلامهم على السواء، في وطن العربية الواحد.

– ٣ –

فما الذي يحسن أن نعرض له، بعد هذا، من ميسرات هذا التوحيد، ومن معوّقاته، لنعيد النظر فيه ونستدرك ما يلزم تداركه منه؟

طال الكلام كثيراً على ضرورة تنسيق العمل بين رجال الفكر والعلم العرب، وضرورة تنسيقه بين المؤسسات العلمية واللغوية والجامعات ومراكز البحوث، في أقطار الوطن العربي، واقتراح آليات مدروسة لإحكام الاتصال بينها، وتبادل الخبرات والرأي، والاستعانة، في هذا، بتقنيات العصر وماجدّ

من وسائل الاتصال فيه، لاختصار الزمان وتقليص المسافات، أو إلغائها .

وطال الكلام أيضاً على ضرورة أن تنصب جهود المعرّبين ورجال اللغة ومؤسساتها في مركز قومي واحد، يستقبل المقترحات ويعيد توزيعها، ثم يصدر قراره الملزم باعتماد المصطلح المدروس في الساحة العربية كلها.

وطال الكلام على إلزام الأفراد والمؤسسات بتطبيق ما ينتهي المركز القومي إلى إقراره. واقتراح بعضهم أن تصدر السلطات، في كل قطر عربي، قراراً سياسياً باعتماد هذا القرار وتطبيقه في كل ما يقال في القطر، وما يصدر عنه من الكتب والنشرات والصحف والمجلات والإعلانات، وحثّ أصحابها على التعامل مع المصطلحات المستحدثة وبثها في وسائل الاتصال المختلفة.

وطال الكلام على توحيد المصطلح في كتب التدريس، وإشاعته في الجامعات. وتزيين الدعوة إلى تعريب التعليم فيه، في مختلف الاختصاصات. وتشجيع التأليف العلمي الملتزم بالمصطلح المستحدث. والاستفادة من تجارب الجامعات العربية التي عربت التعليم فيها، في الاختصاصات العلمية المختلفة، منذ زمن طويل. ومراجعة مؤلفاتها التدريسية وبحوثها الجامعية.

وطال الكلام على تكوين مكتبات علمية، في التخصصات المختلفة، تأليفاً وترجمةً. والعمل على ترجمة كل ما يصدر في الغرب من الكتب العلمية، وبيان الكشوف العلمية، بالاستعانة، قدر الإمكان، بالمصطلح الذي سبق إقراره، أو سكّ مصطلح جديد لما لم يسبق تسميته أو تعريبه.

وطال الكلام على صنع المعاجم المتخصصة والمنهج الذي ينبغي أن

تتبعه في التزام اللفظ المختار، ونفي المترادف، أو مواجهة تعدد المعاني في المعاجم العربية واختيار المعنى الأنسب، والابتعاد عن الألفاظ الخشنة أو الوعرة، وتعريب اللفظ الأجنبي وما يلزم من طرق كتابته وصياغته على منهج العربية في صياغة ألفاظها، والقبول بالدخيل في حال العجز عن هذا كله. وعدَّ بعضهم عمله في المعجم «خطوة على درب الوحدة العربية الحقيقية» وباباً «للخلاص من واقع مؤلم في المؤسسات الثقافية العليا في كثير من بلادنا العربية، يتمثل في اتخاذها من اللغات الأجنبية وسيلة للتدريس والعمل، بدعوى عجز العربية عن أن تكون لغة التعليم في العلوم الحديثة».

وتأسست لجان التعريب ولجان توحيد المصطلحات في كثير من المؤسسات العلمية والمهنية والاتحادات والمجالس والمنظمات والمكاتب الإقليمية. وعقدت عشرات الاجتماعات والندوات. وصدرت عنها، بعد سنوات عمل طويلة، توصيات وقرارات. وصنعت لجانها بعض المعجمات المعروفة بالعربية والإنجليزية والفرنسية، اجتمع في صنعها رجال يمثلون معظم أقطار الوطن العربي، في مشرقه ومغربه معاً.

وصدرت دراسات كثيرة، أقيمت من حولها ندوات كثيرة، في غير عاصمة عربية واحدة، تناولت تعريب مصطلح علم من العلوم الحديثة، أو فرع من فروعها، مثل تعريب الحدود الدولية (من علم الجغرافية أو القانون الدولي) أو تعريب علوم اللسانيات على اختلاف فروعها، أو المعلوماتية، أو النفط، أو الجيولوجية، أو الطب بفروعه الكثيرة، أو الرياضيات، أو الكيمياء. ويكفي أن أقول: إن اتحاد مجامع اللغة العربية يعقد الآن ندوته العاشرة في دمشق، بعد ندواته التسع في عواصم الوطن المختلفة، على طول ما يزيد عن ربع قرن، للنظر في قضايا اللغة وتعريب مصطلحات العلوم الحديثة.

فإذا أضفنا إلى هذا كله عمل أجهزة الإعلام في التعريب الفردي أو العفوي، عن طريق الترجمة أو الاجتهاد الشخصي. وذكرنا، في هذا المجال، عمل مؤسسة صحفية واحدة (مجلة المقتطف)، منذ أوائل الربع الأخير من القرن الماضي إلى منتصف هذا القرن، وعمل الأمير مصطفى الشهابي في تعريب علوم الزراعة، وعمل مجمع القاهرة في صياغة آلاف المصطلحات، وعمل مكتب تنسيق التعريب في المغرب ومراكز أخرى في الكويت وغيرها، حتى بلغ عدد معاجم المصطلحات المعربة (على مختلف الأساليب) أكثر من خمسين معجماً في الطب، وأكثر من خمسة عشر معجماً في الفيزياء، وأكثر من خمسة وعشرين معجماً في الاقتصاد.

إذا استذكرنا هذا الجهد العظيم كله وما نتج عنه أدركنا أن معوقات التوحيد والتعميم تكمن في نواح أخرى يُسأل عنها الإنسان العربي في الدرجة الأولى، حيثما كان هذا الإنسان في المشرق أو المغرب، وهو ما يلزم أن تتجه الأنظار إليه في مسألة المصطلح، وتعمل على توضيح ارتباطها بموقف هذا الإنسان من نفسه ومن أمته، في هذه المرحلة من حياتها، وما يعاني من ضعف وانكسار في مواجهة عصره واستيعاب حضارته الساطية المستوردة.

— ٤ —

إن ما يحس هذا الإنسان من ضعف موقعه في العصر، ومكانه المتخلف من الإسهام في صنع حضارته ينتهي به إلى مانعرف من تعبد المغلوب للغالب، والإعلاء من شأنه، وامتداح كل ما يصدر عنه. وإلى الاستهانة، في المقابل، بثرواته الخاصة وبتراثه وما تضم خزانته القومية من كنوز.

فهذا، في المكان الأول، تفسير ما نشهد من ضعف الولاء للغة الأم، والانصراف عن المصطلح العلمي العربي إلى المصطلح الذي وضعه أصحابه، والتفاخر الخفي أو الظاهر بإيراده في كلامه أو في كتابته، تلميحاً أو تصريحاً. وهو ما ينبغي أن نعمل، جادين، في علاجه.

إني أعيش، هذه الأيام، في وسط طبي، وأرى الأطباء من حولي يرطنون بالمصطلحات الطبية الغربية. لم أسمع، إلا قليلاً جداً، من يستعمل منهم كلمة (الصادّ) أو (المضاد الحيوي). ولكنهم جميعاً، بالتقريب، يستعملون كلمة (أنتبيوتيك) أو (أنتيبايوتيك) .بمقتضى اللغة التي تلقوا العلم بها أو التي يرجعون إلى كتبها.

أفيمكن أن يفسَّر هذا بغير ضعف إحساسنا بالهوية الفكرية وبمكان اللغة من تقوية هذا الإحساس ،وبما يفعل الحرص على حفظها وإغنائها والاعتزاز بقدراتها على النهوض بحاجاتنا اليومية والعلمية والفنية، بما يحفظ لها شخصيتها وكرامة دورها الحضاري العريق؟

فكيف لا يكون للحرص على التعريب، وتقريب اللغة من العصر، وتقوية قدراتها على الاستجابة لحاجاتنا منها، دوره الهام في تعزيز إحساسنا بالقدرة على تحقيق ذواتنا، وهو أحوج ما نحتاج إليه في هذه المرحلة الصعبة التي نواجه فيها خطر انطماس الهوية القومية التي تهددها العولمة.

إن الاستهانة باللغة، فيما يتصل بقضية المصطلح وفي غيرها، تعبير مختصر عن الاستهانة بمقومات الوجود كلها. وليس في العالم لغة حية تملك من ماضيها وتراثها ما تملك العربية. وما نشهد من طغيان الخطأ فيها، والتشكي المزمن من صعوباتها، مع إظهار الحرص الشديد على الحفاظ

عليها في درج الكلام، لون من ألوان النفاق الشائع اليوم في السوق العربية، على اختلاف الصُعُد.

وقد يكفي أن نستذكر هنا ما فعل العدو في بعث لغته الميتة، وما صنع في استكمال مصطلحها العلمي، حتى تكون لبعضنا عبرة نافعة. وقد انتهوا اليوم إلى النجاح في جعلها لغة التعليم في درجاته كلها، ولغة الحياة اليومية، على حين لم يكن يتكلمها، في مطلع القرن، أكثر من عشرين أسرة في فلسطين كلها. وهم لا يسمحون اليوم بالانتساب إلى الجامعة إلا لمن يحسن العبرية، مهما تكن اللغة التي كان يتكلمها قبل المهاجرة إلى فلسطين. وقد أعانهم على أمرهم اجتماع كيانهم (وحدة المصدر في القرار) وشدة الغيرة على لغتهم، وقوة الرغبة في تقريبها من لغة العصر. وقد بلغوا من ذلك أنهم أصبحوا يترجمون عنها إلى الإنكليزية بحوثاً علمية، وينشرونها في مجلات يصدرونها إلى العالم، ويجنون من ورائها أرباحاً كبيرة. فمن هنا بلغت ثقتهم بأنفسهم، وبقدرتهم على تحقيق ذواتهم، ما أصبحنا ـ للأسف ـ نتمناه لأنفسنا اليوم.

— ٥ —

بقيت أمور يمكن أن نضيفها إلى ما قلناه، ينفع تحقيقها في التوحيد والتعميم. مثل إنشاء مؤسسة عامة، أو مؤسسات قطرية متخصصة بالترجمة، على مثال ما تحقق في العصر العباسي، عصر الاحتكاك الأول بالثقافات العالمية، وعلى مثال ما فعل الطهطاوي في مطلع النهضة. على أن تلتزم هذه المؤسسة بالمصطلحات الموحَّدة، وتوزِّع كتبها في الساحة العربية. ويمكن أن يتسع برنامجها أيضاً لتدريب الراغبين في إتقان الترجمة.

ومثل إنشاء بنك مركزي قومي للمصطلحات يفيد من ثورة الاتصالات والمعلوماتية الحديثة، يمد المشتركين بالمصطلح الصحيح المطلوب، وبما يجدّ من ألفاظ العلوم الجديدة أو المتجددة في كل ساعة تقريباً.

ومثل الكف عن إثارة الخلاف من حول مصطلح استقرّ أو قارب أن يستقر في معظم أنحاء الوطن العربي، لصالح مصطلح يراه بعضنا أكثر صلاحاً (مثل اللسانيات أو الألسنة). فإن ما نخسره من خلخلة المصطلح المستقر فوق ما نربحه من الغلبة في سوق المزايدات. إذ ينبغي أن نذكر دائماً أن في المصطلح معنى من معاني الرمز.

على أن هذا لا يعني الانقطاع عن مراجعة المصطلح في الحين بعد الحين، لأن تطور العلوم يمكن أن يمس المدلولات ويعدّل فيها. ثم إن في بعض المصطلحات التي اخترناها أو التي نختارها صيغاً لا تقبلها النفس وينفر منها الذوق لغرابتها أو تقلقلها في الأذن لأسباب شتى (مثل «وعاؤوم» مكان «الورم الوعائي» أو «مخاطوم» مكان «الورم المخاطي»). وقد صرح لي بعض من لقيت من الأطباء بأنه يجد الكلمة الأجنبية أخف على لسانه وأدل على قصده من المصطلح العربي أو المعرب.

وقد يكون لهذا الذي أقول صلة بما يشيع من الاستهانة بدور مجامع اللغة والمؤسسات اللغوية الأخرى. ولا بد أن يكون لهذه الاستهانة بدورها صلة بالالتفات عن مناقشاتها وقراراتها في شأن المصطلحات خاصة وفي شؤون اللغة الأخرى.

ومثل ضبط العمل في أجهزة الإعلام ووسائله، والإفادة منها في توحيد المصطلح المستحدث وتعميمه، والإصرار على أن نزرع في كل

مؤسسة إعلامية مقروءة أو مسموعة أو مرئية مدققاً لغوياً مسؤولاً، مزوداً بمعاجم المصطلحات من كل جنس وفن، أو بمعجم إعلامي خاص نكوّنه له، ينفعه حين يرجع إليه. وهو معجم تدعو الحاجة الماسة إلى صنعه، لمكان الإعلام وأجهزته من حياة الإنسان في هذا العصر. ولعل في صنع المعجم التاريخي الذي طال الشوق إليه ما يمكن أن يعين على استدراك الحاجة إلى المعجم الإعلامي، إذ هو يعين على اختيار المصطلح المطلوب، لأنه يحدد موضعه من السياق في القديم والحديث، في السياسة والاقتصاد والعلم والاجتماع.

ومثل ملاحقة المعاجم العالمية في كل سنة، والنظر في المصطلح الجديد الذي تضمه في طبعاتها المتلاحقة. فقد تزيد الطبعة على الطبعة السابقة مئات الصفحات وآلاف الكلمات الجديدة، في كل شأن علمي أو يومي متطور. إن تعريب هذا المصطلحات يعين على إدخالها حياة الناس قبل أن يدخلها التعريب المرتجل. ثم إنه يعمل على توحيد المصطلح قبل أن يطول به افتراق الاختلاف في القطر الواحد أو في الأقطار المتباعدة.

أعرف أن إشكاليات كثيرة يمكن أن تثار من حول هذا الكلام، مثل الحرص على أن تقرب لغة العلم عندنا ومصطلحاته من لغة العلم ومصطلحه في العالم. ولكن هذا لا ينفي الخطر عن لغتنا إذا زاد المعرّب والدخيل عن حده المقبول، ثم إنه، من ناحية أخرى، تحلّه مسألة واحدة لا غنى عن الاستجابة لها في هذا العصر، وهو معرفة لغة أجنبية تجعل الواحد منا، في أي حقل من حقول الاختصاص، وفي حقول العلم بصورة خاصة، على صلة دائمة بما يجدّ في حقل اختصاصه وفي حقول المعرفة الأخرى. ولنا في الأمم الأخرى مثل الصين واليابان وأمم آسية الناهضة وغيرها من الأمم مثال يتبع.

ولا شك أن توحيد المصطلح العلمي في العربية يساعدها على أن تدخل الساحة العالمية دخولاً مطمئناً: سياسةً واقتصاداً وثقافةً واجتماعاً.

إن القضية المرتبطة بتوحيد المصطلح الحديث وتعميمه هي وصل اللغة بحركة الحياة والفكر والثقافة العالمية، ودفع عجلة التطور الفكري والعلمي والاجتماعي، فوق معاني وحدة الفكر والشعور في أمة حرمتها التجزئة وأدواؤها أهم حقوقها: حق الحياة الكريمة في وطن غير مستباح.

على أن ما نقوله هنا وما قلناه جميعاً من قبل، يبقى كلاماً يطير في سماء الندوات، وإن قيدته الكتابة، مالم ننشط إلى التطبيق والعمل.

سبل توحيد المصطلح العلمي العربي ومشكلاته وأثره على تيسير عملية التعريب وإعاقته

د. أحمد شيخ السروجية

اللغةُ أصواتٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم كما وصفَها أبو الفتح عثمانُ بن جني في كتابِهِ الشاملِ الخصائص(١). ويُصْدِرُها الإنسانُ في تناغمٍ وترتيبٍ معينين، فيسمعُها الآخرون ويتفاعلون معها حسب ما يستطيعون أن يفهموا منها. ولكي يتحققَ هذا الفهمُ تحولت هذه الأصواتُ إلى كلماتٍ لها دلالاتٌ معينة. هذه الدلالاتُ أو المعاني قد تأصلت بمضيٍّ الزمن، وأصبحت ثابتةً في الأذهانِ ينقلُها جيلٌ إلى آخر. ويضيفُ كلُّ جيلٍ كلماتٍ جديدةً أو يحوِّرُ معاني الكلماتِ المستخدمةِ حسب المعطياتِ الموجودةِ في العصرِ الذي يعيشُه. ويتمُّ تأصيلُها بالاتفاقِ بين جمهور الناسِ الذين يعيشون في ذلك العصر، أي يصطلحون عليها، ومن هنا جاءت كلمةُ المصطلح. فمعظمُ الأسماءِ ما هي إلا مصطلحاتٌ تطلقُ على الأشياءِ المحسوسةِ من جمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ وإنسان. وتتعدى هذه التسميةُ الأشياءَ المحسوسةَ لتشملَ أيضاً الأشياء غيرَ المحسوسةِ مثلَ الظواهرِ الطبيعيةِ والمفاهيمِ الإنسانيةِ والعلميةِ وغيرِها.

وخيرُ مثالٍ على ذلك الأسماءُ التي تطلقُ على المواليد. فأهلُ المولودِ بعد مداولةٍ وبحثٍ مطوّلين يتفقون فيما بينهم، ويطلقون على وليدِهم الاسم

الذي يختارونه له، ويقومون بتسجيلِ الاسمِ في دائرةِ الأحوالِ المدنيةِ، فيلازمُ صاحبَه حتى آخرِ الدهر، ويصبحُ جزءاً لا يتجزأ منه.

ويحدثُ أحياناً أن يوجدَ اختلافٌ بين أفرادِ العائلةِ حول الاسمِ بعد تسجيلِه ويتفقون على اسمٍ آخرَ، فيصبحُ لذلك الشخصِ اسمان، اسمٌ تتداوله العائلةُ وأصدقاؤهم المقربون، والاسمُ الرسميُّ المسجل، فيسببُ ذلك إرباكاً وصعوباتٍ دائمةً للشخصِ المذكور في المدرسةِ والمعاملاتِ الرسميةِ تمتدُّ معه طَوال عمره. وفي أحيانٍ أخرى تقومُ العائلةُ بتصويبِ الاسمِ أو يرغبُ صاحبُ الاسمِ بتغييرِه، فتُبْذَلُ جهودٌ مضنيةٌ في الدوائرِ الرسميةِ لتعديلِ الاسم. فإن أتت هذه المحاولةُ قبل أن ينتشرَ الاسمُ القديمُ كانت الأمورُ سهلةً وأمكنَ تجاوزُها بيسر. أما إن تأخرَ ذلك وعرفَه الناسُ بالاسمِ القديمِ برزت صعوباتٌ جمَّةٌ في وجهِ ذلك الشخصِ وهو يحاولُ نشرَ اسمِه الجديدِ إلا بين من لا يعرفونه بالاسمِ القديم. ومن المشكلاتِ الأخرى التي يعاني منها الناسُ في أسمائِهم أن يطلقَ الاسمُ المؤنثُ على المذكرِ أو العكس، أو أن يطلقَ اسمٌ غريبٌ أو أجنبي، فيكونُ ذلك سبباً آخر للصعوباتِ والإرباكِ التي يواجهُها ذلك الشخص.

فخصائصُ الاسمِ أو المصطلح تتلخصُ فيما يلي:

١ ـ أولُ من يطلقُ الاسمَ أو المصطلحَ هم أهلُ المولودِ أو العلماءُ الذين يكتشفون الأشياءَ أو المفاهيمَ الجديدةَ في مختبراتِهم وأبحاثِهم واكتشافاتِهم، ويكونُ لهم السبقُ في ذلك.

٢ ـ يكون الاسمُ أو المصطلحُ مقبولاً ومفهوماً أكثرَ ما يمكن إذا كان مطابقاً للجنسِ والمعنى وكان بلغةِ أهلِ القوم الذين يستعملونه.

٣ ـ بعد إطلاقِ الاسمِ أو المصطلحِ يصعبُ تغييرُه إذا شاعَ بين الناسِ حتى إذا لم تتوافرْ فيه المعاييرُ التي ذُكِرَت سابقاً.

٤ ـ من هنا جاء المثلُ بأن الخطأ الشائعَ خيرٌ من الصوابِ الضائعِ أو المهمل.

٥ ـ أن يكونَ هناك اسمٌ أو مصطلحٌ واحدٌ للشخصِ أو الشيءِ أو المفهومِ الواحدِ درءاً لِلَّبْس.

٦ ـ بعد تغييرِ الاسمِ أو المصطلحِ يحتاجُ الناسُ إلى فترةٍ طويلةٍ حتى يألفوا الاسمَ أو المصطلحَ الجديد. وقد يمتدُّ ذلك إلى جيلٍ أو أكثرَ حتى ينسى الناسُ الاسمَ أو المصطلحَ القديم.

فإطلاقُ الاسمِ أو المصطلحِ مرهونٌ بأهلِ الوليدِ أو العلماءِ الذين يكتشفون أشياءَ أو مفاهيمَ جديدةً، ويكونُ لهم السبقُ في إطلاقِه، ويصعبُ بعد ذلك تغييرُ الاسمِ أو المصطلحِ إذا شاعَ بين الناس. فما زال الناسُ في القاهرةِ مثلاً يقولون شارعَ فؤاد وشارعَ سليمان بعد سنواتٍ طويلةٍ من تغييرِ اسميهما. والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ في جميعِ نواحي الحياة.

فالمصطلحُ العلمي يوضعُ أولَ ما يوضعُ من قِبَلِ الناسِ الذين ينتجون المعرفةَ في مختبراتِهم ومراكزِهم وأبحاثِهم. وتكونُ هذه المصطلحاتُ بلغاتِهم أو بأصولِها أيضاً. وإذا انتشرت هذه المصطلحاتُ وعمت بين الناسِ، أصبحَ من العسيرِ أن تتغير. وفي العصرِ الذي نعيشُه يتصدرُ الغربُ السبقَ الحضاري في معظمِ مناحي الحياةِ، وحتى في الغربِ نفسِه تتصدرُ الولاياتُ المتحدةُ بلغتِها الإنجليزيةِ المعدلةِ أمريكيّاً باقي دولِ العالم، فتُنْتِجُ من المصطلحاتِ كماً هائلاً كلَّ عام، إذ يُقَدَّرُ ما تنتجُه اللغةُ الإنجليزيةُ ما يقربُ من عشرةِ آلافِ مصطلحٍ في الميادينِ العلميةِ سنوياً في منتصفِ

التسعينات(٢). وتنتشرُ هذه المصطلحاتُ في وسائلِ الاتصالاتِ الحديثةِ بسرعةٍ فائقة بين عامةِ الناسِ في جميع أنحاء العالم ويستعملونها قبل أن يطَّلعَ عليها المختصون. وما توليدُ المصطلحاتِ الحديثةِ حكراً على الولاياتِ المتحدةِ أو الناطقين باللغةِ الإنجليزيةِ إلا نتيجة السبق الذي حققوه في توليدِها على الغالب. ومشكلةُ المصطلحاتِ الأجنبيةِ داءٌ عصريٌّ تعاني منه جميعُ أممِ الأرضِ وحتى في الدولِ الغربيةِ مثلِ فرنسا وغيرها. وهناك مصطلحاتٌ عديدةٌ ليست إنجليزيةً انتشرت وعمت وتم نسيانُ أصلِها مثلُ كلمةِ روبط robot (الإنسان الآلي) فهي كلمةٌ تشيكيةٌ تعني الخادم. وكلمةُ إيدز AIDS أصبحت شائعةً في جميعِ أنحاءِ العالمِ ولم يتسنَّ لكلمةِ سيدا CIDAالفرنسيةِ الشيوع.

إن اللغةَ العلميةَ ليست المصطلحاتِ فحسب، بل إنها أيضاً اللغةُ الوسيطةُ التي تربطُ المصطلحاتِ والرموزَ وكلَّ العملياتِ العلميةِ أيّاً كانت. إن هذه اللغةَ الوسيطةَ التي يصفُها عبد الله العروي (٣)، باللسان المقوعد هي المحورُ الأساسي الذي تقومُ عليه اللغةُ العلميةُ لتصبحَ سلسةً قريبةً إلى الإفهام، وما الدورُ الذي تلعبُه اللغةُ الأجنبيةُ إلاّ دور الوساطةِ بين المصطلحات. إن هذه الوساطةَ أعجميةٌ تماماً في المراجعِ الأجنبية، وفي أغلبِ الأحيانِ تكونُ ثقيلةً بعيدةً عن الإفهام لأن الغالبيةَ من المتعلمين لا يتقنونَها إتقاناً تاماً، فهم إما يعودون إلى المعجمِ بحثاً عن المعنى أو يهملون ذلك فيكونُ فهمُهم لما يقرؤون منقوصاً أو خاطئاً أو يعيدون قراءةَ الجملةِ أو الفقرةِ أو البحثِ عدَّةَ مراتٍ يمضون في ذلك ساعاتٍ طوالاً في دراسةٍ تحتاجُ إلى جزءٍ قليلٍ من ذلك الوقتِ لو كانت اللغةُ الوسيطةُ قريبةً إلى الإفهام(٤).

واللغةُ العلميةُ ليست كلماتٍ ومصطلحاتٍ فحسب، إنها أسلوبُ

تفكيرٍ، يعتمدُ الدقةَ والوضوحَ والإيجازَ في التعبير. ويحتاجُ إتقانُها إلى قدرٍ كبيرٍ من الكفاءةِ والتدريب. وهو ليس خاصّاً بلغةٍ دون أخرى (٥). وتتألفُ اللغةُ العلميةُ من المصطلحاتِ واللغةِ الوسيطةِ كما ذكرنا سابقاً. وتهدف اللغة عامّةً، والعلميةُ منها خاصّةً إلى نقلِ المعرفةِ من منتجِها إلى مستهلِكها. وحتى تخدمَ اللغةُ العلميةُ غرضَها يجبُ أن تكونَ مَصوغةً بأسلوبٍ ميسرٍ يحققُ الهدفَ، ألا وهو نقلُ المعرفة. ويتمُّ نقلُ المعرفةِ عندما يفهمُ المتلقي المعنى الذي قصدَه المنتجُ بالتمامِ والكمال. فالمرادُ هنا يجبُ أن يكونَ فهمَ المعنى المقصود، وكلُّ شيءٍ عدا ذلك يأتي في مرتبةٍ لاحقة. وليتحققَ ذلك يجبُ أن يكونَ لدى المؤلفِ والقارئِ درايةٌ جيدةٌ في المبحثِ العلميِّ المعينِ وفي اللغةِ أو اللغاتِ المستخدمة، مفرداتٍ ونحواً.

إننا ندَرِّسُ الطبَّ وعلوماً كثيرةً باللغةِ الإنجليزيةِ كما يُفْتَرَض، ولكننا نستعملُ، في واقعِ الحالِ، كلَّ ما نملكُ من مخزونٍ لغويٍّ في نقلِ المعرفة، فتجدُنا نستعملُ المصطلحاتِ بلغةٍ أجنبية، بينما نستخدمُ لغةً أجنبيةً ولغةً عربيةً فصيحةً وعاميةً كلغةٍ وسيطة. فكثيرون منا يعتقدون بأن التعليمَ، والتعليمَ العالي بالذات يجبُ أن يكونَ بلغةٍ أجنبيةٍ حتى يتسنى لنا متابعةُ ما يستجدُّ من العلومِ بأسرع ما يمكن، وهذا أمرٌ خاطئٌ تماماً إذا عرضناه للمناقشة. وكثيرون من أساتذةِ الجامعاتِ لا يتقنون اللغةَ الأجنبيةَ أو يستعملون لغة أجنبية في تدريسهم غيرَ تلك التي تلقوا بها المعرفةَ في تخصصِهم. والغالبيةُ العظمى من الأساتذةِ لا يتقنون اللغة العربيةَ الفصيحةَ إتقاناً يؤهلُهم للمحادثةِ أو الكتابةِ بها. لا يمكن ردُّ ذلك إلى عدم مقدرة، ولكنَّ مردَّه عدمُ الممارسة، فالمقدرةُ تأتي بالمراس، ولا يوجدُ هناك حافزٌ قوي لأن ينمي الأستاذُ هذه المقدرةَ بالممارسة. من ناحيةٍ أخرى نجد الأستاذ الإنجليزي أو الأمريكي عندما يتحدثُ أو يكتبُ في تخصصِه أو في أيِّ

موضوع عام، يستعملُ لغةً سويةً سليمةً دقيقة العبارةِ تؤدي غرضها على أحسنِ وجه. ومردُّ ذلك أنه يستعملُ لغةً واحدةً في جميع مستوياتِ التعليمِ في محادثاتِه وكتاباتِه، وفي المصطلحات واللغة الوسيطة أيضاً، فأصبحت مقدرتُه على استعمالِ اللغةِ عاليةَ الكفاءةِ نتيجةَ المراسِ المتكرر والمستمر في جميعِ مراحل التعلُّمِ والتعليمِ وفي جميع مناحي الحياةِ الأخرى أيضاً. وينطبق ذلك على متلقي العلم والمعرفة أيضاً.

إنَّ الدول التي تصدِّرُ المعرفة في عصرنا الحالي كما ذكرنا هي الدولُ الغربيةُ وتتصدرُها الولاياتُ المتحدةُ. والدول العربيةُ منفردة ومجتمعة متلقيةٌ بطريقةٍ سلبية. إننا نستوردُ المعرفةَ من الدولِ التي تصدِّرُها تماماً كما نفعلُ في التجارة. وما زلنا في معظمِ التخصصاتِ العلميةِ نستخدمُ اللغةَ الأجنبيةَ في نشر المعرفة. وتلقي العلم بلغةٍ أعجميةٍ في نظري ، يستهلك وقتاً مضاعفاً إذا توخينا فهم المعنى بدقة، بالمقارنةِ مع استخدام اللغةِ القوميةِ. ومن إيماني هذا، قمت بترجمةِ كتابين في الجراحةِ إلى اللغةِ العربيةِ. الأول متوسطُ الحجمِ ترجمتُه منفرداً، والثاني مرجعٌ كبيرٌ في الجراحةِ ترجمتُه مع مجموعةٍ من الزملاءِ، وراجعتُ الكتابَ كلَّه مدققاً ومصححاً. أدركتُ في أثناءَ الترجمةِ الفرقَ الشاسعَ بين اللغةِ الوسيطةِ والمصطلحات. ولكلٍّ منهما مشكلاتٌ تختلفُ تماماً عن المشكلاتِ الأخرى. فمشكلةُ المصطلح بالنسبةِ للمترجمِ تتلخصُ بقضيةٍ واحدةٍ تقريباً وهي وحدةُ المصطلح. القضايا الأخرى التي ذكرتها آنفاً تتعلقُ بفترة توليد المصطلح، أي أن يكون المصطلحُ باللغةِ القوميةِ ويكونَ مطابقاً للجنسِ والمعنى وبعيداً عن الغرابةِ وغير ذلك. يقومُ المترجمُ أو مجموعة المترجمين في البداية باعتمادِ معجمٍ متخصصٍ، مثلِ المعجمِ الطبيِّ الموحدِ بالنسبة لنا. ومعظمُ المصطلحاتِ لها ترجمةٌ واحدة غالباً. وفيما ندر

ترجمتان. فيكون دورُ المترجمِ في اختيار أحد المعنيين. إذا تجاوزنا هذه النقطة نجدُ أن مشكلة المصطلح أصبحت مذللة. فمعنى المصطلح لا يتغيرُ مهما كان موقعُ وروده. فإن كان غريباً فإننا نألفُه بالاستعمال. وإن نسيناه حفظناه بالتكرار.

وتكمن المشكلةُ الكبرى حسب اعتقادي في اللغة الوسيطة. إذ يجب أن يمتلكَ المترجمُ مقدرة جيدة في قواعد اللغتين، لغة المصدر ولغة المتلقي، كما يجبُ أن يكونَ ملماً إلماماً جيداً بمعاني الكلمات. كنت أضطر للرجوع مراراً في محاولة اختيار المعنى الصحيح للكلمةِ الواحدة، لأن معنى الكلمات غير الاصطلاحية يتغيرُ كثيراً في النص حسبَ موقعِها، في حين يكونُ معنى المصطلح في غالبية الأحيانِ واحداً أينما ورد. فإن أخطأنا الترجمة، اختلف المعنى كثيراً.

من هنا أدركتُ كم من الوقت يضيِّع متلقو المعرفة عندما لا تكون اللغةُ الوسيطةُ لغتَهم القومية. كلُّنا مررنا بمثلِ هذه التجربةِ في أثناء دراستنا. وما نزال. فعندما نقولُ إننا نتعلمُ أو نعلِّمُ بلغةٍ أجنبيةٍ، أعتقدُ أنَّ المقصودَ هو اللغةُ الوسيطةُ أكثرَ من أن تكونَ المصطلحاتُ، إذ إن اللغة الوسيطة تبقى مشكلة دائمة تقريباً في رحلة العلم. أما المصطلحات سواءٌ أكانت بلغةٍ أعجميةٍ أم بلغتِنا القومية، فإننا نعاني منها في بداية دراسةِ التخصصِ أو عندما نتعرض لها أول مرةٍ حتى نتمكنَ من معناها ونألفَها.

لعلي قمتُ بتبسيطِ مشكلةِ المصطلحِ كثيراً. لقد تعرضَ الكثيرون إلى مشكلةِ المصطلح من حيث توليدُه وتعريبُه واشتقاقاتُه وغيرُ ذلك ببحثٍ مستفيض(٦) (٧).

وأعتقد، كما ذكرت في البداية، أن المصطلح قد لا يكونُ مشكلةً

عندما نصبحُ منتجين للمعرفة لأننا في ذلك الوقت سنختارُه نحن بلغتنا. ولكننا متلقون للمعرفة ومصطلحاتها التي تنتشرُ قبل أن نتمكنَ نحن المختصين من دراستها. وبغياب هيئة واحدة في العالم العربي تُعنى بدراسة المصطلح، تقومُ هيئاتٌ عديدةٌ بذلك، وفي مقدمتها المجامعُ العلميةُ واللغويةُ. فتنتجُ بذلك مقابلاتٌ عربيةٌ متعددةٌ للمصطلحات الأجنبية. وفوق ذلك، كثيراً ما يكونُ للمصطلح الواحد مقابلاتٌ مختلفةٌ في التخصصات المختلفة وفي البلد الواحد. قد تكونُ المهنُ الطبيةُ أفضلَ من غيرها بالنسبة لتوحيد المصطلحات، فهناك المعجمُ الطبيُّ الموحدُ الذي انبثقَ عن وزراء الصحة العرب، ومنظمةِ الصحةِ العالمية، واتحاد الأطباء العرب، والمنظمة العربية للتربيةِ والتعليم. وقد صدرت طبعتُهُ الأولى عام ١٩٧٣، وصدرت آخر طبعاته المزيدة والمنقحة على قرصٍ مكتنز هذا العام (١٩٩٩). وقد استخدمتُ شخصياً طبعة عام ١٩٨٣ ووجدتها تفي بالغرض الذي نذرنا أنفسَنا للقيام به. ومع ذلك هناك أكثرُ من معجمٍ طبي يستخدمُه الأطباءُ في دولٍ عربيةٍ مختلفة. ومع الأسف لم يلقَ المعجمُ القبولَ في دولة التعريب الأولى سورية. بالرغم من أن الأشخاصَ الرئيسيين في تنفيذ هذا المشروعِ الكبيرِ هم من سورية مثل الدكتور حسني سبح والدكتور محمد هيثم الخياط.

كلُّنا يعرفُ أنَّ هناك قوًى عاتيةً تقفُ في وجه التعريب، أحدُ أسبابها كما ذكرتُ هو محاولةُ متابعةِ ما يستجدُّ من المعرفة. وهذا سببٌ مشروعٌ في غيابِ حركةٍ منظمةٍ ومستديمةٍ تهدف إلى نقل المعرفة أولاً بأولٍ إلى اللغة العربية. والسببُ الأهمُّ الذي يستعملُهُ المعارضون في شنٍّ هجومهم على التعريب هو مشكلةُ توحيد المصطلح، كيف السبيلُ إلى ذلك وهناك اثنتان وعشرون دولةً عربية.

كلُّنا يعجبُ لوجودِ دولٍ صغيرةٍ لا تمتلكُ لغةً عريقةً واسعةً كاملةَ الأدواتِ كلغتِنا العربيةِ، وتدرُس العلومَ كلها بلغتها القومية. وجميعُنا يستشهدُ بفيتنام وكيف أنَّ هوتشي من أمر بأن تكون اللغةُ الفيتناميةُ لغةَ العلم، وأنَّ العدوَ الصهيونيَّ أحيا لغتَه الميتة واستعان بلغتنا العربية في إحيائِها، ويدرسُ العلومَ بها. السببُ في ذلك هو أن هاتين اللغتين وغيرهما من اللغاتِ محدودة بدولةٍ واحدةٍ، والقرار فيها قرارٌ واحد، بينما القرارُ عندنا عندما يتصدى لأمرٍ يتعلقُ باللغةِ العربيةِ على أهميته المصيرية في تنشئةِ الأجيالِ وتيسيرِ متابعةِ العلوم المستجدة، هو اثنان وعشرون قراراً. ومن الأسبابِ المهمةِ الأخرى هو أنَّ معظمَ الدولِ تستخدمُ لغاتِها القوميةَ كلغةٍ وسيطةٍ في حين أنَّها تستخدمُ المصطلحاتِ الغربيةَ، إذا صحَّ التعبير، كماهي.

العيبُ ليس في لغتِنا لأننا لا نستعملُها في تعليمِنا العالي فهي بأدواتِها أوسعُ من معظم اللغاتِ الأخرى حتى من كثيرٍ من اللغاتِ الغربيةِ التي تعتبرُ لغاتِ العلم. وهي أوسعُ وأغنى بكثيرٍ من اللغةِ الإنجليزية عندما قال فيها توماس مور في بدايات عصرِ النهضة الأوربية «إنَّ اللغةَ الإنجليزيةَ غنيةٌ إلى درجةٍ تسمح بالتعبير عن أفكارنا في أيٍّ موضوعٍ يتحدثُ فيه رجلٌ إلى آخر». تستطيع لغتُنا العربيةُ أن تستوعبَ كلَّ شيء وبسهولةٍ كبيرةٍ إذا استخدمناها كلغةٍ وسيطة، ويجبُ أن نقومَ بذلك، فهذا ما نستعملُهُ في تدريسنا. فإن نحن دعونا إلى ذلك واستخدمنا اللغة العربية كلغةٍ وسيطةٍ في كتاباتنا، أمكننا أن نحسنَ أداءنا كثيراً في استعمالِ اللغةِ العربيةِ الفصيحة. إن الإصرارَ على وضع مقابلٍ عربي للمصطلح الغربي وتوحيده من أهم العوامل التي تؤخرُ التعريب. فكلنا يعلمُ أن اختيار المصطلح الأنسب يأتي بمضي الوقت، وأن شيوعَه وقبولَه وتوحيدَه يكونُ أسهلَ بكثيرٍ بالاستعمالِ الفعلي،

بالكتابة والترجمةِ العلمية. قد يكونُ استعمالُ المصطلحِ الغربي معرَّباً وخاصَّةً إذا لم يكنْ هناك اتفاقٌ على مقابلٍ عربيٍّ مرحلةً ضروريةً إذا كنا جادين في محاولاتنا المتكررة لدفعِ الدولِ العربية إلى تعريب العلوم. وهذا ما اتبعَهُ أسلافُنا عندما ترجموا العلومَ من اليونانية إلى العربية. فقد وُجِدَتْ، بعد مضي وقتٍ ليسَ بالقصير، كلماتٌ أفضلُ من المصطلح الأعجمي مثل الرياضيَّاتِ التي حلَّت محلَّ الأرذماتيقا، بينما استمرت كلماتٌ أخرى وتعرَّبت مثلَ الفلسفة.

يجبُ أن لا ننسى ونحن نبحثُ في موضوعِ التعريبِ ونقلِ المعرفةِ إلى لغتنا، موقعنا في الهرم المعرفي المعاصر. أنا لا أريد أن أغامرَ بتحديد هذا الموقع، ولكنَّه في أحسنِ الأحوالِ موقعٌ لا يَسُرّ. وإذا أردنا أن نُغْلِقَ الهوَّةَ المعرفية بيننا وبين منتجي المعرفة. يجبُ أن نبذلَ كلَّ ما بوسعِنا لأن نلحق بهم. واللحاقُ بهم بامتطاء لغةٍ أعجميةٍ سيكونُ مضنياً ومتعباً لنا في آخرِ المطاف. والإصرارُ على أن تكون كلُّ العلومِ باللغة العربية يقوِّي حُجَّةَ المعارضين، لأنَّ الاتفاقَ على المصطلحاتِ أمرٌ لا تذلِّلُهُ الندواتُ ولا المؤتمراتُ، الهدفُ يجبُ أن يكون في هذه المرحلةِ من تاريخنا تيسيرُ فهمِ العلوم على الناشئة مهما كان الثمن. ولغتُنا العربيةُ أقوى بكثيرٍ من أن تتداعى إذا دخل فيها عددٌ، مهما كَبُر، من المفردات الأعجمية.

ليست هذه دعوةٌ إلى نبذ المصطلحاتِ العربية، فكثيرٌ منها يوضحُ المعنى بدقةٍ ووضوحٍ بدرجةٍ تفوقُ المصطلحَ الغربي. ولكن ما أريدُ أن أنبِّهَ إليه هو أننا أمام كمٍّ هائلٍ من المصطلحاتِ التي تداهمُنا كلَّ يوم، وإن أردنا إيجاد مقابلاتٍ عربيةٍ لها جميعاً فإننا نكونُ أمامَ أمرين، كلاهما مر، أولهُما طولُ الوقت الذي سيستغرقُه ذلك إذا أردنا أن نجدَ المصطلحَ الأنسب،

فتـراكمُ المصطلحـاتُ ويصبح إنجازُ المهـمة أمراً مسـتحيلاً. والأمـرُ الثاني أن نستعجلَ الأمرَ فنضعُ مصطلحاتٍ عـربيةً ركيكةً تسببُ الإرباكَ وتَعَذُّرُ الفهم ونحن نهدف إلى تيسيرِه.

آملُ في هذا العـرضِ الموجـزِ أن أكونَ قـد ألقـيتُ الضـوءَ على بـعض المشكلاتِ العمليةِ التي واجهتنا وستواجهنا في محاولةِ نقلِ العلوم إلى العربية وفقكم الله، والسلامُ عليكم ورحمة الله وبركاتُه.

الحواشي

(١) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، جزء ٣، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٢٤.

(٢) أحمد الأخضر غزال، مشاكل الترجمة العلمية والتقنية إلى اللغة العربية (واقتراحات لحلولها). في الترجمة العلمية، ندوة طنجة ١٩٩٥، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ص ١٠٣ - ١٦٥.

(٣) عبد الله العروي، التعريب، في «ثقافتنا في ضوء التاريخ»، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٠٧ - ٢٢٩.

(٤) أحمد شيخ السروجية، تعريب العلوم الصحية ضرورة حضارية. المحاضرة الثالثة، الموسم الثقافي السابع لمجمع اللغة العربية الأردني، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني. ١٩٨٩. ص ١٠٧ - ١٢٢.

(٥) أحمد شيخ السروجية. دور التعريب في نقل المعرفة. المجلة الطبية الأردنية. المجلد ٢٢. العدد ٢، ١٩٨٩، ص ٢٣٣ - ٢٣٩.

(٦) أحمد الأخضر غزال، مرجع رقم ٢.

(٧) جميل الملائكة، المصطلح العلمي ووحدة الفكر. في «اللغة العربية والوعي القومي»، الطبعة الأولى. مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤. ص ٢٢٧ - ٢٤٦.

J.R .Haie. secular learning. Educational reform , in <<Renaissance Europe>> (Fomana) History of Europe 1977. pp 283 - 297.

في الطريق إلى مصطلح علمي عربي موحد

واضع المصطلح، وأساليب وضعه، ووسائل توحيده

د. محمّد أحمد الدّالي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَم يَجْعَل لَّـهُ عِوَجَـا، قَيِّـماً﴾ [الكهف: ١-٢]، ﴿وَإِنَّهُ لَتنزِيلُ رَبِ العَالَمِين، نَزَلَ بِهِ الرُّوُحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِين، بِلِسَانٍ عَرَبِي مُبِيـنٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥]، والصلاة والسلام على رسول الله وخاتم النبيين محمد وعلى آله، وبعد..

[١]

فالحديث في العربية لغةِ القرآن ووسائل خدمتها ذو شجون. والكلام في مسألة المصطلحات العلمية ووسائل تنمية المعجم العربي قد كثر كثرة، وطال طولاً، وذهب كلَّ مذهب، وأتى عليه دهر. وكثير مما يقال أو يمكن أن يقال قد قاله قائلون بذلوا فيه جهودهم، وعقدت له الندوات وصيغت له التوصيات، فكأننا «أمام كرة ثلج من التوصيات لا يتحول أي جانب منها إلى ماء يغذّي التربة بل تتضخم باستمرار» فيما قال الدكتور حسام الخطيب في كلام له[١]، وكأننا كما قال كعب بن

(١) الترجمة الآلية هل تحل جانباً من قضية تعريب العلوم، ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي في الخرطوم عام ١٩٩٨، ص ١٤٤.

زهير[١]:

مــا أَرَانــا نَقُــولُ إلا رَجِيعــاً ومُعَــاداً مِــنْ قَوْلِنــا مَكْــرُورا

ليست هذه الندوة إذن أول ندوة تعقد لمسألة المصطلح العلمي، ولن تكون آخر ندوة، أظن. ومازال أولو الرأي والعلم يدلون دِلِيَّهم في هذه المسألة، وقد بذلوا في تشخيص الداء ومعرفة وسائل علاجه ما بذلوا من جهد محمود مشكور، وأخذوا يحاولون شيئاً من العلاج.

وما انتهوا إليه في هذا الباب - أعني المصطلح وأساليبَ وضعه ووسائلَ توحيده وإشاعته - وما خرجوا به من توصيات ومقترحات = هو ما ينتهي إليه النظر ورجعُه فيه.

فلمَ تعقد هذه الندوة إذن وقد قتلت المسألة بحثاً؟ ولو كان الرأي لمن يبصره لفرغنا من هذه المسألة منذ نصف قرن. وإلى متى نظل نتكلم في مسألة قد فرغ مَن قبلنا من بحثها؟ وإلى متى نظل ندور في مواضع أقدامنا أو نقع منها غير بعيد؟ ومتى نحاول تطبيق ما صح النظر فيه واجتُمع عليه؟!.

تعقد هذه الندوة لأن المشكلة ما تزال قائمة، كأنها مشكلة جديدة تواجهنا أول مرة.

وعلى أن المجامع العلمية وغيرها من المؤسسات العلمية بذلت وما تزال تبذل شيئاً في هذا الباب فما يزال بينها وبين ما أقرته من توصيات

---

(١) ديوانه ص ١٥٤.

مفاوز، ولم تزل غير قادرة على تنفيذ ما تراه، فلا رأي لمن لا يطاع، والتقرير شيء «والتنفيذ شيء آخر. وما فائدة القرارات إذا كان واضعوها لا يملكون سلطة تنفيذها» فيما قال الأمير مصطفى الشهابي[1]، رحمه الله. وأين تقع هذه الجهود مما نريد من خدمة للغتنا.

فليست خدمتنا للغتنا خدمة من يشعر أنه فرد في أمة، وأن لغة هذه الأمة عنوان وجوده، لا يرضى عنها بديلاً في الخطاب والتعليم والكتابة.

وليست خدمتنا للغتنا خدمة من يرى أن في استعمال لغة أجنبية في موضع اللسان العربي في شتى جوانب الحضارة أو في جوانب منها = تقويضاً لمعاني الأمة في النفس، وهدماً لتاريخها، وإلغاء لحضارتها.

متى يشعر العربي أن العربية عرضه وأرضه وشرفه وكرامته ووجوده؟ متى يصحو فيعود إلى لغته، فيجعلها لغته في شؤونه كافة، ويصونها، ويذود عنها ذِيادَه عن حماه؟ متى يخدمها خدمة الناس للغاتهم؟.

ولئن كانت أمتنا قد قعدت وسار الناس، وضعفت واشتد الناس، وجلست تنظر إلى المشاركين في صنع الحضارة = إنَّ لغة هذه الأمة قادرة على الحياة والتجدد والعبارة عما استحدثه الناس ويستحدثونه في شؤون حضارتهم، وهي باقية ما بقي كتاب الله يتلى، وباقية ما بقي الأذان يرفع.

ألحَّت علي هذه المعاني وأنا أقرأ أشياء مما كتب في باب

(١) المصطلحات العلمية في اللغة العربية ص ١٤٠.

المصطلحات العلمية. وأوفى كلام فيه ما قاله الأمير مصطفى الشهابي في كتابه «المصطلحات العلمية». ويكاد ما كتبه الأمير فيه يستبد بالرأي والصواب في هذا الباب. ولن يزاد على ما ذكره من أصول المسألة وعلاجها فيما أرى إلا أُشيّاء في بعض الجوانب.

وما أنا ذاكره بعد في هذه المسألة عولت في بعض جوانبه على ما ذكره الأمير مفرقاً في مواضع من كتابه، وعلى ما ذكره بعض من تكلم في هذه المسألة، وعلى ماانتُهي إليه في الندوات من توصيات ومقترحات.

[٢]

لم التنادي إلى تعريب المصطلح وتوحيده وإشاعته ولمّا يأخذ أكثر الأقطار العربية بتعريب العلوم والتعليم العالي؟ وما مسوّغ الدعوة إلى توحيد المصطلحات وصناعة معجمات لها وأكثر جامعاتنا العربية يعلم العلوم بغير العربية؟

المصطلحات العلمية ألفاظ مستعملة في علومها للدلالة على معانٍ فيها. فلو قرأ قارئ بحثاً علمياً متخصصاً لكانت المصطلحات العلمية فيه جانباً يسيراً تقل وتكثر بحسب مادة كل بحث.

توحيد المصطلح ليس هو تعريب العلوم. والقضاء على مشكلة المصطلح ليس قضاء على مشكلة التعريب.

وجعلُ المصطلح في صدارة قضايانا نقلٌ للمواجهة وتحويل للصراع عن موضعه الحقيقي وعن العدو الحقيقي وهو تعجيم العلوم.

إن تهويل أمر المصطلح تحقير للقضية الكبرى، وهي قضية تعريب العلوم وتعريب التعليم العالي.

والناظر فيما كتب في مسألة المصطلح العلمي من أول ما كتب كاتب فيها إلى الساعة، والمتأمل فيما انتهى إليه الكاتبون فيها وفيما وصّت واقترحت الندوات المعقودة لها = يشعر أن قضايانا في هذا العصر منحصرة في أزمة مصطلح شديدة لا تنفرج أو لا تكاد، وأن توحيد المصطلح سبيلنا إلى الاتصال الحضاري بغيرنا.

والمسألة فيما أرى قد بولغ فيها مبالغة شديدة، وضخمت تضخيماً، وهوّلت تهويلاً، فلا يكاد الناظر يرى غيرها في مسائلنا اللغوية. وهي بنت لأم، وأمها استعراب التعليم والعلوم والاقتدار على الإبانة عن المعاني العلمية في التدريس والتأليف.

وكم من قضية مثلها هي فرع لقضية عظيمة نعنى بها ونكتب فيها ونبتعد عن الجوهر أو نكاد!!.

وكم من داء من أدوائنا اللغوية نقزّمه ونبذل جهودنا في مظهر من مظاهره نراه قضية القضايا، ونأخذ في محاولة علاجه وننأى عن أصل الداء. من أمثلة ذلك ما قيل ويقال في تيسير النحو، وفي لغة وسائل الإعلام، وفي ضعف الطلاب في لغتهم، وغير ذلك.

قضيتنا الخطيرة تعريب العلوم والتعليم العالي، والمصطلح العلمي جانب من جوانبها، قال الدكتور حسني سبح[1]، رحمه الله في كلام له

(١) تعريب علوم الطب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٠ جـ٤ عام ١٩٨٥، =

ذكر فيه ما تم التوصل إليه في تعريب علوم الطب: «وألححت على قضية المصطلح لأن هذه القضية في طليعة ما يتعلل به الزاهدون في التعريب والمشككون في الاقتدار على المضي فيه، على حين أن قضية المصطلح من حيث هو ألفاظ يعبر بها عن مسميات ومعان مفردة ليست بصميم المشكلة، بل قد تكون على ما لها من شأن أهون جوانبها، **وإنما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصورها ثم الإبانة عنها**. ولن يتم حلها وتذليل صعابها إلا بالتصميم على ذلك والشروع فيه وإن اضطررنا ولو إلى حين إلى استعمال المصطلحات الأجنبية بلفظها الأجنبي» اهـ والأمر والرأي كما قال رحمه الله.

أو ليس عجيباً أن تكون الحصيلة العربية فيما قال الدكتور حسام الخطيب[١]، في حديثه عن تعريب العلوم «هزيلة متواضعة وتنذر بخطر شديد على مستقبل اللغة العربية في حلبة السباق العلمي والتعليمي... وقد تبدو التجربة العربية أيضاً هزيلة إزاء تجربة أخرى جرت في قلب الوطن العربي، وهي تجربة الكيان الصّهيوني في تطوير لغته العبرية بل خلقها من العدم وجعلها لغة التعليم الرسمي في جميع مراحله حتى التعليم العالي وكتابة رسائل الشهادات العليا وكتابة الأبحاث العلمية الرفيعة بالعبرية، وكذلك إقامة قناة فعالة للترجمة إلى العبرية ومنها ...»اهـ ؟.

= ص ٦٦٤.

(١) بحث سلف ذكره في الحاشية (١)، ص ١٤٤ منه.

أوليس عجيباً أيضاً فيما قال الأستاذ شحادة الخوري[١]، «أن يكون تدريس العلوم في بلدان مثل فنلندا وبلغاريا واليونان ورومانيا بلغاتها الخاصة بل أن تبعث إسرائيل اللغة العبرية من سباتها العميق لتدرس بها العلوم المستجدة الدقيقة ونظلّ نحن في الوطن العربي الكبير برقعته وعدد أبنائه وبثقافته الغنية قديمها وحديثها قانعين بالتدريس بلغات أجنبية» اهـ؟.

استُحْيِيت العبرية وأكثر البلاد العربية ماضية في تعجيم العلوم والتعليم العالي، والجهود المبذولة في التعريب قاصرة ومفرقة. قال المستعرب الروماني د. نيقولا دوبرشان[٢]، في حديثه عن التخطيط اللغوي وتركيز جهود المخططين العرب في العصر الحديث على وضع المصطلحات العلمية والفنية وتوحيدها وصنع المعجمات ومحاولة التقارب بين اللهجات الفصحى وتعريب التعليم بصفته دعامة رئيسة للغة، قال: «أعتقد أن المخططين المذكورين وغيرهم لم يفعلوا كل ما في وسعهم في هذا المجال الأخير [يعني تعريب التعليم]... وربما توفر لنا اللغة العبرية أحد أنجع نماذج التخطيط اللغوي في العالم أجمع، حيث أدى هذا النموذج إلى إحياء لغة ميتة وتحويلها إلى لغة معيارية. وقد ذكروا ثلاثة عوامل أساسية أسهمت في إنجاح هذه الجهود: عامل التخاطب والعامل القومي السياسي والعامل الديني التربوي. إن طرح القضية يختلف تماماً في حالة اللغة العربية نظراً إلى أن العربية لم تكن أبداً لغة ميتة مثل

(١) دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ص ١٤٨.

(٢) اللغة العربية خارج حدودها، في كتاب اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، ص ١١٧.

العبرية، لكن يجب أخذ هذه العوامل في الحسبان في التخطيط اللغوي العربي الهادف إلى فرض الفصحى فوق اللهجات واستخدامها بصفة لغة محكية أو منطوقة كذلك... لا شك أن التعليم يمثل الأداة الأساسية التي من شأنها أن تسهم في تحويل الفصحى إلى لغة محكية ...» اهـ.

ولم تكن مشكلة المصطلح العلمي في يوم من الأيام فيما قال الدكتور شاكر الفحام[1]، «عائقاً يحول دون التعريب. ولكن المشكلة الأساسية التي كانت وما تزال هي في عزوف الجامعات ومراكز التعليم العالي والبحث العلمي عن اصطناع العربية لغة علم وتعليم»اهـ.

المصطلح العلمي إذن جانب من جوانب قضية تعريب العلوم والتعليم العالي التي تحتاج إلى القرار السياسي القومي الملزم، وليس يصح الفصل بين المصطلح وتعريب العلوم والتعليم العالي إلا لغرض درسي. فمعلوم بالضرورة أن لا فائدة في توحيد مصطلحات العلوم وهذه العلوم لمّا تستعرب .

ومن ههنا سأتناول فيما يأتي من هذه الكلمة واضع المصطلح وأساليب وضعه ووسائل توحيده.

[٣]

واضع المصطلح :

يعلم كل متأمل في حال العربية أن لغة الأجيال تردوُ جيلاً بعد

---

(١) قضية المصطلح العلمي وموقعه في نطاق تعريب التعليم العالي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٥٩ جـ٤ عام ١٩٨٤، ص ٧٠٠.

جيل[١]. وحال أكثر المتخرجين من أقسام اللغة العربية يكشف عن ذلك، فكيف بغيرهم ؟.

ومن هؤلاء مَن سيؤولِ إليه أمر التدريس في المدارس والجامعات، وأمر الترجمة، وأمر وضع المصطلحات العلمية.

فإذا كان التراجمة المجيدون في أيامنا فيما قرره بعض[٢] خبراء الترجمة «قلة بالنسبة لمن يقوم بالترجمة وأَقلَّ من القلة بالنسبة إلى العدد المطلوب لمواجهة عملية نقل المعرفة إلى اللغة العربية نقلاً حسناً...» اهـ فما ظنك بحال التراجمة في المستقبل وأمر اللغة العربية كما علمت في إدبار ؟!.

وكيف سيقدر من يتولى وضع المصطلحات عليه ولغتُه العربية بائسة، ولا يعلم من مصادرها إلا النزر اليسير ؟!.

فواضع المصطلح يجب أن يكون متقناً للغته العربية، ومتقناً لاختصاصه العلمي ولغته الأجنبية، فأنى لك به وأنت ترى أن الجامعات امتلأت بكثير ممن لم يتقنوا اللغة الأجنبية التي دَرَسوا بها الإتقان الذي يمكنهم من إجادة الترجمة عنها، ولم يتقنوا لغتهم العربية إتقاناً يمكنهم من الترجمة إليها، ولم يعرفوا أكثر الكتب القديمة والحديثة المؤلفة في علمهم

---

(١) لي في هذا المعنى كلام قلته في بحث «في وسائل الإعلام، لغة كتابها وثقافتهم» ألقيته في ندوة اللغة العربية والإعلام التي عقدت بمجمع اللغة العربية بدمشق ٢١-٢٣/ ١١/ ١٩٩٨. ونشر في مجلة المجمع المجلد (٧٤) الجزء (٣) ص٥٣١.

(٢) الأستاذ شحادة الخوري في كتابه «دراسات في الترجمة...» ص ٦٤.

الذي ينتسبون إليه، أو التي كان علمهم أحد أغراضها.

يستطيع من أتقن لغة أجنبية أن يفهم بطريقة ما موضوعاً علمياً كتب بها، لكنه فيما قال الأمير الشهابي[١]: «لا يستطيع نقله إلى لساننا ما لم يجد له مصطلحات عربية يركن إليها. وكثيراً ما يعنّ على باله وضع مصطلحات جديدة دون أن يكون أهلاً لهذا العمل، فيتخبط خبط عشواء إما لجهله دقائق الموضوع العلمي، وإما لقلة بضاعته من المفردات العربية المتعلقة به، وإما لعدم معرفته بالوسائل الواجب اتخاذها في وضع المصطلحات العلمية بلغتنا الضادية»اهـ. ثم قال في موضع آخر[٢]: «وليس كل ناقل علم من العلوم العصرية بقادر على وضع مصطلحات العربية أو تحقيقها أو تمييز بعضها من بعض. والعلماء الذين يتحلون بمعرفة دقائق العلوم الحديثة وأسرار اللغة الأعجمية التي ينقلون منها وأسرار العربية التي ينقلون إليها هم قليلون جداً في بلادنا العربية» اهـ هذا كلام الأمير سنة ١٩٥٥، وهؤلاء القليلون جداً قد مضى منهم من مضى ولم يخلفهم في بابهم من يقوم مقامهم.

وقال[٣]، في كلامه في صنع موسوعة صالحة للعصر الحاضر: «يحتاج [ذلك] بادئ ذي بدء إلى علماء يعرفون المصطلحات العربية الصحيحة أو الراجحة في كل علم من العلوم الحديثة، **فأين هم**...»اهـ.

---

(١) المصطلحات العلمية ص ٥٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٨٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٥٠ (الهامش).

وقال[١]، فيما صنعه أفراد من معجمات أعجمية عربية شاملة لعلوم مختلفة: «لا يمكن أن تكون جميع مصطلحاتها العربية صحيحة أو صالحة أو راجحة **لأنه ليس في مقدور الفرد أن يتقن علوماً** عصرية كثيرة وأن يحقق جميع مصطلحاتها وأن يميز الصالح منها من غيره» اهـ.

فواضع المصطلح[٢]، لابد من أن يكون إلى جانب الموهبة والكفاية:

١- متقناً للغة الأعجمية وعارفاً بأصولها وبوسائل وضع المصطلحات فيها.

٢- وواسع الاطلاع على العلم الذي يعاني وضع مصطلحاته أو مصطلحات فرع منه، وممارساً له.

٣- ومتقناً للغة العربية.

٤- وعارفاً بالأسماء العلمية للمصطلحات العربية في اختصاصه.

٥- وقادراً على تمييز الأسماء العربية والمعربة والمولدة والدخيلة والعامية.

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٣.

(٢) انظر شروط النقلة وواضعي المصطلح في المصطلحات العلمية للأمير الشهابي ص ٩٢-٩٣، وبحث «قضية المصطلح العلمي...» للدكتور شاكر الفحام ص ٧٠٢، وتقرير لجنة الصياغة عن نتائج أعمال ندوة «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته» المنعقدة في عمّان ٦-٩ أيلول ١٩٩٣.

٦- وواسع الاطلاع على المصطلحات العربية والمعربة في التراث العربي.

قال الأمير الشهابي[1]: «ولا يكون ناقل العلم إلى العربية صالحاً للنقل إذا لم يكن قادراً على تمييز الكلام الصحيح من الكلام غير الصحيح. وإذا كان ضعيفاً بالعربية عليه أن يستعين على عمله بعلمائها. والمعاجم الأعجمية العربية التي لم تميز الألفاظ العلمية الصحيحة من الألفاظ المولدة والعامية قد أضرت ناقل العلوم ضرراً كبيراً. وقد لمست هذا الضرر حتى في عمل لجان فنية مؤلفة من أساتيذ اختصاصيين لأنهم حسبوا تلك المعاجم مراجع يمكن الاعتماد عليها» اهـ.

وضعفُ الناقل الضعيف بالعربية الذي أوجب الأمير عليه أن يستعين على عمله بعلماء العربية = ليس كضعف من تلاه من النَّقَلة، فالضعف قد تضعَّف.

ويجب أن يتولى وضع المصطلحات القادر عليه وذو الموهبة والكفاية فيه، فإن عالم العربية مهما أوتي من علم في لغته ومهما حاول الناقل أن ينقل إليه المعنى الأعجمي الذي يريد أن يضع مصطلحاً عربياً له = غير قادر على ذلك فيه في كلمة كلمة، فلا يعرف الشوق إلا من يكابده. فإما أن يكون الناقل قادراً على وضع المصطلحات فيضعها بنفسه، وإما أن يكون غير قادر عليه فلا يقدم على ما لا يحسنه.

---

(١) المصطلحات العلمية ص ١١٥.

قال الدكتور حسام الخطيب[1]، في كلامه في الثغرات الملاحظة في الترجمات العلمية: «رداءة اللغة العلمية المستخدمة... أما الجانب الأشد خطورة فهو عجز كثير من العلماء العرب عن الكتابة بلغة عربية سليمة نتيجة لضعف تعليم اللغة العربية في أقطار عربية كثيرة من جهة... والمشكلة أنه لا يوجد غيرهم من يستطيع الترجمة في اختصاصهم الدقيق، بل إن **الخطة القومية للترجمة تصر على أن يتولى أهل العلم بأنفسهم ترجمة الكتب العلمية**...»اهـ.

فأنّى لنا بواضع مصطلح جيد؟ وأنّى لنا بعدد وافر منهم يتولون الحفاظ على لغتهم العربية لغة علم ولغة حياة ؟!.

لابد لنا من تهيئة طالب العلم وإعداده إعداداً جيداً ليكون قادراً بعد أن يتم دراسته العلمية العالية بلغة أجنبية على العبارة بالعربية عن المعاني العلمية التي تلقاها، وكتابة بحوثه بالعربية، ووضع اللفظ العربي المقابل للمصطلح الأجنبي.

ويكون ذلك بأن يتلقى علومه في الجامعة باللغة العربية على أيدي أساتذة أكفياء يستعملون مصطلحات علمهم العربية المستقرة، وبأن يوضع مقرر مستحدث في الجامعات في كل علم يتناول ما استقر من مصطلحاته ووسائل وضعه في اللغتين العربية والأجنبية، والنهج[2]، الذي ينبغي أن يسير عليه في وضع المصطلحات العربية. فلو كان كل ذي اختصاص متقناً

(١) في بحثه «الترجمة الآلية...» المذكور في الحاشية (١) ص ١٤٧ منه.

(٢) انظر المصطلحات العلمية للأمير الشهابي ص ٧٥.

لعلمه وعارفاً بمصطلحاته الأجنبية والعربية، وبوسائل وضع المصطلحات في لغته العربية، وذا موهبة وكفاية = لاقتدر على أن يضع مصطلحات عربية مقابلة للمصطلحات الأجنبية المستحدثة.

على أن وضع المصطلحات لا ينبغي أن يترك للأفراد حتى المتقنين منهم لأن ذلك يزيدنا اضطراباً في المصطلحات لتعدد اللغات المنقول منها ولاختلاف أقدار الناقلين.

بل يكون أمر المصطلحات منوطاً بهيئة عربية قومية يقتصر عمل العاملين فيها على قضية المصطلح على ما سيأتي بيانه في الحديث عن وسائل توحيد المصطلحات.

فمن كان ممن أعددناه من طلاب العلم ذا قدرة وإتقان وموهبة في هذا الباب بذل جهده فيه في لجنة مصطلحات اختصاصه العلمي في هيئة المصطلحات العربية.

فلا يحسن أن يترك أمر وضع المصطلحات إلى الأفراد لأن الفرد لا يستطيع ما تستطيعه الجماعة ولا سيما أن أقدار الأفراد متفاوتة في إتقان اللغة العربية واللغة الأعجمية.

ولا ينبغي أن يترك ذلك أيضاً لدور النشر التي تسند أمر إعداد معجمات المصطلحات إلى من تسنده إليه ممن لم تتحقق في أكثرهم شروط النقلة الجيدين، وتكرر جهود السابقين من غير أن يكون لديها تصور شامل لما تفعل داخل في سياق حركة الأمة.

[٤]

أساليب وضع المصطلح:

لوضع المصطلح العلمي في العربية أساليب نهجها العلماء والنقلة فيه. وهي التي يرجع إليها وتتخذ وسائل لنقل العلوم ووضع المصطلحات في عصرنا هذا. وسأذكرها مهذبة مختصرة، لأن بسط القول فيها والتمثيل لها والاحتجاج لِما لابد من ذلك فيه = لا يقوم به إلا تصنيف مفرد لها ما نزال إليه في حاجة على ما كتب فيها أو في بعضها.

١- إذا كان للفظ العلمي الأعجمي مقابل في لغتنا يؤدي معناه فضِّل المصطلح العربي القديم على الجديد إلا إذا شاع. وبهذا أخذ المعجم الطبي الموحد[1]. من هذه المصطلحات القديمة: علم الجراحة، التشريح، الصيدلة، السرطان، الربو، الذُّبحة، ذات الجَنْب.

٢- إذا لم يكن للفظ العلمي الأعجمي مقابل في اللغة العربية وضعنا مقابله مصطلحاً يؤدي معناه، واتبعنا في ذلك الوسائل الآتية: الترجمة، والاشتقاق، واحتياز المجاز، والنحت والتركيب المزجي.

٣- إذا تعذر وضع لفظ عربي بهذه الوسائل لجأنا إلى التعريب. وفيما يأتي بيان هذه الوسائل:

أ - الترجمة:

أول وسائل نقل المصطلحات ترجمة اللفظ بمعناه ما كان قابلاً لها. ومن قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في باب الترجمة -

(١) مقدمة المعجم الطبي الموحد.

وسأذكره باسم المجمع فيما يأتي -: أنه «تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد إذا أمكن ذلك، وإذا لم يمكن ذلك تفضل الترجمة الحرفية»[(١)].

والاقتصار على اسم واحد للمعنى العلمي الواحد أهم الأسس التي جرى عليها العمل في اختيار المصطلحات في المعجم الطبي الموحد.

ومن قرارات المجمع في هذا الباب وضع صيغة مِفْعال لما يراد به الكشف، ووضع صيغة مِفْعل لما يراد به القياس، ووضع صيغة مِفْعلة لما يراد به الرسم.

ومنها ترجمة كثير من الصدور والكواسع (السوابق واللواحق)[(٢)]، التي ترد في المصطلحات العلمية. وفي أول المعجم الطبي الموحد سوابق ولواحق تم الالتزام بها فيه.

ولابد للمترجم الجيد من أن يكون متقناً للغته العربية ومتقناً للغة

---

(١) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً ص ١٧٥.

(٢) مجموعة القرارات العلمية ١٧٧-١٨٢. وذكر الأمير مصطفى الشهابي في كتابه المصطلحات العلمية ص ٩٤ فما بعدها كثيراً من الصدور والكواسع اليونانية وما يقابلها بالعربية. وفي بحث «منهجية وضع المصطلحات العلمية الجديدة» للدكتور أحمد شفيق الخطيب في مجلة اللسان العربية مج ١٩ جـ١/ ١٩٨٢ سوابق ولواحق ترد في المصطلحات العلمية وترجماتها العربية. وللدكتور التهامي الراجي الهاشمي بحث «كيفية تعريب السوابق واللواحق في اللغة العربية» في مجلة اللسان العربي العدد ٢١/ ١٩٨٣.

الأجنبية التي يترجم عنها إتقاناً تاماً ومختصاً في المادة العلمية التي يترجمها[١]. قال الجاحظ[٢]: «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة. وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية... وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك أخطأ على قدر نقصانه من الكمال...»اهـ ولله در الجاحظ.

وللترجمة الجيدة شروط: الأمانة في النقل، والدقة في اختيار اللفظ، ووضع المصطلح الصحيح موضعه، والإيضاح في التعبير، والإسراع في الإنجاز. ذكر هذه الشروط الأستاذ شحادة الخوري[٣]، ثم قال: «فهل يتوافر في الوطن العربي مترجمون جيدون؟ إنهم قلة بالنسبة لمن يقوم بالترجمة، وأقل من القلة بالنسبة إلى العدد المطلوب لمواجهة عملية نقل المعرفة إلى العربية نقلاً حسناً»اهـ.

من المصطلحات المترجمة قديماً من أسماء النبات[٤]: لسان الثور وآذان الفأر وكثير الأرجل وغير ذلك.

---

(١) دراسات في الترجمة للأستاذ شحادة الخوري ٦٤.

(٢) في الحيوان ١/ ٧٦- ٧٨، ونقل كلامه الدكتور شاكر الفحام في بحثه «قضية المصطلح» المذكور في الحاشية (٨) في الحاشية (١٦) وهو الذي دلني على كلام الجاحظ.

(٣) في كتابه دراسات في الترجمة، ص ٦٤- ٦٥.

(٤) المصطلحات العلمية للأمير الشهابي ٢٥.

ب – الاشتقاق:

الاشتقاق أهم وسيلة من وسائل نمو اللغة وتوالد موادها وتكاثر كلماتها وتوليد كلمات جديدة للدلالة على معان مستحدثة.

وهو أقسام، يعنينا منها ههنا الاشتقاق الصغير، وهو أخذ كلمة من أخرى بتغيير في الصيغة مع تناسبهما في المعنى واتفاقهما في حروف المادة الأصلية وترتيبها، وهو المراد عندالإطلاق(1). ومنه اشتقاق صيغ الأفعال مجردها ومزيدها، واشتقاق المشتقات السبعة المشهورة مجردها ومزيدها، وهي اسم الفاعل ومبالغته، والصفة المشبهة به، واسم المفعول، واسم التفضيل واسما الزمان والمكان، واسم الآلة – واشتقاق غير هذه من الأسماء المشتقة، مثل ضربَ، أَضربَ، ضرَّب، ضاربَ، تضرَّب، تضارب، استضرب، ضارِبٌ، ضرّاب، ضَرُوبٌ، مضروب، أَضْرَب منه، مَضْرِب، مِضْرَب، ضريب، ضَرْب، ضريبة إلخ. أخذت هذه الألفاظ من الضرب وهو مصدر، **والمصدر أكبر أصول الاشتقاق في العربية.**

واشتقت العرب من غير المصدر من أصول الاشتقاق. فأكثرت **الاشتقاق من أسماء الأعيان،** كالذهب والبحر والنمر والإبل والخشب والحجر، فقالت ذهَّب وأبحر وتنمَّر وتأبل وتخشب واستحجر. ورأى المجمع قياسية هذا الضرب من الاشتقاق لشدة الحاجة إليه في العلوم

---

(١) انظر بحث الاشتقاق في فقه اللغة وخصائص العربية ٦٩–١١١، ودراسات في فقه اللغة ١٧٣–٢٩١، وغيرهما.

فقال: «اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان، والمجمع يجيز هذا الاشتقاق للضرورة في لغة العلوم»[١]، ثم رأى المجمع «التوسع في هذه الإجازة بجعل الاشتقاق من أسماء الأعيان جائزاً من غير تقييد بالضرورة»اهـ. فيقال برعم من البرعم وأقلم من الإقليم وحرَّج من الحَرَجة، والسرطنة من السرطان والغَوْللة من الغَوْل[٢]. و«يراعى عند الاشتقاق من أسماء الأعيان القواعد التي سار عليها العرب»[٣].

كما اشتقوا من أسماء الأعيان المعربة، كالدرهم والفهرس والبلور والديوان والبريد، فقالوا: دَرْهَمَ وفَهْرَسَ وبَلْوَر ودوَّن وأبرد. ووضع المجمع قواعد الاشتقاق من الاسم الجامد العربي والاسم الجامد المعرب[٤].

وقرر المجمع أنه «تصاغ مَفْعلة قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان سواء أكانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد»[٥]، اهـ فيقال: ملبنة ومبقرة ومقطنة ومزبدة.

واشتق العرب من **أسماء الأعضاء**، فقالوا: رأَسَه وأَذَنَه وعانَه: إذا أصاب رأسه وأذنه وعينه. **ورأى المجمع أن هذا الاشتقاق قياس** فقال:

(١) مجموعة القرارات العلمية ص ١٦- ١٧.

(٢) معجم الألفاظ الزراعية ص ٦، والمصطلحات العلمية ص ١٠٦.

(٣) مجموعة القرارات ص ١٨.

(٤) مجموعة القرارات ص ١٩.

(٥) مجموعة القرارات ص ٥٨.

«كثيراً ما اشتق العرب من اسم العضو **فعلاً** للدلالة على إصابته... وعلى هذا ترى اللجنة قياسيته»[1] اهـ.

كما اشتقت العرب من أسماء الزمان، فقالت: أصاف وأخرف وأربع وأصبح: إذا دخل في الصيف والخريف والربيع والصباح = ومن **أسماء المكان**، فقالوا: أنجد وأتهم وأشأم: إذا أتى نجداً وتهامة والشأم = ومن **أسماء الأعلام**، فقالوا: تنزَّر وتقيَّس: إذا انتسب إلى نزار وقيس = **ومن أسماء الأعداد**، فقالوا: ثنّيته جعلته اثنين، وثلثتُ القوم: صرت لهم ثالثاً = ومن **أسماء الأصوات**، فقالوا: فأفأ: ردد الفاء، وجأجأ بإبله: إذا دعاها لتشرب بقوله جئ جئ = **ومن حروف المعاني**، فقالوا: سوَّف ولالى وأنعم: إذا قال سوف ولا ونعم.

واستعملت العرب **المصدر الصناعي** بقلة، وأخذته من أسماء المعاني والأعيان كالجاهلية والفروسية والألوهية. ورأى المجمع قياسية صنع هذا المصدر لشدة الحاجة إليه في العلوم والفنون، فقال: «إذا أريد صنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء»[2]، اهـ مثل الاشتراكية والجمالية والرمزية والحمضية والفكرية والفعالية والقِلْوية والخشبية والسّمية والعطرية.

وعلى هذا الاشتقاق يقوم القسم الأعظم من متن اللغة العربية، وهو أكثر أقسام الاشتقاق دوراناً. وهذا الترابط المحكم الذي يحفظه هذا

(١) مجموعة القرارات ص ٩٥.

(٢) مجموعة القرارات ص ١٠٧.

الاشتقاق بين ألفاظ العربية من خصائص هذه اللغة الشريفة.

واتخذ العلماء هذه الوسيلة قديماً وحديثاً لنقل العلوم ووضع المصطلحات. ولهذا ما عني المجمع بموضوع الاشتقاق عناية شديدة، وله فيه قرارات إلى ما سلف ذكره:

قياسية صيغ اسم الآلة: مِفْعل، مِفْعلة، مِفْعال وصحة صوغ فعّالة اسماً للآلة، مثل مِبْذَر، مِجْرَفة، محراث، سيارة، درّاسة. ورأى المجمع إضافة ثلاث صيغ لاسم الآلة، وهي فِعال وفاعلة وفاعول مثل إراث، وساقية، وساطور[1].

= وقياسية صوغ فَعَّال للدلالة على الاحتراف وملازمة الشيء، قال المجمع «فإذا خيف لبسٌ بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فعّال للصانع وكان النسب بالياء لغيره»[2]، مثل كرّام لغارس الكروم ونحّال لمربي النحل وورّاد لزراع الورد[3]، ومثل زَجَّاج لصانع الزجاج وزُجَاجي لبائعه، وزهّار لبستاني الزهر وزَهْريّ لبائعه[4].

= وقياسية اشتقاق فُعَال وفَعَل للدلالة على الداء سواء أورد له فعل أم لم يرد[5]، مثل زكام وزحار وذباح ووُراك وعُصاب.

---

(١) مجموعة القرارات ص ٤٦- ٤٨.

(٢) مجموعة القرارات ص ٥٠.

(٣) المصطلحات العلمية ص ٧٥.

(٤) معجم الألفاظ الزراعية، مقدمته ص ي.

(٥) مجموعة القرارات ص ١١٩.

= وقياسية استفعل للطلب والصيرورة[١].

= وأنه يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من الثلاثي مصدر على فِعالة[٢]. فيقال: الغِراسة من غرس والرِسامة من رسم، ومما اشتق من الأعيان زِهارة من الزهر، ونِحالة من النحل، وجِراجة من حرَّج وهو غير ثلاثي، وبستنة وبرعمة من البستان والبرعم[٣].

= وأنه يصاغ للدلالة على نفاية الأشياء وتناثرها وبقاياها ألفاظ على صيغة فُعَالة[٤].

= واشتقاق الافتعال من العضو للإصابة بالالتهاب[٥].

= وجواز النسب إلى جمع المؤنث السالم في الأعلام وما يجري مجراها دون حذف الألف والتاء[٦]. مثل الحشراتي والبساتيني والجراثيمي وهي غير الحشري والبستاني والجرثومي. ومن الأسس التي جرى عليها العمل في اختيار المصطلحات في المعجم الطبي الموحد[٧]، التصرف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس، فقيل: بيضي وبيضوي وبيضاوي أو

(١) مجموعة القرارات ص ٩٩.

(٢) مجموعة القرارات ص ١١٣.

(٣) معجم الألفاظ الزراعية ومعجم الألفاظ الحراجية - المقدمة.

(٤) مجموعة القرارات ص ١٦.

(٥) مجموعة القرارات ص ١٢٣.

(٦) مجموعة القرارات ص ١٣٧.

(٧) المعجم الطبي الموحد، مقدمته.

بيضاني.

- وجواز النسب إلى المثنى في المصطلحات العلمية[١]، مثل أذيناني.

- وجواز دخول (أل) على حرف النفي[٢]، مثل اللاهوائي. واللاأحيائي.

= وأنه «يقاس المصدر على فَعَلان لفعل اللازم مفتوح العين إذا دل على تقلب واضطراب»[٣].

= وأن في وسعه «أن يقبل نظائر الأمثلة الواردة على توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحول مما يستعمله المحدثون إذا اشتهرت ودعت إليها الحاجة»[٤].

وربما ألجأت الضرورة من يضع المصطلحات إلى أن يرجع إلى الاشتقاق الأكبر، وهو أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى واتفاق في بعض حروف المادة الأصلية وترتيبها سواء أكانت الحروف المتغايرة متناسبة في المخرج الصوتي أم لم تكن. مثل الكَهْرَب والكهرس والكهرج التي وضعها الدكتور عبد الكريم اليافي[٥]، والتأريث والتأريف اللذين

(١) مجموعة القرارات ص ١٤١.

(٢) مجموعة القرارات ص ١٤٤.

(٣) مجموعة القرارات ص ١١٧.

(٤) مجموعة القرارات ص ٢٥.

(٥) في مقالته «تجربتي في تحقيق المصطلحات العلمية»، مجلة مجمع اللغة العربية

وضعهما الأمير الشهابي[١].

ج - اجتياز المجاز:

المجاز: لفظ نقل من معناه الأصلي اللغوي إلى معنى آخر اصطلاحي لعلاقة ما بين المعنيين[٢].

ونقلُ الألفاظ من معانيها اللغوية إلى معان اصطلاحية - وهو ما سميته اجتياز المجاز - وسيلة عظيمة من وسائل التنمية اللغوية.

والألفاظ المنقولة من معانيها اللغوية إلى معان اصطلاحية في العلوم الشرعية واللغوية والطبيعية والرياضية والنحو والصرف والعروض والعلوم المنقولة عن اليونانية والفارسية وغيرهما لا تكاد تحصى كثرة.

فللفظ «السلوك» معنى لغوي، وله معنى اصطلاحي عند الصوفية وفي علم النفس في العصر الحديث، وفي مدارس التربية والتعليم[٣].

ومن هذه الألفاظ التي نقلت إلى معان اصطلاحية: القطار والقاطرة والسيارة والمدرّعة والطرّادة والمطبعة، والأزل والأبد والقديم والعلة

بدمشق مج ٥٣ جـ٤/ ١٩٧٨م.

(١) معجم الألفاظ الزراعية ص٣.

(٢) فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ٢٢٨- ٢٢٩، والمصطلحات العلمية ص ١٦ فما بعدها.

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك ص ٢٠٨.

والمعلول والصورة والجوهر والتشريح والجراحة[1].

وقد لجأت لجنة المعجم الطبي الموحد «إلى المجاز في استعمال الألفاظ بتخصيص معناها العام أو تعميم معنى مجاور لمعناها اللغوي أو نقلها إلى مدلول آخر أدق»[2].

د - النحت والتركيب المزجي:

النحت: تأليف كلمة مأخوذة حروفها من بعض حروف كلمتين أو كلمات أو جملة مع تناسب المنحوتة والمنحوت منها في اللفظ والمعنى. ولهذا المعنى أدخل في الاشتقاق وسماه بعضهم الاشتقاق الكُبَّار.

استعملت العرب النحت لاختصار حكاية المركبات، فقالوا: بسمل وسبحل وحيعل: إذا قال بسم الله وسبحان الله وحي على الفلاح. ومن المركب العلم المضاف، وهم إذا نسبوا إليه نسبوا إلى الأول، وربما أخذوا النسبة منهما فقالوا: عبشمي وعبقسي ومرقسي في النسبة إلى عبد شمس وعبد القيس وامرئ القيس من كندة.

والنحت وسيلة من وسائل توليد كلمات للدلالة على معان مستحدثة. وأجازه المجمع عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية، وذكر ضوابطه فقال: «يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصيل من الحروف دون الزوائد. فإن كان المنحوت اسماً اشترط أن يكون على وزن عربي،

---

(١) المصطلحات العلمية ص ٢٥.

(٢) المعجم الطبي الموحد، المقدمة.

والوصف منه بإضافة ياء النسب، وإن كان فعلاً كان على وزن فعلل أو تفعلل إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة»[1] اهـ. فيقال حَلْمَأَ: حل في الماء، وكهر ضوئي من كهرباء وضوء؛ ولبأرز من لبنان وأرز وغولثير من غول وأثير وما غول من ماء وغول وتحتربة من تحت التربة[2].

ومنه اختصار أسماء بعض الأمراض والأدوية والمؤسسات العلمية، مثل أليكسو (تعريب لمختصر الاسم الأجنبي المقابل للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) وأكساد (المركز العربي لدراسة المناطق القاحلة والجافة)، وإيدز (متلازمة نقص المناعة المكتسب).

وأما التركيب المزجيّ فقد قال فيه المجمع[3]: «المركب المزجي ضمُّ كلمتين إحداهما إلى الأخرى وجعلُهما اسماً واحداً سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين. ويكون ذلك في أعلام الأشخاص وفي أعلام الأجناس والظروف والأحوال والأصوات والمركبات العددية [والوحدات الفيزيائية][4]، ويجوز صوغ المركب المزجي في المصطلحات العلمية عند الضرورة على ألا يقبل منه إلا ما يقره المجمع»اهـ.

منه برمائي، لا مائي، لا جفن، لا ساقي، لا تُوَيْجي[5].

---

(١) مجموعة القرارات ٢١- ٢٢.

(٢) المصطلحات العلمية ١٨، ١٠٦.

(٣) في كتاب أصول اللغة ١/ ٥٢.

(٤) ما بين حاصرتين زيد في مؤتمر المجمع، انظر المصطلحات العلمية ٢٠٥ وهامشه.

(٥) المصطلحات العلمية ١٨، ومعجم الألفاظ الزراعية، المقدمة.

وكان المجمع قد قال[١]: «لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد[٢]، ولا حاجة إليهما» اهـ.

وقال الأمير الشهابي[٣]: «وفي الحقيقة أن حب النحت والتركيب المزجي داء في بعض علمائنا وأساتيذنا. ولا أدري لماذا يخشون دائماً استعمال كلمتين عربيتين مقابل كلمة أعجمية واحدة. أفلا يوجد في لساننا ألوف من الكلمات لا يستطيع الأعاجم نقل الكلمة الواحدة منها إلى لغاهم إلا بكلمتين أو أكثر؟ وهل وجد هؤلاء الأعاجم أن في ذلك عاراً عليهم؟ وهل أهمهم هذا النقص وعملوا على تلافيه؟» اهـ.

ومن الأسس التي جرى عليها العمل في اختيار المصطلحات في المعجم الطبي الموحد أن اللجنة لم تلجأ «إلى النحت أو التركيب إلا فيما ندر كأن تكون الكلمة قد شاع استعمالها أو تكون اللفظة مقبولة مفهومة أو في النسبة مع اتباع القواعد والضوابط المقررة»[٤] اهـ.

هـ ـ التعريب:

للتعريب مفاهيم أربعة استعمل للدلالة عليها. أشهرها جعلُ الكلمة الأعجمية عربية بأن ينطق بها على منهاج العرب. وبهذا المعنى استعمل

(١) مجموعة القرارات ١٩٤، والمصطلحات العلمية ٢٠٥.

(٢) المواليد الثلاثة عند الحكماء القدماء: المعدن والنبات والحيوان، انظر المصطلحات العلمية ١٥٥ والهامش.

(٣) في المصطلحات العلمية ١١٠.

(٤) المعجم الطبي الموحد، المقدمة.

قديماً وما يزال يستعمل في زماننا في باب المصطلحات العلمية، وهو المراد في هذا البحث.

ومن الأسماء المعرَّبة ما لم يتغير بنوع تصرُّف من تبديل حرف وتغيير حركة ولم يكن ملحقاً بأبنية كلام العرب مثل «خراسان، رام هرمز، سجستان، فرند» = ومنها ما لم يتغير وكان ملحقاً بأبنيتهم مثل «خُرَّم» = ومنها ما تغير ولم يكن ملحقاً بأبنيتهم مثل «آجرّ» = ومنها ما تغير وكان ملحقاً بها مثل «درهم»[١].

وحَدّ المجمع المفهوم الاصطلاحي للمعرب بأنه «كل ما استعمل في اللغة العربية من ألفاظ سواء ألحقت بأبنية عربية أو لم تلحق»[٢].

ومما قرره المجمع في هذا الباب أنه يجيز «أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»[٣].

فقال الأمير الشهابي[٤]: «وأعتقد أن المجمع الموقر قصر الضرورة على بعض المصطلحات العلمية التي لا مندوحة لنا عن تعريبها وعلى بعض مصطلحات الحضارة مثل السينما والترام والفلم...» اهـ. وقال في موضع آخر[٥]: «وهذا القرار يجيز للعلماء تعريب المصطلحات العلمية إذا لم

---

(١) تعريب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا ص ٤٦ فما بعدها.

(٢) مجموعة القرارات ١٣.

(٣) مجموعة القرارات ١٨٧.

(٤) المصطلحات العلمية ٢٠.

(٥) المصطلحات العلمية ٧١- ٧٢.

يكن من المستطاع إيجاد ألفاظ عربية بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز... أرى أن قيد الضرورة الذي وضعه المجمع للتعريب هو ضرورة. أقول هذا لأني عارف بسخافات بعض أساتيذ العلوم الحديثة الذين عربوا ألفاظاً علمية أعجمية كان في استطاعتهم أن يجدوا لها ألفاظاً عربية مقبولة بقليل من الجهد ومن المعرفة بأصول تلك الألفاظ الأعجمية وبمعانيها» اهـ.

وأكثر المعربات فيما قال الأستاذ محمد المبارك[1]: «مما يدل على الأطعمة والألبسة والأدوات والمرافق والمصطلحات الإدارية، وقليل منها مصطلحات الفلسفة وما إليها...» اهـ. والمعرّب يعرف بدلائل وللعرب طرائق في التعريب ذكرت في الكتب التي تناولت مسألة التعريب[2].

ومجال الترجمة والاشتقاق والمجاز أوسع من مجال التعريب في نقل ألفاظ المعاني الأعجمية إلى اللغة العربية كما قرر الأمير الشهابي[3].

ومجال التعريب في نقل أسماء الأعيان الأعجمية أوسع من غيره، قال الأمير الشهابي: «... لأن كثيراً من أسماء الأعيان العلمية قد تكون منسوبة إلى أعلام ... أو تكون في منزلة أسماء الأعلام كأسماء الكثير من الآلات العلمية والأدوية والعقاقير والمركبات الكيماوية، أو كأسماء الأطعمة والألبسة الخاصة الأعجمية...» اهـ.

---

(١) في فقه اللغة وخصائص العربية ٢٩٦.

(٢) انظر فقه اللغة وخصائص العربية ٢٩٨ فما بعدها، ودراسات في فقه اللغة ٣١٤ فما بعدها، وغيرهما.

(٣) المصطلحات العلمية ٩٣.

فمن المعربات قديماً: البابونج، النيلوفر، الليمون، الترياق، القولنج[١]، ومن المعربات حديثاً: ميتان، إيتان، إتيلين، غلوكوز، سكروز، بسترة[٢]، إنزيم، جيولوجية. ومما عربت منه الكاسعة: نشويد، فحميل، غوليل، خلّون[٣].

وللمجمع في مجال التعريب قرارات منها أنه «يجيز أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»[٤]، و«يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إلا إذا اشتهر المعرب»[٥]، و«ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب»[٦]، و«لا مجال للتعريب في الألفاظ العلمية الدالة على أنواع النبات»[٧].

وله قرارات في تعريب أصناف المواليد، ورسم الألفاظ المعربة[٨]، وكتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية[٩]، وكتابة الأعلام الجغرافية[١٠]،

(١) المصطلحات العلمية ٢٥.

(٢) المصطلحات العلمية ١٠٧.

(٣) المصطلحات العلمية ١٠٦.

(٤) مجموعة القرارات ١٨٧.

(٥) مجموعة القرارات ١٨٨.

(٦) مجموعة القرارات ١٨٩.

(٧) مجموعة القرارات ١٩٤.

(٨) مجموعة القرارات ١٩٥.

(٩) مجموعة القرارات ١٩٦ و٢٠٧ و٢١٢.

(١٠) مجموعة القرارات ٢١٤.

بحروف عربية، وكتابة الأعلام اليونانية واللاطينية بحروف عربية[١]، وأسماء العناصر الكيمياوية التي تنتهي بالمقطع (ium) (يُوم)[٢]. ونقلها الأمير الشهابي في كتابه[٣]، وذكر بعدها إيضاحات وملاحظات.

والتعريب بهذا المعنى من وسائل وضع المصطلحات، يلجأ إليه الواضع حيث نص على جواز استعماله المجمع عند الضرورة.

وجرى بعضهم[٤]، على أن يسمي هذا التعريب الاقتراض. والرأي ألا نترك الاسم القديم.

واستعمل التعريب للدلالة على ثلاثة معان غير هذا المعنى الذي ذكرناه، وهي[٥]:

١- جعل اللغة العربية لغة البحث والتدريس والتأليف، فيقال: تعريب العلوم وتعريب التعليم العالي[٦]. ويحلو للدكتور حسني سبح[٧]،

(١) مجموعة القرارات ٢٠٠- ٢٠٥.

(٢) مجموعة القرارات ١٩٣، والمصطلحات العلمية ١٦٤- ١٦٥.

(٣) المصطلحات العلمية ١١٧- ١٢٧.

(٤) منهم الأستاذ شحادة الخوري في كتابه دراسات في الترجمة ص ١٥٨.

(٥) انظر مقالة «التعريب بين التفكير والتعبير» للدكتور كمال بشر في مجلة الدارة، العدد ٤ عام ١٤١٤هـ.

(٦) ذكر هذا المعنى في «المعجم العربي الأساسي» الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٧) في صدر مقالته «تعريب علوم الطب» المذكورة في الحاشية (٤).

رحمه الله كما يحلو لي معه أن يقال: استعراب العلوم.

٢- نقل معاني الألفاظ والعبارات والنصوص الأعجمية والتعبير عنها بما يقابلها في العربية[1]. وهذا المعنى صار التعبير عنه بـ «الترجمة» إلى العربية أشهر وأكثر استعمالاً. والرأي أن يقتصر عليها لأداء هذا المعنى.

٣- نقل الفكرة العامة أو العناصر الرئيسة لقصة أعجمية أو مسرحية أو نحوهما، والتصرف فيها بإدخال أفكار جزئية عربية، وإجراء تعديل أو تغيير في أشياء منها. وهذا المعنى صار التعبير عنه بـ «الاقتباس» هو المستعمل الشائع. والرأي الاقتصار عليه لأداء هذا المعنى.

* * *

تلك أساليب وضع المصطلح. وثمة مبادئ أساسية معتمدة في وضع المصطلحات العلمية واختيارها لابد من مراعاتها، منها[2]:

١- تفضيل مصطلح واحد للمعنى العلمي الواحد في الحقل الواحد.

٢- تفضيل الكلمة التي تتيح الاشتقاق على التي لا تتيحه.

---

(١) ذكر هذا المعنى أيضاً في المعجم العربي الأساسي.

(٢) كتاب لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة في مجمع اللغة العربية بدمشق. اعتمدت اللجنة هذه المبادئ بعد دراسة ما جاء في ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة، الرباط ١٩٨١، وتقرير لجنة الصياغة عن نتائج أعمال ندوة عمّان ١٩٩٣ عن تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته، ومؤتمر التعريب السابع في الخرطوم ١٩٩٤ عن منهجية وضع المصطلحات العربية المختلفة.

٣- تفضيل الكلمة المفردة.

٤- تفضيل الكلمة العربية الفصيحة على المعربة. إلا إذا اشتهرت المعربة.

٥- قبول اللفظ المولد السائغ؛ وغير هذا.

وسائل توحيد المصطلحات:

اختلاف المصطلحات العلمية في القطر العربي الواحد وفي الأقطار العربية كافة داء دوٍ مازال يستشري في لغتنا لانبتات الصلة أو ضعفها بين واضعي المصطلح والتراجمة والمؤلفين في الوطن العربي، ولاختلاف قدرات هؤلاء في اللغة العربية واللغة أو اللغات الأجنبية التي ينقلون عنها، ولتعدد اللغات والثقافات المنقول عنها إلى العربية.

وعلى أن جهوداً عظيمة بذلها وما يزال يبذلها مجامع اللغة العربية، واتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومراكز بحوث جامعية وغير جامعية، وأفراد، في وضع المصطلحات والمعجمات المتخصصة = فإن الأمر أعظم من أن يسدّ بهذه الأعمال، وأوسع من أن تحيط به. وقد تكاثرت على هذه المؤسسات الخروق وتوالت فلم تطق لها رقعاً ولا رتقاً، وأنَّى لها بذلك.

ووسائل العلاج قد ذكرها غير واحد ممن عني بها. لكن الرأي لم يزل لمن يملكه دون من يبصره. وأخشى أن يقرَّر حسم هذا الداء بعد زمان يأتي بعد فوات الأوان.

توحيد المصطلحات العلمية يقتضي بالضرورة أن يكون واضعها جهة واحدة، وأن تكون أداة توحيدها واحدة، وأن تلتزم أقطار الوطن العربي هذه الأداة وحدها، وأن يشرف على الالتزام بأداة التوحيد هيئة قادرة ذات سلطان.

أما أداة التوحيد فهي معجمات مصطلحية متخصصة ومعجمات مصطلحية شاملة إنكليزية عربية وفرنسية عربية وعربية عربية. يتولى ذلك جامعة الدول العربية جمعاً وتحقيقاً وتصنيفاً وطباعة وإصداراً وتوزيعاً. وينشأ لهذه الغاية هيئتان:

أولاهما تتولى العمل في المصطلحات المستعملة منذ القديم حتى العام الألفين، فتجمعها من مظانها في لغاتها، وتقوم بوضع معجمات مصطلحية متخصصة إنكليزية عربية وفرنسية عربية في أنواع العلوم والفنون والحضارة وغير ذلك، تُعَرَّف فيها المصطلحات تعريفاً موجزاً دقيقاً كاشفاً، ثم يجعل ذلك كله في معجم مصطلحات موحد شامل.

وثانيتهما تتولى العمل فيما يأتي من مصطلحات بعد العام الألفين، وتصطنع من الوسائل ما يمكنها من نقل ما يرد من مصطلحات حين وروده وتعميمه على وسائل الإعلام وغيرها، وبذلك نقضي على هذه المسألة أو أكثر مظاهرها[1]. وتصدر هذه الهيئة نشرات دورية بالمصطلحات التي تم وضعها وإقرارها وتخزن في مصرف للمصطلحات.

(١) انظر فصول في فقه اللغة للدكتور رمضان عبد التواب ٣٦٨.

فإذا صنعت المعجمات المصطلحية المتخصصة ثم صنع المعجم الشامل، والتزم الناس ولا سيما العاملين في التعليم والإعلام هذه المعجمات أو ألزموا بها، وأشرفت على ذلك هيئة قادرة على مراقبة ما ينقل إلى العربية بما تصطنعه من وسائل لذلك، ولها الحق كله في وقف نشر ما لم تلتزم فيه المصطلحات الموحدة = إذا تم ذلك خلال خمس سنين - وهو زمن طويل طويل - قهرنا هذه المشكلة.

ويُوالَى العمل في هذه المعجمات، وتنمَّى بما يأتينا من مصطلحات تنقلها إلى العربية الهيئة المنشأة لذلك حين دخول المصطلح إلى البلاد العربية.

وإذا ما تهيأ القرار الملزم بتعريب العلوم والتعليم العالي - ومسألة المصطلح كما علمت من أهون مسائل التعريب - وتولى ذلك هيئات قادرة عليه = تمَّ لنا ما نريد: أن تكون لغتنا العربية لغة التدريس في معاهد العلم والجامعات والدراسات العليا ولغة التأليف في العلوم كافة.

فإن لم نتصد لذلك كله، وظللنا نحلم ونتمنى ونؤجل ونتكلم ونعقد الندوات ونوصّي، ومضى من مضى من ذوي الخبرات العالية المتقنين لعلمهم بالعربية وبالأجنبية والتراجمة المتقنين البصراء بلسانهم وباللغة أو اللغات الأجنبية = توالت علينا الفتوق واتسع الخرق على الراقع، ولم نجد من يقدر على وضع المصطلح، ولم نجد من يقدر على تعريب العلوم والتعليم.

وإذا كان لذلك - وأرجو ألا يكون - ارتضى كل فريق الخضوع

للغة الأجنبية التي قرأ بها علومه وكتب بها بحوثه وكتبه. وأيٌّ صورة من صور الوجود وأية ملامح لنا إذا كنا بلا لغة بل بلا ثقافة ولا حضارة موصولة النسب بماض مجيد، العربيةُ لسانُه وعنوانُه.

جهادنا إذن في مسألة المصطلح العلمي على جبهات، وهي في خطورة الموضع وعظم الجانب سواء ولكن لابد من مبتدأ به:

الجبهة الأولى: صناعة معجمين شاملين إنكليزي عربي وفرنسي عربي للمصطلحات العلمية يشتملان على كل ما اشتملت عليه المعجمات المصطلحية المتخصصة.

الجبهة الثانية: إعداد طائفة من المهرة في كل اختصاص للعمل في باب وضع المصطلح والترجمة.

الجبهة الثالثة: صناعة معجم لغوي عربي شامل لكل ألفاظ اللغة التي اشتملت عليها المعجمات اللغوية وكتب اللغة وغيرها ومعجمات المصطلحات.

* * *

قد تكلم الناس قبلنا في هذا ونحوه، ولما نزل نتكلم ونراوح في مكاننا، وأين يقع ما عملناه من عمل في هذا الباب مما نريد؟

وأراني أقول ما قاله الأمير الشهابي[1]، المصطلحي البارع عقب ما رآه في أسرع طريقة وأنجعها لتصنيف معجم أعجمي عربي في

(١) المصطلحات العلمية ١٤٧.

المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة وفي فرضه حكومياً أو أدبياً على البلاد العربية، قال: «وآملُ أن لا أكون في بيان هذا الرأي بشيء من الإسهاب كصاحب جرة الزيت أو كالذي يسلخ الدب ويتمتع بفروته قبل أن يقتله! فأنا أريد من صميم قلبي أن أكون متفائلاً، وأن أقول مع القائل[1]:

مُنىً إن تَكُنْ حَقّاً تكُنْ أَحْسَنَ المُنَى　　　وإلا فقد عِشْنا بها زَمَناً رَغْدا

أو أقول مع الآخر[2]:

اِكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثْتَها　　　إنَّ صِدقَ النَّفْسِ يُزْرِي بالأَمَلْ»

اهـ.

مقترحات :

ينتهي الناظر فيما سلف ذكره من جوانب قضية المصطلحات العلمية إلى آراء في علاجها وافق فيها أو في كثير أو قليل منها غيرَه ممن تقدمه إلى ما حاوله أو نحوِه، لعلها تصلح لأن تكون موضع نظر، وحسبُها أن تكون كذلك، وهي:

١- صنع معجمات مصطلحية متخصصة إنكليزية عربية وفرنسية عربية تشتمل على جميع المصطلحات المستعملة منذ القديم حتى العام

---

(١) رجل من بني الحارث بن كعب، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٤١٣، وحماسة أبي تمام بشرح الأعلم ٧٦٩.

(٢) لبيد، ديوانه ١٨٠ وفيه واكذب.

الألفين، ثم صنع معجمين شاملين باللغتين منها.

٢- صنع معجم مصطلحي عربي شامل يذكر فيه المصطلح العربي ومقابله باللغة أو اللغات الأجنبية. يتولى صناعة هذه المعجمات هيئة قومية للمصطلحات تُنشَأ لهذا الغرض.

٣- نقل المصطلحات الداخلة إلى البلاد العربية بعد العام الألفين حين دخولها من غير أن يكون بين وضعها في لغتها الأجنبية ونقلها إلى العربية مدة من الزمان، وإدخال المصطلحات المستحدثة المنقولة إلى العربية في معجمات المصطلحات المتخصصة والشاملة بعد إقرارها.

يتولى ذلك هيئة عربية قومية للمصطلحات تُنشَأ لهذا الغرض.

٤- التزام الدول العربية استعمال المصطلحات الموحدة التي وضعتها هيئتا المصطلحات. وهذا لابد فيه من قرار سياسي قومي ملزم.

٥- إعداد واضعي مصطلح وتراجمة متقنين.

٦- إقرار مقرر جامعي يتناول المصطلحات العلمية في كل فرع من فروع الجامعة.

٧- إقرار مقرر جامعي في أقسام اللغات الأجنبية في الجامعات يتناول الترجمة وأصولها ومقوماتها.

٨- إضافة موضوع الترجمة ووضع المصطلحات إلى الموضوعات التي تدرّس في الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية، وتوجيه طائفة من الطلاب للكتابة في خصائص العربية ووسائل نموها ووضع المصطلحات فيها، وصنع المعجمات.

٩- إنشاء هيئة قومية عربية للترجمة تصطنع من الوسائل ما يمكنها

من نقل ما ترى نقله من المراجع العلمية الأجنبية، ومراقبة ما ينشره التراجمة والإشراف عليهم والقدرة على توجيههم.

١٠- أن تكون العربية لغة التعليم ولغة الكتابة ولغة الخطاب. وهذا ما أوصت به المؤتمرات والندوات ولا سيما ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي المنعقدة في الخرطوم ١٩٩٨م. وهو قضيتنا، وصميم مشكلاتنا اللغوية، وسلاحُنا في صراع الحضارات.

ليت ذلك يكون، ليت ذلك يكون واقعاً، ليته يتحقق ونجعل مكانه في أحلامنا حلماً آخر وحدة أصقاع ذوي اللسان العربي المبين، والله المستعان وهو من وراء القصد.

المراجع

- تجربتي في تحقيق المصطلحات العلمية، د. عبد الكريم اليافي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٥٣ جـ٤ عام ١٩٧٨.
- التعريب بين التفكير والتعبير، د. كمال بشر، مجلة الدارة، العدد ٤، ١٤١٤هـ.
- تعريب علوم الطب، د. حسني سبح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٦٠ جـ٣، ١٩٨٥.
- تعريب الكلمة الأعجمية، لابن كمال باشا الوزير، تحقيق محمد سواعي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٩١.
- دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، شحادة الخوري، دار طلاس بدمشق ١٩٨٩.
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين ببيروت ١٩٧٦.
- فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٧.
- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر.

- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر ببيروت ١٩٧٥.
- في أصول اللغة، الجزء الأول (مجموعة القرارات التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة التاسعة والعشرين إلى الرابعة والثلاثين في أقيسة اللغة...) أخرجها وضبطها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين، القاهرة ١٩٦٩.
- قضية المصطلح العلمي وموقعه في نطاق تعريب التعليم العالي، د. شاكر الفحام، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٥٩، جـ٤، ١٩٨٤.
- اللغة العربية خارج حدودها، د. نيقولا دوبرشان (في كتاب اللغة العربية وتحديات...).
- اللغة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٦.
- المبادئ الأساسية المعتمدة في وضع المصطلحات العلمية واختيارها، لجنة المصطلح وألفاظ الحضارة بمجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٩٥.
- مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً ١٩٣٤- ١٩٨٤، أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين وإبراهيم الترزي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٤.
- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، الأمير مصطفى الشهابي، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٨.
- معجم الألفاظ الحراجية، الأمير مصطفى الشهابي، ط٢، دار صادر ببيروت ١٩٩٥.
- معجم الألفاظ الزراعية، الأمير مصطفى الشهابي، ط٣، مكتبة لبنان ببيروت ١٩٨٢.
- المعجم الطبي الموحد، وضعه جماعة من الأساتذة، ط٣، سويسرا ١٩٧٣.
- ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، الخرطوم ٢١- ٢٣ رجب ١٤١٩هـ/ ١٠- ١٢ نوفمبر ١٩٩٨.

واقعية المبادئ الأساسية
في
وضع المصطلح وتوليده

أ. د. عز الدين البوشيخي

مدخل:

لقد رسخ لدينا الاعتقاد في أن البحث في المصطلح وفي قضاياه ما ينبغي له أن يفتر على مابذل من الجهود وما رصد من الأموال والأوقات وما كتب من الأبحاث والدراسات وما بني من المعاهد والمؤسسات. ذلك بأن البحث فيه متعلق أشد التعلق بتأهيل اللغة للقيام بأدوارها كاملة في مجالات المعرفة والإبداع والعلوم، وتنمية طاقتها التعبيرية لمواكبة ركب الحضارة والإسهام فيه بنصيب، ولأنه متعلق أشد التعلق بتأهيل المثقف للنهوض بإنتاج أنواع المعرفة والعلوم بلغته وبمصطلح لغته، ولضمان حضور معتبر في شتى مجالات الإبداع الإنساني. ولأنه متعلق بمكون من أهم مكونات المعرفة العلمية وضارب في عمق من أعماقها، إذ يمكن قياس تقدم العلوم بمدى نجاحها في بناء أنساقها الاصطلاحية المتعالقة مع أنساقها المفهومية، فبها يتم وصف الظواهر، وبها يتم بناء القواعد وصوغ المبادئ التي تفسر سلوك الظواهر.

ولا تقف أهمية البحث في المصطلح وفي قضاياه عند هذا الحد، بل تتعداه حينما نستحضر القضايا المرتبطة بإصلاح التعليم وبتخطيط السياسة

اللغوية وبمشاكل التعريب والترجمة وبتعميم اللغة العربية في المؤسسات والمعاهد والإدارات وغيرها.

إن البحث في المصطلح ومعاودة النظر في قضاياه — في ضوء ما استجد من المناهج والمقاربات والوسائل والتقنيات ـ لمن شأنه أن يحقق تراكماً نوعياً يتضمن إضافات جديدة وحلولاً مبتكرة وتصورات علمية ناضجة ولعل ذلك مايفسر معاودة النظر في موضوع اجتمع على مدارسته العلماء والباحثون والخبراء عام ١٩٨١ بالرباط، ثم تابعوا البحث فيه عام ١٩٩٣ بعمان، و هاجم اليوم مجتمعون بدمشق في نهاية الألفية الثانية وموضوعهم «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته».

وإذا كانت ندوة الرباط قد رسخت الوعي بأهمية «توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة» وأقرت عدداً من المبادئ والتوصيات، فإن ندوة عمان قد نقلت عناية الباحثين إلى «بحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته» علاوة على دعوتها إلى «تطوير وضع المصطلح العربي».

ولعل مما يضفي على ندوة دمشق هذه أهمية خاصة أنها تدعو صراحة وبداءة إلى «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي» ولربما إقرار «سبل توحيده وإشاعته». وهي محقة في هذه الدعوة، وقد توافرت شروطها وتجمعت دواعيها. إذ قد عمق النظر في عدد من القضايا وانجلت عنها الغشاوة، وظهر عدد من المعطيات التجريبية التي كشفت عدم صلاحية تصورات واهية، وتزايد عدد الأبحاث الجادة التي قدمت حلولاً مرضيةً أو مهدت لذلك، وتكوّن وعي ثقافي عام يهتم بالموضوع ويُعنَى به، ولم يعد عصرنا الراهن يسمح بالانتظار في ظل انفجار المعرفة وثورة المعلومات

وسياسة العولمة.

ما نود الإسهام به في هذه الندوة المباركة يتعلق بتقديم تصور تنضبط به مبادئ وضع المصطلح العلمي العربي وتوليده وترجمته. ونقسم الحديث عنه إلى فِقْرات ثلاث: الواقعية النفسية والواقعية العلمية والواقعية (التكنولوجية) التقانية.

١ الواقعية النفسية:

ننطلق من ملاحظة أن المخلوقات البشرية تتمكن من اكتساب لغة محيطها واستعمالها بحنكة ومهارة وإبداع، وأنها تتمكن في خضم ذلك من بناء المصطلحات واستعمالها بنفس الحنكة والمهارة والإبداع لا يكلفها ذلك التعليم في المعاهد والمؤسسات والجامعات. ودليل ذلك أن الذين أنتجوا كماً هائلاً من المصطلحات من القدماء قبلنا لم يتعلموا طرق بنائها وتوليدها في المعاهد والمؤسسات، وإنما انبثق التفكير في ضبط كيفيات بناء المصطلح وتوليده بعد ذلك بقرون مثلما انبثق التفكير في ضبط كيفيات إنتاج اللغة واستعمالها بعد قرون على ظهور اللغة العربية واستعمالها.

ودليل ذلك أيضاً أن وضع المصطلحات وتوليدها واستعمالها عمل لا تختص به فئة من الناس دون فئة، ولا شعب دون شعب ولا أمة دون أمة. بل هو عمل مشترك بين المجموعات البشرية بغض النظر عن مستواها الثقافي والعلمي والحضاري. فكل مجموعة بشرية تتكلم لغة واحدة (فصيحة كانت أم دارجة أم مجرد لهجة) ويجمعها عمل واحد أو وظيفة واحدة تختلق من المصطلحات وتولد وتستعمل ما تدعو الحاجة إليه بصورة فطرية وطبيعية لا يكاد أفرادها يشعرون معها أنهم يبدعون مصطلحات بالوضع والتوليد.

فلأهل كل حرفة أو صنعة مصطلحات حرفتهم أو صنعتهم يبتدعونها

ابتداعاً نجارين وحدادين وبنائين وغيرهم، وللرياضيين مصطلحاتهم كما للتجار مصطلحاتهم الخاصة بتجارتهم؛ بل إن للأطفال مصطلحات يتعلمونها في أثناء لعبهم لا يشاركهم فيها غيرهم، ناهيك عن مصطلحات العلماء بحسب مجالات اختصاصهم.

نخلص من ذلك إلى تقرير أمرين اثنين على الأقل:

أولهما أننا نتوفر على جهاز فطري بفضله نتمكن من اكتساب اللغة واستعمالها، وأنه بفضل هذا الجهاز الفطري ذاته نستطيع بناء المصطلحات وتوليدها واستعمالها. إذ إننا نفترض أن قدرتنا ـ بالمعنى التقني لمصطلح قدرة Compétence ـ على إنتاج المصطلحات وفهمها جزء من قدرتنا المعجمية، وأن القواعد التي تتحكم في بناء اللغة هي ذاتها القواعد التركيبية والصرفية والصوتية التي تتحكم في بناء المصطلحات.

وثانيها أن كل عمل يروم تحديد المبادئ الأساس في وضع المصطلح وتوليده عليه أن يراعي: أن هذه المبادئ هي مبادئ فطرية تنتمي إلى الجهاز الفطري الذي يمكن المخلوقات البشرية من إنتاج اللغة بمصطلحاتها وفهمها واستعمالها.

ومعنى ذلك أن المبادئ التي نبحث عنها ليست مبادئ اصطناعية مستقلة عن متكلم اللغة ومستعمل المصطلحات، بل هي مبادئ ذات واقعية نفسية ترتبط بالمتكلم، وعنها يصدر في إنتاج المصطلح وفهمه واستعماله. ودليلنا إلى اكتشاف هذه المبادئ يكمن في التجربة المصطلحية الزاخرة التي خلفها الأقدمون أو المحدثون، المتمكنون من لغتهم والمشهود لهم بسلامة سليقتهم. ودليلنا إليها أيضاً كل متكلم فطري يتكلم لغته بالسليقة، وينتج بها المصطلحات بالوضع والتوليد.

إن المعطيات التي توفرها تلك التجارب تتيح فرصة البحث عن

الآليات التي يلجأ إليها المتكلم الفطري من أجل وضع المصطلحات وتوليدها، وسيكون الكشف عنها مفيداً في التعرف على مبادئ وقواعد وضع المصطلحات وتوليدها وفي تسليط الضوء على الكيفية التي تعمل بها الملكة اللغوية فيما يخص بناء المصطلحات واستعمالها. وبهذا سيكتسب العمل المصطلحي قيمة تفسيرية بمعناها العلمي الضيق.

إن إسناد بناء المصطلحات وتوليدها إلى قدرة ذهنية (معجمية بالتحديد) مشتركة بين بني البشر قد يؤدي إلى استنتاج خاطئ وغير مرغوب فيه مضمونه أحقية كل متكلم في وضع المصطلح الذي يريد وبالطريقة التي يريد دون شروط ولا قيود، ويؤول الوضع في النهاية إلى فوضى مصطلحية عامة. ولقطع الطريق على أي سوء فهم محتمل كهذا نميز بين أربعة أنماط من المصطلحات:

- مصطلحات عامة تتداولها عوام الناس في حياتهم اليومية وهي المقصودة في الافتراض السابق.

- ومصطلحات حضارية ترتبط بفكر أمة من الأمم وحضارتها وخصوصياتها الثقافية كالشورى والإمامة والخلافة ...

- ومصطلحات تقنية تعين ذوات مادية موجودة أو مستحدثة كالهاتف والحاسوب والأقمار الاصطناعية وغيرها ...

- ومصطلحات علمية ومعرفية تعين مفاهيم مجردة - في الغالب - لا يمكن قيام علم أو معرفة دون وجودها.

ما نعتقده أن لكل نمط من هذه المصطلحات خصوصية تفرض التعامل معه بما يناسب وضعه. فالمصطلح العلمي مثلاً شرط في قيام أي علم من العلوم، وتداوله يظل محصوراً في فئة أهل الاختصاص في ذلك العلم،

وبمجرد إنتاجه واستعماله من قبلهم يكتسب صفة العالمية إذ يتبناه كل المختصين في ذلك العلم بغض النظر عن مصدره الثقافي والحضاري. فالمصطلح الفيزيائي - مثلاً - شرط في قيام الفيزياء، إذ لا يمكن تصور قيام هذا العلم دون نسق من المفاهيم يعبر عنه نسق من المصطلحات كالقوة والسرعة والحركة والذرة ...

وبمجرد إنتاج مصطلح فيزيائي وإقرار استعماله يسارع أهل الاختصاص من الفيزيائيين في كل بقاع الأرض إلى تبنيه والعمل به دون أن تثار الشكوك عن مصدره وعن مضمونه وعن مدى صلاحيته لثقافتنا وحضارتنا وخصوصياتنا، كما تثار عندما يتعلق الأمر بالمصطلح الذي وصفناه بالحضاري لارتباطه بالحضارة الصادر عنها.

من أجل هذه الاعتبارات، فإنه من الواقعية العلمية أن لا نتعامل مع المصطلحات باعتبارها نمطاً واحداً، بل هي أنماط، ولكل نمط منها خصوصيته التي يتوجب اعتبارها في أثناء الدراسة والتحليل. إذا حصرنا عنايتنا في المصطلح العلمي العربي كما ينص على ذلك موضوع الندوة، فلا يخلو في واضع المصطلح أن يكون:

- إما متمكناً في لغته في مجال اختصاصه،
- أو غير متمكن.

فإذا كان متمكناً وأراد أن يضع مصطلحاً لمفهوم استحدثه فإن بمقدوره أن يفعل ذلك بفضل ملكته اللغويةوطاقته العلمية، كما يكون بمقدوره أن يعرب المصطلحات الأجنبية ويترجمها غير مخل بقواعد لغته مثلما كان يفعل علماؤنا الأقدمون: يصنعون مصطلحات جديدة لمفاهيم يستحدثونها، ويعربون المصطلحات الأجنبية ويترجمونها. ولا يثار في هذه

الحال مشكل توحيد المصطلح إلا حين تتعدد اجتهادات ترجمة المصطلح الأجنبي. وأما المصطلح الموضوع لمفهوم مستحدث جديد فتصبح له قوة النفاذ بحكم جدته وجدة مضمونه، وبحكم عدم المنازعة فيه مادام مَصُوغاً وفق قواعد العربية.

أما إذا كان العالم متمكناً في مجال اختصاصه، غير متمكن في لغته العربية لظروف النشأة والتكوين المعروفة، فإنه في هذه الحالة لا يستطيع وضع المصطلح المناسب لمفهوم موجود أو مستحدث، ولا يستطيع ترجمة المصطلح الأجنبي ولا تعريبه بمراعاة قواعد لغته بسبب ضعف ملكته اللغوية وعدم نُضجها.

ويؤول الأمر حينئذ إلى الجهات المختصة في وضع المصطلح وتوليده وترجمته، ويثار هاهنا سؤالان هامان:

- من يضع المصطلح ويترجمه؟

- وعلى ماذا يعتمد في وضع المصطلح وترجمته؟

حينما يطلب إلى عالم مختص في المصطلح أن يوفر مصطلحاً مناسباً لجهاز تقني أو موضوع علمي سواء بالوضع أو التوليد أو الترجمة فإنه يواجه - أول ما يواجه - مشكل التعرف على طبيعة الجهاز التقني أو الموضوع العلمي وخصائصه ووظيفته وعلاقته بغيره من الأجهزة أو الموضوعات في مجاله ...

ووضعه في ذلك مماثل لعالم الفقه الذي يسأل عن رأي الشرع في قضايا اقتصادية أو طبية حديثة ودقيقة، فيواجه - أول ما يواجه - مشكل التعرف على حيثيات القضية ودقائقها حتى يقيسها على غيرها مما هو معروف أو يجتهد في إيجاد الحكم الشرعي المناسب.

فمن الواقعية العلمية إذن عدم الانفراد بوضع المصطلح بدعوى الاختصاص. والمطلوب إشراك صاحب الشأن مهندساً كان أو طبيباً أو

جغرافياً أو عالم اجتماع أو عالم فلك أو فيزيائياً أو رياضياً أو بيولوجياً ... وبذلك تتوفر كل المعلومات الضرورية عن الجهاز التقني أو الموضوع العلمي المراد توفير مصطلح مناسب له. وآنذاك يقرر المختص في المصطلح منهجاً يسلكه لإيجاد المصطلح المطلوب.

أيبحث في التراث المصطلحي عما إذا كان هناك مصطلح مناسب للغرض[١]؟

وكيف يبحث فيه ونحن لا نملك معجماً تاريخياً للمصطلحات العلمية العربية[٢]؟ أم يلجأ إلى الوضع؟ أم التوليد؟ أم الترجمة؟

وفي هذه الحال، يجب أن يتخذ قراراً صائباً بخصوص العناصر التي سيعتمدها في توفير المصطلح المطلوب:

أيعتمد صورة المصطلح اللفظية؟

أم المفهوم الذي يدل عليه؟

أم المرجع الذي يحيل عليه؟

أم التعريف الذي أسند إليه؟

ومن الواقعية العلمية أيضاً أن يستند في اتخاذ قراره إلى تصور واضح ومحدد في هذا الشأن. ومن ذلك مثلاً تحديد العلاقة القائمة بين المتكلم واللغة والعالم، وتحديد الطريقة التي يتم بها بنيه المعلومات في حقول دلالية.

لنتأمل التجربة الآتية: حينما اخترع الأمريكيون الحاسوب أطلقوا عليه مصطلح (Computer) أعتماداً على إحدى أولى خاصياته وهي قدرته الفائقة على إجراء العمليات الحسابية. لكن الفرنسيين حينما احتاجوا إلى مصطلح يعين هذا الجهاز بلغتهم لم يعتمدوا المصطلح الإنجليزي بل اعتمدوا خصائص الجهاز ذاته، فوضعوا مصطلح (Ordinateur) الذي يدل على

خاصية أخرى في الحاسوب، وهي قدرته الفائقة على تنظيم المعلومات.

ومع أن الفرنسيين لم يوفقوا في توليد مايناسب مصطلح (Computer Sciences) انطلاقاً من مصطلح (Ordinateur) فلجؤوا إلى مصطلح بديل هو (L´Informatique) ولم يوفقوا في الإتيان بمصطلح بديل حينما بحثوا عما يقابل Computational Linguistics، فاضطروا إلى استعمال مصطلح (Cimputatoinnelle La Linguistique) ... فإنهم - مع كل ذلك - ظلوا متشبثين بمصطلح (Ordinateur) محاولين استعماله كلما بدا لهم ذلك ممكناً، فاستعملوا مصطلح (Assité Par Ordinateur) مقابل (..Computer Assisted) ولم يفكروا - البتة - في التخلي عن مصطلحهم رغم ضعف قدرته التوليدية[٣]، وعدم نسقية استعماله.

نفيد من هذه التجربة أن المصطلحي غير ملزم بالتعامل مع الصورة اللغوية للمصطلح الأجنبي، إذ لا شيء يلزمه بذلك فاللغة وسيلة لنقل تجارب الإنسان مع العالم الخارجي، وواضع المصطلح إنما ينقل بواسطة لغته تجربته مع الشيء الموضوع في العالم الخارجي، ولا شيء يلزم الباحث بضرورة المرور عن طريق لغة واضع المصطلح الأصلي من أجل وضع مصطلح مقابل بلغته، بل يمكنه ولا مانع من ذلك كما رأينا - أن يضع مصطلحاً بلغته معتمداً خاصية أخرى من خاصيات الشيء ذاته، مراعياً قدرته التوليدية وحقله الدلالي.

وإذا كانت اللغة وسيلة لنقل تجربة الإنسان مع الواقع الخارجي، فإنها أيضاً مرآة تعكس تصور الإنسان للعالم ولتجربته فيه. وبما أن المصطلحات جزء من اللغة، فإنها ترتبط بهذا التصور وبتلك التجربة إذا تأملنا مصطلحات بعض العلوم العربية كعلم النحو أو علم العروض مثلاً فإننا نلاحظ أنها تشكل حقولا دلالية مرتبطة بتصور العربي وتجربته. فمصطلحات العروض

تحيل على الخيمة وعناصرها كالبيت والسبب والوتد والضرب وغيرها، كما تحيل على صفات الجمل كالموقوص والأخرب والمجزول والأخم والأشتر...

ومصطلحات النحو تدور على العمل ونسخ العمل، فهناك العامل والمعمولات والفاعل والمفعولات والناسخ والمنسوخات والمسند والمسند إليه[٤]...

ومصطلحات الصوفية تدور في معظمها على الحب وألوانه كالعشق والذوق والموت والفناء والخلوة والجمع والفرق والحزن والرجاء والوحشة والشهوة والشرود والقبض والبسط والقرب والبعد ...

ومن الواقعية مراعاة الحقل الدلالي في أثناء ترجمة المصطلح الأجنبي أو في أثناء استحداث مصطلح جديد بالوضع.

ومن الواقعية العلمية أيضاً صوغ المبادئ وفق شروطها العلمية وتَنْزِيلُها منزلتها المعرفية أي (الإبستمولوجية)[٥]. فليس المبدأ قولاً كأي قول يصاغ كيفما اتفق، ويحتمل المعنى وضده.

وليست المبادئ قواعد، بل منها تستمد القواعد وعنها تتفرع، وإليها تعود وترجع. وإذا كانت للقواعد استثناءات فإن المبادئ لا استثناء لها. تثبت إذا صمدت أمام المعطيات التجريبية ويستعاض عنها بغيرها إذا لم تصمد.

فللمعطيات التجريبية دور حاسم في إقرار المبادئ أو التخلي عنها. وبمقتضى ذلك يجب التخلي عن جملة من «المبادئ» التي اقترحت في الندوات السابقة وفي غيرها إما بسبب عدم توفر شروط صياغتها شكلاً، وإما بسبب عدم توفر شروط صياغتها مضموناً، وإما بسبب مصادمتها للوقائع التجريبية.

٣ ـ الواقعية التكنولوجية:

يمكن بفضل ما يوفره الإنترنيت ـ أن نطلع بسهولة على أهم مشاريع

البنوك المصطلحية في العالم، وعلى طريقة عملها، وعلى ما أنجز منها وعلى فِرَق البحث المشرفة عليها. وليس من الصواب غض الطرف عن مثل هذه الأعمال وعما يمكن أن نفيده منها في إنجاز مشاريعنا الخاصة.

كما أنه يجب بمقتضى الواقعية التقانية أي (التكنولوجية) أن نراعي في إقرار مبادئ وضع المصطلح وتوليده سهولة المعالجة الحاسوبية. ويعني ذلك أن تكون المبادئ والقواعد المتفرعة عنها قابلة للتطبيق حاسوبياً.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى مشروع برنامج للتوليد الآلي للمصطلحات والمولدات بشر به معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط منذ سنة ١٩٩٦[٦].

وسيكون من المفيد أيضاً إقامة موقع على شبكة الإنترنيت تجمع عنده كل المعلومات المتعلقة بالموضوع، ويتم بواسطتها تبادل الخبرات.

٤ ـ أثر المبادئ على انفتاح الثقافة والعلوم:

إن النجاح في إقرار مبادئ علمية لوضع المصطلح وتوليده و ترجمته، والتزام المعنيين بها بحكم علميتها سيسهم ـ إلى حد بعيد ـ في توحيد المصطلح العلمي العربي وفي انفتاح الثقافة والعلوم انفتاحاً يؤدي إلى التفاعل والتلاقح والتطوير. ذلك لأن من أخطر نتائج غياب مثل تلك المبادئ، أو عدم الالتزام بها ـ إن وجدت ـ سيادة فوضى مصطلحية ينجم عنها انغلاق الثقافة والعلوم.

فكم من كتاب ترجم في المشرق لا يستفيد منه المهتمون في المغرب، بل كم من كتاب ترجم في المغرب العربي لا يستفيد منه إلا الباحثون في البلد مصدر المترجم بسبب المصطلحات المستعملة.

أو ليست المصطلحات مفاتيح العلوم؟

من الأمثلة التي يمكن أن نوضح بها هذا المعنى ترجمة عدد من الكتب

اللسانية الغربية إلى اللغة العربية، بدءاً بكتاب Cours de-Linguistique Générale لفرديناند دوسوسير إلى كتب تشومسكي الشهيرة. ولأن المترجم يستعمل مصطلحات لا تستعمل في بعض بلدان المغرب العربي، فإنه لا يستفاد منها، بل يصل الأمر في بعض الأحيان إلى نصح الطلبة بعدم قراءتها لما ستحدثه في أذهانهم من التباس وسوء فهم، [حيث يصبح موضوع اللسانيات الحق هو «اللغة» عند مترجم، وهو «اللسان» عند مترجم ثان، وهو «الكلام» عند مترجم ثالث].

فإذا كان العمل الذي قدمه دوسوسير في الكتاب المشار إليه أعلاه عُنِي أساساً بالتمييز الدقيق بين مفاهيم «اللسان» و «اللغة » و «الكلام» للخلُوص إلى أن مفهوم (La Langue) هو موضوع اللسانيات الحق، فأين هي قيمة الكتاب إذا لم نميز بين هذه المفاهيم الثلاثة بالاتفاق على وضع مصطلحات دقيقة تعين كلاً منها بوضوح؟ إن عدم توحيد المصطلح لا يفوت فرصة الإفادة من الكتب المترجمة، بل يعمل على طمس قيمتها العلمية، ويسهم في انغلاق الثقافة والعلوم.

٥ ـ خاتمة:

كان مرادنا من هذه الورقة أن نبين أن البحث عن «منهجية لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته» لإقرارها في حاجة إلى تصور واضح ومحدد تستند إليه، وفي حاجة إلى مبادئ مضبوطة تقوم عليها، وقد قدمنا بعض الملاحظات والاقتراحات التي اعتبرناها ضرورية لنجاح مثل هذا العمل.

إن المبادئ التي يمكن إقرارها ليست لها سلطة تجبر المعنيين بالأخذ بها سوى سلطتها العلمية، لذلك فإن المرجعية العلمية لهذه المبادئ ولكل القرارات المتصلة بالموضوع هي الضمان الوحيد لنجاحها. فعسى أن نكون قد ساهمنا بما يفيد . والله ولي التوفيق.

الهوامش

١ ـ انظر التجربة الغنية التي مارسها د. أحمد المتوكل في مجال اللسانيات العربية الوظيفية في مقاله: «استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية نموذجاً».

مجلة المناظرة السنة ٤ ـ العدد ٦ ـ ١٩٩٣.

٢ ـ نشير هنا إلى أن معهد الدراسات المصطلحية بفاس يشرف على تنفيذ مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العربية في عدة قطاعات علمية ومعرفية، وسيعمل عل طبع ما تم إنجازه منها في مستقبل الأيام.

٣ ـ نذكر هنا بالعمل الرائد للدكتور طه عبد الرحمن الذي عمد إلى استحداث عدد من المصطلحات على هذا المنوال. من قبيل الحوارية والحوار والمحاورة والتحاور، ومن قبيل الحجاج والحجاجية والتحاج. (انظر كتاب د. طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ـ البيضاء ـ ١٩٨٧).

٤ ـ انظر مقال د. محمد عابد الجابري: حفريات في المصطلح التراثي: مقاربات أولية في مجلة «المناظرة ـ العدد ٦ ـ ١٩٩٣».

٥ ـ نود هنا أن نحيل على بعض المبادئ التي قدمها د. طه عبد الرحمن في مقاله: «في فقه المصطلح الفلسفي العربي»

مجلة المناظرة العدد ٦ السنة ١٩٩٣ شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرباط ـ

٦ ـ انظر تقريراً للدكتور عبد القادر فاسي فهري، عنوانه: «قاعدة الاصطلاح والمولدات».

تقارير ووثائق، رقم١، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط. ١٩٩٦.

المراجع

١ ـ أحمد شفيق الخطيب:

حول «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته» ضمن أعمال ندوة «تطور منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته» التي نظمها مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣ ـ عمان ـ الأردن.

٢ ـ أحمد شحلان:

«مكتب تنسيق التعريب: الجهد والمعتمد والآمال» ضمن أعمال ندوة «تطوير منهجية

وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته التي نظمها مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣ ـ عمان ـ الأردن.

٣ ـ أحمد المتوكل:

استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية نموذجاً ـ مجلة المناظرة ـ العدد ٦، ١٩٩٣ ـ الرباط المغرب.

٤ ـ طه عبد الرحمن:

«في فقه المصطلح الفلسفي العربي» ضمن أعمال ندوة: المصطلح التراثي بين الأعمال والإهمال

مجلة المناظرة ـ العدد ٦، ١٩٩٣ ـ الرباط المغرب.

٥ ـ عبد الله سليمان القفاري:

خطوات تطبيقية نحو منهجية مدعمة بالحاسب الآلي لمعالجة ونشر المصطلح العربي ضمن أعمال ندوة: «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته التي نظمها مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣ ـ عمان ـ الأردن.

٦ ـ عبد القادر فاسي فهري:

اللسانيات واللغة العربية

دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ ١٩٨٥.

٧ ـ طه عبد الرحمن:

في أصول الحوار وتجديد علم الكلام

المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ـ الدار البيضاء ـ ١٩٩٧.

٨ ـ علي القاسمي:

عوائق توحيد المصطلح العربي ومتطلبات إشاعته وتعميم استعماله: ضمن أعمال ندوة «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته التي نظمها مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣ ـ عمان ـ الأردن.

٩ ـ عز الدين البوشيخي:

«دور المصطلحات في بناء العلوم الإسلامية»ضمن أعمال ندوة: «الدراسة المصطلحية

والعلوم الإسلامية» ـ التي نظمها معهد الدراسات المصطلحية وشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب ـ فاس ـ ١٩٩٣ مطبعة المعارف الجديدة ـ الرباط ـ المغرب.

١٠ ـ عز الدين البوشيخي:

«عن المصطلح والمفهوم وأشكال التعالق بينهما»

ضمن أعمال يوم دراسي موضوعه «قضية التعريف في الدراسات المصطلحية الحديثة» ـ تنظيم معهد الدراسات المصطلحية ومجموعة البحث في المصطلح بكلية الآداب وجدة ـ ١٩٩٧. منشورات كلية الآداب بوجدة رقم٢٤.

١١ ـ عز الدين البوشيخي:

«خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية» ضمن أعمال ندوة: «المصطلحات الموحدة ودورها في صناعة المعجم العربي الحديث» التي نظمها مكتب تنسيق التعريب وشعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب ـ عين الشق ـ الدار البيضاء ـ ١٩٩٧.

مجلة اللسان العربي ـ العدد ٤٦ ـ ١٩٩٨.

١٢ ـ محمد رشاد الحمزاوي:

المصطلحية العربية المعاصرة:

سبل تطويرها وتوحيدها ضمن أعمال ندوة: «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته التي نظمها مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣ ـ عمان ـ الأردن.

١٣ ـ جواد حسني سماعنة:

تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته.

ضمن أعمال ندوة «تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته التي نظمها مجمع اللغة العربية الأردني ومكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣ عمام ـ الأردن.

١٤ ـ محمد عابد الجابري:

«حفريات في المصطلح التراثي: مقاربة أولية»

ضمن أعمال ندوة «المصطلح التراثي بين الإعمال والإهمال». مجلة المناظرة العدد ٦ - ١٩٩٣ ـ الرباط المغرب.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الثاني من عام ٢٠٠٠م

أ – الكتب العربية

خلود العقاد

- **إثبات العلل /** أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي؛ تحقيق ودراسة خالد زهري– ط١– الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٨– (سلسلة نصوص ووثائق؛ رقم 2).
- **أثر التسمية في بنية الكلمة ومواضع إعرابها/** د. سليمان إبراهيم العايد– [مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٩١].
- **الاحتفال بمرور ألف ومائة وخمسين عاماً على وفاة الفيلسوف العربي يعقوب بن إسحاق «الكندي» /** المجلس الأعلى للعلوم– دمشق: المجلس، ١٩٩٥.
- **أضواء على صناعة الكتابة الدواوينية عند العرب منذ نشأتها حتى العصر المملوكي /** سليم الحَسَنية– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (دراسات تاريخية).
- **الإقناع لما حوى تحت القناع/** برهان الدين أبو الفتح المطرِّزي؛ تحقيق د. محمد أحمد الدالي، د. سلامة عبد الله السويدي–ط١– الدوحة: مركز البحوث والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، ١٩٩٩.
- **الأمن الغذائي والمرأة الريفية /** إعداد : د. نجوى قصاب حسن– دمشق: الاتحاد العام النسائي. مكتب الدراسات، ١٩٩٨.

- **انتقال النظريات والمفاهيم/** تنسيق محمد مفتاح وأحمد بو حسن- ط١- الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٩- (سلسلة ندوات ومناظرات؛ رقم 76).

- **البعلي اللغوي وكتاباه: شرح حديث أم زرع والمثلث ذو المعنى الواحد /** البعلي اللغوي؛ تحقيق د. سليمان إبراهيم العايد- مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، [١٩٨٦].

- **بغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال/**الفِهري؛ تحقيق د. سليمان إبراهيم العايد- [مكة المكرمة: جامعة أم القرى]، ١٩٩١- (سلسلة دراسات في تعليم العربية لغير الناطقين بها؛ ٢٣).

- **بيبلوغرافيا المرأة العربية /** إعداد د. نجوى قصاب حسن- دمشق: الاتحاد العام النسائي. مكتب الدراسات، ١٩٩٨.

- **التحقيب: التقليد- القطيعة- السيرورة /**تنسيق محمد مفتاح، أحمد بو حسن- ط١- الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٧- (سلسلة ندوات ومناظرات؛ رقم 61).

تصنيف ديوي العشري /المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- ط٢، عربية- تونس: المنظمة، ١٩٩٧- جزءان.

- **تعزيز التعاونيات: التقرير الخامس (١) /** مؤتمر العمل الدولي: الدورة ٨٩، ٢٠٠١- ط١- جنيف: مكتب العمل الدولي، ٢٠٠٠.

- **التقرير في التكرير /**محمد أبو الخير أفندي الشهير بابن عابدين- ط١- دمشق: مطبعة الشام، ١٩٩٢.

- **تقييم نقدي لتجارب تنمية المجتمعات المحلية في الوطن العربي: برنامج تنمية ... /**اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا؛ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **التنمية الإنسانية واكتساب المعرفة المتقدمة في البلدان ... /** إسكوا؛ يونسكو؛ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩- (سلسلة دراسات التنمية البشرية؛ ١١).

- **التنمية البشرية المستدامة ودور المنظمات غير الحكومية...** / إعداد نبيلة حمزة؛ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩- (سلسلة دراسات التنمية البشرية؛ رقم ١٢).

- **ثلاثيات الأفعال المقول فيها أفعَل أو أفعِل بمعنىً واحد وزوائده** / ابن مالك، البعلي الحنبلي؛ تحقيق د. سليمان إبراهيم العايد- القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٩٠.

- **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر** / ثريا برّادة- الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٧- (سلسلة رسائل وأطروحات؛ رقم ٣٧).

- **حماية الأمومة في العمل...** /مؤتمر العمل الدولي: الدورة ٨٨، ٢٠٠٠- ط١- جنيف: مكتب العمل الدولي، ٢٠٠٠.

- **الخطاب حول المرأة (ندوة)**/ تنسيق فوزية غساسي- ط١- الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٧- (سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 65).

- **خمس سنوات بعد مؤتمر القاهرة: السياسات السكانية في الدول العربية**/ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية** /تأليف محمد شفيق- الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٩- (سلسلة المعاجم).

- **دراسات الحسابات القومية لمنطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **ديوان القصائد: شعر** / الدكتور عبد الرزاق محيي الدين- ط١- عمّان: دار أسامة، ٢٠٠٠.

- **رسالتان في المعرّب** /ابن كمال والمنشي؛ تقديم وتحقيق د. سليمان إبراهيم العايد- [مكة المكرمة]: جامعة أم القرى، [١٩٩٠]- (سلسلة دراسات في تعليم العربية؛ ١٧).

- **سحب اتفاقية ساعات العمل (مناجم الفحم)... /** مؤتمر العمل الدولي: الدورة ٨٨، ٢٠٠٠- ط١- جنيف: مكتب العمل الدولي، ٢٠٠٠.

- **السلامة والصحة في الزراعة /** مؤتمر العمل الدولي: الدورة ٨٨، ٢٠٠٠- ط١- جنيف: مكتب العمل الدولي، ٢٠٠٠.

- **سه رسالة فلسفي: متشابهات القرآن- المسائل القدسية- أجوبة المسائل /** صدر الدين محمد شيرازي؛ تصحيح وتعليق جلال الدين آشتياني- قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي- (آثار أستاذ آشتياني؛ ١٢).

- **سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل /** تأليف د. ف. عبد الرحيم- ط١- المدينة النبوية: دار المآثر، ١٩٩٨.

- **السياسات التصديرية والتسويقية لمجموعة مختارة من المنتجات الزراعية... /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **السياسات القطاعية لمكافحة الفقر في لبنان... /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩- (سلسلة دراسات مكافحة الفقر؛ ٩).

- **الشوق الطائف في قطر الطائف: معجم موسوعي... /** جمع ودراسة وتحقيق حماد بن حامد السالمي- ط١- جدة: دار الشريف، ١٩٩٩- ثلاثة أجزاء.

- **الطلاق: أسبابه ومنعكساته... /**دراسة وإشراف د. نجوى قصاب حسن- دمشق: الاتحاد العام النسائي، ١٩٩٨.

- **غاية المراد في شرح نكت الإرشاد وحاشية الإرشاد/** مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية. قسم إحياء التراث الإسلامي- ط١- قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي- الجزء الثالث.

- **الغرر المثلثة والدرر المبثثة /** الفيروزآبادي؛ تحقيق د. سليمان بن إبراهيم العايد- الرياض، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، [١٩٩٢].

- **غناء موسيقي** / رضا مختاري، محسن صادقي– قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي– الجزء الثالث، (ميراث فقهي ؛ ١).

- **قاموس مصطلحات الرياضيات الابتدائية** /د. أحمد سليم سعيدان– ط١– عمّان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧.

- **القدس، أنقطة قطيعة أم مكان التقاء؟** / أكاديمية المملكة المغربية– الرباط، ١٩٩٨– جزءان، (سلسلة الدورات).

- **قصة الإملاء للأطفال: أسلوب متطور في الإملاء العربي** / أحمد الخوص– ط٢– دمشق: المطبعة العلمية، ١٩٩٩.

- **القنوات الفضائية العربية في خدمة الثقافة...**/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة برنامج الثقافة– تونس، ١٩٩٨.

- **الكتاب الأول: كلمات الافتتاح والختام والعلوم الاقتصادية** / أسبوع العلم الرابع والثلاثون: تشرين الثاني: ١٩٩٤– دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥.

- **الكتاب الثاني: دراسات وبحوث العلوم الأساسية** /أسبوع العلم الرابع والثلاثون: تشرين الثاني: ١٩٩٤– دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥.

- **الكتاب الثالث: دراسات وبحوث العلوم الزراعية والطب البيطري** / أسبوع العلم الرابع والثلاثون: تشرين الثاني: ١٩٩٤– دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥.

- **الكتاب الرابع: دراسات وبحوث العلوم الطبية والصيدلانية وطب الأسنان** /أسبوع العلم الرابع والثلاثون: تشرين الثاني: ١٩٩٤– دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥.

- **الكتاب الخامس: دراسات وبحوث العلوم الهندسية** / أسبوع العلم الرابع والثلاثون: تشرين الثاني: ١٩٩٤– دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥.

- **كناش الحائك** / أبو عبد الله محمد بن الحسين التطواني الأندلسي؛

تحقيق مالك بنونة- الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٩- (سلسلة التراث).

- **محاضرات الندوة الإعلامية المشتركة نيسان ١٩٨٠ /** مجمع اللغة العربية الأردني- عمّان، ١٩٨٠.

- **المرأة في ظل التصحيح /**الاتحاد العام النسائي. مكتب الدراسات- دمشق، ١٩٩٦.

- **المرأة وتنظيم الوقت: مسح اجتماعي ثقافي /**إشراف د نجوى قصاب حسن- دمشق: الاتحاد العام النسائي. مكتب الدراسات، ١٩٩٦.

- **المرأة والصحة الإنجابية /**الاتحاد العام النسائي. مكتب الدراسات- دمشق، ١٩٩٦.

- **المسألة السكانية والمؤثرات الاجتماعية/**إعداد د. نجوى قصاب حسن- دمشق: الاتحاد العام النسائي. مكتب الدراسات، ١٩٩٨.

- **مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين /** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. إدارة برنامج الثقافة- تونس، ١٩٩٨.

المستوطنات الحضرية والفقر /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **مسح اجتماعي ثقافي حول الزواج المبكر ومنعكساته.../** إعداد وإشراف د. نجوى قصاب حسن- دمشق: الإتحاد العام النسائي بالتعاون مع اليونيسيف، ١٩٩٧.

- **مسح للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الإسكوا ١٩٩٧- ١٩٩٨ /**اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **مسيرة الاتحاد العام النسائي منذ التصحيح /** الاتحاد العام النسائي. المكتب التنفيذي- دمشق، ١٩٩٩.

- **المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها /** د. محمد يَسُف- الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٩٢- جزءان.

- **معجم أكاديميا الطبي: إنكليزي- فرنسي- عربي /** د. قاسم

سارة– بيروت: أكاديميا، ١٩٩٩.

- معجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة الذرية / هيئة الطاقة الذرية السورية– ط جديدة، موسعة– دمشق، ١٩٩٩.

- المعجم الموحد للمصطلحات المهنية والتقنية: طباعة– كهرباء (إنكليزي– فرنسي– عربي) / مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– تونس: المنظمة، ١٩٩٦– الجزء الأول، (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ١٢).

- المعجم الموحد لمصطلحات الآثار والتاريخ (إنكليزي– فرنسي– عربي)/ مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– تونس: المنظمة، ١٩٩٣– (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٧).

- المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والمحاسبة (إنكليزي– فرنسي– عربي)/ مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– تونس: المنظمة، ١٩٩٥– (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ١٠).

- المعجم الموحد لمصطلحات الجغرافيا (إنكليزي– فرنسي– عربي) / مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– تونس: المنظمة، ١٩٩٤– (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٩).

- المعجم الموحد لمصطلحات الرياضيات والفلك (إنكليزي– فرنسي– عربي) / مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– تونس: المنظمة، ١٩٩٠– (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٣).

- المعجم الموحد لمصطلحات الطاقات المتجددة (إنكليزي– فرنسي– عربي) / مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– تونس: المنظمة، ١٩٩٦– (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ١١).

- المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء (إنكليزي– فرنسي– عربي) / مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– تونس: المنظمة، ١٩٩٣– (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٨).

- المعجم الموحد لمصطلحات العلوم الإنسانية: الفلسفة–

الاجتماع والأنثربولوجيا- التربية (إنكليزي- فرنسي- عربي) / مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس: المنظمة، ١٩٩٧- (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ١٣).

- **المعجم الموحد لمصطلحات الفيزياء العامة والنووية (إنكليزي- فرنسي- عربي) /** مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس: المنظمة، ١٩٨٩- (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٢).

- **المعجم الموحد لمصطلحات الكيمياء (إنكليزي- فرنسي- عربي) /** مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس: المنظمة، ١٩٩٢- (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٥).

- **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنكليزي- فرنسي- عربي) /**مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس: المنظمة، ١٩٨٩- (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ١).

- **المعجم الموحد لمصطلحات الموسيقى (إنكليزي- فرنسي- عربي) /** مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس: المنظمة، ١٩٩٢- (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٤).

- **المعجم الموحد: مصطلحات علم الصحة وجسم الإنسان (إنكليزي- فرنسي- عربي) /**مكتب تنسيق التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس: المنظمة، ١٩٩٢- (سلسلة المعاجم الموحدة؛ رقم ٦).

- **من البيمارستان إلى المستشفى: دراسة تحليلية مقارنة للنظام الإداري/** سليم الحَسَنية- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (دراسات اجتماعية؛ ٣٧).

- **من الشاي إلى الأتاي: العادة والتاريخ /**تأليف عبد الأحد السبتي، عبد الرحمن لَخصاصي- ط١- الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٩- (سلسلة بحوث ودراسات؛ رقم 25).

- **منتخباتي أز آثار حكماى إيران /**جلال الدين آشتياني- قم: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي- أربعة أجزاء.

- **واقع كبار السن ورعايتهم في الأسرة والمجتمع** / إشراف د. نجوى قصاب حسن– دمشق: الاتحاد العام النسائي. مكتب الدراسات، ١٩٩٦.

- **الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا** /د. أحمد عروة– دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٦.

- **وقائع اجتماع فريق خبراء بشأن تحسين مستويات المعيشة في دول المشرق العربي (القاهرة: تشرين الثاني: ١٩٩٧)** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، معهد التخطيط القومي– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩– (سلسلة دراسات مكافحة الفقر؛ ٨).

- **وقائع الندوة حول كفاءة التجارة في الدول الأعضاء في الإسكوا** /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ب - المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	من ٦٨٠- ٦٨٨	١٩٩٩	سورية
التراث العربي	٧٧ (عدد خاص)	١٩٩٩	سورية
صوت فلسطين	٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣	١٩٩٩	سورية
الضاد	(٥و٦)/ ١٩٦٠، (٥و٦)/١٩٦٢		سورية
	(٥و٦)، (٧و٨)/ ١٩٦٤،		
	(٣و٤)، (٥و٦)، (٧و٨)،		
	(٩و١٠)/ ١٩٦٥، (٥و٦)،		
	(٩و١٠)/ ١٩٦٦، (١و٢)،		
	(٣و٤)/ ١٩٦٨، ٩، ١٠ (١٩٩٩)		
عالم الذرة	٦٤	١٩٩٩	سورية
الفكر السياسي	٧	١٩٩٩	سورية
المجلة البطريركية	(١٨٧-١٨٨)	١٩٩٩	سورية
مجلة جامعة البعث	٢.١ (مج ٢١)	١٩٩٩م	سورية
مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية	مج ٢٠ (العلوم الاقتصادية: ١) ١٩٩٨		سورية
مجلة الشرطة	١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧، ٨ (١٩٢١)		سورية
	٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥،		
	(١٦و ١٧)، (١٨و ١٩)، (٢١و ٢٢)/		
	١٩٢٢، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧،		
	٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢ (١٩٢٣)،		
	١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٩، ١٠، ١١،		
	١٢ (١٩٢٤)، ٣، ٥، ٦ (١٩٢٥)		
	٨ (١٩٦٧)		

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة المعلومات	من ١١٤– ١٢٢	١٩٩٩	سورية
المعرفة	٤٣٣ ، ٤٣٤	١٩٩٩	سورية
الموقف الأدبي	٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤	١٩٩٩م	سورية
نضال الفلاحين	١٣	١٩٩٩	سورية
الأنباء	٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩	١٩٩٩م	الأردن
الشريعة	٤٠٦ ، ٤٠٧	١٩٩٩م	الأردن
اليرموك	٦٥	١٩٩٩	الأردن
الكراسات التونسية	١٧٤ (مج ٤٩)	١٩٩٦	تونس
عالم الكتب	١ (مج ٢١)	١٩٩٩م	السعودية
المجلة العربية	٢٧٠ ، ٢٧١	١٩٩٩م	السعودية
المركز	١٠	١٤٢٠ هـ	السعودية
الأقلام	(ج) ٤ (١٩٦٥)، (ج) ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ (١٩٦٧م) (ج) ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ (١٩٦٨) (ج) ١ ، ٢ ، ٣ (١٩٦٩)، ١٢ (١٩٧١م)		العراق
الرابطة	١، ٢، ٣	١٩٧٤	العراق
الكتاب	١، ٢، ٣، ٤ (عدد خاص)، ٥ (١٩٦٣)، (٣ و ٤) عدد ممتاز / ١٩٦٤، (١و ٢) / ١٩٦٥م		العراق
لغة العرب	١– ١٢ (السنة ٢) ، ٥ ، ٦ (السنة ٣)	١٩١٣	العراق
	٧ ، ٨ (السنة ٣)	١٩١٤	
البيان	٣٥١، ٣٥٢	١٩٩٩	الكويت
تعريب الطب	٩	١٩٩٩	الكويت
العربي	٤٩٠ ، ٤٩١	١٩٩٩م	الكويت
تاريخ العرب والعالم	١٥ ، ١٦ ، ٢٢	١٩٨٠	لبنان
الشراع	٨٩٧ ، ٩٠٣، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١	١٩٩٩	لبنان
العرفان	مج ٩ (١– ٥/ ١٩٢٣– ١٩٢٤)		لبنان

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	مج ١٠ (٢-٦)، ٨/ ٢٤- ١٩٢٥		
	مج ١٢ (٣/ ١٩٢٦)		
	مج ١٤ (٣- ٥/ ١٩٢٧- ١٩٢٨)		
	مج ١٥ (٨/ ١٩٢٨)		
	مج ١٦ (٤/ ١٩٢٨)		
	مج ١٧ (١- ٥/ ١٩٢٩)		
	مج ١٨ (٥/ ١٩٢٩)، مج ١٩ (٢، ٣/ ١٩٣٠)، مج ٢٣ (١، ٣/ ١٩٣٢)		
	مج ٣٢ (١/ ١٩٤٥، (٩و ١٠/ ١٩٤٦)		
	مج ٤٦ (١، ٣/ ١٩٥٨)		
الفكر العربي	٩٨	١٩٩٩	لبنان
الورود	(ج) ١٠، (١١و ١٢)	١٩٥٣	لبنان
الوقت	١، ٢، ٤، ٥، ٦، ٧ (١٩٦٥) ١٠، ١١ (عدد خاص)، ١٣ (١٩٦٧)، ١، ٢، ٥ (١٩٦٨) ٧ (١٩٧٤)		لبنان
حولية كلية البنات	١ (١٩٥٨)، ٢ (١٩٦٠) ٣ (١٩٦١)، ٤ (١٩٦٤)		مصر
الثقافة	٢٧٣ (١٩٤٤)، ٣١٦، ٣١٧ (١٩٤٥) ٤٤٦ (١٩٤٧)، ٤٧٥، ٥١٥ (١٩٤٨)		مصر
الرسالة الإخبارية	٥٨ (مج ٨)	١٩٩٩	مصر
رسالة اليونسكو	حزيران	١٩٩٩	مصر
الزهور	١٠، ١٢	١٩٧٥	مصر
	٢، ٦، ٨	١٩٧٦	
صوت الشرق	١٩ (١٩٥٤)، ١٧٢ (عدد خاص/ ١٩٦٨، ١٨٤ (١٩٦٩)، ١٩٣ (١٩٧٠)، ٢٤٠ (١٩٧٦)		مصر
مجلة كلية دار العلوم	٢٥	١٩٩٩	مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المختار	مج ١ (٢، ٣، ٤، ٥/		مصر
	(١٩٤٣ – ١٩٤٤)		
	مج ٦ (٣١/ ١٩٤٦)		
	مج ٩ (٥٠، ٥١ / ١٩٤٧)		
	كانون الثاني (١٩٥٦)،		
	تشرين الأول، تشرين الثاني،		
	كانون الأول، أيلول (١٩٥٧)		
	أيار، حزيران، تموز، آب،		
	أيلول، تشرين الأول، تشرين		
	الثاني، كانون الأول (١٩٥٩)		
	كانون الثاني، شباط (١٩٦٠)		
	أيلول (١٩٦١)، آذار (١٩٦٧)		
نشرة الإبداع	أيار، حزيران، تموز، آب	١٩٩٩	مصر
نور الإسلام	مج ١ (١– ١٠/١٣٤٩)، مج ٢ (١–		مصر
	١٠/ ١٣٥٠)، مج ٣ (١– ١٠/ ١٣٥١)		
	مج ٤ (١– ٥، ٧، ٨، ١٠/ ١٣٥٢)		
	مج ٥ (١، ٣، ٤– ٨، ١٠/ ١٣٥٣)		
	مج ٦ (١– ٥/ ١٣٥٤)		
دراسات مغاربية	١٠	١٩٩٩	المغرب
نشرة إخبارية	١٩	١٩٩٩	المغرب
فكر وفن	١٧، ١٨ (١٩٧١)، ١، ٢ (١٩٦٣)		ألمانيا
	٤ (١٩٦٤)، ٥، ٦ (١٩٦٥)		
	٧، ٨ (١٩٦٦)، ٩، ١٠ (١٩٦٧)		
	١١ (١٩٦٨)، ١٥، ١٦ (١٩٧٠)		
التوحيد	١٠١	١٩٩٩م	إيران
	١٠٢	٢٠٠٠م	
الشرق	١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥ (١٩٢٩)،		البرازيل
	كانون الثاني (١٩٥٢)، شباط،		

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	(نيسان – أيار)، (تموز – آب) ، أيلول ، كانون الأول (١٩٥٣) (كانون الثاني – شباط) ، آذار ، نيسان ، (أيار –حزيران) ، آب (١٩٥٤)، كانون الثاني (عدد خاص) ، حزيران، تموز ، أيلول، تشرين الأول (١٩٥٥) ، كانون الثاني (عدد خاص)، نيسان (١٩٥٦) ، (تشرين الأول – تشرين الثاني) / ١٩٥٧، كانون الثاني ، شباط ، آذار، (نيسان – أيار) ، (حزيران – تموز) عدد خاص، آب ، أيلول، تشرين الأول ، تشرين الثاني، كانون الأول (١٩٥٨) ، شباط ، آذار ، حزيران ، أيلول، كانون الأول (١٩٥٩) .		

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- An American Nurse admist Chaos , 1975 - 1998/ by Gladys Mouro .- Beirut , 1999 .
- Arab Economic Integration Efforts , A Critical Assessment / by Escwa (U . N) .- New York , 1999.
- EL Canal De Panama/ by Unesco .- Madrid , 1999, illustrated .
- Colloque Sur le Technologie de L'information dans l'industrie du Spectacle et des médias: répercussions sur l'emploi , les Conditions de travail et les relations professionnelles/ Par BI T.- Genéve , 2000.
- la Concquete De l'Age/ Par Dominique Roger et Jacques Ribault .- Paris , 1999, illustrated .
- La Crise Financière Asiatique/ Par Eddy lee .- Genève , 2000.

PubL .by : Bureau International Du TravaiL , Genève.

- Executive Education Casebook , 2000 .- U. K ,1999 , illustrated.
- Groundwater Resources in Paleogene Carbonate Aquiffers in The Escwa Region : Preliminary Educa tion/ Escwa (U . N) .- Newyork , 1999.
- Inflation in The Escwa Region: Causes and Effects / by Escwa (U.N.)- New york, 1999.
- lettres aux générations futures / unesco .- paris/ 1999.
- la population de l'Afrique Subsaharienne/ par Danil Moir .- paris : Unesco , 1999.

- Proceedings of THe Expert Group Meeting on Harmonization of Environmental standards in the Water Sector of Escwa Member States , Beirut , 28 sep . 1 . oct . 1999/ by Escwa (U . N) .- Newyork , 1999.

- Statistical yearbook , 1999/ Unesco .- paris , 1999. (In Three languages : English , Frensh and Spanish).

- les Syndicats dans le Secteur non Structuré : quelques repères/ Bureau International Du Trauail , Geneve , + 1999 .

- Survey of Economic and Social Development in the Escwa Region , 1998 - 1999/ U . N .- Newyork , 1999.

- La Violence Au Travail/ Par Duncan Chappell et Vittorio Di Martino / .- Geneve , 2000. publ . by : Bureau International du Travail , Geneve

- Unesco publications , 2000.- Unesco , 1999. (Contents in English , frensh and Spanish).

2- Periodicals:

- The Arabist, Budapest Studies in Arabic , Hungary. No. 19 - 20, 1998 (Proceedings Of The Arabic and Islamic Sections of The 35Th International Congress of Asian and Norh African Studies, Part one).

- Beijing Review, China. Nos. :31, 32, 33, 34, 36, 37, 38, 39, Vol. 42, 1999.

- Bulletin officiel, Geneve. No. (1), vol. Lxxxii, 1999. Publ. by: Bureau INternational Du Travail.

- le Courrier Unesco. Nos. Octobre. Décembre 1999.

- EFA, 2000, Unesco.

No. 37, Octobre - Décebre, 1999.

- Folia Orientalia, Review of Oriental Research, Poland.

Vols.: xxx, xxxI , xxxII, 1994, 1995, 1996.

(Publ. by: Polish Academy of Sciences, Krako´w, Poland.

- Hamdard Islamicus, pakistan.

No. (2), April- June 1999.

publ. by: Bait al - Hikmah, karachi, Pakistan.

- Ibla, Revu De l´ Institut Des Belles Lettres Arabes, Tunis.

No. 184, 1999 - 2

- International Family Planning Perspectives,u. s. A.

Nos.: 3, 4, 1999.

Publ. by: The Alan Guttmacher Institute.

- Ma´árif, Monthly Journal of Darul Musannefin Shibli

Nos. : Sep., Oct., Nov., Dec., 1999.

- Mélanges De l´Université Saint- Joseph, Beyrouth.

Tome LTV, 1995 - 1996

- The Middle East Journal, u.s.A.

No (4) , Autumn, 1999.

Publ by: Middle East Institute, washington.

- le Muséon, Revue D´Études Orientales, louvain - la - Neuve.

Tome 112, Fasc. 3 - 4, 1999.

- The Muslim World, u.s.A.

Nos. : 3 - 4 1999.

Publ. by: The Ducan Black Macdonald Center at Hartford Seminary.

- Nature Resources, Unesco.

No. (3&4), 1994

Nos.: 1, 2, 3, 1995
No. 3, 1999
- Patrimoine Mondial, Unesco
No. 12, 1999
- Population and Development Review, Newyork, u.s.A.
No. (3) , September, 1999.
Publ. by: Population Council.
- Revue internationale des Sciences Sociales, Unesco.
No. : 161, 162, 1999.
- Self - Realization, Los Angeles, u.s.A.
Nos. : fall, winter, 1999
publ, by: self - Realization fellowship, u.s.A
- Das Shweizer Buch, switzerland.
No. : 20, 21, 22, 24, 1999
(Bibliographie nationale Suisse).
- SGI Quarterly, Tokyo, Japan.
No. (19), 1999.
- Skipping Stones, A Multicultural children's Magazine , u.s.A.
Vol. 11, No. (4), 1999.
- Sources, Unesco.
No. : 115, 116, 118, 119, 1999
- Supplement of The Bulletin of labour statistics, BIT. Geneva
nos. : 2 , 3, 1999
- Travail, le Magazine De l´óit, BIT. Geneva.
No. (32), 1999

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والسبعين
وفيه القسم الأول من بحوث ندوة
(إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته)
(من ٢٥حتى ٢٨/ ١٠/١٩٩٩)

(الصفحة)

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»

عدد خاص

وفيه تتمة بحوث ندوة

(إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح)

(من ٢٥ حتى ٢٨/ ١١/ ١٩٩٩)

رجب ١٤٢١ هـ

تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٠م

تأمّلات في مصطلحات علم السكّان

د. عبد الكريم اليافي

علم السكّان أو الديمغرافية:

هو علم حديث ظهر في القرن العشرين وتقدَّم تقدُّماً كبيراً بعد الحرب العالميّة الثانية وإن كانت أصوله عربيّة قديمة . وتتجلّى مناهجه العلميّة القويمة خاصّةً في مقدّمة ابن خلدون. وقد كنّا جلونا ذلك وبيّنّاه في كتابنا «معالم فكريّة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية» (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) وأكّدنا ضرورة نسبة هذا العلم في تأسيسه إلى ابن خلدون بدلاً من التاجر الإنكليزي جون غرونت John Graunt كما فعلت الدورة الثالثة لمعهد الإحصاء العالمي المنعقدة بباريس سنة ١٩٦١ حين بحث علماؤها تاريخ ميلاد هذا العلم.

ولفظ الديمغرافية[١]، مؤلف من جزءين يونانيّين demos أي الشعب أو السكان، و graphein أي الوصف. وأُرِيدَ تغيير هذا اللفظ المتضمِّن معنى الوصف فاستُبْدِل به الديمولوجية للإشارة إلى الناحية العلميّة الوطيدة فيه إذ كان الجزء logos يومئ إلى العلم. فلم يُتَحْ لهذا اللفظ الانتشار ولا البقاء.

---

(١) أول من استعمل هذا اللفظ الباحث الفرنسي Achille Guillard سنة ١٨٥٥ في كتابه:

Eléments de statisque humaine ou démographie comparée

ويُعَرَّف هذا العلم الان بأنه دراسة المجتمعات البشريّة من حيث حجومُها وبِناها وتطوّرها وخصائصها العامّة ولاسيما من الناحية الإحصائية والرياضيّة.

المعجم الأول للمصطلحات السكّانية هو المعجم الديمغرافي المتعدد اللغات:

طلبت لجنة السكان بمنظّمة الأمم المتحدة في دورتها الرابعة إلى أمين المنظّمة إدخال مشروع يقتضي وضع معجم ديمغرافيّ متعدد اللغات في برنامج عملها.

ثمّ عرض الاتّحاد العالميّ لدراسة السكّان العلميّة مشاركته في هذا المشروع. وتألّفت لجنةٌ من علماء بعض الأقطار لتأليف هذا المعجم. وقد هُيِئَتْ مسودَّة له سنة ١٩٥٤ أُرْسِلَتْ إلى العاملين في بحوث السكان ليروا رأيهم في المصطلحات المؤلّفة. ثم عمدت اللجنة بعد تلقّيها مختلف الآراء وقبول ماهو مناسب إلى صوغ المعجم وطبعه بصيغته التي ظهر بها في الفرنسيّة والإنكليزيّة (عام ١٩٥٨) والإسبانيّة (عام ١٩٥٩) وهي اللّغات العمليّة التي كانت إذ ذاك لمنظّمة الأمم، أي بعد مضيّ أربع سنوات على نشر المسوّدة.

النص العربي للمعجم الديمغرافيّ:

في غضون تدريسي بالجامعة السوريّة التي صار اسمها بعد حين جامعة دمشق كنت مسايراً للبحوث السكانية في أكثر الأقطار، فاطّلعت على فكرة وضع ذلك المعجم منذ بزوغها، كما اطّلعت على نسخة المسوّدة الوقتيّة ثمّ على طبعتها المعتمدة باللغات الثلاث.

ولم تكد تلوح الوحدة بين سورية ومصر حتى قدّمت اقتراحاً بوضع نسخة عربيّة لهذا المعجم الذي لم يمض على صدوره سنة واحدة. وقد أقرّ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية

العربية المتحدة هذا الاقتراح سنة ١٩٦٠، وعُهِدَ إليّ وإلى الدكتور عبد المنعم الشافعيّ من القاهرة في أمر النصّ العربي. وتقاسمنا كلانا الفصول. وعلى الرغم من انفصام الوحدة بعدئذ وتدابر الإقليمين الشقيقين استطعنا أن نجتمع وأن نتذاكر في النصّ العربيّ المهيّأ سنة ١٩٦٣ ثم نُنْهي إلى المجلس الأعلى النصّ الذي اتفقنا عليه بعد جهد جاهد ومناقشات طويلة استمرّت نحواً من الشهر واشتملت على نصيب من التساهل حسماً للخلاف ورغبةً في الإنجاز.

ولم يكن الغرض مجرّد ترجمة المعجم الإنكليزي أو الفرنسي إلى العربيّة. وإنما كان الغرض وضع المصطلحات السكانية وتعريفاتها باللغة العربية بحيث يحمل كلٌّ مصطلح منها رقماً إلى جانب رقم الفقرة التي يرد في ثناياها. فالمصطلح محدَّد برقمين: رقمه هو ورقم الفقرة التي هو فيها. وذلك بالاستناد إلى المصطلحات الأجنبية ودلالاتها. وهكذا لايوجد في كلّ معجم إلاّ لغةٌ واحدة يمكن مقابلة كلّ مصطلح فيها عند الحاجة بمصطلح اللغة الأجنبية فرنسيّة أو إنكليزية أو إسبانية أو غيرها بالنظر إلى الرقمين في المعجمات المقابلة. وهذا من شأنه تحديد معاني المصطلحات بإيراد تعريفات لها دقيقة مطابقة، ومن شأنه أيضاً تيسير الترجمات من لغة إلى أخرى في هذا المضمار وتنسيق البحوث فيه. وذلك كلّه بإضافة ما هو خاصٌّ بثقافة أهل اللغة وعاداتهم ومعاملاتهم مما يتعلّق بقضايا السكان. والإضافة تكون في حاشية كل فقرة. وقد ظهر المجلد العربي سنة ١٩٦٦ في القاهرة أي بعد انسلاخ خمس سنوات على إعداده. وكان هذا التأخير إجرائياً محضاً، ولا علاقة له بإنجاز النصّ.

ولم نجد أنا ورصيفي عقباتٍ بارزةً في وضع المصطلحات الديمغرافيّة الحديثة باللّغة العربيّة الواسعة المطواع. وإنما كانت الصعوبة في اختيار أنسب

المصطلحات وأمثلها وأشفّها دلالةً عن المعاني.

سأعود بعد قليل إلى هذا الموضوع لأوضح كيف تمّ ظهور المعجم العربيّ. هذا ولم نكن نعمد إلى اختراع ألفاظ غريبة وغامضة إلاّ عند الحاجة القصوى. وإلاّ فإنه متى اتضحت الفكرة وكان المرء عالماً بها وملك جانباً من زمام التعبير في اللغة العربية جاء الاصطلاح يسيراً. ولعلّ بعض الأمثلة يوضح مانريد.

أمثلة على معالجة المصطلحات:

قد يَتَرَدَّدُ الّذين يكتبون في علم السكان تلقاء المصطلح الفرنسيّ:

dureé moyenne de la vie, espérance de vie,

أو ما يقابله في اللغة الإنكليزيّة:

mean length of life, expectation of life

فيقولون: أمل الحياة أو يقولون: توقع الحياة. فلا يكاد المرء يفهم من ذلك شيئاً. وهنا نحبّ أن نشير إلى أن الّلغات الأجنبية في غالبيّتها لغات جامدة توضع المصطلحات فيها دون أن تشفّ تمام الشفوف عن حقائق المعاني أو كنه المراد.

إن ذلك المصطلح الأجنبيّ يعني مايتحصّل إحصائياً إذا أخذنا جيلاً من الناس أي أناساً أتراباً أو لِداتٍ ولدوا في سنة واحدة وطبّقنا عليهم نسب الوفيات الجارية في مجتمعهم سَنةً تِلْوَ سنةٍ حتى فنائهم جميعاً وقسمنا على عددهم مجموع آجالهم فذلك هو ببساطة الوسط الحسابي لآجالهم أي هو «الأجل المتوسط». وإذا اعتبرنا مدة الحياة التي يعيشها كل منهم قلنا «العمر المتوقَّع». فالعمر المتوقّع بالنسبة إلى الجيل والأجل المتوسط هما بمعنى واحد. ولا شك أن التعبير العربي هذا أشفّ عن المرادَ من الألفاظ الأجنبيّة المتعددة

الطويلة الجامدة التي ليس لها رونق اللفظ العربي ولا طلاوته ولا دقّته ولا شفوفه. وعندما نقرأ في الصحف أوالمجلاّت العربيّة موضوعاً يمس هذه الأمور نعجب من كاتبيها أو مترجميها حين يقولون ما معناه أن حياة الإنسان قد طالت في العصر الحاضر. وإنّما الذي طال هو الأجل المتوسّط للمواليد بسبب نقص وفياتهم خلال العام الأول من حياتهم خاصّة. ولا شكّ في أن اختيارنا لهذا التعبير العربي متّصل بمصطلحات ديمغرافية أخرى يلزم تفريق بعضها عن بعض. وهي «العمر المتوسّط»، وهو الوسط الحسابي لجماعة من الناس أحياءٍ من أجيال شتّى. و «العمر الوسيط»، وهو العمر الذي يقسم جماعة من الناس أو مجموع الناس في المجتمع شطرين متساويين عدداً. و «العمر المعتاد أو النظامي»، وهو العمر الذي يبلغ عدد الوفيات في جيلٍ مُتَتَبَّعٍ نهايتَه العظمى أو أَوْجَه، أو هو « المنوال » لعدد الوفيات في الجيل بالتعبير الإحصائيّ. وهو ما أشار إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بعض حديثه لما بلغ الخامسة والستين حين قال ما معناه أنه أمسى في معترك المنايا دون أن يكون لديه علم بهذا المصطلح الإحصائي. وإنّما هو الحدس الإنسانيّ البليغ بالنسبة إلى ذلك المجتمع الغابر. و «الأجل الوسيط» أو «العمر المحتمل» هو العمر الذي يصبح عدد الجيل فيه نصف ما كان. هنا نستقرئ عدد الجيل سنة فسنة، بل بعض أجزاء السنة حين يتتايع أفراده إلى الموت. (التتايع بالياء هو التتابع إلى أمر مكروه.) أما العمر الوسيط المذكور آنفاً فهو يتعلق بجماعة من الأحياء فقط أيّاً كانوا فيقسمها قسمين متساويين.

وقد احتجنا في بعض المواضع إلى اعتماد ألفاظ قل استعمالها وإن كانت سليمة صحيحة. ففي فنّ التوليد تصنَّف الأمهات الحوامل اللواتي قرب مخاضهن باعتبار مرتبة أمومتهن إلى أبكار أو خُرُسٍ حَمَلْنَ ثم وضعن لأول مرة وإلى ضوانئ multipares, multiparous سبق أن

وضعن أكثر من مرّة. أما اللائي لم يَلِدْنَ قطّ فيجوز دعوتهنّ العُوط أو العائطات جمع عائط.

وقد شرحنا أمثال هذه الألفاظ في الحواشي. هذا وإن لفظ العائط، وقد يجمع على عِيط أيضاً، أوسع من لفظ العقيم لأن العائط ربما لا تكون عقيماً.

والألفاظ الأجنبيّة في فنّ التوليد مصطلحات علمية حديثة لا يفهمها إلاّ الأطبّاء وأصحاب الاختصاص وعلماء الأحياء. فالخَرُوسُ تقابل في الفرنسية primipare وفي الإنكليزية primiparous ولها مرادف باللغة العربية وهو البكر. ولكن هذا اللفظ في لغتنا له عدة معانٍ نقتصر منها ههنا على معنيين: الأول البكر العذراء وجمعها أبكار والمصدر البكارة. والثاني البكر المرأة والناقة إذا ولدتا بطناً واحداً. وهو ماأردناه في ذلك السياق. وتستشهد كتب اللغة على هذا المعنى بقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل
مطافيلَ أبكارٍ حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

كما تورد قول أبي الهيثم شارحاً هذه التسمية حين قال: «والعرب تسمّي التي ولدت بطناً واحداً بكراً بولدها الذي تبتكر به». ولقلة شيوع المعنى الثاني أردفنا لفظ الأبكار بالخُرُس جمع خروس وهي البكر في أول حملها. هذا والشيء بالشيء يذكر. فالخُرْس طعام الولادة. والخُرْسة بهاء ماتُطْعَمُه النُّفَساءُ نفسُها على حدّ إيضاح ابن جنّي.

ومهما يكن من أمر فقد سبقت العربية إلى وضع تلك المصطلحات الحديثة.

كذلك لم نجد في بحوث الولادة والإسقاط والوضع والتعمير والمرض والوفاة حرجاً في جانب اللغة العربية. بل كانت تُمِدُّنا بألفاظ وتعابير غَنيّة وسهلة إلى درجة أنّ رصيفي رحمه الله قال بعد تردّدٍ: إنّ الألفاظ العربية التي ضربنا صفحاً عنها ربّما يحتاج العلم إليها في المستقبل عند تقدُّمه أشواطاً بعيدة.

يمكن إيراد أمثلة أخرى في أرجحيّة التعابير العربيّة الحديثة على أمثالها في اللغات الأجنبية أو مكافأتها لها. ولكنّ هذا الموضوع يقتضي تفصيلاً ربّما لا يستسيغه الذين ليس لهم اختصاص في هذا الميدان مادام البحث قضية تعريب المصطلحات العلميّة.

وليس معنى ذلك أننا نجد في العربية ما يقابل جمع المصطلحات الأجنبية الحديثة. هيهات هيهات ! ولكن في مجال التنقيب والاشتقاق بأنواعه والنحت والتركيب والإبدال واعتماد مقاييس اللغة الكثيرة و «تطويع» الألفاظ الأعجمية وغيره سَعَةٌ أيُّ سَعَة.

عود إلى المعجم الديمغرافي المتعدّد اللغات العربيّ:

لِنَعُدْ إلى شأن هذا المعجم ولْنبيّن مشكلاتٍ تتعلق بمسألة شيوعه وانتشاره واعتماده وهو أنه بعد انفصال الإقليمين الشقيقين مصر وسورية واعتماد مخطوطة المعجم العربي أرسل إليّ مدير لجنة المعجم الدولية نسخةً مطبوعة يسألني رأيي فيها قبل اعتماد تلك اللجنة لها، إذ كنت صاحب الاقتراح الأوّل. فتجشّمت عناء المراجعة الدقيقة لهذا المجلد العربي وأثْبَتُّ جدولاً بالأخطاء المطبعيّة والألفاظ التي سقطت في أثناء الطبع، ثمّ أجزت الكتاب بشرط أن ينشر الجدول بذيله. بَيْدَ أن المجلّد العربي نشرته وزارة الثقافة دون إثبات التصحيح، مع أن المعجم، كلّ معجم، ينبغي أن يكون

خِلْواً من التحريف والتصحيف والسقطات وأمثالها. وقد طبع منه خمسمئة نسخة فقط كما ترامى إليّ ولم يَرُجِ الرّواج اللازم له في الجامعات والمعاهد مع حاجتها إليه. كذلك لم تصلني إلاّ النسخة التي بعث بها مدير لجنة المعجم الدولية إليّ مع أني صاحب المشروع. وقد تابعته من أوله إلى آخره.

ومع عيوب المجلّد العربي فقد استفادت منه الجمعية الإحصائية للبلاد العربية، وأصدرت «قاموس المصطلحات الإحصائية والديموجرافيّة» (إنجليزي عربي) لا يحمل تاريخاً بترجمة عبد المنعم الشافعيّ وحسن محمد حسين وأحمد عبادة سرحان وخطاب محمد حسنين. أشاروا في مقدمة هذا القاموس إلى أنّهم اعتمدوا في جملة مااعتمدوه «المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات» الذي شاركتُ في وضعه. وكذلك أصدر «المركز الديموجرافي لشمال أفريقية بالقاهرة» سنة ١٩٦٧ «القاموس الثلاثي للمصطلحات الإحصائية والديموجرافية» (عربي إنجليزي فرنسي عربي) أشار زميلي الدكتور عبد المنعم الشافعي مدير المركز إذ ذاك في تصديره له إلى معجمنا الديموجرافي العربي السابق.

إن التوفيق في وضع أمثال هذه المعجمات ليس أمراً يتعلّق بالبلاد العربيّة وحدها بل هو شأن ثقافيّ وإنسانيّ له علاقة بأقطار متعددة تجمعها والبلاد العربيّة جذور ثقافية أصيلة قويّة. فلقد كتب إليّ «الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلميّة» يسأل عن أخبار المجلّد العربي بعد ذيوع إنجازه لأن بعض البلدان تطلبه لوضع معجمات بلغتها مما له صلة بالثقافة العربية كإيران وباكستان وأندونسيا وتركيّا.

ذلكم أن قضايا السكان ومايجري مجراها من مواليد ووفيات وزواج وطلاق ذات وشائج عميقة باعتبارات حضارية شاعت وعمّت أقطاراً متعددة. ولما كانت اللغة العربية مَعِيناً ثرّاً في الماضي مُعِيناً لمختلف اللغات فقد

تجد هذه اللغات عوناً ما أوْرِفْداً حين تصادف ضالاّتها مُيَسَّرةً مُذلَّلةً بسيطةً في اللغة العربيّة. وهكذا يكون عكوف الباحثين في البلاد العربيّة على اللحاق بالتراث العالميّ في مصطلحاته دعماً أكيداً لزملائهم في كثير من الأقطار الناهضة.

على أنّ العلم في تقدمّه لا يقف عند معجم أو كتاب، بل هو حثيث السير قُدُماً تنبت على صعيده المصطلحات الحديثة كلَّ يوم. ولهذا أصبح المعجم الديمغرافي ذاك عليه مَسْحَةٌ من القدم بالنسبة إلى علم السكان الحاليّ وبالنسبة إلى مصطلحاتٍ جَمَّةٍ مستجَدَّة. فعمد «الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية» منذ حين إلى تأليف لجنة جديدة تضع معجماً جديداً على غرار المعجم القديم، ولكنّه أوفى منه بالحاجات العلميّة الناشئة.

المعجم الديمغرافي الجديد:

إن وضع معجم جديد ليس بأقل صعوبة من وضع المعجم الأوّل. وذلك لصعوبة تجميع المصطلحات الجديدة ولمّ شعثها واصطفاء أصحّها وأمثلها في لغات عالمية كالإنكليزية والفرنسية وغيرهما ومقارنة بعضها ببعض. ومما هو جدير بالتنويه أنّ معجمنا العربيّ الأوّل الذي تكلّمنا عليه آنفاً سبق في ظهوره بعض المعجمات الأجنبية كالمعجم البولوني (١٩٦٦ نفس السنة) والسويدي (١٩٦٩) والبرتغالي (١٩٦٩) والصربي الكرواتي (١٩٧١). ولولا انفصام وحدة مصر وسورية لكان معجمنا أشدَّ تبكيراً وأعجل أسبقيّة. ظهر المعجم الألماني (عام ١٩٦٠) والفنلندي (١٩٦٤) والرّوسي (١٩٦٥) ونحن لا نشكّ في قدرة اللغة العربيّة على استيعابها واستجابتها لتقدّم العلوم.

أمّا إن كانت هنالك مشكلات ومشقّات فإن في جميع اللغات مشقاتٍ ومشكلاتٍ في ابتداع المصطلحات الحديثة والتقاطها واختيار

المناسب منها. ومن يطالع تاريخ اللغات الأجنبية وتكوّنها ومشكلات مصطلحاتها الحديثة يغمره العجب من مرونة لغتنا العربيّة وسعتها كما يبهره الإعجاب بها.

وما دُمْنا في صدد التعريب عامّةً وعلم السكان خاصةً فلعل مثالاً بسيطاً نورده يدلّ على مرونة هذه اللغة. نأخذ كلمة في علم السكان فرنسية شائعة وهي statistique de l’ état civil ومقابلها بالإنكليزية vital statistics وعلى الرغم من أن لفظ vital من أصل لاتينيّ لم يعتمده الفرنسيون في هذا السياق . ونحن في اللغة العربية نقول: «إحصاء الأحوال المدنية» مقابل المصطلح الفرنسي، و «الإحصاء الحيويّ» مقابل المصطلح الإنكليزيّ، وإن كنّا نرغب في الاقتصار على اصطلاح واحد.

وقد أصبح التعبير العربي المقابل للفظ الإنكليزي أشيع وأعمّ بتأثير اللغة الإنكليزيّة في بعض الأقطار العربية ولذيوعها العالمي.

اللغات الأجنبيّة ضيّقة ضَحْلة. مثال ضَحْلها وضيقها أيضاً أنّ اللغة الإنكليزيّة حين تريد أن تفرق بين معدّل الوفيات death rate أو الموَتان - على حدّ تعبير ابن خلدون وأشباهه القدماء وبين نسبة الوفيات أي احتمالها mortality rate تعمد إلى اللغة اللاتينية، وهي لم تتحدّر منها فتستعير اللفظ mortality. أمّا اللغة الفرنسيّة فإنّها تعمد إلى تغيير لفظ المعدّل في taux de mortalité فتستعملُ لفظَ خارجِ القسمة للدلالة على التعبير الثاني فتقول quotient de mortalité . ولسنا ههنا بصدد بيان الألفاظ العربية الكثيرة الدالة على الهلاك بأشكاله المتنوّعة وسياقاته المتفاوتة، حفظ الله على السادة القرّاء حياتهم وحيّاهم وأمَدَّ في أعمارهم وأمتعهم بخيرات الدنيا والآخرة. فهم بخبراتهم يعرفون تلك المفردات أو يسعهم الرجوع إليها في بطون كتب اللغة الشهيرة.

وقد تتدابر اللغتان العالميّتان الحديثَتان فلا يكون المصطلح الفرنسيّ مقابلاً للمصطلح الإنكليزيّ مع اشتراكهما في جذر اللفظ الواحد. هنالك العُرْف والتواطؤ والاستعمال، وهي أمور تحدّد الدلالة. فلفظ خصب مثلاً بالإنكليزية fertility يقابله بالفرنسية fécondité، ويراد بهما في علم السكان حصول التوالد أو مَدَى التناسل. ولفظ fecondity بالإنكليزية يقابله بالفرنسية fertilité أي استطاعة الإيلاد أو القدرة على الإنسال أو النَّجْل. وضدّهما بالإنكليزية sterility, infecundity وبالفرنسية stérilité أي العقم والعقر. وقد نبّهنا على هذا الاختلاف بعض القائمين على المعجم الطبيّ الموحدّ السابق الذي قابل بين اللفظين وسوّى بينهما خطأً بالنظر إلى جذريهما.

كذلك ربما لا يكون للمصطلح في لغة أجنبية ما يكافئه بالضبط في لغة أجنبية أخرى كالإنكليزية فيستعان عليه بألفاظ أخرى لا تقابل لفظه بل قد لايوجد له مقابل مستعمل في هذه اللغة.

ومع هذه الصعوبات فقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب تلك المشكلات وأن تجد في غناها الألفاظ المقابلة أو أن تضع ألفاظاً جديدة ملائمة.

لقد أعرب مجلس الاتحاد الدولي المنعقد بمدينة لييج (بلجيكا) في نيسان ١٩٦٩ عن ارتياحه إذ حقق المعجم ماتنتظره منه هيئات الديمغرافيين العالمية وقرّر أن الحاجة غدت ماسّة إلى إعادة النظر فيه وتجديده بسبب تطوّر البحوث في إبّان السنوات التي مرّت على ظهوره. فأُلِّفتْ لجنة جديدة استطاعت بالتمويل الماديّ الذي قدّمه مكتب التعداد في الولايات المتّحدة أن تباشر أعمالها عام ١٩٧٢ وتختمها في عام ١٩٧٤ وأُوكل إلى السيّد لويس هنري الفرنسي كتابة النصّ النهائي، وقد ظهر المعجم الجديد الفرنسي عام ١٩٨١. وتلاه النصّ الإنكليزي عام ١٩٨٢

وشعرت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربيّ آسيا بالحاجة إلى تجديد النصّ العربيّ الأوّل توحيداً للمصطلحات الديمغرافية العربية ومواكبةً للتطور الحاصل في هذا المضمار ودعماً لأعمال التأليف والترجمة والبحث. وقد وافق صندوق الأمم المتّحدة للنشاطات السكّانية على تمويل هذا المشروع.

وعقدت عدّة اجتماعات للمختصين، وأُلِّفَتْ لجنة لهذا الغرض تضمّ عبد الكريم اليافي (سورية) رئيساً ومقرّراً ومتّى عقراوي (العراق) وعبد الواحد المخزومي (العراق) وعبد المجيد فرّاج (مصر) ومحمود سكلاني (تونس)، ثم دعي رئيس اللجنة لكتابة النصّ العربيّ النهائيّ بشكله الحاضر. فظهر منضمّاً إلى أمثاله وأشباهه حاملاً هذه المرّة شعار الأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا) وشعار الاتحاد الدولي لدراسة السكان العلمية، عام ١٩٨٤.

لقد كُتِبَ في مستهلّ النصّ العربيّ مايلي:

«يمكن للباحثين ولمؤسّسات التدريب المَعْنِيَّة بالأمور السكانيّة الحصول على نسخ من هذا المعجم مجّاناً من «اللجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغربيّ آسيا. ص ب : ٢٧ بغداد ـ العراق».

ورأت اللجنة الاقتصاديّة الإفادة من النصّ العربيّ في وضع قاموسٍ ديمغرافيّ باللغات الثلاث فكلّفت رئيس لجنة المعجم العربي تجميع المصطلحات باللغات الثلاث العربيّة والإنكليزية والفرنسية وعمدت إلى ترتيب ما تَجمَّعَ بالحاسوب مع احتفاظ كل مصطلح برقميه: رقمه الخاصّ ورقم الفقرة التي هو فيها، وأصدرت سنة ١٩٨٨ ـ «القاموس الديمغرافي الثلاثي»، وهو يتألف من ثلاثة أجزاء في سِفْرٍ واحد:

(١) عربيّ إنكليزي فرنسيّ.

(٢) إنكليزيّ فرنسيّ عربي.

(٣) فرنسيّ إنكليزيّ عربيّ.

ويُعَدُّ هذا القاموس تكملةً للمعجم الديمغرافيّ العربيّ الصرف. وفي هذا تيسيرٌ أيُّ تيسير للباحثين في توازي المصطلحات العربية والأجنبية وتقابلها.

ولكن حرب العراق وإيران وحربي الخليج حالت دون ذيوع القاموس والمعجم العربيين، ودون تمام الإفادة من ذلك العمل الديمغرافيّ التعريبيّ العالميّ. (كانت بغداد مقرّ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربيّ آسيا. وبسبب آفة الحرب غادرت اللجنة مقرّها ومتاعها).

ربما يَرِدُ إلى الذهن أننا هنا في ميدان علم السكان على صعيد خاص وهو شؤون الحياة والصحّة والمرض والموت. وقد بلا العرب قديماً فيهامختلف الصروف ورصدوا شتّى اللحظات والملاوات والتقلّبات. ولكن كيف بنا إذا عالجنا موضوعاً يتعلّق بالمستحدثات الجديدة والأساليب المستطرفة، كما في الفيزياء الحديثة مثلاً؟!

نقول إننا لاندّعي أنا نملك أدوات البيان العربي كلَّها ولاجُلَّها، ولا أنّا مطّلعون تمام الاطلاع على خزائن اللّغة وكنوز علومها. ومع ذلك فإنّا نحترم هذه اللغة العظيمة ونقدرها حق قدرها، ونحاول أن نعرب فيها إعراباً دقيقاً عمّا نملكه من معرفة واطلاع. وقد أتيح لنا في الماضي أن نعلّم في كليّة العلوم بجامعة دمشق الفيزياء الحديثة وأن نعالج في تعليمنا أدقّ البحوث. فلم نجد في اللغة حرجاً ولا في جانبها ازوراراً ولا في وضع المصطلحات المناسبة فيها عقبات. وألّفْنا فيها كتابينا «الفيزياء الحديثة والفلسفة» ثم «تَقَدُّم العلم». هذا بجانب تأليفنا في علم السكان بعض الكتب التي كانت ركناً قوياً ووطيداً في نشوء علم السكان في الجامعة وتدريسه وتخريج أساتذة وخبراء فيه دون حاجتهم إلى الدراسة في خارج البلاد. والفضل في ذلك لِغِنى العربية وطواعيتها قبل كل شيء. المشكلة في رأينا مشكلة إلمام كافٍ باللغة العربيّة.

وليست لغتنا صعبة كما يتوهّم أويدعي فريق من الناس. لبعض اللغات غنىً يشبه شيئاً من الشبه غنى العربيّة كالروسيّة وتزيد هذه على العربية في تصعّب أشكال الإعراب المتعددة، هذا فضلاً عن الصينية واليابانية. إن حُسْنَ الإلمام بالعربية وضبط مبادئها ومعرفة أساليب البيان فيها أمرٌ ذو شأن في الوقت الحاضر، ندعو إلى معالجته معالجة سليمة والتفكير فيه تفكيراً مُجْدِياً. ولن يعدم الباحثون فوائد تعود بالخير والنجاح. فاللغة نسغ الحياة الفكرية ومطيّة الثقافة الإنسانية وأحد سبل تحقيق القيم الرفيعة. بل هي أغلى الروابط القوميّة وأعلى الأواصر الحضاريّة

الخلاصة أن قضايا المصطلحات ومشكلات وضعها وتوحيدها ونشرها واردة في البلاد المتقدّمة ورودها في البلاد الناشئة. ولابد لنا من بذل الطاقات واعتماد التمويل الكافي في تذليلها ونُجْحِها وفلاحها، كما رأينا في عرض تاريخ المصطلحات السكّانية الحديث. ثُمَّ إن التَّقَوِّيَ بمعرفة اللغة والتمكّن من علومها ولاسيّما في ريّق الصبّا وريعان الشباب لدى الجيل الناشئ من شأنه في المستقبل أن يسهّل مصاعب التعريب ويمهّد عقباته وييّسر سبل البيان الصحيح. كذلك تعاون الباحثين والهيئات الوطنيّة في البلد الواحد وتقاربُ الأقطار العربيّة لأياً بعد لأي وخطوةً تِلْو خطوة وذراعاً غِبَّ ذراع وتضامُنَها قليلاً أو كثيراً ، إن لم نَقُلْ اتحادَها، وتيسيرُ تبادل الكتب والمجلات والمعارف بينها وتكريرُ الندوات العلميّة والأدبية في أحضانها كلٌّ ذلك كفيلٌ بأن تتجاوز اللغةُ العربية والتعريب مايُبَيَّتُ دونهما من ضغنٍ وكَيْدٍ، ومايحاك من تَخَرُّصٍ وتربُّص، ومايُبَثُّ من تَنَكُّرٍ وفساد. ومع ذلك فنحن حين ندرك مساعي الهيئات الجادّة ونتعرّف جهود الأفراد والمسؤولين المشكورة تمتلئ صدورنا بأشعّة التفاؤل فَنَرْنُو إلى الغد بابتسامةٍ حلوةٍ مستبشرة وإيمان واثقٍ وعميق.

المصطلح العلمي
بين الأمس واليوم

د. عبد الهادي التازي

لم يَشغَل الناس شيء - عبر تاريخهم الطويل - أكثرُ من بحثهم عما يرد على بيئتهم من تعابير وكلمات غريبة لما اعتادوا استعماله في لغتهم الأصلية التي نشؤوا بين أحضانها وتغذوا بلبانها...

ومما زاد في انشغالهم أن هذه الألفاظ الواردة لم يكن لهم عن استعمالها محيد، فإما أن يجدوا لها في لغتهم مقابلاً يستعينون به لإثراء معرفتهم، وإما أن لا يجدوا ذلك المقابل وهم آنذاك بين اختيارين اثنين:

الأول أن يبتكروا لهم لفظاً يركبون متنه ...

الثاني أن يقبلوا اللفظ الغريب على ما هو عليه.

والمهم بالنسبة إلي أن أقول: إن ذلك الانشغال الذي عرفه من سبقونا وظل هاجسهم على مانتحسسه مما كتبوه أو دونوه، هو نفسه انشغالنا وهمنا اليوم ... وأظنني بحاجةٍ في هذا الصدد إلى التذكير بقولة مجْد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط: إن أبا نصر الجوهري صاحب كتاب الصِحاح فاته نصف اللغة أو أكثر ...

وأعتقد - بالمقابل - أن من المفيد أن أردد هنا كذلك أن العلامة اللغوي المغربي أبا عبد الله محمد الفاسي الشهير بابن الطيب الشركي أدى الفكرة

نفسها في حواشيه المفيدة التي جعلها على القاموس المحيط والتي استفاد منها كثيراً الزّبيدي في تاج العروس ...

وربما كان من المهم أن أُذكّر هنا بأول معجم طبي لغوي في التاريخ ألفه عالم جليل هو عبد الله الأزدي الصُّحَاري الذي ـ بعد أن رحل إلى بغداد ودخل بلاد فارس وتتلمذ على البيروني وانقطع إلى الرئيس ابن سينا ـ بعد هذا رحل إلى بلاد الأندلس عبر المغرب واستقر ببلاد بلنسية حيث كشف عن عبقريته النّادرة في الطب والكيمياء وغيرهما إلى أن أدركه أجله. هذا الرجل هو صاحب الموسوعة التي ظهرت مؤخراً في عُمان تحت عنوان **«كتاب الماء»** وهو ما قلنا عنه إنه **أول معجم طبي لغوي في التاريخ**.

كان من ابتكارات هذا الصُّحاري فيما يتصل بالمصطلح، وهذا مايهمنا، أنه إذا كان اسم المرض أو الدواء أو النبات الطبي أعجمياً اجتهد في وضع ما يقابله **باللغة العربية**، ولأجل هذا نراه أحياناً يذكر اللفظ مع الجذر العربي ثم يشير إليه في جذره الأعجمي ... فإن لم يجد للفظ الأعجمي مقابلاً فهنا نرى أن هذا الرجل الذي نعته الدارسون له بالعبقري، نراه لا يتهيب إطلاقاً تبني اللفظ العجمي في سبيل أن يعجل بالفائدة لقراء اللغة العربية، وهكذا نجد الكلماتِ الأجنبيةَ التي شاعت، وأصبحت جزءاً من الصناعة الطّبية ككلمة المالَنْخوليا (اسم لنوع من الجنون) وكلمة الأسْطُقس لما ينحل إليه الشيء والكَيْمُوس الغذاء الذي تغيّرت صورته: والهَيُولَى بمعنى المادة الأولية للشيء، ... وهذا التفتح من الصُّحاري هو الذي لمسناه فيما ألفه أبو بكر ابن زهر الحفيد (ت ٥٠٧ = ١١١٩) وخاصة في اختصاره لكتاب (حيلة البرء) لجالينوس.

فلقد استعرض ابن رشد الحفيد ذلك التأليف بما فيه من ذكر الأدوية المفردة وبما فيه من الأدوية المركبة: أقراباذينات (AKRABADHIN)

بأسمائها اليونانية والفارسية، الأمر الذي يكشف هو الآخر عن الجسور التي كانت تربط بين الحضارة العربية والحضارات الأخرى ...

وكل هذه المناهج تذكرنا جيداً بما قرأناه في كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) للطبيب الصيدلي ابن البيطار الذي ينصح بل يلح على أن يكون هذا المبدأ هو المنهج المتبع من لدن العلماء وهم يحاولون نقل ثقافة الغير إلينا ...

وهذا هو السر في أننا نجد **مفردات ابن البيطار** أحياناً باللغة العربية وأحياناً بغير العربية، لقد كان هدفه الأول أن يُحكم القبضة على المادة ومن ثمة فإنه يذكر الأدوية بسائر **اللغات المتباينة السّمات** على حد تعبيره، وهو يؤكد أنه لم يأت باسم غير عربي لدواءٍ إلا عندما تكون هناك منفعة مذكورة أو تجربة مشهورة، وفي هذا الصدد أفاد ـ من غير أن يشعر بمركب نقص ـ بأنه ذكر كثيراً من الأدوية بالأسماء نفسها التي تعرف بها تلك الأدوية في الأماكن التي تنبت فيها من يونانية وبربرية ولاتينية، قائلاً: وهي أي اللاتينية أعجمية الأندلس إذْ كانت مشهورةً وجاريةً في معظم كتبنا ...

أكثر من هذا يذكر ابن البيطار هنا قضيةً مهمةً لا تقل عن قضية المصطلح، ويتعلق الأمر بطريقة أداء الحرف اليوناني مثلاً بالحرف العربي الأمر الذي نحتاج للحديث عنه اليوم ونحن نكتب البربريةَ أو الفارسيةَ وغيرهما بحروف عربية[1].

(١) د. عبد الهادي التازي: حياة ابن البيطار، بحث قدم إلى المجلس الأعلى للعلوم، في أسبوع العلم الثالث والثلاثين جامعة حلب ١٩٩٣ ـ الطريقة النموذجية لتعريب العلوم عند الأقدمين بحث قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الستين مارس ١٩٩٤ ـ ابن زهر الحفيد، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ بجامعة ابن زهر أكادير ـ اهتمام الدولة العلوية بالترجمة العلمية بحث قدم لندوة أكاديمية المملكة المغربية بطنجة رجب ١٤١٦ = دجنبر ١٩٩٥.

وهكذا نلاحظ أن العلماء بالأمس عاشوا هموم المصطلح كما نعيشها نحن اليوم ولكنهم كانوا لا يترددون في اتخاذ المبادرة ...

وقد كان أشدَّ انتقاد وجهه الشيخ إبراهيم الأزرق الذي كان حيّاً سنة تسعين وثمان مئة في تأليفه (تسهيل المنافع في الطب والحكمة)، أقول أشدَّ انتقاد هو الذي وجهه لصنيع من سبقه من الحكماء عندما كانوا يذكرون بعض المصطلحات الأجنبية التي ليست لها حياة في عصره، وهو ـ لذلك ـ يبدلها بمصطلحات عربية مفهومة حتى لا يترك الطلبة يعيشون محنةَ اللامعلوم[١] ...

ولقد ازدهرت هذه الأبحاث التي نتناولها اليوم، ازدهرت بالمغرب قبل قرون خلت، وإن الذين اشتغلوا بها لم يَكونوا رجالَ علمٍ نظري فحسب، يكتفون بالرجوع إلى المصادر المدونة، بل إنهم كانوا في الوقت نفسه علماء نباتيين وأطباء وكيماويين، يقفون بأنفسم على الأعشاب والأحجار والحيوانات التي يحتاجون إليها في تركيب أدويتهم، يعرفون أعيانها وأسماءها باللغة الدارجة، ويستطيعون تطبيقها على أسمائها. بالعربية الفصحى ...

وهكذا عُنوا، في شخص ابن أبي سرحان الزموري، بالمصطلحات العلمية .. وقد اهتم الطبيب العلمي الذي درس الطب بالقاهرة في القرن الماضي، اهتم بالموضوع فألف كتابه: (ضوء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس) ... وجاء الأستاذ علال الفاسي ليجرد مفردات العلمي مقارناً إياها مع مفردات الزموري ومفردات الشهابي في (معجم الألفاظ

(١) د. التازي: الطب النبوي بين المشرق والمغرب مطبعة المعارف الجديدة سنة ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م.

الزراعية)[١]...

وإذا كان أمر المصطلح قد شغل بال الأطباء فإنه أخذ أيضاً باهتمام العلماء الذين يشتغلون في حقولٍ أخرى غير الطب، وهكذا عاينا حضور اللغة العربية في المجال الحضاري: في الحلية واللباس مثلاً، في الخطاب التكنولوجي كما نقول بلغة العصر الحديث، وجدناها حضورها في المؤلفات المتعلقة بعلوم الفلك والمتعلقة بالأسطول وأجهزته وقطعه، ووجدناها في المصطلح الحربي بما تشتمل عليه من مجانيق، على اختلاف أحجامها ووظائفها، ومن قِسِيٍّ على اختلاف قوتها[٢] ... ووجدناها في المنشئات الهيدرولية بما تشمله من جسور ودواليب وقنوات وأجهزةٍ لإنباط المياه الجوفية لمختلف الحاجات ...

وأرى من المفيد أنِ أشير مثلاً إلى ما كان يتطلبه بناء الساعة المائية التي حملت اسم (المنجانة)، وهو اسم من أصل فارسي كما نعلم، من مصطلحاتٍ علمية مثل الجبْح، والمِفْطس، والقِلّور، والمسْطرة والأُترجة، والبكَرة والإفريز[٣].

---

(١) د. الحريشي: من نوادر المخطوطات بمؤسسة علال الفاسي جريدة (العلم) عدد ١١ يونيه ١٩٩١.

(٢) أشرت إلى اختلاف درجات قوة القوس لأذكر بتعبير حضاري عظيم ورد في ترجمة الطبيب الشهير أبي بكر بن زهر الحفيد ٥٩٥ = ١١٩٩ عندما ذكروا أنه كان قوي البنية، قالوا «إنه كان يجذب قوساً مئة وخمسين رطلاً بالإشبيلي»، هذا تعبير علمي رفيع فإن الجذب يوازي في قوته كذا كذا رطلاً بمعنى أن ابن زهر وهو يجذب القوس فكأنما يحمل مئة وخمسين رطلاً.

د. التازي: ابن زهر الحفيد، الدرس الافتتاحي للسنة الأكاديمية ١٩٩٧ - ١٩٩٨ لجامعة ابن زهر في أكادير.

(٣) د. التازي: إسهام اللغة العربية في بناء الحضارة الإنسانية، بحث قدم للمؤتمر الثامن للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان.

ومن حسن حظ اللغة العربية أنها تميزت بأنها، هي هي، لغة سائر العصور، لغة السابقين ولكنها مفهومة عند اللاحقين، وقد سَخِر الرحالة المغربي من ترجمان قدم له في آسيا الصغرى فاكتشف أنه ترجمان ضعيف، وعوض أن يعتذر الترجمان عن قصوره في اللغة كان مكابراً وقال: إن ابن بطوطة يتكلم بالعربية القديمة[1] ! !

والآن وبعد أن ألممنا بعض الشيء بمحاولات أعلامنا بالأمس، هل في الاستطاعة أن نتعرف على الموقف اليوم من خلال وسائل الاتصال التي أصبحت في المتناول مع سائر الجهات المعنية في القارات الخمس؟

لعل من المطرف المعجب في ذات الوقت، أن نعرف أن نتائج البحث انتهتْ بي إلى الوضع نفسه الذي كان العلماء يسيرون على منواله بالأمس البعيد والقريب ! إن سائر الجامعات وشتى الأكاديميات والهيئات العلمية تتلقف المصطلح أيَّ مصطلح كان، وتتعامل معه من أربع واجهات، وسواء في هذه الخطة العالم الأنكَلوساكسوني أو الأوربي أو العالم الآخر الذي أعني به عالم اللغات الذي يتكلم بغير لغة هذين العالمين ...

الواجهة الأولى:

الترحيب بالمصطلح طبعاً بعد معرفة خفاياه وأسرار اختيار تركيبه، وفي كل الحالات إذا كان المصطلح يعني اسماً شخصياً لمخترع أو مبتكر فإنه يُحترم، ولا سبيل للتطاول على أسماء العلماء أو تجاهل أعمالهم وجهودهم.

الواجهة الثانية :

وهي التي تعنينا بالأساس: محاولة إيجاد نظيره في اللغة الوطنية، فهنا

(١) رحلة ابن بطوطة تحقيق د. التازي: ١٤١٧-١٩٩٧ ج ١١ ٣٢٦ - ٣٣٤، إصدار أكاديمية المملكة المغربية.

يقوم العلماء في هذه البلاد ممثلين في الجامعات والكليات والمعاهد، وفي المجامع اللغوية والأكاديميات المتخصصة، يقومون بمسحٍ دقيقٍ وشامل لكل ما تحتضنه معاجمهُم وقواميسهم من كلماتٍ وعباراتٍ من شأنها أن تؤدي معنى المصطلح نفسه من غير إخلال أو إجحاف، وهم يستعينون في هذا، وخاصةً اليوم، بمختلف المعلومات التي تقدمها بنوك المغطيات، وبكل الكفاءات العلمية التي يتوفرون عليها باذلين، بكل سخاء، لكل الخبراء الموجودين على الساحة، من أجل إيجاد اللفظ المناسب للمعنى المناسب. وعندما يقع إجماع الهيئة على اختيار لفظٍ من الألفاظ يُنتقل إلى مرحلة تزكية الاختيار من لدن السلطة الوصية التي تقوم اتخاذ القرار، الذي يكون إيجابياً في أكثر الحالات، تقوم بإصدار تعليماتها لكل الجهات المعنية بالمصطلح لكي تستعمله دون سواه في سائر نشراتها، وأعني بالجهات المعنية السلطات كلّ السلطات، ولابد أن أُذكّر هنا بدور وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في تعميم اللفظ الذي يصبح في عداد **اللغة اليومية للمواطنين** ... وهكذا يُضرب الحصار على اللفظ الدخيل ولا تبقى هناك حياةٌ إلا لهذه **الكلمة الوطنية ...**

الواجهة الثالثة:

وعندما يتعذر الوصول إلى إيجاد الكلمة المقصودة هنا يحاول العلماء وسيلةً أخرى يصلون بها عن طريق إضافةٍ في أول الكلمة الوطنيةِ أو في نهايتها، وهكذا يصلون إلى هدف مزدوج الفائدة: أولاً إبقاء المواطن على صلةٍ بما تعود سماعه في لغته، ثانياً كسب معنى جديد للكلمة بترتيبٍ آخر، هذا طبعاً إلى طرق أخرى تتمثل في النحت أو التركيب وما إلى ذلك من الوسائل التي نعرفها ...

الواجهة الرابعة:

بعد أن تُستنفد كلُّ هذه الوسائل تقرر الهيئة العلمية المؤهلة تبني المصطلح الوارد وتجعله ضمن قواميسها ولغة كتبها وصحافتها، وفي هذا القبيل يمكن أن نحصي طائفةً كبيرةً من **المصطلحات الفرنسية** مثلاً التي أصبحت مستعملة في اللغة الإنجليزية ، والعكس صحيح، ونجد كذلك بعضَ الكلمات الروسية التي تستعمل في اللسان الإنجليزي والعكس أيضاً صحيح...

وإن مجرد جولة فيما ينشر اليوم على الصعيد العالمي يجعلنا نقتنع بهذه المعلومة.

ولقد دفعني حب الاستطلاع، وأنا أقوم بزيارة بعض الجامعات في بلاد فارس أنْ أستمزج رأي المشرفين على المصطلحات العلمية ـ وليس الرموزَ العلميةَ التي يقتفون فيها النهج العالَمي ـ هذا الموضوع الذي يعتبر هناك من المشاغل الأولى للعلماء الغُيُر على اللغة الفارسية، وكان جواب إخوتنا هناك يتلخص في أنهم مهتمون بضرب **الحصار الصارم** ما أمكن على كل لفظ دخيل على لغتهم، ومن أجل هذا فقد أنشأوا لهم **هيئة خاصة موحدة** تسهر على تلقي المصطلحات والكلمات من سائر لغات العالم لتدرسها جيداً، معتمدةً على آراء الخبراء والعلماء من مختلف الجامعات والكليات، هذه **الهيئة الخاصة الموحدة** تحمل اسم (فرهنكَستان لغات): هي التي تقوم ـ في نهاية المطاف ـ بتجريد الكلمة الغريبة التي تضعها أولاً في خانة، وتقدم لها ثانياً تعريفاً علمياً دقيقاً، ثم تتبعها ثالثاً بما يقع عليه الاختيار من **الكلمات الفارسية**: الاختيار يتم أحياناً على كلمة واحدة، وأحياناً على كلمتين اثنتين ...

ولقد ضربوا لي المثل بكلمة (فاكس) التي لم يجدوا مناصاً من أدائها في كلمتين (نَمَابَر) ... كذلك كلمة (إنترْنيت) التي أدوها بكلمتين كذلك

(اطلاع رَسَاني) ... هـذا إلى طائفةِ أخرى من الكـلمات: باركينك، وبِيّجر وتِيرمنال وسِيمينار وفُورُوم وكاسِيت وكُوميسيون ومُوبَايل ومِيتِينك وهِيلُيكُوبتر والرَّدار ...

ومن الإنصاف أن نذكر أن المصطلحات العربية لا يشملها **هذا الحصار الصارم** لأننا نعلم أولاً أن إيران تمسكت بالحروف العربية لأداء لغتها بالرغم من الضغوط التي مورست بالأمس، ثانياً أن المادة السادسة عشرة من الدستور الإيراني تنص على **أنَّ «اللغة العربية لما كانت هي لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية ولما أن الأدب الفارسي ممتزج بها بشكل كامل فإنه يجب تدريسها في جميع المدارس الإعدادية والثانوية بجميع فروعها»** ...

إلى جانب كل هذا نقف على ميلاد مؤسسة شامخة بمبناها ورجالها تقوم على إصدار (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى) باللغة العربية، وقفت على ثلاث مجلدات كبيرة منها لم تنته بعدُ من حرف الألف ...

والمهم أن أؤكد هنا على ما قلته من كلمة الحصار المضروب على الكلمات غير الفارسية اللهم بعض المصطلحات الأجنبية التي احتفظت بوجودها ضمن اللغة الفارسية ممَّا لم يجدوا لها مقابلاً ...

والجدير بالذكر أن نعرف أنه متى اتخذت **الهيئة الخاصة الموحدة** قراراً في هذا الموضوع فرضته على سائر الجهات بما فيها السفارات التي تُخبر أولاً بأول بما قررته (فرهنكَستان لغات) ... التي لها وحدها حق البت في المصطلح.

وإلى جانب إيران قمتُ بإلقاء السؤال على جهاتٍ أخرى يهمها الأمر، فكانت الأجوبة كلها تصب في واد واحد، وكلها تتلمس الوصول إلى حل لمنهجية للتعامل مع المصطلحات الأجنبية التي تغزوها كلَّ مطلع شمس ...

وهكذا نجد الإجماع على تقبل المصطلح العلمي بصيغته كما هي في حالة تعذر نظيره وتعذر الابتكار ... لمسنا هذه المنهجية في كل الاجتهادات بما فيها الاجتهادات المنطلقة من الجامعات الأوربية سواء منها أوربا الغربية أو الشرقية وسواء في ذلك باقي القارات.

ولعل مما يستأنس به في هذا الموضوع أن نسجل هنا أن القواميس الأجنبية لم تتردد كذلك وحتى الآن في استعارة بعض **المصطلحات العربية** وتبنّيها في لغتها، ويكفي أيضاً أن نلقي نظرة على المعاجم الأوربية لنجد فيها طائفةً من المفردات العربية التي أصبحت ضمن موادها إضافة إلى الموسوعات العالمية المتخصصة ...

وأرجو أن يسمح لي هنا مرة أخرى بذكر الأرقام التي حملت في سائر القواميس والموسوعات العالَمية، في سائر أقطار المعمور حملت اسم **الأرقام العربية،** فهذه الأرقام التي عرفتها مؤلفاتنا في العصر الوسيط والتي - حسب شهادة رائد الفضاء نيل أرمسترونغ Neil Armstrong – لولاها لما توصَّل الرّواد إلى سطح القمر، هذه الأرقام، هذا المصطلح العِلمي العالَمي الضّخم الذي ينسب إلينا، ما هو موقفنا منه؟

إن احتكاكنا بأوربا في عصر ازدهارنا جعل الأوربيين يلتمسون الاقتباس من حضارتنا ومن طريقنا في الحياة، لنأخذ مثلاً كلمة كارا (carat) بالفرنسية أو (Quilate) بالإسبانية: وحدة وزن للذهب والحجارة الكريمة معروفة عند الصواغين، ولنأخذ من هذه المقتبسات كلمة الفندق (Fondac) التي تبناها القاموس الأوربي في العصور الوسطى أيام استحكام العلاقات الأوربية مع دول حوض البحر المتوسط.

كان الفندق يعني حارةً بأكملها وكان يحتوي على عدد من الغرف والمرافق: حمامات ومطاعم ومكاتب تجارية إلى آخر البيانات المفصلة في

المصادر المعنية [١] ...

هذا إلى كلمة الدّيوانة (Aduana) وهي عبارة عن الرسوم التي تؤدى على الواردات والصادرات، وهو المصطلح الذي يعرف في الوثائق العربية بالرغم من ظهور كلمة الجمرك، ومن المهم أن نعرف أن مؤسسة الديوانة تعني دُنيا من الموظفين والمستخدمين، منهم بعض الأجانب وبعض المترجمين والكتاب والصرّافين، بل والفقهاء الذين يفصلون في بعض النوازل ...

هذا إلى كلمة دار الصناعة التي تعني مركز بناء الأسطول التي تحولت إلى Arsenal، إلى عددٍ كبير من الكلمات التي خصص لها الباحثون تأليفَ معجم على حدة[٢].

والذي أريد أن لا يفوتني قوله في عرضي هذا هو كلمة أتوجه بها لكل الذين يهتمون بأمر المصطلح ... **كلمة مستوحاة** مما دأب عليه علماؤنا الأوائل، وكان في صدر من رددها أمام مجمعنا الموقر في القاهرة أستاذنا الدكتور طه حسين عندما كان يُفسح المجال للباحثين في انتظار الوصول إلى الحقيقة، كان يُفسح المجال ليدعو إلى الاستفادة من المصطلحات الواردة والتعامل معها بشفافيةٍ كما يقولون اليوم، فما حَسَنٌ أن نعكف على أنفسنا ونقاطع الكلمات الأجنبية لمجرد أنها أجنبية لاسيما وقد علمنا التاريخ أن هناك ألفاظاً تنتمي إلى حضاراتٍ أخرى وهي تحتل مكانها في اللغة العربية حتى لأصبحنا نشعر بأنها منا وإلينا وليس بالسر المغيَّب، تأليف الإمام السيوطي:

(١) د . التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج ١ ٦ ٣١ ص ٢٣١ ج ٦ ص ٢٤٩ رقم الإيداع القانون ٢٥ ـ ١٩٨٦ مطابع فضالة ـ المحمدية ـ لغة الوثيقة الدبلوماسية في مغرب الأمس بين التأثر والتأثير بالنسبة للغات الأخرى، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الثاني والستون رمضان ١٤٠٨هـ/ مايو ١٩٨٨، ص ٧٣– ٨٦.

(٢) أحمد المكناسي: معجم الكلمات الإسبانية المقتبسة من العربية ـ تطوان ١٩٦٣.

«**المهذب فيما وقع في القران من المعَرَّب**».

نحن لم نكن ولن نكون أعداء للغة، ولسنا أعداءَ لسوانا! يتأكد ذلك من تعاليم عقيدتنا كما يظهر في تنوع مصادر ثقافتنا، ولا شك أننا مانزال نحفظ شعر صفي الدين الحلي المعروف بتنقلاته (ت ٧٥٠ = ١٢٤٩):

بقدْر لغات المرء يكثر نفعه * وتلك له عند الشدائد إخوان
فبادرْ إلى حفظ اللغات مسارعاً * فكل لسان في الحقيقة إنسان!

وانطلاقاً من انشغال أكاديمية المملكة المغربية بموضوع الترجمة العلمية عقدت عدة جلساتٍ تُوجت بعقد ندوةٍ خاصةٍ في طنجة في دجنبر ١٩٩٥ لمعالجة الموضوع، وقد كان من أفكار الأكاديمية - حسب تقريرها بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٤١٨ = ١٦ مارس ١٩٩٨ أن هذا المشكل يمكن التغلب عليه عن طريق إنشاء معهد عال للترجمة، خاصةً منها **الترجمة العلمية** يكون في صدر مهامه ليس فقط تكوينَ مترجمين على المستوى الرفيع ولكن **رصد المصطلح العلمي** الذي ينتشر عبر أرجاء العالم وتتبع الترجمة العلمية للمصطلح حيثما ظهر ...

وتلح الأكاديمية على أن تتوفر هذه المؤسسة على سند دولي وعربي، وعلى أن تعتمد على أساتذة أكفاء من مختلف الحقول، وتحتوي على شعبٍ متخصصةٍ تضم اللغويين والعلماء، بمعنى أن تصبح **المرجع الأساس** لسائر المجامع والجامعات والكليات فيما يتصل بالمصطلح العلمي ... وسيكون على هذه المؤسسة أن تقوم بتقديم نماذج للمصطلحات الواردة وأمامها ما انفصلت عليه من اختياراتٍ لتعويض تلك المصطلحات التي استقر عليها رأي سائر الهيئات المعنية بالمصطلح.

ولم يفت تقريرَ الأكاديمية أن يبدي مخاوفه من استمرار تقاعسنا عن مواكبة المفاهيم والمصطلحات، كما يُلح على ضرورة تجاوز الخلافات بين

بعض الدول العربية، وأن لا يبقى هذا حاجزاً دون توحيد خطتنا حول هذا المطمح الحضاري الهام.

أريد القول: إن الوقت حان لكي نفاتح **رجال القرار** بضرورة تحمل مسؤوليتهم إزاء الأفكار التي تتبناها مجامعنا الهادفةُ إلى حماية رصيدنا[١]، ويجب علي أن أقول بهذه المناسبة إننا، نحن اتحاد المجامع، مسؤولون أيضاً أمام أجيالنا عن كل تخاذلٍ أو تهاونٍ أو تباطؤٍ يؤدي بنا إلى الكارثة ... إن أخشى ما أخشاه ليس فقط أن تَسكن ساحتَنا هذه الأكوامُ من المصطلحات الدخيلة، ولكن ، وأكرر لكن، أن نفتقد أيضاً ما كنا نتوفر عليه نحن من مصطلحاتٍ حضارية كانت ـ ومازال إن شاء الله ـ تُؤثث ساحتنا الفكرية.

لقد حضرتُ في الشهر الماضي لقاءً في القاهرة أذهلني موضوعه، وأسلمني إلى التساؤل حول مصير ما نمتلكه من تراثٍ فقهي بلَغ القمة في التمدن والتحضر، اللقاء تناول موضوع «**حكم المعاملات الإليكترونية**» ... وثائق الإثبات فيها، موقف القوانين الدولية منها ... وحتى أوضح ما أقوله باختصار شديد، أذكر أن عقود القرض والسلف بالأمس كانت كما نعلم، تنص على حضور كل من المقرِض وزميله، وعلى موثقين يشهدون هذا العقد ويضبطون شروطَه إلى آخر مانعرفه في كتب الفقه، اليوم نجد أن السلف يتم تقديمه من طرفٍ في جهةٍ من العالم ليسلم إلى طرفٍ في جهةٍ أخرى من العالَم وبواسطة **آلة إليكترونية** لا وجود فيها لظلّ شاهدٍ ولا مشهودٍ عليه ولا كاتبٍ وقاضٍ يزكي ذلك الإشهاد!

وهكذا تختفي فصول حضارية برمتها من زادنا التراثي بما كانت تحتويه تلك الفصول من معانٍ بالغةٍ في السمو. كنا ونحن صغار،نُسأل ـ على

(١) د. التازي: حركة التعريب في المغرب بحث قدم إلى ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية المنعقدة بالرباط بتاريخ ٢ ـ ٦ ربيع الأول ١٤٠٥ = ٢٦ ـ ٣٠ نونبر ١٩٨٤.

طريقة الامتحان عن أطول آيةٍ في القرآن توجد في أطول سورةٍ من القرآن ... وأفهمونا أن تلك الآية هي المتعلقة بالدّين والشهادة عليه: ﴿يأيـها الذين آمنوا إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل....﴾ إلى آخر الآية الكريمة من سورة البقرة. فماذا سيكون موقفنا من صيغ هذه العقود التي ما أنزل بها من سلطان؟

وما قلناه عن القَرْض يوجد أيضاً عن البيع: بل يوجد على صعيد الاستشارة الطبية وما يتبعها من وصفاتٍ وما قد ينتج عن هذه الوصفات من مضاعفات في غياب الطبيب

أريد القول: إنه في زمنٍ تُفتح فيه مثل هذه **الملفات الرهيبة** جدير بنا أن نتحرك بسرعة وبذكاء كذلك من أجل إدراك ما يمكن إدراكه، وأن لاتبقى مواقفنا، إزاء ما يستجد، موقفَ الذي ينتظر ما تفاجئه به الأيام.

لقد تلقيت سؤالاً من أحد الحاضرين في لقاء القاهرة عما تفكر فيه المجامع حول المفردات والكلمات التي تُفرزها أمثال تلك العقود؟

إننا في نوازل كهذه نشعر بأننا شبه معوَّقين، تلتوي ألسنتنا بحثاً عن التعبير العربي فننتقل مرغمين إلى المصطلح العلمي العالمي ...

ومن هنا أخلص مرةً أخرى إلى القول بأن من واجب مجامعنا وبالتالي من واجب اتحاد المجامع أن لا يتحرك في معزل عن الذين يقفون وراء القرار، بمعنى أن على المجمعيين أن يتابعوا الوزاراتِ الوصيةَ لتنفيذ ما ينفصلون عنه من أفكار وآراء ...

هناك حكمةٌ ذكيةٌ رواها ابن بسام في ذخيرته عن الحسن البصري تقول: «**إن الله ليزع بالسلطان ما لا يَزَعُه بالقرآن**» لذلك أكرر القول: بأن القرار السياسي يظل الضمان الوحيد لنجاح عمل المجامع والهيئات العلمية وإن مسيرةَ ألفِ ميلٍ تبتدئ بالخطوة الأولى.

كتاب الماء: أول معجم طبي لغوي لعبد الله الصُّحاري ...

تقديم د. عبد الهادي التازي

كتاب جليل تناهى إليَّ قبل شهور عندما آثرني بنسخة منه سعادة الأستاذ السيد عبد الله بن حمد بن سيف البوسعيدي سفير سلطنة عمان بالقاهرة. ورأيت أن لاتفوتني الفرصة دون أن أقدم عنه ولو نظرةً موجزةً لاسيما ونحن نتحدث في ندوة اتحاد المجامع هذه (دمشق ٢٥ أكتوبر ١٩٩٩) عن المصطلح ومنهجيته.

يعتبر الكتاب أولَ معجم طبي لغوي صدر في التاريخ، على ما في علمنا، وقد ألفه أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصُّحاري المتوفى ببلنسية (الأندلس) عام ٤٥٦ = ١٠٦٤ ـ صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة، بتحقيق العلامة الأستاذ الدكتور هادي حسن حمودي الذي يرجع له الفضل في بعث الحياة في هذا التراث العلمي التجريبي.

ونظراً لما له من أهمية بالنسبة للعنوان الذي اختاره له مؤلفه ... وبالنسبة كذلك لشخصية المؤلف نفسه الذي ابتدأ حياته من أقصى بلاد العروبة لينتهي لأقصى بلاد الغرب الإسلامي. وبالنسبة للموضوع الذي تناوله الكتاب، لكل تلك الاعتبارات نذكر أن عنوانه ـ كما يبدو ـ كان مثيراً ولافتاً للأنظار، وقد كان المؤلف، كما يشرح ذلك بنفسه، متأثراً بشيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما سمى كتابه (العين) بأول أبواب الكتاب، وهكذا فإن الصُّحاري نَهَج نهْج الخليل وأطلق على كتابه تسميةً أخذها من

أول أبواب الكتاب وهو **باب الماء**، مع الإشارة أيضاً إلى قوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ ، وكما يقولون (علامة الدار على باب الدار). ولو لم يكن الصُّحاري اختار هذا العنوان لكان العنوان المناسب له هو (كتاب الحياة) ، لأن الكتاب تضمن فعلاً معظم ما يمكن أن يحتاجه الطبيب من مفرداتٍ مما ظللنا إلى الآن نسمع ترديدها في المؤلفات الطبية ...

وقد ولد عبد الله أواسط القرن الرابع الهجري فهو قريب من عصر النور الذي ازدهرت فيه الدراسات الإسلامية والعربية ... وانتقل بعد دراسته الأولية إلى حي الأزديين بالبصرة حيث نال قسطاً من العلم قبل أن يرحل إلى بغداد وما أدراك ما بغداد على ذلك العهد!

وقد دخل بلاد فارس حيث تتلمذ لأبي الريحان البيروني، ولكنه آثر الانتقال إلى الرئيس ابن سينا الهمَذاني الذي يروي عنه الصُّحاري **سامعاً من فمه** كما يقول، أخذ عنه كل علومه الطبية. ولم يلبث أن رحل إلى بيت المقدس، على ما يكشف عنه عندما وقف على بعض النباتات والعلاجات، ثم ينتقل إلى مصر حيث ينتشر نبات القنَّب الذي يصنع منْه الحشيش الذي تحدثت عنه المؤلفات المصرية بإسهاب، والمهم في معلومات (كتاب الماء) أنها موثقة بالسند، ومن الملاحظ أن نقرأ مثلاً أن الصُّحاري شافه البيروني وأنه سمع هذه المعلومة من بين شفتي ابن سينا الذي يعتز الصحاري بأنه كان تلميذاً لهذا الطبيب الجليل القدر على نحو ما نقرؤه عند روايته العينية المشهورة للرئيس والتي تبتدئ هكذا:

هَبَطت إليك من المحلِّ الأرفع * ورْقاء ذاتُ تعززٍ وتمنع

وتختم هكذا:

فكأنَّها برقٌ تألق في الحِمَى * ثم انطوى فكأنه لم يَلمع!

ولقد كان خلال هذه التنقلات لا يفتأ يكتشف النباتات الطبية ومجتهداً في معرفة طرق العلاج بها، وقد استقر به المقام ـ على ما أشرنا ـ في مدينة بلنسية مروراً ببلاد المغرب ... وفي بلنسية ظهرت عبقريته النادرة في علم الطب والكيمياء وغيرهما من العلوم ...

لقد كان عملاً جليلاً ما قام به زميلنا الدكتور حمودي الذي اغتنم الفرصة عندما كان أستاذاً مقيماً بجامعة وهران، ليحرص وهو في زيارة (غرداية) غربي الجزائر على أن يتفحص مخطوطات الشيخ ابن عاشور ... لقد تبين أن مخطوطةً من هذا الكتاب قرئت على «أحد» العلماء الأطباء من بني مرين من الذين تمكنوا من الفرار بأنفسهم إلى المشرق في أعقاب اضطراباتٍ سياسيةٍ عرفتها منطقة المغرب الكبير ... ذلك «الأحد» هو أبو الحكم عبد الله ابن المظفر الذي أصبح طبيب البيمارستان في بغداد عام اثنتين وعشرين وخمس مئة للهجرة.

كنا فعلاً أمام معلمة تستحق الوقوف عندها: (كتاب الماء) كأول معجم طبي لغوي مرتَّب على حروف الألفباء، لقد جعل معظم مواده خالصة للطب، وقد يجْمع في المادة بين الجانب الطبي والجانب اللغوي، وقد يكتفي ـ وهذا قليل ـ كما يقول د. حمودي، بالمعنى اللغوي اعتماداً منه على أمل أن يجد له في المصادر الطبية خواصه وفوائده ...

وقد رتب كتابه، كما أشرنا بحروف المعجم على الترتيب المشرقي وليس الترتيب المغربي المعهود عندنا، والذي كشف عند ابن خلدون بالمقدمة الأمر الذي يشير عندي إلى أن الصحاري ظل متشبثاً في المغرب بما عهده في المشرق، ومن المهم جداً أن أذكر أن الصُّحاري اصطدم بمشكل المصطلح العلمي الموجود بلغةٍ أخرى غير العربية.

ومن حقنا أن نتساءل عن طريق تعامله مع هذه المصطلحات حيث نجده

دائماً يجتهد في خلق مقابل بالعربية للفظ الأعجمي، لكن موقفه كان يتغير عندما يجد نفسه أمام الألفاظ التي شاعت وأصبحت جزءاً من الصناعة الطبية في عصره، هنا نجده يذكر تلك الألفاظ باسمها الشائع في الجذر الأعجمي كالأسْطُقُس، وهو اسم يوناني لما ينحل إليه الشيء ويراد به مكونات الأبدان ... وكذلك الكَيْمُوس: لفظ سرياني للخلط، وهو في الحقيقة غذاء تغيرت صورته الأولى بالكلية وتحلَّل إلى صورة أخرى قبل أن يدفع إلى المِعَى. ومثل ذلك كلمة المالَنْخُوليا: اسم لنوع من الجنون، وهو لفظ يوناني معناه الخلط الأسود، وهو سبب هذا المرض، فسمي باسم سبب ذلك، ومثل هذا نقوله عن الهَيُولَى بمعنى المادة الأساسية للشيء وهو لفظ يوناني كذلك ...

ومن اللافت للنظر في هذا الموضوع أن الصُّحاري يعلق بشجاعةٍ وجرأة. على قول بعض الأطباء إن المالَنْخُوليا قد تحصل عن الجن، يعلق على هذه المقولة بقوله: ونحن من **حيث صنعةُ الطب لا نلتفت إلى ذلك**، ونقول: إن سببها استحالة المزاج بالهم إلى السوداء أو غلبة الصَّفراء أو الدم الغليظ أو البلغم ...

وإن الذي أريد أن أضيفه ـ وأنا أقدم في سطورٍ هذا الكتاب الجليل ـ هو التأكيد على أن عملية بعث هذا التراث المعجمي الطبي الكبير محققاً مفهرساً، مما سيقرب كتاب الماء إلى الطبيب العربي المعاصر الذي سيجد بين يديه مادة علمية موثوقة مُسندة من شأنها أن تغير الكثير من المفاهيم، كما أن من شأنها أن تساعد على نقل الطب العربي الحديث إلى مرحلةٍ أكثر تقدماً وملاءمة للبيئة العربية إذا ما تم إخضاع الكتاب موضوع الحديث إلى التجارب المختبرية لا سيما والطبيب الصُّحاري يؤكد في مواضع كثيرة من تأليفه أن العلاجات الواردة في الكتاب **قد خضعت للتجربة فعلاً**، ومن هنا فإن القيام بالمقارنات والمفارقات بين عطاء الأمس وعطاء اليوم سيبقى ديناً في طوق علمائنا وأطبائنا وباحثينا ...

المؤثرات في إشاعة المصطلحات العربية

د. محمد جواد النوري

قد تكون آلية وضع المصطلح، وما تستند إليه من ثوابت وموجهات، من القضايا المركزية التي تحتاج إلى درس وتأنٍّ، وقد يختلف الناس وتتباين آراؤهم في تلكم الموجهات، أو قد تتعثر هذه المناهج لينبثّ عنها مصطلح كان من الممكن أن يوضع ما هو أفضل منه، وقد يختلف ذوو الرأي في الموازنة بين مصطلحات تكاثرت على مدلول واحد، أيّها أنسب وأفضل.

كل أولئك من القضايا الجوهرية المؤثرة، دونما شك، في العربية، وسيرورة المصطلح فيها، وعلى الرغم من تبرّمنا الدائم من تلكم المزالق، فإنّ مخرجاتها تظل أفضل من انتكاسنا لنركن إلى استيراد المصطلحات الأجنبية. فمصطلح عربي ذو جودة فيها خلاف خير من مصطلح يفرض علينا أو نفرضه على أنفسنا كما نشأ لدى أهله.

وقد يتبدى من ظاهر كلامي أنني أستلب الجهود القيمة المبذولة في تلكم السياقات أثرَها أو وجوب شكرها، أو أنني أدعو إلى عبثيّة مصطلحية مميّعة لا تستند إلى مبادئ علمية أصيلة يُهتدى بها ويُحتكم إليها، ليس هذا ولا ذاك، وإنّما أردت أن أتساءل عن قيمة الجهود التي بذلت، والآثار التي تأدت عنها بغية معاينة معوّقاتها واستشراف مؤازراتها وبواعث تفعيلها.

فليس ثم شك أن المعنيّين بهذا الشأن مؤسسات وأفراداً، منذ مستهل عصر النهضة، وبتواصل متنام إلى يومنا هذا، قد بذلوا جهوداً في الماضي

وجانبٍ من الحاضر، تطلعنا على الكم الهائل الذي بذله علماؤنا في هذا المجال.

ومع ذلك كله، فإن النتائج التي تمخضت عنها تلكم المجهودات ظلت محدودة، ولا مبالغة أن يذهب أحدنا إلى القول إن غير قليل منها ظل معطلاً مهجوراً، كأن لم يسمع به أحد، وظل أبناء العربية، كما يتراءى لنا، مأخوذين بميل جانح إلى المصطلحات الأجنبية، والسؤال الذي يُطْرح: ما الأسباب التي تدفع بأبناء العربية إلى الاستكانة إلى المصطلحات الأجنبية؟ ويتجاذب مع هذا السؤال: ما الأسباب التي تدفع بهم إلى نبذ ما يوضع من مصطلحات عربية؟ وما الأسباب التي تحول دون غلبة ما نضع من مصطلحات لما يرد علينا من مصطلحات أجنبية؟

لقد آن لنا، بل كان ذلك متوجباً منذ البدايات الأولى، أن نستقريَ الأسباب الكامنة وراء هذا الواقع، لننطلق منها إلى تجذير الوسائل الكفيلة بإشاعة مانرتئي من مصطلحات.

وقد يبدو لبعض أن يُقْصيَ هذه المسألة في سياقها اللغوي الخالص، فينكفئ إلى تلمّس ذلك في جنبات المجامع اللغوية وهيئات التعريب، وأن الأمر لا يتجاوز غياب التنسيق، أو ما يحدث من خلل أو تعقيد في وضع بعض المصطلحات. وفي اعتقادي أن ذاك قد يكون شيئاً يسراً من عوامل متشابكة تلتئم فيها أسباب إجرائية وما يتصل بها من الوسائل المعينة على بثّ المصطلح وإشاعته، وأسباب اجتماعية نفسية وما يولدها من واقع حضاري مغلوب مأخوذ بالزهو بتقليد الغالب، وأسباب لغوية تتأتى من وجود قوادح في المصطلحات التي توضع، أو تنافرها بسبب تراكمها على مسمّى واحد، وتعثّر التنسيق بين الواضعين.

أولاً: الأسباب الإجرائية:

أنْ تُعَلِّم إنساناً مئة كلمة قد يكون أيسر من أن تصلح لديه خطأ واحداً، فالخطأ عنيد يتنزّل من الذاكرة منزلة مكينة، وهذا أمر نستبينه من سعينا الدائم إلى تصحيح الأخطاء الشائعة التي لا تلبث أن تعود طاردة الصواب، وهذا مايحدث في أمر المصطلحات، فجلها يدخل إلى ألسنة الناس دون أن يمر بمن يضع له مقابلاً، وما إنْ نتوافق على حياكة مصطلح عربي مقابل يكون ذاك الدخيل قد استقر في ألسنة الناس، وتمكّن وأصبح شائعاً مستساغاً بالإلف وكثرة الاستعمال.

وهذا التباطؤ في وضع المصطلح العربي، يتعزّز بمؤثر سلبيّ آخر، يتمثّل في غياب الترويج الفاعل لهذا المصطلح، وتواني وسائل الإعلام عن بثّه وإشاعته، إلاّ أن يقع ذلك عفو الخاطر على نحو غير مدروس.

وهذا التباطؤ وذاك التواني، يعدّان من أكثر الأسباب فاعلية في موت هذه المصطلحات، وارتدادها إلى التدارس في أروقة المجامع والمؤسسات المعنية، وإذ يموت هذا الذي نضع يتعزّز ذاك الوافد ويصبح مفروضاً سائراً بين الناس، ويصعب، بعد ذلك، ويتأبّى علينا أن نتمكن من امتلاك الأمر أو تداركه.

وهكذا نظل نلهث نطارد مصطلحات دخلت واستقرت، فندخل في إشكال مزدوج، بعد أن كان مفرداً محصوراً في وضع مصطلح عربي وإشاعته. وعلى الرغم من العوائق الجمة التي تحيط بهذا الإشكال، فإننا نكون قد أردفناها بعوائق جديدة تتمثل في استقرار المصطلح الأجنبي وما يحتاج إليه من مقاومة.

وليست هذه دعوة إلى الركون لنقبل المصطلحات التي فرضت علينا

الآن، بل هي نظرة فيما سيكون في المستقبل، وأما ما استقر من المصطلحات الأجنبية فهو بحاجة إلى مجهود مضاعف، ولدينا شواهد كثيرة على إمكان التخلص من هذه المصطلحات، واستبدال مصطلحات عربية بها، فقد استبعد يعقوب صروف وفارس نمر سنة ١٩٠٨ إيجاد مقابل عربي لكلمة تلفون، وشاركهما في ذلك الشيخ عبد القادر المغربي، ثم تعددت المقترحات فكانت «الأرزيز، والمقول، والمسرة والحاكي، والندى، والمحاور، والهاتف».

ونرى الآن أن واحداً من هذا المصطلحات وهو «الهاتف» حل، أو يكاد محل «التلفون»، ومثل التلفون، في الانقراض بعد الشيوع، كلمة أتومبيل، وكلمة جرنال .... وغيرها.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية النفسية:

نحجب أعيننا أن ترى ما ينبغي أن يُرى إذا ذهبنا نمجّد واقعنا الحضاري المرير، دون أن نقرّ بتردٍّ حضاري مؤلم نحياه، ونظل تائهين في ماضينا ومآثر أسلافنا إذا نحن لم نفهم المفارقة الحضارية بين وقائع ذاك الماضي ومجريات هذا الحاضر.

وما أجمل أن نَعرف ونُعرِّف الناس أن أمتنا قد تصدَّت ذات يوم باقتدار معجب لمشكلة المصطلحات ووضعها، وإذا كنا نتمثل بذلك مثالاً على اقتدار العربية وسعتها، فإنّ ذاك أقرب أن يكون مثالاً على اقتدار العرب أو الحضارة العربية على المواجهة.

ولعل الأمر لم يكن مشكلاً بل كان تحدّياً عابراً سرعان ما بدده التنامي الحضاري المتوثب للأمة العربية، وعلينا ألا نغيب تلكم المعطيات التي تمّ في ضوئها ذاك التحدي، فقد كان لحظياً عابراً واجهته أمة غالبة باسطة علمها وثقافتها على العالم، وكانت تتوالد لديها المصطلحات لتنقل إلى غيرها.

أما الآن، فالعربية هي العربية ومقتدرة كما كانت، ولكن الأمة لم تعد تلك، فنحن نواجه مشكلاً متنامياً بمعطيات حضارية متقهقرة فنظل نلهث وراء الأشياء الأجنبية التي ينتجونها ويعطونها أسماءها، بل إن ما ينتجه أبناؤنا في قضايا العلم يأتي جله بلغة أجنبية !!!

وهذا الواقع المتردي للأمة العربية يجعل أبناءها في موقع المتلقي الدائم، بل المتلقي المعجب المأخوذ بالحضارات العالمية الزاهرة المستكين إليها.

ويزداد الأمر تعقيداً، في هذا السياق، أنّ جل الأشياء التي تستورد مع مصطلحاتها تدخل أول ما تدخل في حياة الطبقات الاجتماعية الراقية، التي يؤخذ قسم منها غالباً بالتمسك بما هو أجنبي، بل برفض ما هو عربي، فأن تسمّي لديهم شيئاً باسمه العربي فذاك، على حدّ تعبيرهم، يجعله «بلدياً» وكأنك تفقده بريقه، كأن القوم قد أصيبوا بعقدة نفسية جماعية تجذبهم دوماً إلى الغرب، وتسلخهم من حضارتهم ولغتهم، فالمغلوب، على حدّ عبارة ابن خلدون، «مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه، ونحلته وسائر أحواله وعوائده».

وفضلاً على أنّ هذا التوجه التلقائي يمثل مقاومة غير واعية للمصطلحات العربيّة الموضوعة، فإنه يمثل أيضاً عنصر استمرار لمشكل المصطلح ما دامت أمتنا في ذاك الدرك من سلم الحضارة، وتأسيساً على ذلك، فلا سبيل، الآن، إلى التخلص من هذا التحدي، ذلك لو افترضنا جدلاً أننا تمكنا من معالجة ما هو قائم إلى لحظتنا هذه، فلن يكون ذلك إلا اختفاء مؤقتاً لهذا المشكل، الذي سيعود يتخلق بعد مدة وجيزة، ذلك أنّ العلم وأشياء الحضارة لا ينتجان لدينا، ولا تزال مؤسساتنا التعليمية متقاعسة عن تعريب العلوم. ويتهاون القائمون على هذه المؤسسات في القضية، فضلاً على ما يداخلها من إشكالات، لعل من أهمها أن علماءنا في التخصصات

العلمية، غير مقتدرين على استخدام العربية على نحو مقبول في تدريسهم.

وأما الأسباب اللغوية فمنها ما يتصل بوضع المصطلح، ومنها ما يتصل باستخدامه، فلا يشك أن صعوبة بعض ما يوضع من مصطلحات أو كثرتَه وتضاربه أحياناً قد يؤدي إلى العودة إلى الأصل الأجنبي. فضلاً على أنّ قسماً كبيراً من المعنيين بأمر المصطلح من أساتذة الجامعات يُعنون به لأغراض نفعية آنية ترتبط أكثر ما ترتبط بقضايا الترقية، وفي الطرف المقابل فإنّ من يعنون بتدريس العلوم أو الكتابة فيها يظلون آخذين باللغة التي درسوا بها العلوم. بل إن دراساتهم التي يمكن أن تشتمل على مصطلحات جديدة تكتب بلغات أجنبية وفي مجلات أجنبية أو عربية على السواء. وكم من مصطلح نعاني من وضع مقابله، وقد كان أصلاً من اقتراح واضع عربي وضعه باللغة الإنجليزية مسايرة للغة التي يكتب بها.

هذه جملة من الأسباب التي تحول دون استخدام المصطلحات العربية التي نعنّي أنفسنا في وضعها. ولعل ثمّ أسباباً أخرى آمل أن نعمل على الإحاطة بها وتبين آثارها، والسؤال الذي يطرح الآن: ما نحن فاعلون للحدّ منها؟

أما الأسباب اللغوية فإن مانتدارسه من قضايا أساليب وضع المصطلح وطرائقه المتنوعة، وروافده المتكاثرة يدخل في هذا المضمار، ولا أشك أن مجامعنا ومؤسساتنا المعنية بالأمر متراجعة ذات يوم عن متابعة ذلك ورفده، ولكن علينا أن نولي اهتماماً مدروساً لمشكلة جوهرية ترتبط بهذا الجانب ألا وهي مشكلة البحث العلمي، فما يزال البحث العلمي في البلاد العربية هامشياً، غير آخذ مكانه اللائق الذي يجعله في مقدمة الاهتمامات الكبرى للدولة، ولا شك أن البحث العلمي يمثل الجسر الرصين للدول التي تنشد التقدم لتعبر منه إلى التفوق السياسي والاقتصادي والتميز الحضاري، أما

البحث العلمي لدينا فهو، في كثير من جوانبه، بحث لأجل البحث النافع لصاحبه منفعة آنية لا علاقة لها بالأمة وحضاراتها.

وأما الأسباب الاجتماعية النفسية، فإخال أن تجاوزها يظل أملاً مرتهناً بانبعاث هذه الأمة، ولكن ذلك لا يحول دون وسائل الإعلام لدينا أن تخفف من حدة الميل الجانح نحو الغرب، وبوسع هذه الوسائل متضافرة، مع المعنيين بأمر هذه اللغة، أن تعمل على بث الوعي اللغوي بين أبناء الأمة وإيقاظ غَيْرتهم على اللغة، وبناء ما تصدع من ثقتهم بها واعتزازهم بتراثها، ولتحقيق ذلك وسائل كثيرة يمكن أن توجه للكبار والصغار على السواء، فقد تهيأت الآن منافذ تربوية وإعلامية متكاثرة يمكن أن يكون لها أثر بالغ في تعزيز ذلك.

وأما الأسباب الإجرائية فأرى أنه يتوجب على مؤسساتنا المعنية أن تعمل على فتح تواصل دائم فيما بينها عَبْر وسائل الاتصال المتنوعة، ومن شأن ذلك أن يجعل التنسيق بينها لحظياً غير منتظر الاجتماعات، وهذا سيؤدي إلى تخفيف وطأة تعدد المصطلحات وتفاديها.

وإذا كنا لا نعلم الغيب، ولا نعرف المصطلح إلا بعد قدومه أو قدوم مايدل عليه، فإنّ علينا ألاّ نتلبث في وضع المصطلحات، وبخاصة ما يتعلق منها بشؤون الحياة اليومية، فوسائل الاتصال العصرية تسعفنا على ألا يظل أمر وضع المصطلح رهناً بالمؤسسات. أو ليس من الممكن الآن أن نضع متخصصاً لغوياً على الأقل في كل ميناء ومطار ليعرض عليه كل جديد آتٍ ليقوم باتصال فوري بالمؤسسات اللغوية لتعينه على وضع مصطلح مناسب يدخل مع الأشياء عند دخولها؟ أو ليس من الممكن أن تتحكم مؤسسات الإذاعة والتلفزة في المواد التي تبثها والإعلانات التي تروج للبضائع الأجنبية لتغير الأسماء الأجنبية؟ أليس من الممكن أيضاً أن يُعيَّن في كلّ مؤسسة رقيب

لغوي لا يشترط فيه أن يكون عالماً بكل مصطلح داخل بمقدار ما يشترط من إبقائه على اتصال متواصل مع ذوي الشأن من اللغويين والمؤسسات المعنية؟

أو ليس من الممكن، بعد ذلك، أن يكون مثل هؤلاء على اتصال دائم بحيث ينقل الواحد منهم ما يوضع في مؤسسته إلى المؤسسات المعنية في بلده، وإلى مؤسسة في كل قطر عربي تقوم بتعميمه في ذاك القطر؟

أليس من الممكن، بعد ذلك، أن نعمل على إشاعة المصطلحات بين الناس على نحو محكم مدروس بوساطة تلكم الوسائل؟

قبل خمس سنوات أصدرت الحكومة الفرنسية أمراً لا يقضي بمنع استخدام غير الفرنسية في الإعلانات واللافتات وحسب، بل يوجب التخلص من كل ما كان مكتوباً بغير الفرنسية، وكان ذلك بمناسبة الاحتفال بمرور مئتي عام على صدور قرار الحكومة الفرنسية الذي صادق عليه برلمان الثورة الفرنسية، والذي يقضي بتعميم اللغة الفرنسية. واستند أصحاب القرار إلى مادة جزائية واحدة تنص على أن كل من يخالف هذا القرار أو القانون بوجوب التحدث بالفرنسية ابتداء من ٢٠ / ٧ / ١٧٧٤ ويحرر وثيقة بغير اللغة الفرنسية يطرد من وظيفته، ويسجن لمدة ستة أشهر.

فماذا نحن فاعلون الآن وغداً للغتنا الشريفة لغة القرآن الكريم.

«نحو معجم عربي موحّد لمصطلحات الأدب والنقد»

أ، د. عبد النبي اصطيف

أقواس

«إن الشكوى من «إشكالية المصطلح» ستظل مادام المعجم النقدي الحديث بعيداً عن التحقيق، وسيظل الأدباء والنقاد والمؤلفون والمترجمون في نقاش لا يوصل إلى السبيل القويم ماداموا لا يفكرون في مثل هذا العمل الجاد الذي يفتح الطريق أمامهم ويجعلهم يصدرون في دراساتهم وبحوثهم وترجماتهم عن منهج موحد فيه الدقة ووضوح الرؤية».

د. أحمد مطلوب

معجم النقد العربي القديم, ١٩٨٩

«إن التفاهم بألفاظ متبدلة المعاني أصعب من التعامل بنقود متبدّلة القيم. فلابدّ للعلماء إذن من الاتفاق على معاني الألفاظ، ولابد لهم من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها . إن الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية هو الحجر الأساسي في بناء العلم. فإذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك، لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها ».

د. جميل صليبا

المعجم الفلسفي، ١٩٨٩

«إن دقة ألفاظ لغة ما، ووضوح مفاهيمها من دقة تفكير المتكلمين بها، والوضوح الذي تتطلبه أذهانهم. والوضوح والدقة هذان منطلق كل معرفة صحيحة»

د. أمجد طرابلسي، ١٩٨٢

* * *

وُلِد النقد الأدبي العربي الحديث في حضن المواجهة مع «الآخر» "the other" - الغربي، ليتدبّر بالشرح والتحليل والتفسير والموازنة والحكم:

- نتاجاً أدبياً نشأ ونما وترعرع في المجتمع العربي الحديث في ظل المواجهة نفسها مع هذا «الآخر»؛

- نتاجاً أدبياً قديماً انبثق ونما وازدهر في مجتمع - أو مجتمعات - عربي إسلامي مباين في كثير من وجوهه للمجتمع العربي الحديث، وكان باستمرار خاضعاً لتجارب متنوعة من التفاعل مع «آخر» العصور المنصرمة.

وهكذا وجد هذا النقد نفسه يستلهم تجارب «الآخر» الأدبية والنقدية، ويسعى إلى توظيف حصيلة تفاعله معها في مقاربته لنصوص الأدب العربي قديمها وحديثها، وبات موزعاً بين هذه التجارب التي تنطوي عليها مواريث «الآخر» وتقاليده الأدبية والنقدية من جهة، وبين الموروث الأدبي والنقدي العربي العريق، الممتد نحواً من خمسة عشر قرناً

على الأقل، من جهة أخرى.

وكان من الطبيعي لهذا النقد أن يستمد من تقاليده الموروثة ومن تقاليد «الآخر» في آن معاً مصطلحه وأدواته وإجراءاته وطرقه ومناهجه، مما أوقعه في جملة من المشكلات التي انعكست في الممارسات النقدية العربية الحديثة في صور شتى، فتجلّت حيناً اضطراباً في المصطلح النقدي شمل الدال والمدلول والمحددات فيه؛ وتبدّت حيناً آخر تنكّراً لطبيعة النص العربي المدروس الذي يفترض فيه أن يملي على دارسه النحو الأمثل في مقاربته؛ ووشت بنفسها حيناً ثالثاً جهلاً بالتقاليد الأدبية والنقدية التي أفرزت المفاهيم النقدية التي يوظفها الناقد العربي الحديث في مواجهته لنصوص أدبه القديمة والحديثة؛ وأبانت عن نفسها حيناً رابعاً غفلةً تامةً عن آليات التطور في الآداب القومية المدروسة؛ وكشفت عن ضيق أفقها حيناً خامساً حين تجاهلت، وعلى نحو بعيد كل البعد عن الحكمة، سياق التفاعل- بين مختلف آداب «الآخر» ومواريثه وبين الأدب العربي في مختلف العصور والأمصار- الذي تمت فيه عملية الإنتاج الأدبي في المجتمع العربي عبر مختلف الأزمنة والأمكنة، وغير ذلك من الصور التي يلاحظها المرء بسهولة في هذه الممارسات والتي تناقش عادة في المؤتمرات والندوات والأبحاث تحت عناوين من مثل «أزمة ...» و«مشكلات» و«إشكالات» و«إشكاليات» وما شابهها.

ولما كانت اللغة في الممارسة النقدية أداة تفكير مثلما هي أداة إفصاح وتعبير، فإن في سلامتها ضماناً لسلامة الممارسة النقدية ذاتها؛ ولما

كان النقد الأدبي – بممارساته المختلفة – يقوم على الحوار بين الناقد والنص، بين الناقد والكاتب، بين الناقد والمتلقي، فإن من الأهمية بمكان تيسير أداة مشتركة لهذا الحوار حتى يكون مجدياً ومثمراً يحقق ما يُرجى منه من تطوير للإنتاج الأدبي وما يتصل به من عمليات؛ ولما كانت لغة النقد أساساً مجموعة مصطلحات "terms" تشير إلى مجموعة «أفكار» "notions" ومفاهيم "concepts"، فإن من الحكمة السعي إلى توحيدها عن طريق وضع معجم عربي موحد للمصطلحات الأدبية والنقدية العربية سواء منها القديمة أم الحديثة، ييسّر للعاملين في ميدان الأدب، إنتاجاً واستهلاكاً، أداة مشتركة في التفكير والتعبير والحوار، تتيح تطوير هذا الحقل المعرفي المهم جداً في الحياة الإنسانية وهو حقل «النقد الأدبي»، الذي بات اليوم، وفي مختلف ثقافات المجتمعات الحيّة المعاصرة، حجر الأساس في بناء فكرها، لما يقدّمه من أمثلة ونماذج تحتذى في الحياة عامة، وفي المعارف الإنسانية المختلفة بشكل خاص، فضلاً عن تسهيله عملية مواجهة الإنتاج الأدبي مواجهة مجدية تكفل تذوقه وفهمه من جانب القارئ، وتساعد على تطوّره وتقدّمه من جانب الكاتب.

* * *

وقد حفزت الرغبة في تيسير هذه الأداة المشتركة في التفكير والتعبير والحوار بين صفوف العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث جملةً من مختلف ضروب النشاطات والجهود العلمية الجادة التي انصرفت إلى العناية بالمصطلح الأدبي والنقدي في الثقافة العربية الحديثة

ولاسيما في ربع القرن الأخير. وقد شملت هذه الجهود عقد المؤتمرات والندوات العلمية، وإعداد الرسائل الجامعية ونشرها، وإصدار الأعداد الخاصة من الدوريات، وتأليف الكتب وكتابة المقالات، فضلاً عن تأليف المعاجم الخاصة بهذا المصطلح. ولما كان على أي مسعى نحو تأليف معجم عربي موحد لمصطلحات الأدب والنقد أن يفيد من هذه الجهود ويطوّرها ويوظفها في تحقيق غايته، فربما كان في الإشارة المقتضبة إليها بعض الفائدة للعاملين في هذا الميدان.

فأما في مجال عقد المؤتمرات والندوات العلمية فإنه يمكن الإشارة إلى «**ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم**» التي انعقدت في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية في **جامعة سيدي محمد ابن عبد الله** بفاس في الفترة ما بين ٢٠ و٢٢ من شهر تشرين الثاني عام ١٩٨٦، وشارك فيها نخبة من مشرق الوطن العربي ومغربه وظهرت وقائعها في مجلد صدر في عدد خاص من مجلة الكلية عام ١٩٨٨[١]؛ وإلى **مؤتمر النقد الأدبي** الذي ينعقد دورياً في **جامعة اليرموك** والذي خصص مؤتمره الخامس الذي عقد بين ١٤ و١٥ من شهر حزيران عام ١٩٩٤ لـ «**المصطلح في الأدب والنقد واللغة**» وشارك فيه كذلك عدد من المعنيين بقضايا المصطلح من مختلف الجامعات العربية في مختلف الأقطار العربية؛ وإلى «**مؤتمر قضايا المصطلح**[٢]» الذي استضافته **جامعة تشرين** في اللاذقية في الفترة ما بين ٢٨ و٣٠ من شهر نيسان عام ١٩٩٨، وينتظر أن تظهر بحوثه ومناقشاته في مجلد تنشره كلية الآداب والعلوم

الإنسانية في وقت قريب؛ وإلى «**مؤتمر قضايا المصطلح الأدبي**» الذي نظمته لجنة الدراسات الأدبية واللغوية في **المجلس الأعلى للثقافة** في جمهورية مصر العربية في الفترة ما بين ١٦ و ٢٠ من شهر أيار عام ١٩٩٨[٣]، وحضره نخبة من المتخصصين في النقد العربي قديمه وحديثه من مختلف أنحاء الوطن العربي فضلاً عن عدد كبير من المشاركين العرب والأجانب من خارج الوطن العربي ولاسيما أوربة الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وغيرها، ومن المتوقع أن تنشر مجلة «**فصول في النقد الأدبي**» الرصينة بحوث المؤتمر المهمة في سلسلة من الأعداد الخاصة .

والملاحظ أن جميع هذه المؤتمرات قد اقترحت في توصياتها نشر معجم عربي موسوعي موحّد لمصطلحات[٤] الأدب والنقد ييسّر لغة مشتركة في التفكير والتعبير والحوار في قضايا الأدب والنقد في الثقافة العربية المعاصرة، تحلّ الكثير من مشكلات الممارسات النقدية في المجتمع العربي الحديث.

وأما في مجال إعداد الرسائل الجامعية ونشرها، فيمكن أن يُشار إلى الجهود الرائدة التي قام بها الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي والعديد من تلامذته من أمثال الدكتور الشاهد البوشيخي والدكتور إدريس الناقوري وغيرهما في هذا المجال، والتي كان لنا من حصيلتها عدد كبير من الرسائل الجامعية التي نشر بعضها من مثل رسالة الدكتور البوشيخي الموسومة بـ «**مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين**

للجاحظ»[٥] ورسالة رصيفه الدكتور الناقوري الموسومة بـ «**المصطلح النقدي في نقد الشعر: دراسة لغوية، تاريخية، نقدية**»[٦] اللتين أصبحتا أنموذجاً يحتذى ويستلهم في مغرب الوطن العربي ومشرقه؛ وهاهي الرسائل الجامعية التي تنصرف إلى دراسة المصطلح النقدي في كتب الموروث العربي النقدي تسجل وتناقش في مختلف الجامعات العربية بإشراف أساتذة شهدوا باهتمامهم بهذا الضرب من البحث من أمثال الطرابلسي، والبوشيخي، والناقوري المتقدم ذكرهم والعياشي السنوني ورشيد بلحبيب وحمادي صمود وعبد الرحيم الرحموني[٧] وغيرهم كثير.

وأما في مجال إصدار الأعداد الخاصة من الدوريات فثمة العدد الخاص الذي أصدرته مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية** بفاس عام ١٩٨٨ وضمنته البحوث المقدمة إلى «**ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم**» والذي غدا مرجعاً مهماً لقضايا المصطلح النقدي في الثقافة العربية الحديثة؛ وهناك العدد الخاص الذي أصدرته **مجلة الفكر العربي المعاصر** (التي يصدرها **مركز الإنماء القومي** في بيروت) عام ١٩٨٨ وخصصته لـ «**النقد والمصطلح النقدي**»[٨] وضم عدداً من المقالات المؤلفة والمترجمة في شؤون المصطلح وقضاياه، بما كان من أبرزها مقالة «ما الأدب؟»[٩] لرينيه ويليك الذي يتتبع فيها تطور المصطلح دلالياً في مختلف التقاليد النقدية الغربية على مدى يتجاوز ألفي العام ويناقشه من منظور مقارني. وفضلاً عن هذين العددين ثمة العدد الخاص الصادر عن مجلة «**علامات في النقد الأدبي**»[١٠] عام ١٩٩٣ وضم

مجموعة مباحث ومقالات جادة لكل من عبد السلام المسدي وعز الدين إسماعيل وحمادي صمود وعبد الواحد لؤلؤة وتوفيق الزيدي ومحمد عبد المطلب ومحمد النويري ومحمد صالح الشنطي ومحمد محمد حلمي هليل، وتصدرته ندوة عن قضية المصطلح العلمي شارك فيها حمزة قبلان المزيني الذي قدّم ورقة عملها، وعبد الله الغذامي، وحسين عطية طحان، ومعجب سعيد الزهراني ومنير أحمد التريكي فضلاً عن سعيد مصلح السريحي الذي أدارها. ولا ينسى المرء أن يشير في هذا السياق إلى العديد من المقالات المتفرقة في مختلف الدوريات العربية لباحثين عرفوا باهتمامهم بقضية المصطلح من أمثال عبد السلام المسدي وخلدون الشمعة وعبد القادر القط[١١] وصاحب هذه السطور[١٢].

وأما في مجال تأليف الكتب فحسب المرء أن يذكر - فضلاً عن مؤلفي الشاهد البوشيخي وإدريس الناقوري المتقدم ذكرهما - **كتاب المنهج والمصطلح: مداخل إلى أدب الحداثة** لخلدون الشمعة[١٣]، **ومصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**[١٤]، **ونصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين**[١٥]، للشاهد البوشيخي، **والمصطلح النقدي**[١٦] لعبد السلام المسدي، **واللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث**[١٧] لفاضل ثامر، **ومفاهيم الشعرية**[١٨] لحسن ناظم، ليدلّل على أهمية قضية المصطلح لدى العاملين في ميدان النقد العربي الحديث.

ولا ينسى المرء الإشارة إلى صنيع غدا تقليداً لازماً لدى

المترجمين العرب الجادين الذين باتوا يلحقون ترجماتهم لعيون الكتب النقدية الغربية بمسارد للمصطلحات التي استعملوها في ترجماتهم، بل إن بعضهم جعل من توليد المصطلح النقدي قضية مهمة إلى درجة تدفعه إلى مناقشتها في خاتمة تقديمه للترجمة، كما فعل الدكتور كمال أبو ديب في خاتمة مقدمته الضافية لترجمته(١٩) اللافتة للنظر لكتاب **الاستشراق** لادوارد سعيد، والتي قدّم فيها اجتهادات جريئة جداً في هذا المجال ولاسيما في مسألة استعمال السوابق واللواحق والنحت وغيرها في الترجمة عن الانكليزية.

وفضلاً عما تقدم من الجهود المتنوعة التي انصرفت إلى العناية بالمصطلح النقدي والأدبي بغرض إشاعة هذه الأداة المشتركة في التفكير والتعبير والحوار بين العاملين في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث، فإن مما يثلج الصدر حقاً أن يرى المرء بعض الجامعات العربية تنشئ معاهد خاصة لدراسة المصطلح والبحث فيه كما هو الشأن في «**معهد الدراسات المصطلحية**» التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية في **جامعة سيدي محمد بن عبد الله**، في مدينة فاس المغربية، والذي أنشئ عام ١٩٩٣، تتويجاً لجهود مخلصة مشكورة قامت بها نخبة مخلصة من الباحثين العرب المغاربة كان من أبرزهم الدكتور الشاهد البوشيخي تلميذ العالم الجليل وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي. وكان تأسيس «**مجموعة البحث في المصطلح النقدي**» عام ١٩٨٥ في الكلية نفسها بداية هذه الجهود. وقد قامت هذه المجموعة

بتنظيم ندوة دولية بعنوان «**المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم**» عام ١٩٨٦، دعت من بين ما دعت إلى التنسيق بين مراكز البحث المصطلحي «حفظاً» لطاقات الأمة وأوقاتها وأموالها» وأكدت أن «الجهود الفردية والجماعية في ميدان المصطلح ينبغي أن تتقوى وتتكامل لتصب في اتجاه واحد» ونادت في توصيتها الخامسة بـ «إنشاء جمعية عربية للمصطلح النقدي» يكون مقرّها فاس. وتتابعت الجهود بعد ذلك إلى أن «ولد بكلية الآداب – ظهر المهزار بفاس «**معهد الدراسات المصطلحية**» في السادس من ذي الحجة من عام ١٤١٣هـ الموافق للثامن والعشرين من شهر أيار من عام ١٩٩٣، «بعد مخاض طويل أسهم فيه رجال ومجموعات للبحث في المصطلح بعديد من الكليات بالمغرب».

وإن لمما يبعث على الغبطة أن يرى المرء، وهو يتتبع أخبار هذا المعهد الواعد النشيط، الندوات العربية والدولية تنظم بمبادرة منه، والدورات التدريبية تقام فيه، والأيام الدراسية، والمدارسات العلمية، تعقد في رحابه، وأن يراه ينشر الأدلة من مثل «**دليل معهد الدراسات المصطلحية**» و«**دليل الباحث الناشئ في المصطلح**»، ويصدر أعمال الندوات المتصلة بالمصطلح، ويتولى القائمون عليه الإشراف على الرسائل العديدة المتصلة بالمصطلح، فضلاً عما ينشرون هم أنفسهم من بحوث ومقالات وكتب، وغير ذلك من نشاطات يستطيع المرء متابعتها في نشرة المعهد الدورية الموسومة بـ «**أخبار المصطلح**» التي ترصد كل ما يتصل بالمصطلح من أخبار ونشاطات ومنشورات في الوطن العربي وخارجه[٢٠].

وأما تأليف معاجم خاصة بالمصطلح الأدبي والنقدي، فربما كان من أقوى المؤشرات إلى خطورة قضية توحيد المصطلح في نظر العاملين في ميدان النقد العربي القديم والحديث على حد سواء. ولعله بدا لهم الوسيلة الأكثر فاعلية في مواجهة واحدة من مشكلات هذا النقد وهي مشكلة أداته من حيث دقتها ووضوحها واتساعها وفاعليتها في تدبر وجوه العملية الأدبية، والتصدي لمختلف مستويات النص الأدبي العربي قديمه وحديثه.

وقد تيسّر للقارئ العربي نتيجة هذا الاهتمام بهذه الوسيلة نحو من بضعة عشر معجماً للمصطلحات الأدبية والنقدية انصرف معظمها إلى العناية بالمصطلحات المستلهمة من التقاليد النقدية المتصلة بـ «الآخر» الغربي، في حين التفت أقلها إلى المصطلح العربي الأدبي والنقدي القديم.

فأما المعاجم التي انصرفت إلى المصطلحات الأدبية والنقدية العربية الحديثة والمستلهمة من مواريث «الآخر» الأدبية والنقدية فيبلغ عددها عشرة ظهرت على مدى نحو من ربع قرن، صدر من بعضها أكثر من طبعة، ولبّت إلى حدّ ما حاجة واسعة المدى بين صفوف المعنيين بعملية الإنتاج الأدبي. وهي تضم فيما تضم:

١ ـ «**من اصطلاحات الأدب الغربي**»[٢١] للدكتور ناصر الحاني، والذي صدر عام ١٩٥٩، وقد ظهرت منه طبعة ثانية تحت عنوان «**المصطلح في الأدب الغربي**» عام ١٩٦٨، لم تحقق تقدماً ملحوظاً على سابقتها، خلا حذف بعض المداخل، والتنقيح الصناعي لبعضها الآخر؛

٢- «**معجم مصطلحات الأدب**»[٢٢] للدكتور مجدي وهبة والذي صدر عام ١٩٧٤؛

٣- «**معجم لمصطلحات النقد الحديث: قسم أول**»[٢٣] للدكتور حمادي صمود الذي نشر على صفحات **حوليات الجامعة التونسية** عام ١٩٧٧؛

٤- «**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**»[٢٤] للدكتور مجدي وهبة وكامل المهندس والذي صدر أول ما صدر عام ١٩٧٩، ثم ظهرت منه طبعة موسعة ومنقحة عام ١٩٨٤[٢٥]، حققت تقدماً ملموساً على سابقتها.

ويتميز هذا المعجم عن سابقيه باهتمامه بالمصطلحات الأدبية والنقدية العربية القديمة والحديثة فضلاً عن مصطلحات علوم اللغة العربية؛

٥- «**المعجم الأدبي**»[٢٦] للدكتور جبور عبد النور الذي صدر عام ١٩٧٩؛

٦- «**معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**»[٢٧] للدكتور سعيد علّوش الذي ظهر عام ١٩٨٤، وأعيد طبعه ونشره عام ١٩٨٥ في مغرب الوطن العربي ومشرقه[٢٨]؛

٧- «**معجم المصطلحات الأدبية**»[٢٩]، لإبراهيم فتحي الصادر عام ١٩٨٦

٨- «**قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية**»[٣٠] للدكتور إميل

يعقوب والدكتور بسام بركة ومي شيخاني والذي صدر عام ١٩٨٧، والذي يعنى أيضاً بالمصطلحات اللغوية إلى جانب عنايته بالمصطلحات الأدبية كما يشير إلى ذلك عنوانه نفسه؛

٩– «**دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من ثلاثين مصطلحاً وتياراً نقدياً أدبياً معاصراً**»(٣١) للدكتورين ميجان الرويلي وسعد البازعي، والصادر عام ١٩٩٥؛

١٠– «**المصطلحات الأدبية الحديثة**»(٣٢) للدكتور محمد عناني والذي صدر عام ١٩٩٦.

وأما المعاجم التي خصت بعنايتها مصطلحات النقد العربي القديم وما اتصل به من علوم مساعدة ولاسيما البلاغة العربية القديمة فلم يعن بها غير فارسين أولهما الدكتور أحمد مطلوب الذي أصدر بداية كتابه «**مصطلحات بلاغية**» عام ١٩٧٢، وتعرض فيه لخمسة منها هي الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان والبديع، ثم نشر بين عامي ١٩٨٣ و١٩٨٧ مؤلفه الضخم «**معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها**»(٣٣) في ثلاثة أجزاء، وما لبث أن عاوده بالتنقيح والمراجعة وأعاد نشره في مجلد واحد أخرجته في حلة جديدة وطبعة مجلدة دار مكتبة لبنان في بيروت عام ١٩٩٦. وإذ خصّ معجمه هذا بالمصطلحات البلاغية فقد جرّده من مصطلحات النقد إلا ما ذكرته كتب البلاغة، ولكنه وبعد أن ارتفعت صيحة «**إشكالية المصطلح النقدي**» عاد إلى هذه المصطلحات عام ١٩٨٩، وجمعها، وأخرجها لقراء العربية في مجلدين ضخمين حملا عنوان «**معجم النقد**

العربي القديم»[٣٤] وضما نحواً من ثمانمائة مصطلح نقـدي قديـم، فتـوج بذلك عملاً استغرقه سنوات طويلة، وأراد – فيما يبدو – أن يمهّـد الطريـق به لوضع «المعجم النقدي في وقت تعدّدت فيه المناحي واختلفـت الآراء، وأصبح الرجوع إلى معجـم موحـد ضـرورة ملحة، ليصـدر البـاحثون عـن منهج واضح»[٣٥]، ولذا نراه يكتب في التقديم لمعجمه الثاني:

«وكان المعجمان ثمرة عمـل طويـل استغرق أعوامـاً، وقـد أريـد بهما رسم الطريق لوضع معجم نقدي بلاغي معاصر يكـون مرجعـاً للنقـاد ومصـدراً للبـاحثين بعـد أن ظـل المصطلـح النقـدي والبلاغـي بعيـداً عــن المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية»[٣٦].

ويضيف فيما بعد:

«إن صدور المعجمين دعوة مخلصة إلـى وضـع المعجـم النقـدي الحديث، وإذا كانا قد وقفا عند القديم فذلك ما أريد لهما، ليكونا منطلقـاً لا رسوماً تقيّد الخطا»[٣٧].

وأما ثاني هذين الفارسين فهو الدكتور بدوي أحمـد طبانـة الـذي تحدث بإسهاب عن تجربته في صناعـة **معجـم البلاغـة العربيـة** فـي مقالـة نشرها في مجلة **الفيصل** (الرياض) عام ١٩٩٤، وذكر فيها أنـه قضـى فـي صناعته نحواً من ربع قرن، وأنه تعاقد عام ١٩٧٤ علـى طبعـه ونشـره مـع جامعة طرابلس الليبية، وأنّ طبعة ثانيـة منـه قـد صـدرت فـي الريـاض عـام ١٩٨١، وأن طبعة ثالثة قد ظهرت عام ١٩٨٨. و"كانت جملـة المطبـوع في تلك الطبعات الثلاث خمسـة عشر ألـف نسـخة. وكـان مجمـوع مـا

اشتملت عليه الطبعة الأولى ٩٠٣ من الفنون والمصطلحات، ووصلت في الطبعة الثانية إلى ٩٢٦، وفي الثالثة إلى ٩٤٥، وتصل في الطبعة الرابعة إلى ٩٠٧ إن شاء الله" على حد قوله(*). ولكن من المؤسف أن صاحب هذه السطور، على الرغم من سعيه، لم يعثر على أية نسخة من هذه الطبعات الأربع في مكتبات القطر العربي السوري.

والناظر إلى ما تقدّم من معاجم خاصة بالمصطلح النقدي الأدبي والبلاغي في الثقافة العربية يستطيع أن يتبين بسهولة أنها ما زالت بعيدة عن طموح العاملين في ميدان النقد الأدبي الحديث ولم تسهم الإسهام المرجوّ في توفير اللغة المشتركة فيما بينهم، ولما كان صاحب هذه السطور قد قدّم في موضع آخر تقويماً مفصلاً للمعاجم الخاصة بالمصطلحات الأدبية والنقدية الحديثة والمستلهمة من تقاليد «الآخر» الغربي، فإنه يمكن أن يكتفي بالإشارة إلى أن هذه الجهود:

«مهمة ومفيدة، ولكن الغالب على معظمها أنه جهد فردي، بعيد، للأسف ، كل البعد عن عمل الفريق الخبير، الذي يقوده محرر خبير، قادر، تدعمه مؤسسة علمية عريقة، ويتوجه إلى جمهور واسع من المعنيين بالعملية الأدبية إنتاجاً واستهلاكاً. وعندما يتذكر المرء ما يتيسر للباحث

(*) انظر على أي حال

د. بدوي أحمد طبانة، "تجربتي في صنعة معجم البلاغة العربية"، **الفيصل** (الرياض)، العدد (٢٠٨)، شوال ١٤١٤ هـ، مارس – أبريل ١٩٩٤، ص ص (٦٧ – ٧٠)، ولا سيما ص (٧٠).

العربي عامة (باستثناء دول مجلس التعاون الخليجي) في أي ميدان من تسهيلات بحثية ومعرفية، فإنه لا يمكن إلا أن يتواضع في توقعاته من الجهود الفردية، ويشفق على أصحابها مما سعوا إلى النهوض به من جهة، ويكبر من جهة أخرى جهودهم، ويشدّ على أيديهم، لأن هذه الجهود يحركها الإيثار والغيرية»[٣٨].

أما بالنسبة إلى جهد الدكتور مطلوب، ففضلاً عن كونه جهداً فردياً، فإنه جهد أحادي النظرة ذلك أنه لأمر ما، لم أكد أتبينه أو أتبين الحكمة من الإصرار عليه، انطلق في كل ما قام به من اعتقاد مفاده أن «المصطلح النقدي القديم عربي أصيل»[٣٩] لم يُفد أية فائدة من التقاليد النقدية المعاصرة له، أو السابقة، وهو اعتقاد غريب في ضوء التاريخ الطويل لتفاعل الأدب العربي عبر العصور مع الآداب الأخرى (كالأدب الأمهري، والفارسي، والسرياني، والهندي، والبيزنطي، والروماني، أو اللاتيني، واليوناني، والإسباني، وغيرها)، وكيف لأدب يتفاعل على نحو خلاّق مبدع مع جميع هذه الآداب ولا يفيد دارسوه من التقاليد النقدية المتصلة اتصالاً عضوياً بهذه الآداب في دراستهم له. والحقيقة أن تجربة الأدب العربي الحديث في تفاعله مع الآداب الغربية تفضي إلى اعتقاد مضادّ تماماً لما ذهب إليه الدكتور مطلوب ذلك أن التفاعل في ميدان الإنتاج الأدبي لابد أن يترافق مع تفاعل في ميدان الفكر النقدي ولابد أن يتجلّى ذلك في المصطلح الأدبي والنقدي على نحو ما، وهو أمر طبيعي جداً، وليست العبرة في كون المصطلح عربياً، إذ لابد أن يشير إلى مفهوم

عربي صرف حتى نستطيع أن نزعم أنه مصطلح عربي أصيل. فمصطلح «أدب» عربي دون شك، ولكنه يشير إلى مفهوم تطوّر عبر العصور نتيجة تفاعل الثقافة العربية مع الثقافات الأخرى، وبالتالي فإن مفهوم «الأدب» اليوم لا يمكن أن يتضح دون أن يكون دارسه على وعي تام بتطوره هذا الذي حفزته اتصالات الأدب العربي بالآداب الأخرى على مدى أكثر من خمسة عشر قرناً. ومطلوب نفسه يكتب في خاتمة تقديمه **لمعجم النقد العربي القديم**:

«ولن يكون هناك مصطلح عربي إن لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة العربية والثقافة الأجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات»[٤٠].

وباختصار إن جميع ضروب النشاطات والجهود العلمية المتقدم ذكرها من مؤتمرات وندوات علمية، ورسائل جامعية عديدة، وأعداد خاصة تصدرها المجلات الرصينة، وكتب ومقالات، ومعاهد خاصة بدراسة المصطلح، ومعاجم خاصة به، تنطوي على رغبة حميمة في تجاوز المشكلات التي تنجم عن اضطراب لغة التفكير المنظم في عملية الإنتاج الأدبي في المجتمع العربي الحديث، وهي تشير جميعاً إلى ضرورة القيام بصنع معجم موسوعي موحد شبيه **بموسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (الصادرة عام ١٩٩٣)، أو **بموسوعة النّظرية الأدبية المعاصرة: مقاربات، باحثون، مصطلحات** (الصادرة عام ١٩٩٣)، أو **بدليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد**[٤١] (الصادر عام ١٩٩٤) أو **بقاموس**

للنظرية الثقافية والنقدية[٤٢] (الصادر عام ١٩٩٦) أو ما شابهها، يضم في طياته مجموعة وافية من المقالات المركزة عن المصطلحات الأدبية والنقدية توضح المفاهيم والأفكار الرئيسية والأساسية في هذا الحقل المعرفي المهم، ولا يكتفى فيه بمجرد إيراد المصطلح العربي وقرنه بنظيره الأجنبي في اللغات الأكثر شيوعاً أو بالشرح الموجز البسيط لمحتواه ودلالته.

* * *

ولكن كيف السبيل إلى تأليف معجم عربي موسوعي موحّد لمصطلحات النقد والأدب؟

يبدو لي أن الأمر يتطلب جملة خطوات لابد منها تشمل فيما تشمل:

١- **إعداد ثبت بمداخل المعجم الموسوعي** يستند إلى:

أ - المداخل الواردة في المعاجم المتقدم ذكرها

ب- المداخل الواردة في معاجم التقاليد الأدبية والنقدية التي كان الأدب العربي ولازال على تفاعل حميم معها وهي كثيرة وقد تقدمت الإشارة إلى بعضها ويمكن إضافة معاجم أخرى ولاسيما أن التقاليد الأدبية الحيّة تقدّم باستمرار الجديد في هذا الحقل.

ج - المداخل الواردة في المعاجم الاختصاصية للعلوم الإنسانية والاجتماعية واللغوية من مثل اللسانيات، وعلم النفس، وعلم

الاجتماع، وعلم الاقتصاد، والسياسة، والأنتروبولوجيا، والدراسات الإعلامية والثقافية عامة، فضلاً عن الفلسفة والدراسات الفكرية.

د – المداخل الواردة في المعاجم الخاصة بالفنون الجميلة ولاسيما تلك التي تحتفظ بعلاقة وثيقة بالأدب. ولا ننسى أن الكثير من المذاهب الفنية الكبرى والمدارس والتقنيات تجاوزت الحدود الفاصلة بين هذه الفنون.

هـ– المداخل المتصلة بعلاقة الأدب بالمعارف العلمية المختلفة من مثل علم الفلك، والمحيطات، والطب والصيدلة والهندسة الوراثية وسواها مما تتطلبه دراسة الآثار الأدبية إلى ما يسمى بأدب الخيال العلمي.

٢– **إعداد مداخله:** وينبغي أن يستند إعداد مداخل هذا المعجم الموسوعي إلى:

أ – المعاجم الخاصة بالمصطلح الأدبي والنقدي التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

ب– المعاجم الخاصة بالمصطلح الأدبي والنقدي في التقاليد الأدبية والنقدية التي تواصل معها الأدب العربي عبر العصور.

ج– الموسوعات الأدبية العامة المتيسرة في مختلف اللغات والثقافات من مثل:

– موسوعة كاسيل للأدب العالمي؛

- موسوعة الأدب والنقد؛

- رفيق بنغوين للأدب وغيرها

د - الموسوعات الأدبية والنقدية الخاصة بمختلف الآداب القومية العالمية ولا سيما كتب الأدلة والكتب المرافقة لأدب ما من مثل Oxford Companion أو Cambridge Guide وما شابههما.

هـ- الموسوعات الفنية الخاصة بمختلف الفنون الجميلة القومية.

و - الموسوعات الخاصة بالثقافة العربية والتي أصدرها المستشرقون من مثل «**موسوعة الإسلام**» أو «**موسوعة الأدب العربي**» أو «**موسوعة أكسفورد للعالم الإسلامي الحديث**» وغيرها.

ز - مختلف الدراسات المتصلة بالنقد العربي القديم والحديث، سواءً أأنجزها العرب أم غيرهم، وهي كثيرة ومفيدة وتوفر الكثير من الوقت والجهد على المسهمين في هذا المعجم.

ح - مختلف تواريخ الأدب العربي الميسورة باللغة العربية وسواها من اللغات ولاسيما المؤلف الجمعي الممتاز الذي أصدرته مطبعة جامعة كامبريدج تحت عنوان «**تاريخ كامبريدج للأدب العربي**»، وظهر منه حتى الآن خمسة مجلدات ضخمة.

ط - السلاسل الخاصة بالمصطلح النقدي من مثل **سلسلة المصطلح النقدي** Critical Idiom التي كان يصدرها الناشر الإنكليزي "Methuen" والتي ترجم الدكتور عبد الواحد لؤلؤة عدداً لابأس به منها

ونشره في ثلاثة مجلدات؛ وسلسلة **المصطلح النقدي الجديد** The New Critical Idiom التي يصدرها الناشر الدولي **روتلدج** في كل من لندن ونيويورك ويحررها الباحث جون دراكاكيس من جامعة ستيرلنغ الانكليزية، والتي تخصص كتاباً لكل مصطلح نقدي رئيسي.

ي- الموسوعات العالمية الكبرى من مثل **الموسوعة البريطانية، والموسوعة العالمية، والموسوعة الأمريكية، وموسوعة لاروس** وغيرها في مختلف اللغات الرئيسية كالألمانية، والروسية، والإسبانية، والإيطالية، وغيرها، فضلاً عن الموسوعات العربية الواعدة.

وربما كان من المهم في هذا السياق التذكير بأنه ينبغي أن يقوم بإعداد مداخله باحثون عرب وأجانب من داخل الوطن العربي وخارجه من الثقات في مجال تخصصهم حتى لا تكون الحصيلة مسخاً ونسخاً لجهود الآخرين، أو البدء من نقطة الصفر(٤٣).

٣- **تحريره:** من الضروري أن تقوم على تحريره هيئة تحرير خبيرة بالتقاليد الأدبية والنقدية العربية والأجنبية القديمة والوسيطة والحديثة، ولاسيما تلك التي كان الأدب العربي على تواصل حميم معها في مختلف العصور والأمصار.

٤- **إصداره ونشره:** وينبغي أن تتولى إصداره والقيام على إعداده وتحريره ونشره مؤسسة عامة (جامعية، أو معجمية، أو ثقافية) تهمها قضية التفكير النقدي ومسألة تطويره ليسهم بدوره وعلى نحو فعّال في عملية الإنتاج الأدبي في المجتمع العربي الحديث. ولعله يحسن التذكير بضرورة تخزين مداخله في حاسوب تصمم برامجه لهذا الغرض بحيث يتيسر تنقيح

مواده وجعلها راهنة باستمرار. وكذلك فإن على هذه المؤسسة إذا ما أرادت نشره وإشاعته على أوسع نطاق أن تنشره في عدة طبعات (موسعة ومتوسطة وموجزة) يتوجه كل منها إلى شريحة معينة من القراء، وكذلك فربما تفكر في نشره منسوخاً على رقائق شافة مصغرة (أو ما يعرف بالميكروفيش)، أو على أقراص مدمجة تبعاً لحاجات قرائه واستجابة للتطورات التقنية المعاصرة.

وختاماً ينبغي التذكير بأن معجماً موسوعياً كالمعجم العربي الموحد لمصطلحات الأدب والنقد يجب أن تؤلف مداخله من منظور مقارن يأخذ بالحسبان فكرة مهمة جداً مفادها أن جميع الثقافات الإنسانية ثقافات مولّدة وأنها حصيلة شراكة معرفيّة بين الأمم والشعوب من مختلف الأمصار وعلى تعاقب العصور والأزمنة.

* * *

وبعد، فإن ما تقدم مجرد خطوط عامة يرجى لها أن تسهم في تمهيد الطريق نحو تأليف معجم عربي موحّد لمصطلحات الأدب والنقد، وهي حصيلة جهد فردي، وبالتالي فإنها اجتهاد فردي لابد من تصويبه وتسديده بتفكير الفريق، ويد الله مع الجماعة. وحين تنعقد النيّة ويتضح الهدف وتستقيم السبيل فإن الأمل سيثمر على حد تعبير الدكتور مطلوب[٤٤]. ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

* * *

حواشي

«نحو معجم عربي موحد لمصطلحات الأدب والنقد»

(١) انظر: **عدد خاص: ندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم.**

مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، **جامعة سيدي محمد بن عبد الله**، العدد ٤، السنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م (٤٧٣ص)

وقد عاد صاحب هذه السطور إلى طبعة عام ١٩٩٣ من هذا العدد الذي تكرّم بإرساله الدكتور الشاهد البوشيخي **مدير «معهد الدراسات المصطلحية»**، جزاه الله عني كل خير.

(٢) انظر عرضاً لوقائعه في:

د. علي نجيب إبراهيم «**تقرير حول مؤتمر قضايا المصطلح**»، **مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها** (دمشق)، العدد الأول، تموز ١٩٩٨م، ربيع الأول ١٤١٩هـ، ص (١٤٩- ١٥٦).

(٣) انظر عرضاً لوقائعه في:

عبد القادر منلا «**مؤتمر قضايا المصطلح الأدبي، خطة باتجاه توحيد الوعي الثقافي العربي**»،

ملحق الثورة الثقافي (دمشق)، العدد ١١٦، الأحد ٣١/٦/١٩٩٨، ص(٤).

(٤) انظر على سبيل المثال، **عدد خاص: ندوة المصطلح النقدي**... ص ٤٧٠، و د. علي نجيب إبراهيم، «تقرير حول مؤتمر قضايا المصطلح» ص١٥٥.

(٥) انظر الطبعة الثانية منه، (دار القلم، القاهرة، ١٩٩٤) مع مقدمة جديدة .

(٦) (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٢).

(٧) انظر **أخبار المصطلح** (فاس)، العدد الثاني، شعبان ١٤١٦هـ، يناير ١٩٩٦، ص٤، والعدد الثالث، شعبان ١٤١٧هـ، يناير١٩٩٧، ص٤.

(٨) انظر **الفكر العربي المعاصر** (بيروت) العددان ٤٨- ٤٩، كانون الثاني – شباط ١٩٨٨.

(٩) انظر المرجع السابق، ص ص ١٠٥ – ١٠٨.

(١٠) انظر **علامات في النقد الأدبي** (جدّة) / يونيو ١٩٩٣، المجلد الثاني، الجزء الثاني، محرم ١٤١٤هـ،

(١١) انظر د. عبد القادر القط، «قضية المصطلح في مناهج النقد الأدبي الحديث»، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية** (جامعة الكويت)/ص ص (٩٦- ١١٥)، العدد ٤٨، السنة ١٢، صيف ١٩٩٤،

(١٢) انظر د. عبد النبي اصطيف «**نظرة في مصطلح النقد العربي الحديث والمؤثرات الأجنبية فيه**» **الوحدة** (باريس) السنة الثامنة، العدد ٩٧، تشرين الأول ١٩٩٢، ربيع الثاني ١٤١٣هـ، ص ص (١٣٨-١٤٥).

(١٣) (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩).

(١٤) (دار القلم، القاهرة، ١٩٩٣).

(١٥) (دار القلم، القاهرة، ١٩٩٤).

(١٦) (موسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٤).

(١٧) انظر فاضل ثامر، **اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث** (المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٤).

(١٨) (المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ١٩٩٤).

(١٩) انظر د. كمال أبو ديب، «مقدمة المترجم» في ادوارد سعيد،

الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء

نقله إلى العربية كمال أبو ديب، (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١) ص ص (١- ٣٤) ولاسيما الصفحات من (٢١-٣٤) التي تضم ما سماه المترجم بـ «الكشاف المصطلحي»؛

وكذلك «مقدمة المترجم» في ادوارد سعيد،

الثقافة والإمبريالية، نقله إلى العربية وقدّم له كمال أبو ديب، (دار الآداب، بيروت، ١٩٩٧)، ص ص (٣٦- ٥٤)، و«الكشاف المصطلحي» ص ص (٣٩٣- ٤٠٥).

وانظر أيضاً تعليق الدكتور أحمد مطلوب على استعمال السوابق واللواحق في المصطلح في: **معجم النقد العربي القديم، الجزء الأول** (أ- ذ) . (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩)، ص (١٥).

(٢٠) يستند صاحب هذه السطور في هذه المعلومات إلى نشرة "**أخبار المصطلح**" التي يصدرها **معهد الدراسات المصطلحية**، ولاسيما الأعداد الثلاثة الأولى الصادرة في أعوام ١٩٩٥، و١٩٩٦، و١٩٩٧ على التوالي، فضلاً عن نشرة التعريف بالمعهد.

(٢١) (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩).

(٢٢) (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤).

(٢٣) **حوليات الجامعة التونسية**، العدد ١٥، ١٩٧٧، ص ص (١٢٥-١٥٦).

(٢٤) (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٥) (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤)، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة).

(٢٦) (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩).

(٢٧) (مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤).

(٢٨) (دار الكتاب اللبناني، بيروت، وسوشبريس، الدار البيضاء، ١٩٨٥).

(٢٩) (المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس/ تونس، ١٩٨٦).

(٣٠) (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧).

(٣١) (الرياض، ١٩٩٥).

(٣٢) (الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٦).

(٣٣) (مطبوعات **المجمع العلمي العراقي**، بغداد، ١٩٨٣- ١٩٨٧).

(٣٤) انظر: د. أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، جزءان (دار الشؤون الثقافية، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٩).

(٣٥) انظر: المرجع السابق، **الجزء الأول** (أ – ذ)، ص(٦)

(٣٦) المرجع السابق، ص (٦).

(٣٧) المرجع نفسه، ص (٧).

(٣٨) انظر: د. عبد النبي اصطيف، «المصطلح الأدبي في الثقافة العربية الحديثة: مشكلات الدلالة ومواجهتها»، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق** الجزء الأول من المجلد الخامس والسبعين صفحة ١١١.

(٣٩) انظر: د. أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم، الجزء الأول (أ – ذ)**، ص (٦).

(٤٠) المرجع السابق، ص ص (٢٧–٢٨).

(٤١) انظر عرضاً لها في:

د. عبد النبي اصطيف، «من موسوعات المصطلح الأدبي والنقدي»، **مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها** (دمشق) العدد الأول، تموز ١٩٩٨، ربيع الأول ١٤١٩هـ، ص ص(١٣١–١٣٦).

(٤٢) انظر:

A Dictionary of Cultural and Critical Theory,

Edited by Michael Payne

(Blackwell, Oxford, ١٩٩٦) .

(٤٣) ربما كان من الجدير بالذكر في هذا المقام أن محمد عزام قد أصدر عام ١٩٩٥ كتاباً عنوانه بـ «**مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي**» نشرته له وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق في سلسلة **إحياء التراث العربي**، لا يميز فيه بين المصطلح النقدي والمصطلح البلاغي، وبينهما وبين المصطلح العروضي، ولا يشير فيه مطلقاً إلى أيٍ من معجمي الدكتور أحمد مطلوب المتقدم ذكرهما في هذا

البحث، على الرغم من وجود دلائل داخلية/ نصفية تشير إلى دينه الكبير لصاحبهما. ومن المؤسف أن هذا الكتاب لا يضيف جديداً إلى ما قدمه الدكتور مطلوب من خدمة جليلة إلى قرّاء العربية، ربما خلا النسخ والمسخ والتمويه على القارئ. ولكن القارئ الخبير قادر على تبين مقدار دين عزام المطلوب عندما يقارن بين معجمي الأخير، ومصطلحات عزام النقدية. وحال السيد محمد عزام هو حال من يعيد اختراع الطائرة في نهاية القرن العشرين دون أن يعلم بتاريخ تطور صنعها ولا بإسهامات الآخرين فيخرج على الناس بطائرة، ربما سبق لهم أن رأوا مثلها في متحف تاريخ الطيران.

(٤٤) د. أحمد مطلوب، **معجم النقد العربي القديم**، الجزء الأول (أ–ذ)، ص (٧).

قضية التعريب في مصر*

د. محمود حافظ

من بين الأهداف التي وضعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة نصب عينيه منذ إنشائه العمل على تعريب العلم وذلك بوضع المصطلحات العلمية والمعاجم والاهتمام بالترجمة وذلك من منطلق واع مستنير يعد تعريب العلم والتعليم في مصر قضيةً وطنية لها أبعادُها العلمية والاجتماعية والثقافية وهي وثيقة الصلة بلغتنا القومية وكياننا العربي وكذلك بمستقبل الأجيال الصاعدة بمختلف مراحل التعليم في مصر.

وفي سبيل ذلك كان موضوع تعريب العلوم والتعليم بؤرةَ الاهتمام في المؤتمرات التي يعقدها المجمع منذ سنوات - وها هو يعيدُ الكرَّة هذا العام. ويجعلُ التعريب الموضوع الرئيس لهذا المؤتمر والذي يتصدى له علماءُ المجمع والعلماءُ الأشقاء من المجامع اللغوية العربية بالدراسة والبحث والاستقصاء إيماناً بضرورته أو حتميته التي تزداد يوماً بعد يوم بعد ازدياد الجفوة بين اللغة العربية ودارسيها والناطقين بها ومايبدو في الأفق من أزمة حادة تتمثلُ في ابتعاد أو عزلة اللغة العربية بمفرداتها وكلماتها وأصالتها عما يجري اليوم على الألسنة في كل مكان - وكذلك ما يبدو من ترد وهبوط في مستوى الخريجين والتعليم في مراحله المختلفة - وأيضاً ما نشهده اليوم من انتشار مدارس اللغات الأجنبية في مصر والتي لا تولي اللغة العربيَّة في مناهجها إلا

* ألقى هذا البحث في ١٩/ ٣ / ١٩٩٧ في مؤتمر الدورة الثالثة والستين لمجمع اللغة العربية.

أقل القليل وهو أمرٌ جدٌّ خطير على مستقبل أبنائنا فكرياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً.

والدعوة إلى التعريب واتخاذ اللغة العربية لغةً للعلم تنطلق من وعي أصيل يستشرف الآفاقَ الرحبةَ لهذه اللغة ويرى في قوتها وحيويتها وثرائها وشمولها قدرةً فائقةً على استيعاب التطور المتلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة وعلى مواكبة الإيقاع السريع في حركة العلم والتقدم العلمي والتكنولوجي وكذلك على مُكنتها الهائلة على التعامل مع ذلك الفيض الغزير من المصطلحات العلمية الجديدة التي تزخر بها العلوم الحديثة والمستحدثة التي انبثقت من ثورة الاتصالات والإلكترونيات وثورة المعلومات والحاسبات والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية وعلوم الفضاء والبيئة وغيرها.

ومبعثُ الاهتمام أيضاً بالتعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية يستمدُ جذوره من تلك النهضة العلمية الإسلامية التي تألقت في سماء الأمة العربية وبلغت أوجَها في عصر الخليفة المأمون (١٧٠– ٢١٨هـ) حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانيةَ والفارسيةَ وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية وبذلك انتقل إلى لغة العرب تراث الأمم ذات الحضارات القديمة وتلت ذلك نهضةٌ علميةٌ خصبةٌ واسعة تميز الإنتاج العربي فيها بالجدة والأصالة وبإضافات جادة أضافها عددٌ من العلماء الأعلام العرب إلى هذه التراجم من مبتكراتهم وكان هذا نتيجة تفاعل التراث الأجنبي الدخيل مع التراث العربي الأصيل - كان هذا العصرُ عصراً ذهبياً بالنسبة للغة العربية لغة للعلم زخرت بآلاف المصطلحات والمقابلات والمأثورات - وما زلنا نحن المشتغلين بالعلوم ننهل حتى اليوم من نبعهم الفياض كؤوساً مترعةً بالعلم والمعرفة بلغة عربية جزلة

معطاءة اتسعت آفاقُها الرحبة لمختلف العلوم والفنون.

وأحياناً ما يقف المرء معجباً بذلك الإنتاج الغزير لهؤلاء العلماء الأعلام أمثال ابن سينا (٤٢٨هـ) وله مئتان وستةٌ وسبعون كتاباً، والرازي (٢٥١- ٣١٣هـ) وله مئتان وأربعةٌ وعشرون (٢٢٤) كتاباً، والكندي (١٨٥ - ٢٥٢ هـ) وله مئتان وثلاثون (٢٣٠) كتاباً، وابن الهيثم (٣٥٤ - نحو ٤٣٠هـ) وله مئتا (٢٠٠) كتاب.

الدعوة إلى التعريب في مصر:

وفي مصر ترجع الدعوة إلى تعريب العلوم والعمل في سبيله إلى سنوات بعيدةٍ خلت حين جدت مصر في نقل العلوم الحديثة إلى العربية في عصر محمد علي وما بعده بغية استعمالها في التدريس في المدارس العليا ومن هذه الجهود ما قامت به مدرسة الطب والصيدلة عام١٨٣٣ من ترجمة ٨٦ كتاباً أجنبياً في عدة تخصصات لتعليم الطب والصيدلة ولم تلبث هذه الكتب بعد نجاحها أن أخذت طريقها إلى تركيا والجزائر وتونس ومراكش.

كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من بعثاتهم في فرنسا بالتدريس في المعاهد العليا باللغة العربية وقدموا إلى مكتبتنا العلمية رصيداً كبيراً من كتبهم ومعرباتهم ومؤلفاتهم نذكر منهم على سبيل المثال: أحمد حسن الرشيدي أحد أعلام مدرسة الطب المصرية ومن أعماله ومؤلفاته رسالةٌ في تطعيم الجدري، ضياء النيرين في مداواة العينين، طالع السعادة والإقبال في علم الولادة، الدراسةُ الأولية في الجغرافية الطبيعية. وأيضاً محمد علي البقلي الذي ألف كتباً عربية في الجراحة، محمد الشافعي في الأمراض الباطنة، محمد ندى ومن كتبه وترجماته حسن البراعة في فن الزراعة، الحججُ البينات في علم الحيوانات، نخبةُ الأذكياء في علم الكيمياء، الأزهار البديعة في علم الطبيعة. وعلي رياض في الصيدلة والسموم ومحمد

الدري في الأمراض الوبائية، ومحمد بيومي في الحساب والجبر والهندسة الوصفية، ومحمودُ الفلكي الذي عاد من بعثته في فرنسا عام ١٨٥٩ وتقلد بعد ذلك منصب الأستاذية في العلوم الرياضية بمدرسة المهند سخانة ـ هذا بالإضافة إلى ذلك الرصيد الضخم من الكتب والتراجم والمؤلفات باللغة العربية التي قام بها أو أشرف عليها شيخُ المترجمين في عصره رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) ومعاونوه في العلوم الهندسية والرياضية والجيولوجية والفلكية والطبية والجغرافية والتاريخية وألفاظ الحضارة والفنون وغيرها.

ومما هو جدير بالذكر أن عدداً من اللغويين والمتخصصين كانوا يعاونون هؤلاء العلماء في تصويبهم وترجماتهم ومؤلفاتهم وينقحون أعمالهم ويثيرونها بمقابلات من التراث العلمي العربي للمصطلحات العلمية الأجنبية كما حدث في أول معجم طبي اضطلع به عمر التونسي مع أعلام من مدرسة الطب هو معجم «الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية».

وبذلك تجمعت في مصر إبان النصف الأول من القرن التاسع عشر ومابعده بسنوات حصيلة ضخمةٌ من علوم الغرب نقلها إلى اللغة العربية هؤلاء العلماء وأضافوا إليها من مبتكراتهم ومؤلفاتهم ومن التراث العلمي العربي مما ساعد في حركة التنوير وتدريس العلوم في المدارس والمعاهد في ذلك الوقت بلسان عربي مبين ـ ولا شك أن ازدهار حركة التعريب والترجمة كانت لها اليدُ الطولى في هذه النهضة العلمية التي سادت ذلك العصر.

ولكن مما يدعو إلى الأسى أن هذه المسيرةَ الوثابة في تعريب علوم الغرب ونقلها إلى اللغة العربية قد توقفت بعد ذلك حين نكبت مصر بالاحتلال البريطاني عام١٨٨٢ وجثم على صدرها لسنواتٍ عدة وعزلت

اللغةُ العربيةُ عزلاً تاماً عن تدريس العلوم الحديثة التي فرض المستعمرُ دراستها بلغته ومهد لهذا الانقلاب وسايره ترسيخٌ لفكرة عجز اللغة العربية عن تدريس أي علم حديث وملاحقة التقدم العلمي ـ وقد روج لهذه الدعوة عدد من المثقفين قبيل الثورة العرابية ـ واحتدم الصراعُ بين حماة الشخصية الوطنية والدعاة إلى لغةٍ أجنبية وقد أثار ذلك الشعور الوطني الذي ظل يعتمل في صدور الوطنيين المخلصين الذين رفضوا التخلي عن لغة الأمة والتفريط في لسانها وعلى الرغم من ذلك عجز الضميرُ الوطني عن التصدي لفرض اللغة العربية على المجال العلمي ـ ولكن لم يقف علماؤنا مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع المثير فقامت دعوة حمل لواءها عبد الله النديم في مجلة الأستاذ «عام ١٨٩٢» للمضي في تعريب المصطلحات العلمية لاستخدامها في تعليم العلوم الحديثة ووجدت هذه الدعوةُ استجابةً عمليةً في اجتماع رأسه محمد توفيق البكري في أوائل ١٨٩٣ وحضره عدد من أئمة الكتاب والعلماء في ذلك العصر ووضعوا لائحة لمجمع لغوي علمي وتدارسوا في سبع جلسات من بين ماتدارسوه عدداً من المصطلحات العلمية ـ وفي العام نفسه (١٨٩٣) ظهرت مجلةُ «المهندس» وقدمت تجربةً عمليةً لكتابة البحوث العلمية باللغة العربية الفصحى دحضاً للقائلين بعجزها في مجال البحث والتدريس ثم تتابعت الجهود بعد ذلك في هذا السبيل إلى أن أنشئت الجامعةُ المصريةُ الأولى الأهلية عام ١٩٠٨.

إنشاء الجامعة المصرية:

بدأ التفكيرُ في إنشاء الجامعة مع مطلع القرن العشرين ثم تبلورت الفكرة نتيجة للوعي الثقافي والسياسي في عام ١٩٠٨ حين تأسست الجامعة الأهلية واقتصرت الدراسةُ فيها على بعض فروع الأدب والفلسفة وكان قيامها ترسيخاً لفكرة الجامعة مشعلاً للتنوير ومناراً لنشر العلم والمعرفة في

البلاد ثم تحولت إلى جامعةٍ حكومية ـ الجامعة المصرية ـ في عام ١٩٢٥ وكانتا بذلك فاتحةَ نهضةٍ علمية وثقافية حديثة في مصر وكان التدريسُ أساساً باللغة العربية التي استعادت مكانتها مرة ثانية ـ وكما يقول أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح ـ قد استدعت الضرورة في المراحل الأولى من إنشاء الجامعة استقدام عدد قليل من العلماء الأجانب والمستشرقين للتدريس بالجامعة في بعض العلوم وكانت تترجم محاضراتُ هؤلاء إلى اللغة العربية وتلخصُ للطلاب ـ وفي السنوات التالية أخذ عددُ المصريين العائدين من بعثاتهم بالخارج يزداد ازدياداً مطرداً ولم يلبث هؤلاء أن تولوا مهامَّ التدريس بالجامعة في معظم الكليات والمعاهد العليا باللغة العربية باستثناء بعض الكليات.

ومع تطور النهضة العلمية والتعليمية واتساعها في مصر في الخمسين سنةً الأخيرة أصبح لدينا في مصر في الوقت الحاضر اثنتا عشرة (١٢) جامعة بالإضافة إلى جامعة الأزهر ولبعض هذه الجامعات فروع إقليمية تضم عدداً من الكليات المتخصصة وإلى أن تكتمل كلياتها ستصبح في وقت قريب جامعاتٍ إقليمية جديدة قائمةً بذاتها ـ وتضم هذه الجامعات مئتين وخمس عشرة (٢١٥) كليةً ومعهداً جامعياً يدرس فيها أكثر من ثلاثة أرباع المليون (٧٥٤,١٧٤) من الطلاب وذلك بالإضافة إلى واحدٍ وثلاثين (٣١) من المعاهد العليا التابعة لوزارة التعليم ويدرسُ بها مئتان وسبعون ألف (٢٧٠,٠٠٠) طالب ـ وبالجامعات المصرية أيضاً ست وتسعون ألفاً (٩٦,٠٠٠) من طلاب الدراسات العليا.

أما جامعة الأزهر فبها عشرون كلية (٢٠) تضم ٦٥,٨١٠ من الطلاب وسبعة آلاف وخمس مئة (٧,٥٠٠) من طلاب الدراسات العليا ـ وكل هذه الإحصاءات عن العام الجامعي ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦.

وبالإضافة إلى هذه الجامعات الحكومية توجد الآن بمصر خمس (٥) جامعات خاصة وأكثر من مئتين (٢٠٠) من مراكز ومعاهد البحث العلمي.

وقد شهد ربع القرن الأخير في مصر الجانب الأكبر من هذه الزيادة الهائلة في أعداد الطلاب والكليات والمعاهد، وازدادت تبعاً لذلك أعداد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ـ ومن بين هؤلاء الطلاب نحو ربع المليون (٢٥٠.٠٠٠) من الطلاب يدرسون معظم مقرراتهم باللغة الإنجليزية وهم طلابُ كليات العلومِ والهندسةِ والطب البشري وطبِ الأسنان والصيدلة والطب البيطري والمعهد العالي للتمريض ومعهدِ العلاج الطبيعي ويقوم بالتدريس لهم نحو عشرين ألفاً من الأساتذة والأساتذة المساعدين والمدرسين والمدرسين المساعدين والمعيدين وذلك بخلاف أعداد أعضاءِ هيئة التدريس بجامعة الأزهر.

وهناك قلةٌ قليلة من المقررات في بعض هذه الكليات تدرسُ باللغة العربية ـ كما سيتضح فيما بعد ـ وجملةُ القول إن نحو ٣٠٪ من مجموع طلاب المرحلة الجامعية الأولى في مصر ونحو ٥٠٪ من مجموع أعضاء هيئة التدريس في هذه المرحلة يدرسون ويُدرسون باللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر إذ تجذبُ الأستاذَ المادةُ العلميةُ المتاحة في مراجعها العلمية الأجنبية ويخشى استخدام اللغة العربية فيحتاج إلى جهود مضاعفة في الترجمة والإعداد هو في غنى عنها حين يستخدم اللغة الأجنبية ويا ليت هذه اللغة لغة سليمة حقاً وقد زاد سوء الحال بتكدس الطلاب بالآلاف مما جعل مهمةَ الأستاذ بالغة الصعوبة وعجز الطلابُ عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماماً بهذه اللغة الأجنبية ويكفي أن نطلع على أوراق إجاباتهم لنرى المستوى العلميَّ واللغويَّ المتردي في هذه الأيام ومع ذلك نرى عزوفاً عن التدريس بلغتنا القومية مع أن قانون الجامعات المصرية حرص على النص على

أن تكون اللغة العربية لغةَ التعليم والتدريس أما تأجيلُ إعمَال هذا النص الذي منحه القانونُ في بعض الأحوال فكان لأجل موقوت ولكنه للأسف استمر منذ إنشاء الجامعة حتى اليوم.

وعلى الجانب الآخر نرى صوراً مشرقةً وضاءةً لأساتذة بجامعاتنا المصرية خاضوا التجربة ـ تجربةَ التدريس باللغة العربية ـ في عزم وإصرار وأبلوا فيها أحسن البلاء دحضاً للفرية التي يروجها المعارضون لتعريب العلوم والطب بصفة خاصة وهي أن اللغةَ العربية قد تقصر عن الوفاء بمتطلبات التعبير والتدريس بها في العلوم والطب وغيرها وعن ملاحقة التطور العلمي السريع في هذا العصر ـ ومن بين هؤلاء العلماء عالم البيولوجيا والطب الدكتور محمد ولي الذي ظل يدرّس علمَ الحيوان والتشريح والأنسجة لطلاب إعداديات الطب ولطلاب العلوم بجامعة القاهرة طوال خمسة وعشرين عاماً بالعربية، ولا زلنا نذكر له محاضرته «العربيةُ لُغة العلم» التي ألقاها عام ١٩٣٤ بالمجمع المصري للثقافة العلمية والتي فند فيها حججَ المعارضين للتدريس باللغة العربية ودعا فيها إلى التوسع في حركة التعريب ـ والنحت والاشتقاق وإلى التدريس بالعربية في الجامعات ـ وقد ناشد في محاضرته مجمع اللغة العربية وكان في مراحل إنشائه الأولى أن يتوجه بجهوده نحو جعل اللغة العربية لغةً للعلم إلى أن قال من فرط إيمانه بالقضية: « ولا يكون هذا إلا إذا تشيد المجمعُ على أساس من هذا المبدأ ودقَّ قلبُه بما يبعثُه فيه من الجد واليقين وسرت نفحاتُ هذه النَّهضة العربية في دمه فتخللت جميعَ أجزاءِ جسمه فأصبح علمياً عربياً في الشكل والجوهر وأملُنا في هذا المجمع كبير وثقتُنا فيمن يقومون عليه عظيمةٌ» هذا ما قاله أستاذ جامعي كبير منذ أكثر من ستين عاماً ـ ولو امتد به العمر حتى اليوم لشهد كيف أن المجمَع لازال يعمل جاهداً نحو تحقيق هذا الهدف ويعقد حوله

المؤتمرات منها مؤتمر هذا العام ـ كلّها زاخرةٌ بالدراسات والمحاضرات آخرها المحاضرةُ القيمةُ لأستاذنا الجليل الدكتور شوقي ضيف عن «العربيةُ لُغة علم راسخة» والتي ألقاها في المؤتمر الماضي.

عالمٌ آخر من علماء مصر البارزين آمن بالعربية لغة للعلم هو الأستاذ الدكتور أحمد زكي عالم الكيمياء وعضوُ المجمع، واللغويُّ الأديب ومن تابع محاضراته وكتاباته وبخاصة في مجلة العربي لرأى كيف كانت اللغةُ العربية طوع قلمه يطرق بها مختلف الموضوعات العلمية ويصف بها المستحدث من علوم العصر في مكنة واقتدار وكانت كتاباته في العلم بلغة الضاد قمةً في الأداء والاستقصاء. وكانت له جهود كبيرة في الدعوة منذ الثلاثينيات إلى ترجمة أمهات الكتب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية.

ومن بين هؤلاء العلماء أيضاً الأساتذة مصطفى نظيف وإسماعيل مظهر والدكاترة إبراهيم مدكور وعلي مشرفة وكامل حسين وكامل منصور، محمدمرسي أحمد، عبد الحليم منتصر، علي محمد كامل الذي درّس علوم الطاقة باللغة العربية بهندسة عين شمس، عائشة عبد الرحمن التي كتبت عن اللغة العربية ودراسة العلوم بالجامعة، عبد الحافظ حلمي محمد ومحمود حافظ وغيرهُم. وهؤلاء ومن سبق ذكرُهم قادوا المسيرةَ في مصر في الدعوة إلى تعريب العلوم وتعريب التعليم العالي والجامعي وقد كتبوا مقالات كثيرة منها «العربيةُ لغةٌ علمية، نقلُ العلوم إلى العربية، نشر الكتب العلمية باللغة العربية، لغةُ تدريس العلوم في الجامعات، تعريبُ العلم» وكثيراً ما حاضر هؤلاء العلماء في العلوم والطب باللغة العربية وحققوا كتباً رائدةً من تراثنا العلمي العربي.

ويجدر بي في هذا المُقام أن أنوهَ بجهود عالم جليل هو الأستاذُ الدكتور محمد سليمان أستاذ الطب الشرعي بجامعة القاهرة الذي درَّس

هذا العلمَ بـاللغة العربيـة وقاد مع زملاء له من المؤمـنين بتعريب الطـب حركةً جادةً لتحقيق هذا الهدف. ومـنذ سنوات في مايو ١٩٨١ وافقت لجنةُ قطاع الدراسات الطبية التـابعة للمجلس الأعلى للجامعات على السماح باستخدام اللغة العربية في التدريس بكليات الطب.

واهتمـاماً بهذه القضـية صدر قرارٌ عـن المؤتمر العشرين لاتحـاد الأطباء العرب في جلسته الختامية التي عقـدت بالقاهرة في الثاني والعشرين من يناير عام ١٩٨٨ خاصاً بتعريب منـاهج كليات الطب وأن يكون عام ١٩٨٨ عام بدء تـعريب الـطب في كلـياته المختلفـة في الوطـن العربـي على أن يتـم ذلك تدريجيـاً في السنوات العـشر القادمة. كـما أوصى المؤتمرُ أن تكون البحوثُ في مؤتمرات اتحاد الأطباء العرب باللغة العربية وبمناشدة منظمة الصحة العالمية عقد اجـتماع لعمداء كلـيات الطب في العالم الـعربي لمناقشة مـوضوع البدء في عملية تعريب الطب.

وفيما أعلـم عُقدت عدةُ اجتماعات وطال الجـدلُ حول هذا الموضوع بين مـؤيد ومعارض وكـما يقـول الأستاذ الـدكتور أبـو شادي الروبي عـضوُ المجمـع إنه حين عُرض قـرار وزراء الصحة الـعرب بضرورة الـتزام الجامـعات بالانتـهاء من تعـريب الطب مع نهـاية القرن الحـالي ـ حين عُرض هـذا القرارُ على مجلس كلـية الطب بجامعة القاهرة تـبين أن ٧٥٪ من الأساتذة للأسف رفضوا مـا جاء به تجنياً عـلى اللغة العربـية أنها قد تقـصر عن الوفاء بمتـطلبات التدريـس بها وقد تـعزلهُم عن الـتقدم العـالمي في مجـال الطب وبحـوثه وقد فاتـهم أن جامـعة دمـشق تقـوم بتدريس الـطب باللـغة العـربية مـنذ أكثـر من خمسين عاماً حتى اليوم كما أن مـعظم جامعاتِ العالم تُدرس العلومَ والطبَ بلغاتها القومية.

وفـي هذا الـسيـاق أيضـاً تجـدر الإشـارة إلى أن الـستـينات وأوائـل

السبعينات قد شهدت محاولات جادةً للتدريس باللغة العربية للسنوات الإعدادية بكلية الطب وكانت النتائج عظيمةً من حيث استيعابُ الطلاب للمادة العلمية وتفهمها في سهولة ويسر وللأسف الشديد عدل عن ذلك وعاد التدريس باللغة الإنجليزية استجابة لما طالبت به كلية الطب وتكررت القصة نفسها بالنسبة لطلاب السنتين الأولى والثانية بكلية العلوم في أوائل السبعينات وربما كان عدمُ توافر المراجع العلمية الحديثة باللغة العربية ترجمةً وتأليفاً وتعريباً أحد الأسباب عن هذه النكسة ـ أضف إلى ذلك افتقار المدرس الجامعي والحالي إلى التأهيل الأمثل للتدريس بالعربية السليمة بدلاً من ذلك الخليط من لغة أجنبية ضعيفة متردية وعربية عامية دارجة ويجدر بي أن أشير هنا أن بين الدراسات الرائعة التي كتبها العالمُ الجليلُ الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني دراسةً قيمةً حقاً في موضوع تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالجامعة للتدريس باللغة العربية وهي دراسةٌ جديرة بالعناية والاهتمام.

أهمية الكتاب في تعريب العلوم:

من المشاهد أن المكتبة الجامعية في مصر لا تزال كما قدمنا فقيرةً حتى اليوم في الكتب والمراجع العلمية الحديثة المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها بكليات العلوم والهندسة والطبِ بفروعه المختلفة والصيدلة وبعض المعاهد العليا باستثناء بعض المقررات الدراسية في بعض هذه الكليات إذ لها كتبها بالعربية لأنها تدرّس بهذه اللغة ـ وسببُ ذلك الذي نشهده من قلة المستحدثِ من المراجع العلميةِ العربية هو العزوف عن التأليف أو الترجمة في غيبة الحافز الذي يدفع إلى ذلك ـ ومرد ذلك أيضاً إلى الأزمة التي تمر بها حركةُ الترجمة بوجه عام.

وغني عن البيان أن الترجمة ضروريةٌ لتحقيق التواصل الفكري الدائم

بيننا وبين العالم الغربي الذي تتقافزُ خطواتُه في معارج الرقي والتقدم. كما أن اللغة العربية تزداد غنى وثَراءً بالترجمة وتتسعُ آفاقها بالحصيلة الجديدة التي تضافُ إلى مذخور تراثها وتصبحُ أقدر على تأدية رسالتها في عصر العلم والتقدم العلمي والتكنولوجي بفضل عملية التلاحم التي تضطلع بها الترجمةُ ولا شك أن لكل ذلك انعكاساته الإيجابية على التعليم باللغة العربية في جامعاتنا ومعاهدنا العالية.

والجدير بالذكر أن الترجمة قد ازدهرت في مصر في عصور سابقة ـ في عصر رفاعة رافع الطهطاوي شيخ المترجمين الذي قاد أكبر حركةٍ للترجمة في عصره وبلغ عددُ ماتُرجم نحو ألفين من الكتب والرسائل في مختلف العلوم والفنون ـ وكان منهجُ الطهطاوي في ترجمة المصطلحات أو المفردات الأجنبية هو أن يحدد في ذهنه معاني هذه المفردات ثم ينقب عن ما يتلاءم معها من المفردات العربية في المعاجم العربية وأحياناً يلجأ إلى تعريب المصطلح الأجنبي فيضعُه بنصه مع بعض تعديل يتلاءمُ مع النطق العربي - وكان يرى أن هذه المصطلحات المعرَّبة يمكن أن تأخذ طريقها إلى اللغة العربية كغيرها من المصطلحات المعربة عن اليونانية والفارسية وغيرها وكان لهذه الجهود أثرها العميق في النهضة العلمية والثقافية في مصر.

كما تجدر الإشارة إلى أيام «المقتطف» الذي بدأ نشاطه في مصر عام ١٨٨٥ وامتد أكثر من خمسين عاماً وكان يحفل بمختلف التراجم والموضوعات العلمية والمصطلحات باللغة العربية، أو إلى أيام لجنة التأليف والترجمة والنشر التي أنشئت عام ١٩١٤ وزودت المكتبة العربية على مدى ثلاثين عاماً بطائفةٍ من الكتب والمؤلفات والتراجم التي كانت عوناً كبيراً للتعليم العالي والجامعي، أو إلى أيام المجلس الأعلى للعلوم في أواخر الخمسينات (١٩٥٦) حين أشرف على برنامج لترجمة أمهات الكتب

والمراجع في العلوم الأساسية الجامعية إسهاماً في تدريسها باللغة العربية دعماً لحركة تعريب العلوم وقد زُود الكثير من هذه الكتب بكشافات تضم المصطلحات العلمية الأجنبية ومقابلاتها باللغة العربية ـ وهكذا فعلت مؤسسة فرانكلين حين بدأت في الستينات في ترجمة العديد من المؤلفات العلمية الرائدة إلى اللغة العربية بهدف الاستفادة بها في التعليم الجامعي وكذلك في نشر الثقافة العلمية وهكذا فعل مشروع الألف كتاب الذي نهضت به الإدارةُ الثقافيةُ بوزارة التربية والتعليم وتولته بعد ذلك هيئةُ الكتاب ـ ولكن من المؤسف حقاً أن الكثيرَ من هذه الكتب والمراجع الجامعية التي نُقلت إلى اللغة العربية قد أهملت وطواها النسيان إذ إن العزوف عن التدريس بالعربية قد وأد معظمَها وأجهض الجهودَ المضنية التي بُذلت في سبيل إنجازها.

بارقة أمل وتفاؤل:

وسط هذا الأسى على ما فات يتبدى على الجانب الآخر مايبعث على التفاؤل والأمل فقد بدأ تدريسُ بعض المقررات باللغة العربية في بعض كليات العلوم والهندسة والطب البيطري في بعض الجامعات والمعاهد العليا نلمح إلى بعضها فيما يلي وهي بدايةٌ طيبةٌ على طريق تعريب العلوم نرجو لها الاطراد والنماء:

أولاً: في كليات العلوم: تدرس الرياضيات في السنتين الأولى والثانية باللغة العربية وكذلك علم البيئة النباتية وفسيولوجيا النبات بعلوم عين شمس. وتدرس علوم الكيمياء والفيزيقا والنبات والحيوان والجيولوجيا والرياضيات في السنة الأولى بعلوم المنصورة باللغة العربية. وتدرس علوم السنة الإعدادية بعلوم الأزهر باللغة العربية وكذلك علوم الأجنة والتطور والبيئة والتصنيف في السنوات الأخرى.

ثانياً: في كليات الهندسة: تدرس علوم السنة الإعدادية باللغة العربية وتشمل الرياضيات والفيزيقا والميكانيكا والكهرباء والهندسة الوصفية وغيرها ـ كما تدرس مقررات أخرى بالعربية في خواص المادة والمساحة والحجوم والكميات في السنتين الأولى والثانية بهندسة عين شمس ويدرس كذلك علم السكك الحديدية والطرق وتخطيطها بالسنة الرابعة.

ثالثاً: في كليات الطب البيطري: تدرّس علوم الوراثة وتربية الحيوان والاقتصاد الزراعي باللغة العربية.

رابعاً: في كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان: عزوف واضح عن التدريس باللغة العربية حتى الآن ولو أنه في بعض المواد كالطب النفسي بجامعة عين شمس يجوز للطالب أن يجيب باللغة العربية وتوجد كتب ومؤلفات في هذا الفرع وفي غيره كالصحة العامة والأمراض العصبية والرمد وتدرس بعض هذه المقررات باللغة العربية في جامعة الأزهر وغيرها.

وفي السنوات الأخيرة ظهرت حركةٌ طيبة بكلية الطب بجامعة الأزهر حيث يقوم بعضُ أساتذتها بالتأليف باللغة العربية في بعض تخصصاتهم من العلوم الطبية منهم الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز محمد الذي وضع أول كتاب ضخم (٥٥٩) صفحة عن «العين وطب العيون» باللغة العربية وكذلك أول كتاب لغوي رمدي وعنوانه «الأصل العربي لمفردات طب العيون» أثبت فيه أن اللغة العربية هي الأم لجميع اللغات وقد أشاد مجمع اللغة العربية بهذا المؤلَّف حين عكف على دراسته كما نشر الدكتور عبد العزيز كتاباً آخر عن « أم الغلوق » أو الجلوكوما (المياه الزرقاء) باللغة العربية ـ كذلك وضع الأستاذ الدكتور عبد اللطيف موسى عثمان ثلاثة مجلدات عن أمراض الجهاز العصبي باللغة العربية ـ والأستاذ الدكتور عبد المجيد إبراهيم اللبان وآخرون يعدون كتاباتهم في تخصصات أخرى

إسهاماً منهم في تعريب العلوم الطبية والطبيعية بجامعة الأزهر ونرجو أن تمتد هذه الحركة المباركة إلى الجامعات الأخرى في مصر.

دور مجمع اللغة العربية وهيئات أخرى
في النهوض بتعريب العلوم في مصر

تشهد مصر منذ سنين نشاطاً ملحوظاً من هيئات علمية ولغوية تعمل جاهدة في صبر وأناة على اتخاذ اللغة العربية لغةً للعلم وتطبيقاته وفي مقدمة هذه الهيئات مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي يقومُ - من بين مهامه اللغوية والعلمية والأدبية الكبرى - بمهمة وضع المصطلحات العلمية. ويسير المجمع على نهج واضح ومستقر لوضع هذه المصطلحات يلتزمُ به فحين تتصدى اللجان العلمية (٢٠ لجنة) لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرسُ المصطلحَ معنى ومبنى وأصلَه اللاتيني أو اليوناني وتبحثُ عن أفضل المقابلات له باللغة العربية وترجع في ذلك إلى مختلف المعاجم اللغوية، وقد تجد مقابلاً أو مأثوراً دقيقاً غير مطروق في كتب العلم القديمة يؤدي المعنى فتأخذ به وتصطفيه ليشيعَ استعمالُه ثم يعرّف المصطلحُ تعريفاً علمياً دقيقاً - ويمر المصطلح في مراحل من الدراسة والتمحيص كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى بدءاً باللجنة العلمية المتخصصة ثم بمجلس المجمع ثم بمؤتمره السنوي. وقد وضع المجمع منهجية دقيقة للمصطلح العلمي يلتزم بها وقد قامت بها لجنة علمية من أعضاء المجمع برئاسة أستاذنا الجليل الدكتور محمود مختار.

وتجدر الإشارة إلى أن التقدم العلميَّ المذهل في مجال العلم والمعرفة والذي نشهدهُ اليوم في ثورة المعلومات والحاسبات وثورة الاتصالات والإلكترونات والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية وعلوم الفضاء والبيئة وغيرها كل ذلك جاء إلينا بسيل منهمر من المصطلحات الحديثة والمستحدثة - فإذا استعصى علينا أن نجد لها المقابلات العربيةَ المناسبةَ لجأنا إلى التعريب

كما عـرَّب العربُ قديماً فأخـذوا عن اليونانية والهنـدية والسريانية والفـارسية والتركية وكـما عرَّب المحدثون عن الإسبانـية والإيطالية والإنجليزية والفـرنسية ومع ذلـك فإن اللُّغـة العربيـة كـانت ولا تزال مـن الثـراء بحـيث يمـكنهـا أن تستوعب الكثير مما تفرزه هذه الثوراتُ العلميةُ الحديثةُ من مصطلحات.

وقد أنجز المجمعُ أكثـر من مئـة وخمـسين ألف مـصطلح فـي مختـلف التخصـصات عدا عدة آلاف أخرى تحت الإعداد ومن بين هـذه المصطلحات نحو خمسة وخمسين ألف مصطلـح علمي وتكنولوجي متخصص أخذ جزءٌ كبيـرٌ منها طريقـه نحو المعاجم العلـمية المتخـصصة التي أصدرهـا المجمع وهي أربعة عشر معجمـاً منها معجم الجيـولوجيا ومعجم الفيـزيقا ومعجم الحاسبات ومعـجم الكيمـياء والصـيدلة ومعـجم البيـولوجيا فـي علوم الأحيـاء والزراعة ومـعجـم النفـط ومعـجم المـصطلـحات الطبيـة ومـعجـم الهنـدسة ومـعـجم الرياضيات ومعـجم الفيزيقا النووية ومعـجم الهدرولوجيا ومعجم الجـغرافية ـ هذا بالإضـافة إلى ستٍ وثلاثين مـجموعـة من مجمـوعات المصطلحـات التي أقرها المجمع.

وغني عن البيان أن هذه الحصيلةَ اللغويَّة الهائلةَ من المصطلحات العلمية المشروحة والمعرَّفة تمثـل دعماً قوياً لحركة تعريب العلوم والتعـليم ومعيناً زاخراً وعوناً لـلمؤلفين والمتـرجمين الذين يـنقلون الكتب العـلميَّة الأجـنبيةَ إلى الـلغة العربيـة أو لأساتذة الجامعات والمـعاهد الذين يُدرسون علـومهم باللغة العـربية حين يـكتـمل الشـوط وتخطـو حركـةُ التـعريب في كـليات الـعلوم والـطب والهندسة خطواتٍ فسيحةً إلى الأمام ويصبح التدريسُ فيها بلسان عربي مبين ـ وتحضرني في هذا المقام مقولةٌ لأستاذنا الجليل الدكتورشوقي ضيف: « علينا التأكيد على أهمية تعريب العلوم لأن معنى ذلك التخلص من التبعية للغرب أو التبعـية العلمية بعـد أن تخلصنا من التبـعية السياسـية وينبغي أن نتخـذَ الوسائل

الممكنة للتخلص من هذه التبعية لكي تعود للعرب نهضتهم العلمية الحقيقية ».

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى عمل معجمي يُعَدُّ قمةً في الأداء والاستقصاء هو معجمُ العالم الطبيب الدكتور محمد شرف والذي أصدره عام ١٩٢٦ في مصر في العلوم الطبية والطبيعية شاملاً أكثر من أربعين ألف مصطلح إنجليزي ومقابلاتها وشروحها باللغة العربية - وكذلك إلى معاجم أخرى رائدة للمعلوف وأحمد عيسى ومصطفى الشهابي والبعلبكي وغيرها وكذلك إلى بعض المعاجم القديمة وتمثل لنا كل هذه المعاجم عوناً كبيراً في نقل العلوم إلى اللغة العربية.

ويقتضي الإنصاف أيضاً أن أُلمح إلى جهود الاتحاد العلمي المصري الذي واصل نشاطه منذ نشأته عام ١٩٥٦ في اتخاذِ اللغة العربية لغةً للعلم وفي سبيل ذلك اهتم بموضوع المصطلحات العلمية وإيجاد المقابلات العربيَّة المناسبَةَ لها وقد أنجز منها بضعة آلاف ونشرها الاتحادُ في كتبه وقد أشرف على هذا العمل وحباه بعلمه وخبرته عالم جليل هو الأستاذ مصطفى نظيف رئيس الاتحاد آنذاك وعضوُ مجمع اللغة العربية وقد عاونه في ذلك أستاذٌ جليل كنا معه هو الدكتور عبد الحليم منتصر الذي دفع بهذه المصطلحات إلى المؤتمرات العلمية العربية وكان آخرها مؤتمر بغداد عام ١٩٦٦ - كما تجدر الإشارة إلى أن الجمعيات العلمية في مصر والتي قفز عددها إلى مئة وعشرين جمعيةً علمية الكثير منها ينشر دراساته وتُلقى محاضراتهُ باللغة العربية مُتخذاً العربيةَ لغةً للعلم مثل الاتحاد العلمي المصري والمجمع المصري للثقافة العلمية وجمعية المهندسين والمجمع العلمي المصري (بعض محاضراته) والجمعية المصرية لتاريخ العلوم والجمعية المصرية لتعريب العلوم والتي يرأسها الأستاذ الجليل الدكتور عبد الحافظ حلمي عضو المجمع وتقوم بنشاط مرموق: أما الجمعياتُ التي تنشر بحوثها بلغة أجنبية فيلحق بالبحث ملخصٌ

باللغة العربيـة وهذا يحدث أيضاً في البحوث التي تنشر فـي المجلات الجامعية والمجلات العلمية الأخرى والتي بلغت بضع مئات في السنوات الأخيرة ويكتبُ فيها الآلاف من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات ومراكز ومعاهد البحوث في مصر ـ كما أن الرسالات العلمية لدرجتي الماجستير والدكتوراه والتي تكتب باللغة الإنجليزية تكون دائماً مذيلةً بملخصاتٍ إضافية باللغة العربيـة وتوجد من هذه الرسالات قرابة خمسين ألف رسالةٍ حافلة بمادةٍ علمية هائلة ومصطلحاتٍ علمية باللغة العربية.

نشاط آخر مرموق ذو صلةٍ بنقل العلوم إلى اللغة العربية يقومُ به منذ سنوات مركزُ الأهرام للترجمة العلمية والنشر ولعله الوحيد من نوعه على نطاق كبير ويُعد اليَوم أنشط هيئة علمية تقوم على تأليف وترجمة كتب في الرياضيات والكيمياء والتكنولوجيا والطب وعلوم الأحياء والحاسب الآلي وغيرها وقد صدر منها عدد كبير كما أصدرت بعض المعاجم في العلوم المستحدثة كالكمبيوتر وكذلك عدداً من الموسوعات العلمية ـ وإذا كانت هيئةُ الكتاب أكبَر هيئة حكومية في هذا المجال فإن الكتب العلميةَ التي تصدرها هي قُلٌّ لا كُثر لا تكاد تشفي علة أو تنقعُ غُلة.

ومع كل النشاط الذي تقوم به هذه الهيئات وغيرُها في مصر في نقل العلوم إلى اللغة العربية فلا زالت مصرُ والدولُ العربية في المؤخرة بالنسبة لغيرها من الدول وفي إحصائية لمنظمة اليونسكو عن تراجع الترجمة في الوطن العربي ذُكر أن نصيب هذا الوطن من إنتاج الكتب المترجمة في عام ١٩٧٠ كان ١١ في الألف بالنسبة لما أنتج في سائر أنحاء العالم وكان نصيبُ الدول الإفريقية ٧ في الألف أما في عام ١٩٨٦ أي بعد ستة عشر عاماً تراجع ما تُرجم في الوطن العربي إلى ٦ في الألف ليحتل بذلك المركز الأخير بينما تقدمت الدول الإفريقية إلى ١٢ في الألف وليس التراجعُ في

الكم فقط بل في الكيف أيضاً وقد تقلص الإنتاجُ في مجال العلوم الأساسية والتطبيقية إلى درجة لافتة للنظر.

وفي دراسة إحصائية أخرى مماثلة عن ما تصدرُه بعض الدول من كتب مترجمة إلى لغاتها أو مؤلفة كل عام ذُكر أن اليابان (نحو ١١٥ مليون نسمة) لا تزال تحتل المركز الأول في العالم للسنة الثالثة عشرة على التوالي بإصدارها نحو ٣٢ ألف كتاب أو عنوان جديد سنوياً وتحتل روسيا (١٢٠ مليون نسمة) المركز الثاني بإصدار ٢٨ ألف كتاب في العام تليها الصين (١,٢ مليار نسمة) وتصدر ٢٧ ألف كتاب تليها ألمانيا ثم أمريكا وتصدرُ تايوان ١٤ ألف كتاب سنوياً منها ١١ ألف كتاب مترجم وتصدر هولندا ستة آلاف عنوان منها أربعةُ آلاف عنوان مترجم.

- أما الدول العربية (٢٢ دولة) بتعداد يصل إلى ١٧٠ مليون نسمة فيبلغ ماتصدره نحو تسعة آلاف كتاب جديد سنوياً في الوقت الذي يبلغ ماتصدره إسرائيل (٣,٥ مليون نسمة) نحو عشرة الآف كتاب بالعبرية سنوياً معظمها مترجم عن لغات أخرى. ومع ذلك فليس ببعيد أن يدورَ الزمن دورتَه وتعود للعالم العربي الريادةُ الفكريةُ كما كان.

الاهتمام باللغات الأجنبية والانفتاح على التقدم العلمي العالمي

إذا كنا ندعو لقضية تعريب العلوم بالجامعات ونعمل لها لتصبح حقيقةً واقعة لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية إذ إن الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا كانت تعلم بلغتها وتكتب وتؤلف بلغتها فيجب في الوقت نفسه ألا يتبادر إلى الذهن أننا نريد الانغلاق على أنفسنا بل العكس هو الصحيح، هو الانفتاح على العالم الخارجي على علمه وفكره ومنجزاته

الحديثة في العلوم وتطبيقاتها ومواكبة الإيقاع السريع الذي نشهده في هذا العصر عن حركة العلم والتقدم العلمي والتكنولوجي ـ ولا شك أن ذلك يعتمد في المقام الأول على إتقان لغة أجنبية من اللغات الحية كالإنجليزية أو الفرنسية نطل بها إطلالات نيرة ومثمرة على العالم الخارجي وآفاقه العلمية الرحبة ـ علينا الاهتمامُ بتعليمها في أثناء المرحلة الجامعية بل وفي مرحلة التعليم العام لأننا أصبحنا في عصر لا يجوز فيه لخريج الجامعة طبيباً كان أم مهندساً أن يقف عند لغته القومية إذا أراد أن يتابع التقدم العلمي في مجاله وتخصصه ـ وإلى عهد قريب كان تعريف الأمي في اليابان من لايعرف لغة أجنبية واليوم أضافوا إليها لغة الحاسوب وإذا كان تعلمُ لغةٍ أجنبيةٍ ضرورياً لطالبِ المرحلة الجامعية ليتسع بها أفقُه وليستعينَ بها على مزيد من الدرس والاطلاع الخارجي فإنه واجبٌ أساسي وحتمي بالنسبة للأساتذة والمدرسين والباحثين وطلاب الدراسات العليا إذ لا يمكن أن يُجري أيٌّ منهم بحوثه أو ينشرَ إنجازاتِه وهو بمعزلٍ عن منجزات العلم والعلماء في كل مكان ودون أن يتمَّ التواصلُ بينه وبين العلماء في الخارج ولن يتأتى ذلك دون إتقان لغةٍ أجنبية حديثاً وكتابةً وفكراً وتجدر الاشارة إلى أن برامجَ الدراسة في كليات العلوم تشمل برنامجاً خاصاً لتدريس اللغة الإنجليزية لطلاب السنتين الأولى والثانية وبرنامجاً لتدريس اللغة الألمانية لطلاب السنتين الثالثة والرابعة وآخر مكثفاً لطلاب الدراسات العليا ـ ومع ذلك فلا زلنا بعيدين تماماً عن ما نبتغيه من معرفة أو إتقان للغة أجنبية ويلزمُ المزيد من الاهتمام والجدية في هذا المجال.

الاهتمام باللغة العربية:

لست في حاجة إلى القول إن تعريب العلوم وكذلك تعريب التعليم يتطلب رفع مستوى اللغة العربية لدى القائمين عليه والمشتغلين به والدارسين

والمدرسين على حد سواء بعد أن هبط هذا المستوى وبلغ درجة من الضعف والاستهانة تبدت في مختلف مراحل التعليم وأشاعت الألم والحسرة بين سدنة اللغة العربية وكثيراً ما تصدت أقلامٌ لمأساة اللغة العربية وإن مجرد إلقاء نظرة عابرة على أوراق إجابة التلاميذ وكذلك الطلبة في الجامعات تجعلنا نقف على حال اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا بل وفي مناحٍ كثيرة من حياتنا من هبوط مستواها ومعرفةٍ متدنيةٍ بها ومما يدعو إلى الأسى أن الكثير مما نأكل وما نلبس وما نتداوى به وما نستخدمهُ من أدوات الصناعة والزراعة ومختلف الفنون ومايقعُ عليه بصرُنا وما تسمعهُ آذانُنا وما تلمسهُ أيدينا مستوردٌ أو مصنوع بلفظه الأجنبي ويطلبُه الناس بلفظه الدخيل على اللغة وانتشرت كتابة اللافتات الأجنبية بحروف عربية وأصبح كلُ ذلك جزءاً من حياتنا وتلك هي الخطورة الكامنةُ التي تُحدقُ باللغة العربية والتي تدعو اليوم إلى وقفةٍ صارمةٍ قبل أن تصبحَ اللغةُ العربية غريبةً بيننا بعد أن كنا في شبابنا بل في أولى مراحل التعليم نقرأ كليلة ودمنة لابن المقفع والعبرات والنظرات للمنفلوطي.

لذلك علينا من بين ما نعمل له للنهوض بقضية التعريب وحل مشاكلها أن نعملَ أيضاً على تأهيل المدرسين بالجامعات والمعاهد لتدريس العلوم باللغة العربية من جهة وعلى رفع مستوى الطلاب بالجامعات من جهة أخرى وذلك بوضع مناهجَ وبرامجَ متطورة لتدريس اللغة العربية وقواعدها الأساسية ويجب أن يتم ذلك أيضاً في جميع مراحل التعليم قبل الجامعي ليكتمل بذلك البناءُ اللغوي للطلاب على كل مستوياتهم ـ بل يذهب البعضُ إلى ضرورة العناية باللغة العربية في مراحل الطفولة ليستقيم اللسانُ مبكراً نطقاً وتعبيراً.

وبهذا التكامل يستقيمُ الأمر لدى الأساتذة والطلاب على حد سواء ويصبح تعليم العلوم عربياً وبلسان عربي مبين.

وفي معرض التدليل على ثراء اللغة بالمصطلحات والمترادفات شدَّني ما قاله الأستاذ الدكتور محمود الرخاوي مقرر لجنة التعريب باتحاد الأطباء العرب من أن «هناك علمياً» مايثبّت أن اللغة العربية الفصحى هي أم اللغات الهندية والأوروبية وأصل الكلام فاللغة العربية كانت الأصل والمنبعَ بينما تمثل اللغاتِ الأخرى قنوات وروافد لها (فمثلاً نحو ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية، ٧٥٪ من أفعال اللاتينية تأتي من أصل عربي) ويؤيد هذا أن عدد الجذور في اللغة العربية يزيد على ستة عشر ألف (١٦,٠٠٠) جذر بينما اللغة السكسونية بها ما يزيد قليلاً على ألفي (٢,٠٠٠) جذر في حين لا تحتوي اللغة اللاتينية إلا على ثمان مائة (٨٠٠) جذر مع ملاحظة هامة أخرى أن اللغة العربية تخرج منها مشتقات وتراكيب قد تجل عن الحصر.

اقتراحات وتوصيات

قبل أن أختم كلمتي أود التأكيد على النقاط الآتية:

أولاً: علينا أن نستمر في دعوتنا لتعريب العلوم والتعليم العالي والجامعي في مصر وأن نعمل لذلك جهد الطاقة حتى يصبح التعريب حقيقةً واقعة وليكن التعريب تعريب الفكر، وأن نتصدى بالحجج الدامغة لهؤلاء الذين يقفون ضدَّ هذه القضية القومية ويعملون على عرقلة مسيرتها وذلك من منطلق أن اللغة العربية قادرةٌ على استيعاب مقتضيات التطور العلمي والتكنولوجي في هذا العصر، وأن شعوباً شتى صغيرة وكبيرة تستخدم لغتها في تدريس العلوم وفي البحوث العلمية والتطبيقية دون أن يكون ذلك عائقاً لها في شيء.

ثانياً: دعوة المجلس الأعلى للجامعات والمسؤولين عن التعليم العالي الجامعي في مصر إلى تبني هذه القضية ووضع خطةٍ شاملةٍ لها وزمنية وتدرس وسائل تنفيذها وأن تسهم الجامعاتُ إسهاماً كبيراً في تشجيع التأليف باللغة العربية

والترجمة إليها وأن تعد المكتبة العلميةَ العربية في مختلف التخصصات وذلك للنهوض بمستوى التعليم والبحث العلمي.

ثالثاً: العملُ على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي للقضاء على بلبلةٍ قائمة في استعمال المصْطلح الواحد بمقابلات عربية مختلفة في البلاد العربية وقد بدا ذلك واضحاً في الندوات التي ينظمها اتحاد المجامع اللغوية العربية وكانت آخر هذه الندوات في دمشق في ديسمبر ١٩٩٦ لدراسة معجم البيولوجيا وكذلك في المعاجم التي يقوم بإعدادها مكتب التنسيق بالرباط ونأمل في مضاعفة الجهود التي يقوم بها اتحاد المجامع اللغوية في هذا السبيل.

رابعاً: إنشاء هيئة أو مؤسسة كبرى للترجمة والتأليف تضع خطة دقيقة لها تحدد فيها الأولويات في ترجمة العلوم والتكنولوجيا والعلوم الإنسانية مع ملاحقة التطور السريع في حركة العلم والبحوث العلمية والتكنولوجية وذلك لخدمة تعريب العلوم وتعريب التعليم الجامعي ـ وتوجيه عناية خاصة إلى ترجمة مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية في مختلف التخصصات وكذلك تشجيع التأليف فيها ـ ويلحق بهذه الهيئة معهد لإعداد المترجمين وتدريبهم.

خامساً: ضرورة التوسع في تعريب المصطلحات العلمية وفي وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وقد أسهم مجمع اللغة العربية في ذلك بإصدار أربعة عشر معجماً في مختلف التخصصات العلمية وغيرها وتحت الإعداد معجماتٌ أخرى في العلوم الحديثة والمستحدثة ـ ونوصي هنا أن يبادر المجمعُ بإهداء أعداد كبيرة من هذه المعاجم ومجموعاتِ المصطلحات إلى مختلف الكليات الجامعية والمعاهد في مصر للاستفادة منها في

تشجيع حركة التعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية بفكر عربي.

سادساً: توجيهُ عناية خاصة إلى تعليم اللغات الأجنبية في مراحل التعليم العام والتعليم العالي والجامعي ثم في مرحلة الدراسات العليا ووضع البرامج الكفيلة بإتقانها ليتاح الانفتاحُ على العالم الخارجي ومتابعةُ التطور العلمي والتكنولوجي في هذا العصر.

سابعاً: تكثيف العناية باللغة العربية في جميع مراحل التعليم وبخاصة في مرحلة التعليم الجامعي وتطوير برامجه وطرق تدريسها مع العمل على تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا للتدريس باللغة العربية.

ثامناً: التأكيد على ضرورة إعداد ملخصات باللغة العربية لجميع البحوث والدراسات التي تنشر باللغة الأجنبية في المجلات العلمية ودعوةُ الجمعيات العلمية إلى الالتزام بهذا الواجب القومي.

تاسعاً: على الإعلام بروافده الثلاثة أن يكثف عنايته باللغة العربية في برامجه وبين المشتغلين به والوافدين عليه بخطبهم وأحاديثهم.

ـ هذه اقتراحات وتوصيات حول استخدام اللغة العربية لغة للعلم وللتعليم في الجامعات والمعاهد طالما رددتها المؤتمراتُ والندوات واتحادُ الجامعات ومنظمةُ اليونسكو واتحاد الأطباء العرب كما نص عليها قانونُ الجامعات ومنذ أكثر من ستين (٦٠) عاماً حتى اليوم فلا تزال القضية ـ قضيةُ التعريب ـ قيد البحث ولم يتحقق الأمل الذي لا زلنا نتطلع إليه ـ ولا أراني في حاجة إلى التأكيد أنه إذا أريد لهذه القضية الحل، فعلى الدولة أن تحسمها بقرار سياسي ملزم يوفر لها أولاً كلَّ الإمكانات ويَضع لها الخطة والبرنامج للعمل والتنفيذ والانطلاق باعتبارها قضيةً قومية ووطنية وثيقة الصلة بكياننا العربي ومستقبل التعليم في مصر.

وأختم كلمتي بأبيات من قصيدة عن اللغة العربية للشاعر الراحل محمد البرعي يمجدها ويدعو فيها المجمع أن يأخذ بيدها مما ألم بها فيقول:

مَن خطّ بالعلْم الحروفَ الأولى — اللهُ خصّ بنورها التنزيلا
لغةُ البيان وقد شرفتِ بأحمد — يدعو وينشُر للحديث فصولا
اللهُ نزّلها عليه معلما — واختارها لغةً تنيرُ عقولا
عاشت قرونا منذ أن وُلد الهدى — فتبوأت قممَ اللغات أصولا
الناطقون بها حماةُ تراثها — صانوا حماها فتيةً وكهولا
يامجمعَ الفصحى وحصن تراثها — لا زِلت ظلا لِلبيان ظليلا
قد كنت مُذْ أُنشئتَ موئلَ عزِها — تقضي لها حقا عليك نبيلا
واليومَ قد هبّت عليها عجمةٌ — كانت على لغة البيان وبيلا
فانهض وخُذ بيد البيان فإنه — لم يرض غيرَك للبيان كفيلا

* * *

المراجع

* المجامع العربية والمصطلح العلمي ـ للدكتور إبراهيم بيومي مدكور.
مؤتمر تعريب التعليم الجامعي والعالي
مطبوعات اتحاد الجامعات العربية بالقاهرة ١٩٨٠.

* * *

* العربية لغة العلم ـ للدكتور محمد ولي. كتاب المجمع المصري للثقافة العلمية عدد ٤ سنة ١٩٣٤.

* * *

* اللغة العربية لغة علمية ـ للدكتور اسماعيل مظهر
كتاب المجمع المصري للثقافة العلمية عدد ١٠ سنة ١٩٤٠.

* * *

* تعريب العلم ـ للدكتور عبد الحليم منتصر كتاب المجمع المصري للثقافة العلمية عدد ٣١ سنة ١٩٦٠.

* * *

* نشر الكتب العلمية باللغة العربية ـ للدكتور كامل منصور
كتاب المجمع المصري للثقافة عدد ٣١ سنة ١٩٦١.

* * *

* مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية. الحلقة الأولى ـ بنغازي ـ مايو ١٩٦٤، الحلقة الثانية ـ بيروت ١٩٦٤.

* * *

* مطبوعات اتحاد الجامعات العربية ـ مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ـ بغداد ٤ ـ ٧ مارس ١٩٧٨.

* * *

* تجربة في العلوم الهندسية ـ للدكتور علي محمد كامل.
مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ـ بغداد مارس ١٩٧٨.
* تـأهيل أعضاء هيئة التدريس للتدريس بالعربية للدكتور عبد الكريم خليفة.
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ العدد المزدوج ٧ ـ ٨ سنة ١٩٨٠.

* * *

* المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف للدكتور عبد الحليم منتصر.
مؤتمر تعريب التعليم الجامعي والعالي مطبوعات اتحاد الجامعات العربية ـ الثامن ١٩٨٠.

* * *

* اللغة العربية ودراسة العلوم بالجامعة ـ للدكتورة عائشة عبد الرحمن.
المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١.
وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢.
* مستقبل التعليم الجامعي والبحث العلمي في مصر ـ للدكتور كامل منصور والدكتور عبد الحافظ حلمي وآخرين.
مطبوعات المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي ١٩٧٩.
وكتاب المجمع المصري للثقافة العلمية عدد ٤٩ سنة ١٩٧٩.

* * *

* اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء ـ للدكتور محمود حافظ.

مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) ١٩٧٩.

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢.

* * *

* اللغة العربية والتعليم الجامعي ـ للدكتور حسين نصار.

المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١.

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العالمي المصري ١٩٨٢.

* * *

* لغة تدريس العلوم في الجامعات ـ للدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

مؤتمر تعريب التعليم الجامعي والعالي مطبوعات اتحاد الجامعات العربية ـ القاهرة ـ ١٩٨٠.

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢.

* * *

* اللغة العربية في التعليم والثقافة ـ للدكتور محمود الشنيطي

المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١.

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢.

* * *

* ندوة تعريب لغة العلم في التعليم الجامعي.

كتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢.

المتحدثون في الندوة الأساتذة: الدكتور إبراهيم مدكور، والدكتور أحمد عمار (طب)، والدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش (هندسة)، والدكتور كامل

منصور (علوم أساسية)، والدكتور عبد العزيز سامي (لغة الطب)، والدكتور عبد العظيم حفني صابر (تعريب المصطلحات العلمية)، والدكتور محمد داود (النواحي القومية في قضية اللغة)، والدكتور محمد عماد الدين فضلي (الأسس النفسية لتعريب الطب)، والدكتور عبد الواحد بصيلة (تعريب التعليم الطبي).

* نحو خطة مستقبلية للترجمة للدكتور توفيق الطويل مطبوعات المجالس القومية المتخصصة ١٩٨٤.

* رفاعة رافع الطهطاوي عن ندوة كلية الألسن (ص ١ - ٤٥٦)

رفاعة والألسن ١٩٧٦ للدكتور عبد السميع محمد رفاعة مترجماً للدكتور أحمد خاكي.

* المعجمات العربية المتخصصة للدكتور إبراهيم مدكور

مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٣٤ (١٩٧٤).

* مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمي للدكتور محمود مختار

مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٥٣.

* توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ١١ للأمير مصطفى الشهابي.

* اللغة العربية لغة علم راسخة للدكتور شوقي ضيف

محاضرة عامة في مؤتمر الدورة الحادية والستين للمجمع (١٩٩٥).

* معاجمنا العلمية المتخصصة للدكتور محمود حافظ

ألقى البحث في مؤتمر الدورة التاسعة والخمسين للمجمع (ابريل ١٩٩٣).

* اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام والتعليم العالي والجامعي ووسائل النهوض بها في مصر للدكتور محمود حافظ.

مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٦٥ ـ مجلة المجمع (١٩٨٩).

* مجمع القاهرة والمصطلح العلمي للدكتور إبراهيم مدكور.

مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٤٢ (١٩٧٨).

* الترجمة بين الماضي والحاضر ودورها في نقل العلوم إلى اللغة العربية للدكتور محمود حافظ.

ألقى البحث في مؤتمر المجمع في الدورة الستين (مارس ١٩٩٤).

* المصطلحات العلمية للدكتور حسني سبح

مجلة مجمع اللغة العربية الدورة ٣٦ الجزء ٣.

* مقالات عن قضية الترجمة في مصر للأستاذ سامي خشبة وآخرين باب الثقافة بالأهرام (١٩٩٠، ١٩٩٣، ١٩٩٤).

* تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر للدكتور محمود حافظ

مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٥٦ ص ١٦١ (١٩٨٥).

* نقل العلوم إلى العربية للأستاذ مصطفى نظيف مجلة مجمع اللغة العربية الجزء ٧ ص ٢٤١ (١٩٤٨).

* دفاعاً عن التعريب في اللغة العربية العلمية للأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

ألقى البحث في مؤتمر الدورة الثانية والستين.

* * *

مسيرة تعريب المناهج
بالكليات العلمية في الجماهيرية

د. عبد الكريم أبو شويرب

موضوع تعريب المناهج في الجامعات العربية موضوع قديم حديث تراثي ومتجدد، ويبرز للمناقشة بين فترة وأخرى، وقد أشبع بحثاً ودراسة ومناقشة وعرض حلول من قبل العديد من الأساتذة المختصين كما نشرت حوله الأبحاث المتخصصة والعامة على صفحات مجلات وصحف الإعلام العربي، وما أود عرضه هنا هو مسيرة هذا التعريب في الجماهيرية.

دوافع التعريب:

هناك حقيقة يجب إبرازها أولاً وقد ظهرت في السنوات الأخيرة. فبعد أن كان الدافع الأول للتعريب في الجامعات دافعاً قومياً وتمسكاً باللغة الأم وزيادة في الاعتزاز بها للتخلص من الهيمنة والتبعية الأجنبية، وتصدياً للغزو الثقافي والارتباط بلغة المستعمر، صار الآن الدافع الرئيسي - هو أن التعريب حاجة علمية وعملية، لقد ثبت بالتجربة والاختبارات والدراسة الميدانية على مجموعات من الطلاب أن درجة استيعاب وفهم وإبداع

الطالب لا تكون إلا بلغته الأصلية التي نشأ ونمت مواهبه ومداركه عليها، وإلا كان بطيئاً في الاستيعاب بسيطاً سطحياً في الفهم متخلفاً في الإبداع ضعيفاً في الإنتاج. والمحصلة هي ضعف المستوى العلمي وسطحية في الإدراك والمؤهلات والتحصيل، ولذا صار التعريب دافعاً علمياً حقيقة يجب مواجهتها وتطبيقها.

خطوات التعريب في الجماهيرية:

في سنة ١٩٥٦ أنشئت بطرابلس أول كلية للعلوم لا يتجاوز عدد طلاب هذه الدفعة خمسين طالباً وكانت لغة الدراسة هي الإنجليزية والآن وقد اكتملت فروع هذه الكلية وصار عدد طلبتها بالآلاف أصبحت اللغة العربية لغة التدريس بنسبة ٩٠٪ في كل المناهج وبذا كانت هذه الكلية رائدة في مجال تعريب المناهج العلمية، ولكن الطالب المتخرج منها له معرفة بالإنجليزية تكفيه لمتابعة دراسته العليا وتكفي لقراءة المجلات العلمية الإنجليزية بدرجة جيدة.

يبلغ عدد الجامعات حالياً بالجماهيرية سبع جامعات بكل فروعها الإنسانية والتطبيقية ومنها كليات الطب البشري والبيطري والأسنان والصيدلة وكليات العلوم والهندسة والزراعة.

وتنص لوائح وقوانين كل كلية على أن اللغة العربية هي لغة التدريس. وتقول المادة رقم ٥ من القانون رقم ١ لسنة ١٩٩٢:

«اللغة العربية هي لغة التعليم بجامعات الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ويجوز بعد موافقة اللجنة الشعبية للتعليم العالي

استخدام لغة أخرى في بعض التخصصات والدراسات كلما دعت الحاجة لذلك».

فبالنسبة لكليات العلوم والزراعة والبيطرة والهندسة فإن التدريس في معظم المناهج باللغة العربية منذ السنة الأولى إلى آخر السنوات مع حفظ الطالب للمصطلحات العلمية اللازمة وتعريبها وكذلك إتقان الإنجليزية في نهاية الدراسة.

أما بالنسبة لكليات العلوم الطبية أو ما يسمى إعداديات الطب فإن الدراسة في المواد المعروفة الكيمياء والنبات والحيوان والطبيعة والإحصاء والحاسوب فهي باللغة العربية في جميعها.

وأقوم بتدريس مادة «تاريخ الطب العربي» لطلبة إعدادي الطب البشري مع التركيز على إضافات الأطباء العرب في مسيرة العلم الحديث وكذلك جهودهم والمناهج التي كانوا يتبعونها في تعريب أو ترجمة المصطلحات الأجنبية.

لقد سألنا عدة مرات طلبة الطب وكذلك أعضاء هيئة التدريس عن اللغة التي يفضلونها للتدريس فكان الرد هي اللغة العربية إذا توفر الكتاب والمعلم. ويوجد الآن بكل كلية من الجامعات المذكورة قسم باسم (قسم التعريب).

وهناك لجنة مكلفة بوضع خطوات ومتابعة التعريب بجميع الكليات، كما أن أية دورية تصدر من أي كلية تحتوي على مقالات بالعربية أو ملخص للبحث بالعربية إن كان مكتوباً بلغة أجنبية.

أما السنوات التالية في كليات العلوم الطبية أي ما بعد الإعداديات فإنها لا تزال باللغة الإنجليزية نظراً إلى أن الكتاب المنهجي وأيضاً المراجع بهذه اللغة.

محاولات فردية:

إن الاقتناع عام بين أعضاء هيئة التدريس أن اللغة العربية هي الأصل، وفي هذا المضمار وكمحاولات فردية تطوع العديد من أعضاء هيئة التدريس فقاموا بتأليف أو ترجمة بعض الكتب المنهجية وطبعت ونشرت وتباع بالمكتبات. وهذه جهود شخصية دون أي حافز أو مكافأة أو حتى إجازة زمنية خلال إعداد الكتاب والأمر مجرد مساهمة في مسيرة التعريب وكذلك لإثبات أن اللغة العربية قادرة على أداء مهمة المقرر الدراسي[١].

وقد صدرت مجلة (طبيب الطفل العربي) من قسم الأطفال جامعة الفاتح وهي تجمع أبحاثاً أصلية باللغتين العربية والإنجليزية.

ولابد أن أبرز هنا محاولات فردية أيضاً من بعض أعضاء هيئة التدريس خلال المرحلة السريرية (الكلينيكية) أي السنوات الأخيرة من كلية الطب حيث يقوم بعض الأساتذة بشرح ظواهر المرض وأعراضه وطرق تشخيصه ومضاعفاته باللغة العربية خصوصاً خلال دورات التعليم قرب سرير المريض «Bedside Teaching» والجمل التالية مثال لشرح أستاذ حول مرض أحد الأطفال:

بعد شرح أعراض وعلامات وأسباب المرض نبدأ الآن موضوعاً آخر مهماً وهو ال Differential diagnosis [٢] بين مرض داون

سيندروم[٣]، وما شابهه من الأمراض وأهمها أسباب الHypotonia[٤] والتخلف العقلي ومرض الكريتينيزم Cretinism[٥]، وأيضاً الأكوندروبلاسياAchondroplasia[٦] ، وأنواع تشوهات الوجه الأخرى من أمراض ال Trisomies[٧] ، وطفرات الكروموزومات[٨].

وهكذا كان الشرح بالعربية أما المصطلحات فقد أبقى عليها المدرس باللاتينية والإنجليزية لعدم معرفته مايقابلها بالعربية، هذه الطريقة التي يستوعب بها الطالب الدرس ولكن عليه أن يرجع إلى الكتب المنهجية وهي باللغة الإنجليزية.

مشاكل التعريب:

لقد رجعت إلى عدد من الأبحاث حول هذا الموضوع مما قدمه الأساتذة الأجلاء المتخصصون في هذا الميدان أشير إلى أبحاث الأساتذة:

محمد كرد علي، أحمد عيسى، شاكر الفحام، إبراهيم السامرائي، إبراهيم حداد، قاسم سارة، عبد الكريم اليافي، محمد هيثم الخياط، جميل صليبا، شوقي ضيف، عبد العزيز بن عبد الله، شحادة الخوري .. وغيرهم مما لا يسمح المكان بذكرهم .

على أنه باختصار فإن مشاكل التعريب كما لخصتها الأبحاث السابقة تنحصر في الآتي:

١ ـ ندرة المراجع والمصادر العربية.

٢ ـ ندرة المدرس الكفء.

٣ ـ نقص المصطلحات واختلافها.

وهكذا نرى أن المحور الرئيسي الذي يدور حوله موضوع التعريب هو المدرس الكفء. ومن المعروف أن معظم المدرسين الآن من المؤهلين في الدول الأجنبية وبذلك يكون من الصعب على المدرس نفسه التعود على المصطلح العربي وتلقينه للطلبة.

وإنه لَمِمَّا يحز في النفس أن أسرد تجربة إحدى كليات الطب الجديدة التي بدأت بالعربية ولكنها باءت بالفشل بعد بضع سنوات بسبب العراقيل المذكورة أعلاه، وهي تجربة كلية الطب بمدينة سبها إحدى المدن الكبيرة بالجنوب الليبي. وقد بدأت على أن تكون الدراسة كلها بالعربية وانتدب للتدريس بها أساتذة أكفاء في هذا المجال ولكن عند السنة الدراسية الثالثة اضطروا للعودة إلى بلدانهم وتغير التدريس إلى اللغة الإنجليزية.

كلمة أخيرة:

لقد مضى الزمن الذي سُمعت فيه كلمات أبي الريحان البيروني:

«هجو بالعربية خير لي من مدح بالفارسية».

اعتقاداً أن العربية لا تصلح إلا للأدب والشعر وتصوير عواطف الإنسان، لقد ثبت أن اللغة العربية قادرة على طرح مصطلحات تجاري العلم وتتابع حركته، لغة قابلة للتطويع والاشتقاق والنحت وتقبل اللواحق والزوائد وغيرها.

أحسن منهج هو الذي سلكه علماء العرب الأوائل في الترجمة والتعريب ووجبت الاستفادة من تلك المصطلحات وإحيائها.

لم يبق هناك أي عذر لأعضاء هيئة التدريس بشأن المصطلح الطبي وذلك بعد الجهود التي تقوم بها مجامع اللغة العربية وندواتها وما تطرحه من الجديد من المصطلحات.

لم يبق لديهم أي عذر بعد إصدار كتاب (المعجم الطبي الموحد).

لقد لقي هذا الكتاب اعتراضاً كبيراً من بعض الزملاء فبعضهم يقول إن به مصطلحات صعبة النطق أو صعبة الحفظ أو غير متداولة ولكنني دائماً من المدافعين عن صلاحية هذا الكتاب لأنه حصيلة اتفاق العديد من الخبراء في هذا المجال وهو صورة للاتحاد العربي على الأقل في الاتفاق على المصطلحات الطبية.

وعدا جهد هؤلاء الخبراء فالمعجم نتيجة العديد من الاجتماعات والمناقشات لأعضاء متخصصين من جامعة الدول العربية ومجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وقد نصحت عدة مجلات طبية في الجماهيرية بالاعتماد عليه والرجوع إليه عند الترجمة والتعريب والتأليف وهو الذي يُعوَّل عليه في مجلة نقابة الأطباء بالجماهيرية.

هوامش

١ ـ كمثال لهذه الكتب أذكر:

١) أمراض النساء والولادة: د. محمد المحيشي، طرابلس ١٩٨٩

٢) مرض السكر وعلاجه: د. عثمان الكاديكي، بنغازي ١٩٨١

٣) علم الطفيليات: د. أبو بكر السويحلي، طرابلس ١٩٩٥

٤) صحة المجتمع: د. سالم الحضيري، بنغازي ١٩٨٧

٥) علم الأمراض: د. مصباح الزروق، طرابلس ١٩٩٠

٦) أمراض العيون: د. منصور بن عامر، بنغازي ١٩٩٢

٧) الأمراض المعدية: د. محمد معافة طرابلس ١٣٩٥ و.ر

٨) أمراض العظام: د. ساطع السراج، طرابلس ١٩٩٦

٩) الطب الشعبي في ليبيا: د. عبد الكريم أبو شويرب، طرابلس ١٩٨٩

١٠) البيبليوغرافيا الطبية الليبية: د. عبد الكريم أبو شويرب، طرابلس ١٩٨٦.

٢ ـ Differential Diagnosis = التشخيص التفريقي.

٣ ـ Downs Syndrome = داون سيندروم أي متلازمة داون.

٤ ـ Hypotonia = نقص التوتر.

٥ ـ Cretinism = قصور الدرقية.

٦ ـ Achondroplasia = الودانة.

٧ ـ Trisomies = تثلث صبغي.

٨ ـ ch romosomemutation = طفرات الكروموزومات.

قاعدة معلومات الكتب العلمية ودورها في إشاعة المصطلح العلمي العربي

د. دحام إسماعيل العاني

• مقدمة:

تأصّلت عالمية اللغة العربية بفضل بزوغ الحضارة العربية وامتداد ظلالها، ومن ثم فإن انحسار أمجاد الأمة وانحطاط واقعها الحضاري والسياسي قد فرض آثاره على لغتها العربية. ومما لا شك فيه أن ذلك لم يكن خيار أبنائها، بل هو إملاء إرادة المستعمر يوم كانت له القدرة على التصرف بمقادير هذه الأمة.

لقد أدْرَك ـ وبحق ـ أن إضعافَ الأمة بإضعاف لغتها، وإحباطَ نبوغها بعقد لسانها، ووأْد عزّتها باجتثاث أصولها الثقافية والتراثية وبالتالي إذلالها، وتحطيم كرامتها باحتوائها بعد ترويج لغته والتَنَطُّع بثقافته.

نهضت الأمة من جديد وأزاحت عن سمائها هيمنة المستعمر وآثاره غير أن التعليم العالي بقي في غالبية الأقطار العربية بلغة الأجنبي رغم أن ثراء العربية وخصوبتها ومرونتها لم يطرأ عليها شيء ... فكيف أصبحت في نظر جل أبنائها عاجزة عن تلبية مفردات العلم ونِتاج التقنية والتطور المادي.

إن مسألة بقاء الأثر اللغوي والثقافي للمستعمر بعد أن تم الخلاص منه هي في غاية الأهمية، وقد فرضت هذه المسألة نفسها منذ مطلع هذا القرن فتوافرت الجهود لإعادة تأصيل اللغة العربية في ميادين العلم والتقنية. لقد آمن

قادة الفكر والسياسة في هذه الأمة أن التعريب لا يهدف إلى التعريب اللغوي وحده وإنما يجب أن يتساوق ويتكامل مع توطين العلم وتعريب الفكر تفتيحاً للمواهب ومساعدة على الابتكار (المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي تشرين الأول ١٩٨٣). فانتشار المفاهيم والمصطلحات العلمية والتقنية باللغة العربية هو في حقيقة الأمر توطين لهذه العلوم. فالعلوم والتقنية لا تنمو ولا تُزْهِرُ في بلد لا يفهم أبناؤه لغتها، كما أن استخدام اللغة العربية في العلوم والتقنية يجعل استثمارها وانتشارها في شرائح المجتمع أعم وأشمل حيث تُخْرِجُ اللغةُ العلمَ من زاوية القِلّة المتقنة للغة أجنبية ليقطع في عموم طبقاته الاجتماعية.

لقد أدركت الدول العربية ـ منذ وقت مبكر ـ هذه الحقيقة ومن ثَمَّ أهمية أن يكون التعليم العالي باللغة العربية ولهذا نَصَّت أغلب الجامعات في الدول العربية حسب مراسيم إنشائها على أن اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات ويجوز عند الاقتضاء التدريس بلغة أخرى بقرار من مجلس الجامعة. إلا أن الواقع لم يعكس رغبات المشرعين، فأصبح الاقتضاء في أن يتم التدريس باللغة الأجنبية وتصبح اللغة العربية منبوذة طريدة من مجالس العلوم والتقنية في معظم الجامعات العربية مع الأسف.

ولما كان توفر المصادر العلمية العربية من المقومات الرئيسة للتعليم بهذه اللغة، كانت هناك جهودٌ حثيثة تبذل لتوفير الكتاب الجامعي العربي وإنتاجه بالإضافة إلى المعاجم والمصطلحات المعربة في مختلف فروع العلوم، وربما كان من أول تلك الجهود ما قام به مجمع اللغة العربية بدمشق منذ تأسيسه في ١٩١٩/٦/٨م إذْ حَدَّدَ أهدافه في المنشور العام الذي صدر في أيلول ١٩١٩م والذي ورد في أول بنوده مايلي:

« النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشر آدابها وإحياء

مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفةِ المواضيع على نمط جديد » (مجلة المجمع العلمي العربية ١٩٢١م) حيث صدرت فعلاً عن هذا المجمع جهودٌ قيمة في مجال المعاجم وكُتُبِ المصطلحات ولا يتسع المجال لذكرها وهي معروفة ومتداولة.

وقد تضافرت بعد ذلك جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه في ١٩٣٢/١٢/١٣ م مع جهود المجمع العربي بدمشق في دعم مسيرة التعريب ونقل المصطلحات العلمية إلى العربية (مدكور ١٩٧١م). وبعد مجمع دمشق والقاهرة أُنشئت المجامع العربية الأخرى مثل المجمع العلمي العراقي (١٩٤٧م) ومجمع اللغة العربية الأردني (١٩٧٦م). ونظراً إلى الأهمية الخاصة لمسألة التعريب في مستقبل الأمة وتطويرها فقد عُقِدَتْ كثير من المؤتمرات العربية لمعالجة قضيته كما أُسِّس المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط التابع لإدارة الثقافة بجامعة الدول العربية، وصدر عنه مجموعات من المعاجم في شتى الحقول العلمية. ثم تأسس المركز العربي للترجمة والتعريب في دمشق بجهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لدعم الترجمة نحو التأليف والنشر بالعربية.

ومما لا شك فيه أن جميع الدول العربية لم تأل جهداً في سعيها لدعم قضية التعريب ولم يقتصر نشاط هذه الدول على مجامع اللغة فقط، وإنما أنشأت مؤسسات أخرى. منها على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ معهد التعريب والترجمة التابع لجامعة محمد الخامس، مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية ببيروت، معهد المخطوطات العربية في القاهرة ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي بالكويت ومراكز الترجمة والتعريب التابعة للجامعات في المملكة العربية السعودية.

كما عقدت مؤتمرات وندوات ولقاءات قد يضيق الوقت لاستعراضها وأجريت مئات الدراسات والأبحاث الكبيرة لتناول مسائل وقضايا التعريب في مختلف جوانبها، (العاني وآخرون ١٩٩٩م). وقد تطلب حصر هذه الجهود عملاً كبيراً لتوثيقها مما يُوحي بحجم وغزارة ما صرف نحو هذه الجهود من فكر وعمل (عبد الرحمن ١٩٨٣م).

وخلال السنوات والعقود الماضية ظهر في البلاد العربية ـ ومازال ـ الآلاف من الكتب العلمية المؤلفة والمترجمة إلى العربية. وبالرغم من هذه الجهود الفردية والجماعية الخاصة والرسمية، فإن مسألة تعريب العلوم لا تزال متعثرة ولا يبدو أنها على وشك الخروج من نفقها الطويل المعتم. فالتعليم الجامعي في معظم الجامعات العربية التي يزيد عددها على ستين جامعة يمارس جلّه باللغات الأجنبية في الفروع العلمية بالرغم من أن المراسيم الحكومية تنص على عكس ذلك (انظر على سبيل المثال الأمانة العامة لمجلس التعليم العالي ١٩٩٤م، السعودية).

وتبذل كل جامعة بمفردها جهوداً مضنية في تأليف وترجمة الكتب العلمية باللغة العربية، إلا أن التعاون بين هذه الجامعات لايزال ضعيفاً حتى على مستوى القطر الواحد. وقد يبدو مستغرباً ومثيراً للدهشة أن نعلم أن المكتبة الأكثر توثيقاً للكتب العربية هي مكتبة الكونجرس الأمريكية.

ولهذه الأسباب جميعها ظهر أن توثيق الجهود المبعثرة لإنتاج الكتاب العلمي العربي والمعجم المختص سيخدم جميع المؤسسات العلمية العربية، وسيكون إنشاء قاعدة معلومات لتوثيق الكتاب العلمي العربي من مصادره المختلفة ـ بما فيه الموسوعة والمعجم ـ حجر الزاوية في دعم أية مشروعات عربية تهدف إلى خدمة قضية تعريب العلوم والكتابة العلمية باللغة العربية وإشاعة تداول المصطلح العلمي العربي ومن ثم توحيده.

ولقد كانت التطورات التقنية المتلاحقة في مجال استخدام الحاسوب في دعم برامج التوثيق وإنشاء قواعد البيانات دافعاً طبيعياً لاستثمار تلك الإمكانات في تنفيذ مثل هذه المشروعات. كما فتحت مؤخراً شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) آفاقاً واسعة لتضافر الجهود وتكاملها في مثل هذه المشروعات كما استُعْرِضَ في ورقة أخرى.

إن حصر وتجميع وتوثيق معلومات شاملة عن الكتاب العلمي العربي ضرورة حتمية تتطلبها بَدَهِيّات التصدي لإشكالية التعريب المرتبطة بتوفير عنصر الكتاب والمصطلح ومباشرتها تعدّ ذات بعد وأثر علمي يسهم ويرفد مجمل الجهود المبذولة في مسألة تعريب التعليم العالي، ودعم برامج تعريب العلوم بشكل عام.

• خلفية إنشاء قاعدة المعلومات عن الكتاب العلمي العربي:

كما استعرضنا سابقاً فقد جاءت العديد من التوصيات التي تؤكد ضرورة توثيق الجهود المبعثرة في تأليف وترجمة الكتاب العلمي العربي منها على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ توصيات الفريق المختص بوضع برنامج زمني لتعريب التعليم العالي أو تأليف الكتاب الجامعي بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والمنبثق عن قرار وزراء التربية والتعليم والمعارف بدول المجلس والمبني أساساً على توجيه رؤساء ومديري الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في اجتماعهم الأول.

ولتحقيق هذه التطلعات كان لابد من وضع مخطط زمني لجعل اللغة العربية لغة التعليم في الكليات العلمية: الطب والهندسة والزراعة. وهذا لن يتأتى دون المباشرة بتهيئة مصدر التعليم الأول وهو الكتاب. ومن هنا انبثقت أهمية بناء قاعدة معلومات شاملة عن الكتب العلمية المؤلفة باللغة العربية والمترجمة إليها، والمعاجم العامة والمتخصصة والموسوعات المعربة خاصة في

ضوء عدم وجود أية جهة تُعنى بتوثيق شامل للإصدارات العربية، ماعدا بعض الجهود الجزئية المبعثرة التي قامت بها بعض المؤسسات والجهات الرسمية والخاصة بهدف توثيق يقتصر في عموميته على حصر نشاط هذه المؤسسات.

• الأهداف المباشرة وغير المباشرة لوجود قاعدة معلومات عن الكتاب العلمي العربي:

تنبثق الأهمية المباشرة لوجود قاعدة معلومات عن الكتاب العلمي العربي من دورها المتوقع في دعم مشروعات تعريب التعليم العالي. إذ لايزال الكتاب العلمي العربي هو المرتكز الأساسي الذي يجعل اللغة العربية لغة عِلْم وتَعَلُّم في مختلف مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحوث العلمية على امتداد الوطن العربي.

كما يساهم في إشاعة المصطلح العلمي العربي تَعَرُّف المؤلفين على المصطلحات المستخدمة في حقول معارفهم العلمية خاصة عند المحاولات الأولى لهم في مجال التأليف باللغة العربية. إذ تتيح هذه القاعدة للمؤلفين المعلومات اللازمة للوصول إلى نتاج أقرانهم في التخصص العلمي، والاطلاع على المصطلحات العلمية المستخدمة في حقل تخصصهم وإعادة استخدامها ومن ثم انتشارها وتعميمها على المدى القريب والبعيد. وتأتي هذه القاعدة لتسد نقصاً واضحاً في مجال توثيق الكتاب العلمي العربي والتعريف به وبأهم عناصره، خاصة في ظل تعثر واضح لآليات النشر والتوزيع وصعوبة تخطي الكتاب للحدود الجغرافية لعالم عربي شاسع جغرافياً ويحتاج فيه الكتاب إلى عبور أكثر من عشرين حاجزاً حتى ينال حظه في الوجود في جميع أقطاره المتناثرة.

كما تهدف هذه القاعدة لبلورة نواة توثيق مستقبلي متكامل، خاصة في ضوء غياب توثيق شامل للإصدارات العربية، حيث ستكون حافزاً لتوثيق

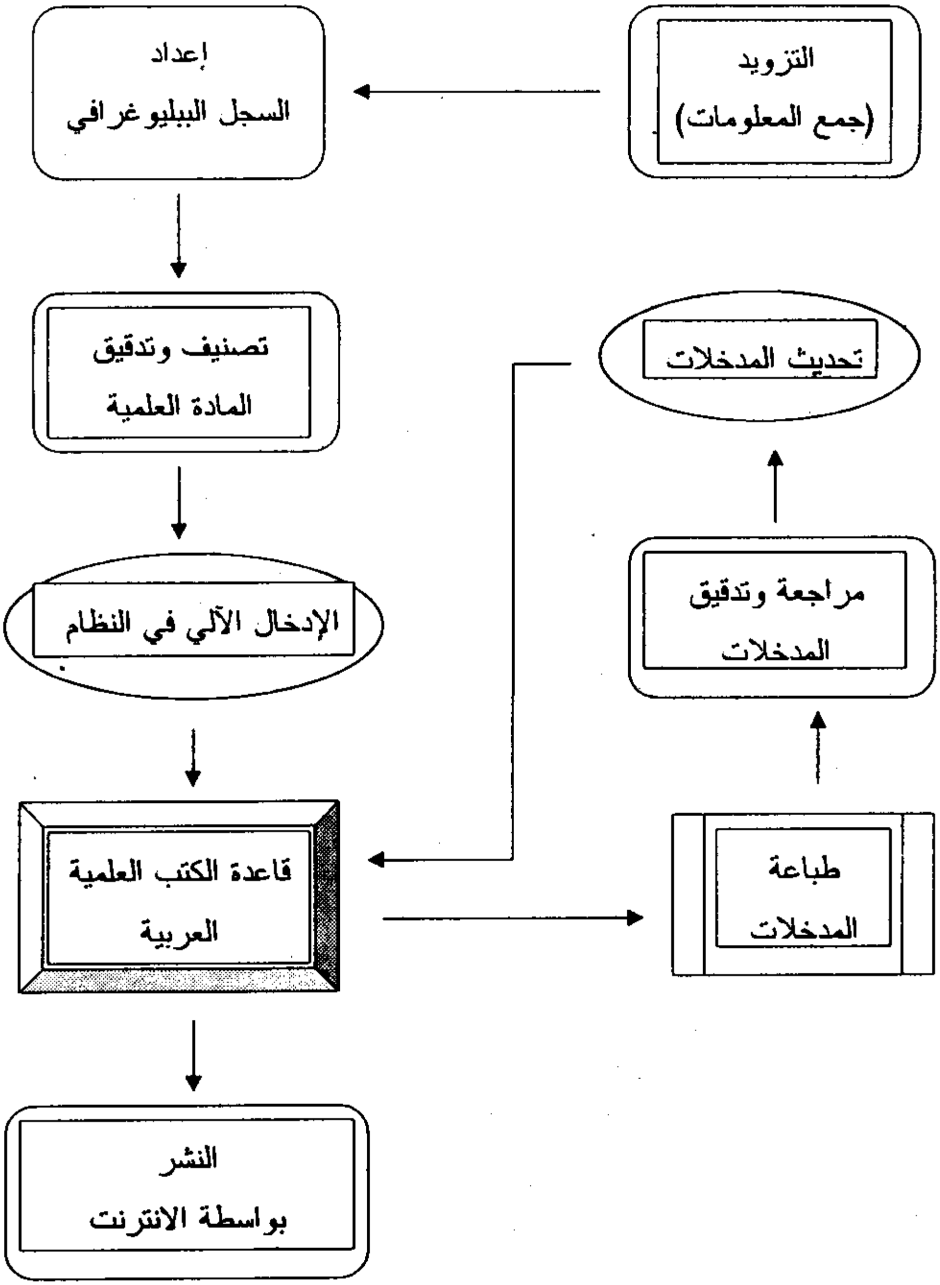
كامل يضم المؤلفات في بقية المعارف الإنسانية والدوريات العلمية العربية وحصر جهود المؤسسات والمنظمات المعنية بالتعريب، ودور النشر والقوى البشرية المتخصصة في مجالات التأليف والترجمة ... إلخ.

وبما أن الدراسات الجادة المبنية على الحقائق والإحصاءات عن واقع حركة التأليف العلمي ومداه وانتشاره وتطوره تكاد أن تكون شبه معدومة، فإن من الأهداف الأخرى غير المباشرة لهذه القاعدة إتاحتها المعطيات التي توفر للباحثين والدارسين مادة خصبة للدراسات العلمية التي ترصد حركة التأليف والترجمة والنشر عموماً لأن الوقوف الموضوعي على واقع هذه الحركة سيدفع بها دون شك نحو التقدم والنماء.

• منظومة العمل في قاعدة الكتب العلمية العربية:

يوضح الشكل التالي منظومة العمل المستخدمة في بناء القاعدة.

منظومة العمل في قاعدة الكتب العلمية



• مكونات قاعدة الكتب العلمية:

بعد أن تم التوقف المرحلي لإدخال بيانات عن الكتب والمعاجم العلمية باللغة العربية نظراً لإنتهاء مرحلة البناء الأساسية للقاعدة وتقويم العمل الذي تم بها فيمكن أن نوجز بالأرقام مكونات سجلات الكتب المتوفرة بها كما يلي:

عدد السجلات النظيفة (غير المكررة في القاعدة) ١٣٤١٧ سجلاً. تغطي هذه السجلات التخصصات العلمية العامة في المجالات الموضحة بالجدول المرفق التالي حيث بلغ عددها ٦٣٪ مجالاً.

جدول (١) توزيع كتب القاعدة حسب التخصص العام

التخصص العام	عدد الكتب	التخصص العام	عدد الكتب
الاقتصاد	٢٥	طب الأطفال	٥
التكنولوجيا	٥٩	علم الإحصاء	٣٣
الرياضة	٤	علم الأرض	٤١٩
الصناعة	٣٨٨	البيئة	٣٥
العلوم	٦٦٢	الصيدلة	٢٠
العلوم العسكرية	٤٩	الفضاء	٨
الفيزياء	٧٤٨	المعادن	٨
اللغات	٦	المناخ	٤
الهندسة	١٩٩٨	النفس	٤
الهندسة الكيميائية	١٢٩	غير محدد	٣
الهندسة الميكانيكية	٣٥	التعليم	٥
طب الأسنان	٥	الحاسب الآلي والمعلومات	٢١٢
علم الاجتماع	٨	الزراعة	١٩٣٢
علم الأحياء الدقيقة	٤	الطب البيطري	٦
علم البحار	٨	العلوم الطبية	٢٠٢١
علم الحيوان	٤١٤	الفنون	٤٤
علم العمارة	١٨٧	الكيمياء	٦١٧
علم المساحة	١٨	المواصلات	١٧
علم الملاحة	٢	الهندسة الكهربائية	٩٦
علم النبات	٢٤٣	الهندسة المعمارية	١١١
علم وظائف الأعضاء	٩	الهندسة الوصفية	٦
الاقتصاد المنزلي	١٧	الآثار	٣٧
الجغرافيا	٢٠	الأحياء	٤٠٤
الرياضيات	١٣٩٧	الإنسان	٢
الطب	٢٣٠	التغذية	٤٧
العلوم الإدارية	٥٢	الطيران	٣
الفلسفة	١	الفلك	٢٦٢
القانون	٣	المكتبات	٦
المعارف العامة	١٣	المياه	٤
الهندسة الصناعية	٢٢	الوراثة	١٥
الهندسة النووية	٢	هندسة النفط	٥٧
عدد التخصصات العام ٦٣			مجموع الكتب ١٣٤١٧

من هذه الكتب يبلغ عدد الكتب العلميـة المترجمة إلى اللغة العربية من اللغـات الأخرى ٢١٥١ كـتابـاً تتوزع علـى المجالات الموضـحة فـي الجدول التالي:

جدول (٢) توزيع كتب القاعدة المترجمة حسب التخصص العام

التخصص العام	عدد الكتب	التخصص العام	عدد الكتب
الاقتصاد	٣	الهندسة المعمارية	١٠
التكنولوجيا	٩	طب الأطفال	٢
الرياضيات	٢٨٢	علم الإحصاء	٣
الطب	٤٥	علم الأرض	٦٦
العلوم الإدارية	٢	علم البيئة	٢
الفنون	٤	علم العمارة	١٩
اللغات	١	علم المعادن	١
الهندسة الصناعية	٤	علم الوراثة	٦
الهندسة المدنية	٣	التعليم	١
طب الأسنان	١	الحاسب الآلي والمعلومات	٤٣
علم الاجتماع	٢	الصناعة	٤٦
علم الأحياء الدقيقة	٢	العلوم	١٠٤
علم البحار	١	العلوم العسكرية	٤
علم الحيوان	٥٠	الكيمياء	١٢٦
علم الفلك	٤٤	الهندسة	٣١٦
علم النفس	١	الهندسة الكيميائية	١٣
هندسة النفط	٢	الهندسة الميكانيكية	١٢
الاقتصاد المنزلي	٢	علم الآثار	٧
الجغرافيا	٣	علم الأحياء	١٢٠
الزراعة	١٧٩	علم الإنسان	١
الطب البيطري	٢	علم التغذية	٥
العلوم الطبية	٣٨٦	علم الفضاء	٣
الفيزياء	١٦٧	علم النبات	٣٣
المعارف العامة	٢	علم وظائف الأعضاء	١
الهندسة الكهربائية	١٠		
			مجموع الكتب ٢١٥١

بلغ عدد القواميس والمعاجم العلمية ضمن القاعدة ٨١٤ معجماً تمثل اللغة العربية واحدة من لغاتها وتتوزع هذه المعاجم على خمسين تخصصاً عاماً.

• نشر الكتب العلمية:

١ ـ النشر الأكاديمي:

اهتمت بعض المؤسسات العلمية العربية بنشر الكتب العلمية باللغة العربية نتيجة اهتمامها بقضية تعريب العلوم أو تبنيها له.

وقد كان عدد هذه المؤسسات قليلاً جداً في العقود الماضية إلا أننا نلحظ أن الجامعات العربية على امتداد الوطن العربي أصبحت تنشر الكتب العلمية باللغة العربية بعد أن اتسع مد مسألة تعريب التعليم باللغة العربية واتخذت الحكومات بشأنه توصيات أو قرارات ملزمة. ولهذا كان من فوائد هذه الالتزامات ازدياد عدد المطبوعات العلمية باللغة العربية وتنوّعها إذ بلغ عدد الكتب المنشورة من قبل الهيئات الأكاديمية في القاعدة ٣٣٩١ كتاباً موزعة على سبعة عشر بلداً يأتي في مقدمتها سورية ثم العراق ثم السعودية ثم مصر.

جدول (٣) توزيع كتب القاعدة حسب الدول التي تنتمي لها الهيئات الأكاديمية الناشرة للكتب

الدولة	عدد الكتب
أمريكا	١
الأردن	٤٠
الإمارات	٣
السودان	٨٥
السعودية	٣٣٤
المغرب	٦٦
الجزائر	٢
العراق	٧٨٤
الكويت	٢٥
روسيا	٢
سورية	١٨٥٥
قطر	٢٠
مصر	١٨٥
لبنان	٧٠
تونس	٢
عمان	١
غير محدد	١
مجموعَ الكتب	٣٣٩١

٢ ـ النشر غير الأكاديمي (القطاع الخاص):

بلغ عـدد الكتب التـي تولت نشرهـا مؤسسـات خاصة غـير أكاديمـية موثقة لدى القاعـدة ٩٩٧٦ كتاباً موزعة على تسعة وعـشرين بلداً ويأتي في مقدمتها مصر ثم لبنان ثم السعودية ثم سورية ثم الأردن.

جدول (٤) توزيع كتب القاعدة حسب الدول التي نشرت فيها المؤسسات غير الأكاديمية (القطاع الخاص)

الدولة	عدد الكتب
أسبانيا	٣
أمريكا	٩٦
إنجلترا	١١
الأردن	٥٢٠
الإمارات	٣٩
السودان	١٥
السعودية	٨٨٢
ألمانيا	١٦
النرويج	١
الهند	٣
المغرب	٢٤٤
اليمن	٦
البحرين	١٦
الجزائر	٤٧
العراق	٣٨٨
الكويت	٤٤١
إيطاليا	٥
روسيا	٥٨
سورية	٧٢١
سويسرا	١٤٦
قطر	٢١
قبرص	١٤
مصر	٣٨٨٣
ليبيا	١٠٧
لبنان	١٧٦٨
تونس	١٤٣
عمان	١٢
غير محدد	٢٥٥
فرنسا	٩
كينيا	٦
مجموع الكتب	٩٩٧٦

ومن الملاحظ أن هناك عدداً لا بأس به من دور النشر الأجنبية التي قامت أيضاً بنشر بعض الكتب مما يوحي بأن نشر الكتاب العلمي باللغة العربية يلقى قبولاً ويعود بمردود مالي على الناشرين وهذا ما يبرر توجه المؤسسات الأجنبية إلى هذا النوع من النشاط التجاري.

• بعض الدلالات المثيرة لبيانات القاعدة:

• تاريخ النشر العلمي باللغة العربية:

تشير البيانات التي تم توثيقها في القاعدة إلى أن النشر العلمي في اللغة العربية انحصر في بداياته على العمل المعجمي والمفردات العلمية المتخصصة وكانت هذه الكتب تطبع في الهند أو باريس قبل أن تبدأ الطباعة في البلاد العربية. ومن طلائع الكتب المطبوعة كتاب ألفاظ الأدوية لمؤلفه نور الدين شيرازي حيث نشر عام ١٧٩٣م في مدينة كلكتا بالهند وطبعته مطبعة كرونيكل. كما تم توثيق معجم فرنسي طبع في باريس عام ١٨٦٠م ولا يتسع المجال هنا إلى تحليل هذه النتائج ومناقشتها مناقشة مستفيضة.

• مادة النشر العلمي وطبيعته:

يدل تحليل البيانات المتوفرة في القاعدة عن طبيعة النشر العلمي باللغة العربية إلى أن بداياته كانت تتمحور حول ترجمة المعاجم ونقل المفردات والمصطلحات العلمية وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما أن جل المادة المنشورة كانت معجمية في حقول الطب والعقاقير والنباتات المكونة لها وتلا ذلك النشر في مجال الزراعة وعلومها. أما المجالات الهندسية فقد جاءت متأخرة نسبياً ولم تبذل الجهود فيها إلا في النصف الثاني من القرن العشرين ماعدا بعض الكتب التراثية في الرياضيات (العاني وآخرون ١٩٩٩م).

• نشر وإتاحة قاعدة معلومات الكتب العلمية:

أتاحت الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) فرصة غير مسبوقة لنشر المعلومات بحيث يمكن لأي باحث في أي مكان بالعالم وفي أي وقت الوصول لأية معلومة من أي موقع مرتبط بالشبكة، فضلاً عن أن المعلومات يمكن تحديثها من مصادرها دائماً بطريقة يسيرة وبدون تكاليف عالية. ومن هذا المنطلق فقد ارتأت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية أن تكون قاعدة معلومات الكتب العلمية باللغة العربية متاحة عن طريق الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) حيث تمكن الباحث من أن يصل إلى القاعدة من خلال صفحة المدينة www . kacst.cdu.sa حيث يتم البحث عن طريق محرك بحثي خاص بشبكة الإنترنت يوفر إمكانية البحث الحر عن أي كلمة أو مجموعة كلمات باللغة العربية في أي سجل بالنسبة للباحث، وفي الوقت الحالي فإنه سيحتاج لأن يتوفر لديه مستعرض للإنترنت يدعم اللغة العربية حيث يتمكن من قراءة المعلومة. إلا أنه مستقبلاً بإذن الله وخلال سنوات قادمة فإنه من المتوقع اعتماد شفرة الحروف العالمية الموحدة unicode والتي ترمز كل لغات العالم الحية بحيث يتمكن الباحث في البلاد غير العربية من البحث في القاعدة بأي مستعرض وذلك ما سيوفر انتشاراً كبيراً للقاعدة مقارنة بما هو الحال في الوقت الراهن.

• تطوير القاعدة واستمرار تحديثها:

إن الهدف الأساسي من وجود قاعدة المعلومات عن الكتب العلمية باللغة العربية هي أن تكون مصدراً رئيسياً ودائماً لجميع الكتب العلمية المؤلفة أو المترجمة باللغة العربية وأن لا يتوقف توثيق البيانات عن الكتب العلمية الصادرة أو التي ستصدر مستقبلاً. ولهذا فإنه لابد من وضع الآلية التي تضمن التغطية المستقبلية الشاملة لجميع الكتب العلمية التي ستصدرها

المؤسسات الأكاديمية وغير الأكاديمية بحيث تصبح مصدراً للاستعلام عن أي كتاب علمي عربي أياً كان مصدره.

ولتحقيق هذه الغاية لابد من العمل الدائم لتطوير هذه القاعدة ورفدها بالمعلومات التي تشكل عناصر تكوينها. ونظراً إلى أن مصدر المعلومات عن الكتب الصادرة عموماً المؤسسات الأكاديمية، ومؤسسات النشر غير الأكاديمية وأن الغاية من النشر هو الوصول إلى أوسع شريحة ممكنة من القراء لذلك يبرز دور الإعلام عن وجود هذه القاعدة من المعلومات التي تتيحها لأن في هذا الدور الإعلامي خدمة كبيرة لمؤسسات النشر في إطلاع القارئ عن نتاج عملها وتصبح المصدر الوحيد له للاستعلام عن أي كتاب علمي يبحث عنه أو عن الكتب الصادرة في مجال علمي يهتم به.

والإعلام إذن عن وجود هذه القاعدة للناشر أو القارئ على حد سواء ضرورة أساسية لتأدية الوظيفة التي تقدمها. إن إتاحة القاعدة على شبكة الإنترنت العالمية يجعل الوصول إليها مستقبلاً يسيراً وسريعاً خاصة وإن انتشار هذه الشبكة في البلاد العربية واستخدامها يبدو أنه أصبح واسعاً وواعداً.

إن وضع الآلية المحكمة لضمان التحديث المستمر للقاعدة بالمعلومات عن الكتب العلمية الصادرة من مظانها المختلفة على امتداد الوطن العربي سيجعل القاعدة تحقق أحد أهم أهدافها وتعزز الثقة بها ومن ثم تشجع المؤسسات الناشرة للكتاب العلمي على الحرص على تزويد القاعدة بالمعلومات عن الكتب العلمية الصادرة، ومن ثم تصبح كما هو مخطط لها المصدر الأساسي للمعلومات عن أي كتاب علمي صادر بالعربية.

المراجع

مجلة المجمع العلمي العربي (١٩٢١م) مجلد ١، ج١، ص٦، دمشق، سورية.

مدكور، إبراهيم (١٩٧١م) مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، القاهرة، مجمع اللغة العربية.

العاني، دحام.، الخراشي، إبراهيم.، القفاري، عبد الله.، الحميدي، عبد الرحمن (١٩٩٩م) قاعدة معلومات الكتب العلمية باللغة العربية، الإدارة العامة لبرامج المنح، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، التقرير النهائي للمشروع رقم و ع - ١٦ - ١.

عبد الرحمن، عفيف (١٩٨٢) الجهود اللغوية خلال القرن الرابع الهجري، طبعة ثانية.

الأمانة العامة لمجلس التعليم العالي (١٩٩٤م) نظام مجلس التعليم العالي والجامعات، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجريدة الرسمية، أم القرى (١٤١٤هـ).

المعرب والدخيل في المجلات المتخصصة

د. ممدوح محمد خسارة

مفهوم المعرّب والدخيل

التقارض بين اللغات ظاهرة ثقافية عامة، وهي من أهم آثار التقاء الأقوام والحضارات.

ولئن كان النقاء العرقي متعذراً، إن النقاء اللغوي أكثر تعذراً. فاللغة كالكائن الحي يؤثر ويتأثر بمن حوله، لا سيما إذا كانت لغة حية متجدِّدة.

ولم تكن اللغة العربية ـ وهي الحية المتجدِّدة أبداً ـ لتشذ عن هذه القاعدة، فهي قد أخذت وأعطت، وصارت هذه المعلومة بمنزلة البدهيات التي لا يعوزها تدليل أو تعليل.

والتقارض إقراض واقتراض متزامنان، ولكن يغلب الإقراض في حالة المد الحضاري للأمة، ويغلب الاقتراض في حالة الجزر الحضاري لها، وهذه الأخيرة هي حالة أمتنا الآن. فلا غرو أن يغدو الاقتراض اللغوي عندنا ظاهرة لافتة لنظر دارس العربية والباحث فيها لهذا العصر.

والاقتراض وسيلة لغوية تلجئ إليها ضرورة التعبير عن مستحدثات ومستجدات سبق إليها الآخر. وهو وسيلة مشروعة لتنمية اللغة العربية، مادام في إطار ما تسوِّغه الضرورات، وما يسيغه النظام الصوتي العربي. مع توفر هذين الشرطين يمكن الحديث عن اقتراض لغوي صحي مقبول، ومع غياب أحدهما أو كليهما ينقلب الصحّيُ إلى مَرَضيّ والمقبول إلى مرفوض.

ينقسم الكلم المقترض إلى معرَّب ودخيل:

١ ـ المعرَّب:

«تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها»[١]، هذا ما حد به القدماء التعريب، وعليه، فالمعرَّب هو الاسم الأعجمي المتفوه به على منهاج العرب، أي الذي خضع لتغييرات جعلته على منهاجهم في النطق.

أما المحدَثون فيكادون يجمعون على أن يطلق (المعرّب) على «كل كلمة أجنبية دخلت العربية قديماً، أو تدخل اليوم أو غداً، على أن تكون خاضعة لمقاييس العربية وأبنيتها وحروفها. ويدخل في هذا قسمٌ كبيرٌ مما عرَّبه القدماء، أو المعاصرون، ويسمى هذا النوع معرَّباً، لأن الروح العربية سرت فيه، وأصبح جزءاً من البناء العربي»[٢].

وهكذا يتضح أن المحدثين فسَّروا عبارة (منهاج العرب في التفوه بالكلمة الأعجمية) على أنه الخضوع لمقاييس العربية وأبنيتها وحروفها.

فما هذه المقاييس والأبنية والحروف؟

لقد وجدنا أن هذه المقاييس والأبنية والحروف ما هي إلا مجموعة الخصائص الصوتية والصرفية للكلمة العربية، والتي أطلقنا عليها اسم (النظام الصوتي العربي).

وعناصر هذا النظام الصوتي العربي هي ـ تحديداً ـ ما يلي:

١ـ الحروف والأصوات العربية.

٢ـ البنية الصوتية للكلمة العربية.

---

(١) الجوهري ـ الصحاح: عرب، ومثله في اللسان والقاموس والتاج.

(٢) د. أحمد مطلوب ـ حركة التعريب في العراق: ٢٦، د. حلمي خليل ـ المولد والدخيل في العربية: ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

٣ ـ الإيقاع الصرفي للكلمة العربية.

وهذه العناصر مستقرأة من أقوال اللغويين القدامى والمحدَثين، ومن منهجية تعريب الألفاظ لدى القدماء ومعظم المحدَثين.

وإن تطبيق هذا النظام الصوتي العربي على الاسم المعرَّب يعني مايلي:

١ ـ خلوّ الاسم المعرب من أي حرف أو صوت غير عربي. كحرف: کَ، أو ڤ، أو پ، أو ژ..

٢ ـ التزام البنية الصوتية للكلمة العربية كما أقرها اللغويون وهي:

ـ ألاَّ يزيد عدد أحرف الاسم المعرب على ثمانية أحرف.

ـ وجوب ائتلاف هذه الأحرف.

ـ وجوب ائتلاف حركات هذه الأحرف.

ـ وجوب خلوها من التقاء الساكنين.

ـ منع بدئها بساكن.

٣ ـ اشتراط الإيقاع الصرفي للاسم المعرّب، وتجاوز اشتراط مطابقته الوزن العربي، لأن الأسماء الأعجمية لا توزن أصلاً. وما نعنيه بالإيقاع الصرفي العربي هو تتابعُ حركات الاسم المعرَّب وسكناتِه وحروفِ المدّ فيه، وفق نظائرَ لها في العربية، سواء أطابقت الوزن العربي أم لم تطابقه. وقد وجدنا أن هذا الإيقاع يتحقق في كل كلمة خضعت للمقاييس الستة السابقة.

٢ ـ الدخيل:

يكاد المحدَثون يجمعون على «أن يطلق (الدخيل) على اللفظة التي لم تخضع لمقاييس العربية وبنائها وجرسها، سواء أكانت قديمة أم حديثة»[١] .أي

(١) د. أحمد مطلوب ـ حركة التعريب في العراق: ٢٦. و د. حلمي خليل ـ المولد والدخيل في العربية : ٢٣٣ ـ ٢٣٥، و د. إبراهيم أنيس ـ دلالة الألفاظ: ١٤٩.

هي الكلمة التي لم تطرأ عليها أية تغييرات واستعملت على حالتها عند أصحابها، وبعبارة أخرى هي التي لم تخضع للنظام الصوتي العربي، إمَّا لكونها عصيَّة على التعديل والتغيير، وإما بداعي العجلة في الاستعمال، أو بادِّعاء المحافظة على الأصل.

ولابد من التنبُّه إلى نقطتين في هذا المجال:

الأولى: هي أن القدماء لم يفرقوا تماماً بين المعرَّب والدخيل، واختلط هذان المفهومان عندهم، «فاستعمل جمهورهم المعرَّب والدخيل بمعنى واحد»[1]، إذ يعرِّف (الكفوي) الدخيل بقوله: «كل كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه»[2]. أما الخفاجي صاحب كتاب (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من المعرَّب والدخيل)، فقد زاد عليه خلطاً آخر، إذ عدَّ المولَّد من الدخيل أيضاً، عندما ذهب إلى أن كلمات مثل (كيفيَّة، شتويّ، شخَّص) هي من الدخيل، فوضع بذلك المعرَّب والدخيل والمولد في مستوى لغوي واحد، على بُعْد ما بينها، إذا المولَّد عربي صريح لاغبار عليه ولا شبهة، كما أن المعرّب - بخضوعه لخصائص العربية - قد اندمج في اللغة، وذاب فيها، فصار جزءاً من ثروتها اللفظية، حتى ليصعب أحياناً تمييزه من العربي. أما الدخيل - بخروجِهِ عن خصائص العربية وقوانينها - فقد بقي غريباً، لم يُهَيأ له الاندماج في المخزون اللغوي، وهو في طريقه إلى الزوال، وبقاؤه في العربية مرهون بتوفر البديل المولَّد أو المعرَّب.

المعرب والدخيل في المجلات المتخصصة

١) نسبة المعرَّب والدخيل في المجلات المتخصِّصة:

تأسيساً على ما سبق، سوف نَعُدُّ كل اسم مقترض خضع لمقاييس

(١) د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ٣٦.

(٢) أبو البقاء الكفري - الكليات ٢:٣٢٠.

العربية (معرَّباً)، ونعد كل ماعداه من المقترض (دخيلاً).

ولمعرفة نسبة كل من المعرب والدخيل في المقترض اللغوي، في المجلات المتخصِّصة عَمَدْنا إلى عينة من ست مجلات متخصصة ومن أقطار عربية متعددة، وهي:

- المجلة العربية للعلوم، الصادرة عن إدارة العلوم بجامعة الدول العربية - تونس.
- مجلة (اللسان العربي)، الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالمغرب.
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.
- مجلة (عالم الذرة)، الصادرة عن هيئة الطاقة الذرية في سورية.
- مجلة (العلوم)، الصادرة عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وهي الترجمة العربية لمجلة (ساينتيفيك أمريكان).
- مجلة اتحاد الجامعات العربية، الصادرة عن اتحاد الجامعات العربية بالقاهرة.

أخذنا من هذه المجلات عشوائياً مئة كلمة مقترضة، عشر منها أسماء أعلام، ثم عَرَضْنا هذه المقترضات على عناصر النظام الصوتي العربي لمعرفة المعرَّب من الدخيل أولاً، ونسبة كل منهما في المقترض اللغوي.

ثم عَمَدْنا إلى (الدخيل)، لتحديد عناصر الدخالة فيه، أي العناصر التي خالف فيها الدخيلُ النظام الصوتي العربي[١].

فكانت النتيجة كما يلي:

٥٠٪ من الكلمات المقترضة (معرَّب)، خضع لخصائص العربية وقوانينها.

---

(١) ينظر قائمة الكلمات المقترضة الملحق بهذا البحث.

٥٠٪ من الكلمات المقترضة (دخيل)، لم يخضع لخصائص العربية وقوانينها.

ويلحظ انخفاض نسبة الدخيل في المجلات المتخصِّصة بالقياس إلى نسبته في المعاجم المتخصِّصة، فقد كانت هذه النسبة هي ٦٢٪ للمعرَّب، و ٣٨٪ للدخيل(١).

٢) عناصر الدخالة في المقترض اللغوي:

بدراسة عناصر الدخالة في المقترض اللغوي تبين مايلي:

١ـ **التقاء الساكنين:** هناك (٢٨) حالة التقاء ساكنين في الكلمة المقترضة بنسبة (٥٦٪) من الدخيل، كما في نحو: (تالْيوم، كوبالْت، بايرْكس) أي إن التقاء الساكنين في الكلمة المقترضة يمثل أكبر عنصر من عناصر الدخالة.

ومن المعلوم أن التقاء الساكنين في الكلمة مما لا تجيزه العربية(٢)، وعلينا الالتزام بهذه الخاصية ما أمكن ذلك، نقول ما أمكن ذلك، لأن كثيراً من الباحثين والمعرِّبين لا يرون في التقاء الساكنين مشكلة في العربية لسببين:

آ ـ إن العربية تجيز اجتماع ساكنين في بعض الحالات، كما في نحو: (شابَّة، هامَّة، دويبَّة)، وإن كان هذا محصوراً في حرف المد الساكن المتبوع بحرف مضعَّف(٣). وكما في حالة الوقف في الأسماء الثلاثية ساكنة الوسط نحو (بكْرْ، أمْرْ، حجْرْ)(٤)، ويمكن عند الضرورة القياسُ على هاتين الحالتين. وهذا ما ذهب إليه المجمعي محمد علي النجار «بأن العرب كانوا يتساهلون في مثل هذا، ويسمحون بالتقاء الساكنين، ولكن من المستحسن ترك هذا،

(١) ينظر: د. ممدوح خسارة ـ منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: ٩٣.

(٢) الفارابي ـ ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٣) ابن جني ـ الخصائص ٢: ٢٣٢ و ٢: ٤٩٦.

(٤) المصدر السابق نفسه.

وإن كان لا حرج فيه»[١].

ب ـ إن التخلص من التقاء الساكنين أمر ميسور، وذلك بتحويل الساكن الأول الذي هو حرف مد إلى حركة مجانسة، فبدلاً من أن نعرب (BECQEREL) إلى (بيْكْرِل)، يمكن أن نعربها إلى (بِكْرِل)[٢]. وبدلاً من أن نقول (هيْدْروجين أو هايْدْروجين) يمكن أن نقول (هِدْروجين)[٣]، أو بتحريك الحرف الذي يلي حرف المد، كأن نقول (بيوسِفير) بكسر السين بدل (بيوسْفير) بتسكينها. ولا يُغيِّر هذا من طبيعة الكلمة الأجنبية، لأن بعضها يُنطق في اللغات الأوربية بمدٍّ ودون مد، فكلمة (fibrinc) تنطق (فايْبرين) بالتقاء ساكنين ـ بالإنكليزية ـ في حين تنطق (فِبْرين) دون ساكنين في الفرنسية، قريبة من النطق العربي لها[٤].

يمثل التقاء الساكنين أعلى نسبة خرق للبنية الصوتية العربية كما قدمنا، وفي حالة التخلص منه، أو إجازة بعضه للضرورة، فإن نسبة الدخيل سوف تنخفض إلى نحو ٢٠٪ فقط من المقترض.

٢ ـ البدء بساكن: ثمة (٦) ست حالات من حالات بدء الكلمة بحرف ساكن، وتمثل نسبة ١٢٪ من الدخيل، نحو (بْلاستيك، سْتجلر، سْتراتوسفير،..).

ومعروف أن الحرف الذي يُبْدأ به لا يكون إلا متحركاً[٥]. لكننا نعرِّب عن لغات تجيز قواعدها الصوتية البدء بحرف ساكن، فما العمل؟.

(١) مصطفى الشهابي ـ كتابة الأعلام الأجنبية ـ مجلة مجمع دمشق ٣/٣٩: ٣٦١.

(٢) ينظر رقم (٢) من قائمة الكلمات المقترضة في الملحق.

(٣) ينظر رقم (٤) من قائمة الكلمات المقترضة في الملحق.

(٤) مصطفى الشهابي ـ المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ١٥٠.

(٥) ابن جني ـ الخصائص ٢: ٣٣١ والسيوطي ـ المزهر ١: ٣٤٣.

وضعت العربية للتخلص من مثل هذه الحالة همزة الوصل، التي يتوصل بها للنطق بما هو مبدوء بساكن، ومواقعها معروفة ومحددة. لكن المعرِّبين المحدَثين اقترحوا خمسة حلول للتخلص من البدء بالساكن:

آ - تحريك الحرف الأول الساكن بحركة سهلة، هي الفتحة غالباً، فقد عرَّبوا (Bresil) إلى (بَرازيل)، و (France) إلى (فَرَنسا).

ب - زيادة همزة الوصل على أول الكلمة، إذ عُرِّبت (Spain) إلى (اسبانيا). و (Scotland) إلى (اسكوتلندة). وكان بعضهم عرب (Bresil) إلى (أبْرَزيل)[1]. وتمسَّك بهذا الحل كلٌّ من طاهر الجزائري ود. أحمد مطلوب[2].

ج - أن تبقى أحرف الكلمة الأجنبية على حالها، وأن يُختَلَس نطقُ الحرف الأول الساكن، فالدكتور محمد هيثم الخياط «لا يرى حاجة لبدء بعض الكلمات المعرَّبة بألف تفادياً للحرف الساكن، بل يُكْتَفى بالاختلاس في نطق هذا الحرف الساكن»[3]، وهو رأي يذكرنا بظاهرة (الروم) في العربية.

د - أن ينطق بالحرف الساكن كما هو، وهو رأي المعجمي الدكتور أحمد شفيق الخطيب، ويحتج لرأيه ببعض اللهجات العربية القديمة والحديثة[4]. ويرى أن (Brown) هي (بْراون) وليس (بَراون ولا إبْراون).

---

(١) د. إبراهيم بن مراد، المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ١٩.

(٢) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٢٥، وينظر د. أحمد مطلوب حركة التعريب في العراق: ١٢٠.

(٣) د. محمد هيثم الخياط - المصطلحات ونظرية الضرورة - الموسم الثقافي الأردني السابع: ٣٩.

(٤) د. أحمد شفيق الخطيب، معجم المصطلحات العلمية: ٧٤٧.

وهو بهذا لم يزد على أولئك الذين يحرصون على محاكاة النطق الأجنبي ولو خالف بعض خصائص اللغة.

هـ - حذف الحرف الأول الساكن كلّه نحو (Psycologie) إذ عُرِّبت إلى (سيكولوجية)، بحذف الباء من أولها.

ونحن نرتاح إلى الحل الأول، لأنه هو الذي لقي الرواج، ولأنه يحافظ على خاصية من خصائص العربية، ولأنه لا يدخل حرفاً جديداً إلى الكلمة، ولأن لهمزة الوصل مواقع محدَّدة وفي كلمات عربية بعينها، أما اختلاس النطق فمن الصعب ضبط الحركة فيه وتوضيحها. ولهذا شاع تحريك الحرف الأول من الكلمة الأجنبية في كثير من المعرَّبات المبدوءة بحرف ساكن نحو (بَريطانيا، سُويد).

٣ - تنافر الأحرف: لم تقع أية حالة من حالات تنافر الأحرف.

٤ - تنافر الحركات: وقعت خمس حالات من تنافر الحركات، وتمثل نسبة ١٠٪ من الدخيل، نحو (بانيوُ - سيناريُو).

ويعني تنافر الحركات في العربية:

- معاقبة الواو الساكنة في آخر الاسم لحرف مضموم[(١)].
- الانتقال من الكسر إلى الضم في الاسم[(٢)].
- اجتماع أربعة متحركات في الكلمة[(٣)].
- اجتماع الواو الساكنة مع الكسرة قبلها[(٤)].

وقد تخلص المجمعي مصطفى الشهابي من هذا التنافر، بتعريبه كلمة (acajou) إلى (أكاجَة)، بدل (أكاجُو).

(١) سيبويه ٤ : ١٧٣ وابن جني - التصريف الملوكي: ٧٥ - ٧٦.

(٢) سيبويه - الكتاب ٤ : ١٧٣.

(٣) سيبويه - الكتاب ١ : ١٩٤، وابن خالويه - ليس في كلام العرب: ٢٨.

(٤) ابن خالويه - ليس في كلام العرب: ٢٠ - ٢١.

٥ ـ زيادة الأحرف في الكلمة المعرَّبة:

يُخلص من كلام اللغويين القدامى إلى أن عدة حروف الكلمة العربية لا يزيد على سبعة أحرف. قال سيبويه في (باب عِدَّة ما يكون عليه الكلم): «فالكلام على ثلاثة أحرف، وأربعة أحرف وخمسة.. فالثلاثة أكثر ماتبلغ بالزيادة سبعة أحرف، وهي أقصى الغاية والمجهود نحو (اشهيباب)....»(١)، أما ابن خالويه فيقول: «وقد بلغ بالزوائد ثمانية نحو (اشهابٌ اشهيباباً..) وقد وجدت حرفاً آخر: (عَقَبَّجِيَّة) أي: حماقة ثمانية أحرف(٢). وواضح أن ابن خالويه عَدَّ التنوين حرفاً ـ وهو كذلك من حيث النطق ـ ولكن كان حقه أن يعد (عقبجية) تسعة أحرف لأنها بالتنوين تصبح كذلك.

ومن المناسب أن نذكِّر بأن حروف الكلمة الأجنبية كلها أصول، وأن نبين أن زيادة علامات التأنيث والنسبة والمصدر الصناعي والجموع، لا تُعَدُّ من الزوائد المخلَّة بعدة أحرف الكلمة العربية، فقد تصبح بعض الكلمات العربية مع هذه الزيادات العارضة أحد عشر حرفاً نحو كلمة (استعماريَّات) مثلاً.

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة، وجدنا (٦) ست حالات زادت فيها أحرف الكلمة المقترضة على ثمانية أحرف، نحو (أنيزوتروبيه، سيتوبلازما ..). وتمثل هذه الحالات نسبة ١٢٪ من الدخيل، وهي كلمات مركبة في لغاتها الأصلية، ويصعب حذف بعض حروفها دون أن يؤثر ذلك في دلالتها، فليس من حل لمثل هذه الكلمات إلا توليد كلمة عربية مقابلة لها، أو استعمالها على حالتها.

٦ ـ الأحرف الدخيلة على الأبجدية العربية:

إن أخطر خرق لقوانين العربية ونظامها الصوتي على الإطلاق هو

(١) سيبويه ـ الكتاب ٤: ٢٣٠.

(٢) ابن خالوية ـ ليس في كلام العرب: ٢٠ـ ٢١.

إدخال أحرف جديدة أجنبية إلى الكلمة المقترضة، مثل (كَ، ڤ ..).

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة في المجلات المتخصِّصة وجدنا (١٦) ست عشرة حالة، تضمَّنت فيها الكلمات المقترضة أحرفاً ليست من أبجديتنا، مثل (پنكرياس، ڤيروس، شيكاكَو..) وتمثل هذه الحالات نحو ٣٢٪ من الدخيل.

ليست هذه النسبة العالية هي الخطرة بحدٍّ ذاتها، إذ إن نسبة التقاء الساكنين في الكلمات المقترضة أكثر منها بكثير، لكن الخطورة هنا تكمن في خرق أخصِّ خصائص العربية وهي حروفها وأصواتها، خرق أبجديتها. وبالنظر لخطورة هذه الظاهرة ـ المشكلة، نعرض لها بشيء من التفصيل.

آ ـ موقف اللغويين القدماء:

يقول سيبويه في (باب إطراد الإبدال من الفارسية): «يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم (الجيمَ) لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بد لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو (الجربز والآجر والجورب)، وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم (قربز).. ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء (الفاءَ)، نحو الفرند والفندق، وربما أبدلوا الباء، لأنهما قريبتان جميعاً، قال بعضهم: البرند، فالبدل مُطَّردٌ في كل حرف ليس من حروفهم، يبدل منه ماقرب منه من حروف الأعجمية»[(١)].

وينقل السيوطي عن غيره من القدماء قولهم: «الحروف التي يكون فيها البدل في المعرب عشرة، خمسة يطرد إبدالها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء، وخمسة لا يطرد إبدالها، وهي السين والشين والعين واللام والزاي. فالبدل المطَّرد هو كل حرف ليس من حروفهم كقولهم

(١) سيبويه ـ الكتاب ٤: ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(كُربَج)، الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم..»[١].

واضحٌ من هذا أن القدماء كانوا مجمعين على ألا يُدخلوا في حروف العربيـة ما ليس منهـا. على أنهم اختلـفوا في طريقة إبدال هـذه الحروف، فلم يكن لهم طريقـة واحدة في نقلها، إذ نقلوا الحرف الفـارسي (ك) الذي يشبه صوته صـوت الجيم غيـر المعطّشة فـي معظم منـاطق مصر - إلى ثـلاثة أحرف هـي الجيم أو الـكاف أو الـقـاف، كـقـولهـم في (كـربـك): كـربج قـربـق، كربك[٢]. وقد يبدلون الحرف ولو كان في لغتهم، فقد قالوا في (أرغوان): أرجوان[٣]، بإبدال الـغين جيـماً، مع أن الغين مـن حروف العـربية، ومـا نظن ذلك إلا لأن الجيم أكثر تآلفاً مع ماقبلـها أو ما بعدها من أحرف هذه الكلمة، ممَّا يجعل الكلمة المعربة أذهب في نظامهم الصوتي.

أما لمـاذا لم يطَّرد إبـدال الحروف ولم يـجر على قـاعدة ثـابتة، فـلذلك أسباب، منها تعدد اللغات التي أخذت منها العربية وتباين خصائصها وطبائع أصواتها، ومنها التطور الصوتي الذي يطرأ على اللغات عامة، ومنها التعريب عن لغة ثالثة وسيطة، ومنها أمْنُ اللبس، فلو قالوا - مثلاً - (بادية) لوعاء، وهذا لفظه بحروفه ذاتهـا في الفارسية وهو في غير ما حاجـة إلى الإبدال لالتبست بكلمة (بـادية) الصحراء بالعربيـة، وربما من أجل هذا عدَلوا عن حـروفها إلى (باطية)[٤].

ومهـما يكن من أمـر، فثمـة حالة غالـبة لنقل كـل حـرف عند القـدماء

(١) السيوطي - المزهر ١/٢٧٤.

(٢) د.مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ٦٦.

(٣) الخفاجي - شفاء الغليل: ٢٥ وادي شير - الألفاظ الفارسية المعربة: ٨.

(٤) د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ١٥٧.

وهي كما يلي:

j = ج	K = ك	X = ش
P = ب	Q = ق	H = ء
V = ب	T = ط	Z = ز[١]
C = ق	W = و	

ب ـ موقف المحدَثين من اللغويين والمعرِّبين:

إذا كان القدماء قد أجمعوا على ضرورة وحتمية إبدال الأحرف العربية بالأحرف الأعجمية عند تعريب الألفاظ، وأجمعوا على ألا يُدخلوا إلى لغتهم أي صوت ليس منها، فإن المسألة غدت خلافية عند المحدثين، وبرز حيالها موقفان متعارضان:

الأول: القبول بدخول الأحرف الأجنبية إلى الأبجدية العربية، وحجتهم في ذلك ضرورة نطق الألفاظ الأجنبية المعربة ـ لاسيما الأعلام منها ـ كما ينطقها أهل اللغة المقترض منها. ولذا قرَّروا إدخال الأحرف الآتية:

ڤ، فاءبثلاث نقاط لتقابل الحرف الأجنبي (V أو W)

پ، باء بثلاث نقاط لتقابل الحرف الأجنبي (P)

كَ، ڭ ، الكاف المعلوة بخط أو المنقوطة بثلاث لتقابل الحرف (G)

و ~ ، الواو المعلوّة بمدّة، لتقابل الحرف الأجنبي (O)

ي ~، الياء المعلوّة بمدة لتقابل الحرف الأجنبي (e)

---

(١) د. إبراهيم بن مراد ـ المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢٢١.

چ، الجيم بثلاث نقاط، لتقابل الحرف الأجنبي (ch) المنطوق (تش)

ژ، زاي بثلاث نقاط، لتقابل الحرف (ل)[١] ، الذي يرسم في بعض الكلمات (S)[٢].

علماً بأن المعرِّبين ليسوا متفقين على هذه الأحرف، فللمعرِّبين المغاربة رموز أخرى لبعض هذه الأحرف، فهم يرمزون بالحرف ڤ بثلاث نقاط تحته للحرف (V) كما اقترح بعضهم الحرف (چ) بثلاث نقاط للحرف (G)[٣].

وخلاصة هذا أن ثمة تجويزاً لدى بعضهم لإدخال سبعة أحرف جديدة إلى أبجديتنا من اللاتينية وحدها.

ومن المؤسف أن بعض المجوِّزين نسب إلى سيبويه مالم يقله، قال د. مسعود بوبو «مِمَّن لم يحسنوا توجيه كلام سيبويه محمد شوقي أمين حيث قال: «وقول سيبويه واضح في توكيد حق المعرب في أن يُلْحِق الكلمات المعربة بأبنية العرب أو لا يلحق، وفي أن يتخذ حروفاً غير الحروف العربية (مجلة مجمع القاهرة ج ١١: ٢٠١)؛ فعبارته الأخيرة لم يقلها سيبويه ولا غيره، إذ لا يمكن البتة اتخاذ حروف غير عربية، ونص سيبويه في ذلك: «فالبدلُ مطرد في كل حرف ليس من حروفهم» (الكتاب ٤/٣٠٦) ا. هـ[٤].

---

(١) ينظر: مجلة مجمع القاهرة ـ مقترحات لجنة المصطلحات ج ١٦: ٨٣ و د. إبراهيم ابن مراد ـ المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) د. جميل الملائكة ـ مجلة اللسان العربي ـ منهجية وضع المصطلح وتوحيده ع ٣٩: ١٣٨.

(٣) د. ناجي عبد الجبار وعمر مسلم ـ اللسان العربي ـ ورقة عمل مقدمة إلى ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح ع ٣٩: ١٠٩.

(٤) د. مسعود بوبو ـ أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ١٠٨ حاشية (٢).

الثاني: رفض إدخال أي حرف جديد إلى أبجديتنا، أياً كانت الذرائع، يقول الأستاذ أحمد محمد شاكر «فالقارئ لقرارات [كتابة] الأعلام التي أقرها المجمع يرى فيها معنى واحداً يجمعها وروحاً واحداً يسيطر عليها: الحرص على أن ينطق أبناء العربية بالأعلام التي ينقلون إلى لغتهم بالحروف التي ينطق بها أهلوها، وقسر اللسان العربي على ارتضاخ كل لكنة أعجمية لا مثال لها من حروف العرب، وتسجيل هذه الغرائب من الحروف برموز اصطلاحية تدخل على الرسم العربي تزيُّداً في الحروف تكثُّراً»(١).

وكان المجمعي مصطفى الشهابي قد ضاق ذرعاً بأولئك الذين «لا ينطقون بالأسماء العلمية المعرَّبة إلا كما يُنطق بها في اللغات الأوربية» وتساءل منكراً: «فما الذي يجبرهم على التعاجم، لماذ لا ينطقون بالحرف (O) واواً،وبالحرف (E) ياء، كما في (مكروب)..» ثم يعلل استنكاره قائلاً:« وعندما يقتبس الأوربيون من العربية كلمات فيها أحرف خلَتْ منها لغاتهم لا يضيفون إلى تلك اللغات أحرفاً جديدة، فالفرنسيون مثلاً عندما فرنَسوا كلمة (قبَّة) قالوا :(كبَّه = KOUBBA) بالكاف، ولم يضيفوا حرف القاف إلى لسانهم(٢).

ويقول المجمعي طاهر الجزائري: «إذا وقع في الكلمة التي يراد تعريبها حرف من الحروف العجمية، وجب على المعرب أن يجعل بدله حرفاً عربياً»(٣)، ويرى الدكتور محمد هيثم الخياط «عدم ضرورة إدخال بعض الأحرف على الحروف العربية، فالأمم الأخرى لا تخترع حروفاً جديدة

(١) أحمد محمد شاكر - مقدمة كتاب المعرب للجواليقي: ١٨ وينظر: ساطع الحصري - في اللغة والأدب: ١٣٥ - ١٣٧.

(٢) مصطفى الشهابي - ملاحظات لغوية اصطلاحية - مجلة مجمع دمشق ٣٧ / ١: ١٠.

(٣) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٤٣.

لرسم ما تقترضه من لغات أخرى، وإنما تكتب الحرف بأقرب حرف إليه من لغتها، فالإغريقية مثلاً تنقل الدال (ذلتا)، والباء (فيفا)، ولا تبتكر أي حرف جديد، وقل مثل ذلك في سائر اللغات»[١].

وذكر د. مسعود بوبو «أن القدماء جعلوا ـ عند التعريب ـ إبدال الحروف لازماً، وهم يُصدرون في هذا الحكم عن بعد نظر وتفطن وحرص على عدم إفساد اللغة وأساسها بحروف أجنبية»[٢].

أما مجمع اللغة العربية الأردني فقد قرر أن تكتب الأحرف اللاتينية (g,v,p و c h) بالعربية كمايلي: (ب، ف، ج، ك)[٣].

إننا نرى أن مسألة إدخال أحرف جديدة إلى العربية مشكلة بالغة الخطورة وهي آخذة بالتفاقم، إذ أظهرت دراسة سابقة قمت بها حول المعرَّب والدخيل في المعاجم المتخصِّصة أن نسبة الأحرف الدخيلة كانت ٣٪ من المقترض، ونحو ١٢٪ من الدخيل[٤].أما هذه الدراسة عن المعرب والدخيل في المجلات المتخصصة فبينت كما ذكرنا أن نسبة الأحرف الدخيلة كانت ١٦٪ من المقترض و ٣٢٪ من الدخيل. ولعل من أسباب ارتفاع نسبة الدخيل في المجلات المتخصصة عن نسبته في المعاجم المتخصصة، أن مصنفي المعاجم يلتزمون منهجية أكثر دقة وانضباطاً تجاه الدخيل، في حين لا يلتزم

(١) د. محمد هيثم الخياط، المصطلحات ونظرية الضرورة، الموسم الثقافي الأردني السابع: ٣٨.

(٢) مسعود بوبو ـ أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ٦٦.

(٣) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ـ ع ٧١: ٣٨.

(٤) ينظر، د. ممدوح خسارة ـ منهجية تعريب الألفاظ في القديم والحديث: ٥٥.

كُتَّاب المجلات المتخصصة ومترجموها مثل تلك الدقة والانضباط اللغوي.

إنني أرى أن مسألة إدخال أحرف أجنبية إلى العربية أخطر مشكلة تواجه العربية في العصر الحديث، وتمثل أكبر اختراق وغزو للغتنا، لأن الأصوات من أهم خصائص اللغة، فإذا لم تصن هذه الخاصية، فإن اللغة كلها ستكون مهددة بالوهن والذوبان. فما اللغة إلا مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية في إطار نظام محدد للتراكيب، أو ما يسمى بالقوانين الصوتية والصرفية والنحوية، وإن أي تغيير في هذه القوانين سوف يؤذن بتغير اللغة إلى أخرى لا محالة.

وترانا مضطرين إلى أن نذكّر المتساهلين الذين لم يتضح في أذهانهم حجم المشكلة وخطورتها ببعض الحقائق:

١ ـ لاحظنا موقف اللغويين القدماء الصارم حول هذه المسألة، واشتراط إبدال الحرف العربي بما ليس عربياً. هذا الموقف الذي وافقهم فيه جلة الباحثين اللغويين المعاصرين.

٢ ـ إن العرب منذ جاهليتهم وحتى بداية القرن العشرين لم يُدخلوا حرفاً أجنبياً واحداً إلى لغتهم عبر كل المقترض اللغوي الذي نقلوه إلى العربية. وعلى من يداخله شك في ذلك أن يستعرض تراث العصور الجاهلية والإسلامية والمملوكية. إنه لن يجد حرفاً واحداً غير عربي في كل ما خلَّفه العرب والمسلمون حتى ذلك التاريخ.

٣ ـ تضم كتب العلماء المتقدمين عشرات الآلاف من المصطلحات المقترضة تعريباً أو تدخيلاً من اللغات الأجنبية القديمة كالإغريقية واللاتينية والفارسية والهندية، وليس في كل هذه الآلاف من المصطلحات والأسماء حرف واحد غير عربي، ولنعد مثلاً إلى كتاب القانون لابن سينا، وهو زاخر

بالمصطلحات الطبية والعلمية وأسماء الأعلام الأجنبية. وما نقوله عن كتب ابن سينا ينسحب على كل كتب الطب والصيدلة والهندسة والحساب والفلاحة والفلسفة، وينسحب على المعاجم العلمية القديمة ككتب الحدود، وكشاف اصطلاحات الفنون وغيرها.

٤ ـ إن للتدخيل اللغوي مخاطر لا تخفى [١]. ولكن أعظمها خطراً هو الاعتداء على الأبجدية العربية، إن الثقافة العربية اليوم مهددة بأخطر ما تُهَدَّد به لغة، فإذا تساهلنا حتى الآن بإدخال سبعة أحرف أو أصوات (إذ الحرف هو رسم الصوت) إلى العربية من الإنكليزية وحدها، فماذا عسانا سندخل إليها من اللغات الأخرى كاليابانية والروسية والصينية، ولا يسعنا إغلاقُ الباب أمام لغة أجنبية جديدة ما دمنا قد فتحناه أمام لغة أخرى.

٥ ـ يعرض بعض الباحثين حلاً يظنه توفيقياً لهذه المشكلة وهو رسم الأحرف اللاتينية الجديدة كما يلي:

(V = ف ˇ، P = ب ˇ، G = كـˇـ، CH = ج ˇ)

ويقول صاحب هذا المقترح «وبهذا نكون قد حافظنا على العدد الحالي للحروف العربية دون زيادة، وبوضع هذه العلامة على الحرف (ˇ) يمكن نطقه كما هو في لغته، كما أننا في اتباعنا لهذه الطريقة لا نحتاج إلى إضافة أكثر من زرٍّ واحد يحمل علامة (ˇ) إلى الآلة الكاتبة أو إلى جهاز الحاسوب ..» [٢].

ولعل الباحث الفاضل كان يريد حلَّ مسألة إدخال أشكال جديدة

---

(١) ينظر: د. ممدوح خسارة ـ مخاطر الاقتراض اللغوي ـ مجلة التعريب ع ٢٧: ٢٥.

(٢) د. حسن محمد تي سعيد، رموز الأصوات المعربة، مجلة اللسان العربي ع ٣٨: ٧٢ ـ ٧٣.

على رسم الحروف العربية، لكن المشكلة ليست في الاتفاق على شكل الحروف الجديدة، أو على أفضل طريقة لرسمها، بل الخلاف حول إدخال أصوات جديدة إلى الأبجدية العربية . ليس الخلاف على أن نكتب الحرف (V) فاء بثلاث نقاط أو فاء بنقطة مع الرمز (ـٜـ) ، لأن الصوت (V) يكون قد دخل بذلك أبجديتنا فعلياً، أما طريقة تصويره فهي ثانوية جداً، المشكلة الأساسية ليست في المحافظة على عدد الحروف العربية وأشكالها، بل المشكلة في إضافة أصوات جديدة إلى لغتنا أيّاً كان الرسم الذي سيُتخذ لذلك الصوت.

٦ ـ إن التعريب اللفظي أو الصوتي يعني أن نخضع اللفظ الأجنبي للساننا، لا أن نخضع لساننا للفظ الأجنبي، لأن الذين فرّطوا بإدخال حرف أجنبي في بعض الكلمات، لم يحلّوا كل إشكاليات نطق الكلمة الأعجمية، ولنأخذ مثلاً كلمة (Virus) ، لقد تساهل بعضهم برسم الحرف (V) فاء بثلاث نقاط للتنبيه على نطقه فاء فارسية مجهورة (ڤ)، كما ينطق به أهل لغته. ولو التزموا منهجهم المتمثل في نطق الكلمة الأعجمية كما ينطقها أهلوها لتحتم عليهم إيجاد رسم جديد للحرف الصائت (U) لأنه لا ينطق (واواً) في لغته الأصلية.

وبعد .. فإني لآمل أن تدرس قضية المعرّب والدخيل بمزيد من الشعور بالمسؤولية تجاه هذه اللغة، وأن نسلم الأبجدية العربية إلى الأبناء كما تسلمناها من الآباء ..

الملحق: قائمة الكلمات المقترضة وعناصر الدخالة

م	الكلمة المقترضة	أصلها الأجنبي	أحرف دخيلة	أحرف زائدة	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	نوع المقترض	المصدر	ملاحظات
1	المؤينة	Ionise	–	–	–	–	–	–	معرب	المجلة العربية للعلوم ع:21	
2	بيكرل	BECQEREL	–	–	–	–	×	–	دخيل	-	
3	تريتيوم	Tritium	–	–	–	–	×	–	دخيل	-	
4	هيدروجين	Hedrogene	–	–	–	–	×	–	دخيل	-	
5	كربون	Carbon	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
6	بيوسفير	Biosfere	–	–	–	–	×	–	دخيل	-	
7	ميكروميللي	Micromilli	–	×	–	–	×	–	دخيل	-	
8	بيتا	Beta	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
9	بروتون	Proton	--	–	--	–	–	–	معرّب	-	
10	الكترونية	Electronisme	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
11	جاما	Gama	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
12	نترونات	Nitronate	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
13	فوتونات	Photonate	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
14	بزموث	Bismuth	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
15	تاليوم	Talium	–	–	–	–	×	–	دخيل	-	
16	اكتينيوم	Actinum	–	–	–	–	×	–	دخيل	-	
17	ستراتوسفير	Stratosphere	–	×	–	–	×	×	دخيل	-	
18	سيليكون	Silicone	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	
19	كوبالت	Cobalt	–	–	–	–	×	–	دخيل	-	
20	منغنيز	Manganese	–	–	–	–	–	–	معرّب	-	

الملحق: قائمة الكلمات المقترحة وعناصر الدخالة

م	الكلمة المقترضة	أصلها الأجنبي	أحرف دخيلة	أحرف زائدة	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	نوع المقترض	المصدر	ملاحظات
21	جينات	Genes	ث ،	-	-	-	-	-	معرّب	مجلة العلوم- مجلد14:1-2	
22	الدنا	DNA	-	-	-	-	-	-	معرّب	-	
23	بروتين	Proteine	-	-	-	-	-	-	معرّب	-	
24	سيتوبلازما	Cytoplasm	-	×	-	-	×	-	دخيل	-	
25	ألفا	Alpha	-	-	-	-	-	-	معرّب	-	
26	پنكرياس	Pancreas	×	-	-	-	-	-	دخيل	-	
27	قولون	Colonne	--	-	-	-	-	-	معرّب	-	
28	دزّينة	Dauzaine	-	-	-	-	-	-	معرّب	-	
29	سيكلين	Cycline	-	-	-	-	×	-	دخيل	-	مادة عضوية تفرزها الخلايا
30	ڤيروس	Virus	×	-	-	-	-	-	دخيل	-	
31	الإنزيم	Enzime	-	-	-	-	-	-	معرب	-	
32	پتري	Petry	×	-	-	-	-	-	دخيل	-	اسم علم
33	بلاستيك	Plastic	-	-	-	-	×	×	دخيل	-	
34	تيلوميرات	Telomeres	-	-	-	-	-	-	معرب	-	متيما تنهائية
35	پوليب	Polype	×	-	-	-	-	-	دخيل	-	(سليلة)
36	جينوم	Genome	-	-	-	-	-	-	معرب	-	الجينوم البشري
37	بيولوجيا	Beologie	-	-	-	-	×	-	دخيل	-	
38	ڤوكس	Vox	×	-	-	-	×	-	دخيل	-	اسم علم
39	شكاگو	Chicago	×	-	-	-	-	-	دخيل	-	اسم علم
40	لمفوم	Lymphome	-	-	-	-	-	-	معرب	-	

الملحق: قائمة الكلمات المقترحة وعناصر الدخالة

م	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	أحرف دخيلة	أحرف زائدة	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	نوع المقترض	المصدر	ملاحظات
41	الإيزومرّية	Isomerisme	-	-	-	-	-	-	معرَّب	مجلة اللسان العربي ع:39	
42	الثيرموبلاست	Thermoplast	-	×	-	-	×	-	دخيل		
43	السنترة	Sentring	-	-	-	-	-	-	معرب		
44	الفلكنة	Vulcanisation	-	-	-	-	-	-	معرب		(تقوية المطاط بالكبريت)
45	الإبتاكسي	Epitaxry	-	-	-	-	×	-	دخيل		مركبة لها نفس الأبعاد البلوري
46	الأنيزوتروبية	Anisotropy	-	×	-	-	-	-	دخيل		
47	الأديابتي	Adiaptie	-	-	-	-	-	-	معرب		
48	البلانك	Blank	-	-	-	-	×	-	دخيل		
49	البلت	Billet	-	-	-	-	-	-	معرب		
50	الليزر	Lazier	-	-	-	-	-	-	معرب		
51	انتروبيا	Entropy	-	-	-	-	-	-	معرب		معيار حراري
52	النرملزة	Normalizing	-	-	-	-	-	-	معرب		معالجة الفولاذ لإزالة الإجهاد
53	بايركس	Pyrex	-	-	-	-	×	-	دخيل		(بيركس)
54	ميتركس	Matrix	-	-	-	-	×	-	دخيل		(المصفوفة – مادة ترابط)
55	شتجلر	Stigler	-	-	-	-	-	×	دخيل	مجلة اتحاد الجامعات العربية ع:9	اسم علم
56	تكتيكية	Tactical	-	-	-	-	-	-	معرب		
57	ديناميكيّة	Dynamism	-	-	-	-	-	-	معرب		
58	دبلوم	Diploma	-	-	-	-	-	-	معرب		
59	ماجستير	Mjistar	-	-	-	-	-	-	معرب		(لاتيني)
60	دكتوراه	Doctorat	-	-	-	-	-		معرب		

الملحق: قائمة الكلمات المقترحة وعناصر الدخالة

م	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	أحرف دخيلة	أحرف زائدة	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	نوع المقترض	المصدر	ملاحظات
61	تليفزيون	Television	×	-	-	-	-	-	دخيل	مجلة اتحاد الجامعات العربية ع:٣٠	
62	تكنولوجْيا	Technologie	-	-	-	-	×	-	=	=	
63	الراديُو	Le radio	-	-	-	-	×	-	=	=	
64	التلغراف	Telegraphe	-	-	-	-	-	-	=	=	ويستعمل الكاتب أيضا (برقيات)
65	تلفون	Telephone	-	-	-	-	-	-	معرب	=	
66	سايكولوجْية	Psychology	-	-	-	-	×	-	دخيل	=	
67	سيناريُو	Sinareo	-	-	-	×	-	-	دخيل	=	
68	كورْيوليس	Coriolis	-	-	-	-	×	-	دخيل	مجلة عالم الذرة ع:37	
69	أوزون	Ozon	-	-	-	-	-	-	معرب	=	
70	ترُوبوسْفير	Troposphere	-	-	-	-	×	×	دخيل	=	الطبقة الدنيا من الغلاف الجوي
71	فايسكوبف	Weisskoph	-	-	-	-	×	-	=	=	
72	دوبْسون	Dobson	-	-	-	-	×	-	=	=	وحدة قياس الغاز
73	بالون	Ballon	-	-	-	-	-	-	معرب	=	
74	غاز	Goz	-	-	-	-	-	-	=	=	
75	أكسيد	Oxid	-	-	-	-	-	-	=	=	
76	نترات	Nitrats	-	-	-	-	-	-	=	=	
77	شفنغر	Chwinger	-	-	-	-	-	×	دخيل	=	اسم علم
78	تومو ناجا	Tomonaga	-	-	-	-	-	-	معرب	=	اسم علم
79	ويليس	Willis	-	-	-	-	-	-	معرب	=	اسم علم
80	فكتور	Victor	-	-	-	-	-	-	معرب	=	اسم علم

الملحق: قائمة الكلمات المقترضة وعناصر الدخالة

م	الكلمة المقترضة	أصلها الأجنبي	أحرف دخيلة	أحرف زائدة	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	نوع المقترض	المصدر	ملاحظات
81	پاريس	Paris	×	–	–	–	–	–	دخيل	مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج72/4	
82	ڤاتيكان	Vaticam	×	–	–	–	–	–	دخيل	-	
83	شتراسبورغ	Strasbourg	–	–	–	–	×	×	دخيل	-	اسم علم
84	پرنستون	Perniston	×	–	–	–	–	–	دخيل	-	اسم علم لجامعة (برنستن)
85	الشـــــوم	schawm	–	–	–	–	–	–	معرب	-	آلة موسيقية
86	ديز	Die'se	–	–	–	–	–	–	معرب	-	علامة موسيقية
87	الأركتاف	Octave	×	–	–	–	–	–	دخيل	-	
88	سمفونية	Synphonie	–	–	–	–	–	–	معرا	-	
89	پيانو	Piano	×	–	–	–	–	–	دخيل	-	
90	سولوڤوكس	Solovox	×	–	–	–	–	–	دخيل	-	
91	سوپرانينو	Sopranino	×	×	–	×	–	–	دخيل	-	أصوات موسيقية عالية
92	الصوناته	Sonata	–	–	–	–	–	–	معرب	-	
93	سوپرانو	Soprano	×	–	–	–	×	–	دخيل	-	طبقة صوت
94	إيتود	Etude	–	–	–	–	–	–	معرب	-	
95	شوينغ	Swing	–	–	–		×	×	دخيل	-	أسلوب موسيقي
96	خنگـــك		×	–	–	–	–	–	دخيل	مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج 2/73	(كلمة فارسية)
97	غودل	Godel	–	–	–	–	–	–	معرب	〃	اسم قصة شعرية
98	البورصة	Bourse	–	–	–	–	×	–	دخيل	〃	اسم علم في الرياضيات
99	لوفيغارو	Le figaro	–	–	–	×	–	–	دخيل	〃	
100	شتريتو	Stretto	-	–	–	×	–	×	دخيل	〃	(صوت متسارع)

توحيد المصطلح العلمي العربي وشيوعه من خلال التجربة الليبية

د. مصطفى محمد أبو شعالة

توحيد المصطلح العلمي وإشاعته أمر شاق وصعب، ولكنه في الوقت نفسه هو العمود الفقري لإنجاح مسألة تعريب العلوم. فهو شاق لأنه لايمكن أن يتم في وقت قصير وبجهد قليل، وهو صعب لأنه لا يعتمد في نجاحه على جهود الأفراد والهيئات والمؤسسات العلمية فقط، ولكن لا بد له من وقفة الساسة والحكام في البلاد العربية. لأنه لا يمكن أن ينجح برنامج لتعريب العلوم داخل قطر عربي منفرد. ربما ينجح برنامج ترجمة يكون قاصراً على نقل العلوم التي توصلت إليها الدول المتقدمة. وهذا غير التعريب لأنه ـ أي التعريب ـ كما نعلم ربط العلم باللسان العربي، أو توطين العلوم إن صح هذا التعبير. وهذا يحتاج إلى توحيد الفكر العربي الذي يكون أساسه توحيد وإشاعة المصطلح. ولكن ذلك لا يدعونا إلى القلق أو التخوف بقدر مايدعونا إلى مضاعفة الجهود في سبيل هذا الهدف السامي. خصوصاً وأننا تجاوزنا مسألة كنا نناقشها بالأمس وأصبحت من مسلمات اليوم. وهي قضية أهمية التعريب وضرورته وقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم التطبيقية والتقنية الحديثة. فقد تجاوزناها، وأصبحنا نبحث في مسألة التطبيق لما أصبح

اعتقادنا به راسخاً. ومن أهم قضايا التطبيق إن لم نقل أهمها على الإطلاق قضية توحيد المصطلح وشيوعه بين المفكرين العرب، لأن المشكلة ليست طريقة وضع المصطلح وإنما هي تكمن في الاختلاف بين مؤسسة تعليمية وأخرى كان نتيجته تشتت جهد العاملين في مجال البحث العلمي بسبب عدم الترابط الوثيق بين الدول العربية في هذا المضمار. وقد يحدث عدم الترابط هذا عن حسن نية ومن منطلق قومي، ومن ذلك مثلاً أن الإدارة العامة للتعريب والنشر باللجنة الشعبية للتعليم العالي في الجماهيرية تقدمت لأمين اللجنة الشعبية للتعليم العالي بمذكرة تقترح فيها إنشاء مجمع للغة العربية في الجماهيرية فكان رد الأمين من منطق قومي لاشك فيه: نحن نريد أن نجعل المجامع العربية مجمعاً واحداً. وأنتم تريدون أن تضيفوا الخامس. وكان ذلك عام ١٩٩٠. فقلنا له لتجعلها واحداً لابد أن يكون لك مجمع تتحدث من خلاله. وتم إنشاء المجمع بعدها بفترة، وها نحن نشارك في الجهود العربية المبذولة في قضية التعريب من خلاله، ونسعى لتقريب اليوم الذي يكون فيه لدينا مجمع عربي واحد للغة العربية.

من هنا جاء اختياري لأن يكون هذا الجهد المتواضع في إطار توحيد المصطلح العلمي العربي وشيوعه من خلال التجربة الليبية لأنه في معظمه ناتج عن تجارب شاركت فيها شخصياً أو وقفت عليها عن كثب. وسأحاول في هذا العمل أن أركز على المسائل التي أرى أن لها دوراً أساسياً في إنجاح هذا المسعى الجليل وفي مقدمة ذلك القرار السياسي.

١ ـ القرار السياسي:

ارتبط التقدم العلمي بالتقدم الحضاري في كل زمان ومكان، وارتبط الاثنان بالموقف السياسي لأهل الحكم، وما شهدته دار الحكمة في بغداد من تقدم علمي بني على الترجمة خير دليل على ارتباط العلم بالقرار السياسي.

فهذا التقدم العلمي يقف وراءه الخليفة العباسي المأمون، وبهذا نجد أن القرار السياسي مسألة على قدر كبير من الأهمية في قضية الترجمة والتعريب.

وهذا القرار السياسي يتوقف عليه نجاح أو فشل دور المؤسسات العلمية والجامعات في توحيد وشيوع المصطلح العلمي، لأن ذلك يبنى على إرادة الحاكم قبل هذه المؤسسات. وهذا ما يعرقل وضع توصيات مؤتمرات التعريب موضع التنفيذ، فقد أوصت هذه المؤتمرات منذ مؤتمر التعريب الأول في الجزائر (١٩٦٤) إلى دورة دمشق (١٩٨٨) حول التعريب الشامل للمصطلحات الطبية، إلى مؤتمر الكتابة العلمية باللغة العربية الذي عقد في جامعة العرب الطبية عام (١٩٩٠). أوصت جميعها بتوحيد المصطلح العلمي العربي، وكما أوصى مؤتمر الرباط بتحديد عقد زمني (١٩٧٦ - ١٩٨٦) لتوحيد المصطلحات العربية. فهل تحقق شيء من ذلك؟ طبعاً لا. والسبب في ذلك هو القرار السياسي. وفي هذا الصدد ينقل الدكتور كارم السيد غنيم ما قاله الدكتور محمد مجيد السعيد في هذا الخصوص. وهو «إننا لا نفتقر إلى منهج علمي لصنع المصطلح وصياغته، ولا إلى خطة عمل للتوحيد والشيوع والنشر، ولكننا نحتاج بالفعل إلى وجوب الاتفاق على مانعتقده نافعاً ومحققاً لغاياتنا، مما هو بين أيدينا من مقترحات عديدة، ووجوب الإلزام الصارم به، ولكون ذلك قضية ليست بين الأفراد أو المنظمات في بلادنا فإن تطبيق مبدأ الالتزام يستوجب استصدار قرار سياسي بالدرجة الأولى، ويتطلب من ساسة الدول العربية واتحاداته دعم ما وصل إليه العلماء واللغويون والمجامع والجامعيون من نتائج، وتطبيق ذلك ليس بشكل مبعثر ومتفرق ولكن بشكل موحد على الصعيد العربي، إنها الخطوة الأساسية الأولى التي يتوجب علينا العمل على تنفيذها، والسعي الحثيث لاستصدار مثل هذا

القرار السياسي من خلال الجامعة العربية »[١]. وقد أصاب الدكتور محمد مجيد السعيد عندما أوصى بأن يكون القرار السياسي صادراً من جامعة الدول العربية، لأن قضية الترجمة والتعريب وفي مقدمتها توحيد المصطلح وشيوعه هي قضية قومية وليست وطنية تخص قطراً معيناً من الأقطار العربية. فما يقوم به أحد الأقطار العربية يكون مبعثراً ومبتوراً إذا لم يجد تجاوباً من الأقطار الأخرى، والمثال على ذلك مابذل من جهود تجاه قضية التعريب بدأت بالقرار السياسي منذ انبلاج الثورة في الجماهيرية وصدور أول قرار يمنع الكتابة على واجهات المحلات التجارية وغيرها بغير اللغة العربية وآخرها ما ورد في القانون رقم (١) لسنة ١٩٩١ حيث نص على أن التدريس في المؤسسات التعليمية في الجماهيرية والجامعات يكون باللغة العربية إلا مايكون ذا طبيعة خاصة تدفع بسبب من الأسباب إلى التدريس بغير اللغة العربية. ويتطلب ذلك قرار موافقة أمين اللجنة الشعبية للتعليم العالي. ومن خلال ذلك بذل المسؤولون في الجماهيرية العديد من المحاولات لتوحيد الجهود في مجال الترجمة والتعريب وتوحيد المصطلح العلمي العربي من خلال الاتفاقيات مع الأشقاء العرب، ومن بينها الاتفاقية التي أبرمت مع الشقيقة سورية سنة ١٩٩١ والاتفاقية التي أبرمت مع الشقيقة مصر في السنة ذاتها. وتشكيل لجنة موحدة بين الهيئة العليا للتعريب في السودان والإدارة العامة للتعريب والنشر في الجماهيرية عام ١٩٩٢. ولكن كلها لم تؤت أكلها نتيجة تباطؤ المسؤولين في الإفادة من هذه الاتفاقيات في توحيد المصطلح العلمي العربي ونشره.

ولا يقف ذلك عند إصدار القرار السياسي وإنما يتعداه إلى المسؤولين

---

(١) اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة. الدكتور كارم السيد غنيم. مكتبة ابن سينا مصر ١٩٩٥ ص ص ١١٣.

عن تنفيذ هذا القرار السياسي، والقائمين على الإدارات العلمية للجامعات وما يملكون من جدية في تطبيق هذا القرار السياسي بالشكل الصحيح والسليم. فإذا لم يلتزم هؤلاء بالتعليم بالعربية وتعريب العلوم فسيبقى القرار السياسي مجرد شعار لا معنى له. ونذكر مثالاً على ذلك جامعة العرب الطبية في بنغازي بالجماهيرية، والتي عقد فيها مؤتمر الكتابة العلمية باللغة العربية عام ١٩٩٠ وأوصى هذا المؤتمر بتدريس العلوم باللغة العربية وتوحيد المصطلحات العلمية بين الجامعات العربية. فهل طبقت جامعة العرب هذه، تدريس العلوم باللغة العربية؟ طبعاً لا. رغم ما قام به العديد من أعضاء هيئة التدريس بها من محاولات جادة لتعريب العلوم الطبية وترجمتها تمثلت في قدر لا بأس به من كتب منشورة مؤلفة ومترجمة.

وفي هذا الصدد يذكر أن الأستاذ عبد الرزاق البصير حضر «إحدى جلسات مجمع اللغة العربية الأردني واستمع من رئيسه الدكتور عبد الكريم خليفة حديثاً يدعو إلى الحزن والألم .. يقول الدكتور خليفة إن بعض أساتذة مادة الرياضيات في جامعة أربد ترجموا الكتب المختصة في هذه المادة المقررة على طلاب السنة الأولى وأخذوا يلقون منها دروسهم عليهم، فكان نجاحهم باهراً لأن استيعابهم لهذه المادة كان قوياً جداً، ولكن الغريب في الأمر أن عميد تلك الكلية. قد تغير وجيء بعميد آخر، فأمر بأن تلغى الكتب المترجمة إلى اللغة العربية وأن توضع مكانها كتب باللغة الإنجليزية، ولا تسل عما حدث من ارتباك في نفوس الطلاب، وفي هذا دلالة على أن هناك من يسعى إلى إبعاد اللغة العربية عن التعليم الجامعي»[(١)].

وما رآه الدكتور عبد الكريم خليفة أمر ليس غريباً، حصل في الجماهيرية ما

(١) اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ص ٢٩.

يماثله، وهو أن اللجنة الشعبية العامة بالجماهيرية أصدرت قرارها رقم (٢٥) لسنة ١٩٩٢ بشأن إنشاء المركز الوطني للتعريب والترجمة بناءً على ما عرضه أمين اللجنة الشنعبية للتعليم العالي بمذكرته رقم (١٩) لسنة ١٩٩١. ونص هذا القرار على تبعية هذا المركز للجنة الشعبية للتعليم العالي. ولكن وللأسف قبل أن يوضع هذا القرار موضع التنفيذ تغير أمين اللجنة الشعبية للتعليم العالي، فأوقف الأمين الجديد هذا القرار مما أدى إلى إجهاضه.

٢ ـ مراكز التعريب والترجمة:

ولا يخفى علينا ما لمراكز التعريب والترجمة من دور في شيوع ونشر المصطلح العلمي العربي فإذا كان دور المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب وضع المصطلح العلمي العربي والعمل على توحيده فإن دور مراكز التعريب يظهر جلياً في نشر وشيوع هذا المصطلح العلمي العربي، وذلك من خلال الأهداف التي يحققها مثل هذه المراكز والتي تتمثل في:

١ ـ تأكيد استخدام اللغة العربية وترجمة العلوم إليها.

٢ ـ وضع البرامج والمقترحات الكفيلة بتعريب العلوم التطبيقية والتقنية.

٣ ـ التنسيق بين الجامعات لتنفيذ برامج التعريب.

٤ ـ تقديم المقترحات العملية الكفيلة بتشجيع أعمال الترجمة وتذليل صعوباتها.

٥ ـ متابعة حركة الترجمة والتعريب في الوطن العربي وتبادل الخبرات والأعمال العلمية مع المؤسسات المماثلة.

٦ ـ الإشراف على وضع المصطلحات العلمية وتحديدها وتوحيدها بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة.

٧ ـ تشكيل فرق للترجمة يسند إليها القيام بترجمة مايراه المركز من أعمال علمية.

٨ ـ العمل على كل ما من شأنه تنشيط حركة الترجمة والتعريب.

وقد قامت هذه المراكز في الدول المتقدمة مثل اليابان وألمانيا وفرنسا والصين وروسيا، وهي فكرة ليست بحديثة فقد سبق العالم الإسلامي هذه الدول إليها منذ أكثر من ألف سنة فما دار الحكمة في بغداد إلا نموذج لمراكز التعريب والترجمة. ونفيد من هذه المراكز تنظيم حركة الترجمة العلمية وذلك من خلال التنسيق بينها وبين دور النشر الخاصة والعامة عن طريق نشرات دورية تفصيلية بما تم ترجمته ونشره حتى لا يتكرر ترجمة العمل الواحد ويتم الاستفادة من الجهود في ترجمة عمل آخر. وكذلك التنسيق بينها وبين الجامعات والمؤسسات العلمية الأخرى.

٣ ـ دور الجامعات والمؤسسات العلمية:

١ ـ تعد الجامعات أنسب مكان لتطبيق وتنفيذ المصطلحات التي يتم الاتفاق عليها في المجامع اللغوية العربية أو مكتب تنسيق التعريب، فهي بذلك الحقل الذي تنبت فيه بذرة المصطلح العلمي.

ودور الجامعة يبدأ من وضع المصطلح العلمي على المحك من خلال المحاضرات التي تلقى على الطلاب في هذه الجامعات، وذلك باستعمالها من قبل الأساتذة في تدريس المواد المقررة على الطلاب واختبار تفاعل هذه المصطلحات مع المادة العلمية من ناحية ومدى استساغة الطلاب واستقبالهم واستيعابهم لهذه المصطلحات.

ب ـ ثم يقوم هؤلاء الأساتذة المتخصصون بدراسة هذه المصطلحات في أقسامهم العلمية دراسة مبنية على التجربة وإبداء الرأي فيها.

ويتم التنسيق عن طريق لجان متخصصة تبدأ من أمين التعريب في القسم العلمي الذي يقوم بجمع الآراء حول المصطلحات العلمية المختارة وإعداد قوائم لهذه المصطلحات المتعلقة بتخصصه.

وأمناء التعريب في الأقسام العلمية يكونون لجنة التعريب في الكلية ويقومُ بمهمة التنسيق أمين التعريب في الكلية، وذلك بجمع قوائم المصطلحات العلمية التي تقرها لجنة التعريب في الكلية ومقترحات الأقسام العلمية بهذا الخصوص. ويقوم بعرضها على لجنة التعريب في الجامعة التي تتكون من أمناء التعريب في الكليات ويقوم بالتنسيق بينها أمين التعريب في الجامعة. وعن طريقه يتم التنسيق مع الجامعات الأخرى وتبادل المصطلحات المتفق عليها ومقترحات الأقسام العلمية بهذا الخصوص.

هذه هي تجربة جامعة الجماهيرية في خلق وإبداع وتوحيد ونشر وشيوع المصطلحات العلمية أما الجامعات في السودان الشقيق فقد قامت بتجربة لم تسبق إليها - فيما أعلم - وهذه التجربة قامت في فبراير عام ١٩٩٢ حيث نسقت الهيئة العليا للتعريب في السودان ندوات علمية مكثفة بين أساتذة الجامعات حول المصطلح العلمي العربي وتوحيده. ونقلت هذه الندوات عن طريق التلفزيون السوداني مباشرة بهدف إذاعة المصطلحات وشيوعها.

ج - كما يظهر دور الجامعات في شيوع ونشر المصطلح العلمي العربي من خلال الأعمال العلمية التي يعدها الأساتذة بها من بحوث ومقالات علمية وكتب مؤلفة أو مترجمة يتم نشرها عن طريق الجامعة. وقد قامت جامعة قار يونس في بنغازي بالجماهيرية وحدها بنشر ما يزيد على ثلاث مئة كتاب علمي كلها باللغة العربية. وهو دور له الأثر الكبير في نشر وشيوع المصطلح العلمي العربي ووضعه على المحك من خلال التطبيق الفعلي

باستعماله في التخصصات المختلفة.

وفي الختام أقترح أن ينشأ مركز قومي للتعريب والترجمة يصدر قرار إنشائه من جامعة الدول العربية، ويكون ما يصدر عنه ملزماً للمفكرين والمؤلفين والمترجمين والهيئات والمؤسسات داخل الأقطار العربية، لأنه لا يكفي أن يصادق مكتب تنسيق التعريب على المعاجم ليتم لهذه المعاجم الشيوع والتداول والالتزام بالمصطلحات الموحدة إذ لابد أن تقوم بالإشراف على النشر والتوزيع ومراقبة التأليف العلمي والترجمة جهة تملك السلطة والمقدرة على إلزام المؤلفين والناشرين بالمصطلحات الموحدة. وتكون لها إمكانيات علمية ومادية تمكنها من نشر المصطلحات المتفق عليها نهائياً وتسهيل سبل إيصالها إلى المؤسسات العلمية دون أن يعتمد ذلك على المقدرة المادية لهذه المؤسسات. لأنه من المعروف أن بعض هذه المؤسسات يفتقر إلى المقدرة المادية التي تمكنه من الحصول على أعداد كبيرة من المعاجم والنشرات الخاصة بالمصطلحات العلمية الموحدة.

المراجع

١ ـ اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة. الدكتور كارم السيد غنيم. مكتبة ابن سينا. مصر. ١٩٩٥.

٢ ـ العربية لغة العلوم والتقنية. الدكتور عبد الصبور شاهين. دار الاعتصام بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٢.

٣ ـ توحيد وتعميم المصطلح العلمي. الدكتور عبد الرحمن خوجلي مبارك مؤتمر التعريب في جامعات الجماهيرية. جامعة قار يونس بنغازي ١٩٩٣.

٤ ـ أهم معوقات التعريب وسبل تجاوزها. الدكتور محيي الدين حميدي. مؤتمر التعريب في جامعات الجماهيرية. جامعة قار يونس بنغازي ١٩٩٣.

٥ ـ تعريب العلوم التطبيقية خطوة لتوطين العلوم ـ المؤتمر الخامس للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي بنغازي ١٩٩١.

٦ ـ التقرير العام للجنة الشعبية للتعليم العالي. اللجنة الشعبية للتعليم العالي سرت الجماهيرية ١٩٩٠.

مقترحات في منهجية الاستفادة
من كتب التراث في وضع المصطلحات

د. الشاهد البوشيخي

١ ـ مقدمات ممهدات:

١ ـ الوضع وضعان:

وضع للجديد في الذات، وهذا مما لا يكاد اليوم يكون عنه كلام.

ووضع للجديد على الذات وهو أيضاً وضعان:

وضع آني عاجل؛ يستجيب بما تيسر من الرصيد لما تيسر من الجديد؛ لا يحصي الممتلكات في كل مناحي التراث، مفتشاً عن الخبايا في الزوايا، ولا يتتبع الجديد من المواليد في مختلف العلوم، متقصياً «أخبار المصطلح» في كل المراكز والمعاهد، والهيئات والمختبرات ....

فيسد بذلك بعض الحاجة لبعض الجديد ببعض الرصيد، ويبقى ضغط الحاجة ينمو ويشتد، وطوفان الجديد يتداح ويمتد، وحجم الرصيد يضؤل وينفد.

ووضع منهجي شامل؛ يواجه كل الجديد بكل الرصيد، قد أحصى المصطلحات في كل فنون التراث وعدها عداً. وتقصّى ما يجدّ من مصطلحات في كل مراكز البحث فرداً فرداً. فلبى بذلك كل الحاجة لكل الجديد بكل الرصيد، واستعد ـ بحكم تراكم الخبرة ـ لاستيعاب أي مزيد.

٢ ـ المصطلح مصطلحان:

ـ **مصطلح تنتجه الذات**، وهذا الغائب الذي يجب أن يحضر، والمنسي الذي يجب أن يذكر، ولا يكاد اليوم يكون عنه كلام.

ـ **ومصطلح يفد على الذات** أو تستورده الذات حسب حاجتها وهو أيضاً مصطلحان:

ـ **مصطلح ينتمي إلى صنف العلوم المادية** مسمياً مفهوماً فيها، جامدة كانت أم سائلة أم غازية، وهذا الشأن فيه أنه قد يكفي فيه «التعريب والترجمة اللفظية».

ـ **ومصطلح ينتمي إلى صنف العلوم الإنسانية** وهذا الشأن فيه أنه لا يكفي فيه «أن نكتب اللفظ الأعجمي بحروف عربية عند التعريب، أو نجتهد في «العثور» على لفظ عربي، مقابل للأعجمي بصورة ما، عند الترجمة» (أخبار المصطلح العدد ٢). بل يجب أن تقفه الجمارك عند الاستقبال «في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من حسن النية ودرجة النفع» والملاءمة للهوية.

«إن المصطلح الوافد ـ السائد وغير السائد ـ لا يواجه ـ ولا ينبغي أن يواجه ـ بمنهج» العثور» إنه لابد من خطة علمية شاملة حاسمة، لمواجهة ما أسماه بعضهم بـ «الطوفان المفهومي». خطة تقوم:

أولاً: على إحصاء ممتلكات الذات، ثم تقوم:

ثانياً: على استيعاب ما لدى الآخر من علم بعلم، في مختلف

التخصصات. ثم تقوم:

ثالثاً:على الاقتراض الحضاري بعلم، من خارج الذات، حسب حاجات الذات» (أخبار المصطلح العدد ٢).

ذلك بأن المصطلح الوافد في العلوم المادية بريء حتى تثبت إدانته، والمصطلح الوافد في العلوم الإنسانية ظنين حتى تثبت براءته.

٣ ـ التراث تراثان:

تراث **معد** علمياً ـ وقليل ماهو ـ فهو موثق محقق مكشف، وهذا نحمد الله عزوجل أن منَّ به علينا، ونسأله المزيد.

وتراث **غير معد**. وهو أيضاً تراثان:

تراث مطبوع، وهو حسب تقديرات عدد من الخبراء في التراث أقل الموجود، وكله ـ أو يكاد ـ محتاج إلى تكشيف، وأغلبه ـ وإن كتب أنه محقق ـ يحتاج إلى تحقيق، وقليله الذي ينقصه ـ علاوة على ما تقدم ـ التوثيق.

وتراث مخطوط، وهو حسب تقديرات الخبراء ـ أكثر الموجود، وكله محتاج إلى طبع ونشر، ومراكز وجوده في العالم غير محصورة، والمعلوم منها عدد منه غير مفهرس المحتوى، والمفهرس منها عدد منه غير دقيق المعلومات.

ولذلك يمكن أن يجعل على رأس المستعجلات، للإفادة من التراث في وضع المصطلحات، إعداد غير المعد علمياً من كتب التراث.

٢ ـ ضرورة الإعداد العلمي الشامل للنص التراثي أولاً:

ذلك بأن «قاصمة الظهر بالنسبة إلى المصطلحي هي انعدام الإعداد العلمي للنصوص» (مصطلحات النقد العربي ص: ١٥) مما يضطره «اضطراراً إلى إعادة التوثيق والتحقيق في أغلب الأحيان لمادة بحثه ـ ولاسيما شواهده ـ إن رغب في الصحة والسلامة العلمية للنتائج، وإلا كان البناء كله على شفا جرف هار» [(البحث العلمي في التراث ومعضلة النص) ندوة «تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق» أيام ٩ ـ ١١ / ١١ / ٩٥] هذا فضلاً عن أن التراث خزان الممتلكات، ومستودع جميع ما نملك من مصطلحات.

ولإعداده إعداداً علمياً شاملاً تُقترح المنهجية التالية:

١ ـ **الفهرسة:** وتتطلب إنجاز:

معجم مفهرس للمطبوع من المخطوطات العربية في العالم، حاصر لما طبع، قابل سنوياً لإلحاق مايطبع. ويعين عليه أكبر العون ـ لو يكون ـ الدليل السنوي للمطبوعات العربية في العالم، ثم معجم مفهرس لمراكز المخطوطات العربية في العالم: العامة منها والخاصة (خزائن ، مساجد ،متاحف، زوايا ...إلخ).

ثم معجم مفهرس للمخطوطات العربية المحفوظة بتلك المراكز.

٢ ـ **التصوير:** ويتطلب تصوير كل ما بالمعجم المفهرس للمخطوطات العربية في العالم من أصوله، دون انتقاء أو استثناء.

٣ ـ **التخزين:** ويتطلب حفظ ما صور وتخزينه بأحدث الوسائل في

«مركز جامع لصور المخطوطات العربية في العالم» على أن يكون الانتفاع به ميسراً حاسوبياً لأي مؤسسة بحث على وجه الأرض.

٤ ـ **التصنيف:** ويتطلب تصنيف ما خزن من متخصصين، وحسب حاجات التخصصات، زماناً ومكاناً وإنساناً وموضوعاً ...

٥ ـ **التوثيق:** ويتطلب إثبات صحة نسبة ما صنف إلى صاحبه، ضبطاً للعلاقات «المختلفة بالقائل والسامع، والعصر والمصر ... إلى غير ذلك مما يمكن أن يستفاد من صحة النسبة، وتضبطه صحة النسبة؛ فيصح التصور للأمور زماناً ومكاناً وإنساناً، تاريخاً وواقعاً» (البحث العلمي في التراث ومعضلة النص: ٤).

٦ ـ **التحقيق:** ويتطلب إثبات صحة متن ما وثق، كما صدر عن صاحبه، طبقاً لقواعد وآداب معينة، وذلك لضبط الأحكام، والاستفادة من النصوص «انطلاقاً من حدود عبارتها؛ لئلاً يقوَّل قائل مالم يقل فيقوَّل بتقويله عصر، أو مصر، أو اتجاه، أو غير ذلك، ولئلا يبني بانٍ بناءه على مالم يصح، بسبب تصحيف، أو تحريف، أو بتر، أو غير ذلك، فيفسد التاريخ والواقع معاً» (البحث العلمي في التراث ومعضلة النص: ٤).

٧ ـ **التكشيف:** ويتطلب إعداد كشافات لمحتويات ما حقق؛ أسماء، ونقولاً وموضوعات، ومصطلحات «ولا سيما المصادر الأمهات التي تشبه في خصوبتها، وسعتها، وكثرة عطائها الغابات، فكم من بقايا كتب قيمة، لعلماء أفذاذ، يمكن استخراجها من بطون تلك الأمهات، ولا يكشف عنها إلا التكشيف، وكم من علوم ومعارف، وشواهد نادرة لعلوم ومعارف،

توجد مطوية في أحشائها، لا سبيل إلى تذليل عقبة العلم بها إلا بالتكشيف. وحتى الآن لم يكشَّف من منشور التراث إلا بعض جوانب من بعض الأمهات» (البحث العلمي في التراث ومعضلة النص: ٢).

٨ ـ **النشر:** ويتطلب طبع ماوثّق وحقّق وكشّف، طبعاً لا يفسد ما أُعدَّ، ثم توزيعه توزيعاً واسعاً، يعين أكبر العون على ما قُصد «فكم من نصوص حققت ولم تجد طابعاً، وكم من محققات طبعت ولم تجد موزعاً، وكم من مطبوعات وزعت ولم تكد تجاوز أو يجاوز العلم بطبعها البلد الذي طبعت فيه ...» (البحث العلمي في التراث ومعضلة النص: ٣).

بذلك يتم الإعداد العلمي الشامل للنص التراثي، ليبدأ، انطلاقاً منه، الإعداد العلمي الشامل للمصطلح التراثي.

٣ ـ ضرورة الإعداد العلمي الشامل للمصطلح التراثي ثانياً:

ذلك بأن ما أقرته ندوة الرباط ١٩٨١ بشأن مصطلحات التراث، في المبدأ الرابع من ضرورة «استقراء وإحياء التراث العربي، وخاصة ما استعمل منه، أو ما استقر منه، من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ معربة».

وما اقترحته في المقترح الخامس من «الاستعانة بالتقنيات الحديثة الرائدة في استقراء التراث القديم والحديث، والمصطلحات الموضوعة، لتكون أساساً لتنسيق المصطلحات وتوحيدها»،

ظل أو كاد صيحة في واد؛ مما جعل بعض النقاد يثبت بالدليل العملي «أن تراثنا الذي نعتز به ونفخر، وندعو إليه مصدراً علمياً يستفاد منه، مازال

في جله مجهولاً أو مغبوناً، لم تفلح مؤسسة ولا فرد في الإحاطة به، وفي استقرائه تاريخاً ووصفاً، سواء في مجموعه أو في اختصاصاته» (محمد رشاد الحمزاوي / بحوث ندوة عمان ١٩٩٣).

ومثل ذلك يمكن أن يقال عما أقرته ندوة عمان ١٩٩٣ من «اعتبار ما ورد بخصوص منهجية وضع المصطلح العلمي العربي في ندوة الرباط عام ١٩٨١ الأساس الذي ينطلق منه تطوير هذه المنهجية» (بحوث ندوة عمان ٩٣/ النقطة الأولى من تقرير لجنة الصياغة).

والمطالبة بـ «استقراء الأمهات من المؤلفات التراثية، والتعمق في آرائها ونظرياتها ومصطلحاتها القويمة المبررة للاستفادة منها في وضع المصطلح العلمي المعاصر»

فهل فُعل شيء من هذا أو ذاك حتى اليوم؟ بل هل أُعدت كل الأمهات وأخرجت، ولو في بعض التخصصات؟ أم أن اعتماد التراث، كما قال الأستاذ الحمزاوي «يستعمل أطروحة غنائية أسبابها كثيرة»؟

إن الإعداد العلمي الشامل للمصطلح التراثي، هو الذي يؤهل للاعتماد العلمي الشامل له. وإسهاماً في تحقيق ذلك، تقترح المنهجية التالية:

١ ـ **الفهرسة:** وتقتضي إنجاز معجم مفهرس للمصطلحات في كل تخصص من تخصصات التراث: ولا يكون ذلك إلا بفهرسة مصطلحات كل كتاب منشور من كتب التخصص أولاً، كما لا تكون تلك الفهرسة إلا من متخصصين فيه، وبالإحصاء والاستقراء التام.

٢ ـ **التصنيف:** تصنيف المصطلحات إلى معرفة، فتفرد مع تعاريفها،

موثقة، وإلى غير معرفة، فترشح للتعريف. ثم تصنيفها مفهومياً تبعاً للنسق الأصلي لها في تخصص التراث، فتبعاً للنسق العلمي المعاصر الذي تنتمي إليه.

٣ ـ **التعريف:** تعريف المصطلحات غير المعرفة، ويتضمن المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، «معبراً عنه بأدق لفظ وأوضح لفظ وأجمع لفظ» مع ضرب المثال ليتضح المقال (نظرات في منهج الدراسة المصطلحية: ٩).

٤ ـ **التخزين:** تخزين كل المصطلحات، بأحدث الوسائل، في مركز جامع لمصطلحات كل التخصصات العلمية في التراث.

٥ ـ **النشر:** نشر ما خزن، بكل الوسائل الحديثة، على مراكز البحث المعنية بالمصطلح؛من مجامع وجامعات، ولجن ومنظمات ... تيسيراً للانتفاع به في الوضع وغير الوضع.

هذا ولقطع هذه الخطوات، يلزم وضع خطة واتخاذ إجراءات، وبإمكان معهد الدراسات المصطلحية ـ لانشغاله البالغ بالمصطلح التراثي ـ تفصيل ذلك عند الاحتياج إليه، وانعقاد العزم على المضي في اتجاهه.

وبما تقدم ـ إن أنجز ـ يكون الإعداد قد تم، وبتوظيفه يكون الاعتماد أشمل وأتم، ولا يبقى مما يلزم ـ فيما أعلم ـ إلا كلمة عن التصور الحضاري الشامل للوضع المصطلحي.

٥ ـ ضرورة التصور الحضاري الشامل للوضع المصطلحي ثالثاً:

في عملية الوضع المصطلحي ـ ولا سيما في العلوم الإنسانية ـ لابد من مراعاة الأبعاد الثلاثة للوضع.

١ ـ **بعد الوصل بماضي الذات،** ذلك بأن ما يوضع لا يوضع في فراغ، وإنما يوضع في أمة ذات تراث، والتراث هو الذات، فينبغي أن ينسجم ماجدّ على الذات، مع خصوصية الذات وخصائص الذات، وإلا ضاعت أموال وطاقات، وجهود وأوقات، ثم نعود بعد عقود أو قرون للبحث عن الذات، أو عما ضاع من الذات.

٢ ـ **بعض التواصل مع حاضر الذات للمّ الشتات،** وتقريب المتباعد، وتأليف المتنافر، وتوحيد المتعدد. ومن ثم ينبغي أن يكون **هناك قبل الوضع استيعاب** للموجود، **وعند الوضع تنسيق** مع مختلف الجهود، **وبعد الوضع استعداد** للتوحد على أفضل الموجود بأقل مجهود. وإلا فرّقنا من حيث نريد أن نجمع، وعدّدنا من حيث نريد أن نوحد.

٣ ـ **بعد التوصيل لمستقبل الذات،** وذلك باستشراف آفاق المستقبل عند الوضع.

من إبداع مصطلحي، لبناء ذات المستقبل أو مستقبل الذات، ولا إبداع مصطلحي بغير الإبداع العلمي.

ومن استقلال مصطلحي لحوار الذات لغير الذات، ولا استقلال للمصطلح بغير استقلال مفهومه.

ومن تفوق مصطلحي لشهود الذات على غير الذات، ولا تفوق للمصطلح بغير تفوق أهله. وإن السماء لا تمطر تفوقاً ولا إمامة. بل لابد من السبق في عالم الأسباب وإتيان البيوت من الأبواب.

هذه الأبعاد الثلاثة ـ تبعاً للمراعاة أو عدم المراعاة ـ هي التي تحدد

للوضع موقعه ووقعه، وواقعه، وهي التي تبرز مدى الاستفادة فيه أو عدم الاستفادة، من مصطلحات التراث وروح التراث.

فهل هناك حقاً مراعاة؟

٥ ـ خاتمات متممات:

ـ المصطلح التراثي له الأسبقية متى وجد.

ـ التقنيات الحديثة عليها المعول في سرعة استقراء المصطلح التراثي.

ـ التخصص في المصطلح التراثي مطلوب في كل تخصص، كالتخصص في المصطلح المعاصر. ومن جمع بينهما فقد تحقق.

ـ ربط كل التخصصات بكتب التراث ونظريات التراث في الوضع، يسهل عملية الاستفادة منها.

ـ لابد من توزيع المسؤوليات بين المجامع والجامعات، والمراكز والمعاهد واللجن والهيئات، في عملية الإعداد.

ـ ضرورة استيعاب المنهجية والخطة البعيدة المدى، للمنهجية والخطة القريبة المدى، في الإعداد والوضع.

ـ انتظار جهات القرار، يجعل المشروع المصطلحي كله في حالة انتظار، ولذلك يجب الاستمرار بما تيسر.

وسيجعل الله بعد عسر يسرا.

المعجم العلمي المختص
(المنهج والمصطلح)

د. جواد حسني سماعنه

[١] - توطئة:

إن أي بحث علمي لا يقوم على منهج محدد هو بلا شك ركام غثّ من المعلومات لا يربط بينها رابط ولا تفضي إلى النتائج المرجوة من هذا البحث. والظاهرة المصطلحية هي أكثر من مجرد بحث، وعلى هذا الأساس فإن معالجتها تحليلاً واستقصاءً وتأليفاً. لا تحتاج فقط إلى منهج (أو منهجية) كما هو معروف لدى الجميع ولكن إلى توحيد مبادئ هذه المنهجية بكل وسائلها المتاحة وإيجاد مالم يوجد منها بعدُ.

يستعمل في بعض مراكز المصطلحات الدولية لهذا الغرض مصطلح التقييس (Standardization) ويعرفه كريستيان جالينسكي (CH.Galnski) بأنه: اعتماد قواعد محددة في اختيار المصطلحات ووضعها وترجمتها. واعتمادها كذلك في توحيد وتنميط مبادئ المصطلحية ومناهجها(١).

ويذكر هيلموت فيلبر (H.Felber) نوعين من مظاهر التقييس المصطلحي، وهما (٢):

(أ) تقييس مبادئ ومناهج وضع المصطلحات، أي تنميط قواعد العمل ممارسة وتطبيقاً (النظرية الخاصة لعلم المصطلحات (Terminography) بما

تشتمل عليه من معاجم مختصة وبنوك مصطلحات وما إلى ذلك).

(ب) تقييس (أو تنميط) المصطلحات ذاتها فرادى كانت أو في شكل مجموعات مصطلحية (قوائم. معاجم مختصة. مسارد ...)

تأسيساً على هذه الأهمية لمفهوم التقييس فإن توحيد منهجية وضع المصطلح العلمي العربي يبدو أمراً ضرورياً ومطلوباً سواء في وضع المصطلحات أو في إعداد المعاجم المختصة التي تتطلب منهجين أساسيين في تأليفها:

(١) منهجية موحّدة لوضع المصطلحات. اختياراً وترجمة وتعريباً وما إلى ذلك مما يرد تحت لواء النظرية العامة لعلم المصطلحات (« GTT » General Theory of Terminology) على غرار ما يصدر تباعاً عن المنظمة الدولية للتقييس (إيزو) من مواصفات مصطلحية مقيّسة كالتوصية (R ٤٠٧) بعنوان: مبادئ التسمية[٣].

(٢) منهجية معجمية خاصة بتصنيف المعاجم المتخصصة في سياق ما يعرف بالصناعة المعجمية (Terminography) وقد صدر في شأنها عن المنظمة الدولية للتقييس العديد من التوصيات والمواصفات . كالتوصية (R٩١٩) بعنوان: دليل تحضير المعاجم المصنفة [٤].

وسأحاول في هذا البحث أن أتبيّن حدود هاتين القضيتين في المعجم العلمي العربي المختص. وصْفاً وتحليلاً ونقداً وتقويماً . في عجالة يفرضها الوقت المخصص في مثل هذه المناسبات. وذلك نظراً لما للمعجم المختص من أهمية خاصة في المكتبة المصطلحية العربية والدولية.

[٢] المعجم المختص:

[١.٢] تعريف المعجم المختص:

المعجم المختص بصورة عامة هو كتاب يتضمن رصيداً مصطلحياً

لموضوع ما. مرتباً ترتيباً معيناً. ومصحوباً بالتعريفات الدقيقة الموجزة. ومعززاً - ما أمكن - ببعض الوسائل البيانية المرافقة (كشافات. سياقات. صور. جداول ..) التي تساعد على توصيل المفهوم إلى المتلقي بأفضل صورة ممكنة.

ويتميز المعجم المختص عن المعجم العام بأن هذا الأخير يعتمد على جمع الألفاظ اللغوية العامة بلا استثناء. بينما يُعنى المعجم المختص بمصطلحات موضوع خاص (فيزياء، طب، فضاء، نبات، جيولوجيا ... إلخ).

وفي ذلك، يرى جان ساجر وألان راي وجي روندو وغيرهم من علماء المصطلح المحدثين أن المصطلحي عادة ما ينطلق من المفهوم (Concept) لتمييز الكلمة استناداً إلى المقارنة الأونوماسيولوجية بينما يقوم عمل المعجمي اللغوي. بعكس ذلك. أي بالانطلاق من الألفاظ أولاً تمهيداً لشرح دلالاتها ومعانيها اعتماداً على المنهج السيماسيولوجي[٥].

يقول جي روندو في ذلك:

«في المصطلحية. فإن المسألة ليست معرفة مدلول شكل لساني ما. ولكن المفهوم المحدد بشكل واضح والعلامة اللسانية التي تمثله. ينطلق المصطلحي. بخلاف الإجراءات المعجمية التي يتبعها المعجمي، من المفهوم ليتساءل بعد ذلك عن اسمه»[٦].

وقد قادت هذه الملاحظات إلى الفصل التام بين المعجمين العام والمختص فبات من المؤكد أنهما يتمايزان تبعاً لما يلي[٧]:

(١) تغطية المعجم العام أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة. بينما يتقيد المعجم المختص بعدد معين من الألفاظ (المصطلحات) المنتمية إلى موضوع علمي معين.

(٢) تمثيل المعجم العام كلَّ فروع المعرفة دون التعمق في جمع

ألفاظها. فيما يعالج المعجم المختص قسماً واحداً منها.

(٣) خدمة المعجم العام معظم القراء والمهتمين. بينما يستهدف المعجم المختص قارئاً بذاته كما في حالة المعجم الطبي. والمعجم الزراعي. والمعجم الهندسي وهلم جرا.

[٢- ٢] المعجم العلمي العربي التراثي المختص:

[٢- ٢-١] الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات:

تضمنت حركة التأليف المعجمي في التراث العربي القديم إعداد المعاجم العلمية المختصة تحت تأثير التطور اللغوي وحركة الترجمة والتأليف بين القرنين الثالث والخامس الهجريين على وجه الخصوص. وقد وصلت بعض المعاجم المختصة حداً من النضج لم يصل إليه الكثير من المعجمات العلمية المختصة الحديثة. خاصة في مجال الطب والنبات والأدوية المفردة والمركبة (أي الصيدلة).

وكان ثمة نوع من التأليف اللغوي أقرب إلى المعاجم المختصة منه إلى معاجم اللغة العامة. يُدْعَى (معاجم الموضوعات) التي ألفت على غرار (الرسائل اللغوية) المصنفة في ألفاظ موضوع ما من موضوعات المعرفة العامة. ومن ذلك ما صُنِّف في موضوعات: خَلْق الإنسان. وخَلْق الحيوان. والحرب والقتال والأدوات المستعملة فيهما. وفي النبات. وقد ألف في هذه الموضوعات عدد غير قليل من أئمة اللغة القدامى كالكسائي (٢١٦هـ) وأبي عبيد الهروي (٢٢٤ هـ) وابن السكيت (٢٤٤ هـ)[٨].

وكان قد نهض بفضل هذا النوع من التأليف نوع آخر من المعاجم وهو معجم الموضوعات الذي يجمع بين طابع الرسالة اللغوية والمعجم المختص.

وترجع فكـرة إعداد الرسالة اللغوية ومعجـم الموضوعات إلى العلماء العرب الذين أحرزوا في تأليفهما قصب السبق مقارنة بالأمم الأخرى[٩].

إن أهميـة هذا الضرب مـن التأليف المعـجمي المختص تعود إلى طـريقة تبـويب الألفـاظ وإلى طبيعـة المعجم الـذي يضم مـجمـوعات من المـفردات بحسب حقـولها الـدلالية ووحـدة حقـول المفاهيم التي يـدعو إليـها علـماء المصطلح المحدثون.

ومن معـاجـم الموضـوعـات هـذه: (الغـريب المصنـف) لأبي عـبـيـد الهـروي(٢٢٤هـ). و (كـنز الحـفاظ فـي تهـذيب الألـفاظ لابـن السكـيت) للتبريـزي (٥٠٢ هـ) . (وأدب الكاتب) لابن قتيبـة الدينوري (٢٧٦ هـ). و (الألفـاظ الكتـابية) لـلهمـذاني (٣٢٠ هـ). و (جـواهر الألفـاظ) لقدامـة بن جـعفـر (٣٣٧ هـ). و (فـقه الـلغـة وسر الـعربيـة) للثـعـالبـي (٤٢٩ هـ). و (المخـصص) لابـن سيـده (٤٥٨ هـ) و (نـظام الـغـريب فـي اللـغـة) للـربعـي الوحاظي (٦١٥ هـ) ... إلخ.

وقد اتُـخِذت هذه المعـاجم مصـادر أصيلة في تـأليف المعـاجم العلمـية المختصـة فيما بعد، ممـا يستدعي ضرورة التـعمق في هذا النوع من المعـجمات نظراً لاشتمالهـا على حقول لفظية على جانب كبيـر من الدقة والوعي بفكرة الدلالة والمفهوم. لننظر في الفصل السادس عشر من معجم الثعالبي (فقه اللغة وسـر العـربية) المعـنون بـ (أدواء تدلُّ على أنـفسهـا بالانتسـاب إلى أعضائـها) والذي يـقع فـي البـاب السـادس عـشـر الخـاص بالأمـراض والأدواء. يقـول الثعـالبي: «العَضَـدُ وجع العضد، القَـصَرُ وجع القَـصَرة، الكُبَاد وجع الـكبد، الطَّـحَلُ وجع الطـحال، المَثـنُ وجع المثـانة، رجل مـصدور يشـتكي صـدره، ومبطون يشتكي بطنه، وأنِفٌ يشتكي أنفه... وهلم جرا» [١٠].

لقد جمعت هذه المعاجم من دقة الاستخبار والنقل الأمين عما سبقها من المؤلفات ما جعلها حقاً مصادر أصيلة يمكن استثمارها في وضع المصطلح الحديث.

[٢. ٢. ٢] المعاجم العلمية المختصة:

تنوع التأليف المعجمي العلمي التراثي المختص تنوعاً كبيراً لعدة عوامل أهمها تطور النشاط اللغوي وازدياد حركة الترجمة والتأليف العلمي وهما من جملة العوامل التي سارعت كثيراً في بلورة وعي صريح وواضح بأهمية المصطلح إنتاجاً وترجمة وتعريباً. وقد أمكننا تعقّب ثلاثة أنماط معجمية مما ينتمي إلى المعجم العلمي المختص في المكتبة المصطلحية العربية القديمة. وهي: على الوجه التالي:

(٢. ٢. ٢. ١) معاجم موسوعية اصطلاحية:

ويضم هذا النوع من المعاجم رصيداً مصطلحياً واسعاً لموضوعات معرفية متنوعة وهو السبب الذي دعانا إلى وصفها بالموسوعية. ومن أهمها:

(أ) مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٠ هـ)الذي يعد أول معجم علمي متخصص في التراث العربي، ويشتمل على مصطلحات موضوعات متنوعة في مجالات العلوم الإنسانية والعقلية وعلوم العجم من فلسفة وطب وهندسة وفلك وكيمياء وميكانيكا وما إلى ذلك.

(ب) المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي (٥٤٠ هـ).

(جـ) التعريفات للجرجاني (٨١٦ هـ).

(د) الكليات للكفوي (١٠٩٤ هـ).

(هـ) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوني (ق ١٢ هـ).

(٢. ٢. ٢. ٢) معاجم فنية مختصة:

وهي ضرب من المعاجم مصطلحاتها في حالة وسط بين الطابع اللغوي والطابع العلمي مما يمكن نعته بالفني، ومن ذلك:

(أ) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي(٣٣٢ هـ).

(ب) المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين لسيف الدين الآمدي (٦٣١ هـ).

(جـ) معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشاني (٧٣٠هـ).

(٢ . ٢. ٢. ٣) معاجم علمية مختصة:

وهي أرقى ما وصلت إليه حركة التأليف المعجمي المختص في التراث العربي، وينضوي تحت لواء هذا النمط نوعان من المؤلفات:

(١) ـ معاجم علمية محضة:

ومن أهمها ما جاء في النبات والطب والأدوية المفردة والمركبة (صيدلة). مثل:

(أ) كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزار القيرواني (٣٦٩ هـ).

(ب) التنوير في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القمري (ق ٤هـ).

(جـ) الرسالة الألواحية للشيخ الرئيس ابن سينا (٤٢٩هـ).

(د) التيسير في المداواة والتدبير لعبد الملك بن زهر (٥٥٧هـ).

(هـ) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (٦٤٦هـ).

(٢) ـ مؤلفات طبية ذات طابع معجمي:

وهي مؤلفات تتضمن في داخلها معيجمات أو كنانيش أو مسارد

مصطلحات معرَّفة أو غير معرفة. ومن أهمها:

(أ) القانون في الطب لابن سينا (٤٢٩ هـ).

(ب) كتاب المرشد في طب العين للغافقي الأندلسي (٥٩٥ هـ).

(جـ) المهذب في الكحل المجرب لابن النفيس الدمشقي (٦٨٧هـ).

(د) الكافي في الكحل لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي (ق ٧هـ).

(هـ) كشف الرين في أحوال العين لابن الأكفاني (٧٤٩هـ).

تبين هذه المعاجم. التي هي غيض من فيض. سعة التأليف المعجمي التراثي المختص وتنوعه مما يدعونا إلى ضرورة العودة إليه والاستفادة منه. خاصة وأن الكثير من هذه المعجمات قد صدر محققاً ومضبوطاً، مما يسهل الرجوع إليه، هذا فضلاً عن دقة المنهج والشمولية في تأليفها، إذ حافظ مؤلفوها على اتباع قواعد معجمية واضحة من حيث جمع المادة وترتيبها وتعريفها وما إلى ذلك مما يفتقر إليه الكثير من المعاجم المختصة في العصر الحديث.

[٢. ٣] المعجم المختص وعلم المصطلح الحديث:

كثر التأليف المعجمي في العصر الحديث كثرة لا حدّ لها حتى بات لكل علم معاجمه ولكل فرع داخل هذا العلم أو ذاك معاجم يصعب حصرها إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التنوع في التأليف المعجمي من معاجم وموسوعات علمية ومسارد وكشافات وقوائم مصطلحية، فثمة في الواقع كشافات بيبليوغرافية حاول أصحابها أن يحصوا ما صدر من المعاجم المختصة الحديثة، ومنها:

- ببليوغرافيا المعجمات العربية لوجدي رزق غالي وحسين نصار (القاهرة: ١٩٧١).

ـ ببليوغرافيا المعاجم المختصة لعلي القاسمي وجواد حسني سماعنه نشرت في العددين (٢٠ ـ ٢١) من (اللسان العربي) وتضم أكثر من سبع مئة مصدر معجمي ما بين معجم وقائمة مصطلحية.

وترجع غزارة التأليف المعجمي. بطبيعة الحال. إلى كثرة المصطلحات التي يطّرد رصيدها ازدياداً يوماً بعد يوم على إثر تسارع وتيرة العلوم الحديثة في القرن العشرين وما صاحبها من اكتشافات ومفاهيم مستحدثة.

وقد ساهم هذا الوضع في تطور علم المصطلح الحديث الذي ترعرع في أحضان عدد من الجامعات الغربية وفي العديد من مراكز البحث العلمي المصطلحي والجمعيات المعجمية. بعد أن كان عالة على غيره من العلوم كاللسانيات وعلم المعجم العام مثلاً .

تبعاً لذلك، يصنف اللغويون المحدثون مباحث علم المعجم في صنفين كبيرين، الأول: نظري ويسمى المعجمية النظرية أو علم المفردات (Lexicology) والثاني: تطبيقي وهو الصناعة المعجمية (أو القاموسية). Lexicography والمبحثان يختصان بمفردات اللغة الطبيعية لا المصطلحات مفردة أو مركبة.

يقابل المعجمية العامة في فرعيها النظري والتطبيقي (علم المصطلحات) المتفرع بدوره إلى مبحثين كبيرين آخرين. الأول: هو المبحث النظري أو النظرية العامة (GTT) وموضوعه جزء من موضوعات علم المصطلح العام. كالبحث في المصطلحات من حيث مكوناتها ومفاهيمها ومناهج توليدها وتقييسها، أما الثاني: فهو المبحث التطبيقي العملي الذي ينضوي تحت لواء النظرية الخاصة لعلم المصطلح ويدخل في إطارها صناعة المعجم المختص أو (المعجمية المختصة) التي يدعوها البعض بـ (المصطلحاتية .(Terminography

كما يدخل تحت لواء النظرية الخاصة، كما يذهب إلى ذلك هيلموت فيلبر. مايلي[١١]:

- جمع وتدوين المصطلحات المتصلة بمفاهيم حقل موضوعي ما.

- تدوين البيانات المعجمية الخاصة (البيانات المصطلحية والبيانات المتصلة بها: مصطلحات، تعاريف، شروح، سياقات، علاقات مفهومية، المقابلات باللغات الأخرى... إلخ.

- ترتيب الوحدات المصطلحية في المعاجم المختصة وفي بنوك المصطلحات ومكانز التوثيق.

- دراسة المعاجم المختصة وعرض أقسامها وأجزائها.

وقد قطع المعجم العلمي المختص أشواطاً بعيدة في دقة التأليف وحرفته، ففي المنظمات الدولية المتخصصة كالمنظمة الدولية للتقييس يُصَنَّف المعجم المختص وفقاً لمجموعة من المواصفات والمقاييس بدءاً من مقاس الجذاذة التي يدوّن فيها المصطلح وبياناته وانتهاء بخزنها في الحاسوب ومعالجتها واسترجاعها في شكل معجمات تقنية دقيقة.

ويضم المعجم المختص عادة رصيداً مصطلحياً أكثر مما تضم القائمة المصطلحية المعرّفة[١٢]، بيد أن الأهمية فيه لا ترجع إلى عدد مصطلحاته وإنما إلى المنهج المعجمي المتبع فيه. من تعريف وتوثيق وتقييس. المفتقر إليه عادة في المسرد المصطلحي[١٣].

وقد يكون المعجم المختص معجماً تقنياً (Technical dictionary). على درجة عالية من الجودة والدقة، مقيَّساً بمعايير مضبوطة تلبية لمواصفات الإنتاج والتسويق، بلغة واحدة أو أكثر، أو يكون معجماً فنياً علمياً ذا طبيعة تأليف خاصة سنتعرفها بعد قليل.

[٣] منهج تأليف المعجم العلمي المختص:

[٣. ١] القواعد الأساسية في تأليف المعجم العلمي المختص:

في صناعة المعجم العلمي المختص. يتعين اتباع جملة من القواعد العامة وأخرى خاصة قننتها مواصفات منظمة الإيزو الدولية وهي كثيرة ولا يكفي الوقت لعرضها، وسنقوم فقط باستعراض المبادئ الرئيسية التي تكاد تُغَيَّب تماماً في إعداد المعاجم العلميةالعربية المختصة الحديثة، وهي: جمع المادة المصطلحية، وتدوين المادة: من حيث الترتيب والتعريف، وملاحق المعجم المختص.

[٣. ١. ١] جمع المادة المصطلحية:

ويدخل في سياق هذه المرحلة: مصادر جمع المادة، ومستويات المادة المصطلحية التي تم جمعها.

(٣. ١. ١. ١) مصادر الجمع:

تعد هذه المرحلة الأهم في مراحل التأليف المعجمي، إذ يتعين على المعجمي أو اللجنة المكلفة بإعداد المعجم أن تُعنَى بجمع المصادر التي تجرد منها المصطلحات والتعاريف وأن تعتمد على المصادر المنتقاة ذات الصلة بالموضوع مباشرة وعلى صدقية هذه المصادر وحجيتها في الموضوع. وقد تكون هذه المصادر قوائم مصطلحية ومعاجم مختصة ونصوصاً وبنوك مصطلحات، كما تكون منشورات وثائقية كالتوصيات والمواصفات والأدلة الصادرة عن هيئات التقييس الدولية والقطرية.

ويتعين على المعجمي أو اللجنة التي تقوم بتصنيف المعجم المختص وضع ثبت بالمصادر المختارة يكون عادة في شكل مجذة قابلة للتعديل والإضافة كلما اقتضى الأمر، يُلْتَزم بها في جمع المصطلحات وتوثيقها طوال مراحل إعداد المعجم.

(٣. ١. ١. ٢) مستويات المادة المصطلحية:

من القواعد المتبعة في تدوين مادة المعجم المختص اتباع خطة واضحة في جمع مداخل المعجم يراعى فيها أمران مهمان. هما: علاقة المادة المصطلحية بموضوع المعجم، وتحديد المستويات اللغوية لمداخل المعجم.

(٣ ٠ ١ ٠١ ٠ ٢. ١) علاقة المادة بموضوع المعجم:

تتطلب هذه القاعدة أن تكون المصطلحات. التي تم جمعها من مصادرها. وثيقة الصلة بموضوع المعجم دون أن تزاحمها الكلمات العامة وأشباه المصطلحات أو الجمل المصطلحية التي يمكن فكها إلى مصطلحات مركبة.

ومن تحصيل الحاصل القول إن سوء الجمع وعدم وجود خطة منهجية واضحة في اختيار المادة المصطلحية غالباً ما يقودان إلى تداخل مستويات الجمع وإلى ظهور مصطلحات كثيرة لا علاقة مباشرة لها بموضوع المعجم.

ولتفادي هذه الثغرة المعجمية. يتبع عادة في المؤسسات المصطلحية الدولية كالمنظمة الدولية للتقييس ومكتب اللغة الفرنسية التابع للحكومة الكندية بكيبيك (O L F) قاعدة عمل متضمنة في التوصية(٩١٩ R) الصادرة عن الإيزو يتلافى بها الجمع العشوائي لمداخل المعجم ومقابلاته الأخرى سعياً إلى تحقيق مبدأين معجميين مطلوبين. هما: التماسك والاتساق في متن المعجم. وتنص التوصية على ضرورة إعداد صُنافة لموضوعات المعجم ومفاهيمه الأساسية تُرتَّب ترتيباً علاقياً طبقاً لموضوعات المعجم الفرعية بحيث يتم جمع مصطلحات كل فرع وفقاً لعلاقته بتلك الفروع(١٤).

يُعبَّر عن هذه الصُنافة في اللسانيات الحديثة بما يسمى (شجرة الميدان arbre de domaine) التي ينبغي أن تشمل موضوعات المعجم الرئيسية

والفرعية. والمصطلحات (أي المفاهيم النوعية) التي تندرج تحت كل موضوع بحسب العلاقات فيما بينها. على أن يعزى كل مصطلح في متن المعجم إلى الفرع الذي ينتمي إليه.

تحقق هذه القاعدة مبدأ هاماً في علم المصطلح وهو جمع المصطلحات على أساس حقول المفاهيم. فالعمل في ضوء هذه القاعدة يكرّس حتماً وحدة حقول المفاهيم ومنظوماتها، وفي هذا الصدد، كان هيلموت فيلبر قد ميز بين نوعين من المعاجم المختصة: الأول ما يُعَدُّ على هذا الأساس وتكون المصطلحات فيه مكيفة مفهومياً (conceptoriented items) والثاني ما لا يكون كذلك ويقع تحت عنوان قواميس الترجمة المستعملة في الأغراض العامة(١٥).

(٣ . ١ . ١ . ٢ . ٢) المستويات اللغوية لمداخل المعجم:

يراعى في جمع المادة المصطلحية كذلك المستويات اللغوية للمصطلح، فالمصطلحات تختلف لغوياً في مصادرها فثمة الأثيل والمشتق والمولد والمعرّب والدخيل والمنحوت والمترجم حرفياً عن لغة أجنبية. ويختلف كذلك تركيبياً. فثمة المصطلح المفرد والمركب والجملة المصطلحية. وهي كلها على درجات من المقبولية والشيوع و الصدقية. لذلك، فإن على المعجمي أن يراعي كل ذلك في جمع مصطلحات اللغة التي يمثلها (أي اللغة الهدف) وليس بالضرورة كل لغات المعجم إذا كان المعجم متعدد اللغات. فالمطلوب من الجهة التي تعد المعجم. فرداً أو لجنة. التقيد بمنهج محدد في اختيار المصطلحات العربية مبني على تدرّج في الاختيار والترجمة إلى العربية عند تعذر وجود المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية. من أجل ذلك. حددت المؤسسات المصطلحية.

الدولية والعربية. مناهج اختيار المصطلحات وترجمتها. ومن ذلك التوصية (R ٧٠٤) التي أصدرتها المنظمة الدولية للتقييس بعنوان (مبادئ التسمية) وتتضمن منهجية متكاملة يقتدى بها حديثاً في المنظمات العاملة في مجال المصطلحات كالإنفوتيرم، ومكتب اللغة الفرنسية بكيبيك اعتماداً على التراتبية التالية: الاشتقاق فالتركيب فالاختصار والاختزال. فتحوير المعنى (بالمجاز). فالابتكار. وأخيراً الاقتراض من اللغات الأخرى[١٦]. وفي المجال المصطلحي العربي فإن مستويات الوحدات المصطلحية قد تحددت بالتدرج الذي أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة وورد في وثيقة (ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة) التي عقدها مكتب تنسيق التعريب (١٩٨١). وفقاً لما يلي[١٧]:

(أ) تفضيل المصطلح التراثي إذا كان معبّراً عن المفهوم المصطلحي في مجال البحث.

(ب) ترجمة المصطلح الأجنبي دلالياً عند تعذر وجود مصطلح عربي مقابل. أو اللجوء إلى الاشتقاق إذا كان للمفهوم المصطلحي الجديد مادة لغوية قريبة من معنى المصطلح الأجنبي في اللغة العربية.

(جـ) استعمال المجاز.

(د) النحت والتركيب المزجي.

(هـ) عند تعذر هذه الوسائل. يلجأ إلى التعريب اللفظي وفق قواعد العرب القدامى في ذلك.

[٣. ١. ٢] تدوين المادة المصطلحية:

تشتمل هذه المرحلة على خطوتين هامتين هما: ترتيب المداخل وتعريفها.

(٣. ١. ٢. ١. ١) ترتيب مداخل المعجم:

الترتيب الألفبائي:

يعد الترتيب الألفبائي أكثر طرائق الترتيب المعجمي شيوعاً في العصر الحديث سواء كانت هذه المعاجم أحادية اللغة أو متعددتها. وقد يكون الترتيب الألفبائي عربياً إذا كانت مداخل المعجم المختص بالعربية، أو أجنبياً إذا كانت مداخله بلغة أجنبية. ويرجع شيوع هذا النوع من الترتيب إلى سهولة استعماله وذلك بمراعاة حروف المصطلح كلها سواء أكان مفرداً أم مركباً. وإلى اليسر الذي يمنحه في ترتيب المصطلحات المعربة والدخيلة. جنباً إلى جنب مع المصطلحات العربية التي يلاقي ترتيبها بطريقة الجذور مشكلات كثيرة معروفة.

ومن النتائج السلبية للترتيب الألفبائي لمصطلحات المعجم بعثرة المصطلحات المنتمية لمادة لغوية واحدة تحت حروف المعجم وهدم وحدة الحقل المفهومي الواحد. السبب الذي حدا بالمعجميين إلى تضمين معاجمهم كشافات (أو فهارس) لجذور الألفاظ تذكر فيها المصطلحات العربية الواردة في متن المعجم. مجددين بذلك ولاءهم التقليدي للترتيب الجذري الذي يناسب كثيراً المعاجم العربية اللغوية. كما يذهب معظم المعجميين إلى إعداد كشافات ألفبائية لمصطلحات اللغات المقابلة للغة المدخل. تضمن في نهاية المعجم لتسهيل العودة إلى المصطلحات غير المدخلية.

(٣. ١. ٢. ١. ٢) - الترتيب المفاهيمي:

يتخذ الترتيب المفاهيمي في المعاجم المختصة نمطين أساسيين هما: الترتيب الموضوعاتي المعتمد على التصنيف وهو ترتيب مفاهيمي جزئي. والترتيب المفاهيمي الكلي المهيكل وفقاً للعلاقات القائمة بين مفاهيم وحدات المتن المعجمي.

يرجع الترتيب المفاهيمي الجزئي إلى نظام تأليف معاجم الموضوعات العربية القديمة. الذي ظل معمولاً به مع شيء من التطوير. في العصر الحديث. فمعجم المصطلحات الجغرافية (مثلاً) قد تصنف مصطلحاته تحت فروع عديدة مثل: الجيومورفولوجيا. والجغرافية المناخية. والجغرافية الاقتصادية. وجغرافية العمران. والجغرافية السياسية. والخرائطية. والجغرافية العملية. والجغرافية التاريخية. والسلالات البشرية. والأنثروبولوجيا الاجتماعية إلخ. مع ترتيب المصطلحات ألفبائياً أو غيره تحت كل فرع[١٨].

أما الترتيب المفاهيمي الكلي فهو أحدث أنماط الترتيب في المعاجم المختصة. وغالباً ما يستعمل في المعاجم المصنّفة التقنية التي تعدها هيئات التقييس القطرية والدولية كالمنظمة الدولية للتقييس. إن أساس التأليف في هذا المعجم يقوم على وضع المصطلحات بحسب العلاقات القائمة بينها منطقياً أو وجودياً. بترقيم معين كالترقيم العشري الدولي (U D C). وفي كل الأحوال فإن هذا النوع من المعاجم غالباً ما يُذيَّلُ بكشاف ألفبائي تذكر فيه المصطلحات مصحوبة بأرقام الصفحات أو أرقام المفاهيم الواردة في متن المعجم. ومن أفضل المعاجم الأجنبية المرتبة مفاهيمياً معجم شلومان المؤلف بست لغات (١٩٢٠ ـ ١٩٣٠) ومعجم فوستر التقني[١٩].

(٣. ١. ٢. ٢) تعريف المداخل المعجمية:

يعد تعريف المصطلحات آكد سمات المعجم المختص. وبدون ذلك يظل المعجم محدود الفائدة أقرب إلى المسرد منه إلى المعجم.

ويؤكد علماء المصطلح المحدثون أن التعريف المصطلحي يحقق ثلاثة أمور ضرورية للمصطلحات. هي:

(أ) وضع المصطلح في موضعه الحقيقي من بنية المعرفة. مما يؤدي إلى

فهم مقصده (Intention). وهو ما يسمى بالتعريف المصطلحي.

(ب) تثبيت المعنى الخاص بالمصطلح . وهو ما يسمى بالتعريف المقصدي أو (التعريف بالقصد) المستعمل من طرف المختصين.

(ج) إعطاء غير المتخصص درجة معينة من فهم المصطلح وهو ما يدخل في إطار التعريف الموسوعي.

يختلف التعريف المصطلحي. وهو أفضل أنواع التعريف في مجال المعاجم المتخصصة. عن التعريف اللغوي العام. فهو يتسم بالدقة والإيجاز اعتماداً على مبدأ الترتيب التدريجي للسمات الدلالية التي تمكّن من تحديد المصطلح في إطار مجموعة من العلاقات ومبدأ حصر العناصر السياقية المكونة لمرجعه أي لمسمى المصطلح[٢٠].

فالتعريف المصطلحي كما يتصوره ولفجانج نيدوبيتي مرتبط بتحديد سمات التصور (المفهوم) وبالخصائص الأساسية للمسمى ذات الصلة الوثيقة بعملية تعرف التصور في إطار منظومة تصورية معينة. بل ويلزم اختيار الخصائص المميزة وفقاً لملاءمتها منظومة التصورات. فخاصية مفهوم السمكة مثلاً يشمل مجموعة من الخاصيات هي: حيوان / فقري يعيش في الماء / زعنفي[٢١].

وهو عند هيلموت فيلبر (صيغة لفظية تصف مفهوماً ما بواسطة مفاهيم أخرى ذات علاقة مميزة عن غيره من المفاهيم التي تقع في مجاله. وتحدد موقعه في المنظومة المفاهيمية)[٢٢].

تعني هذه التعريفات أن التعريف المصطلحي ينبغي أن يلبي أربعة شروط هي:

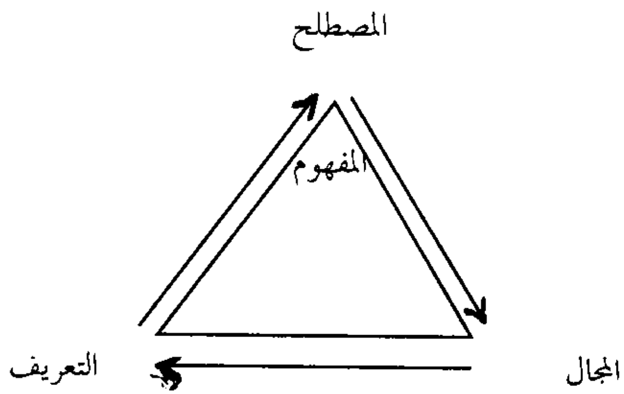
(أ) تحديد المجال المعرفي للمصطلح.

(ب) تحديد علاقة المصطلح بالمصطلحات الأخرى المتعلقة به.

(جـ) المصطلح ينبغي أن يُعَرَّفَ مفهوماً.

(د) الانطلاق من المفهوم لتحديد المصطلح وليس من المعنى العام، أي البدء بتعيين المفهوم لتسمية مصطلح ما.

ويمكن تمثيل الأركان الأربعة في علاقتها بالتعريف المصطلحي بالمثلث أدناه.



[٣. ١. ٣] ملاحق المعجم المختص:

تعد ملاحق المعجم أحدَ الأجزاء الأساسية للمعجم المختص ومعرِّفات جوهريةً وتضم الأدوات المكملة للمعجم وهي: المقدمة والفهارس والكشافات الألفبائية والجداول واللوحات التي تشتمل على بيانات ومختصرات ورموز وأسماء أعلام مما يتعلق بمتن المعجم وأية صور إيضاحية(٢٣). وتحتل مقدمة المعجم أهمية قصوى. بين تلك الملاحق. يتعين وجودها في بداية المعجم للتعريف بـ:

(أ) الهدف من تأليف المعجم ودواعيه اللذين يوضحان فئة المستعمل

والموضوع وعدد مصطلحات المعجم.

(ب) المصادر المستعملة في المعجم.

(جـ) موضوع المعجم وتفريعاته ومفاهيمه الرئيسية.

(د) المنهج الذي اتبعه المؤلف في تأليف المعجم.

(هـ) الطرائق المستعملة في استعمال رموز التدوين والأقواس والفواصل وما إلى ذلك.

(و) الملاحق التي أدرجها المؤلف في نهاية المعجم، وبيان مدى الاستفادة منها.

[٤] إشكالات المعجم العلمي العربي المختص منهجاً ومصطلحاً:

هناك إشكالان واضحان خطيران يعتريان المعجم العلمي العربي المختص، الأول يتعلق بقواعد التأليف المعجمي، والثاني بالمصطلحات ذاتها داخل المعجم انطلاقاً من مبادئ منهجية وضع المصطلحات وتوحيدها التي هي محور هذه الندوة.

[٤. ١] إشكالات المعجم المنهجية:

من الواضح لدى تتبع الحركة المعجمية المختصة في الوطن العربي أن إعداد المعاجم المختصة الحديثة يكتنفه العديد من الإشكالات بالنظر إلى القواعد المعجمية التي ذكرناها. ومن أهم هذه الإشكالات ما يلي:

[٤. ١. ١] إشكالات الجمع:

تبرز هذه الإشكالات في القضايا التالية:

(١) مصادر الجمع: إذ يلاحظ على كثير من المعاجم العلمية المختصة غياب أي إشارة إلى المصادر التي استعملت في جمع المادة المصطلحية، وإن حدث ذلك فإنما يحدث عشوائياً، بمعنى غياب المبادئ المنهجية العامة في

انتقاء المصادر الحديثة والحجة والوثائق الضرورية للعمل وإمكان اللجوء إلى بنوك المصطلحات الدولية التي يمكن أن تمد الباحث بالمعلومات المصطلحية الضرورية المساعدة في التوثيق والتقييس المصطلحيين. يترتب على هذا. أن المادة المصطلحية المجموعة قد لا تكون متكاملة ومتماسكة وربما أعوزها الكثير من الأمور المطلوبة في مرحلة جمع المصطلحات.

وفي الواقع. فثمة العشرات من المعاجم العربية الصادرة إما بإشارات مقتضبة عامة إلى المصادر التي اعتد بها في جمع المادة. وإما بإغفال ذلك على الإطلاق. ومنها للأسف بعض المعاجم الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب التي تكتفي بإشارات عامة عن مصادر مصطلحاتها.

(٢) مشكلات انتماء المادة المصطلحية إلى موضوع المعجم:

يترتب على عدم استيفاء مجذة مصادر المعجم، كماً ونوعاً، وعلى عدم تصنيف المصطلحات في مجذة أخرى تبعاً لتفريعات المعجم أو لصنافة مفاهيم رئيسية المشكلات الملحوظة التالية:

(أ) تسرب الكثير من الكلمات العامة وأشباه المصطلحات إلى متن المعجم.

(ب) غياب الكثير من المصطلحات المطلوب جمعها، من متن المعجم.

(جـ) عدم وجود انسجام في المتن المصطلحي لفروع موضوع المعجم. إذ يرجع عدم التناسق هذا إلى طريقة الجمع وإلى نوع المصادر التي اتخذها الباحث المعجمي عدة له في إعداد معجمه المختص. وقد تغيب فروع بكاملها من متن معجمه مما يفقده تكامل الوحدة العضوية المتوخاة في أي معجم علمي مختص.

(٣) تضارب المستويات اللغوية للمصطلحات العربية:

ومما يلاحظ على المعجم العربي المختص، كذلك، عدم وجود سياسة واضحة لدى مؤلفه في ترجمة المصطلحات واختيارها واشتقاقها وما إلى ذلك

من وسائل وضع المصطلحات المتبعة في المجامع اللغوية والعلمية العربية. ولهذا، نرى البعض يسارع إلى التعريب اللفظي أو إلى ترجمة المصطلحات بدلالاتها الحرفية قبل التيقن من وجود بدائل عربية أصيلة لها في المؤلفات المعجمية الأخرى. وربما جاء هذا التسرع إما لجهل البعض بالمصادر العربية الأصيلة وإما ليقينية لا تستند إلى حجة بأن التعريب والتدخيل والنحت في بعض العلوم أولى من غيرها من وسائل الوضع الأخرى. فنرى هؤلاء يصوغون ما غثٌ وسمن من المصطلحات.

والواقع أن هناك معاجم علمية شخصية رائدة ومحاولات لا غبار عليها مثل (معجم العلوم الطبية والطبيعية) لمحمد شرف (القاهرة: ١٩٢٤). و (معجم الحيوان) لأمين المعلوف (القاهرة: ١٩٣٢). و (معجم الألفاظ الزراعية) لمصطفى الشهابي (القاهرة: ١٩٥٧)... إلخ. لكن هذه المعاجم الرائدة لم تتخذ للأسف نبراساً في العمل المعجمي المصطلحي على الوجه المأمول.

[٤ . ١. ٢] إشكالات التدوين:

(١) إشكالات تعريف المصطلحات:

يعد تعريف المصطلحات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، أهم سمات المعجم المختص، وبدونه يظل المعجم ناقصاً قليل الجدوى مما يجعله في دائرة المسارد المصطلحية لا المعاجم المختصة. فالتعريف ميزة أساسية من ميزات المعجم المختص، كما أن الملاحق والصور ونظم الإحالة فيه كلها طرائق في التعريف بمضمون المعجم. والتعريف المصطلحي هو أهم أنواع التعريف وأفضلها لأنه التعريف الذي يمكّن من تفسير مقصد المصطلح ومرجعه وسماته الدلالية في إطار من العلاقات المتبادلة بين المصطلح وسواه من المصطلحات. ولأنه العنصر الأصعب في منظومة تأليف المعجم المختص فإن العديد من مؤلفي المعاجم غالباً ما يتجاوزونه، مما يؤدي إلى إسقاط أهم

خصائص المعجم المختص. إن معظم ما يصدر، مما يسمى معاجم مختصّة في الوطن العربي بما في ذلك معاجم مكتب تنسيق التعريب. لا يعدو أن يكون مسارد أو كشافات أو فهارس نظراً لغياب التعاريف فيها وافتقارها ثانياً إلى منهج متكامل في التأليف المعجمي.

وثمة أنواع أخرى من التعريف تسمى (تعاريف مصاحبة) للتعريف المصطلحي. ومنها (التعريف الإحالي) أي تعريف المصطلح بإحالة معناه على معنى مصطلح آخر في موقع آخر من المعجم لعلاقة دلالية واضحة بين المصطلحين. كأن يذكر مصطلح (حكم مطلق) ويحال بعد ذلك على مصطلح آخر مثل (استبدادية مطلقة) في مجال القانون[٢٤]، مثل هذا قليل الاعتداد به في معاجمنا المختصة مع أنه ضروري لاستكمال منظومات المفاهيم في المعجم المختص.

وثمة تعريفات في المعاجم العربية المختصة المعرفة هي ضرب من إشكالات التعريف ومنها (التعريف الترادفي) بمعنى تعريف المصطلح العربي بمرادف يوضع بين قوسين ظنّاً من المؤلف بأن هذا المرادف كاف للتعريف بالمصطلح الأساسي.

وهناك كذلك (التعريف بالترديد) أي التعريف بالمصطلح تعريفاً نسخياً وإعادة شرح لفظه الأصلي بعبارة مماثلة كقولنا في (مرض التهاب اللثة) بأنه (التهاب اللثتين) وكفى. وفي (مرض ذات الرئة) بأنه (تضخم نسيج الرئة). و (غداني) بأنه (الشبيه بالغدي) و (قنزعة عظم الكاحل) بأنه (العظم القنزعي)[٢٥]، وهكذا.

(٢) غياب ملاحق المعجم:

تعد ملاحق المعجم المختص كما قلنا من بين الوسائل التعريفية الهامة، مثل المقدمة وفهارس مصطلحات المعجم غير المدخلية. وكشافات الرموز

والمختصرات وأسماء الأعلام والجداول والصور وغير ذلك. والواقع أننا غالباً ما نكتفي بالقليل منها في معاجمنا العربية المختصة. بل والأدهى من ذلك أن كثيراً جداً من المعاجم الصادرة لا تشتمل على مقدمات هي المكان الوحيد لذكر المنهج المتبع في إعداد المعجم، ولا حتى على قائمة مصادر المعجم مما يعد من بدهيات التأليف المعجمي.

[٤ . ٢] إشكالات المصطلحات:

فقد يحتاج الباحث المعجمي إلى ترجمة بعض المصطلحات الأجنبية التي ليس لها مقابلات عربية، من هنا تكون حاجته ماسةً إلى اتباع منهجية موحدة في ترجمة المصطلحات. وربما اختيارها إذا كان لها مرادفات نتيجة الترجمات السابقة. وعند اكتمال المادة المعجمية يجد المعجمي ذاته، مرة أخرى، أمام مطلب منهجي مصطلحي أعمق من مفهوم مبادئ المنهجية الموحدة، أي الحاجة إلى منهج موحد في التقييس بنظام رياضي إحصائي يسري على المصطلحات وعلى سائر مراحل إعداد المعجم. مما يتطلب منه بدءاً أن يضع في جملة مصادره الأدلة الخاصة بالتقييس إضافة إلى أصول الحرفة المعجمية التي ينبغي أن يتوفر عليها. ونظراً لغياب هذه المفاهيم المنهجية الموحدة فقد أمكننا رصد الإشكالات المصطلحية التالية في متون المعاجم المتخصصة:

[٤. ٢. ١] إشكالات صوتية:

هناك إشكالان صوتيان لافتان للنظر في المعجم العلمي العربي المختص، هما:

(١) مشكلة التعريب اللفظي على مستوى الألفاظ والأصوات (أو الحروف) الصامتة والصائتة.

تطغى هذه الظاهرة بإشكالاتها المؤرقة على ماعداها من إشكالات صوتية في المعاجم العربية المختصة القديمة والحديثة. فمنذ سيبويه مروراً

بشهاب الدين الخفاجي وأبي منصور الجواليقي وغيرهم من لغويين ومعجميين وانتهاء بمحاولات مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي سعى من خلالها إلى طرح العديد من الحلول لهذه الظاهرة، فإن هذه الظاهرة ما برحت تضج بسلبياتها الخطيرة في مختلف المعاجم العلمية العربية المختصة.

لقد وضع المجمع القاهري منهجية لتعريب الأصوات اللغوية منذ السنوات الأولى لنشأته (١٩٣٦) ثم أتبعها بملاحق أخرى، لكنها في اعتقادي، لا تكاد تجد من يطبقها تماماً. ومن هذه الأصوات اللغوية الصامت (G) الذي يعرّب جيماً وغيناً وقافاً وكافاً. والصامت (V) الذي يعرب فاء بثلاث نقط وباء... وهلم جرا.

(٢) مشكلة النحت الصوتية:

إن النحت بوصفه وسيلة غير مرغوب فيها في صوغ المصطلحات لأسباب لا تخفى على الجميع، يظل هو الآخر نهباً لإشكالات صوتية ناجمة عن طريقة صوغ المنحوتات بأسلوب لا يقبله النظام الصوتي للغة العربية. سواء على مستوى التركيب، أو على مستوى نطق الأصوات. ونعتقد أن هذين العاملين إضافة إلى العامل الدلالي في المنحوتات وراء إخفاق النحت في أن يشكّل وسيلة ملائمة في صوغ المصطلحات.

لننظر في هذه المنحوتات في المجال الطبي ونتأمل مدى مجافاتها لمخارج نطق الأصوات في جهاز النطق البشري، ومخالفتها للنظام المقطعي في اللغة العربية[٢٧]:

اقزهداب: أي التهاب القزحية والهدابى.

اعظمحاق: أي التهاب عظمي سمحاقي.

اظهرحام: أي التهاب ظهارة الرحم.

اظهخصاي: أي التهاب ظهارة الخصية.

امحطحال: التهاب ما حول الطحال.

[٤. ٢. ٢] إشكالات صرفية:

(١) إشكالات استعمال الصيغ الصرفية: وهي كثيرة بعضها يرجع إلى سوء تقدير طبيعة الدلالة ونوعها في المرجع الذي يعبر عنه المصطلح، نحو فاعل وفاعلة وفاعول وفعّالة ومفعلة ومفعالة كلها تطلق للدلالة على (الحاسوب) فيقال حاسب وحاسبة وحاسوب وحسّابة ومحسبة ومحسابة وهلم جرا.

ومن أكثر هذه الصيغ إثارة للبس صيغ أسماء الآلة التي تتبادل المواقع في التعبير عن المادة الواحدة بشكل لا يقبله علم الدلالة.

(٢) اللجوء إلى التراكيب والشروح مع وجود صيغ صرفية محددة. ومن ذلك:

(أ) صيغة (مَفْعَلة) السببية لإفادة الدلالة السببية (مسبب الشيء أو مكوّنه أو مولّده) استعيض عنها في المعجم الطبي الموحد الصادر عن اتحاد الأطباء العرب بشروح مصطلحية في ترجمة العديد من المصطلحات الأجنبية، نحو(٢٨) :

adipogenous: مكوّن الشحم.

nephrogenic: مكوّن كلوي.

osteogen: مكوّن العظم .... إلخ.

وكان الأحرى أن يوضع بدلاً من هذه الشروح على التوالي: مشْحَمة ومكْلَوة ومَعْظَمة.

(ب) صيغة (افتعال) القياسية التي أقرها مجمع اللغة العربية سابقاً في ترجمة المصطلحات الطبية الدالة على الالتهاب وتنتهي باللاحقة (TIS I) في

الإنجليزية. هذه الصيغة لم يلتزم بها. ويعمد بعض المعجميين إلى وضع شروح بدلاً منها، نحو[٢٩]:

gastritis: التهاب المعدة.

hepatitis: التهاب الكبد.

carditis: التهاب القلب.

وكان يمكن صوغ المصطلحات بحسب الصيغة (افتعال) على الشكل التالي: (امتعاد، اكتباد، اقتلاب).

ويبدو لي أن مجمع اللغة العربية نفسه الذي أقر هذه الصيغة قد وقع في المحظور وانتهك القاعدة المذكورة في صوغ العديد من المصطلحات الشبيهة في مثل[٣٠]:

(Sguamous blepharitis) : التهاب الجفن القشري.

(Keratitis) : التهاب القرنية.

وكان الأولى أن يقال بحسب الصيغة القياسية اجتفان قشري، واقتران.

(٣) عدم مراعاة التطابق الصرفي الاشتقاقي على امتداد حروف المعجم في التراكيب المصطلحية.

[٤. ٢. ٣] إشكالات دلالية:

ومن هذه الإشكالات وهي كثيرة في المعجم العلمي المختص:

(١) عدم المطابقة الدلالية بين المداخل الأجنبية ونظائرها العربية، ويكون الإشكال أكبر عند إعداد معجم متعدد اللغات حيث تتعذّر المطابقة الدلالية بين لغات المعجم.

(٢) عدم التعامل مع المفهوم المصطلحي الذي يختلف عن الدلالة في اللسانيات الحديثة وفي علم المصطلح، فلفظة ما قد تتعدد دلالاتها بينما

المصطلح يعبر عن مفهوم واحد، والمفهوم لا يسمى إلاّ بمصطلح واحد.

(٣) إغفال نظرية حقول المفاهيم في حصر المصطلحات وتدوينها، الأمر الذي يفضي حتماً إلى إهمال الكثير من المصطلحات وإدخال مالا يمت إلى المعجم بصلة مباشرة.

(٤) اللجوء إلى الترجمة الحرفية قبل التحقق من وجود مقابلات عربية أصيلة، مما يقود إلى تعدد الترجمات والترادف المصطلحي.

(٥) كثرة المترادفات في المعجم العربي المختص للدلالة على مفهوم واحد.

(٦) تعدد معاني المصطلح الواحد في الموضوع الواحد.

[٥] خاتمة:

ولتفادي هذه الإشكالات، التي أفضنا نسبياً في طرحها، فإن الضرورة تقتضي حتماً توحيد وإقرار منهجية واحدة لوضع المصطلحات واختيارها وترجمتها، ومنهجية معجمية موحدة في إعداد المعجم العلمي المختص، بالبناء على ما ورد من مناهج علمية حديثة في المؤسسات المصطلحية الدولية شريطة اللجوء إلى التقنيات الحاسوبية المتطورة التي تساعد في تحقيق هذا الغرض خاصة في مجالي التوثيق والتقييس.

وأختم هنا بالإشارة إلى ندوتين عقدهما مكتب تنسيق التعريب لتحقيق بعض من هذا الهدف: الأولى بالرباط (١٩٨١) تحت عنوان: (توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة). والثانية في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني (١٩٩٣) بعنوان (تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته). وكان من ضمن ما جاء في الندوة الثانية. اقتراح منهجية لتوحيد المصطلحات تقوم على أربعة عناصر

هي[٣١]:

(١) الاطراد والشيوع.

(٢) يسر التداول (قلة حروف الكلمة الواحدة).

(٣) الملاءمة (تفرع المصطلح إلى ميادين مختلفة).

(٤) التوليد (كثرة الاشتقاق من المصطلح).

والحال، فإن هذه المنهجية إذا ما طبقت بمقاييس عمل محددة وبمنهجية حاسوبية موحدة يمكن لها أن تشكل نقطة انطلاق جيدة لتوحيد المصطلحات العربية في العصر الحديث.

وما التوفيق إلاّ بالله

والسلام

الهوامش

(١) C. H. Galnski, ISO / TC 37.

مؤتمر التعاون العربي في علم المصطلح (أسمو. أنوربي. إنفوتيرم) تونس: ٧ - ١٠ يونيو / حزيران ١٩٨٦.

ينظر كذلك:

محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها. ص ٦١ (بيروت: دار الغرب الإسلامي. ١٩٨٦).

(٢) H. Felber, Terminology Manual (Infoterm) P. 15 - 21, paris (1984).

(٣) قامت المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس بالتعاون مع المعهد القومي التونسي للمواصفات والتنمية الصناعية بترجمة التوصيات المذكورة ووزعت. في هيئة مواد مرقونة على الآلة الكاتبة. على مراكز مصطلحية عديدة (تونس: ١٩٨٦).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) Juan Sager,
A practical course In Terminolog pro
cessing, p. 55 - 58.
Amsterdam/ Philadelphia, 1990.

ينظر كذلك:

(٦) Alain Rey La Terminologie Noms etNotions,
P. 24 - 40, Paris (1979).
Guy Rondeau.
Introduction à la Terminologie, p, 19
(Deuxième editions) gaëtan morin éditeur,
Quebec, Canada (1984)

(٧) ينظر:

علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم. ص ٤٦ (الرياض: جامعة الملك سعود. ١٩٩١).

(٨) لقد أحصى أحمد الشرقاوي إقبال في مصنفه (معجم المعاجم) من هذه الرسائل

اللغوية ثلاث مئة وأربعاً وأربعين رسالة وردت تحت ثلاثة وعشرين موضوعاً.

ينظر:

أحمد الشرقاوي إقبال،معجم المعاجم (تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية) (بيروت: دار الغرب الإسلامي. ١٩٨٧).

(٩) محمود سليمان ياقوت. معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث. ص ٣٣ وغيرها (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٤).

(١٠) الثعالبي. أبو منصورعبد الملك بن محمد. فقه اللغة وسر العربية تح: سليمان سليم البواب. ص ١٤٨. (دمشق: دار الحكمة. ١٩٨٩).

(١١) H, Felber, Terminology Manual, P. 189 - 190,189 - 290.

وللتوسع تطلب (الفصول ٣ـ ٧) من كتاب ساجر:

A Practical course in Terminology processing.

(١٢) تمثل قائمة المصطلحات، التي قد تكون صغيرة أو كبيرة، مصطلحات قطاع معين من العلوم، مرتبة ترتيباً ألفبائياً ومصحوبة بالتعريفات، وتكون المصطلحات فيها بلغة واحدة أو أكثر. ومن ذلك ما ينشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة تباعاً بعنوان: مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع.

(١٣) المسرد المصطلحي بحسب تعريف المنظمة الدولية للتقييس هو: القائمة المصطلحية التي تقدم سرداً محدود المصطلحات تنتمي إلى ميدان علمي ما وتكون مصحوبة بمقابلاتها في لغة واحدة أو أكثر، ولا تحتوي هذه القائمة على تعريفات.

«انظر: توصية المنظمة الدولية للتقييس (R ١٠٨٧) (المعهد القومي التونسي للمواصفات والتنمية الصناعية) (تونس: ١٩٨٦)».

(١٤) المنظمة الدولية للتقييس. التوصية (R ٩١٩)، ص ١٠ ـ ١١).

(١٥) H. Felber, op. Cit. P. 239.

(١٦) Guy Rondeau, op. cit, P. 20.

(١٧) اللسان العربي. ع ٣٩ (يوليو/ حزيران ١٩٩٥) ص ٣٣٩ ـ ٣٤١.

ينظر كذلك:

مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث. ص ٩٣

(دمشق: ١٩٦٥) ط ٢ مزيدة ومنقحة.

(١٨) كمثال ينظر في:

- المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم، المصطلحات الجغرافية (القاهرة: ١٩٦٥) ١٣٨ صفحة.

- محمود مصطفى الدمياطي ومحمد عبد الجواد، معجم المصطلحات الزراعية (القاهرة: ١٩٦٠) ٧٠ ص. مصور.

(١٩) A. Rey, La Terminologie: Noms et Notions, P. 40.

- J. Sager OP. Cit, P. 48.

- Roxana Sinielnikoff. The Flow of Latest Technical Terminology. Neoterm. Word Specialized Terminology. N 21-24, p. 85

(٢٠) A. Rey, Op. cit. p. 42.

(٢١) ولفجانج نيدوبيتي، الدلالية والتصورية. اللسان العربي. ع ٢٩. ص ١٢١ - ١٢٢.

(٢٢) H. Felber. Op. Cit. P. 136.

(٢٣) Idem, Ibid, p, 239.

(٢٤)عبد الواحد كرم، معجم المصطلحات القانونية. ص ٤٣ (بيروت: ١٩٨٧).

(٢٥) J. Sager, Op, cit, P. 42.

والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسيق التعريب)، معجم مصطلحات علم الحيوان، ص ٧، ص ٢١ (بغداد، ١٩٧٦).

(٢٦) J, Sager, Idem, Ibid, p, 123-128.

A, Rey, Op, cit, P. 21.

(٢٧) أمل العلمي. الاصطلاح الطبي من التراث إلى المعاصرة ، اللسان العربي. مج ٤٣

(١٩٩٧). ص ١٣٩-١٤٣.

(٢٨) اتحاد الأطباء العرب. المعجم الطبي الموحد (إنجليزي - عربي) (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨).

(٢٩) م. ن.

(٣٠) مجمع اللغة العربية، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع. مج ٩ (١٩٦٥) ص ٧١، ص ٧٧.

(٣١) هذه المنهجية المقدمة بعناصرها المذكورة وافقت عليها ندوة (تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته) عمان (١٩٩٣)، باقتراح تقدم به الباحث التونسي الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي الذي كان قد ألف كتاباً في هذا الموضوع بعنوان: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦).

توحيدُ النَّهج ابتغاءَ توحيدِ الغايةِ

د. عبد الحافظ حلمي محمد

تاريخ الحضارات الإنسانيّة دورات وحَلَقات، ومدٌّ هنا وجزر هناك. وعندما أظلَّ الإسلامُ أمَّتنا، جاء دورُها - بقدر الله - في تحمُّل أمانة العلم كاملةً، بعد أن كان لشعوبها دوراتٌ متفرِّقات. والجوُّ المرحِّبُ بالعلم والمُجِلُّ للعلماء في دولة الإسلام الفتيّة، حفظ تراثَ الإنسانيةِ العلميَّ من الاندثار، وجعل جداول العلم، التي كادت تنضُبُ ينابيعُها في بقاعٍ متفرِّقة من الأرض، ... جعلها تصبُّ في بحر صافٍ جديد. ومضَتْ حركةُ النَقل العظيمة قُدُماً، فانتقلت كنوزُ الحضارات السابقة وعلومُها إلى اللغة العربية، وأصبحت ميسورةً للمتعلمين والباحثين في كلِّ علم، يتناولونها بالفهم والتمحيص، والتحليل الذكيِّ، والنقد الثاقب، في أمانةٍ بالغةٍ وأدب جمّ ،ثم يبتكرون علومَهم ويضيفون آراءَهم ونتائجَ بحوثِهم، ويصوغون العلمَ صياغةً لها أهدافٌ وقيمٌ جديدة، فيخرجُ علماً متكاملاً، قويّاً، عملياً، عالمياً. وهذا هو أعظم أفضالِ الإسلام على العلم الذي تلقَّفَته أوروبا - بعد تردُّدٍ وصدّ - علماً موحَّداً ناضجاً، فكان من أقوى دعائم ازدهار العلم منذ عصر النهضة الأوروبيَّة فيما بعد.

وعندما شرع المسلمون ينقلونَ علوم السّابقين، لم تَقِفْ اللغةُ عقبةً في سبيل طموحهم وتحقيق رسالتهم، فلمّا ترجموا اشتقّوا ونحتوا وركَّبوا وضمَّنوا وتجوَّزوا، وما استعصى على هذه العُدَّة العظيمة عرَّبوه، وقبلوه هكذا ولو إلى حين، فقد قالوا: جيومتريقا، وأرثمطيقا، وأسطرونوميا،

وأنالوطيقيا، وديابيطس، والقُولون، والقُولَنج، ومثلُ هذا كثير مما نقلوه بعقلية متفتحة وسليقة سليمة. كانوا سادةَ زمانِهم، وسادة لغتِهم ففجّروا ما فيها من طاقات وأغنَوْها بالمعاني والمفردات. وكذلك فعل الغربيّون لما ملكوا أعِنَّة الأمور، فقد نهلوا من المصطلحات العربية دون تحرّج، وأضافوها إلى ذخائر لُغاتهم. ومَنْ يتطلعْ إلى نجوم السّماء يجد الأسماء العربية تتألق هناك.

ثم دار الزمان دورته، وجاءت موجة المدّ هذه المرّةَ من الغرب إلى الشرق، فهبَّت شعوبُ الأمة العربيّة تحاول اللحاق بالركب، ولكنْ كان عليها أن تتحرَّر أولاً من سيطرةِ المستعمرين السياسية والاقتصاديّة والثقافيَّة. وقامت محاولات هنا وهناك لتعريب لغة العلم، الوافد من الغرب، فكانت هناك اجتهاداتٌ، كان من الطبيعي أن تتعدّدَ ويختلفَ بعضُها عن بعض، حتى في البلد الواحد، ولو في شيء من التفاصيل، فقامت دعوة في المجامع والهيئات العربيّة لتوحيد المصطلحات العلمية، وعُقدت ندواتٌ ومؤتمرات، كان فيها خيرٌ كثيرٌ، وقُدِّمت مقترحات وخطط متنوِّعة. وكان من المعالم البارزة في هذا السبيل اللقاءاتُ التي رتَّب لها اتحاد مجامع اللغة العربية، لتَدارُسِ معاجمَ معدَّةٍ في علوم بعينها، كذلك اللقاء الذي سعدتُ بالإسهام فيه، منذ نحو ثلاثة أعوام، في رحاب هذا المجمع العتيق، لمناقشة معجم البيولوجيا الذي نشره مجمع القاهرة. ولكنْ كان يبدو في بعض الأحيان أن هذا التوحيدَ مطلبٌ بعيدُ المنال، حتى تحوَّلت المصطلحاتُ أحياناً إلى مُخْتَصَمات!

فكان من سداد الرأي أن ينصرف اهتمام المعنيّين بهذا الأمر إلى أن يتدارسوا منهجيَّةً صوغ المصطلحات العلمية العربية لا إلى الجدل حول مفرداتها. وكان هذا الاتجاه واضحاً في كثير من المؤتمرات السنوية لمجمع القاهرة، كما أن مجمع اللغة العربية الأردني عقد ندوة عام ١٩٩٣ لتطوير

منهجية وضع المصطلح العربي، وبحث سبل نشر المصطلح الموحّد وإشاعته، ثم خصَّص موسمه الثقافي الثاني عشر، عام ١٩٩٤، لمنهجيةِ وضع المصطلح العربي قديماً وحديثاً.

ولكن لقاءنا اليوم، هذا الذي دعا إليه اتحاد المجامع العربية، وينظمه مجمع دمشق على هذا النحو الرائع، له وضع فريد، وهدف محدَّد. وهو أن يجتمع رأي هذه الصفوةِ المختارة من علماءِ اللغة العربية والمشتغلين بالعلوم الطبيعية على منهجية يرتضونها، ثم يتَحوَّلُ هذا الإجماعُ، أو مايقاربه، إلى كتاب أو كتب مرشدة، يمكن نشرُها على أوسع نطاق. في المجامع والهيئات العلمية العربية، وبين الأفراد المشتغلين بتعريب العلوم في كل مكان. وإنك لتجدهم بين أساتذة الجامعات، ومعلمي المدارس، ومترجمي الأخبار العلمية العالمية، ورجال الإعلام وغيرهم. وهؤلاء جميعاً تهبط عليهم المصطلحات العلمية الجديدة في أي وقت. ويُرجَى أن يكون في هذا الأسلوب توحيدٌ للغايات التي ينتهي إليها السالكون، ماداموا يستخدمون بوصلة مُوَحَّدَة، أو تضييقٌ لشُقَّة الخلاف بين المجتهدين، على الأقل. وواضح أن هذا الأسلوبَ أسلوبٌ وقائي، إذ إنه يعالج الأمر من منابعه المتعدّدة، ويجابه التحدّيَ المتمثِّلَ في ذلك السيل من المصطلحات الجديدة التي تنهمر علينا كلَّ يوم. وقد تأكد لي، في أثناء مكابدتي الترجمة العلمية، أن خير المصطلحات ما يتولَّد في أثناء ترجمة متن معيَّن، لأنه يولد محققاً مدلولَه في سياقٍ فعلي، وفي استخدام محدَّد، وتُختبر طوعيتُه للأسلوب العربي. وبهذه المناسبة، أعتقد أننا نحسن صنعاً إذا نظمنا آلية لتقصّي تلك المصطلحات وجمعها تهيئة لتمحيصها والإفادة منها.

وهكذا تلتقي جهود المجتهدين من الأفراد، والجهود المنظَّمة للمجامع والهيئات الأكاديمية، وهي بطيئة بطبيعتها. فمنهاج مجمعكم في القاهرة،

منهاج رصين قويم، ولكنه يتضمن الالتزام بمرور المصطلحات العلمية من اللجان المختصَّة، ثم من مجلس المجمع، ثم من مؤتمره السنوي (وفي هذه المراحل الثلاث مداولات لا تكاد تنتهي)، ثم تطبع حصيلة كلٍّ دورة في مجموعة سنوية تضم أعمال اللجان جميعاً. وبعد أن تتجمَّع ذخيرة وافرة متكاملة من المصطلحات في علم ما، تعدُّ في هيئة معجم متخصص.

ونحن ـ في واقع الحال ـ لانبدأ من فراغ، فعندنا قاعدة عريضة من جهود علماء المسلمين في عهود ازدهار الحضارة الإسلامية، ومن جهود الروَّاد والتابعين في العصر الحديث. وإن من يستعرض ما كان يدور في مداولات جلسات مجمع القاهرة ومداولاته، ويُنشر في مجلته، يغتبط كثيراً بالعمق والغيرة على اللغة المزدانيْن بالسماحة واتساع الأفق اللذيْن كانا يسودان مجادلات كوكبة من الأعلام تتفاعل آراؤهم في رغبة صادقة في حلٍّ مشاكل المصطلح العلمي العربي. وقد نذكر في هذه الكوكبة ـ في غير استقصاء ـ الشيوخ محمد الخضر حسين، وعبد الرحمن تاج، وأحمد الإسكندري، وعبد القادر المغربي، وإبراهيم حمروش، ومحمد علي النجار، والأب أنستاس الكرملي؛ والأساتذة: محمد توفيق رفعت، ومصطفى الشهابي، وعباس العقاد، وأحمد أمين، ومحمد كامل حسين، ومصطفى نظيف، وعيسى المعلوف، وماسينيون، ومحمد عمار، وأحمد حسن الزيات، ومحمد رضا الشبيبي، وإبراهيم مدكور، وشوقي ضيف، وعباس حسن، ومحمد الفاسي، ومحمد مهدي علاّم، ونلّينو، ومحمد كرد علي، وأمين الخولي، ومحمد شوقي أمين، وغيرهم كثير.

واتخذَ القوم مجموعة قيِّمةً من القرارات، رأينا أن نتخيَّر منها ماله عَلاقة مباشرة بصوغ المصطلح العلمي العربي لنضعه ين أيديكم، وأنتم أعلم به. والذي يدعو إلى العجب والإعجاب أن كثيراً مما ينادي بها زميلنا العلاَّمة

الدكتور محمد هيثم الخياط، باسم «الضرورة العلمية»، التي قد تبيح بعض المحظورات، قد اتخذ فيه مجمع العرب في القاهرة قرارات. فمماً يسوقه الدكتور الخياط أمثلةً على الضرورة العلمية: التعريبَ، وجوازَ النحت، والاشتقاق من أسماء الأعيان. وهذه أمور أجازها المجمع، ووضع لها الضوابط المناسبة، ولكن لعله رأى الناس مازالوا حولها يختلفون. وقد أعدَّ مجمع القاهرة دليلاً إرشادياً مختصراً استخلصه من قراراته وممارساته السابقة ليتخذه العلميون منهاجاً لصوغ المصطلحات. وهذا أيضاً بين أيدي حضراتكم. ومن المنهاجيات المطروحة أيضاً المنهاج الذي اتبعته لجنة تجديد المعجم الطبيِّ الموحَّد، وعرضه الدكتور محمد هيثم الخيّاط في الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٩٤، وما قدَّمه المصطلحيُّ القدير الأستاذ أحمد شفيق الخطيب في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في مؤتمره السنوي عام ١٩٩٨. وغني عن البيان أن هذه المناهج التوحيديَّة ينبغي أن توحَّد، ويُرجى أن يعبِّر الكتابُ المرشد المنتظر عن هذا التوحيد.

وأما عن الكتاب المرشد، فقد رَسَمَ له الدكتور الخيَّاط هيكلاً مبدئياً عرضه في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٥. وكان تصوُّرُه كالآتي:

بابٌ أول يتضمن مجموعة من المبادئ أو القواعد اللغويَّة التي يُسترشد بها بشكل عام، وذلك من قبيل «كلُّ ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب».

وأذكر أنني توقفت عند عبارة جاءت على لسان أحد المتحدثين في المؤتمر السنوي لمجمع القاهرة عام ١٩٦٨، نصُّها: «المصطلح العلمي تكفي فيه أدنى مراتِبِ الصحة»، فهي تجمع بين التسامح وعدم التنازل عن الصحة، على كلٍّ حال.

وبابٌ ثانٍ يسوق القواعدَ المتعلقة بقياسية عدد من الصيغ، تسهيلاً للنسج على منوالها. وقد شملت قرارات مجمع القاهرة العلميَة كثيراً من الأبنية الأساسية، ينبغي درجُها، هي وما يكمِّلها، وتبويبُها والإرشادُ إلى دلالاتها. هذا طبعاً، إضافةً إلى الصيغ الأساسية في علم الصرف، كاسمَيْ المرّة والهيئة، والمصدر الميمي، والمصدر الصناعي، والمشتقات الصرفية المختلِفة. ومفيدٌ جداًّ أن يدرَّب العلميون على فنون الاشتقاق، فهو باب العربية الرحب لصوغ المصطلحات. وأستأذن في أن أعترضَ السِّياق هنا، فأذكرَ أننا شعرنا في المؤتمرات السنوية التي تعقدها الجمعية المصرية لتعريب العلوم، أن العلميين في حاجة إلى مرشد في الكتابة العلمية (لا في صوغ المصطلحات فحسب)، فيه شيء من النحو وقواعد الإملاء، وكثير من الصرف، يؤلَّف ليلبِّي حاجاتٍ محدَّدة تعترض الراغبين في تجويد كتابتهم العلمية باللغة العربية.

وبابٌ ثالثٌ يتَّخذ دليلاً بالأحوال التي يجوز فيها الخروج على مألوف اللغة للضرورة العلمية. (ولعلَّ الباب الثاني يتسع لهذه الأمور).

وبابٌ رابعٌ يضمّ قائمة بالسوابق واللواحق، ودلالاتها المختلفة.

وبابٌ خامس يضمّ قائمة تشتمل على الرموز والمختصرات بالعربية، وطرق ترجمة المختصرات الأجنبية إلى العربية.

وأعتقد أن الكتاب المرشدَ الموحَّد لمنهجية صوغ المصطلح العلمي العربي مطلوب، وأن هيكلَ تأليفه مفتوح للنظر. وفي تصوّري أنه يجب أن يضمّ بياناً واضحاً شافياً، بعيداً عن تفاصيل التأصيلات اللغوية التي لا يفقهها إلا المتخصصون؛ وذلك عن: الاشتقاق والتركيب المزجي والتركيب الإضافي والنحت والمجاز والتعريب، مع تقديم أمثلة مناسبة.

وثمة دعوة قديمة متجدِّدة لمسح كتب التراث، لاستخراج ما انبثَّ في

جوانبها من المفردات التي تصلح ذخيرةً لصائغي المصطلحات العلمية باللغة العربية. وهذا باب تحكمه طبعاً بعض القواعد المنطقية الواضحة، فاللغة العربية الأصيلة غنية بالمفردات التي تفيد ضروب الأفعال والأوصاف والأحاسيس وأسماء الأعيان لما ألفه العرب في بيئاتهم وأسفارهم. وكتبُ فقه اللغة تشهد بذلك وتفصِّله تفصيلاً دقيقاً. ولكننا نكلِّف الأمور غير طبيعتها لو رحنا ننبشُ كتب التراث بحثاً عن أفعالٍ وأسماء مستحدثة، لم يكنْ لها وجود حتى في لغاتها الأوروبية التي ابتدعتها، أو أسماء كائنات لم يكن العرب قد شاهدوها، في إستراليا والأمريكيتين، مثلاً. وبعض هذا تعرضتُ له في بحث متواضع بعنوان «الأسماء العربية لأجناس الحيوان وأنواعه»، قدمتُه للمؤتمر السنوي لمجمع القاهرة عام ١٩٩٥، وهو معروض على حضراتكم. (مع الاعتذار عما فيه من أخطاءٍ طباعية، لأنه صوِّر على عجل من إحدى تجارب الطباعة).

ويتَّصلُ بهذا ما يصرُّ عليه بعض الزملاء من ترجمة الأسماء العلمية العالمية لأنواع الكائنات الحيَّة والفيروسات. فهذا يتنافى مع وضعها الاصطلاحي العالمي المقنَّن، فضلاً على تعذُّر ترجمتها في أحيان غير قليلة؛ بل إن قوانين التسمية العالمية تجيز تسمية الكائنات بكلمات لا معنى لها. أيْ مجموعةٍ من الحروف التي يمكن النطق بها. وبديهي أن أسماءَ الكائناتِ المجهريةِ ليس لها مقابلات عربية، لأنها جديدة على الحضارة الإنسانية كلِّها. ولكن لابأس من ترجمة بعضها على سبيل الشرح والتفسير.

وعند النظر في توحيد المنهجيات، سوف تبرز أمور جديرة بتبادل الرأي، منها:

١ ـ وجودُ مترادفات أجنبية للدلالة العلمية الواحدة.

ويرى بعض الزملاء أن يوضع مقابلٌ عربيٌّ واحد لواحدٍ منها فقط،

يُختار لمبرِّرات مختلفة، ولكنّ هذه المترادفات قد يتجه كلٌّ منها وجهة خاصّة، ملتفتاً إلى ناحية بعينها من هذه الدلالة، وذلك من قبيل:

Clinging Fibres = Tendril Fibres

أليافٌ شَبِثَة = ألياف معلاقية.

غطاء الخلية = الكأس الجليكولية. Cell Coat = glycocalyx

Cladogenesis = Cladogenetic evolution = cladogenic evolution

تَشَعُّب = تطوّر بالتشعُّب

مغتذٍ ذاتي كيميائي = مغتذٍ ذاتي معدني = chemo - autotroph chemolitho troph

الرّسحبليات = اللاقرنيوميات chephalochordata = Acrania

ونحن نرى أنه في أمثال هذه الحالات يصاغ مقابل عربيٌّ لكلِّ مرادفٍ أجنبيٍّ، ويوضع التعريف أمام المصطلح المختار وحده، ويُحال إليه من المترادفات (الأجنبية والعربية) الأخرى.

٢ ـ وعلى نقيض ذلك قد تكون هناك دلالات مختلفة للمصطلح الواحد:

آ ـ في العلوم المختلفة، أو في فروع العلم الواحد:

ب ـ قد تتغيَّر الدلالات للمصطلح، بتقدم العلم وتطوّر الآراء والنظريات المتعلقة به.

فمثلاً، قابلنا مصطلح Cingulun الذي ترجمناه إلى «نِطاق»، وله ستٌّ دلالات في علم الأحياء، ولكن اللفظ العربي يصلح لها جميعاً. ولكن لا بأس أن تتحرَّرَ من مثل هذه الضائقة، فنقبلَ عدةَ مقابلات عربية للمصطلح الأجنبيِّ، يعبِّر كل منها تعبيراً أدق على مدلوله، إذا استحسنّا ذلك.

٣ ـ القاعدة أنه تفضل الكلمة الواحدة في صوغ المصطلح، ولكن المصطلح الأجنبيَّ نفسَه قد يكون كلمة واحدة، ولكنها مركبة (وهذا كثير)، وقد لا

يتيسّر تركيبٌ عربيٌّ مقابل، مثلاً:

cleptobiosis ترجم إلى معايشة بالتلصص.

cleptoparasitosis ترجم إلى. تطفل بالتلصص.

بل إننا نقابل أحياناً بمصطلح لابدَّ من ترجمته بعدد غير قليل من الكلمات.

٤ ـ قد يحسن المحافظة على الرموز الأوائلية العالمية بهيئتها الأجنبية، حتَّى لو تُرجمتْ أصولُها:

جزيئاتُ تلاصق الخلايا (CAM) cell adhesion molecu les (CAM)

ولكن تعريب DNA، مثلاً، بالدنا لقيت قبولاً حسناً.

٥ ـ أيهما أولى بالاختيار: المألوف المأنوس من الألفاظ، أم غير المألوفِ؟ ثمَّة رأي يفضِّل غيرَ المألوف ليناسب «خصوصية» المصطلح، وهو رأي له منطقه، غير أن هناك اتجاهاً عالمياً، أو فلنقل أمريكياً، بالعدول عن استعمال الأصول اللاتينية والإغريقية، إلى ألفاظ الحياة اليومية المعتادة، في المصطلحات العلمية، وذلك من قبيل:

housekeeping genes, luxury genes, gene bank an-gene library, nonsense codon, nonsense mutatin-. etc

وهذه كلها، كما ترون من مستحدثات علم الوراثة الجزيئية.

ويبدو أن القاعدة العامة في مثل هذه الأمور هي: «يُقبل ما يوافق الذوقَ، ولم يغفِره منه السَّمع» ـ وإن كان هذا مسألةً تقديرية تتفاوت فيها الأذواق.

وبعض هذا الذي عرضتُه من مسائل صوغ المصطلحات، تعَرَّضتُ له في بحث بعنوان «معاجمنا العلمية» قدَّمته إلى مؤتمر مجمع القاهرة في مارس ١٩٩٩.

وقضيةُ الترادف وتعدُّد الدلالات للمصطلح الواحد تؤكد أهمية اقتران المصطلح بتعريف؛ ونحن - في مجمع القاهرة - نناقش التعريف ملياً قبل النظر في وضع المصطلح، وقد أعجبني ماقرأته للإمام أبي حامد الغزالي، في إحياء علوم الدين، حين أخذ يعرِّف: النافلة والسُّنَّة والمستحبَّ والتطوّع، ويبيِّنُ الفروق بينها، ثم يقول: «ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح، فلا مُشاحَّةَ في الألفاظ بعد فهم المقاصد» (الجزء الأول: ٣٤٧). وكان الأولون يطلقون على التعريفات لفظ «الحدود». ومن ذلك قول ابن عبد البر، في «جامع بيان العلم وفضله»: «حدُّ العلم عند العلماء المتكلمين في هذا المعنى هو ما استيقنتَه وتبينتَه، وكل من استيقن شيئاً وتبيَّنه، فقد علمه. وعلى هذا من لم يستيقن الشيء وقال به تقليداً فلم يعلمه...».

ويثور بيننا أحياناً جدل حول قضية «التعريب»، بالمدلول الاصطلاحي المحدَّد. والعجيب أن مجمع القاهرة قد أجاز التعريب في دورته الأولى عام ١٩٣٤، « عند الضرورة وعلى طريقة العرب في تعريبهم ». بل إن إبراهيم مدكور يقول (١٩٥٩): «ليس بلازم أن يفسح المجال فيه لتبادل الألفاظ كما تُتبادل الأفكار والمعاني». ويرى محمد عيسى صالحية (١٩٩٤) أن منهج العلماء العرب في التعريب سار في أساليبَ ثلاثة: قسمٌ غيَّرته العرب وألحقته بأبنية كلامها، وقسمٌ غيَّرته ولم تُلحقْه بأبنية كلامها، وثالث تركوه غيرْ مغيَّر». وأقول: ينبغي لنا ألا نخشى على اللغة العربية من الكلمات المعرّبة على غير طريقة العرب ، فإن هيئتها الغريبة الدخيلة هذه سوف تصدُّها عن الدخول في نسيج اللغة العربية المحكم، الذي سوف يلفظها، كما يلفظ الجسم الحيّ السويّ الأجسام الغريبة المتسللة إليه، وستبقى محصورة في

دائرة الاستخدام العلمي المتخصص.

ويرى عباس حسن (١٩٦٦، «اللغة والنحو بين القديم والحديث»):

٢٣٤) أن من مزايا التعريب «إشاعةَ المصطلحات العلمية والفنية بين الناطقين بالعربية، وهي مصطلحات علمية عامة تكاد تكون مشتركة بين العلماء والباحثين والمخترعين في مختلف البلاد المتحضرة، فمعرفة نصوصها تمكّن الباحثين من معرفة سِماتها الحقيقيةِ معرفة دقيقة لا لبس فيها ولا إبهام ...». بل إن محمد هيثم الخياط يقول إن من ضرورات التعريب«.... حين تكون العربية المقترحة أشدَّ عجمة من الكلمات الدخيلة، أو يكونُ اللفظ مما اشتهر وشاع استعماله، أو يكونُ اللفظ من الألفاظ التي اكتسبت صفة العالمية بدخوله كما هو في كلّ لغات العالم أو جُلّها». (في سبيل العربية، ١٩٩٧: ٨٨).

وأودّ أن أشير هنا إلى أنه يحسن بنا ـ عند التعريب ـ أن نعدل عما جرى عليه العرف القديم من المبالغة في إضفاء الفخامة العربية على اللفظ المعرّب، فليست كلّ تاء يجب أن تقلب طاءً، ولا كلّ كاف يجب أن تتحول إلى قاف؛ فالتاء والكاف من حروف العربية الأصيلة؛ وفي اللغة التين وطور سينين، وفيها القلب والكلأ. ولو أن التفخيم يكون أحياناً أمراً طبيعياً، فالطوربيد والطِّن أقرب إلى صوت نطق حرف«t» في الكلمتيْن الأصليتين، ومن الملاحظ أن الميل العالمي في هذا العصر هو المحافظة على قدر الإمكان على أصل الكلمات المقترضة (أو: المُتَبنَّاة، فهذا عندي هو الأقرب إلى الواقع)، وليس هناك ما يدعو إلى طمس المعالم الأصلية للكلمة المتبنّاة. فكثيراً مانقرأ فيما كُتب عن تاريخ العلوم الإسلامية اسم Averrös بدلاً من ابن

رشد، و Avicenna بدلاً من ابن سينا، و Avenzoar بدلاً من ابن زُهر، و Avempace بدلاً من ابن باجة، و Albucasis بدلاً من أبو القاسم الزهراوي، و Albategnius بدلاً من البتّاني، وAlbumasar بدلاً من أبو مَعْشَر البلخي. ولكننا نجد فيما يكتبه الغربيون هذه الأيام أسماء هؤلاء الأعلام بنطقها العربي برموز من الحروف اللاتينية، على قدر الإمكان.

ويتفق مع هذا الاتجاه في الحرص على النقل الصوتي الصحيح للمعرَّبات، الأخذُ بقرار مؤتمر مجمع القاهرة في دورته الثلاثين (١٩٦٤) أن يُرمز للحرف p بباء تحتها ثلاث نقط، وللحرف v بفاء فوقها ثلاث نقط، وكذلك بقرار مؤتمر مجمع القاهرة في دورته الرابعة والثلاثين (١٩٦٨) الذي يجيز الرمز إلى الحرف «g» اللاتيني و «Y» اليوناني بكاف عربية لها خطان متوازيان (گـ). وهذا القرار يقضي على فوضى الجيم والغين والكاف في المعربات، وينبغي علينا اتباعه، إلا فيما سلف واشتهر. وبعيدٌ عن التصورّ أن استخدام هذه الرموز يُعدّ إدخالَ حروف جديدة على الألفبائية العربية.

ويتفق مع هذا الاتجاه أيضاً قرار مجلس مجمع القاهرة في دورته الحادية والثلاثين (١٩٦٥) بأنه «يُتوَصَّل إلى النطق بالساكن في أول العَلَم بألف وصل تشكل بحركة تناسب مابعدها، أو بتحريك الحرف الساكن الأوّل فيه، مثل استراتفورد، وكُوامي نكروما؛ ويُترك ذلك للحسّ العربي». بل إني أضيف ماطرحه الدكتور محمد هيثم الخياط، في الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٨٩، حين قال: «كذلك لا نرى حاجة لبدء بعض الكلمات المعرَّبة بألف تفادياً للبدء بساكن، بل نكتفي بالاختلاس في نطق هذا الحرف اختلاساً (في سبيل العربية: ٩٠/٩١). وأعتقد أن هذا

الرأي يتفق مع روح هذا العصر وثقافته. وهناك تفاصيل أخرى كثيرة في قرارات مجمع القاهرة حول كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية.

هذا مارأيت أن أنوِّه به « دفاعاً عن التعريب» ـ بتعبيرالمجمعي القدير الدكتور محمد يوسف حسن، في مؤتمر مجمع القاهرة عام ١٩٩٧، ولكن ينبغي لنا أن نلتفت ـ من ناحية أخرى ـ إلى أن التعريب قد لا تكون له أحياناً أدنى ضرورة. فقد يلجأ إليه الناقل اختياراً للسبيل الأسهل، أو جهلاً بالمعنى الحقيقي للمصطلح، أو فقراً في محصوله اللغوي العربي. وقد يكون التعريب أحياناً لتوَهُّم المعرِّب، أن لفظ المصطلح الأجنبي فيه كل الدلالات الذهنية التي يعرفها المعرِّب عن المصطلح، في حين أن المصطلح قد لايزيد كثيراً، في بعض الأحيان، عن مجرد رمز لتلك الدلالات. ولهذا لا يُنتظر، أيضاً، أن نجد مقابلاً عربياً مشحوناً بكل دلالات المصطلح وتفاصيلها . وقدأجرى محمود فهمي حجازي (١٩٩٣) استقراءً للمجالات الدلالية للمصطلحات العربية المعرَّبة، فحصر منها ستة عَشَرَ مجالاً، منها: أسماء الأجهزة والأدوات، والعناصر الكيميائية (إلا ما كان له اسم عربي)، ووحداتُ القياس العالمية، ومفاهيمُ وتياراتٌ فكرية منسوبة إلى أعلامٍ أو أشخاص، وكائناتٌ حية لم تكن معروفة عند العرب، ونحو ذلك.

أيها العلماء الأجلاء:

جزى اللهُ علماءَ المسلمين الأوائل خير الجزاء، فهم لم يسمحوا لحواجز اللغة أن تحول دون حيازتهم علومَ زمانهم من كل رجاً من أرجاء الأرض، فازدهرت علومهم، ونمت عربيتهم وأثبتت جدارتها بأن تكون لغة العلم العالمية قروناً متطاولة. ولكنهم ـ كما قدمت ـ خدموا لغتهم من موقف

السيادة، فعَلَوْا وسَمَتْ لغتهم وتوسَّعت وسادَتْ. وعلينا اليوم ألا نتقاعس عن القيام بدورنا في رعاية هذه اللغة الشريفة وتجديد شبابها الدائم، فإن حرصنا الشديد ـ أحياناً ـ على فرض وصايتنا عليها قد يصيبها بالعقم والجمود، كما أن اتِّباعَنا طرائقَ قِدداً، يشتِّت الجهودَ.

اللهم وحِّدْ كلمتَنا وجهودَنا، وسدِّد خطانا، وهيئ لنا من أمرنا رشداً.

الرموز والمختصرات الأجنبية
بين الترجمة والتعريب

الدكتور جلال محمد صالح

خصائص اللغة العلمية:

من المُسَلم به أن اللغة العربية قد عاشت قروناً طويلة لغة إنسانية بلغت القمة في التعبير والأسلوب الأدبي. أما في مجال العلوم فلم ترقَ إلى هذا المستوى إلا في أزمنة معينة من فجر النهضة العلمية العربية في الإسلام، حيث لم تغب هذه الخصائص عنها، ولدينا منها كتب التراث العلمي العربي لابن سينا والخوارزمي وابن الهيثم وغيرهم الذين وضعوا أسس اللغة العلمية العربية.

إن للغة العلمية خصائص وسمات ولدت مع العلم نفسه وتطورت معه في جميع مراحل تقدمه، وهذه الخصائص هي الأسلوب أو السمة المميزة للغة عن غيرها، ثم المفردات أو اللبنات أو مانعرفها باسم «**المصطلحات العلمية**» ثم أدوات التعبير والإيضاح التي تلازمها. فأسلوب اللغة العلمية أو سماتها المميزة هو الهيكل أو الطراز الذي يتناول كيفية صياغة الفكر والمعنى في قالب يقبله المجتمع العلمي ويتفاهم به. ومن أهم

ملامحه الوضوح التام والدلالة الصارمة. والخلاصة إن اللغة العلمية هي لغة بسيطة الأسلوب، واضحة المدلول، محددة اللفظ، قابلة للنمو المطرد والتطور مع تطور العلم ومقتضيات الحياة. وهذا معناه أن السمات الأساسية لأي لغة علمية هي واحدة في أي مكان أو زمان لأنها تُبنى على الاستقراء والقياس والتجربة والبرهان و الاستنتاج.

أما اللبنات الأساسية للغة العلمية فهي في مصطلحاتها التي يقوم بها البناء اللغوي العلمي، ويعني **المصطلح العلمي** المحدد المخصص المتعارف عليه بين العلميين خاصة والدال على معنى واحد. ومن هنا كانت له الأهمية القصوى والمكانة الأولى في اللغة العلمية، وأُفرِدت له المعاجم العلمية وأُقيمتْ المؤتمرات والندوات لتوحيده واستقراره في أي لغة علمية، بل وفيما بين اللغات العلمية المختلفة. وبدون هذا التوحيد لا يمكن أن يقوم التفاهم أو تبادل الفكر والرأي بين العلميين في لغة واحدة أو بينهم وبين نظرائهم من أصحاب اللغات الأخرى.

أما المقوم الثالث لخصائص اللغة العلمية، فهو أدوات التعبير التي تكاد تنفرد بها اللغات العلمية وتتميز بها عن بقية المجالات اللغوية الأخرى. وتشمل هذه الأدوات التعبيرية الرموز والوحدات والدلالات والمعادلات والأشكال الإيضاحية وكل ما من شأنه التعبير عن معنى أو عن مفهوم خاص بصورة رمزية مختزلة دقيقة محددة متعارف عليها، أي كل ما من شأنه تحديد العبارة تحديداً لا يقبل اللبس أو التأويل بأية حال.

وقد فطنت اللغات العلمية الحية إلى أهمية توحيد هذه الأدوات والرموز بل وتقنيتها. ولم تكن اللغة العربية بمنأى عن هذه الأدوات. فقد

ظهر الكثير منها في مؤلفات علماء العرب الأقدمين، كما سار علماءِ العصر الحديث على النهج نفسه فظهرت كتب الدراسة العلمية في التعليم العام والتعليم الجامعي منذ حوالي مئة عام بالصورة التي نراها اليوم مستقرة في كافة التخصصات العلمية.

نشط العمل في المجامع العلمية العربية وفي الهيئات والمؤسسات العلمية وبُذِلَت الجهود في تطوير مقومات اللغة من أساليب ومفردات ورموز وكل ما من شأنه تمهيد الطريق لتعريب العلوم الحديثة وتوثيق الصلة بينها وبين اللغات العلمية الحية. وتركزت الجهود في دراسة المفردات العلمية ووضع المصطلحات باعتبارها تمثل المقام الأول في عملية التعريب. أما الأسلوب العلمي الذي يدرس قواعد تركيب العبارة العلمية وإخضاعها لمتطلبات الأسلوب العلمي العالمي وتيسيرها على أهل العلم فلم يحظَ بما يستحقه من اهتمام في مجال الدراسات اللغوية العربية. ومما يبعث على الأمل أن سار الركب حثيثاً وواصلت اللغة العلمية العربية تقدمها في خدمة المجال العلمي المتطور بأسلوب متميز ، مدعوماً باللسان العربي القويم ومسترشداً بالمقومات الأساسية للغات العالمية الحية.

وقد ظهر هذا الأسلوب جلياً في الكثير من الكتب المؤلفة أو المترجمة للتعليم العام والجامعي منذ أوائل هذا القرن في العديد من التخصصات العلمية الأساسية والتطبيقية. واتسعتْ رقعة التعليم الجامعي ونشطت معها موجة التأليف والترجمة العلمية نشاطاً ملحوظاً، وظهرت مئات، بل وألوف، الكتب العلمية التي احتلت مكاناً مرموقاً في المكتبة العربية.

الرموز العلمية: Scientific Symbols

لقد عرف القارئ العربي الرموز في علوم الرياضيات والفيزياء وسائر

العلوم الطبيعية وما يتصل بها من قريب أو بعيد، ثم تجاوز الأمر هذه الميادين من المعرفة إلى ما ندعوه في عصرنا بالعلوم الإنسانية، إن العلوم الاجتماعية قد حفلت هي الأخرى بالرموز والاختصارات. وربما تجاوز الأمر هذا فإن مواد علوم اللغة المعاصرة ومواد الفلسفة وغيرها قد عَرفَتْ الرموز والاختصارات، وهي من غير شك ضرورة قائمة قامت عليها الحضارة المعاصرة التي ترمي إلى السرعة واليُسر والوصول إلى المواد بسهولة.

فالرمز هو وضع حرف من الحروف، أو أكثر من حرف أحياناً، للدلالة على شيء أو مسألة أو فائدة، ومن ذلك ما نجده في الكتب القديمة المشتملة على أصول من النصوص ثم يَعقُب ذلك شروح لها، فقد أثبتوا **(ص)** رمزاً للأصل ثم أعقبوه بـ **(ش)** رمزاً للشرح، ثم نجدهم يثبتون نصاً لأحد العلماء حتى إذا انتهوا منه أثبتوا **(اهـ)** إشارة إلى الانتهاء. ونجد في مصطلح مجد الدين الفيروزآبادي صاحب **(القاموس)** مادة ممتعة. فقد أُستعمل الحرف **(ع)** للدلالة على الموضع، والحرف **(د)** للدلالة على البلد والحرف **(ة)** التاء المعقودة للدلالة على القرية والحرف **(ج)** للدلالة على الجمع والحرف م للدلالة على معروف ومثل هذا ما نختم به مواداً عدة فنذكر شيئاً منها ثم نذيل ما ذكرنا بالأحرف **(الخ)** نريد بها **(إلى آخره)**.

وقد تجد الرمز في حديث الناس اليومي، وفي لغتهم الدارجة. فأنت تسمع من يقول (س) من الناس يقول كذا وكذا. وليس من شك أن هذا تحدَّر إلى العربية الدارجة لدى المتعلمين من لغة **«الرياضيات»** و **(س)** في الرياضيات يُشير إلى المجهول.

وكان أول تجربة في اتخاذ الحروف رمزاً ما ورد في لغة التنزيل في فواتح السور نحو قوله تعالى «ألم، وألمر وطه وطسم، يس، ص، حم، عسق،

ق، ن﴾ وقيل في دلالة هذه الحروف أقوال عدة، واسترجح أهل العلم الرأي القائل: إنها رموز لمعاني القرآن الكريم، أي إن لغة التنزيل كانت من هذه الحروف وما رمتْ إليه في دلالاتها العلميّة.

وقد ورد ذو النون **(لقب النبي يونس)** ثم تحول إلى علم طوال العصور. والنون في العربية **(الحوت)** وهو كذلك في البابلية القديمة. والقاف في العربية جبل أسطوري من زمرد يحيط بالأرض. والجيم: الإبل المغتلمة وقالوا أيضاً **(الديباج)**، وإلى هذا ذهب أبو عمرو الشيباني حين سمى كتابه **(الجيم)**.

لم تجرِ لحد الآن محاولات منهجية جادة على أي مستوى في ميدان ترجمة أو تعريب الرموز والوحدات **(وحدات القياس)** والدلالات والمختصرات والمعادلات والأشكال الإيضاحية والبيانية رغم أهمية هذه الأدوات التعبيرية في بناء اللغة العلمية العربية، وهذا لا ينفي بعض المحاولات الشخصية أو الوقفات المتواضعة لبعض المجامع اللغوية العربية في ترجمة وتعريب بعض الرموز التي استخدمت في التعليم العام أو في الدراسات الجامعية الأولية. وهذه المحاولات والوقفات افتقرت عموماً إلى المنهجية السليمة؛ ولم تتعرض إلى دراسة شمولية من قبل المجامع العلمية العربية كافة للوصول إلى صيغ تلقى قبولاً أكبر ورضاً واستحساناً أكثر لدى المعنيين بالتعريب.

قدّم مجمع اللغة العربية الأردني مشروعاً للرموز العلمية العالمية إلى اتحاد المجامع العلمية العربية، فكان موضوع بحث في اجتماع اتحاد المجامع الذي عقد في القاهرة في ٩ / آذار / ١٩٨٥. واستقر الرأي عندئذ على عقد ندوة موسعة على مستوى العالم العربي لمناقشة المشروع الأردني، وكذلك

لمناقشة مشروع مماثل آخر (ولكنه أقل تفضيلاً) كان قد طرحه مجمع اللغة العربية في القاهرة. عقدت الندوة فعلاً في عمان في ضيافة مجمع اللغة العربية الأردني وذلك خلال المدة من ٢٧ إلى ٢٩ كانون الثاني من عام ١٩٨٧. ناقشت الندوة المشروعين معاً ودرست المقترحات والآراء التي وردت بشأنهما، انتهت الندوة بتبني بعض المبادئ الأساسية التي تضمنت ما يأتي:

١ ـ اتخذت الندوة مشروع مجمع اللغة العربية الأردني ومشروع مجمع اللغة العربية في القاهرة، والردود الواردة من الهيئات والمؤسسات العلمية العربية بشأنهما أساساً لوضع المشروع الموحد للرموز العلمية العربية في المستقبل، أي اعتبار الندوة مجرد منطلق لندوات أخرى دورية في هذا المجال.

٢ ـ اعتمدت الندوة مبدأ التعريب الشامل للرموز العلمية باستخدام الحروف الأبجدية العربية بأشكالها الاعتيادية المعروفة وبأشكال أخرى محورة على أن لاتمس هذه الأشكال جوهر الحروف العربية الأصلية.

٣ ـ أجازت الندوة استخدام الأرقام المغربية والمشرقية معاً باعتبارهما عربيتين.

٤ ـ وأقرت كتابة العلاقات والعمليات والمعادلات كافة من اليمين إلى الشمال وباستخدام الإشارات الدولية مع قلب البعض منها عند اللزوم لمسايرة الكتابة من اليمين إلى الشمال.

إن قضية الرموز العلمية العربية التي كانت موضوع الدراسة في تلك الندوة كانت في الواقع إحدى المشكلات التي واجهت مجمع اللغة العربية الأردني منذ أواخر السبعينات عندما بدأ حملته لتعريب التعليم الجامعي. وقد أقر المتخصصون في الندوة أن الترجمة برموز أجنبية إنما هي مجرد ترجمة وليست تعريباً للعلم، وأن التعريب إنما يتطلب إنبات العلم في بيئة عربية

خاصة، وأن للرمز إيحاءات خاصة لا تنتقل بانتقال الرمز من لغة إلى أخرى. وجهتْ انتقادات حادة للمشروع الأردني تضمنت وصفها بالافتقار إلى المنهجية العلمية السليمة في وضع الكثير من الرموز والاختصارات الغربية.

والأمر الآخر الذي أضعف المشروع الأردني هو في إدخاله حروفاً مجوفة ومعقوفة وممدودة إلى الرموز وذلك بجانب الحروف الاعتيادية، وبإدخاله إشارات غربية مختلفة يصعب قبولها، ويصعب كذلك استعمالها وكتابتها في الحياة العملية.

إن أي مشروع عربي موحد لتعريب الرموز والوحدات والدلالات العلمية العالمية لابد أن يتناول بالبحث والتمحيص جملة من الموضوعات نشير إلى أهميتها في الفقرات الآتية:

١ ـ الرموز الكيميائية العالمية سواء وردت منفردة أو ضمن مركبات أو معادلات كيميائية وموضوع شمولها بالتعريب في الآجل القريب، والخطوات اللازمة لضمان استمرار الطالب في الإلمام بها من حيث الرسم واللفظ الدولي بالطريقة التي أقرها الاتحاد الدولي للكيمياء الصرفة والتطبيقية (IUPAC) وذلك جنباً إلى جنب مع الحروف والرموز العربية حفاظاً على استمرار صلة المتعلم بالأشكال والألفاظ العالمية.

٢ ـ المعادلات الرياضية وسبل إخضاعها إلى النظام العربي من حيث الكتابة من اليمين إلى الشمال. وبإيجاد حروف بديلة كثيرة لتلك التي ليست لها نظائر في الأبجدية العربية مثل (, | | , M , Ψ ,َ Δ، .. **إلخ)**.

٣ ـ الإشارات والعلامات الرياضية والفيزيائية الدولية وموضوع الإبقاء عليها من عدمه **(مثل ❯**، ❮ ، = ، Σ ، ... **إلخ)** وكذلك الاتفاق على

إشارات المنطق الرياضي والتحليل العددي وإشارات نظرية المجموعات والرموز الرياضية الحرفية والعبارات المختزلة ورموز الأعداد المركبة ورموز المصفوفات والمتجهات ورموز الإحصاء والاحتمالات وغيرها.

٤ ـ وحدات القياس الأساسية والفرعية الدولية **(SI - Units)** ورموزها والرموز الدالة على الأجزاء والمضاعفات ورموز الكميات في الرياضيات والفيزياء والكيمياء الفيزيائية وعلوم الكم وعلوم كثيرة أخرى.

٥ ـ الرموز الخاصة المستخدمة في ميادين علوم مختلفة كالدينيمية الحرارية والحركيات الكيميائية وحالة الصلابة والعلوم الإحيائية والهندسية والطبية وغيرها.

٦ ـ الثوابت الدولية الكثيرة مثل ثوابت بولتزمان وبلاتك وفراداي وافوكادرو وثابت الغاز والشحنة الإلكترونية وغيرها.

المختصرات: Abbreviations

لقد نشأ عن تطور العلم واتساعه وتنوع فروعه واختصاصاته مجموعة هائلة من المصطلحات العلمية المركبة. والمصطلح الأجنبي المركب يتكون عادة من كلمتين أو أكثر، ويصل عدد كلماته في بعض الأحيان إلى خمس أو ست كلمات ركبت في اللغة الأجنبية لتكون بمثابة مصطلح علمي واحد. ونظراً لصعوبة نطق مثل هذا المصطلح المركب وصعوبة تكراره عندما يُستخدم كثيراً، فقد لجأ العلماء والمختصون إلى اختصار الكلمات التي يتألف منها المصطلح المركب في حروف بسيطة هي عبارة عن أوائل حروف الكلمات المكونة للمصطلح. والجدول (١) يبين نماذج من هذه المصطلحات المركبة ومختصراتها المعروفة حالياً. وقد اعتمدت هذه المختصرات بدل

المصطلحات المركبة التي تقابلها وذلك تفادياً لتكرارها وتوفيراً للوقت والجهد وتيسيراً للفهم والإفهام. وكان هذا الاتجاه واضحاً في مسيرة اللغة العربية عبر تاريخها التراثي الطويل. واعتبر النحت في العربية جنساً من الاختصار. وكانت العربية تنحت من كلمتين أو أكثر أحياناً كلمة واحدة، فقالوا: **«حولقة»**، وهي اختصار لقولهم **(لاحول ولا قوة إلا بالله)**، و**«بسملة»** وهي اختصار لقولنا **(بسم الله الرحمن الرحيم)**، و **«حمدلة»** وهي اختصار لقولنا **(الحمد لله)** ، و **«حيعلة»** وهي اختصار لقولنا **(حي على الصلاة)** ، و **«سبحلة»** وهي اختصار لقولنا **(سبحان الله)**، وغيرها من الكلمات المنحوتة: إلا أن النحت رغم كونه رافداً مهماً من روافد اللغة العربية ظل مع الأسف يراوح مكانه في مجاله المحدود الذي بدأ به. وليست الأبجدية إلا من **«أبجد»** وهو مجموع أحرف الهمزة والباء والجيم والدال، ومن هنا جاءت **«الأبجدية»** للدلالة على نظام خاص في ترتيب الأصوات من النظام الهجائي المعروف.

وقد ورد في مخطوط قديم لفظ **«تع»** ترمز إلى **«تعالى»** وهي لفظة التعظيم للفظة الجلالة **«الله»**. ومثل هذا قولهم **«رح»** بعد الأعلام وهو اختصار لقولهم **«رحمه الله»** وهذا مما يلجأ إليه عند التكرار، ومثله أيضاً **«رضه»** بعد الأعلام أيضاً وهو اختصار لقولهم **«رضي الله عنه»**، وكذلك قولهم **«عم»** اختصار لقولهم **«عليه السلام»**.

والمختصرات الحديثة صُنعت على طريقة **(النحت)** الذي نعرفه في العربية، وهو أخذ الحرف الأول من كلمات عدة لتركب وتُنحت فتكون **(المختصر)**. ولما كانت المصطلحات المركبة الأجنبية ومختصراتها في تزايد سريع ومستمر، فإنه لابد على العربية أن تستخدم جميع أدوات التعبير

المعروفة من أجل استيعاب هذه المصطلحات. فالنحتُ والاشتقاق والنقل والمجاز والاختزال والتركيب والتعريب كلها أدوات يجب استخدامها لغرض إيجاد المقابلات العربية المناسبة للمصطلحات والرموز والمختصرات والدلالات الأجنبية المختلفة. إن غياب الدراسات اللغوية لموضوع **«المختصرات»** وعدم وجود قواعد تحدد استخدامها في الكتابة العربية قد عاق انتشارها إلى حد كبير.

ويوجد فرق بين المختصر ومنحوت البدوء. فالمختصر يُلفظ عادةً حرفاً حرفاً بينما يلفظ منحوت البدوء كلمة واحدة. فالمختصر AWOL إن لُفظ حرفاً حرفاً فهو مختصر، وكان هكذا في البداية أيام الحرب العالمية الثانية، أما إذا لفظ كلمة واحدة **(أولْ)** فهو يوصف بـ **«منحوت البدوء»**. والمختصرLASER فهو يقرأ كلمة واحدة **«ليزر»**، لذا فإنه يوصف ضمن منحوت البدوء.

إن نشر أسلوب المختصرات في العربية يقضي أن تأخذ المجامع العلمية العربية على عاتقها دراسة المشكلات التي تنشأ عن استخدام المختصرات ووضع قواعد محددة تنظم كيفية صياغتها وإضفاء رونق العربية عليها ونضمها في سياقة الجملة العربية السليمة. إن وسائل الاتصال الفورية من تلفاز وإذاعة وصحافة تفرض علينا يومياً نقل الخبر أو المقالة، وفيها من الكلمات والرموز والمختصرات ومنحوت البدوء ما هو جديد. ووسائل الإعلام لا تملك الوقت الكافي للاستفسار من المجامع العلمية العربية، وحتى إن سألت فإن الجواب على استفسارها يتطلب وقتاً غير قليل، لذا فهي تلجأ إلى الترجمة كيفما اتفق بحسب ذوق المترجم ودرجة علمه، وتنشر ترجمتها كتابة وكلاماً في أعين الناس وفي آذانهم، وبعض ما تنشره يستقر والبعض

الآخر قد يتبدل بعد حين. لابد أن تتطور إذن وسائل المجامع العلمية العربية لتستطيع أن تلبي هذه الحاجات الآتية وتحل هذه المشكلات قبل استفحالها ورسوخها بين الناس.

قد يكون من المفيد اقتراح بعض القواعد للتعامل مع مختصرات المصطلحات المركبة الأجنبية، كأن تتضمن أموراً مثل:

١ ـ رد المختصر الأجنبي إلى أصله، ثم ترجمة الأصل إلى العربية. فالمختصر الأجنبي **(وهو منحوت البدوء)** **LASER** مستخلص من الأصل الأجنبي.

"Light Amplifcation by Simulated Emission of Radiation"

والمقابل العربي لهذا المصطلح المركب يمكن أن يكون على النحو الآتي:

«تضخيم الضوء بالانبعاث المحث للأشعة».

٢ ـ يمكن توليد مختصر للمصطلح المركب العربي بأخذ الحرف الأول من كل اسم بعد تجريده من الـ **«التعريف»** ومن كل كلمة بعد تجريدها من الزوائد. وعند وضع المختصر للمصطلح المركب العربي يستحسن إهمال حروف الجر والعطف وأدوات الاستفهام والشرط والتنبيه وأدوات النداء والضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة إن وجدت في المصطلح المركب العربي. ويكتب المختصر عندئذ بحروف عربية منفصلة دون وضع فواصل بينها. وبتطبيق هذه الأسس على المصطلح المركب العربي **«تضخيم الضوء بالانبعاث المحث للأشعة»** يصبح المختصر **«ض ض أ ح ش»**. وعند

قراءة المختصر تلفظ الحروف العربية بأسمائها **«ض ض ألف حاء شين»** أو تنحت بهيئةمنحوت بدوء إذا وافق المختصر الجرس العربي. وإذا وجدت كلمات دالة على الظرف **(مثل، قبل، بعد، تحت، شمال، ... إلخ)** فإنه يمكن اختصارها أيضاً بعد حذف حرف أو أكثر من آخر الكلمة.

ولعل من المفيد الإشارة إلى منحوت بدوء أجنبي آخر هو **«إيسكا ESCA»** .فالأصل الإنكليزي لهذا المنحوت

(Electron Sectroscopy for cemical Analysis)

الذي يمكن ترجمته إلى : «علم الأطياف الإلكتروني للتحليل الكيمائي» وبتطبيق الأسس السابقة نشتق المختصر العربي **«ع ط أ ت ك»** ، الذي يفضل قراءته **«عين طاء ألف تاء كاف»** أو يحول إلى منحوت بدوء مناسب.

ومن المختصرات الأجنبية الشائعة المختصر الإنكليزي **DNA** المشتق من المصطلح المركب.

«Deoxyribonucleic Acid»

الذي يمكن ترجمته إلى: **«منزوع اوكسي رايبي الحامض النووي»**. فإذا تم قبول هذه الترجمة يُصبح المختصر العربي **«م ح ن»** الذي يُقرأ على النحو **«ميم حاء نون»** في حالة إبقائه مختصراً أو يتم تحويله إلى منحوت بدوء مناسب. ومثل ذلك يقال أيضاً بالنسبة إلى مختصر المركب **RNA**.

٣ ـ المختصرات **«أو منحوتات البدوء»** الأجنبية التي شاع استعمالها وأصبح لها وجود عالمي في اللغات الحية يمكن الاحتفاظ بها بجانب ترجماتها ومختصراتها العربية دون النظر إلى أصولها أو إيحاءاتها. ويمكن أن

تكتب بحروف عربية متصلة وذلك على سبيل التعريب. فقد شاع مثلاً منحوت البدوء **«ليزر»** ورسخ في جميع اللغات العالمية، ولا بأس من الإبقاء عليه بجانب ترجمته ومختصره العربي لاسيما وأنه يوافق الجرس العربي وأن الناس لن تقبل بسهولة التخلص منه، وهذا ينطبق على عدد آخر من المختصرات ومنحوتات البدوء مثل **اليونسكو والأوبك والأيوباك ودي ان أي وأر أن أي ... إلخ.**

٤ ـ يفضل قبول المختصرات الأجنبية الدالة على أسماء الأعلام كما هي وكتابتها بالحروف العربية على النحو الذي ينطقها أصحابها. فالمختصر الأجنبي BET هي الحروف الأولى لأسماء الأشخاص.

Brunauer- Emmett-- Teller

وهناك معادلات رياضية وعلاقات بيانية تقترن بأسماء الأشخاص الثلاثة معاً. ويمكن أن يقرأ المصطلح الأجنبي بالعربية على النحو **«برونر وايميت وتيلر»** حيث حولت الشارحة (-) إلى واو العطف. ويكون المختصر العربي **«بي أي تي»** وليس **«ب أ ت»** الدالة على الحروف الأولى العربية للأسماء الثلاثة.

٥ ـ قد يجري نحت مختصر أجنبي من عدة كلمات وذلك باستعمال أكثر من حرف واحد من كل كلمة، مثال ذلك

المختصر المنحوت: «SURFACTANT»

وهو مستخلص من المصطلح المركب الإنكليزي:

SURfACE ACTIVE AGENT

والمقابل العربي لهذا المصطلح هو **«عامل النشاط السطحي»** الذي

يمكن اختصاره إلى «منشط السطح». ولا نرى داعياً في مثل هذه الأحوال الاستمرار في اختصار هذا المصطلح باستعمال الحرفين الأولين من كلمتي المصطلح العربي المركب.

وهناك مختصرات أجنبية بأنماط أخرى نشير إلى بعض منها في الفقرات الآتية:

أ ـ اختصار كلمة أجنبية واحدة وذلك بحذف بعض الأحرف الأخيرة من الكلمة مثل اختصار Chemistry إلىChem و Physics إلى Phys... وهكذا.

ب ـ وقد يتضمن المختصر الأجنبي حروفاً مختارة من الكلمة كاختصار كلمة Precipitant (الراسب) إلى ppt لتسهيل التكرار.

ج ـ اختصار بعض الظواهر أو العمليات باستعمال الحروف الأولى من المصطلح الإنكليزي: مثل اختصار:

b.p.	إلى	boiling point
f.p.	إلى	freezing point
t.p.	إلى	transition point
b.c.c.	إلى	body - centered cubic
c.p.h.	إلى	close - packed hexagonal
c.c.p.	إلى	cubic close - packed

د ـ المختصرات الخاصة بأسماء الدوريات العلمية مثل:

J.Chem. Soc., Faraday Trans.

J. Am. chem.Soc.

J. chem. Phys.

corros. Sci.,

هـ ـ مختصرات المركبات الكيمائية والجذور واللاجنات أو المجاميع الوظيفية مثل:

dmg = dimethylglyoxime

Py= pyridine

en = ethylenediamine

dien = diethylenediamine

H2ox = Oxalic acid

Etbg = ethylbiguanide

و ـ أنواع كثيرة أخرى من المختصرات تستعمل في العلوم المختلفة وللأغراض المختلفة.

يمكن أن يتم التعامل مع هذه المختصرات بالأسس التي أوردناها (من ١ إلى ٥) سابقاً. والتعامل مع هذه الأنماط من المختصرات يكون أسهل كما يتراءى لنا من التعامل مع المصطلحات.

أرجو أن أكون قد وفقتُ في استعراض بعض مشكلات التعريب التي تستحق العناية والاهتمام من قبل المجامع العلمية واللغوية العربية. وفي جلب الانتباه إلى ضرورة الإسراع في معالجة هذه المشكلات التي تواجه العربية بإصرار في الوقت الحاضر.

الخلاصة:

تناولت الدراسة موضوع تعريب أدوات التعبير الأجنبية مثل الرموز العلمية ووحدات القياس الدولية والدلالات والمعادلات الرياضية والكيميائية ومختصرات المصطلحات المركبة، وكل ما من شأنه التعبير عن معنى أو مفهوم خاص بصورة رمزية مختزلة دقيقة متعارف عليها. تعرضتْ الدراسة إلى أهم الصعوبات والمشاكل التي تقترن بتعريب تلك الأدوات. تطرقت الدراسة إلى أهمية تعريب هذه الأدوات التعبيرية والمحاولات التي تمت من قبل بعض المجامع العلمية والعربية في هذا المضمار، وأظهرت بعض جوانب الخلل والنقص في تلك المحاولات. انتهت الدراسة بتقديم بعض المقترحات للاستفادة منها عند استئناف بحث تعريب تلك الأدوات مستقبلاً.

بعض المصادر المعتمدة:

١ ـ الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية، ندوة عمان، كانون الثاني ١٩٨٧، اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، عمان ١٩٨٨.

٢ ـ إبراهيم السامرائي، المختصرات والرموز في التراث العربي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٢)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الصفحات (١٠٥ ـ ١١٤).

٣ ـ عبد المجيد نصير، منحوتات البدوء، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٢)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، الصفحات (١١٥ ـ ١٢٠).

٤ ـ محمود شكري الآلوسي، كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده، تحقيق محمد بهجة الأثري، بغداد، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨م.

٥ ـ نهاد الموسى، النحت في اللغة العربية، الرياض ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤م.

٦ ـ سيد رمضان هذارة، المصطلح العلمي بين الترجمة والتعريب، ندوة عمان ١٩٨٧، اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ١٩٨٨م.

٧ ـ محمود مختار، اللغة العربية، سماتها ومفرداتها ورموزها، ندوة عمان ١٩٨٧م، اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ١٩٨٨م.

٨ ـ عبد الكريم خليفة، المختصرات وطريقة أدائها باللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٨)، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، الصفحات (١١ ـ ٢٢).

٩ ـ الموسم الثقافي الخامس عشر لمجمع اللغة العربية الأردني، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٠ ـ مجيد محمد علي القيسي، مناهج المصطلح الكيميائي العربي ومقاييسه، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٣٧)، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، الصفحات (١٢١ ـ ١٧٦).

١١ ـ فاضل صالح السامرائي، توليد المعاني في العربية، لغة الضاد، وقائع ندوة دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي، بغداد، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، الصفحات (٤١ ـ ٤٩).

١٢ ـ محمد ضاري حمادي، وسائل وضع المصطلح العلمي، مجلة المجمع العلمي / بغداد، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، الجزء الأول، المجلد (٤٥)، الصفحات (٦١ ـ ٧٢).

الجدول I

بعض المصطلحات الأجنبية المركبة ومختصراتها

المقابل العربي للمصطلح	المختصر	المصطلح الاجنبي المركب
علم أطياف إلكترونات أوشير	AES	Auger Electron Spectroscopy
منظمة الجامعة العربية للتربية والثقافة والعلوم	ALESCO	Arab League Educational, Scientific and Cultural Organization
علم أطياف الجهد الظاهر	APS	Appearance Potential Spectroscopy
تركيز ميسيل الحرج	CMC	Critical Micelle Concentration
طيفيات (علم اطياف) فقدان طاقة الإلكترونات	EELS	Electron Energy Loss Spectroscopy
طيفيات (علم الأطياف) أوشير لارتطام الإلكترونات	EIAS	Electron Impact Auger Spectroscopy
القوة الدافعة الكهربائية	EMF	Electromotive Force
رنين توازي المغناطيسية الإلكتروني	EPR	Electron Paramagnetic Resonance
الابتزاز المحفز للإلكترونات	ESD	Electron Stimulated Desorption
دراسة البنى الدقيقة بامتصاص الأشعة السينية الممتدة	EXAFS	Extended X-Ray Absorption Fine Structure
دراسة البنية الدقيقة بفقدان الإلكترونات الممتدة	EXELFS	Extended Electron Loss Fine Structure
مُجهر الانبعاث المجالي	FEM	field -- Emission Microscopy
مُجهر الأيون المجالي	FIM	Field - Ion Microscopy
علم اجهار الميز العالي الإلكتروني	HREM	High Resolution Electron Microscopy
علم أطياف الاختراق الإلكتروني غير المرن	IETS	Inelastic Electron Tunnelling Spectroscopy
استطارة الإلكترونات غير المرنة لو علم أطياف تعادل الأيونات	INS	Inelastic Neutron Scattering or Ion - neutralization spectroscopy
الاتحاد الدولي للكيمياء الصرفة والتطبيقية	IUPAS	International Union of Pure and Applied Chemistry

الاتحاد الخطي للمداريات الذرية	LCAS	Linear Combination of Atomic Orbitals
حيود إلكترونات الطاقة الوطيئة	LEED	Low Electron Energy Diffration
الاستطارة المخالفة لأيونات الطاقة الواطئة	LEIBS	Low Energy Ion Back - Scattering
تضخيم الأمواج الدقيقة بالانبعاث المحث للأشعة	MASER	Microwave Amplification by Simulated Emission of Radiation
علم أطياف الإلكترونات الضوئية	PES	Photoelectron Spectroscopy
علم أطياف تحت الحمراء الانعكاسي الامتصاصي	RA--IRS	Reflection Absorption -- Infrased Spectroscopy
علم أطياف الكتلي للأيونات الثانوية	SIMS	Secondary Ion Mass -- Spectroscopy
علم إجهار مسح الإلكترون النفاذي	STEM	Scanning Transmission Electron Microescopy
أطياف الابتزاز الحراري	TDS	Thermal Desorption Spectra
علم إجهار الإلكترون النفاذي	TEM	Transmission Electron Microscopy
منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم	UNESCO	United Nation Educational , Scientific and Cultural Organization
علم أطياف الإلكترون الضوئي فوق البنفسجية	UPS	Ultraviolet Photoelectron Spectroscopy
علم أطياف الإلكترون الضوئي للأشعة السينية	XPS	X- Ray Photoelectron Spectroscopy

(جلسة الختام)

التقرير الختامي

برعاية كريمة من سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية أقام اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق ندوة عنوانها (إقرار منهجية موحّدة لوضع المصطلح العلمي العربي وسبل توحيده وإشاعته) ، وذلك في المدة من ١٦ إلى ١٩ رجب ١٤٢٠ هـ ومن ٢٥ إلى ٢٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٩م، في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق.

وقد اشتملت الندوة على أربعة محاور[١].

المحور الأول – الإفادة من كتب التراث العربي وجهود الهيئات العلمية المختلفة

أ – الإفادة من كتب التراث العربي .

ب – الإفادة من المؤلفات الحديثة في وضع المصطلح العلمي العربي .

جـ – الإفادة من جهود الهيئات العلمية العربية والأجنبية التي تعنى بالمصطلح العلمي العربي .

المحور الثاني – أساليب وضع المصطلح العلمي العربي.

أ – المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده .

ب – الاشتقاق بدلالته الواسعة .

جـ – الإفادة من الصيغ الصرفية المختلفة في وضع المصطلح وتوليده.

د – إمكان اللجوء إلى النحت عند الضرورة .

هـ – ترجمة المصطلحات الأجنبية وشروطها .

---

(١) سبق ذكر هذه المحاور في مفتتح الجزء الثالث (مج ٧٥): ص أ – ب .

و – تعريب المصطلحات الأجنبية .

ز – النظر في السوابق واللواحق والدوامج الأجنبية وما يصلح استخدامه في وضع المصطلح العربي .

المحور الثالث – المصطلح والتقنيات الحديثة

أ – الاشتقاق والتصريف بالحاسوب لصياغة المصطلح.

ب – النظم الخبيرة والمصطلح (نظام الصرف والنحو والدلالة).

جـ – العناصر المتعددة في الحاسوب (الصوت والصورة والفيديو).

د – بنوك المصطلحات .

هـ – النصوص الفائقة والمصطلح .

و – المكانز الحاسوبية والذخيرة اللغوية.

ز – الإنترنت وشيوع المصطلح .

المحور الرابع – سبل توحيد المصطلح وإشاعته .

أ – سبل توحيد المصطلح العلمي العربي .

ب – سبل إشاعة المصطلح العلمي العربي الموحَّد .

وقد أقيم حفل افتتاح الندوة في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٩ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد، وحضر الحفل السيّد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية، ممثل راعي الحفل، والسادة أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية، وأعضاء القيادة القطرية، والوزراء، والسفراء العرب، ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ورئيس المجمع العلمي ببغداد، ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وأعضاؤه، وصفوة مختارة من علماء العربية والمشتغلين بمختلف العلوم جاؤوا من الأردن والجزائر والسعودية

والسودان وسورية والعراق وفلسطين ولبنان وليبيا ومصر والمغرب. وألقيت في الحفل كلمات كل من :

السيد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية ممثل راعي الندوة.

الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي.

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

الأستاذ الدكتور ناجح الراوي رئيس المجمع العلمي ببغداد، ممثلاً الوفود المشاركة في الندوة.

وقد عقدت الندوة على مدى الأيام الأربعة التي استغرقتها سبع جلسات في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية، ألقي فيها ستة وعشرون بحثاً، وذلك على النحو الآتي :

الجلسة الأولى :

عقدت في الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر الاثنين ٢٥/ ١٠/ ١٩٩٩، وترأسها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتولّى عمل المقرِّر فيها الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وألقيت فيها البحوث الآتية :

١ – منهجية وضع المصطلحات وتطبيقاتها، للأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب .

٢ – وسائل وضع المصطلح العلمي في العربية، للأستاذ الدكتور محمد ضاري حمّادي .

٣ – منهجية وضع المصطلحات العلمية، للأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمي .

٤ – المبادئ الأساسية في وضع المصطلح العلمي، للأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان .

وفي الساعة الثامنة مساء اليوم نفسه أقام سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، راعي الندوة، مأدبة عشاء في نادي الشرق تكريماً للمشاركين فيها، وناب عنه في حضورها السيد الدكتور محمد زهير مشارقة نائب رئيس الجمهورية .

الجلسة الثانية

عقدت في الساعة العاشرة صباح يوم الثلاثاء ٢٦/ ١٠ / ١٩٩٩، وترأسها الأستاذ الدكتور ناجح الراوي رئيس المجمع العلمي ببغداد، وتولّى أعمال المقرِّر فيها الأستاذ الدكتور محمد أحمد الدالي، وألقيت فيها البحوث الآتية :

١ – منهج مقترح لوضع المصطلح العلمي العربي بمساعدة الحاسوب، للدكتور عماد صابوني .

٢ – المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده، للأستاذ الدكتور محمود السيد .

٣ – التكنولوجية الحديثة والمصطلح العلمي العربي في ظل اقتصاد المعرفة، للدكتور محمد مراياتي .

٤ – السوابق واللواحق وأهميتها في فهم ووضع المصطلح العلمي، للأستاذ الدكتور زهير البابا .

٥ – السوابق واللواحق والمصطلح العربي، للأستاذ الدكتور سامي عبد المهدي المظفَّر (ألقي بالنيابة عنه) .

الجلسة الثالثة

عقدت في الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر الثلاثاء ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٩، وترأسها الأستاذ الدكتور إحسان النص نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وتولّى أعمال المقرِّر فيها الأستاذ الدكتور مختار هاشم عضو المجمع، وألقيت فيها البحوث الآتية :

١ - توحيد المصطلح وتعميمه : المقاصد والأبعاد، للأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر .

٢ - سبل توحيد المصطلح العلمي العربي ومشكلاته، للأستاذ الدكتور أحمد شيخ السروجية .

٣ - في الطريق إلى مصطلح علمي عربي موحد، للأستاذ الدكتور محمد أحمد الدالي .

٤ - واقعية المبادئ الأساسية في وضع المصطلح وتوليده، للأستاذ الدكتورعز الدين البوشيخي .

الجلسة الرابعة

عقدت في الساعة العاشرة صباح يوم الأربعاء ٢٧/ ١٠/ ١٩٩٩، وترأسها الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتولّى أعمال المقرِّر فيها الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وألقيت فيها البحوث الآتية :

١ - تأملات في مصطلحات علم السكان، للأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي .

٢ – المصطلح العلمي بين الأمس واليوم، للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي.

٣ – توحيد المصطلح العلمي العربي من خلال التجربة الليبية للأستاذ الدكتور مصطفى محمد أبو شعالة .

٤ – بحث حول المصطلح، للأستاذ الدكتور محمد جواد النوري .

٥ – نحو معجم عربي موحَّد لمصطلحات الأدب والنقد، للأستاذ الدكتور عبد النبي اصطيف .

الجلسة الخامسة

عقدت في الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر يوم الأربعاء ٢٧/١٠/١٩٩٩، وترأسها الأستاذ الدكتور أحمد شفيق الخطيب، وتولّى أعمال المقرِّر فيها الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد أُلقيت فيها البحوث الآتية :

١ – قصة التعريب في مصر، للأستاذ الدكتور محمود حافظ .

٢ – منهجية وضع وتحديد المصطلح العلمي العربي وواقعنا المعرفي، للأستاذ الدكتورمحمد العربي ولد خليفة .

٣ – اللغة والمصطلح، للدكتور عز الدين النجار .

٤ – مسيرة تعريب المناهج بالكليات العلمية بالجماهيرية، للأستاذ الدكتور عبد الكريم أبو شويرب .

وفي الساعة الثامنة مساء اليوم نفسه أقام الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق مأدبة عشاء في مطعم قصر النبلاء تكريماً للمشاركين في الندوة .

الجلسة السادسة

عقدت في الساعة العاشرة صباح يوم الخميس ٢٨/ ١٠/١٩٩٩، وترأسها الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي عضو أكاديمية المملكة المغربية، وتولّى أعمال المقرِّر فيها الأستاذ الدكتور عادل العوا عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد ألقيت فيها البحوث الآتية :

١ - انتشار المصطلح العلمي بالإنترنت، للأستاذ الدكتور دحام اسماعيل العاني .

٢ - إرجاع الأعجمي إلى أصله العربي هل يحل مشكلة التعريب للأستاذ الدكتور علي فهمي خشيم .

٣ - الإفادة من كتب التراث في وضع المصطلحات، للأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي .

٤ - المعجم العلمي المختص: المنهج والمصطلح، للأستاذ جواد حسني سماعنه.

الجلسة السابعة الختامية

عقدت في الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر يوم الخميس ٢٨/١٠/١٩٩٩، وترأسها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، وتولّى أعمال المقرِّر فيها الأستاذ جورج صدقني عضو المجمع.

في هذه الجلسة تمَّت قراءة قرارات الندوة وتوصياتها ومناقشة هذه القرارات والتوصيات، كما تليت برقية الشكر والعرفان التي رفعها المشاركون في الندوة إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد راعي الندوة[١]، وهذا نصها :

---

(١) انظر نص البرقية في مطلع هذه الندوة الجزء الثالث من المجلد ٧٥ ص (د) .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كلمة ختامية، أشاد فيها بالجهود التي بذلت في الندوة، وأعرب عن سعادته بما أثمرت من ثمار طيبة، داعياً إلى متابعة السعي الدؤوب إلى تطبيق قرارات الندوة خدمة للعربية الشريفة.

ثم ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، رئيس الجلسة كلمة موجزة إيذاناً بانتهاء أعمال الندوة .

القرارات والتوصيات

عقدت لجنة الصياغة المؤلفة من :

١ – الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان	رئيساً
٢ – الأستاذ جورج صدقني	مقرراً
٣ – الأستاذ الدكتور مختار هاشم	عضواً
٤ – الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا	عضواً
٥ – الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد	عضواً
٦ – الأستاذ الدكتور عادل العوا	عضواً
٧ – الأستاذ الدكتور محمد أحمد الدالي	عضواً

عدة اجتماعات درست فيها مجمل البحوث والاقتراحات التي عرضت في الندوة، ورجعت إلى مجمل قرارات مجامع اللغة العربية، ولاسيما مجامع القاهرة ودمشق وبغداد بشأن منهجية وضع المصطلح العلمي العربي، واستأنست في هذا المجال أيضاً بتوصيات ندوة الرباط (١٨– ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٨١)، وندوة عمّان (٦– ٩ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣)، ومؤتمر التعريب السابع في الخرطوم (٢٥/ ١– ١/٢/ ١٩٩٤)، وعلى هدي هذا كله خلصت إلى القرارات والتوصيات الآتية :

أولاً – القرارات

وهي القرارات المتصلة بتعريف المصطلح العلمي وبالمبادئ الأساسية للمنهجية الموحَّدة في وضع المصطلحات العلمية العربية .

آ – **تعريف :** المصطلح العلمي لفظ يصطلح عليه أهل العلم المتخصصون للتفاهم والتواصل فيما بينهم . والمصطلح العلمي العربي المتخصص هو دعامة اللغة العلمية العربية الموحَّدة .

ب – المبادئ الأساسية لوضع المصطلح :

١ – الحرص على استعمال ماجاء في التراث العربي من مصطلحات عربية أو معرَّبة وتفضيل المصطلحات التراثية على المولَّدة .

٢ – إلحاق كل مصطلح بتعريف موجز دقيق يبيِّن دلالته العلمية .

٣ – عندما ينقل مصطلح علمي من الأجنبية إلى العربية يُبدأ بإثبات معنى أصله في اليونانية أو اللاتينية أو غيرهما ثم يوضع المقابل العربي .

٤ – تفضيل مصطلح واحد للمعنى العلمي الواحد في الحقل الواحد .

٥ – تفضيل الكلمة التي تتيح الاشتقاق على ٣ي لاتتيحه .

٦ – تفضيل الكلمة المفردة لأنها تتيح الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع .

٧ – تفضيل الكلمة الشائعة الصحيحة على الكلمة المتروكة أو الغريبة .

٨ – تفضيل الكلمات العربية الفصيحة على الكلمات المعرَّبة، إلا إذا اشتهر المعرَّب، وتجنُّب النافر من الألفاظ .

٩ – تجنُّب الكلمات العامية إلا عند الضرورة، ويفضَّل في هذه الحالة أن تكون شائعة في أكثر من قطر عربي، وأن يشار إلى عاميتها بوضعها بين قوسين.

١٠ – مراعاة مااتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم، معرَّبة كانت أو مترجمة .

١١ – التعريب عند الحاجة، ولا سيما المصطلحات ذات الصبغة العالمية، وأسماء الأعلام المستعملة مصطلحات، والعناصر والمركبات الكيمياوية.

١٢ – مسايرة النهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية، وذلك باعتماد التصنيف العشري الدولي لتصنيف المصطلحات، واستكمالها وتعريفها، وترتيبها بحسب حقولها وفروعها .

١٣ – يفضَّل في حال المترادفات، أو الكلمات القريبة من الترادف، أقرب الألفاظ صلة بالمعنى المقصود .

١٤ – عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها، يجب تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها. ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات المعاني المتقاربة أو المتشابهة الدلالة، فتُعالَج كلها مجموعة واحدة .

١٥ – عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتي :

آ – ترجيح مايسهل نطقه بالعربية من الألفاظ المعرَّبة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية .

ب – التغيير في شكل اللفظ لكي يصبح مستساغاً وموافقاً للصيغ العربية، على أن لا يؤدي هذا التغيير إلى وضع كلمات يكون لها بالعربية معان محدَّدة غير المعنى المقصود .

ج – يُعَدّ المصطلح المعرَّب عربياً، يخضع لقواعد اللغة، ويجوز فيه، عند الضرورة، الاشتقاق والنحت .

د – تصحيح الكلمات العربية، التي حرفتها اللغات الأجنبية، واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح .

هـ – ضبط الكلمات عامةً، والمعرَّب منها خاصةً بالشكل حرصاً على صحة نطقها .

١٦ – ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي

ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

١٧ – إذا كان لـلّفظ العلمـي مقابـل في اللغة الـعربيـة يؤدي معناه فُـضِّل المصطلح العربي القديم على الجديد، إلا إذا شاع .

١٨ – إذا لم يكن للّـفظ العلمي الأعجـمي مقابل فـي اللغة العربـية تُرجم بمعناه كلما كان قـابلاً للترجمة، أو وُضع مقابله لفظ عـربي يؤدي معناه، ويُرجَع في ذلك إلى الاشتقاق والمجاز، وفي الضرورة يُلجَأ إلى النحت والتركيب المزجي والتركيب الإضافي.

١٩ – إذا تعـذر وضع لفظ عـربي بإحـدى الوسـائل المذكـورة يُلجـأ إلى التعريب عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم .

جـ – تكوين شـبكة لغوية لاتحاد المجامع لكل مجمع لـغوي وهيئة علـمية ممثل فيهـا مهمته العمـل على إذاعة قرارات الاتحاد وتعميـمها، ومراجعة مـاتنتجه المجامع والـهيئـات العلميـة من مصطلحـات ومعاجـم في موطنه وبالمـثل ماينتـجه الأفراد العلميون ومدى الالتزام بالمنهجية العلمية .

ثانياً – التوصيات

١ – توصي الـندوة اتحاد المجـامع اللغـوية العلـميـة العربيـة أن يكلـف لجنة تأليف كتاب مرشد يشرح المبادئ الأساسية للمنهجية الموحَّدة التي أقرتها الندوة، ويتضمَّن بياناً واضحـاً شافياً لكل مبدأ من مبادئها، مع تقديم أمـثلة مناسبة تساعد على وضعها موضع التطبيق وضعاً صحيحاً ودقيقاً.

٢ – ولتوحيد المصطلح العربي توصي الندوة باتباع الخطوات الآتية :

آ– تقوم مجامع اللغة العربية في كل قطر عربي بتعرُّف المؤسسات والهيئات التي تضع مصطلحات علمية عربية، أو تعتمد مصطلحات علمية عربية، وتطلب المجامع إلى هذه المؤسسات والهيئات أن تزوِّدها بما لديها من مصطلحاتٍ علمية عربية وضعتْها أو اعتمدتْها .

ب– تعمل مجامع اللغة العربية بالتعاون مع الوزارات والمؤسسات والهيئات ذات العلاقة على توحيد مصطلحات القطر، مجالاً مجالاً، وفق خطة توضع لذلك .

ج– تُرفع المصطلحات القطرية الموحَّدة إلى مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية مجالاً مجالاً .

د– يدرس مجلس الاتحاد مايجتمع لديه من المصطلحات القطرية الموحَّدة، ويتخذ قراراً بشأنها، ثمّ يتولّى طبعها ونشرها .

هـ– تضع مجامع اللغة العربية أو مايماثلها، في موازناتها السنوية، بنوداً لتعويضات (أو مكافآت) أعضاء اللجان التي تكلَّف توحيد المصطلحات العلمية العربية.

٣– ولإشاعة المصطلح العربي توصي الندوة بما يأتي :

آ– الإفادة من ثورة الاتصالات باستخدام التقانات الحديثة، كالحاسوب والإنترنت ، وبإنشاء مواقع لمجامع اللغة العربية عليها وشبكة تربط بينها.

ب – الإفادة من تقانة المعلومات لتعريب التعليم العالي والجامعي، وترجمة العلوم إلى العربية، ووضع المصطلحات بمساعدة الحاسوب .

ج – الإفادة من تقانة الإعلام لتوحيد المصطلح وإشاعته.

د– العمل على وضع معاجم المصطلحات الموحَّدة والمعاجم الحاسوبية في العلوم المختلفة على الإنترنت .

٤– اعتماد طريقة قياسية أو شبه قياسية لمقابلة السوابق واللواحق في

الألفاظ الأجنبية، ووضع جداول لها تحوي أمثلة وتطبيقات عليها .

٥ – الإسراع في وضع المصطلحات العربية المقابلة لما يأتي من مصطلحات أجنبية حين استعمالها، وتعميمها على وسائل الإعلام وغيرها.

* * *

لقد أجمع رأي المشاركين في الندوة على أن وضع المصطلح لايحقق الغاية منه ما لم ينتشر ويعمّ استعماله ولهذا :

١ – تناشد الندوة الحكومات العربية أن تصدر القرار الملزِم بتعريب العلوم والتعليم العالي والجامعي في جميع الاختصاصات .

٢ – السعي إلى إنشاء مؤسسة قومية للترجمة لنقل أمهات الكتب في العلوم الحديثة إلى العربية وذلك دعماً لحركة تعريب التعليم العالي والجامعي.

٣ – كما تناشدها أن تتخذ الإجراءات القانونية والإدارية ليكون لمقررات مجامع اللغة العربية واتحاد المجامع قوةٌ تنفيذية إلزامية في وزارات الدول العربية ومؤسساتها العامة، ولاسيما وزارات الإعلام في جميع وسائله المقروءة والمسموعة والمرئية .

٤ – تدعو الندوة كل حكومة عربية لمّا ينشأ في بلادها مجمع للّغة العربية أن تبادر إلى إنشائه في أقرب وقت، حتى تتضافر جهود المجامع الشقيقة في رحاب اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، في خدمة العربية، وتعزيز مكانتها وقدراتها على مواكبة التقدّم المتسارع في العلوم والتقانات الحديثة.

٥ – تدعو الندوة الحكومات العربية إلى إنشاء بنك مصطلحات مركزي، ترتبط به بنوك المصطلحات العربية، يكون مقرّه اتحاد المجامع اللغوية العربية .

* * *

ويتوجه المشاركون في الندوة بالشكر الجزيل إلى اتحاد المجامع ومجمع اللغة

العربية بدمشق والباحثين لما بذلوه فيها من جهد لإنجاح أعمالها، ويرفعون أسنى آيات التقدير والإكبار إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لرعايته الكريمة التي شملت أعمال هذه الندوة، والتي كانت خير حافز إلى إنجاح أعمالها، والتي ستكون، بإذن الله، خير عونٍ لوضع قراراتها وتوصياتها موضع التنفيذ، خدمةً للُّغة العربية وإعلاء لشأنها، لتواكب السرعة المذهلة في تقدم العلوم الحديثة.

كلمة ختامية

الدكتور شوقي ضيف

يسعدني أن أشكر باسم اتحاد المجامع اللغوية واسمي الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع دمشق لدعوته اتحاد المجامع أن يقيم ندوته في هذا المجمع العريق لوضع منهجية موحدة لصوغ المصطلح العلمي، كما أشكر الأستاذ الدكتور إحسان النص نائب رئيس المجمع لتنظيمه الندوة بهذه الصورة الرائعة. وأشكر أعضاء المجامع اللغوية والهيئات العلمية والجامعات السورية الذين لبوا دعوة الاتحاد للندوة وقدموا لها بحوثاً علمية خصبة أثرتها، وأسهموا - بذلك - في المنهجية العلمية المنشودة .

وتعلمون حضراتكم أن الاتحاد أنشيء لغرض توحيد المصطلح العلمي بين المجامع اللغوية والهيئات العلمية والعلماء في الوطن العربي، وأقام لذلك ندوات في مجمع دمشق وبيت الحكمة بتونس بُحثت فيها أربعة معاجم لمجمع القاهرة، وأُقِرَّتْ. غير أن توحيد المصطلح العلمي في وطننا العربي ظل بعيد المنال لكثرة المعاجم التي تصدر عن المجامع والعلماء المشتغلين بنقل العلوم

الغربية وتعريبها، وكثرة الفروق بين مصطلحات تلك المعاجم، مما يحدث بلبلة في تعريب العلوم الغربية، ويقلل الأمل في أن تكون للعرب – في عصرنا – نهضة علمية مشتركة، لذلك رأى الاتحاد أن يعالج قضية المصطلحات العلمية وتوحيدها في منابعها مما جعله يقيم هذه الندوة لتضع منهجية أو دستوراً مشتركاً للأمة في صوغ المصطلحات العلمية بحيث تصبح موحدة أو على الأقل تجعل الفروق تضيق بين المجتهدين في وضعها من أعضاء المجامع والهيئات العلمية.

وفي رأيي أن تتخذ ندوتنا قراراً بتكوين الاتحاد شبكة لغوية، لكل مجمع لغوي وهيئة علمية ممثل فيها، ومهمتها مراجعة ما تنتجه الأمة من مصطلحات علمية طوال العام، ويراقبون تنفيذ المنهجية الموضوعة، ويبلغون الاتحاد عن كل مخالفة لها، ويعملون على تعميمها، وسيبلغ الاتحاد المجامع والهيئات العلمية بهذا القرار لتختار من يمثلها في تلك الشبكة ويقرر لهم الاتحاد مكافآت ويحضرون اجتماعاته وندواته ومؤتمراته، ويتدارسون مع مجامعهم وهيئاتهم العلمية ما قد يُعرض عليهم من معاجم علمية أو مجاميع تضم مصطلحات بعض العلوم.

واتحاد المجامع والهيئات العلمية إنما يدفعه إلى العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي الرغبة في واقع

تتكامل النهضة العلمية في بلداننا العربية بحيث تكون لها لغة علمية ذات مصطلحات واحدة، يكتب العلوم الغربية الحديثة بها البغدادي والسعودي والشآمي والمصري والسوداني والليبي والتونسي والجزائري والمغربي والموريتاني دون أن تكون هناك أية فروق في علوم أي شعب عربي بالقياس إلى علوم أي شعب شقيق. وهو ما كان قائماً في نهضتنا العلمية العربية حين أحدثتها أمتنا وظلت قروناً متحدةً في لغتها ومصطلحاتها بكل بلدانها وجامعاتها ومؤسساتها وأفرادها العلميين، وكان العالم حين يبرح بغداد ويتوجه إلى الغرب في أي بلد عربي يجد العلم المتخصص فيه بنفس صورته التي خلّفها وراءه في بغداد، وكان العالم في دمشق أو القاهرة أو تونس يبني على ما خلفه علماء العرب في الأقطار الأخرى. وازدهرت العلوم والفلسفة بأقصى الغرب في الأندلس، ولم تزدهرا من فراغ، بل ازدهرتا لأنهما وضعتا على أساس ما وضعه علماء المشرق فيهما من قواعد عريضة.

يريد الاتحاد أن يعود للأمة تاريخها المجيد في نهضتها العالمية في العلم، بحيث تجتمع مجامعها وهيئاتها وجامعاتها ومؤسساتها في عصرنا الحاضر وجميع الأفراد من العلماء الأفذاذ على لغة علمية موحدة في مصطلحاتها، وليس ذلك مطلباً للاتحاد عسيراً، بل هو مطلب ميسر لعلماء الأمة إذا أرادوه وصمموا عليه

وعملوا له، وتقيدوا بما قدمته لهم هذه النـدوة مـن منهجيـة علميـة قويمة أجمعت عليها هـذه الصفـوة مـن علمـاء المجـامع والهيئـات العلمية والجامعات السورية.

والاتحـاد يَعِـدُ هـذه النـدوة والعلامـة الجليـل الدكتـور عبـد الحـافظ حلمـي أن ينفـذ اقتراحـه بتـأليف كتـاب يصـور بـه قواعـد المنهجية.

وأعود إلى شكر الاتحاد للأستاذ الدكتور شاكر الفحام ونائبه الأستاذ الدكتور إحسان النـص علـى مـا بـذلا مـن جهـود فـي هـذه الندوة، كما أشكر جميع من حضروا جلساتها واشتركوا في مناقشة البحوث بأفكارهم الخصبة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ الجليل الدكتور شوقي ضيف رئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية – رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الأساتذة المجمعيون : رؤساء وأعضاء

السادة العلماء الأفاضل المشاركون في الندوة

أيها الحفل الكريم

أحييكم أحسن التحيات وأكرمها، وأشكر لكم كل الشكر تفضلكم بمشاركتنا في هذه الندوة التي جمعتنا لنبحث في أمر له شأنه وأثره في تطوير العربية وازدهارها، وجعلها مواكبة لمسيرة العصر، مستجيبة لمتطلباته المتجددة، وهو:

اقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي

وسبل توحيده وإشاعته

لقد ضمت الندوة نخبة طيبة من الأساتذة العلماء الكرام الذين

توافدوا من شتى الأقطار العربية، يُقدّم كل منهم خير ماانتهى إليه في دراسة موضوعه، وقضينا في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق أياماً أربعة، نعمل بنشاط ودأب. واستمعنا الى البحوث الجادة التي تناولت محاور الندوة الأربعة، فأحسنت العرض، وعالجت القضايا المطروحة معالجة جادة مستوعبة، وقدمت المقترحات التي تيسر الوصول إلى الهدف .

ثم كان التعقيب على البحوث الملقاة، يقوم به الأساتذة الحضور في ختام كل جلسة، يتبادلون الآراء، ويقلّبون وجوه النظر، مما أخصب البحوث، وأغناها .

لقد نوّهت البحوث بما للمنهجية الموحدة من شأن في توحيد المصطلح لتيسير تداوله ونشره، وأسفرت عن قرارات وتوصيات توّجت التجارب الغنية التي قام بها العلماء، فرادى، وفي مؤسساتهم، على مدى عقود من السنين، وهم يعرضون طرائقهم المثلى التي ارتضوها في صوغ المصطلح العلمي العربي، يسدّدُ اللاحق مافات السابق .

وكانت جهود مضنية، مهّدت الطريق اللاحب لهذه القرارات والتوصيات التي انتهت إليها الندوة، فكانت الفتح المبين، وكانت البشير بضم المساعي لإنبات العلم العربي في الأرض العربية ونموّه بلسان عربي مبين، لاعوج فيه ولا أمْت ولا اختلاف .

لقد غمرتني السعادة وأنا أتابع البحوث والمناقشات وما انتهت إليه في اقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي .

وها أنا ذا أتطلع اليوم بتفاؤل واستبشار إلى الخطوة الحاسمة المقبلة التي يتمّ فيها عرض المنهجية على اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في اجتماعه القادم لمناقشتها واقرارها .

واني، أيها الإخوة الأعزة، لأشكر لكم أجمل الشكر مشاركتكم الغنية الخصبة التي قادت خطانا إلى تحقيق ماكنا نصبو إليه، فلنتابع السير لنبلغ الهدف، يملأ قلوبنا الإيمان، ويشد قوانا العزم والتصميم .

يطيب لي، في ختام كلمتي أن أقدّم الشكر، أطيبه وأجزله، إلى أستاذنا الجليل، أستاذ الجيل الدكتور شوقي ضيف الذي وقف نفسه لخدمة العربية، وبذل في سبيلها ماب...

وإني لأتشوف إلى لقاءات أخرى نواصل فيها العمل، ونغذُّ السير حتى تغدو لغتنا العربية الشريفة احدى اللغات العلمية العالمية، وتستأنف سيرتها الأولى يوم كانت في مقدمة لغات العالم عطاءً وإبداعاً. وما ذلك على الله بعزيز .

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الرابع من عام ٢٠٠٠م

أ – الكتب العربية

خلود العقاد

- **الآفاق المستقبلية للتربية في البلاد العربية/** د. عبد الله عبد الدائم– بيروت: دارالعلم للملايين، ٢٠٠٠.
- **إحصاءات التعليم والامتحانات للعام الدراسي ١٩٩٢– ١٩٩٣/** مديرية التخطيط والإحصاء، وزارة التربية– دمشق، ١٩٩٤.
- **إحصاءات التعليم والامتحانات للعام الدراسي ١٩٩٤– ١٩٩٥ /** مديرية التخطيط والإحصاء، وزارة التربية– دمشق، [١٩٩٦].
- **إحصاءات التعليم والامتحانات للعام الدراسي ١٩٩٦– ١٩٩٧ /** مديرية التخطيط والإحصاء، وزارة التربية– دمشق، ١٩٩٧.
- **استعراض تشريعات الموانئ البحرية في دول منطقة الإسكوا/** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.
- **إسرائيل وهويتها الممزقة /** عبد الله عبد الدائم– بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦.
- **أعلام الطرق القيمة بين خيال الباحثين والواقع/** عبد الله بن محمد الشايع– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٠.
- **الألغام الأرضية وتدمير البيئة الكويتية ... /** إعداد مجموعة من المختصين؛ إشراف عبد الله يوسف الغنيم– الكويت: مركز البحوث والدراسات

الكويتية، ١٩٩٨.

- **أنشطة منظمة العمل الدولية ١٩٩٨- ١٩٩٩**/مكتب العمل الدولي، جنيف، ٢٠٠٠.

- **البحر مستقبلنا** /اللجنة العالمية المستقلة للمحيطات، [الرباط، ١٩٩٩].

- **التدريب من أجل الاستخدام: الاندماج الاجتماعي، الإنتاجية واستخدام الشباب** /مؤتمر العمل الدولي- جنيف: مكتب العمل الدولي، ٢٠٠٠.

- **تعريف بالنثر العربي الحديث** /د. عبد الكريم الأشتر- دمشق: الجامعة، ١٩٨٣.

- **التعريف بالنثر العربي الحديث وفنونه** / د. عبد الكريم الأشتر- دمشق: الجامعة، ١٩٨٣.

- **تقدمة وتعريف** /إعداد دائرة العلاقات العامة- إربد: جامعة اليرموك، ٢٠٠٠.

- **تقرير اجتماع فريق الخبراء حول سياسات العلم...** / اللجنة الاقتصادية والاجتماعة لغربي آسيا- بيروت: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **تقرير المدير العام: ملحق (مؤتمر العمل الدولي: الدورة ٨٨)** /مكتب العمل الدولي- جنيف، ٢٠٠٠.

- **تقويم خصخصة قطاع توليد الطاقة الكهربائية...**/ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **تقييم برامج الخصخصة في منطقة الإسكوا** /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **تقييم البنية الأساسية والنقل...** /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

- **التنمية البشرية المستدامة في ظل العولمة: التحدي العربي** /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٠- (سلسلة دراسات التنمية البشرية؛ رقم ١٠).

- **الحدود الكويتية العراقية: دراسة في الجغرافية السياسية/** محمد عبد الله خالد العبد القادر- الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٠.

- **حماية الأمومة في العمل:التقرير الرابع (٢ ألف)/** مكتب العمل الدولي- جنيف، ٢٠٠٠.

- **خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها؟/**محمد نعمان الدين الندوي- حيدر آباد: دار العلوم، [١٩٩٧].

- **دراسات في أدب النكبة: الرواية /** د. عبد الكريم الأشتر- دمشق: دار الفكر، ١٩٧٥.

- **دراسة حول القرآن الكريم/**محمد حسين الحسيني الجلالي- شيكاغو، ٢٠٠٠.

- **دليل إصدارات مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٩ /** مركز البحوث والدراسات الكويتية- الكويت، ١٩٩٩.

- **دليل المعاهد المتوسطة التابعة للمجلس الأعلى للمعاهد /** وزارة التعليم العالي- دمشق: الوزارة، ١٩٩٩.

- **دليل المكتبة المركزية بوزارة التعليم العالي /** وزارة التعليم العالي- دمشق: الوزارة، ١٩٩٩.

- **دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة/**د. عبد الله عبد الدائم- بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨.

- **دور المنظمات غير الحكومية العربية في تنفيذ توصيات... /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٠.

- **دور المنظمات غير الحكومية في المتابعة المتكاملة للمؤتمرات.../**اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٠.

- **السلام والتعاون الاقتصادي الإقليمي في مجالات... /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٠.

- **السياسات الإسكانية والتحضر: ملامح قطرية الجمهورية العربية السورية /** اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٠.

- **شجرة الدر: دراسة نقدية تطبيقية مبسطة للقصة التاريخية /** بقلم د. عبد الكريم الأشتر– دمشق: المكتبة الحديثة، ١٩٦٥.

- **صراع اليهودية مع القومية الصهيونية /**د. عبد الله عبد الدائم– بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠.

- **صناعة المخطوط العربي الإسلامي: من الترميم إلى التجليد/** مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث– دبي، ١٩٩٧.

– **صوتك في العمل [مؤتمر العمل الدولي: الدورة ٨٨، ٢٠٠٠] /** مكتب العمل الدولي– جنيف، ٢٠٠٠.

- **الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسنة /** يوسف السيد هاشم الرفاعي– الكويت: الفيصل للدعاية والإعلان، ١٩٩٩.

- **طرائق التعاون في مجال ربط الشبكات الكهربائية.. /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.**

- **العربية والأمن اللغوي /**د. زهير غازي زاهد– عمان: مؤسسة الوراق، ٢٠٠٠.

- **عكاظ الأثر المعروف سماعاً المجهول مكاناً: بحث وتحقيق /** عبد الله بن محمد الشايع– الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٦.

- **علوم البلاغة عند العرب والفرس: دراسة مقارنة/** د. إحسان صادق سعيد– دمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ٢٠٠٠– (الثقافة الإسلامية؛ ٢).

– **فنون النثر في المهجر: كتّاب الرابطة القلمية /** د. عبد الكريم الأشتر– ط٤– دمشق، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣– جزآن.

- **فنون النثر المهجري: المقالة، القصة، المسرحية، السيرة... /**د.

عبد الكريم الأشتر- ط٢- [بيروت]: دار الفكر الحديث، ١٩٦٥.

- **فهرس التراث** / محمد حسين الحسيني الجلالي- شيكاغو، ٢٠٠٠- المجلد الثاني: قسمان.

- **في سبيل ثقافة عربية ذاتية** /د. عبد الله عبد الدائم- بيروت: دار الآداب، ١٩٨٣.

- **القومية العربية والنظام العالمي الجديد** / د. عبد الله عبد الدائم- بيروت: دار الآداب، ١٩٩٤.

- **كتلاج للمطبوعات العربية من الهند** / الشركة الدولية لتوزيع المعلومات- الكويت، ٢٠٠٠.

- **المدنية والسلطة في الإسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني** /د. مصطفى أحمد بن حموش- دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٩٩٩.

- **مرايا الرواية: دراسات تطبيقية في الفن الروائي** /د. عادل الفريجات- دمشق: اتحاد الكتّاب العرب، ٢٠٠٠.

- **مسامرات نقدية** /د. عبد الكريم الأشتر- [دمشق: د. ن، ١٩٨٣].

- **مسح للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الإسكوا ١٩٩٨- ١٩٩٩** /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٠- الجزء الثاني.

- **مسح للتطورات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الإسكوا ١٩٩٩- ٢٠٠٠: ملخص**/اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٠.

- **مع امرئ القيس بين الدخول وحومل** /عبد الله بن محمد الشايع- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، [١٩٩٨].

- **معالم في النقد العربي الحديث: الديوان، الغربال، الميزان** /د. عبد الكريم الأشتر- دمشق: الجامعة، ١٩٨٣.

- **المعجم في الأساليب الإسلامية والعربية**/د. محمد أديب عبد

الواحد جمران– الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٩.

- **ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية** /د. محمد بهجت قبيسي– ط٢– دمشق: دار شمأل، ٢٠٠٠– (سلسلة رقم ١ من التاريخ العربي. تاريخ اللغة).

- **من أدب الخاطرة**/د. عبد الكريم الأشتر– [دمشق: د. ن، ١٩٩٩].

– **النثر المهجري: المضمون وصورة التعبير** / د. عبد الكريم الأشتر–ط٤– دمشق: دار الفكر، ١٩٨٣.

- **نحن وتراث فارس**/ د. يوسف حسين بكار– دمشق: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، ٢٠٠٠– (الثقافة الإسلامية؛ ١).

- **نحو فلسفة تربوية عربية**/د. عبد الله عبد الدائم– ط٢– بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.

- **نصوص مختارة من الأدب العباسي** /اختيار وشرح د. عبد الكريم الأشتر– ط٢– [بيروت]: المكتبة الحديثة، ١٩٦٩.

- **نظرية التأويل**/ د. مصطفى ناصف– جدة: النادي الأدبي الثقافي، ٢٠٠٠.

- **نكبة فلسطين عام ١٩٤٨**/د. عبد الله عبد الدائم– ط٢– بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠.

–**هجرة المغاربة إلى الخارج** /أكاديمية المملكة المغربية– الرباط: الأكاديمية، ٢٠٠٠– (سلسلة الندوات).

- **هل يشكل انتشار الأسلحة النووية عامل ردع؟** /أكاديمية المملكة المغربية– الرباط: الأكاديمية، ١٩٩٩– (سلسلة الدورات).

- **وثائق لاتموت: الحق الكويتي في مواجهة العدوان العراقي** /د. عبد الله حمد محارب– الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ٢٠٠٠.

- **وقائع اجتماع فريق الخبراء حول مدى كفاية...** /اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، مركز البيئة والتنمية للإقليم العربي وأوربا– نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩.

ب - المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الاسبوع الأدبي	٦٨٩ (١٩٩٩)، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣ (٢٠٠٠)		سورية
التراث العربي	٧٨	٢٠٠٠	سورية
التعريب	١٤ (١٩٩٧)، ١٨ (١٩٩٩)		سورية
الثقافة المعلوماتية	٦	١٩٩٩	سورية
الحياة المسرحية	٤٧	١٩٩٩	سورية
الحياة الموسيقية	٢١	١٩٩٩	سورية
دراسات تاريخية	(٦٥- ٦٦)	١٩٩٨	سورية
صوت فلسطين	٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧	٢٠٠٠	سورية
الضاد	١١، ١٢ (١٩٩٩)، ١، ٢ (٢٠٠٠)		سورية
عالم الذرة	٦٥، ٦٦	٢٠٠٠	سورية
الفكر السياسي	٨	٢٠٠٠	سورية
المجلة البطريركية	(١٨٩و ١٩٠) ١٩٩٩، (١٩١- ١٩٢- ١٩٣) ٢٠٠٠		سورية
مجلة جامعة البعث	مج ٢١ (العلوم الأساسية: ٣) ١٩٩٩م		سورية
مجلة جامعة دمشق	مج ١٥ (الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية:		سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	١، ٢، ٣، ٤) ١٩٩٩		
	مج ١٥ (العلوم الاقتصادية		
	والقانونية: ١) ١٩٩٩		
	مج ١٥ (العلوم الصحية: ٢)	١٩٩٩	
	مج ١٥ (العلوم الهندسية: ١)	١٩٩٩	
مجلة المعلومات	١٢٣، ١٢٤ (١٩٩٩)،		سورية
	من ١٢٦– ١٣٨ (٢٠٠٠)		
كشاف مجلة المعلومات	من ٧٦– ١٢٥	١٩٩٩	
المعرفة	٤٣٥ (١٩٩٩)، ٤٣٦،		سورية
	٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩		
	(٢٠٠٠)		
المعلم العربي	٤	١٩٩٩	سورية
معلومات دولية	٦١	١٩٩٩	سورية
الموقف الأدبي	٣٤٦، ٣٤٧	٢٠٠٠م	سورية
النشرة الاقتصادية	٤ (١٩٩٩)، ١ (٢٠٠٠)		سورية
لغرفة تجارة دمشق			
نضال الفلاحين	١٤ (١٩٩٩)، ١٥ (٢٠٠٠)		سورية
الأنباء	٧٩٠، ٧٩١ (١٩٩٩م)،		الأردن
	٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤،		
	٧٩٦ (٢٠٠٠م)		
دراسات	مج ٢٦ (العلوم الإنسانية	١٩٩٩	الأردن
	والاجتماعية: ٢)		
	مج ٢٦ (العلوم التربوية: ٢)	١٩٩٩	الأردن
الشريعة	٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢	٢٠٠٠م	الأردن
مجلة مجمع اللغة العربية	٥٧	١٩٩٩	الأردن
الأردني			
الموسم الثقافي السابع عشر	١٧	١٩٩٩م	الأردن
اليرموك	٦٦	١٩٩٩	الأردن
آفاق الثقافة والتراث	١٤	١٩٩٦	الإمارات

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الإذاعات العربية	٣	١٩٩٩	تونس
تعليم الجماهير	٤٥	١٩٩٨	تونس
حوليات الجامعة التونسية	٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩ (١٩٩٥)، ٤٠ (١٩٩٦)، ٤١ (١٩٩٧)، ٤٢ (١٩٩٨)		تونس
المجلة العربية للمعلومات	٢ (مج ٢٠)	١٩٩٩	تونس
جذور	مج ٢ (ج ٣/ ٢٠٠٠)		السعودية
الدارة	٣	١٤٢٠هـ	السعودية
عالم الكتب	مج ٢١ (٢و ٣) عدد مزدوج	٢٠٠٠م	السعودية
العرب	(٩، ١٠)/ سنة ٣٢، (١، ٢)، (٣، ٤)/ سنة ٣٣	١٤١٨هـ	السعودية
	(٩، ١٠)/ سنة ٣٣، (١، ٢)، (٣، ٤)، (٥، ٦)/ سنة ٣٤	١٤١٩هـ	
	(٧، ٨)، (١١، ١٢)/ سنة ٣٤	١٤٢٠هـ	
علامات في النقد	مج ٩ (ج ٣٤/ ١٩٩٩م) مج ٩ (ج ٣٥/ ٢٠٠٠)		السعودية
المجلة العربية	٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥	٢٠٠٠م	السعودية
نوافذ	١٠ (١٩٩٩)، ١١ (٢٠٠٠)		السعودية
البيان	٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧ (عدد احتفالي)	٢٠٠٠م	الكويت
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية	الحولية ٢٠ (١٤٠، ١٤١، ١٤٢)	١٩٩٩- ٢٠٠٠م	الكويت
العربي	٤٩٤، ٤٩٥	٢٠٠٠م	الكويت
مجلة العلوم	٥ (مج ١١)	١٩٩٥	الكويت
الشراع	٩١٤ (١٩٩٩)، من ٩١٥- ٩٢٣، ٩٢٤ (عدد خاص)، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨ (٢٠٠٠)		لبنان
الفكر العربي	٩٩	٢٠٠٠	لبنان
القصب	١١	١٩٩٧م	لبنان

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المستقبل العربي	٢٠١ (١٩٩٥)، ٢١٢ (١٩٩٦)		لبنان
النشرة السكانية	٤٧	١٩٩٩	لبنان
أخبار التراث العربي	(٨١، ٨٢)	١٩٩٩م	مصر
الإنساني	٧ (١٩٩٩)، ٨ (٢٠٠٠)		مصر
التمويل والتنمية	٤ (مج ٣٦)	١٩٩٩	مصر
حوليات إسلامية	مج ٢٩ (١٩٩٥)، مج ٣٠ (١٩٩٦)، مج ٣١ (١٩٩٧)، مج ٣٢ (١٩٩٨)		مصر
الرسالة	٤، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥ (١٩٣٥)، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤ (١٩٣٧)، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧ (١٩٣٨)، من ٣١٣– ٣٣٨ (١٩٣٩)		مصر
رسالة اليونسكو	تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول	١٩٩٩	مصر
مجلة الأزهر	مج ٦ (ج ٧، ج٨، ج٩، ج ١٠/ ١٣٥٤)، مج ٨ (ج٣، ج٤، ج٧، ج٩/ ١٣٥٦) مج ٩ (ج١، ج٢، ج٣، ج٤، ج٥، ج٦، ج٧، ج٨، ج١٠/ ١٣٥٧) مج١٠(ج١،ج٣، ج٤، ج٥،ج٦، ج٧، ج٨، ج١٠/ ١٣٥٨) مج ١٢ (ج٨، ج٩/ ١٣٦٠) مج ١٤(ج٤/ ١٣٦٢) مج ١٨(ج٩/ ١٣٦٦)		مصر

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	مج ٢٤(ج١، ج٢،ج٤،ج٦، ج٨، ج٩/ ١٣٧٢) مج ٢٥ (ج٢، ج٣، ج٤، ج١٠/ ١٣٧٣) ج٨ (١٣٨٧) ج ٥ (١٣٨٩)		
نشرة الإيداع	أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني	١٩٩٩	مصر
الأكاديمية	١٦	١٩٩٩	المغرب
دار الحديث الحسنية	١٤ (١٩٩٧)، ١٥ (١٩٩٨م)		المغرب
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال	١	١٩٩٤	المغرب
نشرة إخبارية إحصائية	٨	١٩٩٩	الإسكوا
نشرة النقل	٩	١٩٩٩	الإسكوا
رسالة التقريب	٢٤ (١٩٩٩م)، ٢٥ (٢٠٠٠م)		إيران
الدراسات الإسلامية	مج ٣٤ (٣)	١٩٩٩م	باكستان
الشرق	كانون الثاني، شباط، (آذار- نيسان)، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، (تشرين الثاني- كانون الأول)/ ١٩٦٠، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الثاني، كانون الأول (١٩٦١)، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول (١٩٦٢)،		البرازيل

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
	كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول (١٩٦٣)، كانون الثاني، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول (١٩٦٤)، كانون الثاني، شباط، حزيران، تموز، أيلول (١٩٦٧)، كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول (١٩٦٨)، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول (١٩٦٩)، كانون الثاني، آذار، نيسان، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول (١٩٧٠)، آذار (١٩٧٤).		
الثقافية	٣١	١٩٩٩	بريطانيا
النشرة الإخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون	٤٩	١٩٩٩م	تركيا
الرابطة	مج ٢٤ (١، ٢) عدد خاص	١٩٩٩	فرنسا
صوت الأمة	مج ٣٢ (١، ٢)	٢٠٠٠م	الهند

الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

- Annual Report, 1999, Feature: Promotion of Participatory Cooperation.- Tokyo, 1999, illus. (Prepared by: Japan International Cooperation Agency.

- Application, Conventions Interationales Du Travail/ Par BIT.- Genéve, 2000.

- Au Premier rang de l´ Ordre du Jour: La Santé et la Sécurité dans l´agriculture / BIT.- Genêve, 2000.

- Unesco Catalogue, 2000/ Par Unesco.- 1999.- (Contents in English, Sommaire en Francais, Indice en espanol).

- Catalogue De la Manuscrits Arabes provenant d´une Bibliothèque Privée à EL- Medina et Appartenant A la Maison .J.Brill / Par Carlo Landberg.- Leiden, 1883.

- Chemins de la Pensée: Vers de nouveaux langages / Directed by Eduardo Portella.- Paris: Unesco, 2000.

- le Commerce des antiquités / Par Patrick J. ó keefe.- Paris: Unesco, 1999.

- Conventions et recommandations Sur le Travail maritime / Par BIT.- Genéve, 2000.

- Demographic and related Socio - Economic Data Sheets / by Escwa (U N). - Newyork, 1999.

- Dictionnaire Alphatétique Et Analogique De la langue Francise / Par Paul Robert.- Paris, 1953.

- l´ inspection du Travail, manuel d´ éducation Ouvrière / Par B I T.- Genéve, 1999.

- Jérusalem, Point De Rupture Ou lieu De Recontre? /Par Académie du Royaume du Maroc.- Rabat, 1998.- Vol. (2) Only.

Vol. (1) In Arabic.

- Négocier la Flexilité / etude Coordonée Par Muneto Ozaki.- Genéve, 1999.

(publ.by: B. I. T.)

- la Principauté ayyoubide D´ Alep (579/1183 - 658/1260) / par Anne - Marie Eddé.- Stuttgart, 1999, illustrated.

Seris: Freiburger Islamstudien, band XXI.

- Rapport Sur le Travail Dans le Monde 2000 / BIT- Genève,2000.

- Recommandation Internationales En Vigueur sur les Statistiques Du Travail / B.I.T.- Genève, 2000.

- Répertoire Méditerraanéen / Par Fondation René Sydoux.- Paris, 1999.

- Statistical Abstract of The Escwa Region / by Escwa (u.N).- New york, 1999.

- le Tissage dans l´ Atlas marocain, Miroir de la Terre et de la Vie / Par yvonne Samama.- Paris: Unesco, 2000, illustrated.

- Visible Hands, Taking responsibility for Social

Development / by UNRISD.- Genève, 2000, illusted.

2 - Periodicals:

- Anejos De la Academia Argentina De Letras, Buenos Aires.

Anejo (I), 1999.

- Beijing Review, China.

Vol. (43), Nos.: 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 2000.

- Bulletin officiel, Genève.

VOL. (LXXXII), Série A, nos.: 1,2

VOL. (XXXII), Série A, ho.2

- Common Ground, A Triannual report on Germaney´s environment, Berlin.

nos.:1,2,2000.

- le Courier, Unesco.

Mars, Juin, 2000.

- VOL. (12) No. (1) Spring 2000.

- Korea and World Affairs, A quarterly Review, Korea.

NO. : 2, 3, 4, 1999.

Publ.by: Research Center for Peace and Unification of Korea.

- The Middle East Journal.

Nos.: 1, 2 , 2000.

Publ. by: Middle East Intitute, U.S.A.

- museum international, Unesco.

VOL. (51), No. (2), 1999.

- Oriens, Moscow

NO. (1) , 2000)

- Review Of Science and Technology in Escwa Member Countries, Escwa (U. N).

NO. (2), 1999

- Revue Internationale des Sciences Sociale, Unesco.

NO. (163), Mars, 2000.

- The Töyöshi-Kenkyü, The Journal Of Oriental Researches, Kyöto, Japan.

NO.(4), March, 2000.

- Travail, le Magazine De l' oit.

NO. (33), fev, 2000.

Publ. by:Bureau International Du Travail, Genève.

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والسبعين
وفيه تتمة بحوث ندوة وهو القسم الثاني

(إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده وإشاعته)

(من ٢٥ – ٢٨/١٠/١٩٩٩)

الفهارس العامة للمجلد الخامس والسبعين

أ– فهرس أسماء كتاب المقالات والمحاضرات منسوقة على حروف المعجم

الفهارس العامة للمجلد الخامس والسبعين

ب– فهرس المقالات والمحاضرات

منسوقة على حروف المعجم